

فَجَاءَ الْوَيْلَ لِمَنْ كَفَرَ



الدكتور حُسين مؤنس

فجأة في الأندلس

دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي
إلى قيام الدولة الأموية (٧١١ - ٧٥٦ م)


دار المعارف
مطبعات وصحافة دار المعرف


المعشر الحديث
للتشرو والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م



المشرف والمؤلف
عبدالله بن محمد بن عبدالمطلب



دار النهدال
مطبعة وتصميم
بالتعاون مع دار النهدال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لهذه الطبعة الجديدة من فجر الأندلس، وهي نسخة وفاء وتقدير للمؤلف العلامة الدكتور حسين مؤنس رحمه الله، بعد أحوام عديدة على رحيله، فضة.

فلقد كنا أعددنا لإصدار هذه الطبعة عام ١٩٨٧م، مزدانةً بمقدمة جديدة، ومحتوية على ذملي كان المؤلف قد أحده للطبعة السابقة، لكن - كما ذكر في المقدمة - لِدَّ المُنابع أسقط المظروف الجامع للذليل، وطُبع الكتاب تصوراً عن الطبعة السابقة.

حين التفتنا - رحمه الله - في القاهرة مطلع عام ١٩٨٧م على هاشم معروض القاهرة الدولي للكتاب، كان عتبه شديداً أن الطبعة الثانية (١٩٨٥م) التي صدرت عن الدار السعودية قد اغتزلها نقص كان طابحاً إلى تكامله، وأنة سلم التعديلات إلى الناشر، ثم فرجى بأن الطبعة المذكورة جاءت جلقراً من كل ذلك، وألها قد شوزت بالأونس.

اليوم، تصدُر هذه الطبعة (الأولى) المنلحة، بعدما حاثت أحوال، يعود بعضها إلى ما جرى في لبنان من حوادث مؤلمة، حالت دون ظهورها، رغم نقاد الطبعة السابقة منذ عدة سنوات.

والدكتور حسين مؤنس علم من أعلام المؤلفين في تاريخ الأندلس (القرنوس المفقود) كما يطلق عليه، ويكتسب مؤلفه هذا أهمية كبرى، لأنه فاهم على معرفة تامة باللغات: اللاتينية واللاتينية الفاروجة والقشتالية - الإسبانية اليوم - والبرتغالية والقطونية إلى جانب لغات الحق. وكان عند ظهوره للمرة الأولى في العام ١٩٥٩م قد لقي قبولاً كبيراً، وواج رواجاً واسعاً في العالمين العربي والإسلامي، وفي إسبانيا وأوروبا.

الناشر

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد فقد نفذت الطبعة الأولى من هذا الكتاب من سنوات طويلة ، وكان له عند ظهوره أثر محمود في تعديل مسار الدراسات الأندلسية عندنا ، فقد كانت العادة إلى ذلك الحين هي الاكتفاء بالمراجع العربية ، والمغال في كل المراجع غير العربية عن عدم علم بها أو بلغائها وتصور في إنتاج العلمي الذي كان المؤلفون عندنا يتعمقونه في دراساتهم ، وكنتُ أنا عندما دخلت هذا الميدان أواخر الأربعينات من هذا القرن قد تبيحت لي أن تاريخ الأندلس الإسلامي صراع أو قصة بيننا وبين أصحاب شبه الجزيرة الأيبيرية قبلنا وهم قشتال : الأيبيريون الرومان وهم عامة أهل شبه الجزيرة ، والقوط الغربيون الذين غزوا الجزيرة مع من غزاها من قبائل الجرمان ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي ، ثم قلنا لهم أن يسودها سيادة الغزاة حتى دخل العرب بالإسلام فأزالوهم عن السلطان ، وطاردوهم إلى أقصى الشمال فيما يقع شمالي الجبال الكتشيرية ، وحصروهم في إقليم اشترس وجليقية ، ولم يستطعوا القضاء عليهم ، فظلوا هناك آمنين وتكاثروا وأقاموا دولاً نصرانية تحت واسطوت مع الزمن ولحقت لهم ممالك وإمارات ، وفي نفس الوقت عاشت في حوائق جبال كلبت (البرانس) جماعات نصرانية كثيرة أنشأت دويلاتٍ فيها يُعرف بِسُجَّة Navarra وهي بلاد الشكس أو الشكسوس Los Vascones أو Los Vascos وأرجون Aragón .

وشهرت Soborbe وريباجورزا Ribagorza التي لم تلبث أن دخلت في أرجون . ثم إن الفرنجة أصحاب بلاد غالة وهي فرنسا انتهزوا فرصة الحروب الأهلية التي نشبت بين المسلمين في الأندلس في عصر الولاة الذي نؤرخ له في هذا الكتاب واستعادوا من المسلمين بلاد Septemania واستعادها إلى الجنوب في إقليم قطلونية Catalonia وقاعدت برشلونة . وعرفت هذه الناحية التي عرجت عن الحكم الإسلامي باسم النغر الإسباني La Morc Hisphanica التي أصبحت مع الزمن كونية كتالونيا ثم مملكة كتالونيا (قطلونية) التي لم يقم المسلمون بمجهود جاد متصل لاستعادتها .

وبهذا أصبح تاريخ شبه الجزيرة قسمة بين الأندلس الإسلامي ووحدات مسيحية شتى في الشمال . هذا بالإضافة إلى أن غالبية الشعب الأندلسي كانت أول الأمر من المستعربين الذين تسكوا بدينهم النصراني وعرفوا العربية وربما برعوا فيها ، ولكنهم ظلوا نصراني يتحدثون في حياتهم العامة لغة خاصة بهم هي خليط من لغتهم الدارجة الأيبيرية الرومانية والعربية . وهذه اللغة حُرفت عندها بمحبة أهل الأندلس . وعند أهلها كانت تُعرف بالرومانسية El Romance ومعجدة أهل الأندلس هذه حرما عامة المسلمين في الأندلس من فيهم الأندلسيون من أصول عربية أو بربرية لأن أمهات الدالية العظمى منهم كن إسبانيات . أما تلوخ إسبانيا النصرانية بشتى إماراتها وممالكها فقد كتبه أهلها في الغالب باللاتينية والإسبانية فيما بعد ، وخلق مؤرخوها وأصحاب مدوناتها من الرهبان باللاتينية ، ومؤلفاتهم كثيرة جداً ومعظمها وكذلك معظم وثائق الدول الإسبانية النصرانية - باللغة اللاتينية - مطبوع ، فكيف تستطيع أن تؤولف كتاباً له قيمة علمية في تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أدبها أو مجتمعا دون معرفة باللاتينية واللاتينية الدارجة El Lann Vulgare والقسطنطية El Castellane وهي اللغة المعروفة اليوم بالإسبانية ولا يدُ كذلك من العلم بالبرتغالية والقطلونية ؟

وهذا الكتاب الذي بين يديك هو أول مؤلف عربي في تاريخ الأندلس قائم على معرفة تامة بهذه اللغات بالإضافة إلى المعرفة بكل ما ألفه الإسبان المحذون - وهو كثير جداً والإحسان فيه كثير ، وكل ما ألفه الفرنسيون خاصة

وغيرهم من الأوروبيين في تاريخ الأندلس . ونحن نسي دائماً أن تاريخ الأندلس وهو شبه الجزيرة الإيبيرية الأندلسية وشمل إسبانيا والبرتغال هو فصل من تاريخ الإسلام ، وهو في نفس الوقت - وعمل نفس المستوي - جزء من تاريخ إسبانيا والبرتغال وأوروبا جميعاً ، فكيف نكتب في تاريخ أوروبا ونحن لا نعرف الإسبانية ولغة لوربية على الأقل ؟

ولقد لقي هذا الكتاب عند أول ظهوره سنة ١٩٥٩ قبولاً عظيماً وراج رواجاً واسعاً في العالم الإسلامي وفي إسبانيا وأوروبا على السواء ، واشتدت الحاجة إليه ، وما منعنا من إعادة طبعه إلا أن العلم فيها يتعلق بتاريخ الأندلس وحضارته زاد واتسع اتساعاً عظيماً ، وتواترت المؤلفات فيه وكان علينا متابعة ذلك كله وتقييم أهم ما فيه وجمع شوارده وأوابده ، وفيما يتعلق بموضوع هذا الكتاب زاد العلم زيادة عظيمة ، وظهرت مجلات علمية متخصصة كثيرة نشرت عشرات الأبحاث التي لا بد من مراجعة هذا الكتاب على ضوءها ، فإلى جانب مجلة الأندلس الإسبانية التي ظهرت قبل صدور هذا الكتاب بسنوات طويلاً ظهرت مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ومجلة أرابيكا ، في باريس ومجلة دراسات عربية وعبرية التي تصدر في غرناطة ومجلة Arabos التي يصدرها المجلس الأعلى للبحث العلمي في مدريد وغير ذلك كثير ، وكان علينا أن نرجع ذلك كله ونعدّل مادة الكتاب بما يجعلها مسايرة لعصرها وذلك كله استلزم منا زمناً طويلاً في المراجعة والتعديل . ثم إنني غيرت رأبي تغييراً تاماً في صلب فصل من فصول هذا الكتاب وهو الفصل الخامس الخاص بصراع العرب والأندلس في ضوء دراسات قيمة قام بها نفر من أجيال الباحثين ما بين عرب وغير عرب .

حين نشرت الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جفة ، الطبعة الثانية من « فسر الأندلس » سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م . رأيت أن أعيد تصويره بالأوست لصحوية إعادة جمع هذا الكتاب الضخم بكل ما فيه من مراجع غير عربية ، ولقد نشأنا في حينه مع الناشر على احتمال ما نترن من

التعديلات على صلب الأصل ، وإضافة ضيقت للتعديلات الموضوعية المطلوبة ، وجعل ذلك كله نهياً على الكتاب داخلياً في صلبه وبين دفتيه ، وعملنا ذلك فعلاً ، ولكن الطابع أسقط الظروف الجامع لذلك كله ، وطبع الكتاب كما هو في طبعته الأولى .

والآن ، وإذا كلفنا (العصر الحديث للنشر والتوزيع في بيروت) طباعة هذا الكتاب بعد أن نفذت طبعته الثانية ، رأينا أن نضم الذيل المذكور إلى مكانه من صلب الكتاب ، وأعدنا جمع الكتاب من جديد ، لتكون هذه الطبعة - بإذن الله - مصححة متفحة برضى عنها المؤلف ، الذي يرجو أن يرضى قراؤه أيضاً



وأفرغ بعد ذلك لتوجيه الشكر لكل من كان له فضل على هذا الكتاب وصاحبه ، سواء في طبعته الأولى والثانية والرغم استثنائي الأجل محمد شفيق غمريال رحمه الله ، وهو أول من أشاد بهذا الكتاب ونبه إلى قدره وأهميته ، وزملائي الأحرار د . محمود علي مكّي ود . أحمد مختار العبادي ود . إحسان عباس وإميليو غمريه غومس الذي أطرى الكتاب وكثرت إشاراتنا إليه والأستاذ هانريخ هونبراخ الذي طال بيني وبينه الأمد والسرور في بعض مادة الكتاب ، ثم الأخ المؤرخ فانتسو بوسك بيلا أستاذ تاريخ الأندلس بجامعة غرناطة .

وأخيراً صاحبتنا الراحل لسلي مروفنسكال عميد الدراسات الأندلسية من الأوروبيين في عصره الذي طالت المحاوره بيني وبينه في بعض ما قلت نظراً لأن كتابنا هذا مكتوب بروح عربية خالصة لا تعجبه كثيراً ثم اعترف لنا بما رأى من وجوه القبول في النهاية . واعتصم هذا الشكر بكلمة أقرر فيها فضل شباب من الجيل الثاني من تلاميذي وهو السيد / محمد فخري عبد الرحمن الوصيف الذي أبدى ملاحظات قيمة على مادة الكتاب وأعانني على عمل التعديلات والإضافات في وقتٍ يتضاءل فيه نور البصر . وكذلك تلميذي محمد زهير الذي بذل جهداً

صحباً في إنجازها ، كذلك الأخ الأستاذ أحمد فضل الله عاصي الذي بذل
قائه الجهد في ضم الإسهامات والإشراف على هذه الطبعة ، والله سبحانه
الحمد والثناء على ما يُعطي ويأخذ ، وهو - عز وجل - من وراء القصد والنية
وهو الموفق .

والله سبحانه مستعان على كل خير ، وهو سبحانه العاطي الوهاب ، له
الحق والثناء من تفسر مطبئة وقلب خاضع .

د. حسين مؤنس

الطبعة ١٩٨٧م

الفصل الأول

إسبانيا قبيل لفتح الإسلامي

١. القوط في أواخر القرن الرابع الميلادي، استطاع القوط الغربيون بقيادة الغربيون في الأريك أن يسيطروا على مصائر القسم الغربي من الدولة الرومانية، لواقعهم ذلك أن الإمبراطور تيودوسيوس كان قد وصل إلى عرش الإمبراطورية معتمداً على تأييدهم وتأييد من انضم إليهم من طوائف الشبهيرين من الألان والهون وبغايا البوندال، فجعل يملكهم على أهل البلاد الأصليين من الرومان، حتى إذا توفي تيودوسيوس سنة ٣٩٥ كان الأريك قائد القوط الغربيين قد أصبح أقوى شخصية في وسط أوروبا وغربها جميعاً.

وكان إمبراطور الجزء الغربي من الدولة الرومانية «هونوريوس بن تيودوسيوس» قد عهد في قيادة جيوشه إلى وندالي ماهر هو ستليخو، وكان الأريك يحسده وينزعه ويود لو يجعل محله، وكان ستليخو يعرف أطباع الأريك ومن معه من القوط الغربيين ويحاول أن يدفع عن الدولة شره وشرهم، ولكن هونوريوس نخل عن قائده واتهمه بالخيانة وأعدمه في سنة ٤٠٨، وبهذا أزال من وجه الأريك القوة الوحيدة التي كانت قسمة أن تحول بينه وبين إيطاليا لو أراد غزوها، ولم يكذب الأريك أن جمع جنده ولحمرك نحو الغرب، وختلف هونوريوس شره قضاة روما ولخصص في راقنا في شمالي إيطاليا، وأخذ الأريك يهاجم روما المرة بعد المرة وأهلها يدافعونه عن أنفسهم بذلك مرة وبالجند مرة أخرى، ولكنهم انتهوا آخر الأمر إلى الهزيمة، فالتصم الأريك ومن معه من القوط الغربيين المدينة الخالدة سنة ٤١٠، وأصبح غرب أوروبا جميعه تحت رحمة فأخذ يخرّب شمالي إيطاليا تحريباً سيئاً، ولم ينتقل إيطاليا من مساءاته إلا موته بعد ذلك بقليل^(١).

FERDINAND LOT. *La fin de l'Antiquité et le début du Moyen - Age* (Paris, 1927) pp. (1) 333-342

وخلفه في قيادة القوط الغربيين ومن معهم من شرافم الثبريين أطابولف، فحرق على متواله وأنزل بإيطاليا بلاءً شديداً، ثم اتجه بجموعه نحو غالة، وعبر إلى إسبانيا وأخذ يتنازع من استقر فيها من القوط الشرقيين ومن معهم من السويف والوندال، واضطرت الدولة آخر الأمر إلى مهاتة أطابولف وإقراره في الجزء الجنوبي من غالة في الإقليم المحيط بتولوز (طولوزة) سنة 416-418 م.

وكانت جماعات القوط الشرقيين المستقرة في إسبانيا في ذلك الحين قليلة العدد، وكان مقاسها في الزاوية الشمالية الشرقية جوبي جبال البرت (التي تُعرف خطأً بالبرانس)، أما السويف والوندال فكانوا أكثر عدداً، وكانوا قد استقروا في الركن الشمالي الغربي فيما يُعرف بجليقية وأشتورياس (أو أشتريس)، وكانت الدولة قد سمحت لهم بالاستقرار في هذه النواحي في سنة 411، واشترطت عليهم أن لا يغيروا على ما جاورهم من البلاد، ولكنهم لم يراعوا هذا الشرط وروعوا بقية الجزيرة الأندلسية وجنوبي غالة بغاراتهم. وكان الوندال مسيطرين على شرق الجزيرة ووسطها، ولم يكونوا أحسن حالاً من السويف والالان، فجعلوا هم الآخرون يغيرون على جنوبي غالة وحوض الرون، وما زالت هذه الجيوش المتبرية تشتد في أعمال التخريب حتى كانت تقضي على كل أثر للإستقرار والحضارة في الجزيرة الإيبيرية كلها.

فلما أقرت الدولة أطابولف وأصحابه القوط الغربيين جنوبي غالة سلطوهم على طوائف الثبريين التي تسكن إسبانيا، فأعلنوا عليها حرباً شعواء وارتد الالان إلى مواقعهم الأولى وانحصروا على الساحل الشمالي المفضل على خليج بسكائية، وانحصر السويف في الركن الشمالي الغربي الأقصى من شبه الجزيرة واستقروا هناك وانقطع شرمهم. وحاول الوندال للقائهم، ولكن القوط الغربيين تغلبوا عليهم وأزاحوهم نحو الجنوب، فأقاموا قليلاً في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة المعروف بولاية يحيى (بينكا) الإغريقية القديمة، وكانت لا تزال تحتفظ إلى ذلك الحين بأقل جليقة من الحضارة اليونانية المادية والفكرية، وكان الوندال أسبلاً على فلم يلتفتوا أن يقضوا على معظم ما وجدوا من آثار العمران والتحضّر في بينكا واضطر زعيمهم

جيسرك - أمام ضغط القوط الغربيين المتصل - إلى العبور إلى إفريقيا سنة ٤٢٩ ، بعد أن حرب أسهات عدائين بينكما العامة مثل : هيبليس (سقبليا - إشبيلية) وكرتاجو نوقا (قرطاجنة) وجاييس (جوادكس - فانش) ومورجي (مرسية - مورليا) وكوثوما (قرطبة - كورثفا) وغيرها، وخلف هذا الإقليم العام وراه ياباً عن عادة الوندال ، وقد بلغ من عمق الأثر الذي خلفه الوندال في هذا الإقليم أن احتض اسمه القديم «بيتوس» (الذي عرّبه العرب إلى «بيطي») وأصبح يسمى من ذلك الحين قانداروسيا ، إقليم الوندال ، وعنه أخذ العرب لفظ «الأندلس» الذي أطلقوه فيها بعد حل شبه الجزيرة كلها^(١) .

استقر القوط الغربيون في شبه الجزيرة ، وأخذوا يبتدون في توحيدها شيئاً فشيئاً ، وظهر فيهم بعد أطالولف زعيم قاندر هو «الوالاء» (Valia) استطاع أن يقرر سلطانهم في أراضي الجزيرة كلها . ولم يكن جميع من تحت سلطانه من الجند قوطاً مغربيين ، وإنما كانت فيهم أشتات من المتبريرين من كل جنس ، ولكنهم كانوا يدينون له جميعاً بالطاعة والولاء ، وكانت علاقته بالإمبراطورية علاقة التابع أو الفضل ، فلما طمع إيدواكر المتبرير في حكومة الجزء الغربي من الدولة الرومانية ، وأقره الإمبراطور البيزنطي زينون على حكومة إيطاليا في الرابع من سبتمبر سنة ٤٧٦ ، كان معنى ذلك زوال الدولة الرومانية الغربية من الوجود وتحلل جميع أطيافها من المتبريرين من الولااء لها ، وهذا استقل القوط الغربيون بإسبانيا وأعلنوا أنفسهم ملوكاً غير تابعين لأحد ، وكان زعيمهم يوريك (Euric) قد اتخذ لقب الملك قبلاً قبل ذلك بنحو سبع سنوات (سنة ٤٦٧) ، وهو يعدُّ لتلك مؤسس دولة القوط الغربيين في إسبانيا ، وسنكتفي بأن نسهبهم القوط وحسب من الآن فصاعداً^(٢) .

(١) LEVI-PROVENÇAL, L'Espagne musulmane au Xe siècle, pp. 28-29 .

THOMAS W. ARNOLD, the Franching of Islam (London, 1905) pp. 136-141.

(٢) GEORGES YVER, *Étude sur les Wisigoths (466-485) des Études d'histoire du Moyen* (٢)

âge dédiées à Gabriel Monod (Paris 1896) pp. 11-46

وكان يوريك قد حرص منذ صارت إليه زعامة القوط على أن يمد سلطانه شيئاً فشيئاً حتى يسطر على شبه الجزيرة الإيبيرية كله ، ولم يتناول إلى جانب ذلك عما كان لأسلافه من الأقاليم شمال جبال البرت ، وكان الرومان يعتبرون جنوبي غالة وشمالي إسبانيا جزءاً كبيراً من غربها إقليماً واحداً ، فحرص يوريك أن تضم دولته هذا الإقليم الواقع إلى شبه الجزيرة الإيبيرية ، فتحقق إقليم لُسْذانية (لوزيتانيا - البرتغال) وقرر فيه سلطانه ، ومد حدود مملكته إلى الجنوب وأدخل فيها إقليم بيطي (الذي يعرف باسم بيشكيا) وولاية قرطاجنة الرومانية القديمة وهي الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، وتابع جهوده في شمال جبال البرت ، واستولى على آرل ومرسيليا ، وبهذا أصبحت دولته تمتد من أقصى الغضبة الفرنسية الوسطى إلى طرف إسبانيا الجنوبي ، وحكم شعبين كبيرين هما الغاليون الرومان (Gallo-romani) شمال البرت والإسبان الرومان (Hispano-romani) جنوبيها . وكانا شعبين متحضرين يشغل معظمها بالزراعة ، ويزيدان في العدد على القوط مرات عديدة ، وكان معظم أهلها مسيحين كاثوليك ، يسيطر على نفوسهم قساوسة خاضعون لسلطان روما وأسقفها الكبير^(١) .

وكان القوط مسيحين آريين ، أي أنهم كانوا لا يعتقدون في ألوهية المسيح ، ولا يعترفون بالقساوسة بحق الوساطة بين الله والناس ، ولا يجعلون للعلماء مكاناً ممتازاً في العقيدة ، وكان لهم أسلوب خاص في العبادة ، فلم يلبث السكان الأصليون من غاليين ولويسيين أن تقربوا من حكمهم ، واجتهد القساوسة في تقوية شعور القوط هذا ، لأن القوط كانوا يتكبرون عليهم أي سلطان روعي على الناس . واجتهد هذا التقرب مع الأيام بسبب ما كان القوط يتولونه بالقساوسة من اضطهاد ، وظل مركزهم بين رعابهم مضطرباً مزعزعاً ،

(١) MANUEL TORRES, *Historia política del Reino de Toledo en Historia de España de* (١)
Atenas del País (Tomo III Madrid, 1940, pp 79-84)

BALLESTEROS, RAFAEL, *Historia d'Espagne des origines à nos jours* (Paris 1938)

فلما نهض كلوفيس زعيم الفرنجة وأخذ بمد سلطانه نحو الجنوب سلخ القساومة لتأييده لأنه كان كاثوليكياً ، وانضم إليه الغال الرومانيون ، فاستطاع أن يزيح القوط إلى الجنوب ويحلهم عن إقليم طولووشة (تولوز) الذي ظلوا يحكمونه على طويلاً ، ثم انتصر عليهم انتصاراً حاسماً في فوييه (Vouille) شمالي بواتيه سنة ٥٠٧ ، وأجلاهم عن جل ما كان بيدهم من أراضي قتالة ، فلم يبق لهم إلا إقليم سبتمانية المتاخم لبلد الأيرت من الشمال ويمتد حتى نهر الرون وعاصمت نربونة^(١) .

بهذا انتصر سلطان القوط الغربيين على إيبريا ، وأخذت علاقة شبه الجزيرة مع بقية العالم الأوروبي الواقع إلى الشمال تفتت ، وما كان القوط قد وحدوا شبه الجزيرة كله تحت سلطانهم فقد أخذت « إسبانيا » تظهر كوحدة سياسية وجزئية واحدة للمرة الأولى في التاريخ . وذلك أمر له عظمه ، لأن الإغريق لم يعرفوا عنها إلا الغرب وبعض الجنوب ، ولأن الرومان كانوا يسمونها ولايات مختلفة لا علاقة بين بعضها وبعض : هي بيتيكا في الجنوب واسبانيا تراكوثيس (إسبانيا الطركونية) وتشمل الوسط والشرق والشمال الغربي ، ولوزيتانيا وهي غرب الجزيرة وناربونيس (ولاية نربونة) من حدود برشلونة إلى جبال الألب ، وكانت عاصمتها على أباهم نراجونا (طركونة) جنوبي بركيتو (برمينونا - برشلونة)^(٢) .

أما القوط فقد اعتبروا شبه الجزيرة كله بلداً واحداً ، واتخذوا عاصمة لهم بلداً متوسطاً يقع في وسط شبه الجزيرة وهو « طليطلة »

(١) GUERRA (A. FERNÁNDEZ) *Cataluña y Roma del Imperio Visigodo-Español* Madrid, (١) 1883.

MANUEL TORRES *Las Invasiones y las Reformas germánicas de España en Historia de España editada de RAMÓN MENÉNDEZ PIDAL* Tomo III pp. 81-84.

MANUEL TORRES *op. cit.* pp. 113-114. (٢)

= LEGENDRE, MAURICE *Nouvelle Histoire d'Espagne* (Paris, 1938) pp. 66-67.

ولطبيعة موقع جغرافي سياسي هام تمايزه عن طركونة عاصمة إسبانيا الرومانية وقرطبة عاصمة إسبانيا الإسلامية ، فهي على هضبة مرتفعة في وسط شبه الجزيرة تقريباً ، يستطيع الحاكم منها مراقبة البلد كله والاتصال بأطرافه على سبيل أسهل مما يستطيعه الحاكم المقيم بقرطبة ، وهي تقع على صحرة عند متحلى من متحنيات نهر تاجو ، ولا يصل إليها العدو المهاجم إلا محمداً بعد أن يعبر جبال قشتالة الفسحة في الشمال وإقليم الإسترامانورا والمنشا الفاحلين الموحشين في الجنوب ، ثم إن مركزها المتوسط يحفز الحاكم على تحقيق الوحدة ويسرها له ، لأنها موسطة البلاد وقلبيها . أما طركونة فبعيدة جداً عن الجنوب والغرب ، وقرطبة بعيدة جداً عن أشتريس وجليقية ولوزيتانيا ، ومن ثم ليس بغريب أن نلاحظ أن المسلمين لم يوقفوا إلى حكم البلاد كلها تماماً ، وأن أشتريس وجليقية لم تخضعوا لهم أبداً ، بل لم يدم سلطانهم على إقليم برشلونة ونواحي الغرب إلا لحلال فترات قصيرة جداً^(١) .

* قسم الرومان إسبانيا أول الأمر إلى تسعين بقعة بينها خط غير محدد بالضبط يمتد من الحدود إلى نقطة (Cades) Oloro في الأندلس . ثم قسمها الخمس إلى خمس ولايات:

إسبانيا الشرقية Tarracoensis

إسبانيا البحرية Bética

إسبانيا الغربية Lusitania

ثم أضاف تراسا إلى هذه الولايات الثلاث ولاية جديدة تضم الشمال الغربي ويسمى (Gallaecia) أي إسبانيا الجليقية، ومن هذا اللفظ أخذ العرب لفظ جليقية وسموا به الطرف الشمالي الغربي لاسم إسبانيا (Gallaecia) .

ولما أعاد ملكها تومس تنظيم الدولة الرومانية وقسمها إلى مدنويات (Provincias) ، وقسم هذه إلى دوائر (Decurias) ، وهذه بدورها إلى ولايات (provincias) ، ضم إسبانيا إلى مدينة طليطلة ، وجعلها دائرة تضم سبع ولايات :

Tarracoensis, Carthagoensis, Bética, Lusitania, Gallaecia, Balaecia, Tarraena
أضاف إليها جزائر البليار وجزراً من إفريقيا هو مرطانية الطنجية ، مستقل مرطانية الطنجية مرتبطة بإسبانيا حتى الفتح الإسلامي .

Dr. BALLESTEROS, RAFAEL, *Historia d'Espagne*, pp.^o 28-29.

ونظر عن ذلك كله الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب، وهو يخص التنظيم الإداري والحالي.

(١) تاولت هذه التاحية في كتابي: مقدمة جغرافية لتاريخ المسلمين في الأندلس.

وإلّا أظهر أثر لاستقرار القوط في طليطلة هو منحوم إلى « إسبان » في وقتٍ قصير ، في حين لم يصبح العرب إسبانياً إلا بعد فترة طويلة ، لأنّ القيم في طليطلة تقطع الصلات بينه وبين ما يلي اليرت وما يلي الزقاق ، وضأقلم ويصبح إيبيريا ، أما القيم في قرطبة فتظلّ صلتها بإفريقية وما يتصل بها من بلاد الشرق أوثق وأظهر من صلاته بجلبقية وأشتيريس ونواحي اليرت ، وكان ذلك من أسباب الضعف الرئيسية في دول المسلمين في الأندلس^(١) .

استطاع القوط من عاصمتهم طليطلة أن يفتحوا شبه الجزيرة كله ، ولكن سلطانهم لم يستقر في البلاد أول الأمر بسبب ما ثار بينهم وبين أهل البلاد الإيبيريين من منازعات عنيفة وسبب ما شجر بين أمرائهم من خلافات ، ولهذا ظلت البلاد طوال القرن السادس غياً للحروب الأهلية وما ينجم عنها من الفوضى وسوء الحال . وقد لقي نصرٌ من ملوك القوط مصارعهم في هذه الحروب ، وطمع ثيودوريك ملك القوط الشرقيين في عرش إسبانيا فغزاها وأقام حفيداً له على عرشها . ولم يلبث أحد قواد القوط الغربيين الأقوياء أن ثار هذا الدخيل وأعلن نفسه ملكاً على إسبانيا بفضل معارضة حرية أمه بها جستانان إمبراطور بيزنطة في سنة ٥٥٤ وانضم إليه أهل البلاد من الإيبيريين الرومان الكاثوليكين ، واحتلّ القسطنطينة الواقعة بين النواحي الكبير و«جنگر» (عبر شفر) ، وانفصل هذا الإقليم عن حكومة طليطلة .

وكان آخر ملوك القوط الأريين هو ليفونجيلد (Liberigild) (٥٦٨ - ٥٨٦) وكان عمارياً مقداماً ظلّ يحارب الكاثوليكين طوال حياته ، وخلفه ابنه ريكاردو (Reccaredo) فاستبان أنه لا صلاح لدولة القوط في هذه البلاد إلا إذا تخلّى ملوكها عن الأرية ، ففعل ذلك وأعلن في مجمع طليطلة الذي سنة ٥٨٧ : اعتنق الكاثوليكية هو وأهل بيته ، وتبعه الأمراء وكبار أهل المملكة ، وبهذا أصبحت الكاثوليكية هي الديانة الرسمية في إسبانيا من ذلك الحين . وهذا حادث خطير سيظلّ مؤثراً في التاريخ الإسباني كله ، فإن الكاثوليكية تأصلت في

(١) LEGENDRE MAURICE, *Nouvelle Hist. d'Espagne* (Paris, 1908) pp. 66-67.

أهل البلاد مع الزمان ، وزادها قوة ميل الإسبان للشهد في الإيمان والتعصب لكل ما يؤمنون به ، فأصبحت إسبانيا مغللاً من أبعاع معانل الكاثوليكية ، وكان هذا أثر بعيد جداً في حياة الإسبان وفي مجرى تاريخهم كله^(١) .

وأعقب هذا التحول إلى الكاثوليكية اعتبار اللاتينية اللغة الرسمية في البلاد ، وتوثق صلوات إسبانيا بالبابوية ، وقد تضاف علقاه ريكارديو في الولاء للبابوية تقانياً شجع البهابوات على بسط نفوذهم الديني - بل السياسي - في البلاد ، وبدأ يفد على البلاد هذا القبض المتصل من قساسة الكاثوليك وروهبانهم ، وأصبحت طليطة أسقفية يفيم فيها أسقف كبير يمثل سلطان البابا ونفوذ ، وأيده الشعب الروماني الإيبيري الذي لم يتخل عن الكاثوليكية بعد ذلك . ومن هنا نفهم السر في أن نفوذ أسقف طليطة لم يقل في فترة من فترات التاريخ الإسباني المسيحي عن نفوذ الملوك ، إن لم يزد عليه في كثير من الأحيان . كان تحول القوط إلى الكاثوليكية الخطوة الفعالة الأولى لامتزاج الشعبين القوطي والإيبيري الروماني ، فقد ظلا متباينين ما اختلفت عقيدتهما الدينيتان ، وأما وقد اتفقا في العقيدة فقد انفتح الباب أمام الامتزاج ، ولكنه لم يتم إلا على صورة مصغرة جداً ، لأن القوط حرصوا على أن يحتفظوا لأنفسهم بمركز الشعب الحاكم ، مما كان له أثرٌ بعيد سىء على مصير دولة القوط في إسبانيا .

وكانت الملكية القوطية انتخابية ، أي أن تقرأ من كبار أهل المملكة والأمراء كانوا يجتمعون بعد وفاة الملك لاختيار ملك من بين أئهمهم ، فكان هذا النظام مدعاة لإثارة المنااسات بين الأمراء وكبار القوط ، ومن ثم لا غرابة في أن يكون تاريخ القوط في إسبانيا سلسلة من المؤامرات والحروب والاختيالات . ومهما حاول مؤرخو الإسبان - القدامى والمحدثون - أن يقللوا من

(١) MANUEL TORRES. *Las invasiones y las cosas pendientes de España en Historia de España de RAMÓN MENÉNDEZ PÉDAL*. Tomo III (Madrid, 1909) pp. 105-106.

شأن هذه الاضطرابات ، رغبة منهم في الدفاع عن دولة القوط ، فإن الإنسان يستطيع أن يتبع سلسلتها في سهولة ويسر ، وأن يستبين أن العرب لو لم يتدخلوا في سنة ٧١١ ، في شؤون الجزيرة ويضعوا نهاية لهذا العصر المضطرب لبقي القوط بإسبانيا مبلغاً من السوء لا يسهل تصوره^(١) .

يبد أننا ينبغي أن نستثني من سلسلة ملوك القوط نغراً أجمع المؤرخون على أنهم كانوا قاطرين خيرين ، وأنهم قدموا اللبلاد خدمات حربية وعمراتية بعيدة الأثر ، مثل : ششبرت (٦١٢ - ٦٢١) الذي أتم فتح شبه الجزيرة كله ، وشنداسنتو (٦٢٩ - ٦٧٢) الذي ألغى التفرقة بين أجناس الشعب ، وحكم البلاد بمقتضى قانون جديد مزج فيه القانون الروماني القديم الذي كان قد سنه الملك الأريك الثاني والقانون القوطي الذي وضعه يوريك ، مما قرر السلام بين أهل المملكة وجنبا مصاعب وخلافات شتى^(٢) .

(١) BALLESTEROS, RAFAEL, op. cit. p. 37

(٢) BALLESTEROS, RAFAEL, op. cit. p. 37-38

وقد أعطت الصور العربية لهذه الأسماء القوطية مما جعلته في التراجم العربية ، ولم تحدث المراجع العربية عن ملوك القوط كثيراً ، ولم تذكر منهم إلا واحداً أو اثنين ، ولكنها ذكرت أخصاصاً لهم أسماه هؤلاء الملوك خلال فترة الفتح ، فأخذت عنها هذه الصور . وهذه التراجم العربية هي : الأخبار الجسرعة ، وفتح الطيب (أنظر فهارس الأعلام فيها) ، ومرجعان عربيان : الأول مجهول المؤلف ، لم نعلم إلا على طرقات من مترجمة إلى اللاتينية والإسبانية ، والتي عملت على ترجمتين إسبانية وبرغالية جزء منه :

أ - فتح الأندلس : المؤلف مجهول ، وقد نشره JAQUEN DE GONZALES مع ترجمة إسبانية له تحت عنوان *Relación de la conquista de España y de sus sucesos* سألنا في دراسته عن فتح الأندلس .

ب - *La Cronica del Mar Rojo* ، وهو تاريخ الأندلس المشهور للرازي ، وقد ضاعت النسخة العربية لهذا الكتاب ، ولم نجد إلا نظريين صغيرين من باللغة الإسبانية ، الفقرة الأولى تتناول جغرافية الأندلس ، وقد نشرها وحقق عليها وأكثت مسحتها يشكرال دي جيلينجوس ، راجع :

PASCUAL DE GAYANGOS, *Memoria sobre la Autenticidad de la Cronica desconocida del Mar Rojo*, *Memorias de la Real Academia de la Historia*, tomo VIII, 1839

وأما النسخة المترجمة منها طابعية ، ولم نشر إلا سنة 1897 ، إذ ترجمها ساندرا إلى الإسبانية وأخذها دراسته عن فتح المسلمين للأندلس . انظر :

وأعمل أكبر ملوك القوط هؤلاء واما (٦٧٢ - ٦٨٠) فقد كان اميراً عظيم القوة ، استطاع أن يقرر سلطانه فيما بقي للقوط من الملكات شمالي جبال البيرت : قضى على ثورة خطيرة دبرها هلفريك كونت نيمة (نيم) ، وأخذ ثورة أخرى دبرها بلؤلئس أمير سيمانية للانفصال بها ، وحكم البلاد كلها حكماً رشيداً حازماً فأخضع الناس والثغورا حوله ، وبلغ من تعلق الناس به أن أصبح اسمه وعصره أسطورة لا تخلو من المعجزات والحوادث ، ومن هذه الحوادث واحدة نسجلها لأن المؤرخين الغربيين يجعلون مثلها لعبد المؤمنين بن علي مؤسس الدولة الموحدية بعد ذلك بنحو ستة قرون ، وملخصها أن واما وقف بين يدي الأسقف في الكنيسة لكي يلبس التاج ، لينيا هو في هذا الموقف الرهيب إذا عمود من الدخان يتصاعد من رأسه تطير فيه نحلة من ذهب^(١) .

وقد انتهى حكم واما نهاية لا تخلو من غرابة وطرافة ، فقد احتال عليه أحد حاشديه وفس له من سقاء جرعة مخدرة لم يلبث بعد أن شربها أن غاب في سبات عميق ، وحسبه الناس قد مات ، وهياره ليواروه التراب ، فينبا هم في ذلك إذ عاد إلى رشده ، وبدلاً من أن ينهض لتعذيب من اتهموا به على هذا

D. EDUARDO SAAYEDRA. *Estudio sobre la invasión de los Arabes en España* (Madrid, 1893) pp. 114 وما يليها. وقد كان جاهل بنسب قد تعرض لها وأثبت فيماها التاريخية في تعليقاته على ترجمته لكتاب TIGNOR للشمسي : تاريخ الأدب الإسباني (ج ١ ص ٢١٩) ، وراجع كذلك تعليق سافدرا على الرازي وما يلي من كتابه في كتاب سافدرا الألف الذكر ، ص ٨ وما يليها . وقد عثر الأستاذ LUISE LINDLEY CENTRA البريطاني على نص صحيح لترجمة القسم الجغرافي من تاريخ الرازي إلى البرتغالية وبشره ، وترجمه ليني بروكسبال إلى الفرنسية :
CF. LEVI-PROVENCAL. *La description de L'Espagne de Abou-el-Rais AL-ANDA-LUS*, 1903. fasc. I, pp. 51-106

(١) ذكر الرازي الملك «واما» في صورة مخرقة جداً هي *Berata* ، وإذا تصورنا أن هذا اللفظ يكتب بالعربية به أو فيه حرفاً كيف حدث هذا التصحيح . وقد استعده الرازي وقال إنه *MAN* ملكاً حسناً جداً وهكذا ، ولم نعد إسبانيا فيه أو بعده بذلك مثله ، لأنه لم يبق إلى أحد ، ولم يعرف إسبانيا أقوى منه ولا أثره . راجع : SAAYEDRA. *op. cit.* *opendix*, p. 146

التصور الغربي ، ترك العرش للظالمين فيه ، وترهب وقضى بقية حياته في الغدير .

وعندما اعتلى غبطشة (Wittke)^(١) العرش في نوفمبر سنة ٧٠٠ كانت الأمور قد اضطرت بسبب المؤامرات التنوالية التي كان كبار الفسط يدبرونها ، ولما نستطيع أن نتعرف حقيقة أمر هذا الملك الذي سيلعب أدواره دوراً عظيماً في التمهيد للفتح الإسلامي ، لأن النصوص اليبالية عنه تعطينا صورة متناقضة عن شخصه وأسلوبه في الحكم ، مما حدا ببعض المؤرخين من أمثال ردميجو تيميث والأب ماريانا إلى جملة مسؤولاً عن الفوضى التي أعقبت أيامه وسرت للعرب القضاء على دولة القوط ، في حين تصدى دوزي وفرناندث جراً Guerra وتابلهان للدفاع عنه وتبرئته مما نسبت إليه بعض النصوص^(٢) .

والظاهر أن هؤلاء الأخيرين على حق ، لأن معظم النصوص الإسبانية التي عليه ، تؤكد أن أعداءه ومنافيه هم المسؤولون عما أصاب البلاد في أواخر عصره من فوضى واضطراب ، وأنه حاول جهده أن يصلح الأمور فعلاً عن كان والده أميكا^(٣) قد أساء إليهم ، ومال إلى إنصاف الناس من استبداد نيلاء القوط ، فكمعه هؤلاء وهولوا على القضاء عليه وعزل حكمه ، فأخذوا يشورون عليه في نواحي المملكة ، واستمر يحاربهم ويحيط كل مناوئهم ، فلما علت به

(١) هذه الصورة العربية لاسم ويزا عرقة هي الأخرى تحريفاً ظاهراً ، وقد رسمه الرازي هكذا: *Accos* أكوستا . وقد أتى التعريف من أن ويزا تنطق بالإسبانية القديمة *يوتنا* أو *بيطشة* أو *بيطشة* . وهذا التصور تعطينا فكرة وهي *Accos* التي أوردها الرازي وبيطشة التي أوردها مؤرخو العرب . وقد امتدح الرازي كذلك وذكر أنه حاول أن يزيل مساوئيه فيه ، وأسطفاً تفاصيل طيبة عن كفاحه مع كبار ملكته وشفاكه هم . راجع : *SAAVEDRA op. cit. apendice p. 147*

(٢) *SAAVEDRA op. cit. p. 25*

(٣) رسم الرازي هذا الاسم *Abaco* أبازكا ، ويرد هذا التعريف إلى خطأ في الإسلام . لأن نسخة الرازي التي بين يدينا لم تلت على رجل لا يعرف العربية ولا يحسن الكتابة بما تراجع ملاحظات جيانجوس وسافيرا التي سنت الإشارة إليها) مكتب إيفة بدلاً من إيفة ، وعندما ترجمها الإنسان إلى الإسبانية عدلوا إيفة إلى لوتة وهو اسم إسباني معروف ، وعلى هذا الرسم وردت في هذه نسخة الإسبانية من الرازي راجع : *SAAVEDRA op. cit. apendice p. 146*

السن عجز عن أن ينهض لكل وأتب به مذهب عليه ، وتأسر عليه أهله ، واستطاعت زوجته أن تعرضه على أن يعلن ابنه الصبي وُقيله (أجيليا Achila) وأسمه حاكماً على الولايتين الناربونية والطركونية تحت وصاية أخيه رخشندش (Rachshendo)⁽¹⁾ ، وكان الإعلان حافزاً للطائفتين في العرش من كيار القوط إلى مضاعفة الجهد في التغيير على غيطة ومحاولة القضاء عليه وعلى دوك ليخلو لهم العرش يفعلون به ما يشاؤون . ويبدو أنه لم يأل جهداً من جانبته في القضاء على كل محاولة يقومون بها ، لأن النصوص تحدثنا أنه غالب ثيودوريس دوق قرطبة يسلم عينيه ، ونفى تائراً آخر اسمه بلايُ من البلاط⁽²⁾ .

ويبدو كذلك أنه أساء الظن في اليهود ، فاضطهدهم وأوقع بهم في أواخر أيامه ، ولم يكن ذلك الاضطهاد بالجديد عليهم في أيام القوط ، لأن الواقع - كما سترى - أنهم لا قوا منهم حسفاً بالغاً متصلاً ، وأن الفتح العربي لو لم يكن قد أدركهم وأبلى على من أبقي عليه ظلم القوط منهم لما بقي لهم في شبه الجزيرة الإيبيرية أثر . انهمم غيطة بالتدبير عليه والتأمر مع من تسبهم النصوص الإسبانية « أهل ما وراء البحر Los transmarinos » ، وهو تعبيرٌ غير واضح ، لا يفهم إن كان المراد به أنهم راسلوا بربر إفريقية أو يودها أو العرب ، ولا يستقيم فرض من هذه الثلاثة ، لأننا لا نملك دليلاً واحداً على علاقة ما بين يهود إسبانيا وبربر إفريقية قبل الفتح الإسلامي ، وأما يهود إفريقية فكانوا وقتل في محنة ، لأن الحرب بين حسان بن النعمان والكاهنة في جبال الأوراس كانت إذ ذاك على أشدها ، وأما العرب فلا يعقل أن يكونوا قد راسلوا يهود إسبانيا وهم بعد لم يقتحموا المغرب الأوسط⁽³⁾ .

(1) هذا الرسم من ابن عسري : الديال للقب . ج 9 من 11 وهو يبي عليه . أما القرابي فيسجل عليه محنة

عينا . SAAVEDRA, op. cit. p. 146

لما أجيليا ويكتبه القرابي كيرفا ، وقد سبق تعلق ذلك .

(2) 28 دي 1019 . SAAVEDRA, op. cit. p. 1019 وانظر المراجع للمعالي .

(3) هذه المسألة غير واضحة التوضيح الكافي لأن النصوص القديمة لا تتحدث عنها بما فيه التعمية . فيقال لوما -

ولسنا على أي حال بحاجة إلى البحث عن سبب لهذا الانسحاب ، لأن الإسبان كانوا طوال تاريخهم من أقصى الناس على مخالفتهم في الدين ، وعلى اليهود خاصة . وكل ما يمتنا هنا هو أن هؤلاء اشتد بهم الأمر خلال السنوات الأخيرة للفترة القوطية ، حتى باتوا يرجون الخلاص عن أي سبيل . ويسدوان غيظتة رجع عن سياسته تلك في التعرّيات أيامه ، فأحب أن يرفع السخط عن اليهود ، وتحدث إلى كبار أهل الدولة فيما اتواء من العفو عنهم ، فلم يكدر رجال الكنيسة يسمعون بذلك حتى سخطوا عليه ، وأعدوا بفرون الناس به ، حتى اشتد عليه سخط الناس ، وتحدث أهل البلاد من الرومان الإيبيريين في الوثوب به أو معاونة أولي لثأر عليه (١) .

في هذا الظرف المصيب ، وألبك منتشق على نفسه متفرق بين رجال الدين والملك المسن والكبراء الطامعين ، مات غيظتة ميتة طيحية في أواخر سنة ٧٠٨ أو أوائل ٧٠٩ ، وكانت هذه الأحزاب كلها تنتظر فرصة موته ليتقض بعضها على بعض ، وكان أفراد البيت المالكي أنفسهم من أكثر الناس انقساماً وأشدهم ميلاً إلى الخلاف ، ذلك أن غيظتة ترك من بعده زوجاً أرملة طامعة في العرش ، وأخاً لا يقل عنها طمعاً هو آبه (Oppa) وكان أسفناً لإشبيلية ، وثلاثة بنين هم : أغيلالا (رُمِّله عند القسري وابن القوطية وصحنه وقُله) وألسند

(١) القوي LUCAS DE TUY ويعرف من كتاب القرن العشر : *Historia innumerorum privilegiorum dotali*

تجاً قرأ ٢ من تاريخ السائري وطولاً : روبرتو خيمينيز RODRIGO XIMENEZ

retrouvé radieux et majori innumerata quam solozna privilegia honorarii (I, III, cap. XVII)

ولا يلزم من أي من هاتين الروايتين ما ينجم من إهمام اليهود بالهيلة أو التملق مع يهود إشبيلية. وقد وردت عبارة التملق مع القوم الذين يسكنون لها وراء البحر في نص الخطاب الذي ألقاه أغيلالا في المجمع الكنسي السابع عشر، وهي عبارة لا تكفي. ولا تعرفه الرابعع التي امتدت منها DCIM VISSIUTE معلومة التي يوردنا عن هذا الموضوع في كتابه *Historia Langobardorum* ج ١٠ ، ص ٧٠٠ .

٧٠١ ، وعلى أي الأحوال فالثابت أن أغيلالا انسحب اليهود.

(٢) SAAVEDRA, op. cit. p. 39

(Olimando) وأرطالازدس أو أرميست (أرطياس ، أرتبان) ، وتضيف بعض الروايات شخصاً آخر سيلعب فيها يلي من الحوادث دوراً هاماً هو سييرتو (ششورت ، صيري ، سبيرة في النصوص العربية) وتزعم أنه كان أستاذاً لفيثشة أو ابتأ له ، ويذهب سافندوا إلى أنه لم يكن من العائلة وإنما من المتصلين بها وحسب⁽¹⁾ .

ولم يرض نفرٌ من كبار القوط بالخضوع لصبي مثل أغيليا ، وتخوف كثيراً منهم من مطامع الوصي وخشفتش استبداده ، فامتنع من أقام منهم في طليطلة عن الطاعة ، واستقل بالأطراف والشواحي منهم من كان مقبياً في الشواحي والأطراف ، وغازت رعى الحرب بين المتنازعين ، وتغلر على الملكة وابنها للقام في طليطلة نفرا منها . واستمرت هذه التمردات نحو العام ونصف العام ، واستطاع الوصي أن يجمع نفراً كبيراً من الأنصار ، وتجهب إلى عمارة أهل البلاد الرومان الإيبيريين من أهل المزارع والمدن واستطاع أن يكسبهم إلى جانبه . وبدا لخصومه أنه مستطيع القضاء على الفتنة وإقرار الحق لفؤيه عما تريب ، فاجتمع منهم نفراً وانتلقوا ، واعتبروا أنفسهم « مجلس شيوخ وكبراء » له الحق في أن يقرر شؤون دولة القوط كسبا يري ، ثم اختاروا واحداً منهم اسمه رودريكو - أو رودريك أو رودريجو (لدرين) - وانتخبوه ملكاً خلفاً لفيثشة ، واستعدوا لنصرته والقضاء على منافسيه بحد السيف .

ولجميع النصوص كلها على أن هذه الجماعة التي بايعت لدرين كانت جماعة من كبار القوط وأعيانهم ، وأنهم أوافقوا باجتماعهم هذا إنفاذ دولة القوط وتقويم ما وهى من بنيانها ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما سبقت الإشارة إليه من أن رخشندش

(1) (Olimando) and Artalazdus or Armist (Artyas, Artaban), and adds some traditions which play a prominent part in the events. He is Sirto (Sshurt, Sery, Sbir in Arabic texts) and claims that he was a teacher of Feitha or that he was not of the family but of those connected with it. (Sassier) وآله (Oppel) ص 8 .

وهو الرلزي مضطرب هنا اصطفاً شديداً جداً بحيث لم يستطع الاحتياط عليه ويكتب ابن القوطية رُثمة بدلاً من أغيليا ، وقد جعله بعضهم رودولوس ، وذهب سافندوا إلى أنه حريف من وثقة الذي هو أغيليا .

أراد أن يستعين بالإيبيريين الرومان لثبيت أمر أخيل، استطعنا أن نستنج من غير حرج أن المسألة لم تكن مجرد خلاف على العرش بين زعماء القوط، بل كان فيها لون من ثورة أهل البلاد على القوط ورفضهم في التخلص من كبرائهم ونبلائهم. ولعل هذا الاستنتاج يتبع لنا أن نقرر ما نحاول الكثيرة الغالبة من مؤرخي الإسبان - قدامى وحديثين - تفيه وإنكاره، وهو أن دولة القوط لم تكن في نظر أهل البلاد دولة قومية، بل ظلت في نظر غالبيتهم دولة أجنبية لقي الناس في قلوبهم كثيراً من الأذى، وحاولوا الخلاص منهم مراتاً متكررة^(١).

والخلاف شديد حول أصل الليريق هذا، فمن قائل أنه كان
 ٣- الليريق
 زعمياً قوطياً كبيراً ذا علم بأمور الحرب والسلام، ومن قائل إنه
 ينحدر من أصلاب ملكية، وأن جده الملك شيندالستوه ومن قائل إنه ابن
 تيودايريدو دوق قرطبة الذي كان غيظته قد عاقبه على ثورته عليه بسجل عينيه.
 ومهما يكن من أمر فإن المراجع الإسبانية اللاتينية القديمة تجمع على أنه كان رجلاً
 قائداً، وأنه كان قبل انعكاسه العرش حاكماً لولاية بيتكا، وأن الذين بايعوه على
 العرش فعلوا ذلك في قرطبة عاصمة ولايته^(٢).

ولم يسر الليريق إلى طليطلة مباشرة بعد إعلانه نفسه ملكاً، بل تهرث
 بعض الوقت ليتسرع له جمع أنصاره وملاقاته رخشندش ورجاله في منطقة
 حاسمة، وكان قد أعلن نفسه ملكاً في ١٠ ربيع سنة ٧١٠، قبل الغزوة المسماة
 عادة بغزوة جوادالبي (وادي بكة) بعام، وكان ذلك في السنة الخامسة من

(١) MAUEL TORRES Op. cit. p. 125. ويشير سيمونيت إلى ذلك إشارة غير واضحة وغير دقيقة، فهو
 يقرر وجود حالة الثورة وردية الإيبيريين الرومان في الخلاص من القوط، ولكنه - على عهده من
 الدفاع عن القوط، لأنهم كاثوليكيون - يفتي النتيجة كلها على التسامح وعدم تقديره الفضل لمولكه
 عليه. وهو يقرر بالطبع نهضة اليهود دون أن يعلق مراجع النهضة. انظر -

FRANCISCO JAVIER SIMONET, *Historia de las Manzanas de España* (Madrid, 1897-
 1903) pp. 4 sqq.

والمراجع المتعلق. وراجع كذلك من ١٠ وما يليها من نفس المرجع.

(٢) FERNANDEZ GUERRA, *Costa* - pp. 81 sqq.

حكم الوليد في دمشق ، ، كما يقول « النص اللاتيني المجهول المؤلف ، ، ويذهب رواية آخر إلى أنه ذهب إلى بطلوس ، دون أن يذكر لنا السبب في الذهاب إلى ذلك البلد البعيد . والثابت أنه سار إلى طليطلة بعد أشهر من إعلان نفسه ملكاً على رأس جيش كبير فيه جلة قواد الفوط ونبلائهم ، وعزم رُغْشُدَش في واقعة حاسمة قتل فيها هذا الأخير وتفرق أتباعه . وأما أبناء غيطشة فلم يجهلوا مفرأ من مغادرة البلاد فراراً من الغاصب ، ففروا إلى إفريقية ، وصعدوا لتريق أملاكهم معتبراً إياهم ثائرين على العرش ، والقانون القوطي يقضي بمصادرة أملاك كل ثائر على العرش⁽¹⁾ .

ويبدو أن لفريق ظل يخشى طيلة حكمه القصير عودة أبناء غيطشة إلى البلاد ومحاولتهم استعادة عرشهم بمساعدة أنصارهم الكثيرين ، ومن ثم حرص على أن يفر الناس منهم بالبالغة في تصوير أعمال أبيهم ومظالمه ، وأحانه على ذلك القساوسة ، لأن غيطشة كان لا يبيهم إلى ما تصبو إليه نفوسهم من القضاء المبرم على اليهود ، ومن ثم لا غرابة في أن نجد عند معظم المؤرخين الإسبان اللاتين صوراً بخيضة جداً لهذا الملك وأولاده ، وما كانوا يديرون للبلد وأهله من سوء ، ويزاد هؤلاء المؤرخين إصراراً على هذه الآراء إنضمام أولاد غيطشة للعرب ومحاربتهم في فتح البلاد . وقد تصدى نفرٌ من المؤرخين الإسبان المحدثين للدفاع عن غيطشة وأبنته ، وذهبوا في الدفاع عنهم إلى حد إنكار دورهم المعروف الثابت الذي قاموا به أثناء الفتح العربي ، ولنا نستطيع تفسير هذه النزعة عند المحدثين إلا بما يعرف عن الإسبان من مبالغة في التماسي بوطنهم وأهله ، وعداد بعضهم للفتح الإسلامي وكل ما يتصل به ، ورغبتهم في تغطية صفحات تاريخهم من كل ما يشتم منه رائحة التعاون مع المسلمين⁽²⁾ .

يبد أن هذا الدفاع عن غيطشة وأولاده ، والإصرار على ثبوتة لفريق من

(1) SAAVEDRA op. cit. pp. 34-35.

(2) SAAVEDRA op. cit. p. 37 . ويشتق من ذلك بعض المؤرخين الإسبان الحاليين مثل : BALBUENA و LESTEROS *Manifiesto d'Espagna* p. 45 . وهو يورد هذه الحوادث في إيجاز شديد جداً .

كل عيب وتصويره في صورة بطل وطني جاهد العرب عن بلاده وبذل كل ما يملك لينجو ببلاده من خطرهم ، كل هذا الجهد لا يمنعنا من التعرف شخصاً للذريق وأحوال عصره تعرفاً معقولاً هو أقرب ما يكون إلى الصواب . فإن الظاهر الذي لا تستطيع المناقشة إغضابه أن الرجل كان يشعر بانضطراب الأمر عليه ، وأنه ظل حياته متخوفاً من وثبة تكون من أحد أعدائه الكثيرين ، لأن هؤلاء الأعداء لم يكونوا أولاد غيطشة وحدهم ، بل كانوا في واقع الأمر جلة الشعب الإيبيري الروماني واليهود ، أي معظم أهل البلاد التي اقتحمها القوط عليهم^(١) .

ومصدق ذلك أن للذريق لم يكفد الأمر يستمر له حتى مضي برغم رجال الدين على إصدار قرارات يهتمون فيها غيطشة بكل شر ، ويصورونه للناس في

(١) SAAVEDRA, op. cit. p. 37. وكلام في هذه القطعة غامض غير واضح لأنه لا يستند إلى مراجع واضحة مفصلة ، وأهم مراجعها فنزلت جزءاً في كتابه *Costas y Mores* من ٨٦ وما بعدها ، وهو مرجع حديث .

ويلاحظ هذا الرقي سيمونيت في تاريخ المستعربين ، من ١٢ وما يليها ، وسميوت إسباني كاتوليكي متعصب جداً لوطه ودينه ، وذلك من عيب كتاباته الكثيرة .

والصور التي يهبطها إيماناً عن أطال أيام اللذريق جديراً بأن تعرضها ، لأنها لا تقدر من نفع ، فهو يقول إن الشعب الإسباني وجد نفسه تحت حكم غيطشة وخلال السنوات الأخيرة من حكمه على الخصوص ، متقسماً إلى حزبين كبيرين : حزب مناصر للكنية غيطشة الثالثة ، ومن ثم فهو مؤيد من اليهود منصرف عن مصالح البلاد القوية والدينية ، وحزب ثاني مناصر لذلك ، منهم بعض أصحاب البلاد حرص عليها ، وكان هذا الحزب يميل إلى طرد اليهود من البلاد جلة ويتناصر الكاتوليكية مناصرة دامة . فلما انقلب الأول مكاناً حزب الأرستقراطية القوطية ، ولم يكن أفراد كاتوليكا ولا آريين ، ولما كانوا متشككين ملاحظ (كذلك) ومن كبار هذا الحزب أرماس (أب) أمبر الملك وأسقف إشبيلية ، والنبلاء شيرت وريختش (ورما كانا أمبرين للملك تسج . ولما ورجال الحرب الثاني فكانوا طائفة من كبار القوط المؤمنين يؤيدهم معظم أهل البلاد من الإسبان الربيان ، وأهل الصلاح والدين من سكان الجزيرة كلها وفي مقدمتهم ثيوفريدو ذوق قرطبة ، وأخيه في زماناً الحزب رانجو (الذريق) وكان معه بلايو (بلايو) الذي قدر له أن يعيد دولة القوط بعد ذلك SIMONET *Historia de los Morabos*, pp. 11-13.

وليس لدينا دليل واضح على صحة ما يذكره من أن بلايو هذا هو نفس بلايو الذي سبغ أرماس العرب ويخلص في جلوفية ويحدد إنشاء دولة القوط 29 SAAVEDRA, op. cit.

صورة جبار ظالم أورد بالناس وبالكنيسة كل أذى ، وأن الطريق لم يهض إلا لإنقاذ الناس من شره وشر أولاده وكل من كان يلوذ بهم ، وقد أجاب رجال الدين عليه ، حففت قرارات مجامعهم الدينية في عصر للدين بأسوأ الاتهامات لفيطشة وبته واليهود . ومصداق ذلك أيضاً أن للدين قضى معظم أيام حكمه القصير بجوارب الثائرين عليه في كل ناحية ، وأنه قام بحملات متتابعة على البشكنس في الشمال ، وطوائف من الثائرين في الشرق والجنوب ، ولنا نعرف على وجه التحديق من كان هؤلاء الثائرون عليه في الجنوب ، وإن كان من المعقول جداً أن نزعهم أنهم كانوا أنصار أولاد فيطشة ، وسنرى في أثناء الفتح العربي ما يقيدنا في هذا الظن^(١) .

وربما كان من دلائل سوء الحال في عهد للدين أنه كان في حاجة مستمرة ملححة للمال ، ولو كان قد حكم البلاد حكماً عادلاً منتظماً لما احتاج إلى إرهاق نفسه وإرهاق الناس ، لأن إسبانيا بلد غني لا يحتاج إلا إلى الإدارة المنظمة حتى يفيض بالخير على أهله وحاكميه ، ولو كانت البلاد هادئة في عصره لما اضطر إلى هذا الإرهاق ، ولكن البلاد كانت مضطربة في عصره لا يكاد يطيعه من نواحيها إلا إقليم صغير .

والغالب أن حاجة للدين إلى المال هي التي دفعت إلى السطو على الذخائر الثمالية التي كان ملوك القوط قبله قد كدسوها في كنيسي سان بيدرو وسان بابلو ، فقد جرت عادة كل ملك منهم أن يودع إحدى الكنيتين تاجه وبعض ذخائره ، وكانت هذه الذخائر مكدسة في حجرتين مغلفتين في الكنيتين ، فلما اشتدت حاجة للدين للمال حدثته نفسه بأخذ بعض هذه الذخائر للائتماع بها . وقد حذره القسس من أن يفعل ذلك ، ولكنه لم يصغ ، ومضى لفتح مستودع الذخائر ، ويبدو أنه ذهل من كثرة ما وجد من الذهب والجواهر ، ويبدو كذلك أنه لم يجرؤ على أخذ شيء لأن رهبة المكان منعه من أن ينفذ ما أراد ، وتحدث

(١) SAAVEDRA Op. cit. p. 47

SIMONET Op. cit. pp. - 2599

الناس في ذلك وتناقلوه حتى أصبح أسطورة في أفواه الناس ، ورواها العرب على صورة لا تخلو من طرافة (١) .

وقد استطاع الفريق أن يقضي على كل أمل لأبناء غيظشة وأنصارهم بعد أن استمر يوالي غزوههم أشهراً متتابعة ، فلما ضاقت عليهم البلاد فكروا في ناحية يستصرون بها على هذا الطاغية الذي غصبهم عرش أبيهم وشردهم في غير جنابة ، وكان العرب قد فتحوا المغرب الأقصى ووصلوا إلى الزقاق وانضم إليهم من البربر نفراً كبيراً وأخذوا يظلمون جمعاً إلى بلاد جديدة يفتحونها ويمدون رواق الإسلام إليها ، وتسامع لولاد غيظشة بهم فبعثوا الرسل إليهم يدعونهم إلى القدوم (٢) .



٤ - نظراً إلى
أحوال إسبانيا
تحت حكم
القوط (٣)

لم يغير القوط شيئاً كثيراً من أحوال المجتمع الإسباني في العصر الروماني : ظلت الأرستقراطية الرومانية القديمة على عهدتها من الغنى والسيطرة على الناس ، وظل الأحرار من أهل المدن والتجار وأصحاب المزارع الصغيرة يعيشون تحت رحمة الأقبوية في حاله هي وسط بين الحرية والرق ، وظلت بقية أهل البلاد ولحق أرض أو عبداً يشقون في سبيل الأقلية الغنية المسيطرة . وقد اختلف الأقبوية مع القوط لكي يعضطوا بأسيلاكهم ، واستقر غسراً كبيراً من هؤلاء في المزارع واشتغلوا بالزراعة ، وإن بقيت أغليتهم تقيم في المدن في معسكرات تعيش من إتاوات وضرائب فرضوها على الزرايع وضعاف أهل المدن ، حتى ساء أمرهم كثيراً . ولم يكن القوط كثيرين ، ولم يكن لهم سوى إلى المشاركة في صناعة أو زراعة ، فظلوا غرباء عن البلاد في الغالب ، ولم يخلطوا فيها من الآثار ما يمكن مقارنته بما خلفه

(١) SAAVEDRA op. cit. pp. 40-43 وقد أورد معظم مؤرخي المسلمين هذه الأسطورة، انظر فتح الطب

وطبعة الشيخ أبي القاسم عبد الحميد، ج ١ ص ٢٢١ وما بعدها.

(٢) SIMONET Op. cit. pp. 12-13.

SAAVEDRA op. cit. p. 43

(٣) دراسة هذه الناحية تفصيل لبق في الفصل الحفوي ينشر من هذا الكتاب، وهو خاص بالأندلس وتناولت لئلا.

ولم تنعم البلاد في حكم القوط بتسبب كبير من الطغمانية والرخاء ، لأن العصر كله كان عصر اضطراب وفوضى في أوروبا كلها ، لا في إسبانيا وحدها . وانهارت في نواحي غرب أوروبا قواعد المجتمع الروماني الثابت القديم الذي كان يقوم على تقسيم الأرض بين الدولة وطائفة من كبار الأغنياء المقيمين في الريف ، ثم تاجيرها بعد ذلك للفلاحين يزرعونها ويؤدون عنها مالا ، وكان معظم الأرض تابعة للدولة ، فكانت تزرعه بواسطة الفلاحين الأحرار أو العبيد ، فلما طال الزمن واستمر كل فلاح يزرع نفس القطعة من الأرض عاماً بعد عام نشأت بينه وبينها صلة هي أقرب ما تكون إلى صلة الملكية . فلما قبل الثيرون واستولوا على أراضي الدولة آت إليهم أملاكها ، وهذا تعرض حتى هؤلاء الزراع الأحرار في أراضيهم للضياع ، ولغصب الثيرون من الكثير منهم أرضه واستقروا فيها وأجبروه على زراعتها كأنه عبد أو قن ، ولجأ بعضهم إلى مالك غني مجاور لتزاولوا له عن أرضهم في سبيل حمايتهم من الغاصبين الثيرون . وشاعت هذه الطريقة وعمت ، ونشأت عنها طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة البيوتشلاري (Buccellarii) أي طبقة المحميين ، وكان القانون يعتبرهم أحراراً ، ولكن التزاماتهم حيال الأغنياء الذين كانوا يحمونهم جعلتهم في الواقع في مراتب التابعين والعبيد .

أقام القوط في إسبانيا حكومة عسكرية انتحائية ، يؤيدها الأشراف وملوك الأرض من القوط وأهل البلاد الأصليين على السواء (optiases أو procures) ، واستمروا يديرون شؤون البلاد بنفس النظام الروماني القديم : قُلت البلاد مقسمة إلى أقاليم (provinciae) ومدن (civitates) ، وكان يحكم كل إقليم دوق ، وكل مدينة كونت (comes) ، وكان كل من هؤلاء الحكام يستعين بطائفة صغيرة أو كبيرة من الموظفين (fundadi أو centenarii) يقومون بما تحتاج إليه حكومة الناحية من النواحي المالية والفضائية والحربية . وكان هؤلاء الموظفين

(١) DUNY, *Manuel de Espagne*, I pp. 252-53q (١)

طبقات مختلف بحسب العمل الذي يقوم به كل منهم⁽¹⁾ .

وكان الملك يحكم مستبداً ، أي منفرداً براهه ، يقضي في شؤون البلاد كما يشاء . وكان له مجلس من النبلاء يساعده في كل شيء ، ولكن الملوك استبدوا بالأمور حتى لم يعد لهذا المجلس ظل من السلطان ، فكان الملوك يصدرون القوانين وينفذونها ويقضون في الأحكام بما يريدون ، وكان القرويس أن ينتخب الملك من بين هؤلاء النبلاء ، ولكن العادة جرت بأن يعطي العرش أقوامهم بحد السيف⁽²⁾ .

هـ - **مجلس طلبلة** ولكن الدولة القوطية حوت في نظامها عنصراً طلياً كان له أثر طليطة حسن في سير الأمور في دولة القوط ، ذلك هو مجلس طلبلة ، الذي كان يجتمع بين الحين والحين للنظر في أمور الدولة الكبرى ، وكان أصل هذا المجلس دينياً ، كان مجلساً من كبار القساوسة الكاثوليكين ، يعقدونه للنظر في أمور كنيتهم ورجالهم ، فلما اعتنق الملوك الكاثوليكية في عصر ريكاردو أصبح هذا المجلس رسمياً يدعو الملوك لعقده ويخضره كبار رجاله ، وأصبح مع الزمن مجلساً سياسياً دينياً ، يتناول المسائل جميعاً : دينية وغير دينية ، ويصدر القوانين والأحكام في شتى القضايا ، ثم اتسع سلطانه ويتناول القضاء وأصبح بذلك همكة عليها ، وانتهى الأمر بأن انضم مجلس النبلاء إلى المجلس الديني وأصبحا مجلساً أهلاً للدولة . وقد كان الملوك أول الساعين في توحيد المجلسين ، لأنهم أرادوا أن يزيدوا أحكامهم قوة ومهابة بالتصديق عليها من هذه الهيئة التي تضم كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية وكبار أهل الدولة⁽³⁾ .

MANUEL TORRES y RAMON PRIETO BANCES *Instituciones* (1)

Economicas, Sociales y Político-administrativas de la Península Ibérica durante

Los siglos V-VII en Historia de España III (Madrid, 1949) p. 205-509.

BALLESTEROS. *Historia d'España*, p. 39

BALLESTEROS. *Op. cit.* p. 39-40 (2)

BALLESTEROS. *Op. cit.* p. 40 (3)

ولقد كان لهذه المجالس تأثير أحسن ، فقد من أعضاؤها مع الزمن قانوناً شاملاً يضمن حريات الناس ويسوي بينهم جميعاً : قوطاً وإيبيريين ، وهو المسمى (Fuero Juzgo)^(١) ، وكان لتشريعاته الأخرى أثر طيب في تهذيب نفوس القوط وتثبيتهم للعيش المستقر والاتكاف مع أهل البلاد ، واستطاع رجاله كذلك الجبلولة بين الملوك وبين الاستبداد السيء الطلاق بشؤون الرعية .

١ - النصح
الإسباني
ليام القوط

والخلاف شديد بين المؤرخين حول أحوال المجتمع الإسباني خلال هذا العصر القوطي ، فمعظم الإسبان شديداً العصبية لهذا العصر ، يذهبون إلى أن الناس فيه كانوا يستمتعون برغبات ظاهر في كل ناحية من نواحي الحياة ، وأن الزراعة والصناعات كانوا في رفاهية لا يكاد الحكام يمسفونهم في شيء ، وأن موارد البلاد كانت في ازدهار ، وأن العصر على العموم كان عصر نهضة إسبانية مسيحية . وهم إنما يبالغون هذه المبالغة لكي يؤكدوا للقارىء أن النهضة التي حدثت في خلال الإسلام بعد ذلك لم تكن شيئاً جديداً على البلاد ، وأن فضلها لا يعود إلى المسلمين وحدهم ، وإنما كانت البلاد سائرة في طريقها على أي حال . ومن هؤلاء المؤرخين من يبالغ لكي يظهر للمفترسين ومؤرخيهم أن إسبانيا كانت على وشك أن تصل إلى شأوا السيادة الفرنجية في عهد الكارولنجيين لو لم يفتح العرب بلادها ويحولوا بينها وبين إتحاد هذه الغاية^(٢) .

أما حقيقة الحال فكانت بعيدة جداً عما يذهب إليه هؤلاء المؤرخون ، نعم

(١) من اللاتينية *Forum Judicium* (القانون القوطي) أي مجموع القوانين القوطية، وقد تكون في مدى قرناً، وقد بدأ برويك، ثم اتساق إليه خلفه الأريك الثاني مجموعة من القوانين الرومانية نسس *Bevisianus* وهو مختصر للقوانين التي كانت تطلق على الرومان ، وجرى إلى استئصاله الفصل في مزج للمصوغتين معاً وتكوين مجموع متناسق منياً يطبق على الناس أجمعين، وهو مجموعة قانونية شاملة لها قيمة تشريعية عظيمة، ولو طبقت على الناس لكثرت سيرة القوط في إسبانيا سيرة أخرى .

MAURICE LÉGENDRÉ, *Nouvelle Histoire d'Espagne* pp. 33-34

(٢) نفس المصدر السابق والمصنفات عنها

إن الحال لم يبلغ من السوء هذا المبلغ المزعز الذي يصوره دوزي في كتابه ، ولكنه كان سيقاً على أي حال ، ولا يفلتون بحال بما وصلت إليه البلاد من الرقاعة والرق في عصور المسلمين . وذلك هو الرأي الذي يميل إليه المؤرخون المصنفون من الإسبان أنفسهم ، بعد أن تجلت مظاهر الحضارة الإسلامية الإسبانية ، وأصبحت أوضح من أن يحاري فيها أحد أو يفضل عليها نظاماً اجتماعياً مضطرباً كتنظام المجتمع القوطي الإسباني قبيل الفتح العربي^(١) .

طبعي ألا يستطيع القوط إنشاء مجتمع جديد غير من المجتمع الروماني القديم ، إذ لم يكن لهم هم أنفسهم نظام اجتماعي مقبول قبل أن يدخلوا الدولة الرومانية واستقروا في أرضها واستعمروا نظمها ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكونوا قد أنشؤا المجتمع الروماني المضمحل وأدخلوا عليه عناصر جديدة نشطة توجهه توجيهاً جديداً .

ويتبني أن نقول أيضاً إن القوط كانوا أقل إنسانية ونظاماً من طوائف الصيريين الأخرى التي استقرت في شبه الجزيرة حتى الوندال أنفسهم ، لأن الوندال كانوا لا يهظون البلاد التي يتزلون فيها بتكاليف حكومية ضخمة تريد أن تستضي كل شيء وتتشبه بالرومان : كانوا يزيلون النقام القديم بحاسنة ومساوئهم ، أما القوط فقد احتفظوا بمساوئهم هذا النظام ، وأضافوا إليه مساوئهم ، فعمّ ضرورهم الجميع ، من المزارع الصغير والقرن الفقير إلى الغني صاحب الفيحاء ، ولم يتدخل الوندال أو السويق في مسائل الناس الدينية ، أما القوط فقد دخلوا واضطهدوا هم القههم ، كما رأينا ، فعمّ بلائهم الناس أجمعين^(٢) .

وقد ذهب الراهب الراوية بروسوس أوردوزيوس إلى أن القوط قسموا الأرض وأحسنوا إلى الناس ، ولكن أوردوزيوس كاتب كنسي ، ورجال الكنيسة

(١) DOZY *Manuel de l'Espagne*, t. pp. 234-238

(٢) DOZY *Op. cit.* t. p. 234

لا يتمتعون إلا بما عسى مصالحهم ، ولم تكن لهم رعاية بشؤون الناس وصغارهم خاصة كالزراع وأهل المدن . ومن هذا القبيل ما يؤكده رواية آخر من رواة هذا العصر هو سلفيان المرسيبي (Salvianus Marscellanus) من أن الناس كانوا يفضلون القصر والحرية في عهد القوط على ظلم الرومان ، ولكن الغالب أن كلامه هنا منسوب على حكم القوط الشرقيين ، لأنه عاش في كلهم ، وكان القوط الشرقيون في واقع الأمر خيراً من القوط الغربيين بكثير . وينبغي أن نقرر هنا أن الرهبان كانوا زاهدين عن القوط بعد تحول هؤلاء إلى الكاثوليكية ، وكانوا ساعطين على الناس لأنهم لم يكونوا يراعون أشراط الدين ، بل بقي معظمهم غير مسيحيين . وتلك حقيقة لا ينبغي أن نغفلها من الحساب ، إذ السوانع أن الإسبان لم يكونوا جميعاً مسيحيين في حكومة القوط ، بل قبل الكثير منهم وثنيين ، وقد وجدهم المسلمون كذلك ، وكان هذا مما يسر عليهم أمر كسبهم إلى الإسلام ، هذا على الرغم مما بذله نفرٌ من قساسة الكنيسة الكاثوليكية في تحويل الناس إليها . فقد قضى القس ماسونا (Masou) القوطي حياته كلها يشر بالمسيحية في نواحي الغرب وإقليم صاردة على الخصوص ، وهو الذي أوصل المسيحية إلى السوريف وإلى نواحي جليقية ، والراهب لياندر (Leandro) وكان مبشراً كاتباً مؤرخاً ، واليهما يرجع الفضل في ثبات المسيحية على التربة الإسبانية وما لدرسته من تأصل في بعض النواحي ، حتى لم يستطع الإسلام إزالتها خلال قرون^(١) .

لم يعمل التساوية شيئاً لتحسين حال الناس ، إذا استثنينا ماسونا ، فقد كان خيراً إنسانياً حقاً ، بل لم يحاول واحد منهم أن يعترض على ما كان الأغنياء يسهلون فيه من الاستبداد بالضعفاء والاستكثار من العبيد ، حتى إيزودور الإنجيلي نفسه على الرغم من علمه الواسع ونزعه الإنسانية ، لم ينكر الفرق صراحة ، وإن كان قد قرر أن الناس كلهم متساوون أو يكادون أن يكونوا متساوين ، هذا في حين أننا نجد راعياً آخر هو إيزودور الثيايدي (الصعيدى)

(١) MAURICE LEGENDRE op. cit. p. 73

بدعش من أن نصرانياً في مصر يقضي عبداً ، وهذا في ذاته شموراً جميل جدير بالذكر ولكنه لم يقترن بأي جهد إيجابي من شأنه أن ينقذ هؤلاء العبيد ، وكان عددهم كبيراً جداً ، كان الأغنياء يقتنونهم بالآلاف ، ويعاملونهم معاملة جارية كأنهم بعض المشاع ، وقد يشتر هؤلاء المساكين من كل إنصافيين من جانب الحاكمين أو من جانب رجال الدين ، وبالتالي يترقبون فرصة الخلاص^(١) .

ولم يكن أواسط الناس ممن يسمون كورياليس (Curiales) من أهل المدن والصناع وأحرار الزراع أحسن حالاً ، لأن ملوك القوط لم يلتفتوا إلى شيء يعود بالخير على عامة الناس ، ولم يوتر عنهم إنشاء قنطرة أو تعبيد طريق أو وضع قانون يخفف عن الناس مظالم الحكام أو يجعلهم في ملأ من الظلم والعدوان ، وقد كانوا هم أنفسهم أبعد الناس عن أي لون من هذا التفكير .

ويضاف إلى هذه المساويء الاضطهاد الديني بالوثائق : اضطهاد القوط للكاثوليك حينما كانوا آريين ، ثم اضطهادهم لليهود على النحو الذي رأيناه في أيام الطريق مما جعلهم يميلون إلى الخلاص من هذا الحكم اليغيب ، وقد اتهمهم القوط بالتآمر على سلامة الدولة مع قوم حجاز إسبانيا ، لكي يسروا مصفهم بهم ، والقالب أن رجال الدين الكاثوليك كانوا هم المحرضين على هذا الاضطهاد لأننا رأينا أنه من غير المعقول أن يحاول يهود إسبانيا الاتصال بيهود إفريقيا في ذلك الحين .

وحينما تقادم العهد بالقوط في البلاد ، وتمتوا بخيراتها الوفيرة ماثلت بهم نفوسهم إلى الدعة ، وجعلوا يكلون أمور الحرب إلى عبيدهم ، حتى زاد عدد العبيد على عدد الأحرار في الجيش . ويبدو أن الحروب المتعددة بين ملوك القوط ونبيلاتهم هي التي حفزت هؤلاء الملوك إلى الاستكثار من هؤلاء العبيد في الجيش ، لأن أعداد محاربي القوط القليلة توزعت بين الملوك والتشرين ، وكانت

(١) DOZY, *Manuscrits d'Espagne*, t. 282.

كثرة العبيد في الجيش من أسباب ضعفه ، لأنهم كانوا ساعدون على الدولة ينتظرون الفرصة للتغلب عنها وتركها لصيرها^(١) .

٧- الحنة
التصانيف قبل الفتح الإسلامي ، فهذه هي الناحية الوحيدة التي سجد المسلمون فيها أسلماً طيباً يزيدون عليه . وقد كانت إسبانيا منذ فجر التاريخ بلد ثقافة وموطن علم وفن ، وضع القيثيون أساس ذلك كله وزياد عليه اليونان والرومان ، ثم أقيمت المسيحية فانتعشت وسارت به خطوات إلى الأمام ، ولعل في هذا بعض ما يفسر لنا سراً من أسرار الازدهار الفكري السريع الذي حققه المسلمون في إسبانيا ، على قلة التصالحم بمنايع الثقافة القديمة والوسيلة في العالمين الإسلامي والمسيحي .

تأصلت المسيحية في إسبانيا بأسرع مما تأصلت في غالة مثلاً ، ولم يكف القرن السادس بل حتى كانت البلاد تفيض بالأديرة يقيم فيها الرهبان يدرسون ويتذكرون ، والكنائس يقيم بأمرها نفس معنيون بالدرس مشغوفون بالكتابة والتأليف ، وقد أشرنا إلى القس القوطي ماسوتا (توفي سنة ٥٢١ م) ونزعته الإنسانية واجتهاده في تهذيب المترجمين ونشر مبادئ الأخلاق المسيحية فيهم . ومن هذا الطراز القديس لياندر التوفي سنة ٦٠٣ م ، فقد كان دالماً مجتهداً ، وقد ترك لنا آثاراً فكرية طيبة : ومن آثاره رسالة مسيحية صوفية قريبة الشبه بكتابات القديس لونغستين فيها زهد في الدنيا وترغيب في الكمال ، ومبادئ متقدمة من الإنجيل ولكنها طيبة جداً إذا عرفنا أنها كتبت في القرن السادس ، وأنه كتبها وهو مقفراً بنفسه في نواحي ساردة ، وكانت إذ ذاك قفراً لا يسكنه إلا القليل^(٢) .

وأكثر شخصيات هذا العصر مكاناً وأيضاً أثراً في مستقبل البلاد الثقافي هو

(١) DOZY *Manuscrits d'Espagne*, I, p. 289.

(٢) M. LEGENDRE *Manuscrits d'Espagne*, p. 77.

القدّيس إيزودور الإشبيلي (Isidoro de Sevilla) ولم يكن قسوطياً وإنما من الإيبيريين الرومان ، ولم يكن كاتباً دينياً فنحسب بل كان مصفاً موسوعياً حاول أن يجمع في كتبه ما انتهى إليه من علوم اليونان والرومان مغللة تعليلًا مسيحياً ، وهو يعد من هذه الناحية من كبار الكتّاب والمفكرين للمسيحيين بل من آباء الكنيسة ، وكتابه تسلكه مع كتابات القدّيس أوغسطين في سلك واحد ، وأعظم كتبه وأبناها كتاب أصول الكلمات (Origine sive Etimologiae) . وربما وجدنا فيها بوردته من أصول الكلمات أشياء أسطورية دينية لا يقبلها العقل ، ولكن الكتاب موسوعة أعلّاقية تضم ثروة عظيمة من الأفكار اليونانية والرومانية وفلسفة المسيحية الأولى ، وهو يعلّج في الأجزاء الثلاثة الأولى الفنون السبعة : النحو والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والموسيقى والفلك ، ثم يختص الطب بالجزء الرابع ، ويختص بالقانون والتاريخ الجزء الخامس ، ويجعل الجزء السادس للإنجيل وغيره من الكتب الدينية ، وهكذا يختص كل لون من المعارف الإنسانية بجزء ، حتى الفنون اليدوية كالنجارة والهندسة والحرازين والكتائيل والألعاب ، مما يجعل كتابه موسوعة غنية بكل غريب طريف ، تدل على أن جميع ألوان المعارف الإنسانية التي كانت معروفة في ذلك الحين كانت موجودة متداورة في إسبانيا ، وأن العرب حينما دخلوا البلاد وجدوا فيها تراثاً ثقافياً طيباً^(١) .

ونستطيع أن نذكر إلى جانب القدّيس إيزودور عدداً عظيماً من القساوسة والرهبان الذين تركوا مؤلفات شتى ، منهم : يولونيوس أوردونوبوس قس لوزيتانيا ، ولم يكن إسباني الأصل ، وإنما كان صقلياً ، وهو من تلاميذ القدّيس أوغسطين

(١) أراد إيزودور أن يخلق موسوعة تضم معارف عصره كلها وجعلها في ٢٠ جزءاً - السنة الأولى منها مقدمة والباقي تتناول أصناف العلوم والفنون المعروفة في عصره ، وله مؤلفات تاريخية كثيرة ، منها كتاب عطراء الرجال (Liber de viris illustribus) والمقدّمة (Cronica) وتاريخ ملوك القوط (His- toria de regibus Gothorum) وتاريخ ملوك الوندال والسريف (Historia de regibus Sarracorum) et Saracorum

انظر :

JUSTO PEREZ DE URBIL. Las letras en la época visigoda en Historia de España, tomo III. Espasa Calpe (Madrid, 1940), pp. 461-549

أسقف بونة ، أعطت العلم وتشبع بلوائه وهو لهذا يكتب حل شراره : يهاجم الوثنية ويدعو إلى الله ، وقد حاول تقليد القديس لوجسطين في كتابه « مدينة الله » (*Civitate Dei*) وتلاحظ هذا التشابه في التاريخ العالمي الذي كتبه تحت اسم (*Historiarum Libri vii contra paganos*) الذي يفسر فيه التاريخ تفسيراً دينياً مسيحياً ويصور العنابة الإلهية توجه أعمال البشر والرسل يتقودون الناس إلى أحسن مصير^(١) .

أما ما عدا الأدب من الفنون ، فإن الفوط لم يختلفوا إلا ثروة معمارية فقيرة جداً ، ومن أمثلة هذا الطراز بازيليكية سان خوان فيبانيوس التي بنيت في عصر وخشدش وجزء من كنيسة سان بلرو بترانسا وبعض عمد باقية في كنيسة سان بابلو دل كامبو في برشلونة ، وينسب بعض مؤرخي الفنون العقد الخامس إلى الفوط^(٢) .

وخلاصة القول أن إسبانيا الفوطية لم تكن شرأ كلها كما يرى بعض المؤرخين الفرنسيين والعرب ، ولم تكن غيرأ كلها كما يزعم الإسمان ، وإنما كانت جوانبها الاجتماعية ضعيفة جداً ، بل تعد امتداداً للعصر الروماني الفسحل . وذلك معقول لأن الفوط أنفسهم كانوا قبائل متبعدة لا تلك من الأسس الإجتماعية ما يعينها على تنظيم بلد واسع كإسبانيا ويمنع متشعب مختلف كمجتمعها الذي ضم أملاطاً من كل صنف، وقد حاولوا أن يتخذوا مظاهر النظام السياسي الروماني فلم يوفقوا، لأنهم كانوا أبعد من أن يفهموه أو يستطيعوا البناء عليه، ولم يصب الناس من وراء ذلك إلا شرأ بالغ .

وأما الناحية الفكرية فكانت غيرأ خالصة، لأن الذين قاموا بها كانوا هم الإسمان الأصليين بعد أن دخلوا المسيحية وتأثروا بأفكارها وفلسفتها، فلا عجب أن ظهر في هذا القطر الثاني رجال من طراز إيزودور الإشبيلي وساولوس

(١) نفس المصدر ص ٧٦ .

(٢) *BALLESTEROS, Op. cit. p. 43* .

أوروزيوس ولياندرو، لأن البلد كان قبل ذلك موطن حضارة فكرية وفلسفة باتية الأثر في عهد الرومان. لقد سبقت إسبانيا للمسيحية أوروبا الغربية كلها في هذه الناحية، كما سبق إسبانيا الإسلامية بقية العالم الإسلامي في نواحي شتى من نواحي التفكير الإسلامي. ولعل مرد هذا إلى أثر هذا الفطر البديع فيمن يتقن فيه، وليس من وحي المصادفة أن يتواتر السبق والتبوغ في أهله من أقدم العصور إلى يومنا هذا، ولعل إيزودور الإشبيلي قد أحس فضل الوطن الإسباني عمل ما وصل إليه من ذكاء وعلم والتدارق فعبّر عن شكره لبلده في أسطر تفيض وثق وحناناً يقول فيها مناجياً إسبانيا:

ياي إسبانيا ! إنما أنت أجمل الأرضين التي تمتد من أقصى الغرب حتى الهند . . . إنك لأرض مباركة سعيدة بأمرائك ! إنك أم الشعوب عديدة ، وأنت ملكة الولايات أجمعين . . . منك يقبس الغرب والشرق النور . وهى أرضك يزدهر بحسب الشعب القوطي المجيد . . . (١) .

(١) MAURICE LEBONDRE Op. cit. p. 78

الفصل الثاني
فتح المغرب

٨. فتح المغرب لم يدخل الشمال الإفريقي في حوزة الإسلام بحرب واحدة بل بسلسلة من الحروب استمرت حوالي سبعين سنة متوالية ، بدأت بعث استطلاحي قام به عقبة بن نافع في ذي القعدة سنة ٢٦ هـ (سبتمبر ٦٤٢) وانتهت بحملة موسى بن نصير الأخيرة الموفقة التي أخضع فيها المغرب الأقصى سنة ٩٠ هـ (سنة ٧٠٨ م) ، وقد لقي فيها العرب من الجهد والحسائر ما لم يلقوا مثله في فتح إقليم آخر ، حتى شمال الهند نفسه^(١) .

بيد أننا لو قارنا هذا الجهد الذي بذله العرب بسعة البلاد التي تم فتحها ووعورة أراضيها واختلاف أجناسها ، لنبينا أن العرب فتحوا هذه الأقطار المترامية بأيسر مما فتحها الرومان ، وأهمهم وبقوا إلى إخضاعها توفيقاً لا يكاد يشارن به توفيق الرومان في العصر القديم أو توفيق الفرنسيين في العصر الحديث ، وأن غسائر العرب كانت أثقل بكثير جداً من غسائر هؤلاء وأرثلك . هذا في حين كانت النتيجة التي وصل إليها العرب رائعة على غير مثال ، وقد علق جوتيه على ذلك بقوله : « لا زالت النتائج التي وصل إليها العرب (في فتحهم الشمال الإفريقي) ندهشتنا إلى الآن . لقد تحوّل المغرب إلى حيد كبير ، وتحول إلى الإسلام تحولاً تاماً عميقاً ، وهذه نتيجة تدعو إلى الإعجاب ، ما في ذلك شك ، ولم توفّق إلى مثل هذه النتيجة حركة استعمارية (كذا) أخرى

(١) أوجزت في الصعقات التالية فتح إفريقيا ابتداءً على بحري في هذا الموضوع وفتح العرب للمغرب - القاهرة سنة ١٩٤٧ ، والبحث الذي نشره اليقي بروكسال ونص جديد عن فتح العرب للمغرب في صحيفة العهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد - مجلد ٢ سنة ١٩٤٤ ، وتعليقاً على كلام بروكسال ونص عيشة .

قامت على وجه الأرض ، ولتكرر الضول أن هذا الفتح أحدث ، خلال القرن السابع ، ثورة كبرى : لقد انهار الحواجز للعلاقات محكمياً من كل ناحية ، الذي كان يفصل الشرق عن الغرب . ولو أننا قلنا هذه القفزة الواسعة نحو المجهول بثورتنا - الفرنسية أو الروسية مثلاً - لهدت لنا هاتان الأهرتان صغيرتين جداً ، فإذا دعونا نطلعتنا إلى فهم الأسلوب الذي تمت به هذه الثورة الكبرى وإلى الإحاطة بقضاياها استبنا أن الفتح العربي كان طويلاً جداً وهينياً جداً ، إذ قاومتهم البلاد مقاومة هائلة (١) .

هذه الملاحظة تعطينا فكرة واضحة عن طبيعة الفتح العربي للمغرب وعن ضخامة العمل الذي قام العرب به ومنذوا خلاله وواقى الإسلام بضعة آلاف من الكيلومترات ، من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي . والثابت تماماً أن العرب لم يتصوروا التساع المغرب الشاسع واختلاف شعوبه حينما أقبلوا على فتحه ، وأهم فتحه جزءاً جزءاً : كل إقليم يؤدي بهم إلى الذي يليه حتى وصلوا إلى النهاية ، أما ما نجده عند بعض المؤرخين والجغرافيين من تصور صحيح للمغرب وأهله فقد كتب بعد تمام الفتح وإسلام المغرب بقرون (٢) :

(١) E.F. GAULTIER *Le Maroc et l'Afrique du Nord* pp 247- 248. وفي عبارة حولية في هذا الصدد لا تقل عن هذه القفزة أهمية ولا صفاء، فهو يقول مثلاً بعد استعراض سريع لخطوات الفتح العربي: وكان الفتح الفرنسي للجزائر طويلاً ومؤلماً، وكانت ثباته سيئة، وليس لنا الحق في أن نعظم به كثيراً. ولكن لبقائه بالفتح العربي، ولشخص أنه بين سنتي ١٨٣٠ و ١٩٠٠ طرد الفرنسيون من البلاد طرداً تاماً ثلاث مرات، وأهم لم يحفظوا في أحسن هذه المرات إلا الجزائر وغرناطة. مدينة الجزائر تقابل حصن القيروان عند العرب . . . إنها استطاعت تصور ذلك أصلنا لكثرة ما حدثت كتلة الفتح العربي. . . .

ثم يورد بعد ذلك نصوصاً لمؤرخي العرب وجغرافيتهم تصور صورة هذه البلاد وعمر أهلها، وقد أوردت تنظيم هذه التصوص في صلب البحث. (نفس المصدر ص ٢٤٩ وما بعدها).

(٢) مثل هذه الحالة لسها من عبد الحكيم إلى عمرو بن العاص رواية عن عبد الملك بن مسلمة عن ابن ميمون عن ابن هبيرة عن أبي قهيم الجيشاني، قال: إن عمرو بن العاص بعث بشاذان عمر بن الخطاب في فتح إفريقية، فكتب إليه عمر: لا . . . إنها ليست بإفريقية، ولكنها القرقاء، فاعدا مطور بها، لا يفروها أحد ما بعثت. . . .

مر فتح العرب للمغرب في سنة ٦٧٠ م :

(أ) العمود الأول : من أوائل الفتح في ذي القعدة سنة ٢١ هـ (سبتمبر ٦٤٢م) إلى نهاية ولاية معاوية بن حديج في أوائل سنة ٤٨ هـ (سنة ٦٦٨ م) :

وفي خلالها غزا عمرو بن العاص برفقة ، وكعب فيلة لواتة الكبيرة إلى جانب المسلمين ، بل أدخل بعض أهلها في الإسلام ، فكان هذا أول كسب للإسلام فيما يلي حدود مصر غرباً . واستفاد عمرو في أثناء ذلك بجهود عقبة بن نافع القهري ، وكذا إذ ذاك قائداً صغيراً في جيشه ، فبعثه إلى زويلة وقران ووڤان . وقد أقام عقبة في هذه التواحي الصحراوية المتعزلة نحو عشرين

• مثل قول ابن عساري : «كتب حسان بن النعمان إلى أمير المؤمنين عبد الملك بخره بذلك ، وأن أهم العرب ليس لها غاية ، ولا يلق أحد منها على نهاية كلها بلعت أنه اعتنقها لهم ، وهم من الحفل والكتابة كساعة النعم . . .»

ابن عبد الحكم : فتح ، ص ١٧٢ . ابن عساري : البيان ، ج ١ ص ٦١ .

(١) اعتمدت في كتابة هذا الجزء لفتح العرب للمغرب على بعض المقاص بهذا الموضوع (القائم) (١٩٤٧) . وأبكت أهم المراجع والمصنفات التي اعتمدت عليها :

ابن عبد الحكم : فتح مصر والمغرب والأندلس (مقتطف لشارل م. خوري سنة ١٩٢٢) . إعداد من ص ١٧٠ .

والبلادي : فتح البلدان من ص ٢٢٤ .

والكوي : وصف إفريقية من ص ٢٠١ وفي مواضع متفرقة أخرى ، لأنه يذكر ما يعرف عن فتح المسلمين لكل بلد عند ما يذكروه .

وربما نعوس الملائكي (القفطرية ١٩٥١) ج ١ ، من ص ١ وما بعدها .

وأيضاً الأثير : ج ٣ ، ابتداء من ص ١٠ .

وأيضاً خلدون ج ٦ ، من ص ٣٤٤ .

والشويري : نهاية الأرب ، (مختصر مدار الكتب) من ص ٦٢ .

وأبو الحسن : التوح الزاهرة ، ج ١ ، من ص ٧٦ .

والديلم : معالم الإنقاذ ، ج ١ من ص ٤٠ .

وكل من هذه المراجع لا يخصص لفتح إلا بضع صفحات ، وما يكفي هذه الإشارة عن ذكر المراجع بعد كل فقرة .

يدعو للإسلام ويغرب لأهلها مثلاً جيلاً جليلاً للمسلم الصحيح المثالي في دينه . .
واستطاع أن يكسب إلى صفه قلوب الكثيرين من أهلها ومعظمهم من نفوسة
ولوانة وفضاوة (أي من البئر ، أي البربر الطوائف) ، فأسما من أسلم منهم
فبنيهم إلى المسلمين منذ الساعة وسيكون له أثره في نجاح فتوحهم وتقدمها ،
وأما من لم يسلم فقد أصبح صديقا للمسلمين يواليهم بالمعونة ويؤيدهم على
الروم والبرانس (البربر المستقرين المتحضرين بالحضارة اللاتينية) .

وفي خلال هذا الدور وفق المسلمون إلى الانتصار الحاسم العظيم على
الروم عند سبيلطة في أوائل سنة 28 هـ (648 م) . وقد كانت لهذا الانتصار
العظيم نتيجة واحدة : هو أنه كسر سلطان البيزنطيين كسرة لم يعود بعدها إلى
ما كان عليه في البلاد قبل الفتح الإسلامي ، وسيحاول البيزنطيون العودة إلى
البلاد والاتحاد مع البربر ومغالبه العرب ، ولكن كل محاولاتهم لم تزيد عن أن
تكون محاولات قليلة الخطر عديدة النتائج ، ولو أن عبدالله بن أبي سرح أقام في
البلاد أو ترك فيها حامية لكان لانتصار سبيلطة نتائج بعيدة حاسمة ، ولكنه
عجل بالعودة لأسباب غير ظاهرة ، مكتفياً بحال عظيم جمعه من أهل البلاد ،
فكان على من أتى بعده أن يبدأ من جديد ، لأن انسحابه عفى على معظم
النتائج التي كان المسلمون قد وصلوا إليها في البلاد .

(ب) الدور الثاني: ويمتد من سنة 49 هـ (669 - 670 م) إلى 62 هـ (681 م)
ويشمل ولاية عقبة بن نافع الأولى وولاية أبي المهاجر دينار:

لم يتم المسلمون بشيء حاسم في إفريقية بين سنتي 28 و 45 هجرية ، ذلك
أن فتنة عثمان وما تلاها من الأحداث أوقفت نشاط التوسع الإسلامي في كل
وجه ، نعم إن عثمان لم يقتل إلا سنة 35 هـ (654 م) ولكن السنوات الأخيرة
من حكمه كانت سنوات اضطراب وشغب عليه ، وكان والي مصر وقائد القنوج
في إفريقية هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح أحد المغضوب عليهم من الناس
في ذلك الحين ، فكان طبيعياً أن ينصرف فكره عن إفريقية ومواصلة الفتح فيها
منذ عودته من غزواته التي ذكرناها في سنة 28 هـ (647 م) .

فلما انتهت الفتنة واستقر الأمر لمعاوية عاد عمرو بن العاص إلى مصر سنة ٣٨ هـ (٦٤٨ م) وألحقه ذمته من لوك الأمر إلى معاوية الغزو في إفريقية ، لأنها كانت ، في حسابها ، باباً مفتوحاً للكسب والغنائم . ولا نزاع في أن معاوية لم يكن راضياً عن هذه الحرية التي أباحها عمرو لنفسه ، لأن حملة عبدالله بن سعد وما عانت به من الغنم الوفير فتحت عليه حل أهميتها ، وجعلته يفكر في فصلها عن مصر وإفرائقها بوالدٍ خاص . فلما توفي عمرو سنة ٤٤ هـ (٦٦٥ م) صنعت له الفرصة لحدث هذا التغيير الهام الذي يعين لنا تطوراً خطيراً في علاقة المغرب بالخلافة الإسلامية ، فمن ذلك الحين أصبح المغرب ولاية مستقلة تابعة للخلافة رأساً ، وكان لوك والد إسلامي عُين على إفريقية معاوية بن حديج أحد كبار أنصار معاوية .

عجل معاوية بن حديج بالسير إلى مصر في سنة ٤٥ هـ (٦٦٦ م) فلم يكف يهمل بركة حتى بلغه أن البيزنطيين عادوا غارسلوا جيشاً إلى البلاد ، وأن قائد هذا الجيش قد طالب أهل إفريقية بأن يؤدوا له من المال بقدر ما أدوا للمغرب ، فثار به الأهليون ، فعاد إلى بلاده ليحود بجيش قوي وفي نيته إرغام الأهليون على أن يؤدوا له ما طلب ، فوصل إلى قرطاجنة قبيل الوقت الذي عبر فيه معاوية بن حديج حدودها ومعه عشرة آلاف من العرب فبهيم تغرر كبير من الصحابة والتابعين ، من أمثال : عبدالله بن عمرو بن الخطاب وعبدالله بن الزبير ابن العوام وعبد الملك بن مروان وهدية من أشرفاء قریش ، وتغرر كبير من جنود مصر . ولم يكف الجيش يخط رحاله في إقليم قنونية جنوبي قرطاجنة حتى تسامح بنزول الروم ، فتقدم نحوهم وحسركر في مكان يسمى القرن ، ومن هناك أرسل عبدالله بن الزبير ليدتطلع أحوال جيش الروم ، فلم يكف هذا الأخير يشعر باقتراب العرب حتى تراجع إلى سوسة ، وأحرك عبدالله بن الزبير فيها وساوسه وساوسه خفيفة ، أفلح بعدها إلى صفالية ، واستولى المسلمون على سوسة . وأرسل معاوية سرية أخرى إلى جلولا (Couloulis) الرومية استولت عليها وغنمت غنيمة متواضعة، ثم عاد بنفسه إلى ينز فاستولى عليها، ولا صحة لما يذكره بعض المؤرخين من أن معاوية بن حديج بعث سرية إلى صفالية . ولستا

نستطيع اعتبار أعمال معاوية بن حديج فتوحاً، وإنما كانت سرايا قليلة الأهمية لم تترك في البلاد أثراً يُذكر .

(ج) الدور الثالث: ولاية عقبة الأولى واحتفاظ القيروان (٤٩ - ٥٥ هـ / ٦٦٩ - ٦٧٥ م):

٤- احتفاظ القيروان
وأما نشاط الفتح الصحيح ليعود من جديد بتولي عقبة بن نافع قيادة الفتح في المغرب سنة ٤٩ هـ (٦٦٩ - ٦٧٠ م) ، وقد كان عقبة أتم المسلمون عهداً بإفريقية وأعرفهم بأسوأها ، وكان في نفسه رجلاً شديد الإيمان لئيل نفسه نحو نشر الدين لا إلى مجرد الفتح والانتصارات وما وراءه من مكاسب . ويبدو أنه كان قد وضع في نفسه خطة طويلة للفتح ، ولهذا لم تكن ولاية إفريقية تؤول إليه حتى سارع بإنشاء مدينة للمسلمين ، احتفظها في إقليم قمونية جنوبي قرطاجنة ، ويغلب أنه لم يرد إنشاء مدينة بالنعنى المعروف وإنما مسكراً ، فقد قال : « وأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تجعل فيها مسكراً ، وتكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر » ، وقد قضى عقبة في إنشائها نحو أربع سنوات (٤٩ - ٥٢ هـ / ٦٦٩ - ٦٦٣ م) فلم تكن المدينة تقوم حتى بدأت « ولاية إفريقية » الإسلامية تظهر ، ولم يعد العرب مجرد غزاة يخرجون من مصر للغزو ثم يعودون إليها ، بل أصبحت العاصمة الجديدة مركزاً تخرج منه القزوات وتنظم منه شؤون البلاد ، وهذا في ذاته تطور له معناه . وانتغل عقبة أثناء بناء المدينة في إرسال السرايا في كل وجه ، فكانت نتيجة ذلك أن القبائل البربرية المقيمة في سهل تونس ، وفي الحضاب المجاورة بدأت تشعر بقوة المسلمين ، واحتلجتهم المدينة الجديدة ، وأثرت فيهم شخصية عقبة القوية ، فأخذوا يقتربون من المسلمين وأسلم منهم نفرٌ عظيم ، وبهذا نشأت في سهل تونس جماعة إسلامية بربرية . وكانت تلك خطوة حاسمة في تحويل المغرب إلى الإسلام ، وزادها أهمية أن الكثيرين من هؤلاء البربر الذين أسلموا أخذوا يتطوعون في جيش المسلمين ويسرون معهم لإتمام فتح البلاد .

فلما أتم عقبة تأسيس « نقطة الارتكاز » ولها هو يشرع يأخذ الأهمية للخروج للغزو الواسع النطاق ، إذا معاوية بن أبي سفيان يفتاح بالعزل سنة

٥٥ هـ (٦٧٤ م) نتيجة لسعيات والي مصر مسلمة بن مخلد ، الذي كان يغار من عقبة وبغده .

وأقام مسلمة على إفريقيا أحد مواليه دينار أبا المهاجر سنة ٥٥ هـ (٦٧٤ م) وكان مسلماً حسناً وجندياً نشيطاً ، وكان أول قائد مسلم يقدر له أن يخرج من سهل تونس ليتوغل مضارب المغرب الأوسط ويهاجم القبائل البربرية في سواطها الحصينة . وكانت أول كتلة بربرية قوية اصطدم بها هي كتلة أوزبة أقوى قبائل البرانس في ذلك الحين ، وكانت النصرانية قد انتشرت بين أفرادها . وكان رئيسها كئيلة بن كزم الأوربي ، وكان رئيساً ذكياً قانداً ، وقد استطاع أبو المهاجر أن يقزو مواقع لوزية في جبال الأوراس وأن يجتذب كئيلة إلى الإسلام ، فأسلم وتبعه نفرٌ كبير من قومه في غزوة طويلة وصل فيها إلى تلمسان ، ثم هاجم قرطاجنة هجوماً قوياً سنة ٥٩ هـ ، ولم يرجع عنها إلا بعد أن تنازل الروم له عن شبه جزيرة شريك الواقعة جنوب إقليم قرطاجنة ، فاحتلها المسلمون وضيقوا الخناق على حاضرة إفريقية البيزنطية .

(٥) الدور الرابع : حملة عقبة الكبرى (٦٢ - ٦٤ هـ / ٦٨٢ - ٦٨٤ م) :

وانتهت ولاية أبي المهاجر سنة ٦٠ هـ ، إذ عزله يزيد بن معاوية ورد عقبة إليها بعد أن طال غيابها عنها وطالت شكواه من حرمانه منها ، ثم عجل بالخروج في غزواته الكبرى التي وصل فيها إلى المحيط ، ومن الغريب أن هذا الرجل القادر لم يحسن استغلال هذه الفرصة العظيمة التي أتت له ، فقد كان الروم في حالة من الضعف لا تائن لهم بمقاومة المسلمين ، وكانت أوزبة كلها إلى جانب العرب يقودها رئيسها كئيلة . بدأ عقبة فأساء معاملة كئيلة ونفّرهُ وقومه من المسلمين ، ثم مضى في مضارعة طويلة المدى قليلة الأثر السياسي ، تذهب التراجع إلى أنه انتهى فيها إلى ساحل المحيط عند إيجران بطورف ، ثم عاد ليلقى مصرعه عند نهضة على يد البربر ونفّر من أحلافهم من الروم سنة ٦٤ هـ (٦٨٣ : ٦٨٤ م) . وقد استشهد مع عقبة في هذه الواقعة نفرٌ كبير من رؤساء المسلمين فيهم أبو المهاجر دينار نفسه ، فلذا لم ذلك لكئيلة فقد صار بين مع من

البربر فاحتل القيروان ، وراجع من بقي من المسلمين إلى برقة بقودهم زهير بن قيس البلوي^(١) .

بهذا خرجت إفريقية من أيدي المسلمين ، وراجعوا إلى برقة التي كان عمرو بن العاص قد فتحها منذ نحو أربعين سنة ، وكان على خليفة عقبة أن يبدأ العمل من جديد . ولكن الواقع أن هذه الهزيمة لم تكن قاضية على كمال أثر للمسلمين في البلاد ، إذ إن إفريقية كانت تضم إذ ذلك جماعات إسلامية قوية في القيروان وحولها وفي بعض نواحي الأوراس ، وقد خضعت هذه الجماعات لكسيلة ولكنها ظلت تترقب فرصة عودة المسلمين ، ويبدو أن نزاعاً وقع بينه وبينهم ، لأن المراجع تصور لنا إفريقية خلال الفترة التي انقضت بين انسحاب المسلمين وعودتهم في حالة مضطربة .

(هـ) الدور الخامس : ولاية زهير بن قيس والظضاء على مقاومة البرانس (٦٩ - ٧١ هـ / ٦٨٨ - ٦٨٩ م) :

عاد المسلمون إلى إفريقية بعد هذه الهزيمة بأربع سنوات - أي سنة ٦٩ هـ / ٦٨٩ م - بقودهم زهير بن قيس البلوي الذي ظل هذه السنوات ينتظر المدد في برقة ، وقد أبدى زهير مقدرة عظيمة خلال السنوات الثلاث التي قاد فيها جيوش المسلمين في إفريقية: بدأ بحملة عنيفة على الروم قضت على كل أسلحة لهم في معارضة الوقوف في وجه المسلمين أو التحالف مع البربر، ثم أسرع إلى كسيلة الذي كان متحصناً في تمس، فهزموه وقتله في معركة حامية دكسرت شوكة البرانس وقضت على مقاومتهم، وقضت على ما كان معقوداً بينهم وبين الروم من تحالف على العرب وتعاون على طردهم. وبهذا قضى هذا القائد المشاهر خلال هذه الفترة القصيرة على عنصرين من أشد عناصر المقاومة، وهما الروم والبربر البرانس أي المستقرين في السهل الساحلي المتأثرين بالثقافة البيزنطية

(١) أنظر: حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب (الطبعة: ١٩٤٧) وإلي، بروكسل: عن جديد من فتح العرب للمغرب، نشر في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدينته، المجلد الثاني، ١٩٥٤ ص ١٩٣ وما يليها.

والمسيحية، وبقيت ضربة أخرى توجه إلى القبائل المتبلية (البيترية) لكي يمكن القول بأن المسلمين قد قضوا على كل عناصر المقاومة الجديدة في المغرب.

قاد جيوش الإسلام المظفرة في هذا الدور الخطير من أحوال الفتح رجل لا يقل قدرة ولا أهمية عن عقبه بن تافع أوزهير بن قيس، وهو حسان بن الثعلبان. وكان زهير قد استشهد عند بركة، تريض له الروم على طريق العودة بعد هزيمتهم وهزيمة أحلافهم، وكان قتلهم زهير قد أنعش في نفوسهم الأمل في عودة إفريقية إليهم، وأرسل الإمبراطور ليونتيوس سداً صلباً إلى قرطاجنة تويت به تعوس من بها من الروم، فكان على حسان خليفة زهير أن يبدأ العمل من جديد كما بدأ زهير.

(و) الشؤون السادس : القضاء على مقاومة البتر وإتمام فتح المغرب (٧٦ - ٨٥ هـ / ٦٩٥ - ٧١٥ م) :

فلن عبد الملك بن مروان إلى أن إفريقية لم تفتح فتحاً كاملاً تأسياً إلا إذا سار إليها جيش كبير حسن الإعداد . وواتته الظروف على إرسال هذا الجيش ، إذ كانت ثورة ابن الزبير قد قضت عليها، ولهذا وُضِع تحت تصرف حسان جيشاً كبيراً حسن العدة يبلغ عدد جنوده أربعين ألفاً . وسار حسان إلى إفريقية بعد أن رسم لنفسه خطة واضحة : كان يعرف أن الثقافة قبله كانوا يتفوقون معظم رايهم وجهودهم في أعمال حربية ثانوية تفرق قواهم وتحويل بينهم وبين أن يتوسروا بمسلح حاسم ينفضي على مقاومة البربر أو الروم . جعل حسان الروم وجهته الأولى ، وكان يعرف أن ما بين لهم من القوة في قرطاجنة شيء صغير لا يستطيع مواجهة العرب ، ولكنه كان يستطيع مضاهيتهم وشمل حركتهم وإحياء مساعيهم فعول على مهاجمتهم في قرطاجنة والقضاء عليهم القضاء الأخير ، وقد ألح في حربه لقرطاجنة ومن فيها وشاور على ذلك حتى استبان لمن فيها من الروم أن لا نجاة إلا بالمهرب وترك البلاد جملة ، فركبوا مراكبهم ، وسار بعضهم إلى صقلية، وبعضهم إلى الأندلس، ودخلها حسان بالسيف نسي وبني، وبهذا

ثلاثين سنة، ولو قد أرادوا القضاء عليه سنة ٢٧ هـ لفعلوا، ولكن الأمر كان يحتاج إلى رجلٍ في قنوة حسان ويُعد نظره. ثم مضى حسان بهاجم الروم فيها عسى أن يعرفه من مراكزهم الباقية، وأبدى في ذلك نشاطاً مشكوراً.

ثم عاد ليتوجه بكل قواه نحو مركز المقاومة الأخر وهم البربر البشّ، وكانوا قد تجمعوا حول امرأة لقبها العرب بالكاهنة، ويطلب أن اسمها كان «داهية بنت سائية بن نيفان» ملكة قبيل أوراس، وكانت على جانبٍ عظيم من المهارة والقدرة، فجمعت حول ربتها فرأى خفيراً من البربر الرحل «فيهم بنو يفرن»، ومن كان بإفريقية من قبائل زناتة وسائر البشّ، وكانت هي تنسب إلى قبيلة جرروا، ويذهب المؤرخون إلى أن هذه القبيلة كانت يهودية وهذا أمر لا يستبعد وإن كان يفتقر إلى ما يشته.

ولم تكن الكاهنة نائرة على العرب من أول الأمر كما يُفهم من النصوص، وإنما كانت مطمئنة بمقامها في جبل أوراس ترقب الحوادث، فلما رأيت حسان يخضع على الروم ويطلب نحو بلادها سارعت فجمعت من استطاعت جمعه من رجالها، وانتظرت في «ياغاية» على مدخل الجبال، فلما الترب حسان منها تراجعت حتى أثبتت عند نهر نبي على مقربة من موضع قسنطينة الحالية. وثبتت الكاهنة ومن معها للعرب لباتاً عظيماً، بل شددت عليهم حتى هزمتهم بعد أن قتلت منهم عدداً كبيراً، وتقهقروا أمامها فتبعتهم حتى أخرجتهم من إفريقية جملة، وهذا خرجت هذه البلاد عن يد العرب مرة أخرى بعد ما تكبلوه من جهدي وتفصحية، وأرادت الكاهنة أن تقطع أمل العرب من هذه البلاد، فأمرت رجالها فحرقوا ما استطاعوا تحرقه من مظاهر العمران.

أضر هذا العمل بالكاهنة وقضيتها خسراً بالغاً، لأنه غيرَ عليها نفوس الناس، ويجعلهم يرون أن العرب غير من هذه الرئيسة على كل حال، فهم لا يحرقون ما يدخلونه من البلاد هذا التخريب الذريع. وانتهم الروم الفرصة فعادوا لي سفن ودخلوا قرطاجنة، وطردوا من كان بها من المسلمين. وأقام حسان في برقة خمس سنين حتى أرسل له عبد الملك بن مروان المدد، فتحرك إلى إفريقية من

لم يكفد حسان بطل على سهل تونس حتى تسارع فتر عظيم من البربر والأفارقة فانضم إليه ، فمعظم جمعه وسار للفداء الكاهنة ، ويبدو أنها أحست ضعف أمرها وقرب نهاية شأنها ، فاحضفت تتراجع متوقفة في جبال أوزاس ، وبعتت ولديها ليستأمن حسان ، فلمنبا وولى كلاً منها على ستة آلاف من أسلمن من البربر والأفارقة ، ثم لقيت العرب عند «بئر الكاهنة» فانهزمت . وهكذا قضى العرب على آخر حركة قام بها أهالي البلاد لردعهم ، إذ كانت الكاهنة هي الحصن الأخير الذي احتس وراه أهل البلاد ، فلما سقطت انتهت كل مقاومة ، ولم يبق أمام العرب بعد ذلك إلا «غار قبائل» كما يقول جوتيه ، لم سار حسان نحو قرطاجنة وطرد الخامية التي كانت قد استقرت فيها بقيادة البطريق يوحنا .

١٠ - احتفاظ تونس ولم يطعن حسان من ناحية الروم ، وركب أن سقوط قرطاجنة في يديه لا يمنع الروم من العودة إلى أي مكان آخر من الساحل ، فعزل على إنشاء ميناء إسلامي جديد على مقربة من قرطاجنة ، ليصرف منه على البحر ويحول بين الروم وبين الاقتراب ، وبهذا نشأت «تونس» . ولم تزد في عهد حسان عن محرم صغير به بعض المساجد والمباني ، ولكن إنشائها سيتم على يد عبيد الله بن الحبحاب بعد ذلك بثلاثين سنة ، فتصبح ثغر إفريقية الكبير ، ويتكون فيها أسطول عظيم يفرزو المسلمون به صقلية وجنوب إيطاليا بل جنوب فرنسا ، ويمهدون به السبيل للسيطرة على غرب البحر الأبيض المتوسط .



١١ - تنظيم ولاية إفريقية لم يكفد الفتح يتم حتى جعل حسان بتنظيم أمور الولاية الجديدة ، «فقدون الدوابين وصالح على الحجاج» ، وكتبه على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية . وقسم البلاد خططاً: لكل قبيلة شطة ، وفرض على القبائل أن يقدموا للمسلمين ممدداً من الجنود يماريون معهم . ويبدو أن البربر أقبلا على الإسلام في حماس ،

فعمرت بهم جيوش المسلمين في المغرب من ذلك الحين ، وكان حسان بعيد النظر فسوى بين العرب والبربر في قسم الفريسة ، ثم أقام العمال على تواحي الإدارة من خراج وزكوة وجند ، وأرسل الخليفة قاضياً للفيروان أسوة بغيرها من العواصم الإسلامية الكبرى ، وهذا تم فتح المغرب وتنظيمه . وتستطيع القول إن حسان صاحب الفضل الأول في ذلك كله ، فقد دخل البلاد سنة ٨١ هـ فوجدها مضطربة ثائرة ، ووجد أمر الإسلام فيها مشغياً على الزوال ، وغادرها سنة ٨٦ هـ (٧٠٦ م) ولاية إسلامية هادئة منتظمة ، بل تركها وأهلها مقلوبون على الإسلام إقبالاً عظيماً ، ويكفي أن نلاحظ أن معظم الجيش الإسلامي في إفريقيا كان من البربر حتى تصحح لنا هذه الناحية .

ولو امتدحت ولاية حسان لجنى المغرب على يديه كثيراً من الخير ، لأنه كان كما رأينا رجلاً مخلصاً نشيطاً بعيد النظر ، ويبدو أن صفاته تلك لوقعت في خلاف مع عبد العزيز بن مروان عامل مصر للوليد بن عبد الملك ، وكان عبد العزيز يرى نفسه صنو الخليفة ويطلق يده في الأمور كما يشاء دون نظر صادق لصالح الرعية ، وكانت نفسه معلقة منذ زمن بإفريقية ، فلم يزل يضايق حسان ويلاقيه حتى أخلفه وجعل استعمارها في العمل غير ميسور ، فاعتزل هذا الرجل التقدير العمل في أوائل سنة ٨٦ هـ (٧٠٦ م) والمغرب في أشد الحاجة إليه .

١٢- موسى وسارع عبد العزيز فأقام على إفريقية وليه وأتقرب ورجاله إليه
 ابن نصير شول موسى بن نصير، وكان من أقدم رجال الدولة الأموية وأذكارهم،
 شول المغرب^(١) وإن كنا لا نستطيع مطابقتها بحسان بن النعمان من حيث النزاهة

(١) اتصفت في كتابة هذا الجزء على المراجع السابق لمصرها. ولا نجد حرجاً في الاستناد على التفاصيل الخاصة التي وردت في كتاب الإمامة والسياسة لأبي حنيفة الدينوري (طبعة القاهرة، ج ٢ ص ٩٦ وما بعدها).

ورواحي جداً أنه الكلام الخاص بموسى بن نصير وأعماله في ذلك الكتاب مستقى من مراجع صحيحة، فالتشابه فيه وبين ابن عطارى طاهر جداً يعيد إلى الحقيقة في بعض الأحيان، ولا معنى للاعتقاد من معلومات عامة كهذه لعدم أن موسى شك في صحة الكتاب كله

وقد ناقش رأيي موسى، وكانت أصالة ما ورد في كتاب الإمامة والسياسة عن موسى بن نصير الدكتور حمود علي مكي في مقال نشره في المجلد الخامس من صحيفة المعهد القومي للدراسات الإسلامية بتونس. وقد دعاه في هذا المقال إلى أن هذا الجزء من كتاب أبي حنيفة الدينوري صحيحاً من كتاب شيخ لعراق العسيري

والإخلاص والعناية بصالح الدولة والرعية : فبينما كان حسان ينظر إلى صالح الأهلين ويسعى في تكئين سلطان الدولة والإسلام على نفوسهم بالعدل والخير ، كان موسى يحسب أن المسألة مسألة حروب وغنائم وكفى . فكان هم منذ تولي منصباً إلى القيام بغزوات يعود منها بالمغتم الوفير والسبي الكثير ولا يتم بعد ذلك بما كانت تشهده هذه الغزوات من الخبيثة وسوء الظن في نفوس أهل البلاد ، وستلاحظ فيما نتناول من شؤون المغرب في سياق هذا البحث أن شيئاً كثيراً من سوء الظن بالمغرب قد انغمس في قلوب البربر نتيجة لسياسة موسى بن نصير ومن بعده حتى أصبح من العسير اقتلاعه ، وأن سوء الظن هذا ظل يستشري مع الزمن حتى فصل بين العرب والبربر جلة ، وانتهى كما سنرى بانفصال المغرب عن مركز الخلافة ، وانحراف الكثيرين من أهله إلى مذاهب ثورية انقلابية تسمى صفوية تارة وإخراجية تارة أخرى ، وما هي في الواقع إلا خوف وكراهية تأصلتا في نفوس البربر بسبب إصراف موسى ومن جاء بعده من ولاد بني أمية في غزو البربر .

ويبدو أن إصراف موسى في غزو القبائل البربرية دون سبب أو مبرر ظاهر هو شعوره بأن عهد الملك بن مروان يعني الظن به ويتوقع أن يهب أموال الولاية الجديدة كما يهب أموال البصرة . وكان عبد العزيز يشد أزره ، ويود لو أثبت أنه خير من حسان بن النعمان وغيره من رجال عبد الملك ، فعصى بخرج البلاد من شرقها إلى غربها ويرمي نواحيها وقبائلها بأبائته وعبد العزيز ومروان ويكلم رجاله من أمثال عيَّاش بن أمّية وموسى بن عيَّاش بن عتبة والمغيرة بن أبي بردة وذوعدة بن أبي مدرك . ولم يكن أهل المغرب بحاجة إلى هذه الغزوات حتى يطعموا ويقلوا على الإسلام ، فقد كان معظم القبائل قد ركن إلى الهدوء في ظل القاطنين الجدد ، وأقبل الكثيرون من البربر يتضعون للمسلمين ويشتركون معهم في حروبهم عن طواعية ورضى . ولم يكن موسى ليشوخي النواحي المضطربة أو القبائل الثائرة ليعازها ، بل كان يتوخى المطمئنين فينزل بهم على غرة ، والظاهر أن عيوتاً له كانت تجوس النواحي ويهون إليه أخبار

القبائل ومن يمكن أخذها على غرة منها ، فضعن نقرأ في اختياره : « وأن الجواسيس أتوا موسى فقالوا له : إن صنهاجة بغرة منهم وخفلة ، وأن إيلهم تشج ولا يستطيعون براحاً ، فأغار عليهم موسى بأربعة آلاف من أهل الديوان والقبول من المطرعة ومن قبائل اليرير وخلف عيشاً على الثقال المسلمين . . . فسار موسى حتى غشي صنهاجة ومن كان معها من قبائل اليرير وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الغناء ، فبلغ سبيهم يومئذ مائة ألف رأس (كذا) ومن الإيل والبسر والغتم واخيل والحرت والتيب ما لا يحصى . ثم انصرف قائللاً إلى القيروان ، وهذا كله في سنة ثمانين (كذا) . » ولما تفهم سبباً آخر لقتل هذه الغزوة غير الطمع في الغنائم ، بل حدث أن غزا كتامة واشتد في أذاها ، فسارح رجالها يؤكدون له طاعتهم وحسن ولائهم ، فأصر على أن يسيء الظن بهم ، وبغضى بواطن الغزوة عليهم وأصر على قتل وهابهم ، حتى أنكشفت له سرادعهم على نحو لا يقبل الشك ، فانصرف عنهم بمغتم والفر .

ولما نحن لا نسعي أعمال موسى بن نصير في المغرب فتوحاً ، لأن الفتح تم على يد حسان ، وكان موسى قديراً على الاستيحاء من طاعة من بقي خارج الطاعة من القبائل ، لو من بعد مكانه منها كما عمل السوس الأول ، برسائل أخرى غير هذا الغزو العنيف . بيد أن هذه الغزوات لم تكن شرأ خالصاً ، بل هي أحدثت في المغرب وجة كبرى أفاقت بسببها القبائل وتنبهت إلى هذا العصر الجديد الذي بدأ في حياة بلدهم ، وملك الروح معظمهم فتسارعوا إلى المسلمين يدخلون في الطاعة ويعتفون الإسلام ، ورأى الكثيرون منهم ما يحبه مواطنهم الذين يسلون وينضمون إلى جيوش المسلمين من الخير والغتم ، فأقبل الكثيرون منهم ينضمون إلى جيوش المسلمين آتائاً ، ولا يكاد الواحد منهم يسل حتى يسير مع الجيش الفاتح يغزو معه ويضم معه . ووافق ذلك مزاج القبائل البربرية الشيدية ، وجمعتها مع العرب صفت البداوة والقطرة والنشاط وحب القتال ، فلزادت جيوش المسلمين في إفريقيا زيادة سريعة مطردة لا تكاد تجد لها شبيهاً في أية ناحية أخرى من نواحي الدولة الإسلامية إذ ذلك . وكان لا بد لابن نصير أن يجد لهذه الآلاف مجالاً للغزو والنشاط والاصعب عليه ضبطها ،

لمضى هذا الرجل الموفق بقود الجيوش وتقوده الجيوش ، مضى يفتح ويترسل في الغزوات حتى أتت من ذلك غاية لم تكتب إلا للفتل جداً من قادة المسلمين .

توجه موسى بضرته في كل ناحية ، وبدأ يشوجه حملة نحو سجوما ، ويبدو أن طوائف البربر التي اشتركت في حرب عطية بن نافع سنة ٨٧ هـ (٧٠٢ م) وقتله عند تهودة كانت تسكن على مقربة من هذه المدينة البربرية ، وقد قاد هذه الحملة عيسى وعثمان وأبو عبد من أبناء عطية بن نافع ، فانتقموا لقتل أبيهم من أهل البلد ومن حوله انتقاماً شديداً . ثم أعقب ذلك سلسلة من الحملات على هوارنة وزناتة وكثامة ، وقضى على ما عسى أن يكون قد احتلج في نفوسها من تكبير في الثورة والاستخفاف بالحكام كما كان الحال أيام البيزنطيين . ولما كان موسى يهتم اعتماداً عظيماً بمسألة الأسرى والغنائم ، فقد كان أهل البلاد يسارعون بالإسلام انتقاء لأنفسهم من الأسر ، وهذا جعلت أعداد عظيمة من أهل هذه القبائل تسلم وتقبل على القيروان طلباً للإشراك في الفتح والغزوات . ومن هنا لا غرابة في أن نسمع أن موسى أرسل بعد ذلك بقليل جيشاً عظيماً عدته ١٧٠٠٠ من العرب و١٢٠٠٠ من البربر لفتح السوس الأقصى ، وأن هذا الجيش وصل إلى نهر درعة وعاد بطاعة أهله ، وكانت تلك هي أول مرة في التاريخ يصل فيها فاتح أجنبي إلى هذه النواحي الداخلية النائية من بلاد إفريقية ، ومن هناك اتجه بهذا الجمع نحو طنجة فافتتحها وترك عندها حامية عظيمة بقودها مولاء طارق بن زياد ، وعهد إليه بالمعمل على نشر الإسلام فيما يجاور طنجة من بربر غمارة وبرغواطة . وعسكر طارق بمن معه من المسلمين على سواحل بحر الزقاق ، وبدلت أنظارهم توجه نحو إسبانيا في العدة الأخرى .

ويبدو أن ميدان إفريقية ضاق بنشاط موسى وقواده وجنوده ، لأن ابن عذارى يحنثنا - رواية عن ابن القطان - عن حملة إلى صفية ، غزا المسلمون فيها سرلوسة وعادوا مؤخرين بالغنائم .

وعاد موسى إلى القيروان خلفاً طارق بن زياد ومن معه بموضعهم هذا ،

وعلم طارق أن مياه سبحة على مشربة منه ، فبدأ يتحرك نحوها وهناك وجد شخصية غريبة غامضة يتحدث عنها اللوغيون كثيراً ، ولا تزيدها كثرة الحديث إلا إمعاناً في القموض ، تلك هي شخصية بليان .

الفصل الثالث
فتح الأندلس

(١)

رواية جديدة * عن

فتح المعلمين الأندلس

١ - إمامنا منذ أكثر من ٦٠٠ سنة قال لسان الدين بن الخطيب (رجب
في الموضع ٧١٢ - ربيع الثاني ٧٧٦ / نوفمبر ١٣١٣ - سبتمبر ١٣٧٤)
متحدثاً عن فتح الأندلس (وحديث الفتح ، وما منَّ الله به على الإسلام من
الفتح ، وأخبار ما آفاه من الخير ، عمل موسى بن نصير ، وكتب من جهاد طارق بن
زياد ، محلول قصاص وأوراق ، وحديث الفول وإشراق ، وإرحام وإبراق ، وعظم
امتشاش ، وآلة معلقة في ذكوان قشاش)^(١) .

ولا شك في أن التوفيق لم يصاحب عالم لوثة العظم في هذه العبارة التي
أرسلها وزوّقها في أسلوبه السافج للتمق وفي تصوره أنه بلغ من المعلم
متناه ، وهو تصور يثير في نفوسنا الإعجاب بذلك الرجل أحياناً والحب
والرثاء له أحياناً أخرى .

فإننا لا دلنا إلى يومنا هذا نبدي ونعيد في تفاصيل فتح الأندلس ، وكلها
حسبنا أننا انتهينا إلى قول فصل جادنا ما يذكرنا بالحقيقة العلمية التي تقول إن

(*) جزء من دراسة عن فتح الأندلس نشر في صحيفة المعهد القومي للدراسات الإسلامية في مدريد .

(١) رواد المري في نسخ الخطيب (تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨) ١ / ٢٣٠ .

العلم لا يعرف قط ذلك الشيء الذي نسميه بالكلمة الأخيرة في أي موضوع ...

وقد تراكمت الأبحاث لدينا عن فتح الأندلس بصورة تدعو إلى العجب حقاً ، وقد بلغ الأمر بواحد من أجلاء الباحثين وهو إميليو غوميز فوموس أن ألقى ظلاً كثيفاً من الشك على الموضوع كله في بحث طريف له^(١) نشره عن كتاب « فتح الأندلس » مؤلف مجهول نشره من نحو قرن العلامة الإسباني خراكين و. جتالت ونعيد نحن تحقيقه اليوم .

٢. غيرت ولكننا نلاحظ أن هذه الأبحاث كلها تقوم على تفسيرات حذرة للنصوص جسيمة لغز النصصوص التي كانت بين يدي أوزارو سالفيرا عندما قام بحثه القيم عن فتح العرب للأندلس^(٢) فإما عدا بعض نصوص كانت قد غابت عن الأنظار الباحثين فأبرزناها وأعطيناها حلقها في دراستنا للفتح في كتابنا هذا في طبعته الأولى ، وفيها عنا تفاصيل جديدة وجددها أحمد مختار العبادي في الجزء الذي عني بتحقيقه ونشره من كتاب « الإكتفاء في تاريخ الخلفاء » لأبي مروان عبد الملك بن الكردوبوس الخاص بتاريخ الأندلس ، وفي الشروح الطاقية التي كتبها محمد بن علي بن محمد بن الشياط المصري التوزدي (ت ٦٨١ / ١٢٨٢) لهمدحة النبوية المعروفة باسم « القصيدة الشفراطية » التي نظمها أبو عبد الله محمد الشفراطي (ت ٤٦٦ / ١٠٧٣) وهي شروح مطولة أدرج فيها ابن الشياط معلومات كثيرة عن فتوح الإسلام تضم الكثير من التفاصيل الجديدة حقا عن فتح الأندلس ووصف بلاده . وقد قدم أحمد مختار العبادي للنصين بمقدمة ضافية تناول فيها فتح الأندلس من جديد وأبدى آراء وملاحظات ذات قيمة كبيرة سنشير إليها في سياق هذا البحث^(٣) .

(١) Emilio Garcia Gomez, Novedades sobre la Conquista andalusí estudiada - Fels el-Andalus -, apud. Anales de l'Institut d'Estudis Orientals de la Facultat de Lletres d'Alger , Tome XII, 1957 pp 36-42

(٢) Eduardo Saavedra, Estudio sobre la invasión de los Arabes en España. Madrid 1884

(٣) أحمد مختار العبادي : تاريخ الأندلس لابن الكردوبوس وبحثه لابن الشياط - ص ١٠٠

لكن نقطة البداية لكل الدراسات المعاصرة لفتح المسلمين للأندلس هي كتاب سائقرا الذي استولى فيه دراسة كل ما سبقه من أبحاث في الموضوع بما في ذلك بحث راينهارت توزي الذي نشره في الجزء لأول من أبحاثه المشهورة.

والتقطة الرئيسية التي ميزت دراسة سائقرا وجعلت له مكاناً فريداً بين مؤرخي إسبانيا الإسلامية هو قوله بأن القضاء على قوة القوط تم على مرحلتين لا مرحلة واحدة كما كان الناس يظنون : الأولى تشمل في القضاء الكبير المعروف بين قنوات طارقي بن زياد وقنوات لطريق ابتداء من ٢٨ رمضان ١٩/٩٢ يوليو ٧١١ في السهل الواقع بين جبل رتين Sierra del Retin وبحيرة الخنلق Lago de la Janda وبجري نهر البرباط ، وفي هذا القضاء عمل رأي سابدرا انكسرت شوكة القوة القوطية وأعيد معظم رجالها ، ولكن لطريق نجا بحشاشة نفسه وجبر نهر البرباط خلفاً وراءه لقله وذخائره . وأراد عبور النهر فلصق ثقله بالطين فتركه ومضى على وجهه . فلما عبر العرب على الثعل طنوا أن الرجل قد قتل . ثم انطلق نحو الشمال وتلاحقت به قلوب الناجين ، ومضوا حتى استنفروا في موضع جنوبي سلمنفة وقرب بلدة لانس الحالية .

أما المرحلة الثانية فكانت بعد أن نزل موسى الأندلس وسار في خط لتسوية المعروف ، فلما اقترب من طليبة غربي طليطلة ، وكان طارق ينتظره هناك ، ظن لطريق ومن معه من القوط أن الفرصة قد ستحت لمهاجمة جيش موسى قبل أن يلتقي مع جيش طارق ، فانتقضوا على جيش موسى عند موضع يسميه صاحب « فتح الأندلس » السواقي أو السواقي في حين تسميه الترجمة الإسبانية لنص الرازي Sagayac . وقد وقف سائقرا وقفة طويلة عند سجمية Sagayac هذه ، ولاحظ أولاً أنها قريبة الشبه من لفظ السواقي فإن مفرداتها ساقية ، إذا كتبت بالإنجليزية كانت Saquila ، ثم مضى يبحث عن سجوية فوجد أن بعض

« جديان . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، عدد ١٤ مدريد ١٩٦٥ ، ص ١٦٦ - ١٦٧ وعدد ١٤ ص ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، وما يليها

مؤرخي الإسبان الذين كتبوا عن الفريق (ويسمونه الفون روهريجو آخر ملوك القوط *Don Rodrigo el último rey goda*) يطلقون على الموقع الذي قتل فيه اسم *Sangonera* أو *Sanguyuca* فرأى في ذلك ما يؤيد ظنه . ثم إنه قرأ في حوليات ألفونسو الكبير أن بعضهم رأى قبر للفريق في بلدة *بازو* أو *بيزو* *Viso* قرب *لانس* عند موضع يسمى *Saguyca de los Corcejes* وعليه كتابة باللاتينية تؤكد موته هناك، فقطع بأن ما ذهب إليه صحيح، وقرر بصورة نهائية أن المعركة الأخيرة بين الفريق والمسلمين وقعت في هذا الموضع ، وهناك انتهت حياة آخر ملوك القوط^(١) .

ولم يتكرسوا لنظريته هذه ابتكاراً بل اعتمد في القول بها على ما ذهب إليه مؤرخ إسباني قديم هو *بيدرو دل كورال* الذي اعتمد على « مدونة ألفونسو الثالث التي تذكر اسم الموضع الذي قتل فيه للفريق في صورة *Saguyca* وتربط بينه وبين ما جاء في نفس المدونة من العثور على قبر يحمل شأهده عبارة تدل على أنه قبر للفريق وذلك في مدينة *بازو* التي تكتب في الإسبانية أحياناً *Viso*^(٢) وقد ورد نفس الخبر في هذه المدونة نقلاً عن مدونة تسمى بمخطوط *Codice Rotense* ونشرت في مجموعة تسمى « المدونات الأولى الخاصة بالاسترداد ، ظهرت في مجلة أكاديمية التاريخ الإسبانية .

Las Primeras Crónicas de la Reconquista en Boletín de la Academia de la Historia, T. C. Cuaderno II, PP. 562-628.

وهذا النص يقول :

Nostris temporibus quum Civitas Viso et Suburbie ejus juxta nostrum esset populatus in quidam ibi basilica monumentus inventus est ubi desuper epistatione hujusmodi est conscriptus : Hic requiescit Rudericus ultimus rex gotorum.

(١) حرصاً على الاتصال في هذا الكتاب من ١٠٨٨ وما بعدها.

(٢) *Pedro del Corral, Crónica del Rey Don Rodrigo con la Destrucción de España, p. ٨٤ (٢)*

وهو نص باللاتينية المدرجة التي كان يكتب بها الكثيرون من رهبان
المصور الوسطى ، ونستطيع ترجمته كما يلي : وفي أماننا هذه وفي مدينة بازو
وما حولها يذبح بين عامة الناس القول بأن في كنيسة قبر عليه شاهد يقول :
« هنا يرقد روبرتوكوس (للفرق) آخر ملوك القوط » .

وهي مدينة ألفونسو الثالث هذه أخذت هذا النص المدونة الإسبانية
العامة الأولى التي صنفت للملك العالم ألفونسو العاشر المعروفة باسمها
Primera Cronica General de Espana وفي هذه المدونة التي كان الصراخ من
كتابتها سنة ١٢٨٩ نجد غير وجود قبر للفرق هذا في مدينة بازو . وتلك
المدونة تنقل في جزئها الخامس بفتح العرب لإسبانيا عن تاريخ أحمد بن محمد
الرازبي وتضيف إليه معلومات أخرى ترجع إلى عصر تحريرها ، ومن الواضح
أن القول بوجود هذا القبر لا يوجد عند الرازي ، لأن الرازي توفي في القرن
الرابع الهجري بل هو من الإضافات التي أدخلها المترجمون الإسبان على
الأصل ، وهو غير مشكوك فيه ، ويزيد شكنا أنه يقول بعد ذلك إن الفرق
قتل عند نهر وادي المطين Guadalentin وهو أحد نهيرات نهر شقورة Segura
وهو نهر مرسية ، فأين بازو التي تقع قرب سلمتة من وادي المطين في ناحية
مرسية ؟ ولا بد أن نلاحظ هنا أن اسم وادي المطين يرد في صورة Guadalet
وهي صورة تختمل أيضاً أن يكون المراد بها وادي لكة الذي يكتب أحياناً عن
طريق الخطأ Guadalete .

وردد ذكر قبر الفرق وشاهده كذلك في المدونة البرتغالية المعروفة باسم
Cronica General de Espana de 1344 . وهذه المدونة تعتمد أساساً على
مدونة ألفونسو العاشر التي ذكرناها ، ولكنها تفتس من تاريخ الرازي
وجغرافيته فقرات أكثر مما نجد في مدونة ألفونسو العاشر ، وهذا فإن لها أهمية
خاصة بالنسبة إلينا .

ويعني هذا أن نظرية ساندرا تبدو مقبولة في جملتها ، فقد اعتمد الرجل
في القول بما على أصول قديمة موثوق فيها وانفتح بها انتفاعاً سليماً ، وكيف

كان يمكنه مثلاً أن يجعل ذلك الحبر الذي يقول بوجود قبر الخرين في بازو ؟ ولم يكن الرجل يجهل أن تلك الحبر أصيف على نص الرازي على يد مشرعي الفونسو العاشر ، ولكنه حقق الأمر تحقيقاً علمياً صحيحاً ، واجتهد حتى حقق اسم موضع Sagayno الذي ورد في بعض مخطوطات الترجمة الإسبانية السبئية حتى وصل إلى أنه يقابل قرية Sagayuela de Los Corrajes وهي قرية قبر بعيدة عن بازو ، فهي من توابع مدينة تاماس Tamames في محافظة سلمنقة وكل هذا جعله يؤكد القول بهذا اللقاء الثأري الأخبيرين الذريق والمسلمين .

وقد انجهدت إلى الأخذ بهذا الرأي في كتابي « فجر الأندلس » اقتناعاً مني بما أورد سابقداً من البيئات ، ثم لاني عندما تبعت سير الفتح استوقفتني المناقمة الشديدة التي أبدتها حامية ماردة في مناقمة موسى بن نصير وما لحصل المسلمون من خسائر في فتح ذلك البلد مما رجح في رأبي بطوه أعداد كبيرة من قلوب القوط إلى غرب الأندلس وترصدها للمسلمين هناك ، وقد تحدث عن ذلك فرانيسكو غابير سيمونيت وأعطانا تفاصيل قيمة عن المناقمة في نواحي قورية وماردة وما يليها شمالاً ، ومن المعروف أن سيمونيت أخذ برأي سابقداً واعتبره قضية مسلمة لا شك فيها .

ومع ذلك فقد رفض الأخذ بهذا الرأي مؤرخ إسباني كبير هو خوان منندث بيدال Juan Menéndez Pidal ابن أخي العلامة المشهور دون رامون منندث بيدال^(١) . أما لاني يروفتسال فقد قال عن رأبي سابقداً أنه استنتاج فيه غرر كثير^(٢) *une conclusion assez hasardeuse* ولكنه مع ذلك لم ينقطع برأبي في الموضوع .

ثم إن هناك مؤرخين آخرين كثيرين قبلوا ذلك الرأي ومهم كتبنا فرانيسكو سيمونيت الذي حقق كل الفقرات التي استند إليها سابقداً تحقيقاً

(١) Juan Menéndez Pidal, *Leyenda del Último Rey Goda*, pp. 171-172

(٢) Luis Perceval, *Historia de España* Marquese, I, 25

بالغاً وقرر أن نظريته صحيحة بل أهداها بأصول أخرى^(١) ، وقد التفت بالمادة الغنية التي أتت بها سيمونيت وراجعتها كلها على أصولها عند مؤرخينا العرب وفي اللبونات الصراية وأثبت بذلك كله مفصلاً في « فجر الأندلس »^(٢) .

ولكن سانشيث الجورنوث ولفس وآي سافندرا رفضاً باتاً ، وقرر في بحث مطول تمتع له أن المعركة بين لفريقين والعرب كانت واحدة هي التي دارت عند بحيرة الخندق ، وقرر أن لفريق قتل قرب شلونة غير بعيد عن موقع المعركة . وبخلاصة كلامه أن لفظ Sagayos الذي يرد في الترجمة الإسبانية السريفة لتاريخ الرلزي يرد في نسخ أخرى من نفس الترجمة في صور مثل Sagoneca أو Sigoneca وعمل هذا فلا يجوز التمسك بقرأة واحدة للفظ وهي

(١) Francisco Javier Simons, Historia de los Mozárabes de España, (Madrid, 1897) (١٩٠٧), pp. 23-29

(٢) ووضح لنا تقوم هذا الجهد في دراسة لتاريخ الأندلس خدمة للمطبعة والتاريخ ، ونحن لا نرجو من وراء ذلك إلا مجرد الذكر ، وهو أقل مما نطلبه من دلائل المعرفة . ولكن ربما مضافاً هو د . السيد عبد العزيز سالم أحد ثمرات الجهد الطويل والقرارات الصعبة في مذونات لاينية وكتب إسلامية عميقة لا توجد إلا في المكتبات الإسبانية في مدريد والأستوربال ولسات ماتش Simons وترجمها في كتابه عن « تاريخ المسلمين بمصر » في الأندلس ، دون أن يفكر في الإشارة إليها إلا إذا تصور أننا ونحن في عمق . وإن أهدى على ذلك شيء ، ولكن أمثاله في أن أهدى على الأندلس هنا . فهذا لكتاب الكتب . وذلك تصحيح شيء أهدى ما وأهدى استصافه .

فقد أورثت في ص ١٠١ من فجر الأندلس النص اللاتيني المثل عمله عبرياً موسى بن نصير في الأندلس وذلك النص الآتي وهو :

In Nomina Domini Non Deo sed Deo. Solum Sagayos, Non Deo Simili alio.

وأحسب في نقل الفقرة الأخيرة من العبارة فجدت عند Non Deo Alio ولقد كنا نترجمها هذا النص لسهره ووضوحه لمن يتجشم مثل عمله الأبحاث ، ولكن الدكتور السيد سالم أراد أن يتم معناها فترجم النص هكذا : الله واحد والله عالم والله ليس له كفرا وتسطرد عن الخطأ اللغوي العربي الذي وضعنا تحت خطأ مع قدامه وتسطرد كذلك عن قولنا تعليقاً على ترجمته : وهي اختصار من الآية الكريمة (ثم يورد نص سورة الإخلاص) لأن الآيات لا تقصر ، وإنما تقصر أو تقصر ، ولا يجوز الاختصار في كلام الله ، ثم إن سورة الإخلاص ليست أية كما قال بل هي سورة . أما صحة الترجمة فهي :
 بسم الله • لا إله إلا الله • واحد عليم • ليس كمثل إله غيره •
 فالقرء - هناك الله - كم خطأ وقع فيه في إبدال سطر واحد مما كتبه !

Sagayus ثم القول بأنها قرية Saguela de los Corrajes قرب تماس في محافظة سلمة . ثم يقول إن Sagonera أو Sigonera ما هما إلا تحريف لاسم شدونة اللاتيني القديم وهو Gigonra أو Sagontia ، وهذه الصورة الأخيرة لاسم شدونة هي أصل التسمية العربية والحالية : (Sadonna = Saguntia = شدونة = Sidonia) ويرى سانشيث البيورنوث أن لفظ Sagayus وصورة الأخرى التي ترد في الترجمة الإسبانية لنص الرازي إنما هي تحريفات للفظ السواني أو السواني الذي ورد في « فتح الأندلس » مؤلفا مجهول تفلأ عن أصل الرازي ، وعجابه « فتح الأندلس » هي : « وأقلت للذريق إلى موضع يقال له السواني ، فقبل إنه وجد قبلاً وهو لا يعرف ، وقيل إنه أراد العبور في الوادي ففرق فيه . ووجد في ذلك الموضع حف منظم بالدر والياتوت قد سقط من وجهه » .

ولفظ السواني هذا يمكن قراءته السواني ، وهي القراءة الأصح ، وهظومة الكتاب بين أيدينا الآن نعددها للنشر⁽¹⁾ .

وعاد إلى الموضوع مرة أخرى بحالة إسباني آخر معروف بالدقة البالغة والأصالة في الرأي والمعرفة بتحقيق الأعلام الجغرافية هوفيلكس ليرتالديث . ففي نهاية مقال له عن « غناسة الفتح »⁽²⁾ التي سرد ذكرها في بعض النصوص العربية وقف عند لفظ السواني أو السواني الوارد في « فتح الأندلس » ورده التنظر في آراء ساندرأ وسانشيث البيورنوث . فقال إنه لا يرى الأصل بكلام ساندرأ ، ويرفض القول بقيام معركة ثانية بين الذريق والمسلمين عند تماس ، ويرى أن الحجج التي استند إليها بلرودل كورال في ذلك القول غير مقنعة . وهو يستند في ذلك إلى أننا عثرنا على الترجمة البرتغالية لنص الرازي في وصف

(1) مخطوط الكتبة الأندلسية في الجزائر ، رقم 1876 من فهرسة تليانج ص 3 .

نظر

Cristóbal Sánchez Albornoz : ¿ Donde y cuándo murió don Rodrigo en Castellón de Historia de España. III, p 5465. Buenos Aires, 1945

Félix Hernández Obanador : Avances de Magadal al Fech y Sagayus AL-Andalus. XXIX, (7) fasc. 1, 1954, p. 18 sqq

الأندلس ونفسه ، وهذه الترجمة البرتغالية هي الأصل الذي عملت منه الترجمة الإسبانية السردية التي نشرها إسكوال جليانجوس سنة ١٨٥٢ وكتب بحثاً في أصلها وقبيلتها العلمية رغم ردها^(١) . وهذه الترجمة البرتغالية ترد في سياق المدونة البرتغالية المعروفة باسم مدونة ١٣٤٤ التي نشر لويس فيليب لتسلي سبترال الجزء الثاني منها في لشبونة ١٩٥٤^(٢) .

يقول فيليكس إيرنانديث إن هذه الترجمة البرتغالية تعطينا اسم الموضوع الذي قتل فيه للبريق في الصور التالية : Sagoynera, Sigonera, Sagoneira و Sagoynera ولا نجد من بينها صورة Sagoyne التي جعلت يدرو دل كورال يفترض وجود موضع قريب الاسم منها في ناحية يازو ، وهذا هو الأساس الذي استند عليه ساندرا .

ثم تناول لفظ السواني الذي ورد ذكره في « فتح الأندلس » فقال إن قرأته الأصح هي السواني ، ثم إن حرف الواو الواردة في اللفظ إذا كتب بالإحالية حل طريقة قدامى المترجمين الإسبان جاء في صورة ou فهم إذا قالوا « وادي » قالوا gual فالوادي الكبير هو Guadalquivir والتسويري هو Saguanqui وهكذا ، فلفظ السواني يصير Saguanqui والسواني يصير Saguanqui وهاتان الصورتان قريبتان من الصور الواردة في الترجمة البرتغالية ، وليس بينا واحدة تقرب من Sagoyne وإن فلا حمل للقول بموقع معركة عند Sagoyuela de los Cornejos (كما يقول ساندرا) ولا حمل للقول بأن هذه الصورة تحريف للفظ Saguntia وهو الاسم القديم لشبونة (وهذا رأي سانثيث الجورتوت) . وأما العبارة الخاصة بغير الطريق في كتيبة في يازو فيري فيليكس إيرنانديث أنها ليست من كلام الرازي وإنما ألحقتها المترجم نقلاً عن أصل آخر .

Goygues, Pascual de, Memoria sobre la autenticidad de la Cronica (descubierta) del Moro Rasis. Memorias de la Real Academia de la Historia. Madrid, 1850
 Colección General de Escritos de 1344, volumen II, edición crítica do texto Português por Luís (٧)
 Filipe Lindley Cintra. Lisbon 1954. P. 300 app.

ودرس أحمد مختار العبادي ذلك كله في بحثه الذي أشرنا إليه في مفتتح هذا المقال ، وقد أداره كما قلنا على ما ورد عند ابن الكردبوس وابن الشباط عن اللقاء بين لدرين والمسلمين ، فلما أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الهجريين ، فيقول : « لم لم يكن له (أي للدرين) بد من المقابلة (المقاتلة ؟) فالتقيا يوم الأحد ، وصدق المسلمون القتال ، وحملوا حفة رجل واحد على الشركيين ، فخذلهم الله وزلزل أقدامهم ، وبعهم المسلمون بالقتل والأسر ، ولم يعرف لدرين خبر ، ولا بان له أثر ، فقبل إنه ترحل ، وأراد أن يستتر في شاطئ الوادي ، فصادف شديراً ، فغرق فيه فمات ، ولهذا وجد فيه فرد حقه ، وهو مرصع بالدر والياقوت عليه الخصل ، فأنسل من رجلك ، وقوم في المظن بمائة ألف دينار . وانتهت بهلته ، وانتشر عسكر المسلمين في الجزيرة بمنأً وشمالاً ... » (١) .

وهذا النص لا يتضمن تحديداً لتاريخ أو مكان .

أما نص محمد بن علي بن الشيبان المصري التوزري المتوفى سنة ١٢٨٢/٦٨٦ فأكثر تفصيلاً وتحديداً ، فهو يقول في الفصل الذي أداره على ما سماه « صفة قضية فتح الأندلس » :

« ... ثم زحف طارق بجميع أصحابه حتى نزل قريباً من عسكر لدرين فقاتلوا يوم الأحد لانسلاخ شهر رمضان ، فاقتل المسلمون والشركون ثمانية أيام قتالاً شديداً ، وصبر الفريشان جميعاً صبراً عظيماً . ثم أنزل الله عز وجل نصره على المسلمين ، فانهزم أبناء الملك^(٢) بأهل المدينة وأهل الجزيرة من عسكر لدرين ، فقتل العجم قتلاً قريباً ، وقتل أبناء الملك ، ولم يكن عندهما شيء مما (كنا) وأفلت للدرين إلى موضع يقال له السواني ، فقبل إنه قتل وهو

(١) أحمد مختار العبادي - تاريخ الأندلس لابن الكردبوس - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ١٢ ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٤٨ .

(٢) يريد أبناء غوطشة Wotish الذين حلقوا المسلمون على لدرين .

لا يعرف ، ويقال أيضاً إنه أراد الاستئثار بسمار الوادي ففرق فيه وهلك .
ووجد في ذلك المكان حفرة منظومة بالدر والياقوت قد سقط من رجليه .
وأصاب المسلمون من السبي ما لا عهد لهم بمثله . وكان يعرف أشرف
العجم في القتل بخواتيم الذهب توجد في أصابعهم ، ومن دونهم بخواتيم
الفضة .

ويتضح من القراءة الدقيقة لنص الرازي في ترجمته الإيباتية والبرتغالية
أن العبادي عمل حق في القول بأن عريضة بن سعد السبي ينسب إليه ابن
الشباط هذه العبارة قد اعتمد على نص الرازي فيما أورده من الأخبار التي
أكمل بها فوات تاريخ الطبري .

واعتقد الآن بعد هذه الدراسات القيمة التي قام بها هؤلاء الأساتذة
الأجلاء لما ذهب إليه سابقوا عن المعركة الثانية بين الفويين والعرب عند فامس
أنه لم يعد هناك ما يدعو إلى التمسك بهذا القول ، وإن كنا كذلك لا نستطيع
إنكاره كلية ما دامت هناك نصوص قديمة ترجع إلى نهاية القرن الثالث عشر
الميلادي تقول بأنه كان هناك بالفعل قبر للمريث في كنيسة في مدينة بارو
Vico في محافظة سلطنة .

ومن الواضح أن العبادي عمل حق في قوله إن المعركة الحاسمة بين قوات
الفويين وقوات طارق لم تقتصر رحاها على جنوب شلونة أو شمالها ، بل
شملت جميع أنحاء هذه المنطقة ، فهي معركة كوزية شلونة بأسرها وليست
معركة مدينة شلونة قاعدتها ، ومن هنا جاز لنا أن نشوّل بأن ما ورد في كتب
التاريخ من تسميات مختلفة لهذه المعركة مثل « البحيرة » و« وادي بكة » و« وادي
السرابط » و« وادي لكة » و« وادي السواقي » ما هي في الواقع إلا تسميات لتلك
الأماكن التي دارت وتشتت عندها تلك المعركة الكبيرة في أراضي كوزية
شلونة (1) .

(1) تاريخ الأندلس لابن الكردوبوس ، مقدمة البحث في الرجوع المشار إليه أعلاه ، ص 20 - 21 .

ونضيف هنا أن هناك من يرون أن لفظ Sagonea الذي يرد في بعض المخطوطات على أنه تحريف لاسم الموضع الذي قتل فيه لطريق هو الاسم القديم لنهر وادي الطين Gaudubestia وهو أحد رؤفد نهر شقورة وهو يجري في مقاطعة مرسية ، وعلى هذا يكون الطريق قد فر من مكان المعركة واتجه نحو الشرق وتبعه المسلمون حتى أدركوه ، فأراد عبور نهر وادي الطين ففرق فيه قرب لورقة . وسنرى بعد قليل أن هذا الفرض محتمل .

ومصاحب الكتاب المجهول في جغرافية الأندلس وتاريخه يؤيد القول بأن لطريق فر إلى الشرق وقتل عند نهر وادي الطين . وكان أول ما سأل بي إلى قبول هذا الفرض أنني وجدت صاحب مخطوط وصف الأندلس وتاريخه ، وهو أحد الذخائر التي تكشفت عنها خزائن المغرب في السنوات الأخيرة ، وقد سبق أن تحدثت عنه في كتاب « تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » ثم في بحث نشر في هذه الصحيفة تحت عنوان : وصف جديد لقرطبة الإسلامية^(١) وقلت إننا مع جهلنا باسم مؤلف هذا الكتاب وعصره إلا أننا نعتقد أن هذا المؤلف اعتمد في القسم الجغرافي من كتابه على وصف الرازي للأندلس و« ترصيح الأخبار » لأحمد بن عمر بن أنس العلوي^(٢) ، أما في القسم التاريخي منه فعلمناه الأصلي على أحمد بن محمد الرازي وهو يشير إليه دائماً بقوله : « قال صاحب التاريخ » ، وقد درست ما يقوله عن فتح الأندلس فوجدته مطابقاً إلى حد كبير لما لدينا من فقرات نص الرازي وترجمته البرتغالية والإسبانية ، وسأني بالنظمة الحامية بالفتح منه ذبلاً على هذا البحث ، ولكنني اجتزأء هنا بالفقرة التي تتحدث عن موت لطريق ، وهي : « وفر لطريق ، فأحركه المسلمون بوادي الطين ، فقتل هو ومن كان معه . وقيل إنه غرق في

(١) انظر : حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ٥٩٦ وما يليها و« وصف جديد لقرطبة الإسلامية » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢) ، العدد ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦) ص ١٦١ وما يليها .
 (٢) نشر قطعاً منه معهد الدراسات الإسلامية في مدريد بعنوان « تصوص عن الأندلس » بتحقيق د . عبد العزيز الأمازيغ ، مدريد

النهر لأن النجاز كان وعمراً ، وفرت الروم وقد قفلوا لطريق ، ووجد خفه في
النهر ، وصار طريق إلى قرطبة .

وهذا النص واضح في القول بأن لطريق فر من معركة شقونة وأن
المسلمون أدركوه عند وادي الطين ، فلما أراد العبور لم يستطيع وعرق في الماء
ووجد المسلمون خفه في الماء .

ولا ذكر هنا للسواقي أو السواقي ، أي لا عمل تذكر Sagoyac التي طالما
حيرت الباحثين ، ولكن إحدى صور ذلك اللفظ في مخطوطات الترجمة
البرتغالية تؤيد القول بأن صوت الرجل كان عند وادي الطين ، فهي تسميه
Sagoyaca أو Sagoyaca وهو اسم هذا النهر قبل أن يسميه العرب وادي
الطين .

ويؤيد هذا الرأي نص فريد في بابيه وجدته عند مطالعي لكتاب تاريخ
إفريقية والمغرب المنسوب إلى إبراهيم الرقيق الذي نشره السيد المنجي الكمي
في تونس سنة ١٩٦٨ وقال إنه قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب لأبي إسحاق
إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني ، الأديب الكاتب الشاعر الذي
تولى ديوان الإنشاء لتصير الدولة ببلاد بن أبي الفتح المنصور (٣٨٦ -
٤٠٦ / ٩٩٦ - ١٠١٥) ثالث الأمراء من بيت بني زيري الصنهاجيين في إفريقية
لم لاينه المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣ / ١٠١٥ - ١٠٦٢) إذ إنه توفي بعيد
سنة ٤١٧ / ١٠٢٦ بعد عمر طويل حافل بالعمل والتكليف والمع والرحلات .

وقد كنا من زمن طويل نتظر العثور على كتاب الرقيق هذا في تاريخ بلاد
إفريقية ، وقد ثبتت هذه الأمانة من أكثر من ربع قرن عندما كتبت أحد بحثي
عن « فتح العرب للمغرب » (نشر سنة ١٩٤٧) ، فقد قلت في الفصل
الأخير من ذلك الكتاب وهو الخامس بالمراجع إن تاريخ الرقيق مرجع هام
اعتمد عليه كل من ابن الأثير وابن عسار والتميمي وغيرهم ممن كتب بعد
القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وقلت إننا لو عثرنا عليه

لخصنا على أصل لا تقدر قيمته عن تأريخ المغرب الإسلامي كله ، وقلت في كلامي عن القطعة الخاصة بتأريخ المغرب من نهاية الأرب للسنوسي (ص ٣١٠ من فتح المغرب للمغرب) إنه كان هناك كتاب في مغازي إفريقية للواقدي يرد ذكره عند البلاذري وأبي عبيد البكري ثم اختفى بعد ذلك فلم يعد أحد من مؤرخي القرن السادس وما بعده يذكره إلا نادراً .

وقلت كذلك إن الواقدي يعتمد في الكثير مما يورد من أخبار فتح إفريقية على رجل يسمى المسور بن غرمة بن نوفل الزهري « اشرك في فتح المغرب وروى أخبار ما رأى ، وأخذ عنه الواقدي ، وقد أكد لي حسن حسني عبد الوهاب أن مغازي الواقدي هذا كان من المراجع الأساسية التي اعتمد عليها إبراهيم الرقيق ومحمد بن يوسف الوراق وأبو بكر المالبي من أهل المغرب اللذين كتبوا في تأريخ بلادهم ، وقد حلت مؤلفات هؤلاء على مغازي الواقدي الخاص بالمغرب ، ولهذا حمل امره واختفى . ومن القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي نجد أن هذه الأصول المغربية إلى جانب فتح عبد الرحمن بن عبد الحكم قد أصبحت هي الأصول الرئيسية التي يأخذ عنها الناس تأريخ المغرب والأندلس » .

والقطعة التي بين أيدينا من التاريخ المنسوب إلى الرقيق تؤيد هذا القول ، فهي تنقل عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المصنف وعن يوسف بن هشام وعمر بن سهل ، فأما أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٩٥ - ٧١٤/١٦١ - ٧٧٧) فلا شك في أنه كان من أعلام أهل إفريقية ومن كبار رجال الفقه فيها في عصر الخلافة ، وأما يوسف بن هشام فهو نفسه يقول إن جده كان من خاصة موسى وأصحابه ، وكذلك كان عمر بن سهل من موالى موسى ، وموالى موسى كانوا مغاربة وأندلسيين ولهم شأن عظيم في تاريخ المغرب حتى نهاية العصر الأغلبي . فنحن هنا أمام رواية من أصل المغرب من أصلها الأصيل التي يروونها بالتواتر أو كتبوا بعض ما وصل إليهم ، ثم تجمع ذلك كله في المؤلفات الأولى التي كتبها أهل المغرب عن

تاريخ بلادهم وعلى رأسهم أبو العرب نعيم وأبو بكر المالكي وإبراهيم الرقيق
ومحمد بن يوسف الوراق .

ولكن قطعنا هذه تذكر أخباراً كثيرة مقدّمة لها بعبارة « قال » فحسب ،
وهذا هو ما تجده في بداية القطعة الخاصة بفتح الأندلس ، والأخبار التي يرويها
بعد ذلك لا تشبه في شيء ما لدينا من الأخبار التقليدية عن فتح الأندلس ، فمن
هو صاحبها ؟ إنها تختلف عن أخبار ابن عبد الحكم وابن الفوطي وه الأخبار
المجموعة ، و« فتح الأندلس » وغيرها مما نعتبره أقدم ما لدينا وأولاه بالثقة في
رواية أخبار فتوح المغرب والأندلس ، ولكن عليها رغم ذلك طابع الأصالة
وخاصة فيما يتصل بعلاقات أهل طنجة بقوات طارق بن زياد التي عسكرت
فيها ، وما كان لذلك من أثر في فتح الأندلس . والقطعة تمطي صورة جديدة
للإيوان (تسمية الأيبان) وحقيقة علاقته بلقرين من ناحية وبالعرب من ناحية
أخرى .

ونحن لا نستطيع القول بأن هذه هي رواية الواقدي التي ضاعت خلفه
لقرات والتباسات في الكتب التي ألفت بعد ذلك . ويجدير بالذكر أن ابن
عذارى عندما ذكر مراجعته في مقدمته لم يذكر الواقدي من بينها مع أنه يروي
له أخباراً في صلب تاريخه . وواضح أنه أخذ عبارات الواقدي تلك عن مراجع
ألفت بعد ذلك واعتمدت عليه ، وأهمها فيما يخصنا هنا : مختصر حروب بن
سعد القرطبي^(١) وتاريخ إفريقية والمغرب لإبراهيم الرقيق^(٢) وكتاب العبر لأبي

(١) حروب بن سعد القرطبي (ت ٩٨١/٣٧٠) انظر عنه تاريخ الفكر الأندلسي بدرجنا
(القفوس) . وموسى برويس ص ٨٨ - ٨٩ والقطعة التي كتبها جوزي لكتاب إيوان المغرب
لأسن صلفوري وجعلها دراسة لمسؤولي المغرب والأندلس وهي منشورة
باسم Introduction de Boyer ، وانظر كذلك فتح الطيب للمصري ٢٧٥/٢ و ١٣١/٢ و ١٨٢
من طبعة عبي الدين عبد الحميد . وقد سبق أن قطعنا عن مختصر حروب لتاريخ الطبري .

(٢) انظر - من أي إسحاق إبراهيم الرقيق القطعة الشاملة التي سماها النبي الكمي . بين يدي
تحقيق للقطعة التي نسيها إليه ، وهي موضوع حديثنا هنا . وانظر كذلك مقدمة كتاب « نسط
السرور » وصف الحمور » من تأليفه . وقد كتب هذه المقدمة تحقيق الكتاب .

بكر أحمد بن سعيد بن أبي القياض الأسخي (ت ١٠٦٦/٤٥٦)^(١) وكتاب
 الذيل لمحمد بن شرف القيرواني^(٢) وتاريخ الأندلس لأحمد بن محمد الرازي^(٣)
 والغنيس في تاريخ الأندلس لأبي مروان بن حبان^(٤) وتاريخ إفريقية لمحمد بن
 يوسف الوراق الكاتب . وهذه في رأينا هي الكتب التي تتساوى في الأصالة
 والأهمية ، وأصحابها باستثناء أحمد بن محمد الرازي أبناء عصر واحد تقريباً
 والمغاربة منهم (إبراهيم الرقيق ومحمد بن يوسف الوراق ومحمد بن شرف
 القيرواني يتعاملون في القيمة والمسوى ، ويحتمل جداً أن تكون القطعة التي
 نشرها الاستاذ المنجي الكعبي من تأليف أبي واحد من هؤلاء . ولقد أداه
 اجتهاده إلى القطع بنسبتها إلى إبراهيم الرقيق ، ونحن لا نملك دليلاً يثبت
 من تأكيد هذا القول أو نفيه . فترك هذه النسبة لصاحبها على مسؤوليته إلى
 أن تصل إلى أيدينا براهن أنصح عما بأيدينا اليوم .

كأنك هذا وإنما أعلم أن الأستاذ الدكتور محمد الطائي كتب بحثاً تمتعاً في
 « كراسات تونس » التي تصدرها كلية الآداب في الجامعة التونسية أنكر فيها
 صحة نسبة هذه القطعة إلى إبراهيم الرقيق ، وبذلك جهداً مشكوراً في مقارنة
 نص هذه القطعة إلى ابن عذاري فيما يتعلق بحوادث الفتح ، ولاحظ أن
 أسلوب القطعة وكيف في بعض الأحيان وغير واضح في أحيان أخرى ، وهو
 لهذا يستبعد أن يكون هذا هو أسلوب إبراهيم الرقيق الكاتب الأديب

(١) عن ابن أبي القياض انظر كتابنا « الجغرافية والجغرافيون في الأندلس » ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) المرجع في رأي د . محمود مكي أن المراد هنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف القيرواني
 سنة ١١٣٩/٥٣٤ وهو من مواليد مدينة سوسة في شرق الأندلس ، وهو ابن الأديب الأندلسي
 أبي عبد الله محمد بن شرف الذي ترجم له ابن بسام في المغتربة (لحم ٤ - ١٣٣/١ - ١٨٦) .
 وعن أبي الفضل جعفر المراد هنا انظر المغرب لابن سعيد بتحقيق شوقي ص ٢٠٧/٢
 والمراجع للمطالع هناك .

(٣) عن أحمد بن محمد الرازي ، انظر كتابنا « الجغرافية والجغرافيون » ص ٥٦ وما بعدها .

(٤) عن ابن حبان انظر المقدمة التوجيهية التي سلفها د . محمود مكي بين يدي تحقيقه للقطعة من
 الغنيس لتشكل جزءاً من عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط وعصر الأمير محمد ،
 القاهرة ١٩٧١ ، ولقار كذلك تاريخ الفكر الأندلسي ، القاهرة .

الشاعر ، ثم إن الطائي عثر في تلك القطعة على بعض التفاصيل الخاصة بحياة القاضي أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن قنم (١٢٨ - ٧٤٥/١٩٦ - ٨١١) موجودة في كتاب رياض الضموس للمالكي المشوق بعد سنة ١٠٦١/٤٥٢ و « مدارك » القاضي عياض المشوق سنة ١١٤٩/٥٢٤ وأشيعد أن يكون هذان قد نقلوا عن إبراهيم الرقيق ، وقال إن العكس هو الممكن ، أي أن يكون صاحب القطعة التي نشرها المتبحر الكمي قد نقل عن هذين القتيبين المؤرخين . ولا نندي لماذا يستبعد الطائي أن يكون المالكي قد أخذ عن الرقيق دون أن يشير إلى ذلك ، أو لماذا لا يكون الإثنين قد أخذوا عن أصل واحد ؟

ويده المناسبة هل في أن ألاحظ أن د . الطائي كان قاسياً القسوة كلها في نقده لعمل السيد المتبحر الكمي فقد اتهمه بالجهل والتسرع وقلة الضبط ، ثم زاد فرماه بأنه نسب هذه القطعة إلى الرقيق إلتباساً لرواج الكتاب بنسبه إلى الرقيق ، واعتقد أن الطائي لو راجع نفسه لوجد أنه جاوز الحد في العطف ، فما عسى أن يكسبه إنسان من نشر قطعة من كتاب إبراهيم الرقيق حتى يدفعه ذلك إلى التدليس ؟ وما عسى أن يبيع من نسخ هذا الكتاب ؟ ولهذا قرأنا نرجوه شيئاً من الرقيق في نقد أهل البحث فهو لنرى من غيرهم بقلة جزاء العاملين على العلم في بلدنا وليس من الإنصاف أن نقسو عليهم ونحن زملاؤهم وشركائهم في قلة الجزاء .

قيمة هذا النص المنسوب إلى الرقيق بالنسبة لتاريخ الأندلس

وقد حكم محمد الطائي على هذه القطعة المنسوبة إلى الرقيق بأنها لا قيمة لها ولا تعطينا حداً يبدأ يتناسب مع ما كنا نتظره من إبراهيم الرقيق وقال :

En resumé, l'ouvrage de N. (= attribué à Ibrahim AL-Rakîk) ne présente aucun de ces avantages substantiels que l'on se plaît généralement à attribuer à l'historien d'Ibn AL-Ruqqî. Sa valeur informative, tout compte fait, avec son apport certes, mais aussi avec ses omissions, ses confusions et ses incohérences, ne franchit pas, pour le moins que l'on puisse dire, sur

non scates classiques¹¹.

ولكن هذه القطعة تقدم لنا لحسن الحظ مادة طيبة وعظيمة القيمة في أكثر من موضع رغم إنكار د. الطالبي نسبتها إلى الرقيق، وإذا كانت قيمة مادتها فيما يتصل بأحداث فتح العرب للمغرب قد بدت له مألوفة ومعروفة بالنسب في ذلك فيما نرى أننا درسنا هذا الفتح دراسة شاملة في كتابنا عنه بحيث لم نترك فيه غامضاً، ووقع في ظن الناس أن كل تفاصيل هذا الفتح معروفة كل المعرفة وخاصة بعد أن أضفنا إلى ذلك ترجمتنا للدراسة القيمة التي قدم بها لفي برونسفال للنص عبدهة بن صالح عن فتح المغرب. وتحقق هذا النص منسوب إلى لفي برونسفال، ولكنه ترجمه فحسب إلى الفرنسية أما تحقيق النص ونشره فقد قمنا به نحن وعطفنا عليه في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد.

ولكن الأمر جد مختلف فيما يتصل بفتح الأندلس ، فلما زال الغموض يكتشف الكثير من التفاصيل رغم كثرة الأبحاث التي دارت حول هذا الموضوع .

هنا تقدم لنا القطعة التي نشرها السيد المنجي الكمي شيئاً جديداً فعلاً ، فإن رواية النص الجديد لأخبار فتح الأندلس تختلف كل الاختلاف عن كل ما لدينا في أكثر من موضع . وهذا الاختلاف يدعونا إلى أن نعيد النظر في الكثير مما لدينا من المعلومات عن فتح ذلك القطر الكبير . ولو أننا عرفنا مؤلف الكتاب ورواه معرفة صحيحة لزاد ذلك في قيمة المعلومات التي يقدمها . ولا بد أن نقرر أننا إذا كنا لا زلنا نتردد في قبول نسبة القطعة إلى إبراهيم الرقيق فإننا نقرر في نفس الوقت أنها قطعة من كتاب أصيل ذي قيمة تاريخية كبيرة ، وحتى إذا تبين أنها لمؤلف من عصر متأخر - مثل عصر ابن عبدلوي مثلاً - (كما

Mohamed Tabi, Un nouveau fragment de L'histoire de L'Occident Musulman L'Ispah ١) que d'AL-Kabirah. Extrait des cahiers de Tunisie , tome XIX, 1971, no. 73-74, p. 51.

يقول د. الطائي (فإِنَّ ذلك لا يشيها ، وها هو تلويح ابن عشارى نفسه بخبر
وعلم تأخر زمانه من أمهات مصاعرتنا وأولاهما بالغة .

وسأورد فيما يلي ما ورد في هذه القطعة عن فتح الأندلس ليطلع عليه أهل
العناية بذلك الشأن ، ثم أعلق عليه بما يوضح ما ورد فيه من معلومات وما
يمتاز به من جديد .

ولا بد أن أتبه إلى أن تحقيق السيد النجى الكعبي في هذا الجزء بالذات
من النص الذي تفضل بشره يحتاج إلى تصويب ومراجعة وإعادة نظر ، ومن ثم
المراسح أن عبرته بعمل التحقيق قليلة ومعلوماته عن الأندلس أقل ، ومن ثم
قد لاحظت في النص المنشور ما يقتضي التصويب والتعديل ، ففقت بذلك
منهياً إلى ذلك في كل حالة . وأرجو أن يحصل السيد النجى الكعبي ما أهديه
من الملاحظات على أحسن المحامل ، فأنا مقدر جهده معترف بفضلته وعاروف
بصعوبة الإقبال على مثل هذا العمل ، والتجربة بعد قليلة وميدان التجويد
وإتقان الصنعة بعد ذلك أمامه طويلاً .

ولاية موسى بن نصير^(١)

وكتب الوليد بن عبد الملك - رحمه الله - إلى عبد العزيز بن مروان^(٢) يأمره
بأن يوجه إلى إفريقية موسى بن نصير من قبيل الوليد ولطخ إفريقية عن
عبد العزيز^(٣) .

(١) ص ٦٨ من الطوخ . ولم يحدد التاريخ دائماً ما يقلل صفحات المخطوط كما حوت العادة .

(٢) علق الطوخ على هذا الاسم بقوله : كذا في الأصل وهو خطأ ، وإنما هو عبد الله بن
مروان كما عهد في البيان ٤١/١ فقترنا الأخرى .

واللاحظت كتاباً مماثلة وابن عشارى نفسه أيضاً هنا . لأن عبد الله بن عبد الملك بن مروان
الذي خلف عبد العزيز بن مروان في ولاية مصر في .جانين الأولى سنة ٨٦ كان أمأ الوليد بن
عبد الملك . وكان موسى بن نصير في ذلك التاريخ قائماً على إفريقية والقرن .بالفعل منذ
عام (٧٠٤/٥٠) فلم يكن هناك ما يدعو إلى تعيينه من جديد .

(٣) توفي عبد العزيز بن مروان قبل وفاة عبد الملك بن مروان ، فلم يكن قائماً على مصر عندما
تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك . الخطأ هنا من ابن عشارى .

فقدمها موسى فوجد أكثر مدنها خالية باختلاف أيدي السير عليها ، فكان ينقل العجم من الأقصى إلى^(٦٩) .

قال : إن كتيسة كانت بشفيلوبية^(٧٠) كان فيها عجب . . . منها مرآة في سلطان الروم ، فلما اتهم الرجل امرأته [فنظر إلى]^(٧١) المرآة فرأى للبتل بالمرآة . وكانت البربر قد تنصرت . فكان رجل بربري قد أظهر اجتهاداً في النصرانية حتى صار شماساً . واتهم رجل امرأته ، فنظر في المرآة فإذا هو بوجه الرجل البربري الشماس . فدعا به الملك فقطع أنه وطرده من الكتيسة ، فلما رأى ذلك قومه طرقتوا المرآة فكسروها ، وأرسل الملك إلى حبيهم لاستياعه

ويخرج موسى من إفريقيا غزانياً إلى طنجة ، فوجد البربر قد هربوا من المغرب خوفاً من العرب ، فقتلهم ، وفتنهم ، وقتلهم قتلاً فاحشاً ، ومضى منهم سبباً

(٦٩) العبارة موجودة أيضاً عند ابن خلدون (٢٢٠/٦) قال : « ولقد موسى بن نصير الخيرواني وأبياً على إفريقيا ، ورأى ما فيها من الخلل ، وكان ينقل العجم من الأقصى إلى الأدنى ، وأكثن في السير ويخرج المغرب ، وكفى إليه البربر الطاعة ولقد لسننا هذه العبارة في يدانا ، والتنظيم الإداري والذلي لإفريقية والمغرب في عصر الولاة ، صحيفة كلية الآداب بجامعة الكويت ، ج ١ ، ١٩٦٣ ص ٨٩ بقرائنا : فبدأ موسى بإخراج الروم من المدن والسواحي الداخلية ، وإسكانهم فيما قرب من مراكز الحكم .

كما عبارة : « فوجد أكثر مدنها خالية (باختلاف أيدي السير عليها) الواردة هنا مسبوقة أيضاً عند ابن خلدون (٢١١/٦) قال : وكانت أكثر مدن إفريقية خالية باختلاف السير عليها ، وقد طسروا في نفس البحث ص ٨٧ مسود ٢ شوبلي : وأظن أن المراد أن تُعظم البلاد حلت من العمال لأن البربر الذين أسلموا لتأسيس البلاد فيما بينهم وتنازعوا في ذلك ، ووقعت الحروب فيما بينهم واختلفت أيديهم عليها ولم يجد للمغرب عليها سلطان أي أن صحة قراءة العبارة (وعلقت أكثر البلاد (من المغرب والعمال) خاضعاً لموسى إلى إعلان الحرب عليهم فأضحى في البربر ويخرج المغرب ، وكفى إليه البربر الطاعة كما يقول ابن خلدون (٢٢٠/٦) .

(٧٠) عن السيد المنجي الكعبي على هذا اللفظ بقوله : « شمبارة (مالم) مقبلة بيزنطية متعاماً والكاف الخالية ، وصحة اللفظ شيفيلوبية وقد أتينا برصيحها عند البيزنطيين Saca Vasca وغيرها بما في ذلك العرب للمغرب » ص ٢٦٥ .

(٧١) تركه الشاعر مسويج الكنديين أيضاً . فقرأنا عند ابن خلدون بين حواصير واستقام السباق . وأعتقد أن الأمر احتفظ عليه لأنه رسم اللفظ عند الفراعنة . والمرأة ، ولو قرأه المرء ، لاستقام في السباق .

كثيراً ، حتى بلغ الموسم الأدنى لا يداقعه أحد . فلما رأى الزبير ما حصل لهم استأمنوا وأدوا الطاعة ، فقبل منهم ورضي عليهم والياً .

ثم استعمل موسى بن نصير على طليحة طارقاً بن زياد مولاه ، وتركه بها في سبعة وعشرين رجلاً من العرب والتي عشر ألف فارس ، وهي العدة التي جعلها عليهم حسان بن النعمان^(١) . وكانوا قد دخلوا الإسلام وحسن إسلامهم فتركهم موسى وانصرف بعسكره من العرب خاصة ، وأسر العرب السبعة والعشرين الذين ترك عند طارق بن زياد أن يعلموا الجرايم القرآن ويفقهوم في الدين .

لم يضي إلى إفريقية فسر بللعة بجناد^(٢) ، واتحضر صاحبها منه ، فرأى موسى بن نصير فلم يعرض له ، فلما نزل القيروان دعا بشر بن أرطاة فعقد [له] حل أخته الخليل ، وأمره أن يمضي إلى صاحب بللعة

(١) العبارة الواردة عند ابن عسار (١٢/١) بخلاف : . . . واستعمل موسى طارقاً على طليحة وما والاه في سبعة عشر ألفاً من العرب والتي عشر ألفاً من السير ، وأسر العرب أن يعلموا الجرايم القرآن وأن يفقهوم في الدين ، ثم مضى موسى فقللاً إلى إفريقية .

ووجه ابن عسار في تصحيح العبارة في نهاية نفس الصفحة : « وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن وشرايع الإسلام » .
وإن عساراً يجعل عند العرب ٢٧ ألفاً (٢٢٠/٦) .

لها هي عند العرب التي تركهم موسى بطليحة : ٢٧ أو ١٧ ألفاً أو ٢٧ ألفاً +
ماف كان قد ترك ١٧ ألفاً أو ٢٧ ألفاً فهي حامية . وإذا كان له ترك ٢٧ رجلاً فهم معلّمون القرآن والإسلام .

وقد حلّق للمضي الكمي على هذه العبارة بقوله : في البيان ، للتوضيح السابق من ١ نزل الأخير : حلية بن داغ وهو خطأ .

وأظن أن ابن عسار لم يخطئ . وأرجو السيد الكمي أن يحدد لغزات العبارة ليرى أنها صواب .

(٢) ذكر البكري عبارة وقال إنها على الطريق من فارس إلى القيروان وهي الكلمة الشاذة على بلطية . وقد تصدق البكري أيضاً حين فتح بصرى بن أبي لؤلؤة لها ، من ١٤٥ . والأصح في اسم الرجل ستر لا مشر .

(٣) وضعت مكان الرياضات لفظاً يحدد الكلمات بحسب ما ذكر السيد النبي الكمي ، وكل ثلاث لفظ تعديل كلمة .

جناة ، فلما أتاه عليهم عظم عليهم أمر القتال . ونظر الروم من العرب صبراً لم يُر مثله قط ، فعلاهم ذلك رجياً ، فالتفوا بأيديهم ، فدخلوها ، فقتل الحفائط وسمى القرية ، وغنم منها أموالاً كثيرة ، فكانت تسمى باسمه قلعة بشر ، لا تعرف إلا به ، لأنه هو الذي اقتنحها ، فأصاب عبداً من ولاند ورومضاء وذهباً وفضة ، فحُسن ذلك ، وبعث بالخمس إلى موسى بن نصير وبعث موسى الخمس إلى الوليد ، فكانت قيمة ذلك الخمس عشرين ألف دينار .

فتح الأندلس (٥)

١ - [طارق والحامية البربرية في طنجة]

قال : وتعامل أصحاب طارق بن زياد ، عامل موسى بن نصير بطنجة ، على أهل البلد ، وأسأموا إليهم ، وجاروا عليهم ، فكتبوا إلى أهل الأندلس يعرفونهم بما يلقونه من جهة البربر وسوء سيرتهم .

٢ - [أليان]

فكان طارق يوماً بطنجة إذ طلعت سراكب ، فأمكن لها المسلمين فلما أُرست خرجوا إليها ، وأنزلوا أهلها ، فقال أهلها : إنا إليكم جئنا حامدين ، فإذا هم يعظمون غلاماً حديثاً منهم يقال له أليان ، فقال له طارق : ما جاء بك ؟ فقال : أنا ابن ملك الأندلس^(١) ، وليس بينك وبينها إلا هذا [الزقاق

(٥) من هنا لمساعدة نست النص إلى لغزات أعطوها أرقاماً وبعثت بعضها حثارين ليهبل العليل عليه .

(١) عقل السيد للشيخ الكمي على ذلك بقوله (من ٧٠ هـ ١) : وهذا إطلاق ما اجتمعت عليه المراجع من أن أليان هو ملك الأندلس .

والذي تعرفه أن واحداً من المراجع لم يقل إن أليان ملك الأندلس ، فمن أين يدعى أن ذلك ؟

وقد ورد في الخبر بتفصيل أقل عند ابن طيار ٦/٢ رواية عن يحيى بن محمد بن ولد أبي الهاجر في كتابه .

وأشار [١١] إلى جبالها بربه إنها . قال طارق : ما جاء بك ؟ فقال له : إن أبي مات . ووثب على مملكتنا بطريق يقال له الطريق ، وبلغني أمركم ، ووجئت إليكم أدعوكم إليها ، وأكون دليلكم عليها [١٢] .

٣ - [عبور طارق]

ومع طارق اثنا عشر ألفاً من اليرير . فعزم طارق على غزو الأندلس ، واستنصر اليرير . فجعل ألبيان يجعل اليرير في سراكب التجار التي تختلف إلى الأندلس ، ولا يشعر بهم أهل الأندلس ، ولا يظنون إلا أنها تختلف مثل ما كانت تختلف به من معاشهم ومناجرهم ، فجعل ينقلهم فوجاً فوجاً إلى الأندلس . وقد تقدم ألبيان إلى أصحاب المراكب ألا يعلموا بهم ، وقال لقومه : إني تولفت لكم ، فاعلموا أنها دولة العرب ، وهم يملكون الأندلس ، ودعاهم إلى أن يأخذوا نصيبهم منها ، فأعجبهم ذلك ورغبوا فيه ، وكتب لهم طارق بالأمان على أنفسهم وقرابهم وأموالهم . فلما لم يبق لهم إلا فرج واحد [١٣] ركب طارق ومن بقي معه ، فجاز إلى أصحابه ، فنزل بهم جبلاً من جبال الأندلس حريزاً منها ، فسمي ذلك الجبل من يومئذ جبل طارق ، فلا يعلم إلا به [١٤] .

٤ - [اللقاء بين الطريق والمسلمين]

وموسى بن نصير بالمرومية لا يعلم شيئاً من هذا ، فلما بلغ ملوك الأندلس خبره نفروا إلى الملك الأعظم ، وهو الطريق ، وكان طامعاً في جموع عظيمة

(١) ذكر المصنف الكوفي أن هذا حرفاً يشتر ثلاث كلمات فأكتفبه بين حواصر السباق . وقد أخذت لفظ الطريق من كلام علي بن سعيد عند الخري . فتح . (تحقيق إحسان عباس) ١٤٥/١ .

(٢) مراجعة هذه الفقرة مع ما ورد عند ابن عسار ٦/٢ استطوع القول إنها مقبولة أو مشكولة من كتاب عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر .

(٣) للطوح . لوح وصحة فرج السباق ، وراجع ابن عسار ٦/٢ .

(٤) هذه القطعة مقبولة من الواقدي برواية أحمد بن محمد الرازي . انظر ابن عسار ٦/٢ (القرة الأولى) .

على دين النصرانية ، وزحف إلى طارق في عدة عظيمة ، [فدعا]^(١) سيرير
مكثلي بالندو والياقوت ، فشد السيرير على [يغلين]^(٢) ، وحفت به الرجال ،
وقعد للريق على سريره ، وعلى رأسه تاج ، وعليه فضازان مكثلان بالندو
والياقوت وجميع الخلية التي يلبسها اللثوك قبله ، فلما انتهى إلى الجبل الذي فيه
طارق خرج إليه طارق وجميع أصحابه وجالته ليس فيهم راكب ، فضمروا
للصوت ، فقال لرجالته : ليس هم أحق باليوت منكم ، فشد وغلوا عليكم
بلادكم ! . ونادى بالنزول .

فنزول العسكر . . . فمشى بعضهم إلى بعض بالسلاح ، قاتلتوا قتالاً
شديداً ، فوقع الصبر حتى ظن الناس أنه القناه ، وتواخذوا بالأيدي ، وضرب
الله عز وجل وجوه أعدائه ، فانهزموا . وأترك للريق قتل بوادي الطين .

وركب [المسلمون]^(٣) آثارهم ، وكان الجبل وعمراً ، فكان السيرير أسرع
منهم على أقدامهم . فسبقوهم إلى خيلهم ، فركبوا^(٤) خيلهم السيرير ،
ووضعوا فيهم السيف وأبادوهم ، ولم يتركوا عنهم السيف ثلاثة أيام
ولياليها^(٥) .

(١) المطروح (ص ٧٤) ، وما سيرير ، وفوق وما رقم تعاقب ، والمعلق بشول : موضوع كلمة
ساروقية . فإذا كانت ساروقية لمن أين أي المعلق بـ (وما) ؟ والصحيح الذي يستقيم به
السبيل - هو: قطع ما بذلك - ودها أو فدعا .

(٢) المؤلف يروي ما من نفس المصدر الذي أخذ عنه ابن عذارى في هذا الموضع ، وهو كتاب
عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر ، وحدثه في هذا الموضع على يغلين بمسأله (ابن
عذارى ، ٧/٢) .

(٣) أصحها هذه الكلمة السياق . والخصة في الأصل بدون فاعلها .
(٤) كذا في الأصل وهو خطأ لأن في الظاهر من الاستعلاء .

وأخطأ كنهه في النص حذوته . . . ظاهري على القول بأن الأسلوب ركبت وكذا الكتاب لا
يعرف العربية معرفة جيدة ، ومن ثم فليس هو إبراهيم الرقيق . وواقع الحال أن أخطاء كنهه
تبع من التاميين والمطليين والمسلمين .

(٥) المؤلف هنا يتابع كلام عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر - قالون هذا مرة عند ابن
عذارى ٧ - ٢ .

٥ - [فتح قرطبة]

فمكثت جيفهم دعراً . وطبت عظامهم إلى حديث من الزمان ، وأمر طارق فرسان المسلمين أن يسبقوهم إلى قرطبة ، فأثروها وقد وقف المسلمون حولها لقتلوهم ، فمكثت قرطبة مدينة للبريق^(١)

ودخل طارق قرطبة فأصاب فيها من الدر والياقوت والذهب والفضة ما لم يجمع مثله قط ، وأصاب من الحرير . . . والتساء والفولاني ما لا يحصى ولا يعد . فمكثت جملة السبي عشرة آلاف رأس^(٢) ، وذلك سنة اثنين وتسعين^(٣) .

٦ - [عبود موسى]

وبلغ موسى بن نصير أن طارقاً بن زياد فتح الأندلس ودخلها ، فخاف أن يحظى بذلك عند الخليفة ، فغضب غضباً شديداً ، وكتب إليه يعنه إذ دخلها بغير أمره ، وأمره ألا يجاوز قرطبة ، وأمر موسى الناس بالرحيل ، ورحل معه وجوه العرب . وكان مخرجه في رجب سنة ثلاث وتسعين ، واستخلف على القيروان ولده عباداه وكان أسن ولده .

وسار حتى إذا كان بطليحة عبر البحر منها إلى الخضراء ، وهي على مجاز الأندلس . ففكر طارق أن يخرج إليه من المدينة لكثرة العدو ، فوجه إليه

(١) الرواية هنا فيها شبه كبير من رواية الواقدي (انظر ابن عساري ، ٢ - ٧) وقد أخذها الرازي ولده عنها كثيراً . انظر رواية الرازي كاملة عند القسري (فتح : ٦ ، ٢٥٩ وما بعدها) . والجملة هنا على أي حال ناعمة وربما كان لها . فمكثت قرطبة مدينة للبريق قبل دخول المسلمين

(٢) جندب الأصل - حسين الكافي .

(٣) يفرق العصر هذا القول في فتح قرطبة على يد طارق . والأخيرة على أن الذي فتحها مغرب الرومي أرمته إليها طارق دعوى طريقه إلى طليطلة . انظر : فيسر الأندلس ، ص ٨٠ وما بعدها . وقد ذكرنا الأمر هناك بتفصيل وأينا مكل المراجع .

بالخلف والحاضر والمدايا والجواري وغير ذلك^(١) .

٧ - [موسى ورجاله يغيرون على سقيوما في المغرب الأقصى]

ولما كان موسى بن نصير بطنجة قبل جوازه مال عياض بن عتبة إلى قلعة يقال لها سقيوما ، وكان فيها بقية قلة عتبية ، ومال معه سليمان بن أبي المهاجر وسالاً أن يميل معها ، فكره ذلك وقال : هؤلاء قوم في الطاعة ، فأغلظنا له الكلام حتى يرجع ، فقاتل أهل سقيوما قتالاً شديداً حتى أخذوا لواء من ألوية العرب ، فكانوا يقاتلونهم به حتى تسور عليهم عياض بن عتبة من خلفهم في قلعتهم ، فهاجمهم البربر واشتد القتل عليهم التي دخل عليهم منها عياض ، فسلب القوم وبياعهم . . . إلى اليوم^(٢) . وذكر ابن أبي حسان أن موسى لما فتح سقيوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك : أنه صار لك من سبي سقيوما مائة ألف رأس ، فكتب إليه الوليد : ويحك إني أخضها من بعض كذباتك ، فإن كنت صادقاً فهذا محشر الأمة^(٣) .

(١) وهذا شيء جديد لا يوجد له إلا هنا .

(٢) العبارة من « ويأخروهم . . . إلى اليوم » غير سليمة ، وأظن أن صحها ، بناء على نص أبي عبد السكري من ١١٧ : « فقاتلوا وقتلوا أوربة إلى اليوم » .

(٣) روى ابن عسار في هذا الخبر مختصراً (٤١/١) وهو يسمي الموضع سجومة ، وهذا البكري (من ١١٧) سقيوما ، وهذان التوامتان أصبح مما في النص التسويب إلى الروليل . والخبر كذا مشهور عن الإمامة والساسة لابن عتية (صفحة ٢٦٤) . وقد روى الخبر أيضاً عبيد الله بن صالح (نص جديد ، صفحة ٢٢٤) . وهذه الحفلة كانت في طاعرها انتظامية . ولقد لم يشأ موسى أن يشارك فيها من أول الأمر . وكان هدفها الإحتفال من قلة عتبية من صالح الدين أولعوا به عند تهوره . ولقد فقد تمام بها أولاد عتبية وأوربة ابن أبي المهاجر دينار ولكن الحفلة أيا كانت عملاً سياسياً على كبر جانب من الأهمية إلا أن وجهها كانت متناول لبيعة أوربة . فبما كتبت من لزوم وقتلتهم للسنة سجومة (على عقربة من نفس كتاب يقول البكري) وهي في طلب إقليم طنجة الذي كان إلى ذلك المدين خارجياً عن سلطان المسلمين وإن كانت مخالفاً لهم . فكانت حلة موسى عند قضاء عمل استقلال سرطانية الطنجية وإندما وإشياء ولاها طنجة ، وسقطيل الحديث من ذلك .

فلما وصل موسى إلى قرطبة استجار طارق بابنه عبد العزيز ، فشفع له عند أبيه ، ودخل موسى قرطبة ، فأثناء طارق بن زياد فترضاه وقال : إنما هذا الفتح لك وإنما أنا مولاك . فقبل منه وحفا عنه . فتكاملت بقرطبة الجيوش من العرب والبربر ، فصاروا في خلق عظيم ، فلما رأى موسى بن نصير ذلك دعا بطارق بن زياد فوجهه على أعتة الخيل إلى طليطلة^(١) .

٩ - [فتح مدينة طليطلة^(٢)]

وهي مما يلي الإفرتج . فانتخب له الرجال^(٣) . وسار طارق حتى وقف عليها وأناخ بها ، وبها أشرف الأندلس وأمواهم وخصائهم ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى المتحها ، فأصاب فيها كنوزهم وأمواهم ، وغنم منها من الجواهر ما لا يحصى^(٤) له قيمة . وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود ، عليها السلام ، وكانت من ذهب مكللة بالدر والياقوت وضروب الجواهر .

١٠ - [تاريخ المائدة]

وكان سبب وصولها إلى طليطلة أن الروم أخذوا ما كان في بيت المقدس من مكارم الأثنياء ، عليهم السلام ، حلوها إلى مدينة رومية ، وحمل أساقفة النصارى مائدة سليمان إلى الإسكندرية ، فلما غزا عمرو بن العاص مصر هربوا

- وقد احتفظ الأمر على السيد الشعي الكمي . فيبحث عن مضمونها في « كتب تاريخ الأندلس » كما يقول علم بعدها (المجلد ٧٧ ، حاشي ٢) وهذا طبيعي لأنها ليست في الأندلس أصلاً ، بل في المغرب الأقصى على عهد من ووالده هو المراكبة فبريحيه عن قاس .

(١) لا نجد ما يؤيد هذه الرواية إلا خبر سير واضح عند ابن عبد الحكم (المصنف : ١٩٦٦) صفحة ٣٧٨ .

(٢) هذا المصنف ورد في الأصل .

(٣) الخراف يزيد هنا ما يتراءى أنه من أن موسى القام في قرطبة وأرسل طارقاً لفتح طليطلة . خلافاً لما هو معروف .

(٤) كذا في الأصل ، والأصح هنا : يوجد .

إلى مدينة طرابلس . فلما نزل عمرو ليلة هرب بها الروم إلى قرطاجنة ، فلما دخل المسلمون إفريقية هربوا بها إلى مدينة طليطلة ، ولم يكن لهم صنع منها^(١) . فلما نظر بها طارق نظر إلى عجب لم ير مثله قط ، فأمر بزيارتها ففتح ، وهي مكدلة بالدر والياقوت ، وعمل لها رجلاً غيرها^(٢) ، ونقض بجميع ما معه من الجوهر والأموال إلى موسى . ونظر من المائدة إلى عجب لم ير مثله ، وذلك سنة أربع وتسعين .

فأتى موسى بن نصير شيخ كبير^(٣) قد عصب على حاجبيه من الكبر ، فقال له موسى : من أنت ؟ فقال : رجل من أهل هذه البلاد . قال : ما لنا من العلم عندك ؟ قال : اقتحمت قسوية^(٤) ؟ قال : نعم . قال : فإنكم لا بد أن تنتهوا من هذه البلاد إلى متهاكم !

١١ - [موسى يستكمل فتح الأندلس]

فبعض موسى يفتح مدائن الأندلس مدينة بعد مدينة حتى انتهى إلى مدينة أرسونة ، فإراد لقاء ملك الفرنجة ، فأخذ حشيش الصمصام يلبسهاه وقال : سمعتك أيها الأمير تقول حين فتحت طنجة : لم يكن لعقبة ولا لأبي المهاجر من ينصحبها حتى أتيت أنصحتك اليوم ، فأرجع فقد توفقت بالمسلمين^(٥) .

(١) هذا أيضاً عمر طريف جليل عينا لا تجده عند ابن حبان (فتح الطب ، ٢٧٢/١) الذي بالغنا بأروق عمر عن مائدة سليمان هذه . ولكنها تصدق في الإمامة والسياسة .

(٢) في المصنفات في ساطع ، لأنه واضح من السياق أن طارقاً قطع رجل المائدة ولا ذكر لها هنا .

(٣) هذا الشيخ المذكور في نص عبد الملك بن حبيب من فتح الأندلس . نشره د . محمود علي سكي ذيلاً على مقاله عن مصر وأصول علم الفاروق في الأندلس . ص ١٠٥ . مجلد ١ من القسم الإفريقي .

(٤) هذا الاسم معروف قطعاً ، لأن قسوية في إفريقيا ، وهي تكذب أيضاً بقوة ، تعريب الاسم اللاتيني Caput Vitis .

(٥) خلق للمسيح الكمي على ذلك بقوله (ص ٨١ هامش ١) : أورد هذا الخبر باختلاف ابن الفوطي ، « تاريخ إتحاف الأندلس بط . بيروت ص ١٥٢ » .

وعن يوسف بن هشام قال : كان جدي من خاصة موسى . فأخبرني ، قال : أتينا إلى صمم ، فوجدنا في صدر ذلك الصمم : « أرحموا يا بني إسحاق ، فإني هذا متهاكم ! وإذا سألتكم إلى ماذا ترجعون أخبرتكم أنكم ترجعون إلى الاختلاف في ذات بينكم حتى يضرب بعضكم بعضاً ، وقد علمتم » (١١) .

وذكر عمر بن سهل مولى موسى بن نصير قال : لما أراد موسى الانصراف من ثغر الأندلس وضعت أكنوام الذهب والفضة والجواهر بين يديه ، فأمر بالتهران فأوقدت ، ورسم فيها الجواهر والزمرد والياقوت وغير ذلك ، فإصطب على النار ولم يفرق عزله ، وما تفرق منه تركه . وإن بالمائة فوضعت .

١٣ - [عود إلى الثالثة]

وذكر لموسى شيخ كبير لدها به ، فإذا شيخ قد وقعت حاجباه على عينيه . قال له موسى : أخبرني كم أن عليك من السنين ؟ قال : خمسمائة سنة . قال له موسى : ما هذه المائة ؟ فقال : هذه مائة سليمان بن داود ، عليها السلام ، قال : وكيف وقعت إلى . . . النصرانية عن اليهود قتل عيسى عليه السلام . . . بها إلى بيت المقدس وحلفه بطروش الملك لسردمن البيت ، فحمل عدو الله الذليل من الأندلس (١٢) في مراكب حتى رساه

١ - والبراب أن ذلك ورد في قطعة من الإسطبابة لآبن قيسة كان خطيبان يوماً قد شرهما أولاً على تحليفه لأدريج ابن القزطبية وجعل عنوانها : الرسالة القزطبية . انظر ص ١٥٢ - ١٥٣ . وقد ورد هذا الخبر مع اختلاف يسير في رواية عبد الملك من حبيب مستوراً إلى عبد الحميد بن عبد من مولى موسى بن نصير . انظر مقال د . سكر الألف الفكر ، ص ٢٢٧ .

(١) الخبر وارد نفس السنة عند ابن عسار ، ص ١٧٢ .

(٢) العبارة هنا معصومة إسطراباً شديداً ، والخبر وارد بالتصويل في « فتح الأندلس » لمؤلف مجهول ص ٦٨ و ٦٩ ، وبناء عليه أفرج التصويب العبارة كما يلي :

قال : وكيف وقعت إلى [بلاد] النصرانية ، [قال لما أم] عد اليهود قتل عيسى عليه السلام [حيت النصرانية حيث كانت وجدت حيوياً ومبارك] بها إلى بيت المقدس . وحلف بطروش الملك لسردمن البيت [قزط الأندلس] فحمل عدو الله . . . إلخ .

في بيت المقدس . وغزت التصراعية من كل مكان ، وانقسموا ما في بيت المقدس ، فصار لأهل الأندلس الشراري والمائدة ، وصار لأهل رومية تايوت داوود وعصا موسى ، عليها السلام ، والنوراة وحلة آدم ، عليه السلام ، وصار لأهل قسطنطينية اليافورة ، فقال موسى : وما تلك اليافورة ؟ قال يافورة ذي القرنين التي كان يبتدي بها في الظلمات ، وهذه^(١) أول ما رجع إلى بيت المقدس ، وسيرجع كله^(٢) .

١٤ - [عودة بالقائم]

فاجتاز موسى بالأموال والذهب والفضة والجوهر والمراكب إلى طنجة ، ثم حملها على العجل ، فكانت وسق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة ، تبدل عليها الأزواج في كل مرحلة .

وقبل لرجل من أصحاب موسى يقال له أبو حيد^(٣) : كيف كانت المائدة ؟ قال : كانت من ذهب مشوي بشيء من فضة ملون بحمرة وصفرة ، وكانت مطوية بثلاثة أطواق : طوق من ياقوت وطوق من زمرد وطوق من لؤلؤ . قلت : فما كان يحملها ؟ قال : لما كنا بياخية أفلت بكل الرجل من أهل العسكر [و] قطع فيسده [وجعل بين] الأحبسية ، وإذا من في العسكر [. . . .] موسى بن نصير ، [فقال] حملوا عليه حمائلأ [فحملوا عليه المائدة] ، فما بلغ المرحلة حتى تسخت فوائمه^(٤) . قال^(٥) إن

(١) أي أن هذه اليافورة أول ما رجع إلى بيت المقدس من اللخار . وانظر غامبول أخرى عنها في فتح الأندلس ، ص ١٩ .

(٢) هذه العبارة تدل على أن أصل هذه الأسطورة مسيحي ، فإن كتابها يرجع إلى تعود هذه اللخار إلى بيت المقدس .

(٣) الخبير واره في الإناسة والسياسة ، واسم الرجل هناك حيد الحميد (انظر ملحق ابن القوطية) ، ص ١٥٩ ومراد الحليفة عبد الحميد من حيد الذي ذكره عبد الملك بن حبيب .

(٤) الخبير كله واره في الإناسة والسياسة ، انظر ملحق ابن القوطية (بيروت) ، ص ٥٦ وصيدق الأصل ما مضطرب جداً فاقبتهمت في إكثاله بمسارات من أصل الخبير وضحتها بين حوامر .

وهو وارد أيضاً عند ابن عفرى باعتصار منسوماً إلى قريش (١٣/١) وقد اجبر البحر .

موسى دعا ذلك الشيخ فقال له أين بلدك ؟ فقال : قرطاجنة ، قال موسى : كم أقمتم بها ؟ قال : عمرت به ثلاثمائة سنة وبالأندلس مائتي سنة .

١٥ - [خير قرطاجنة ومن بناها]^(١)

فقال^(٢) كيف كان خير قرطاجنة ومن بناها ؟ قال : قوم من بنية آل عاد الذين هلك نومهم بالريح ، وبقيت بعدهم خراباً ألف عام ، حتى أتى الزمير ابن لاوذ بن تصود الجبار ، فبناها على البناء الأول . ثم احتاج إلى الماء العذب ، فبعث إلى أبيه ، وكان أميراً على الشام ، وعنه على السند واخذ ، وكان ملكه من قرطاجنة إلى الأندلس ، فأرسل إليه أبوه المهندسين ، فهندموا له الماء حتى وصلوا إلى قرطاجنة . قال : وكم كان عمره ؟ قال : سبعمائة سنة .

فارتادوا له مجرى القناة أربعين سنة . وكان لما حفر أساسه وجد حجراً مكتوباً فيه : هذه المدينة صلامة خرابها إذا ظهر فيها الملح . فبينا نحن ذات

= الكعبي هذا الإكباس من الآيات على أن النص الذي نقلوه من تاليف إبراهيم الرقيق . والحجة هنا ليست قاطعة ، لأنه لا يستبعد أن يكون الرقيق وهذا الرجل عند أحد الخبر من الإمامة والسياسة خاصة وأن هذا الجزء من الإمامة والسياسة مأخوذة من كتاب ألفه واحد من آل موسى بن نصير في الفضائل جدهم . ويؤيد ذلك أيضاً أن أخبار موسى مروية هنا على ألسنة رجال من موالٍ بينه أو حنله الذين والنسوة مثل عبد الرحمن بن سالم وابن صخر ويزيد بن سعيد بن مسلم مولى موسى ووالد محمد بن سليمان وغيره من مشايخ عصره وعبد الحميد بن حميد الذي أسس في الإمامة والسياسة عند الحميد من ١٥٤) ويسمى النص المنسوب إلى ابن الرقيق أبو حميد وهو يوصف بأنه من أصحاب موسى (ص ٨٢) وهناك أيضاً يوسف بن هشام وعمر بن سهل مولى موسى بن نصير (ص ٨١) . فنظر عن بعض هؤلاء بحثه . يمكن القول إنه أتقاً .

(٥) الغالب أن الراوي هنا هو نفس أبو حميد عبد الحميد بن حميد .

(٦) الشتران ورثه في الأصل . وهذا الخبر خاص بقرطاجنة إفريقية ، ولكن فيها بله إنشأت كثيرة خاصة إلى موسى وعملاته بطونق وبالسويد وسليمان بن عبد الملك . صارت إبرة استكمالاً لهذه الرواية النسوية إلى الرقيق .

(٧) السائل هنا موسى والراوي هو عبد الله الشيخ الذي يزعم أن عمره ٥٠٠ سنة . ٣٠٠ مئياً في إفريقيا أو ٢٠٠ في الأندلس !

يوم في غدیر قرطاجنة إذ بان الملح على الحجر ، فصدما رحلت إلى هنا .

١٦ - [موسى يولي ابنه عبد العزيز الأندلس]

ثم إن موسى بن نصير ولي على الأندلس ابنه عبد العزيز . ورحل معه حبيبا بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع^(١) . وشخص موسى قاصداً إلى الشام فوصل إلى مدينة القيروان في آخر سنة خمس وتسعين ، فلم يترها ، ونزل منها على مول من القيروان .

١٧ - [موسى في منتهى مجده]

لحكى شيخ من أهل إفريقية [. . .] الحمداني^(٢) : أن موسى بن نصير بعد في مجده ، وجاءه العرب من سائر معه ، ومن خلفه مع ابنه عبد الله يافريقية ، فلما احتفل للجلس قال : قد أصبحت اليوم في ثلاث نعم : قرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين ، قرأ كتاب الوليد بشكره والثناء عليه ، ووصف ما أجرى الله تبارك وتعالى من الفترحات على يديه ، فحمد الله ، فقاموا إليه فهنئوا^(٣) بذلك . ثم قال : قرأ كتاب ابني عبد العزيز ، وصف ما فتح الله [على يديه]^(٤) بعده في الأندلس ، فقاموا إليه فهنئوه . قال : وأما الثالثة فأنا أرىكموها ، وأمر برفع ستر خلفه ، فإذا يهجو فيه جوار غنظفات الألسان ، من

(١) روى ذلك أيضاً ابن عسار (٢٢/١) وانصف : وتراكم معه حبيبا بن أبي عبيدة وزيرا وميثا وكلا ابن عسار وصاحب عبدا النص أيضا فعلة حبيبا بن أبي عبيدة . . . وصحة ابن أبي عبيدة . انظر جعرة الأندلس لابن حزم ، ص ١٧٨ ، ولقد ابن حزم في هذا الموضع أن حبيبا من أبي عبيدة بن حنبل من لفتح هذا هو الذي نقل عبد العزيز بن موسى بن نصير .

(٢) الحبر واردة عند ابن عسار (٢٤/١) بدون سنة . ولكن الخبر السابق عليه (٢٢/١) منسوب إلى الكلب بن سعد ، وهو يقول : لم يسمع قط قال حبيبا موسى بن نصير ، وهذا العبارة واردة في النسخة التي نشرها محمود سكي من تاريخ ابن حبيب .

(٣) تفاصيل الخبر هنا متروكة . وانضمها عند ابن عسار (٢٤/١) وقد صحح للحبر الكعبى لفظ يهجو إلى هجائه وأشار إلى ذلك في التمام ، ولا أرى هذا التصحيح .

(٤) زيادة من ابن عسار (٢٤/١) لا يستلزم مطوعها السياق .

مجلساً إلى ناهد إلى منكسرة^(١) عليهم الخيل والخليل فهين - بذلك ، وعلي ابن
 رباح اللخمي ساكت ، فقال له موسى : يا علي ، مالك لا تتكلم ؟ فقال :
 أصلح الله الأمير ، قد قال القوم ! قال : وقل أنت ! قال : أنا أقول وأنا
 أنصح الناس لك : إنه ما من دار ملكت حبره إلا امتلأت حبره ، ولا انتهى
 شيء إلا رجع . فارجع قيل أن يرجع بك ! قال : فانتكسر موسى ، ثم التفت
 فقال : يا فلان ، جني هؤلاء الجوارى . هذه ، قم . . . يا فلان فخذ
 هذه ، حتى أرقهن كلهن^(٢) .

فأقام بعد عيد الأضحى بقصر الماء^(٣) ثلاثة أيام بمسكرو ثم رحل إلى
 المشرق وبمع طازق ، وقد نقل به ويكل ما أصاب من الأموال والجواهر
 والمائدة ، وخلف علي إفرنجية عيد الله ابنه ، وكان أكبر بنه ، وعمل حفنة
 ابنه عبد الملك^(٤) .

وسار فلما [.] ومر بخربة عادية ومدينة من مدائن الأولين نزل
 فركع ركعتين ، ومشي فيها ، وفكر في معالها وآثارها ، وبكى بكاء كثيراً .

(١) جهاد في لغة العرب (م . كسر) : «رجل كاسر من قوم كسر ، وامرأة كاسيرة من سيرة
 كواسر وكسر ، وشيء مكسور ، وفي حديثه المعين : قد انكسر أي لان وانحسر ، وكل
 شيء هزل لقد انكسر ، يريد أنه صلح لأن ينز . والمركب : طلاء أي صبغة لم يظهر لها شيء
 وانهد أي شابه في مقبل العمر ومنكسرة أي امرأة بالجملة .
 (٢) العبارة فيها اضطراب ونقص ، ولكنها واضحة ، ويمكن إتمامها هكذا :

ثم التفت فقال : يا فلان جني هؤلاء الجوارى ، هذه ، لم [يا فلان وضلعها ، وأنت] يا
 فلان فخذ هذه ، حتى أرقهن جميعاً .

أما ابن حنبل (٤٤١ / ١) فقد أراح نفسه وقال : فانتكسر موسى ، ومرق حواره من حينه على
 الناس .

(٣) قال ابن حنبل في موسى غلبها القرب من القبروان : فلم يدخلها ونزل بقصر الماء ، ثم
 قعد في مجلسه . . . الخ .

(٤) ويخبر من ابن حنبل (٤٤١ / ١) أن ابنه الثالث مروان كان على السوس ، وواجه البراج عبد
 العزيز كان على الأندلس .

ثم إنّه ركب يريد الشام ، فلما كان بالعريش جاء كتاب الوليد يستعجله ، وجاءه كتاب سليمان يأمره بالشرع . وكان سليمان ولي عهده ، وكان الوليد مريضاً يذهب من غوطة دمشق ، فأسرع موسى ولم يتظر في كتاب سليمان ، ودفع الأموال إلى الوليد ، وأهدى إليه القلعة والقر واليقوت .

١٩ - [موسى وطارق أمام الوليد - غضب الوليد على موسى]

ويذكر موسى للوليد أنه الذي أصاب المائدة وفتح طليطلة . فلما رأى ذلك طارق دخل على الوليد وهو مريض [و] أعلمه بالقصة ، وأخبره أن موسى تصدى في أموال المسلمين وأنفقها . فبعث إلى موسى وجمع بيناً بين يديه ، وكذبه موسى ، فقال طارق : يا أمير المؤمنين ، ادع بالمائدة ، وانظر هل ذهب منها شيء ، فدعا بها الوليد ، ونظرها ، فبأنها رجل من أرجلها لا يشبه بقية الأرجل ، فقال له طارق : سله عنها يا أمير المؤمنين ، فإن أعيرك بأسر الرجل ، ولأنا استدلت صدقي على كذبه ، فقال موسى : هكذا وجدتها ، فقال طارق : الرجل عتدي فلما دعا بها ونظرها [و] وضعها في المائدة عليم أنها منها ، فصدقته الوليد وقبل قوله واختاره ، ونزل منه أقرب مما كان ، وكذب موسى وأمر بحجسه ، وأحضر من يعرف قيمة الجوهر ، فقصومت تلك المائدة بمائتي ألف دينار ، ولم يلبث الوليد إلا ثلاثة أيام حتى مات .

٢٠ - [موت الوليد بن عبد الملك . ولاية سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين]^(١)

توفي سلخ جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر .

ويؤرخ لسليمان بن عبد الملك بالخلافة حين توفي الوليد ، فسخط على

(١) هذا العنوان ورد في الأصل .

موسى وقال له : يا يهودي ! كتبت إليك فلم تنظر في كتابي ، هلم مائة ألف !
قال : يا أمير المؤمنين ، قد أعطتم جميع ما في يدي ، فمن أين لي بمائة ألف ؟
فقال لا بد من مائتي ألف ! فاعتذر إليه ، فقال : لا بد من ثلاثمائة ألف ،
وأمر بتعذيبه وعزم على قتله ، فلجأ موسى بن نصير إلى يزيد بن المهلب ،
فاستجار به ، وكانت ليزيد ناحية من سليمان ، فاستوهبه دمه ، فقال : يؤذي
ما عنده .



تلك هي رواية ذلك النص المنسوب إلى إبراهيم بن القاسم الفيرواني
المعروف بالرفيق عن فتح الأندلس ، وقد ائدرجت فيها بعض أخبار فتوح
المغرب وأخبار موسى وطارق بعد عودتهما إلى الشرق ، وهي رواية فيها مشابه
من رواية ابن عساري ، ولكنها تفرق بتفصيلات جديدة علينا وخليفة بأن
تحفزنا على إعادة النظر في بعض حلقات ذلك الفتح الكبير .
وسأكتفي هنا بالإشارة إلى أهم ما في هذه القطعة من جديد .

المسلمون وإقليم طنجة

يلهم من الفقرة أن حامية طارق التي أرسدها موسى في طنجة أسامت إلى
أهل البلد فكتب هؤلاء إلى أهل الأندلس يشكون من هذه المعاملة ويستعينون
- ٣٠ -

وترى من هذه القطعة كذلك أن طارقاً وحاميته كانوا يتخوفون من أهل
الأندلس ، ولهذا فلم يكادوا يرون مراكبة الأندلس قادمة حتى كمنوا لها وهاجروها
فسارع الأندلسيون وأبلغهم أنه إن عادوا إليهم مستعيناً بهم .

ويبدو أن هذا الخبر يلقي ضوءاً على وضع طنجة وإقليمها وعلاقتها
بالمغرب الأقصى والأندلس .

والآراء المختلفة عن وضع هذه الناحية في ذلك الحين تلخص في ثلاثة

احتمالات : فهناك من يقولون : إن طنجة وسبنة وكل ما كان يعرف بولاية مرطانية
الطنجية Mauretania Tingitana كانت تابعة - ولو من الناحية الاسمية - للدولة
البيزنطية ، وإن هذه الناحية كانت بعض ما استعاده جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٠)
عندما نهض لاستعادة ما استولى عليه الشريريون من أراضي الدولة الرومانية .
وهل هذا يتكون المسمى أليان أو يليان حالها بيزنطياً ، وهناك من أعطاه لقب
الأجزوك أو البطريق^(١) .

وهناك من يقولون : إنه زعيم بربري ، كان شيخ قبيلة غمارة .

وهو هو ذلك النص يقول : إن يليان ابن ملك الأندلس ، أي ابن من
أبناء غيطة الذي عقب لطريق عرشه ، ولا نجد في مراجعتنا ما يؤكد هذا
القول ، وهو مستبعد ، لأننا نعرف آل غيطة معرفة جيدة ، وليس في
أخبارهم ما يسمح بالقول بأن غيطة كان له ولد يسمى أليان أو ما يشبه
ذلك الاسم .

ولكن قول النص إنه كان غلاماً حديثاً يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كان
أليان هذا هو نفس يليان الذي لقبه عقبة بن نافع على طنجة قبل ثلاثين
سنة . ألا يمكن أن يكون هذا الحدث أليان ابن يليان القديم الذي لقبه
عقبة ؟ لقد ذهبنا إلى هذا الافتراض في بحث سابق قبل أن نطلع على هذا
النص ، وعن الممكن الآن أن نقول : إن يليان الأول صاحب عقبة كان من
أبناء غيطة وأصحابه ، وهذا اجتهاد في صرف عقبة عن غزو الأندلس
ونصحها بالاتجاه إلى الجنوب ومواصلة غزو البربر وأصبح بعد ذلك حليفاً
للمسلمين معاهدتاً لهم . فلما وثب لطريق بغيطة وأولاده وأصله ، أسرع
هذا الشاب أليان الذي افترض أنه ابن يليان الكبير إلى العرب وحرضهم على

(١) قال ابن عبد الناحية كانت تابعة لاسمياً للدولة البيزنطية . سافندرا في كتابه عن فتح العرب
للأندلس ، على وجهه إلى أن يليان نفسه كان عربي الأصل خدم الدولة البيزنطية . انظر كتابه
عن فتح العرب للأندلس ، ص ٨٠ .

غزو الأندلس ، واشترك معهم في ذلك انتقاماً من لطريق . وسنرى بعد قليل أن العرب كانوا قد فتحوا إقليم طنجة وأنشأوا فيها ولاية إسلامية قبل ذلك .

أما ما يحدثنا به النص من أن أصحاب طارق (أي الحامية الإسلامية التي احتلت إقليم طنجة) تعاملوا على أهل البلد وأسماوا إليهم فيدل على أن طنجة كانت أول الأمر جزءاً من مرطانية الطنجية التي كان يتولاها بليان نائباً عن ملك القوط أو عملاً له ، فلما جاء موسى استولى على طنجة وأدخل فيها حامية من الحسد الإسلامي وأنشأ ولاية إسلامية جديدة هي طنجة أو المغرب الأقصى ، وجعل عليها ابنه مروان بن موسى والياً ، بعد أن أتم فتح جنوبي المغرب الأقصى وأنشأ فيه ولاية السوس أو سجلماسة الإسلامية وأقام عليها مولاه طارقاً .

وتزيد هذا عبارة لأبن القسطن أوردهما ابن عشاري تقول : الأكترون يقولون إن مستقر طارق قبل محاولة الأندلس كان بطنجة ، ومنهم من يقول : كان بموضع سجلماسة ، وإن سلا وما وراءها من أرض فاس وطنجة وسبسة كانت للشصاري^(١) .

وعبارة « وإن سلا وما وراءها . . . إلخ » تزيد ما قلناه من أن ولاية مرطانية الطنجية كانت لا تزال باقية عندما وجب موسى إلى طنجة . وعلى هذا أن عقبه بن نافع لم ينتحها بل اكتفى بحلف بليان ثم اتجه إلى الجنوب لاستكمال فتح المغرب ، ثم جاء موسى وفتح طنجة في ظروف سنشرحها وجعلها ولاية إسلامية ، وأدخل فيها حامية إسلامية هي التي يشول النص إنها أساءت معاملة أهل طنجة فشكروا إلى أهل الأندلس ، وكان ذلك في أيام الانقلاب الذي قام به لطريق وقضى فيه على غيطشة وآله وأصحابه ومنهم آل

(١) ابن عشاري ، البيان المغرب ، ٤٤/٦ .

وانظر بحثنا : التنظيم الإداري والمثل لإسبانية والمغرب خلال عصر المرابطين . مجلة كلية الآداب جامعة الكويت . مجلد ١ سنة ١٩٧٣ من ٨٥ - ٨٦ .

يليان ، ومنهم هذا الغلام الحدث ، أي الشاب ألبان الذي ركب الحر وعبر إلى طارق لكي يدعو إلى فتح الأندلس .

وهذه الحامية الإسلامية التي أقامها موسى في طنجة تكونت من :

أ - الرهائن الذين أخذهم حسان بن النعمان من قبائل البربر بعد أن هزم الكاهنة وقتلها ، وعدد هذه الرهائن ١٢٠٠٠ فارس من مختلف قبائل البربر الذين كانوا يجارون المسلمين مع الكاهنة ، وقد جعلهم حسان فراتين ، كمل طرفة ٦٠٠٠ فارس وأقام على الأولى يقرن ابن الكاهنة وعلى الثانية يزيدان ابن الكاهنة الثاني ، وترك مع هؤلاء ثلاثة عشر رجلاً من علماء التابعين يعلمونهم القرآن وشرايع دينهم. مرجع حسان إلى القيروان، وذلك في سنة ٨٢ للهجرة^(١).

ولم يذكر عبيد الله ابن لرصداهم حسان ، ولكنه يقول في نص سنائي به بعد ذلك إنه جعلهم في طنجة .

ولما كانت قبيلة جراوة - قبيلة الكاهنة - زناينة فيطلب على الظن أن هؤلاء الرهائن كانت غالبيتهم من الزناتيين .

ب - الرهائن الذين أتى بهم قواد موسى الذين أخذوا فتح السوس (أي الجزء الجنوبي من المغرب الأقصى جنوبي حوض نهر فارس) وأسلمهم مروان بن موسى بن أبي مدرك ، فأخضعوا قبائل البربر الذين لم يأخذ حسان رهايتهم . وقد أشار إلى ذلك عبيد الله بن صالح بقوله « فأخذ (موسى) رهايتهم : رهاين كسامة وزناينة وهوارة ، فجمعهم مع رهاين حسان ،

(١) نص عبيد الله بن صالح عن فتح العرب المغرب ، نشر ليلى بروهنال في ترجمة فرنسية له في مجلة لوانكا ونشرنا نحن له في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، عدد ٢ (١٩٥٤) ص ٢٢٣ وقضا بترجمة الدراسة التي عملها المحقق من الفرنسية إلى العربية ثم عفا على النص . أما قوله إن الثلاثة عشر الذين تركهم حسان عندهم كانوا من التابعين فقد صحح في الغالب .

وروى عليهم طارقاً بن زياد ورجع إلى إفريقيا^(١) ومعظم هذا الفريق من الزهائن من الصنهاجيين المصاندة .

جاء يذهب ابن خلدون^(٢) إلى أن موسى ترك معهم ٢٧٠٠٠ من العرب ، وفي قول آخر ١٧٠٠٠ ولكن الراجح والمقبول ما يقوله عبد الملك بن حبيب من أن عدد العرب الذين تركوا هناك كان ١٧٠٠ فقط . وهناك من يذهب إلى أنهم كانوا سبعة عشر فحسب ، ولكن الغالب أن هذا عدد أهل العلم من العرب الذين تركوا هناك ليعلموا الناس الإسلام .

والمفهوم أن ما يسمى هنا بالزهائن يراد به أهداد من الجند تقدمها كل قبيلة دخلت في الطاعة ضماناً لطاعتها ودليلاً على ولائها للإسلام ودولة أي أنها جزية أو إثارة على القبائل الموالية في صورة معاونات عسكرية للعرب . وقد استخدم طارق هذه القوات البربرية الزناتية والصنهاجية ومن كان معها من العرب القليلين في فتح الأندلس ، قال عبد الله بن صالح : « وبرهائن المصاندة جاز طارق بن زياد إلى جزيرة الأندلس لفتحها ، وذلك في آخر يوم من رمضان سنة ٩٢ من الهجرة ، وقتلوا الفريق ملك النصراني بجزيرة الأندلس . وذكر الرازي في كتابه أعيان القبائل الداخلين مع طارق بجزيرة الأندلس » (ص ٢٢٤) ويروي ابن عذاري الخبر نفسه ، ولكن بصورة أكمل وأكثر اتفاقاً مع الواقع وذلك في خبر طويل نوردته فيها بلي مقسماً إلى فقرات لتضح أهمية المعلومات التي يتضمنها :

(١) نفس النص ، ٢٢٨ .

(٢) قال بأن عدد العرب ٢٧٠٠٠ ابن خلدون (تاريخ ٤٣٩/٦) ، أما ابن عذاري فقد جعل عددهم ١٧٠٠٠ (٤٢/١) ويطلق عليه عبد الله بن صالح بن حبيب الخليم ١٧ فقط (ص ٢٢٤) . وذكر عبد الملك بن حبيب أن عددهم ١٧٠٠ فقط . انظر قصة الادي نشره . - محمود مكي ذبلاً على مقالته عن مصر وأصول التوابع للأندلس ، ص ٢٢٢ . وذكر ابن عذاري عن ذلك أن موسى بن نصير ترك سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن وشرايع الإسلام ، (نفس الصفحة) فهل يريد أن يقول إنه كان هناك ١٧٠٠٠ عربي من القبائل ١٧ من الخلمين ؟ .

١ - ثم خرج موسى - رحمه الله - غزياً من إفريقية إلى طنجة ، فوجد البربر قد هربوا إلى الغرب خوفاً من العرب ، فتبعهم ، وقتلهم قتلاً ذريعاً ، وبسبب منهم سبياً كثيراً .

٢ - حتى بلغ بلاد السوس الأدنى وهو بلاد فرجة^(١) .

٣ - فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوا ، فولى عليهم والياً^(٢) .

٤ - واستعمل مولاة طارقاً على طنجة وما والاها في سبعة عشر ألفاً من العرب والتي عشر ألفاً من البربر ، وأمر العرب أن يحلصوا البرابر القرآن ، وأن يقتلهم في الدين ثم منى موسى قاتلاً إلى إفريقية .

٥ - قال ابن القفطان : وذكر أن موسى بن نصير بحث إثر بيعة الوليد في هذه السنة المورخية (سنة ٧٠٥/٨٦) زرعة بن أبي سديك إلى قبائل من البربر ، فلم يلق حرباً منهم ، فرغوا في الصلح منه ، فوجه رؤساءهم إلى موسى بن نصير ، فقبض رهونهم^(٣) .

(١) تلاحظ هنا أن موسى لم يهاجم أول الأمر إقليم طنجة ، أي ولاية مرطانية الطنجية وذلكها هو بيلان المشهور ، وكان محالاً للعرب من أيام حشة بن نايع . قال عبيد الله بن صالح في كتابه عن أصناف حشة : « فوصل حشة إلى طنجة ، فوجد عليها بيلان ، فاستلم معه بيلان . فذهب حشة حتى وصل مدينة وأبلى القرية من التروبع الذي على فيه فحاص قبل ميان فاص ، فوجد فيه جوع البربر ، فقتلهم حتى هزبهم واتبعهم حتى إلى فرجة » (صفحة ٣٦٨) .
ومعنى هذا أن حشة احتل منطقة طنجة محالقة فلم يجارها والمه جنوباً حتى وصل إلى وأبلى ومن هناك بدأ حرب قبائل البربر . أي أن خط وأبلى يعين حدود منطقة طنجة التي لم يفتحها حشة .

وتفهم من هذا كله أن العرب فتحوا إقليم السوس وهو جنوب المغرب الأقصى قبل أن يفتحوا شماله ، وأن ولاية السوس أو سجلماسة تشكلت قبل أن تنشأ ولاية طنجة . ويؤيد ذلك قول ابن القفطان (ابن ططاري ١/ ٤٤) إن مستر طارق بن زياد أول الأمر كان في سجلماسة ذلك سلا وما وراءها من الرمي فاص وطنجة وسبتة كانت للمصاري أي حتى عمى موسى بن نصير .

(٢) يفهم من التعليق السابق أن هذا الموالي كان طارقاً بن زياد .

(٣) اعتقد أن ابن ططاري ترك هنا حادثة لها أهميتها ، وهي حلة مشوية التي ذكرناها . كانت

٦ - ثم عقد لعياش بن أمييل على مراكب إفريقية ، فمشى في البحر إلى صقلية . فأصاب ملهنة يقال لها سرقوسة ، ففتحها [وهم] جميع ما بها ، وقتل سالماً غنائماً^(١) .

٧ - ولما حمل أبو مترك زريعة بن أبي مترك رهائن المصامدة ، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم^(٢) من إفريقية والغرب ، يركبوا على طجة ، وجعل عليهم مولاة طارقاً^(٣) .

٨ - ودخل بهم جزيرة الأندلس^(٤) .

٩ - وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام . وقد كان عتبة بن نافع ترك فيهم بعض أصحابه

سلفوا داخل ولاية مرطانية الطنجية التي لم يفتحها العرب إلى ذلك الحين . وقد رأينا أن موسى أراد أن يهزم حلفه مع إليها ، ولهذا قال إن أعلن سلفوا قومه على الشاعة . وكان الذين سخطوا عليه لغضبهم أولاد عتبة وأولاد أبي المهاجر دينار . وقد فصل أمر الشيمة ابن خلدوي نفسه (صفحة ٤١) وعبد الله بن صالح (صفحة ٢٢٤) والنص المنسوب إلى الرقيق (صفحة ٧٧) ولكن أحداً منهم لم يجه إلى أن هذه الحملة كانت نهاية استقلال مرطانية الطنجية ، فقد كانت هذه الناحية مستقر جزء كبير من قبيلة أوربة ، قبيلة كسيفة وحلفائه النصارى . وبعد هذه الحملة ساءت أحوال موسى طجة وأصبحت بذلك ولاية عربية إسلامية حديثة تشتمل شبة الجزيرة المغرب الأقصى ، نزل أمرها أولاً مروان بن موسى ثم نقل إليها طارق بن زياد .

وبعد هذا التتبع انقطع الخلق مع بيان أو مع آله ، ولهذا نلاحظ من رواية النص المنسوب إلى الرقيق أن طارقاً ومن معه من المسلمين كانوا على حلس من أهل الأندلس ورجالهم . فلما قبيل رجال من الأندلس عليهم أنباء كانوا علم ليضوا بهم قتالهم ألبان أنه في هذه المرة صديقاً لهم مستعيناً بهم . ويظهر أن ألبان الذي يُوصف في نص الرقيق بأنه غلام صمدت كان ابن بليان القديم أو حليفته على مرطانية الطنجية .

(١) هذا يدل على أن موسى قام بتطويق واسع في الفتح من مستقره في القيروان ، فقرأ وأقراناً ثم المغرب الأقصى الجنوبي (السوس) ثم صقلية ثم الأندلس .

(٢) نتج هذه البشارة أكثر إذا جعلناها : وجمعهم موسى إلى رهائن البربر الذين أخذهم صفان بن العريان .

(٣) كان مع زريعة في هذه الغزوة مروان بن موسى بن نصير وعنه منها ربيعة سبي عظيم .

(٤) هذه الغزوة زائدة ولا حمل لها هنا .

يعلمونهم^(١) القرآن والإسلام ، منهم شاعر صاحب الرباط وغيره .

١٠ - ولم يدخل المغرب الأقصى أحد من ولاد خلفاء بني أمية بالشرق إلا عتبة بن نافع الفهري ، ولم يعرف المصاعدة غيره ، وقيل إن أكثرهم أسلموا طوعاً على يديه . ووصل موسى بن نصير بعنه .

١١ - وفي سنة ٩٣ من الهجرة جاز طارق إلى الأندلس ، واقتحمها من كان معه من العرب والبرابر ودهانتهم الذين تركهم موسى عنده والذين أخذهم حسان من المغرب الأقصى قبله .

١٢ - وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى في سنة ٨٥ .

١٣ - وفي هذا التاريخ تم إسلام أهل المغرب الأقصى ، وحولوا المساجد التي كان بناها المشركون إلى القبلة ، وجعلوا المنابر في مسجد الجماعة وفيها صنع مسجد أعمام هيلانة .

١٤ - ونسب طارق هو : « طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغوين ورفاجوم بن تيرغاسن بن ولغاسن بن بطونف بن تزاز ، فهو تقيزي ، ذكر أنه من سبي اليرمو . وكان مولى موسى بن نصير^(٢) .

الخلاصة

إلى هنا ينتهي نص ابن عذاري ، وقد أتينا فيما سبق بالنص المنسوب إلى الرليق مع نصوص أخرى وحللنا في غضون هذا البحث كلام هذه النصوص قلرة قلرة ، ولهذا فإتينا نرى أنه من المفيد في ختام هذا البحث أن

(١) هذه العبارة كان ينبغي أن تكون قبل المسطرة عليها (رقم ٤) ، أي أن موسى أحد فتح السوس على يد قائده وردة بن أبي سريكة وأمر عليه طارقاً ، ثم فتح إقليم طنجة ونقل إليها طارقاً .

(٢) عبد عبد الله بن صالح أن الذي صنع إذ ذلك من القلرات هيلانة وهذا صحيح (قلرة ١٩ من ص ١٢٢) .

نبرز أهم الوقائع الجديدة التي انتهينا إليها في هذا التحقيق خاصة بفتح العرب للمغرب والأندلس . وقد تكلمنا عنها كلها في سياق بحثنا ، ولكننا نجعلها كلها هنا في صعيد واحد على نسق مترابط :

١ - تولى موسى بن نصير المغرب سنة ٧٠٤ / ٨٥هـ يسمي عبد العزيز بن مروان عامل مصر . وكان عرض عبد العزيز من هذا السعي في عزل حسان بن النعمان واستبداله بموسى أن يقوم بفتح واسعة تعود على الدولة بخير عظيم سواء في اتساع الرقعة أو في الغنائم والكسب السريعة التي تنبع عن الفتح .

٢ - وقد بذل موسى بن نصير بالفعل نشاطاً واسعاً في فتوح إفريقية ثم الأندلس تغيرت نتيجة لها صورة المغرب الإسلامي كله . وقد أثبت موسى بن نصير بذلك أنه لا يقل قدرة عن معاصريه الفاتحين في الجناح الشرقي لمملكة الإسلام ومعظمهم من رجال الحجاج بن يوسف ، وكان لا يحب موسى بن نصير ولا يثق فيه ، فأثبت موسى أنه يضارع الحجاج ورجال هذه الناحية وسنورد فيما يلي فتوحه مرتبة على قدر ما تيسر لنا :

أ - فتح قلعة زغروران وإقليمها على مرحلة - أي نحو ٤٠ كم - من تونس غرباً ، وكانت قاعدة ناحية جبلية غنية ، وهي إحدى الجيوب التي لم يكن قد تسنى لحسان بن النعمان فتحها .

ومن المؤكد أن موسى فتحها بعد وصوله إلى القيروان مباشرة .

ب - في الوقت نفسه بعث كلاً من ولديه عبد الله ومروان على رأس جيش لغزو ناحية - لم يحددنا المؤرخون - مما لم يكن قد تم فتحه بعد من نواحي المغرب الأوسط فصاد كل منها بنتانم كثيرة . وهذه الغزوات كانت ضربات يبراد منها إتحافه البربر أولاً ثم العونة بالفتنات الكثيرة ثانياً حتى تثبت قدم موسى في الولاية وقد تم لموسى ذلك فعلاً .

ج - وقد اعتمد موسى في أعماله على أولاده الكثيرين وأهلهم عبد الله ومروان

وعبد الأعلى (أو عبد العلا في الإمامة والسياسة) وعبد العزيز وعبد الملك، ثم علي عياش وأبي عبيدة ابني عقبة بن نافع وعبد الجبر بن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن أبي بردة وأبي مدرك زرعة بن أبي مدرك وسليمان بن بحر بن أبي المهاجر وعياش بن أعيل وطارق بن زياد وعقبة الرومي وعبيد بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وغيرهم ممن أتوا فيما بعد أنهم من كبار القادة وقادة الفتح .

د - وفي هذا الوقت أيضاً نستطيع أن نضع الحملة البحرية التي أرسلها موسى إلى صقلية بقيادة عياش بن أعيل ، وهي حملة ناجحة في الفتح البحر فقد عاد المسلمون منها بغنائم وفيرة . وهذا النجاح سيكون السابغ التي ستشجع العرب على القيام بغارات مماثلة على الأندلس مثل غارة أبي زرعة طريف على جنوبي الأندلس وكانت طليعة حملة طارق .

ولقد قام موسى بكل هذه الغزوات لأول ولايته لكي يثبت لعبد الملك بن مروان ثم لابنه الوليد أنه جدير بولاية المغرب كلها قلنا . ومن المعروف أن عبد الملك لم يكن راضياً أول الأمر عن تحصيل أخيه عبد العزيز بن مروان عمل حسان بن النعمان واضطراره إلى الاعتزال لإحلال موسى بن نصير محله ، فتجاهد موسى في الفتح ليثبت أنه خير من حسان بن النعمان .

هـ - الحملة الكبرى التي أرسلها على السوس بقيادة زرعة بن أبي مدرك يرأفقه ابنه مروان وطارق بن زياد وهي الحملة الحاسمة التي قضت على مقاومة لبربر المغرب الأقصى ، وقد ذكرها بتفصيل عبيد الله بن سنبلح (ص ٢٢٤ بقرة ٢٢) ، وتلك هي الغزوة التي اقتحروا موسى بن نصير وعندما واحدة من أكبر نعم الله الثلث عليه عندما تحدث في مجلس ذكره ابن عذارى (٤٤/١) وغيره .

وعقب هذه الحملة نشأت بصورة نهائية ولاية السوس أو سجلماسة . ويتخذ أن طارق بن زياد كان أول ولاية هذه الولاية الجديدة . (انظر ابن عذارى ٤٤/١) .

و - بعد ذلك نفيء حملة مسجوما أو سفومة أو سفوما ، وكانت هذه البلدة كما قلنا معقل قبيلة أوزية وبقية القبائل المغربية المحالفة للبيزنطيين ثم للقوط الغربيين ، وكانت هذه القبائل تؤيد بليان والتصاري أي أهل الأندلس . ومؤرخونا القدامى يقولون إن موسى قام بها بعد احتلال طنجة . ولكن منطلق الحوادث يقول إنها كانت سابقة على ذلك ، بل قام بها موسى ورجاله لإنهاء استغلال منطقة طنجة وشمال المغرب الأقصى عن الحكم العربي ، وكانت في نفس الوقت إنتقاماً من هذه القبائل التي اشتركت مع السروم في مقتل عتبة . هذه الغزوة تعين نهاية السلطان الحضاري للبيزنطيين على مرطانية الطنجية ونهاية السلطان السياسي للقوط الغربيين على نفس المنطقة . بعدها مباشرة احتل موسى طنجة ، وأنشأ ولاية طنجة أو المغرب الأقصى ، وأقام عليها ابنه مروان ثم طارق بن زياد .

احتل طارق طنجة بقوات بربرية بعضها من رهائن حسان، وكل هذه الراهائن من قبيلة جبراة الزناتية (قبيلة الكاهنة) والقبائل الموالية لها ، وبعض هذه القوات من رهائن موسى وكلها من قبائل صنهاجية مصمودية .

هؤلاء جميعاً كانوا أضراباً عن منطقة طنجة ، ولهذا فقد ثقلت وطأنهم على أهل الإقليم ، فأرسلوا يستجدون بسادتهم القديما وهم قوط الأندلس . هذه هي الحقيقة الجديدة التي يكشف عنها النص المنسوب إلى الرقيق . أرجو أن يراجع القارئ الفقرة الأولى من ذلك النص وقد أتينا بها آنفاً .

هنا أيضاً نستطيع أن نقول إن ذلك الاحتلال كان نهاية العلاقات الحسنة التي قامت بين بليان أو حلفائه والعرب ، وساد بعد ذلك شعور عداوة بين المسلمين سادة إقليم طنجة والقوط الغربيين أو رجائهم في جنوب الأندلس . والفقرة الأولى من النص المنسوب إلى الرقيق تؤيد ذلك ، فقد كان طارق وساحبه متخوفين متحيزين من ناحية القوط في الأندلس .

أما عودة الاتصال والتعاون مع قوم بليان فنشرحه نفس الفقرة ، و أليان

الغلام الحدث الذي يحدثنا عنه النص ربما كان ابن بليان القديم ، وعيسته إلى طليحة الاستعانة بطارق كان نتيجة لسوء تصرف لثريق الغاصب للعرش مع آل غيطشة وأنصارهم (ومنهم آل بليان) . لقد آل أليان الابن مستجيراً بالعرب ، ولم تكن فكرته مجرد الاستعانة بالعرب مؤقتاً على اعتبار أنهم أهل حارة ومعظم وأهم سيزيلون ملك لثريق ويقتلون ثم يموتون . بل كان يعرف أن العرب سيزيلون ملك القسوط ثم يخلون محلهم . (اقرأ الفقرة ٣ من النص) .

أما ما يذكره النص من أن أليان الغلام الحدث قال لطارق إنه ابن ملك الأندلس ، فيمكن تفسيره على أن المراد به أنه ابن أحد رجال ملك الأندلس الشرعي (غيطشة) الذي نصب لثريق عرشه .

ثم نحيء بعد ذلك أحداث فتح الأندلس حسب الرواية الجديدة وأهم ما فيها من الجديد :

- ١ - ما ذكرناه آنفاً من نوع العلاقات التي كانت بين أليان والعرب .
- ٢ - إن موسى بن نصير لم يعلم عبور طارق إلا بعد أن تم هذا العبور .
- ٣ - تفاصيل جديدة تلدهما الفقرتان ٤ و ٥ من النص عن المعركة الحاسمة التي دارت بين المسلمين ولثريق .
- ٤ - في الفقرة ٥ نرى أن لثريق فر إلى الشرق وأدركه المسلمون وقتلوه عند وادي الطين Guadalentin قرب لورقة في ناحية مرسية . هذا القول تؤيده بعض المراجع النصرانية كما رأينا ويؤيده أيضاً نص المؤلف المجهول الذي سنجمعه ذيلاً على هذا البحث .
- ٥ - الفقرة ٦ من النص تقدم لنا تفاصيل هامة عن طبيعة المعركة .
- ٦ - عقب الهزيمة هرب قل القسوط في اتجاه قرطبة ، فأمر طارق رجاله أن يسبقوهم إليها ، وبالتالي تم ذلك وتمكن المسلمون من منع القسوط من دخول قرطبة والتحصن بها .

- ٧ - عقب ذلك دخل طارق قرطبة . فهو إذن الذي احتلها وليس مغشياً الرومي . وربما يكون القول بأن مغشياً هو فاتحها ناتجاً عن أن موسى وطارقاً تركه وإلأ عليها عندما ساراً معاً لفتح طليطلة وبقية إسبانيا .
- ٨ - عندما وصل الخبر إلى موسى غضب طارق وخاف أن يفوز بالفتح وحده ، فأقبل مسرعاً مع جنده العرب وعبر الزقاق ونزل عند الجزيرة الخضراء ثم اتجه نحو قرطبة .
- ٩ - ولم يخرج طارق من قرطبة للقاء موسى ، إما لأنه خاف أن ينتفض البلد عليه كما يقول النص (فقرة ٥) أو لأنه خاف من غضبه . واعتقد أن هذا هو الفرض الأصح ؛ لأن طارقاً سارع بإرسال الهدايا والمغانم إلى موسى ليريه أن الفتح تم باسمه وأن خيراته ومغانمه تعود إليه .
- ١٠ - ويؤيد ذلك أيضاً أن النص يذكر أن طارقاً استجار بعبد العزيز بن موسى فشفع له عند أبيه حتى رضي عنه . وفي الفقرة ٧ ترى بوضوح كيف أن موسى اطمأن بعد ذلك إلى أنه لنسرع شرف الفتح كله من طارق ورضي عنه . وتكاملت لديه الجيوش فأرسل طارقاً نحو طليطلة .
- ١١ - أما هو - موسى - فقد استقر في قرطبة واعتبرها مركزه وقاعدته في البلد الحديث الفتح ، وربما كان هذا هو السبب في أن قرطبة أصبحت عاصمة الأندلس ، الإسلامي فيها بعد .
- ١٢ - ويقرر النص (فقرة ٨) أن طارقاً هو الذي فتح طليطلة وحده ، وأرسل بالمغانم إلى موسى ومن بينها المائدة المشهورة .
- ١٣ - بعد ذلك نهض موسى لمواصلة فتح الأندلس . فسأل الناس عن طريق غير الطريق التي سار فيها طارق ، فدلوه على طريق إشبيلية ، فنهض إليها وفتحها وأرسل سرايا فتحت لجة وباجة من مدن البرتغال الحالية . ثم استمر شمالاً وعبر نهر تاجة قرب ماردة وحاصر ماردة ولفي في فتحها عناء واستخدم المجانيق والكتيش واستشهد خبر من المسلمين في الحصار ، ثم فتحها . ثم واصل السير إلى الشمال حتى وصل موضع خامس قرب سلمتقة على نهر التسوريس فرع نهر اللويرة ، وهناك لقي قوة

قوية تجيبت لقائمة المسلمين ففضها ، وكان يقال إن لسريق كان على رأس هذه القوة وإنه قتل هناك وقد أثبتنا أن ذلك غير صحيح وأن الرجل فر من موضع موقعة وادي لكة ناحية الشرق فتبعته فرقة من المسلمين وأدركته وقتلته عند لورقة على نهر وادي الطين ثم انصرف موسى من معه جنوباً بشرق حتى وصل نهر تاجة عند بلدة طليسة ، وهناك وجد طارقاً في انتظاره ، وكان الجوزة قد صفنا بينهما كما قلنا ، ودخل الاثنان طليطة ، وصارت قيادة القاطنين المسلمين لموسى .

وأراد موسى أن يستمر المسلمون في الفتح في طريق سرقسطة وهو الطريق الروماني القديم الذي كان يصل إلى أربونة ثم يستمر حتى يصل روما ولكن يبدو أن بعض نصحاؤه ممن انضم إلى المسلمين من أهل البلاد الفهموه أنه إذا كان ولا بد من فتح الأندلس كله فلا بد أن ينضم الجيش الإسلامي لقسطنطين ، واحد منها يسير شمالاً بشرق في طريق سرقسطة وما يليها إلى جبال البرت ، وواحد يسير شمالاً بغرب في اتجاه أشتريس وجلبلية ، وتم الاتفاق بينه وبين موسى على أن يسير طارق بفتح سرقسطة وما يليها ويسير موسى إلى برغش ثم أمية ، وهناك ينتظر طارقاً ليسيراً معاً لفتح شمال إيبيريا كله ، وتم هذا بالفعل وسار الجيش الإسلامي بقيادة موسى وطارق ففتحوا أشتريس ووصل المسلمون إلى لك «Lugo» ثم عيخون وهربت بقايا القوط منهم إلى غرب أشتريس في اتجاه كاتاجناس دي أونيس وجبال قمم أوروبا .

فتح الأندلس

(٢)

مقدمات الفتح ونتائجه

أقام طارق ومن معه من جند المغرب والبربر على الساحل
١٣ - مقدمات الفتح المغربي عند طنجة وما حولها ، وأخذت أعدادهم تزداد مع الزمن ، وبدأت أنظار طارق تتطلع إلى ميدان جديد يشغل فيه

هذه القوى العظيمة التي كانت تحت يده . وقد كان موسى بن نصير يشغل قواء قبل ذلك في مغارة الفبال البربرية واجتياح أرضها والغنم منها ، ولكن طارفاً لم يكن يستطيع أن يفعل ذلك ، لأنه بربري الأصل من جهة ، ولأنه كان عميق الإيمان لا يرضى أن يضع السيف في قوم لم يمرض عليهم الإسلام بالحسن . ويبدو أن من معه من الجند بدلوا يلتفتون نظره نحو الأندلس وما هي عليه من ضعف وما تضمه من عيون الثروة ، ولا نزاع كذلك في أن أنظاره بدأت تتجه نحو حصن سبتة الذي عجز المسلمون عن الاستيلاء عليه مرتين : في المرة الأولى كان يتوهم عفة بن نافع ، وفي المرة الثانية موسى بن نصير ، وظل هذا الحصن كالصخرة البارزة تقوم في وجه العرب في منتصف الطريق^(١) .

١٤ - بيان هنا تجمع الروايات العربية كلها على قيام شخصية عربية بأمر سبتة في ذلك الحين : تلك هي شخصية بليان . واختلفت المراجع حول بليان هذا اختلافاً عظيماً ، فبعضها يزعم أنه قوطي وبعضها يزعم

(١) راجع من حلقى المؤلفين : ابن الأثير: أسد الغلبة، ج ١، ص ٤٢

والصوري : بداية الأندلس، ورقة ٧٠ ب -

وإبن خلدون: العبر، ج ٤ ص ١٥٥ .

والأخبار المصنوعة : ص ٤

وإبن عبد الحكم : فتح ، ص ٢٠٥ -

أنه رومي وبعضها الأخير يزعم أنه بربري من عمارة ، ولكنها جميعاً تتفق على أنه كان صاحب سبحة وما حولها ، وأن سلطانه كان عظيماً على من كان يحاوره من البربر - من عمارة وبرغواطة على الخصوص - وأن صلوات من الود والولاء كانت تربطه بالبريق ملكة الأندلس^(١) .

وقد حقق دوزي وكوديرا وسافدرا شخصية بليان ، فأثبت دوزي وجوده فعلاً بعد أن كان بعض العلماء قد ذهبوا إلى أنه شخصية أسطورية خلقها خيال العرب^(٢) ، وأكمل سافدرا عمل دوزي وزادنا علماً بشخصية بليان وأصله والدور الذي قام به هو وأولاده^(٣) .

(١) يعطى ابن عبد الحكم في العهد خلافة بليان بالبريق فخران: إنه كان يؤدي الطاعة إلى الذين صاحب الأندلس، ولا يقول شيئاً عن أصله أو جنسه. ولذلك الأصحاب المصنوعة تكفي من صفته بأنه «صالح» وأنه كان يهتم بمدائن على شط البحر فيما عدا صاحب الأندلس قد قبلوا عليها وعلى ما حولها، وكان رأس تلك المدينة مدينة بليان لما ساد، وكان عليها وعلى من حولها من القبايل صلح يسمى بليان، كما يعلم من أن بليان كان عاملاً من عمال الدروب. ويصعد ابن خلدون بأنه رومي، ويذهب ابن خلدون إلى أنه فوطي، ويذهب ابن الأثير بالبريق، أي أنه يقرر أنه كان رومياً.

ابن عبد الحكم: فتح، ج ١ ص ٢٠٤.

ابن الأثير: الكامل، ج ١ ص ١٨.

أخبار مصورة: ص ٤.

ابن خلدون: العبر، ج ٤ ص ١٤٤.

ابن خلدون: البيان، ج ١ ص ٢١١.

(٢) انظر DOZY. ... Richardson (Ed.) pp. 37-39.

ورابع هذه عبارة إز دور الباهي التي تذكر بليان ووظيفته تكراراً مراراً يصحب منها استكشافات حديثة أخرى.

(٣) SAAYEDRA, *Examen*, pp. 48-50 وقد ذهب سافدرا إلى أنه فارسي الأصل وأنه من الأزرقة، وقد

استدج ذلك من أن بليان علف، ولذا استدل بتكافؤ قسم بعد الفتح العربي وبعض إسلامه، وتكافؤ اسم

من أسيد القوس الأزرقة، بل ذهب إلى أنه من كورينثوس كبرى عدنان كورين (Ardabir) ويقع

كورينثوس بين كورينث وأريانس، وإذ كان خلافة بليان بعد الفتح بحسب ما تذكره الروايات الإسلامية -

بليان - بتكافؤ - عديله - الخلكم - ساريان - أوب (توفي سنة ٣٢٦) - ساريان (توفي سنة

٣٧٦) - أحمد (توفي سنة ٣٨٨).

وقد اشهر خلافة الأمير بليان بصفى الإسلام وسط العالم

وبلاحظ التاريخ، أي أن سافدرا غير متصل بأصل بليان فيما تكلف كثير

ونستطيع أن نقرر - اعتماداً على أبحاث دوزي وسافيرا - أن الإقليم الذي كان يحكمه يليان ، وهو مرطانية الطنجية (Mauretania Tingitana) كان في ذلك الحين تابعاً للدولة البيزنطية لا لإسبانيا القرطبية ، وأن يليان كان يقوم حاكماً عاماً (Basarcus) لهذه الناحية من قبل الإمبراطور البيزنطي ، وأنه بدأ ولايته في سن صغيرة ، وأقام في هذه الناحية زمناً طويلاً ، ولا كانت مرطانية الطنجية بعيدة كل البعد عن بيزنطة ، ولما كانت أمور الدولة البيزنطية في ذلك الحين مضطربة اضطراباً لا يمكنها من الإشراف على ولاياتها الشريفة فضلاً عن البعيدة ، فقد تحرر يليان من سلطان الدولة وأصبح كالحاكم المستقل في هذه الناحية ، وإذا انقطعت عنه الإمدادات من الدولة فقد بدأ يوثق علاقته بمن جاوره من قبائل البربر حتى كسب ودها وأصبح كالزعيم لها ، حتى اختلط الأمر على الناس وحسبوه بربرياً .

عرف العرب يليان أول مرة عند وصول موسى بن نصير إلى إقليم طنجة سنة ٨٩ هـ (٧٠٩ م) على وجه التحقيق ، أما ما يذهب إليه ابن الأثير من أن عقبة لقي يليان سنة ٦٣ هـ (٦٨٣ م) وأنه نزل على حكم عقبة فأمر مشكوك فيه ولا تزيد أية رواية أخرى . وكان ملك إسبانيا في ذلك الحين غبطنة . وكان السود معقوداً بينه وبين يليان ، ولهذا حرص هذا الأخير على صرف عقبة عن إسبانيا وتوجيهه نحو البربر ، فلما تصرف موسى إلى القيروان وعلف طارفاً على طنجة وما جاورها ، أحس يليان خطراً للمسلمين وضمضهم عليهم وبدأ يصانعهم ، وعمل على كسب ود بطارق بن زياد أمير طنجة واتصلت بينهما الأسباب . ولما تعلم شيئاً عن الأساس الذي قام السلام عليه بين الجانبين ، وكل ما نعرفه هو أن طارفاً حاول الاستيلاء على سبتة فلم يستطع فاعتفى بمودة صاحبها ، وكان طارقي - كما سترى - رجلاً سياسياً بعيد النظر ، فقلعه صائق يليان ليستطيع به إخضاع من تحت سلطانه من البربر وهم كثيرون^(١) .

(١) راجع سحرى دوزي وسافيرا السابق للإشارة إليها، ونص الأثر اللوموني يزيد ما يذهب إليه بعضهم من قول ابن عبد الحكم ، فواصل طارق ذلك ولا يظن حتى يهزمه أن طارفاً نظر إلى مقدار الخيرات

وفي هذه الأثناء كان الليريق قد قام بشورته وعزل غيطةشة وقتله وأولى مكانه ، ولما كان بليان حليفاً لغيطةشة فقد حاول أن ينزول الأندلس أثناء القتال بين الجانبين معيماً حليفته ، ولكن أنصار الليريق ودوه إلى بلاتيه منزهماً فعاد بليان إلى بلاتيه ستة وتمصن فيها وليث يرفب الحوادث .

فلما قتل غيطةشة وتفرق أتباعه فر بنوه نجاة بأنفسهم ، والحلاف شديد بين المؤرخين حول الوجهة التي اتخذوها بعد تفرق هولتهم ، فيذهب نفر إلى أنهم عبروا إلى إفريقية وأقبلوا يستعينون بالعرب على إدراك ثأرهم من قاتل أبيهم^(١) ، ولكن المراجع العربية - فيها عدا ابن الفوطية - لا تذكر شيئاً من ذلك ، بل تذهب إلى أنهم كانوا صفاراً حينما وقع لأبيهم ما وقع ، وأنها تفرقوا في البلاد حيناً ثم صالحوا الليريق واستقروا في أمانة وقد انطوت قلوبهم على كراهية الغاصب ، وأن العرب لم يكادوا ينزلون الأندلس ويسيروا لحرب الليريق حتى سارع أولاد غيطةشة وأتباعهم فتركوا عسوف القوط وانضموا للعرب أثناء الواقعة ، وأن فعلتهم هذه كانت فاصلة الظهور لجيش القوط .

ويذهب أن في هذه الرواية بعض المبالغة ، لأن تصرف العرب مع أولاد غيطةشة بعد قيام الفتح لا يدل على أن العرب ، كانوا مدينين لهم بفضل كبير

^١ الذي يستطيع أن يجتهد من صفاقة وحل قدر مثل بليان فاستشهد في كسب وده . ولا يعمل أن يكون طارق قد لاطف بليان ليريق شره ، بل ليقود منه فيما هو أهم من سبته ، وربما جاز لنا أن نستنج من ذلك أن طارق كانت متجهة نحو الأندلس ، وأنه اجتهد في كسب وده بليان ليلد منه في تحقيق أمته عند ابن عبد الحكم . طرح ، ص ٢٠٥ .

(١) يفرغ المؤرخ سياستيان بالقول بأن أولاد غيطةشة عبروا إلى إفريقية وتبعوا يستعفون العرب على الأندلس ويريدون ضم قتلها ، وهذا نص رواية :

Witisea defecit, Rudericus a Gothis eligitur in regno. Fili vero Witiseae, servitii ducti eo quod Rudericus regnum patris eorum accepisset, celsis cogitant, Muros ad Adriaem mittunt. Siracensis in auxilium vocant, omque gentes adfectas Hispaniam invocant.

ولو أيد مؤرخو العرب هذا الرأي لقبلائه، ولكن سياستيان يفره به ولا يذكر ما يؤيد.

SEBAS-
TIAN, C.3

كهذا ، وكل ما حدث هو ان أبناء غيطة هؤلاء تقدموا إلى المسلمين بعد
 انتصارهم بطليون بشريه من ضياع أبيهم ، فأعطاهم المسلمون جزءاً كبيراً منها
 كسباً لودهم ، وقد أحسن المسلمون بذلك إحساناً عظيماً ، لأن أبناء غيطة
 أصبحوا من ذلك الحين من أخلص الأنصار لهم ، بل لم يلبث بعضهم أن أسلم
 وحسن إسلامه . وعلى هذا نستطيع أن نفرر من غير حرج أن أولاد غيطة لم
 يمرضوا العرب على غزو البلاد بل انتظروا حتى تم انتصارهم فأنضموا إليهم
 وجعلوا أنفسهم أدلة للمسلمين على عورات الأندلس ، والغالب أنهم حسوا
 أنهم مستطيعون الاستعانة بالعرب على إدراك ثأرهم من قاتل أبيهم ، لأنهم
 كانوا يظنون أن العرب إذا قبلوا إلى الأندلس لم يلبثوا أن ينصرفوا عنها لأنهم لا
 يطلبون من فتحهم غير الغنيمة ، ولكن العرب خيروا ظنهم وهبطوا البلاد بقوة
 كبيرة ، ولم يكده العرب يلقون القوط حتى قضوا على قوتهم القضاء المبرم ، وظهر
 أنهم ماضون في فتح البلاد بنية إدخالها في حوزة الدولة الإسلامية ، فلما استبان
 أبناء غيطة ذلك تقدموا إلى العرب يطلبون الأمان مع من تقدم ، وأكرمهم
 العرب وهدوا عليهم شيئاً من أملاك أبيهم .

فإذا لم يكن أبناء غيطة هم الذين استدعوا العرب إلى الأندلس ، لما
 الذي حدا بهمؤلاء إلى العبور ومحاولة فتحها في وقت لم تكن أقدامهم فيه قد ثبتت
 في المغرب الأقصى ؟ ما الذي شجع طارق بن زياد وموسى بن نصير على الخروج
 في هذه المغامرة الكبرى التي كان من الممكن أن تجر على المسلمين شراً كبيراً ؟ ما
 الذي شجعهم على الخروج إلى شبه الجزيرة الإيبيرية الواسعة في قوة قليلة لا
 تزيد على السبعة آلاف ، وهم يعرفون أن المغرب - وهو أضعف من إسبانيا
 بكثير - لم يتم فتحه إلا ببضعة جيوش يبلغ أهلها أضعاف هذه الآلاف السبعة
 التي سار بها طارق ؟

هنا تذهب الخطية المؤرخين إلى أن العرب لم يفكروا في فتح
 ١٥ . فتح الأندلس الأندلس فتحاً كاملاً والاستقرار فيه من أول الأمر وأنهم ما
 كانوا يطلبون إلا بعض الغنيمة ثم يعودون إلى إفريقية ، وأن غزوتهم للبلاد

أعدت طابعاً آخر بعد انتصار طارق هذا الانتصار الخامس الذي لم يكن منتظراً عند وادي لكّة ، ويعتمد هذا الخبر من المؤرخين على ما ورد في المراجع العربية من أن موسى غضب على طارق وعاقبه على الاسترسال في الفتح خلافاً لما كان قد أمره به ، وقد روى ذلك ابن عسار عن ابن القطان^(١) .

وربما بدا هذا الرأي صحيحاً لأول وهلة ، لأن خروج طارق إلى الأندلس بهذا العدد القليل لا يدل على أنه كان يتوي غزو البلاد وقضها فتحاً كاملاً ، وإنما هو مجرد الاستطلاع . ولكننا لو ذكرنا الأسلوب الذي جرى عليه العرب في فتح مصر والشرب مثلاً للاحتفاظنا أن التصديق للفتوح بقوة صغيرة تعيقها الإمدادات كان أسلوب العرب في الفتح : يرسلون عدداً صغيراً ويكونون على الأبهة لإتباعه بالإمدادات إذا لزم الأمر ؛ وقد حدث هذا في الأندلس بالفعل ، إذ أسرع موسى لعون طارق بخمسة آلاف من الجنود . وأما غضب موسى على طارق نسبة أن موسى خشي أن يكون طارق قد تمسور وغامر بالمسلمين أكثر مما ينبغي ، وربما يكون قد حسده على ما نال من التوفيق وما أتى من الغنائم ، وكان موسى على ما نعرفه غير مجرد من الحسد أو الشره إلى الغنائم

ولم يكن فتح الأندلس إذن مجرد مغامرة صادفها التوفيق فكان لها ما بعدها ، وإنما كانت من أول الأمر فتحاً مدبراً جرى فيه المسلمون على أسلوبهم الذي ذكرناه في فتح البلاد ، ومن أدلة ذلك ما ورد في « الأخبار المبرورة » من أن موسى كتب إلى الوليد يخبره بدعوة يليان إياه لفتح الأندلس « فكتب إليه أن

(١) ابن عسار: البلاد، وطبعة كولان وبرونسل، لايدن (١٩٥١) ج ٦ من ١٣ .

ولجميع الروايات العربية كلها على أن موسى عاقب طارقاً بما يفهم منه أنه كان قد أمره بمجرّد غزو البلاد والغنم منها ثم العودة، وقد استعان المستشرقون - والإسبان منهم خاصة - بهذه العبارات ليحكموا على الغزو العربي بأنه كان مجرد مظاهرة .
والصح مثلاً:

DOZY, Recherches (2 ed) I, Etudes sur le complot de L'Espagne par les Arabes pp. XV

١٩٩

IBIDEM, Mandataires d'Espagne, I.

خضها بالسرايا حتى تخبر [ها] ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال . فكتب إليه أنه ليس بحر وإنما هو خليج يصب صفة ما عطفه الناظر ، فكتب إليه : « وإن كان اختاره بالسرايا » كما يدل على أن موسى كان قد قرر الفتح وعرف من شأن الأندلس ما شجعه على المضي فيه ، ولهذا كتب إلى الخليفة يستأذنه ، ولو كان أراد مجرد الغزو للغنيمة ثم العودة لما كتب يستأذن ، ثم إن قول الخليفة له : « اختره بالسرايا » يُفهم منه أنه يوافق على الغزو وإنما يأمر موسى أن يستوثق لجند المسلمين قبل أن يبدأ العمل^(١) .

ومن دلائل ذلك أن طارقاً وموسى سارا في بلاد الأندلس منذ اللحظة الأولى سيرة من قدر كل شيء قبل الشروع في العمل : سار طارق قطعاً من مدينة لمدينة حتى انتهى إلى طليطلة ، ولو كان يرجو مجرد الغارة والغنيمة لعاد بعد أن وقعت في يده مدينة أو مدينتان واستلأت يدها وأيدي أصحابه من الغنيمة .

ولجمع المراجع العربية كلها على أن يليان هو الذي دعا موسى للغزو الأندلسي وكشف له عوراتها وعرف عليه أمرها^(٢) . ولجعل المراجع لذلك قصة ملخصها أن يليان كان قد أرسل ابنته إلى قصر المرين لتتأهب وتنشأ أسوة بغيرها من بنات سروات القوط في ذلك الزمان ، وأن المرين بصر بالفتاة وطمع فيها ونال منها ، فكتب إلى أبيها بغيرها ، فأحفظته ذلك غسل المرين ، ودفعه إلى التكفير في الانتقام منه ، فالتصل بطارق وأعطى يمين له فتح الأندلس ويحرضه عليه حتى وفق لما أراد ، ثم جعل نفسه وأبناؤه أدلاء للعرب في الأندلس يدلوهم على طرقها وبلادها ومواضع الضعف فيها^(٣) .

(١) الأبحار المستخرجة ، ص ٥٠٠ .

ولين عطري . البلاد ، ج ٢ ص ٦٠ .

(٢) انظر مثلاً : ابن عطري ، ج ٢ ص ٦٠ . وليس في هذه الرواية أية إشارة إلى قصة امه يليان .

(٣) لا حاجة منا إلى الإشارة إلى مواضع هذه القصة في مراعاة العربية ، لأنها متواردة فيها جميعاً من غير

استثناء .

أما التراجع اللاتينية فلم تعرف هذه القصة إلا منذ سنة ١١١٠، إذ ورد ذكرها لأول مرة في مرجع إسباني لآبتي هو التاريخ وأبب سيلوس، ذكرها جملة على صورة قربة الشبه بما تذكره الروايات العربية.

وليس إلى الشك سبل في أن العرب لم يهزموها هذه القصة اختراعاً، ولكن لا نستطيع مع الأسف التوهم على أصنافها. وقد ذهب سافدرا إلى أنه من الممكن أن يكون بلبان قد أرسل نهرًا من أمته إلى خليجة ليمسوا فيها حينما بدأ العرب حصار سبتة وهلمبدها، وأن ذلك قد يكون أصل القصة، وأيد رأيه هذا بأن ابن خلدون وسان بيدرو بنسكون، يذهبان إلى أن الذي اعتدى على أمة بلبان كان غبطة لا للدين، لأن غبطة كان صديقه كما قدمنا أما لدرين فلم يكن، ومن غير المعلوم أن يكون بلبان قد أرسل ابنة لتتأهب في قصر ملك يبه وييه عداوا. وقد ذهب الأستاذ سافدرا إلى أنها حتى لو قلنا هذه القصة فإننا لا نستطيع أن نجعلها سبب عبور العرب إلى الأندلس، لأن مثل هذا الاحتفاء لم يكن ينظر إليه إلا ذلك الاستثنائي الذي نلحق به في مثلته الآن.

ولم يذكر مؤرخ عربي واحد لأمة بلبان أسماء، وذكرها التراجع اللاتينية بين سنتي ١١١٠ - ١٣٠٠ من غير اسم كذلك، حتى اخترع لها PEDRO DEL CORRAL اسماً حوالي سنة ١٣٠٠. ولما تعرف من أين أتى يدور هذا الاسم، وإن كان الظنون أنه ابتكره جرماً على عهده في اختراع اسمه لم لا يجد له اسماً من شخصه التاريخي، وهذا الاسم هو (La Cora) (La Cora) وكالما اسم مدينة إيطالية على مقربة من سالرنو في الملكة نابلي، ولما كان القوسو الخالص ملك إسبانيا قد غزا نابلي وزار بعض جنوده مدينة كالا، فقد عاد الجنود إسماعلون هذا الاسم وتسمى به طوًر من الإسبانيات في ذلك العهد.

يبد أن حاكماً إسبانياً هو MIGUEL DE LA LUNA خرج على الناس في سنة ١٥٨٩ بضمير عربي هذا التفت، فذهب إلى أنه مأخوذ من اللفظة العربي والعبارة، وذكر أن لخصاص الأندلسيين كانوا يسمون ابنة بلبان به في العصور الإسلامية، ولزمها هذا الاسم بعد ذلك، وأصبح لذلك بأن لوقا البروني ذكر القصة بهذا الاسم في التاريخ الشهير "Orbis Mundi". وخليفة يوجد الاسم في بعض النسخ، ولكنه لا يوجد في النسخ القطر معصتها، مما يزيد القول بأن السامعين أضافوا هذا الاسم من عهدهم فيما بعد.

أما لخصاص الإسبان وراسعوا الأقبالي التسمية قد سموا هذه القصة ثورنيدا (Thorinda) ولزمها هذه التسمية في كتب الأقباص والأخبار جميعاً، وذهب البعض إلى أن هذا الاسم صحيح وأنه مختلف من الاسم القوطي ثورينيدا (Thorinda).

ومما يمكن من الأمر لفظة ابنة بلبان قليلة الأثر في التاريخ وإن كانت عطمة الأثر في الفن والأدب، وهي بهذا الحسن خطأ من صاعقتها ابنة القوس، وبنية جرجس، واللاتكان من اختراع لخصاص العرب، ولا يبعد أن تكون قصة ابنة بلبان من اختراع لخصاص العرب كذلك.

Crónicas Islámicas, N. 25.

ولسا نريد أن نقتطع طويلاً عند هذه القصة ، فقد تكون صحيحة وقد تكون من اختراع القصاص ، ولسا نحتاج إليها لكي نعلل دخول العرب الأندلس تعليلاً معقولاً ، فقد كان ذلك الدخول هو الأمر الوحيد المتشرف في الظروف التي سادت المغرب خلال السنوات التي سبقت الفتح . فقد رأينا طارفاً يتهم على الزنقات ومعه عدد عظيم من الجند العربي والبربري يتطلع معقدهم إلى الفتح والجهاد ، وكان يلبان إلى جوارهم يوجس خيفة منهم ، فقد كان المسلمون قد حاولوا فتح معقله سبتة ، وكان موسى بن نصير قد رجع عنه بعد أن ألقى به عنده عدة وقوة وتجدة ليست تشبه ما قبلها فلم يظفهم ، فرجع عنهم إلى طنجة ، وجعل يبحث ما حولهم بالغاورة فلم يظفهم^(١) ، مما يتهم منه أن المسلمون لم يدعوا يلبان مادناً مطمئناً في بلاده ، ومن الطبيعي أن يلبجأ يلبان في مثل هذه الظروف إلى صرتهم عن نفسه ، وكان طارق كما رأينا قد صافاه بعد ذلك وصادقه^(٢) . وكان جند طارق من البربر يعلمون عن الأندلس شيئاً

SAAVEDRA FARIADO. *Cronica Gotica*, cap. XXIX.

PEDRO DEL CORRAL. *Crónica del Rey Don Rodrigo*.

MIQUEL DE LA LUNA. *Historia Verdadera del rey Rodrigo*.

ونظراً أن هذا الكتاب الأخير مترجم عن كتاب عربي يسمى مؤلفه أبا القاسم طريف بن طارق (ABULCASCIN TARIF ABEN TARIQUE) فمن شهدوا الفتح (كندا) لأن مؤلفه النسطرة الإسبانية تحمل عبارات والفاظاً عربية، ولكن البحث التاريخي يشكك في أن أبا القاسم هذا من شهدوا الفتح أو حتى من القدماء، لأن بعض اللغاة مثل «موزن» حديث لم يستعمله أهل المغرب إلا في زمن متأخر. وقد استند على هذا الكتاب الأخير شاعران كبريان هما:

Peñatez Gode de España في LOPE DE VEGA

WASHINGTON IRVING. *Legends of the Conquest of Spain*.

وقد استند يدرو قال كبريال هذه الأسطورة إلى أحمد بن محمد الرزقي المؤرخ

ونظر من الخط ضرورياً :

LEMBKE. *Geschichte von Spanien*, I, 256.

(١) الأخبار المصنوعة ، ص ٤ - ٥ .

(٢) يقول ابن عبد الحكم في هذا : « وكان يلبان يوزني الطامة إلى الذين صاحب الأندلس ... وكان الذين يسكن طنجة ، فراسل طارق يلبان ولا طقه حتى يكرمه ... » انظر : ص ٢٠٥ .

كثيراً ، ولا بد أن نفرضهم كمثل تنازعهم إلى غيرته ومخالفه . ومن الطبيعي في مثل هذا الطرف أن تولد فكرة فتح الأندلس .

ويذهب سافدرا إلى أن بلبان ذهب للقاء موسى تنفيذاً لمؤامرة دبها مع أبناء خيطشة وأصلاره . ولما نعرف كيف ذكر سافدرا ذلك في صيغة التأكيد ، مع أن المراجع جميعاً تختلف حوله اختلافاً شديداً ، ولا يتضح وجه الحق في هذه المسألة إلا إذا درسنا من جديد العبارات القليلة التي بين أيدينا عن الأحوال في طليطلة عملاً الأشهر التي صبغت هذه الأحداث التي نرويها^(١) .

يشير إيزودور الباجي في حوادث سنة ٧١٠ إلى « حادثة محرز (suprafata clades) وقع بطليطلة ، واضطر كثير من نبله القسوط إلى الهجرة من إسبانيا فنشروا في كل ناحية »^(٢) . ولم يذكر لنا إيزودور ما هو هذا الحادث المحزون ،

(١) SAAVEDRA Op. cit. pp. 34-35. ومما يروى رواية سافدرا تصحي في هذا الجزء من تاريخه القيم ، فهو يذكر كيف أن بلبان كان رجلاً مغرماً كريماً ، اجتمع فيه عقل البيزنطي وشجاعة الأيراني ولغات الأيراني . وأنه رأى أن يبحث إلى طريق ولقاء برأسه رجل من كبرياء أبيه يسمى أخيليا بسطوا لطريق مصلحتهم وصوروا له سوء حالهم بعد الذي أصابهم من لدرين وغندار ، وأن تنس طاقف ذكرت بهذا الكلام فيبحث المرسل إلى موسى في القصوران ، وأن حد قدر خطورة المسألة ، فأرسل المرسل إلى دمشق ليستأجر الحليفة سهل وصيها وبخسوه بضرورة الإذن لموسى في فتح الأندلس ، وأهم هدوا من دمشق بالآذن المطلوب ، فطرح موسى في تشيله ، وأحب أن يستولى من صلح نية هؤلاء القوم فطلب إليهم أن يسلموه وهائن من قدامهم فيكونون عنه .

وهذا كله كلام يحتاج إلى إثبات ، أما أخيليا هذا فقد ورد ذكره في ابن عسار ، ويذهب سافدرا إلى أن شخصاً يسمى هذا الاسم قد وجد في هذا الطرف فعلاً ، وأنه كان حاكم طليطلة أو كوثتها ، وقد ذكره رودريجر غيمييث ونسب إليه نفس الدور الذي نسبته الروايات الإسلامية إلى بلبان نفسه

RODRIGO XIMÉNEZ DE BADA (ARZOBISPO DE TOLEDO). *Memoria de rebus hispaniae*, t. II, cap. 38, 20

(٢) هذا نص عبارة إيزودور :

Hic in temporibus Wliza descripto cum patre patris regni, qui in aera DCCCXXIX captivatus claudis non fructu exiliis, per Hispaniam e palatio vagant, qu'a de sua propria morte decussu una parte, florentissime captivatus per annos Regnum recuperat, utque cum Hispania, gratia causa facta, alacriter habitatur

وذهب دوزي إلى أن إيزودور يشير بذلك إلى قتل لفريق لغيطة معتمداً في ذلك على عبارة صريحة لأين غنداري تذكر أن لفريق ثار بغيطة وقتله ، وعلى عدم ذكر إيزودور لذلك بأن نصه الذي بين أيدينا مضطرب ، سقطت - أو حذفت - منه عبارات ، وغيرت مواضع عبارات أخرى . ويؤيد رأيه هذا بأن إيزودور يقول في موضع آخر إن لفريق فاجأ الملكة المضطربة وحاول أن يستبد بمجلس الشيوخ^(١) . ومن هنا يكون من الجائز أن نقول إن هذا الحادث المحزن الذي يشير إليه إيزودور إنما هو قتل لفريق لغيطة ، لأن هذا الحادث روع أنصار غيطة ورفقهم في البلاد بين قتل وهارب يطلب النجدة حيث استطاع ، بل ذهب دوزي إلى أن « نيلاء القوط » الذين أرسل إليهم إنما هم أبناء غيطة وإخوته ، وأن إيزودور لم يذكره صراحة لأنه كان أمراً مشكوكاً فيه أيام الفتح ، وأنه لم يتضح هل وجه الصحة والتحقيق إلا فيما بعد^(٢) .

ويقول ساستيان السمتي : « فلما انهزم غيطة ، أقام القوط لفريق ملكاً ، فعلا الحسد - في الحقيقة - أولاد غيطة من أن ينصبهم لفريق مملكة أبيهم ، فديروا أمرهم بمهارة ، وأرسلوا رسلاً إلى إفريقية يرجون العرب المساعدة ، وقدموا لهم سفناً عبروا عليها إلى إسبانيا^(٣) . وهذه عبارة تكمل رواية إيزودور وتفسر غامضها تفسيراً معقولاً فلو جمعنا الروايتين معاً لجاز لنا أن نقرر أن الذي حدث هو أن لفريق بعد أن قتل غيطة تبع آله وأنصاره بالأندلس ففروا بطليون النجاة ، وكان أبناء غيطة في مقدمة القارين ، وسواء أكان هؤلاء

(١) نص عبارة إيزودور:

Rodericus transfere regnum heredito totius orisidi

DOZY Eckhelius, (30 vol) I pp. 63-64q (٢)

Waltero defuncto, Rodericus a Gottho eligere se regem. Fili vero Witzari, civis danti eo (٣)

quod Rodericus regem patris eorum acciperet, callide cogitantes, Misos ad Africanos abi-
erunt, Soracicos in auxilium petentes, eosque navibus advenas Hispaniam intravitit.

وفي القصة الأخيرة مماثلة لما نرى عليه الرواية الإسلامية من أن السفن التي عبر عليها المسلمون كانت إيبان .

الأبناء قد عبروا إلى إفريقية بأنفسهم ليطلبوا عون العرب، ثم استنصروا في بعض نواحي جنوبي إسبانيا وأرسلوا من لديهم رسلاً يسطون للعرب أسواق إسبانيا وبعدهم لغزوها ويؤنون عليهم أمر هذا الغزو ، فإن الحقيقة التي نتخلص لنا من هذا كله هي أن أولاد غيطة وأقربائه اتصلوا بالمسلمين في إفريقية وبعدهم إلى غزو البلاد ، ووضعوا أنفسهم - بطبيعة الأمر - تحت تصرفهم لتسهيل هذا الغزو ومهونه .

وتقديماً للمراجع العربية في هذا الرأي ، فهي تطعب إلى أن آل غيطة مالوا العرب من أول الأمر ، وأهم خبروا الغدر بالفرق والتفوقا على أن يتطونوه يوم المعركة الفاصلة مع العرب^(١) - وهو ما حدث فعلاً - وبهذا إدركوا ثلهم منه واستعادوا بعض ما ضاع منهم ، لأن العرب ، وإن كانوا لم يعيدوا الأمر إلى بيت غيطة ، إلا أنهم ، أنصوا لأبناء غيطة ضياع أبيهم ، وكانت شيئاً كبيراً ، وأقاموا نفراً آخر من آل بيت غيطة في وثائق كبرى كما سنرى .

فإذا كان آل غيطة هم الذين اتصلوا بالعرب وبعدهم إلى غزو البلاد فما هو الدور الذي قام به يلهان ؟ يبدو أنه كان رسول آل غيطة لدى المسلمين ، لأنه - كما رأينا - كان من أنصار غيطة وأصحابه ، وقد ساءت ولاية للفرق وتحرف أن يصيبه منها شر ، وكان من صالحه أن يعمل على إزالة ملكه والتخلص منه . وكان المسلمون جيرانه ، وليس إلى الشك سبيل في أنه فكر في أن توجيه نظرهم نحو الأندلس^(٢) يصرفهم عنه ويؤمنه من ناحية جندهم الكثير

(١) مجمع المؤرخون المسلمون على ذلك، انظر على الخصوص:

ابن الفرطية: فتح الأندلس ص ٣.

الأخبار المصوغة، ص ٨.

فتح الأندلس: ص ٦-٧.

(٢) عنهم من هذا أنه ابن عتاري وصاحب الأخبار المصوغة أصرح من غيرهما في هذا الصدد، أنها بدعوا إلى أن يلهان معي إلى المسلمين يتبعه وحرص على منحهم على فرار الأندلس، بل بدعوا الأخير إلى أن يلهان ويقتل نفسه وأصحابه جهداً وشبهه وامتنان إليه، ثم وصف له الأندلس ودعا إليها - وهذه رواية عنهم منها - على إيجازها - ثلاثة أمور:

الذي كان يتجمع عند طارق بن زياد في طنجة ، ولا يستبعد أن يكون أخيراً -
 حاكم طنجة الذي سبقت الإشارة إليه - كان من مؤيدي بليان في هذا التفكير ،
 ولا يستبعد أن يكون هو الذي تقاهم معهم ، لأنه كان قد أسلم بقلده للمسلمين
 ودخل في دينهم ، وكانوا يعتبرونه تابعاً من أتباعهم .



وتذكر الروايات العربية أن بليان لم يكف بمخاطبة طارق في
 ١٦ - بدء الفتح الأسمر ، بل تكلف مشقة الذهاب للقاء موسى في القيروان ،
 لإقناعه بسهولة فتح إسبانيا والتحدث إليه في الخير الذي يعود عليه ، إذا سارع
 وعبر إلى الأندلس واختمت فرصة غياب لذريرق مع خيرة جنده في حملة حربية نحو
 بنجلونة أقصى شمالي شبه الجزيرة . ويبدو أن خروج لذريرق في هذه الحملة هو
 الذي دعا بليان إلى الذهاب إلى موسى على عجل وإقناعه على الفرصة
 السانحة ، وربما جاز أن نستنتج من تسجيل بليان بالذهاب إلى موسى أن فكرة
 الاستجداء بالمسلمين كانت قد اختصرت في ذهنه وعول على إقناعها وغبة منه في
 التخلص من لذريرق خصمه ونصم صديقه غيظته . ويذهب سائقنا إلى أن
 بليان ذهب تنفيذاً لمؤامرة دبرها مع أبناء غيظته وأنصاره ، وليس لدينا دليل على
 صحة هذا الفرض إلا عبارة سياستان السلمتي التي ذكرناها ، وهي عبارة لا
 تجد ما يليدها إلا في كلام ابن الفوطي^(١) .

١ - إنفاضة ابن بليان لم تكن السبب المباشر لعدم بليان المسلمين لغزو الأندلس .

٢ - أن بليان سعى لصحبة العرب حتى عقد معهم عهداً طمان إليه .

٣ - فإنه لم له ذلك دعاهم لفتح الأندلس .

الأخبار الصحروية ، ص ٤٠ .

ابن عسار: البيان، ج ٢ ، ص ٤٤ - هذا والتفاصيل التي يوردنا ابن عسار عن بليان كثيرة

ذات قيمة ، وقد درسها تومزي في الفصل الذي عقده لبليان في بحثه عن مراسم العرب للأندلس ،

الفرد الأبحاث ، ج ١ .

(١) لفظ ابن الفوطي المتصح ، ص ٣ .

فتح الأندلس ، ص ٤ .

رحب موسى بليان وما عرضه عليه ، لأنه كان بطبعه ميالاً للفتوح والغزوات ، وكان من الطبيعي أن يشكك في صحة المعلومات التي أتى بها بليان إليه ، فطلب إليه أن يقوم بسرية في جنوبي الأندلس ، وإنما أراد موسى بذلك أن يتأكد من أن بليان عدو للفرق لا ينشئ الإشارة على بيلانه ، ويرى بعينه رد الفعل الذي يحدثه مثل ذلك العمل^(١) ، وقد قام بليان فعلاً بغارة سريعة عاد بعدها عملاً بالفتائم والسي ، فتشجع موسى وقرر العمل .

ولم يكن موسى ليستطيع الشروع في عمل خطير كهذا دون أن يستأذن فيه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فكتب إليه يستأذنه ، فتردد عبد الملك وخاف على المسلمين منبة غامضة كهذه في أرض مجهولة ، فكتب إلى موسى بأمره أن يتنبر ببلاد الأندلس بسرية صغيرة قبل أن يغامر بجيش كبير^(٢) . فالتفت واحداً من كبار أتباعه هو أبو زرعة طريف بن ملوك ، وخطب أنه عربي ، ويدعو أنه كان رجلاً قادراً وحازماً ، لأنه سبقهم فيها بعد بدور خطير في تاريخ المغرب^(٣) .

عبر طريف إلى الأندلس في قوة صغيرة من أربعمائة رجل
 ١٧ - أبو زرعة
 ولقد قدم لهم بليان أربعاً من السفن عبروا بها ،
 اصطلاحية
 وتزل المسلمون في جزيرة صغيرة تسمى بالوماس (Palomas)
 على مقربة من الموضع الذي سبقهم فيه بلدة سنحمل اسم

(١) ويقول ابن عبد الحكم : ... ذلك طارق (بليان) لا أظن أن ذلك حتى تمت إلى مرجنا ، تمت إليه نالته . ولم يكن له ولد غيرها . ففرحها طارق بتلمسين ، وامتنق منها ، ثم خرج طارق إلى بلنانه ، وهو يسي على اللجان فوج ، من ٢٠٤

(٢) ابن عشاري : بليان ، ج ٢ من ٥ .
 فتح الأندلس ، ص ٥٠ .

(٣) يذهب بعض المراجع إلى أن طريقاً كان من جبل اليمن ، واختلف بعد ذلك ، فمرم بعضها أنه كان من الحجج ، ويذهب البعض الآخر إلى أنه من سقارة ، ولم تعد تسع عن طريق هذا بعد . هذه السرية الوفقة التي قام بها مستظلاً أمراء الأندلس للمسلمين ، ولكنه يظهر مرة أخرى على مسرح الأحداث في المغرب ، ويذهب دوراً خطيراً في الثورة التي قام بها مسيرة البربري الثورات في المغرب الأقصى ، والتي كانت أول حركة خارجية قام بها المغرب على المسلمين ، ويقول ابن عشاري (٢ / ٥١) ص ١٤ موردي .

طريف (جزيرة طريف Tarifa) من ذلك الحين ، وخطت قوة من أنصار يليان وأبناء بيجيشة لمريم ، وقامت بحراسة المبحر حتى تم نزولهم على الأرض الإيبيرية ، وكان ذلك في رمضان سنة ٩١ هـ (يوليو سنة ٧١٠ م) . ومن ذلك الموضع قام طريف وأصحابه بسلسلة من الغارات السريعة على الساحل فتعموا فيها مغانم كثيراً ومياً عديداً ، وعاد طريف بن معه ، وبعث إلى موسى في القيروان بنصيه من الغنمة والسي ، فتشجع موسى وأعطى يستعد لإرسال حملة عظيمة تقوم بالفتح الحقيقي^(١)

١٨ . حملة تطلب موسى هذا العمل الجليل رجلاً من خيرة جيشه ، هو طارق طارق بن زياد . ولما تعلم شيئاً موشوقاً فيه عن طارق قبل تيامه زياد بقيادة جيش المسلمين في فتح الأندلس^(٢) ولكن الغالب أنه بربري من نقره ، ويبدو أن أباه زياداً قد أسلم أيام عقبه وحسن إسلامه ، وحلفه ابته هذا فدخل في خدمة ولاية المسلمين . ويبدو أنه كان صغير السن حينما عهد إليه موسى بهذه المهمة الكبرى ، لأننا لم نسمع به قبل ذلك في أي فتح من فتوح موسى على كثرها وتواترها ، ولو كان قديم عهد بالقيادة لسعنا عنه قبل ذلك . والغالب أنه كان من الفرير المخلصين لموسى لأنه تحطى غيره من كبار العرب الذين كانوا يقومون الجند في أيامه مثل رزعة بن أبي مُدرك وعياش بن أميكل وطريف بن ملوك والمغيرة بن أبي بردة وغيرهم كثيرين ، وعهد إليه في قيادة

(١) SAAVEDRA, Op citop 64

(٢) يسمى ابن خلفون طارق بن زياد القرشي . (الطبري، ج ١ ص ٦١٣) ويذهب بعض المراجع إلى أن طارقاً ربما كان ثامسي الأصل، إضافة على ما يترواه الرازي . وهذا (موسى) مولى له كان على مقدمته باسم طارق من زياد بن عدنانة قرظية مشايخاً، وقيل إنه ليس بمولى موسى، وإنما هو رجل من شبيحة وليل مولى لهم، وقد كان غلباً للأندلس يتكرون ولاية موسى الكفراء شديداً . وقيل إنه بربري من نقره . - ملك القرشي الشجع، ج ١ ص ١٢٩ .

الطبري ابن عدنان، ج ٩ ص ٦ . الأندلس المجموعة، ص ٩

والدرجة الإسلامية للأندلس المجموعة قام بها إيليو لاغوندا في أكاديرا، ص ٥٠ . وهو يذهب هذه الصلابة .

porta de Hamedon

CF LEVI-PROVENCAL. *Histoire de L'Espagne Musulmane* (I) vol 1, 14.

أعطر عمل حربي قام به إلى السامرة . ويدعو أن موسى كان عظيم الثقة في أماته ، لأنه وكل إليه أمر هذه الحملة مع ما كانت تجهد به من الغنائم ، فأحب موسى أن يعهد فيها إلى رجل ثقة مأمون عنده لا يطمع فيها ولا يتحدث بأمرها على الخليفة عند العرب والخلفاء .

ومن غريب الأمر أن الجيش الذي أرسله موسى كان بربرياً صرفاً أو يكتله ، وهذه هي أول مرة نسمع فيها أن قائداً إسلامياً عهد في عمل حربي عظيم كهذا إلى قائد غير عربي وجدد غير حربي في الغالب، ولكن موسى مع ذلك احتزز للأمر فأرسل مع طارق عدداً من كبار الجند من العرب وصوالي الأمويين ، مثل : عبد الملك بن أبي عامر المصائقي ومغوث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك وعلقمة اللخمي وهو عربي صرف . وكان في الجيش عدد من كبار محاربي البربر ممن نسمع عنهم كثيراً فيما يلي ، مثل : مونوسة البربري ، ويدعو أن موسى لعدم أن يختارهم من غيرة جتده لأننا ستراهم يقومون بما عهد إليهم فيه في دقة وقسوة تبعثان على الإعجاب .

وكان الاتفاق قد تم بين موسى ولبان على أن يكون هذا الأخير وصحابه أدلاء للمسلمين وبمعينين لهم في أعمال الحملة ، وتعهد لبان كذلك بأن ينقل المسلمين إلى الأندلس على سفن من عنده ، وكانت سفن لبان التي تصلح لنقل هذا العمل قليلة لا تزيد على أربع ، فلم يكن يد من نقل المسلمين عبر المضيق على دفعات ، وأن يقيم من يصير منهم ساكناً في غفبة عن أهل الشاطيء حتى يتم جواز الجيش كله .

تم عبور المسلمين في ربيع سنة ٧١١ م ، وتذهب الراجع الإسلامية إلى أن العبور كان في رجب من سنة ٩٢ هـ ، ولكننا لا نعرف الشهر الذي عبروا فيه على وجه التحقيق^(١) ، ولجميع المسلمون عند الجبل الذي سيعرف من ذلك التاريخ بجبل طارق، وباجتهد طارق في أن يحصن هذا الموضع تحصيناً طيباً ليتخذ

(١) جميع الراجع العربية كلها - بما فيها الطبري - على أن عبور المسلمين كان في ربيع الثاني سنة ٩٢ هـ (٧١١م) ، ولو أئدنا ما يقوله الرازي (في ابن خلدون) من أنه طارفاً فسه وصل الأندلس في آخر رجب من أحوال العبور =

منه حصناً يجتمعي به المسلمون إذا حدث ما لم يكن متظراً^(١٤) ، ولم يكد يفرغ من ذلك حتى بعث عبد الملك بن أبي عامر في فرقة مختارة من الجند سارت بهذا الساحل شمالاً بغرب قاستولت على قرطاية Carteya-Torre de Cartagena ، ثم انحدرت نحو الجنوب واستولت على بلدة الجزيرة الخضراء في مقابل جبل طارق ، وبذلك أصبح مضيق جبل طارق كله في يد المسلمين ، وعهد طارق إلى بليان ومن معه من الجند حراسة هذا اللوضع وحمايته من كل هجوم متظر . وأمن المسلمون أن يعبر أحد إلى مركزهم الأول عند جبل طارق فيهدد مراكزهم وطريق مواصلاتهم مع إفريقيا^(١٥) .

ولم يكد المسلمون يطعمون في مركزهم هذا حتى هاجتهم جماعة من أنصار اللزريق بقودها فأكد بسميه ابن عذاري^(١٦) « بنج »^(١٧) وتسميه المراجع الإسبانية بنشو

١٤ في الخامس من رجب سنة ٩٢هـ تكاد في إمكاننا أن نستنج أن المسلمين دخلوا الجزيرة في أربعمائة الثاني (ابن عذاري: البيان، ج ١، ص ٢٧).

ويؤكد ابن حبان في القتيب (ج ١ ص ١٥٥) أن العمود كان لسبع عتود من ربيع الأول سنة ٩٢هـ .
ويؤيد طرزي القويب في ذلك ذلك العمود الكعبون (الطاهر) في تاريخه، فيجعل العمود سنة ٦١٩ بحداه وهي تعادل سنة ٢١١ بالخطاب الجريجوري (España Sagrada, XXXVII, 312).
ويجملد إيروودر الباسي في السنة السادسة من خلافة الوليد، وهي سنة ٩٢هـ .

(١٥) قبل المرزوقون المحضون إلى القرون بأن طارقاً عند إلى السفن التي عبر عليها فأمرتها لكي يقطع كل أصل لجنود في العودة إلى إفريقيا وليضعهم إلى الاستيلاء في القتال . ولم يذكر تلك الواقعة من الخدماء إلا الأندلسي وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي (كتب جغرافيته سنة ١١٥٤) ولقد نشك في صحة هذا الخبر . ثم إن طارقاً لم يكن يستطيع إسراق السفن لأنها لم تكن ملكه بل كانت لبليان .

SAAVEDRA, Erudito . . p ٤٤ (٢)

(٣) كتب ابن عذاري هذا الاسم « بنج » من غير شكل ، وقله الأسقف روبرج وبنج (Barco) ، وجعله سالندرا بنشو (Barcho) . ويرد في تاريخ إسبانيا العام Chronica general de España في مسودتها أنشو (Barco) ولي الترجمة الإسبانية المرادى بنشو (Barcho) . وقد خلط ابن خثيبه بين وبين لدمبر ، أما بليان لم يرد ذكره إلا عند الرازي وعنه أحمد سالندرا وجعله Witensido ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ص ١٠ .

CI. Chronica del Moro-Rain, apud SAAVEDRA Op. cit. p ١49

وغيره من الأسماء في التاريخ إسبانيا العام .

ويشير ، ففضوا عليها من غير كثير مشقة ، ولم ينج من جندها إلا واحد يسميه السرازي بـ *بيليسين* (Wilicindo-Belissin) أسرع إلى معسكر السرازي في أقصى الشمال عند بنطونة وأثناء بخر نزول العرب البلاد ، فزارع للفرق نحو الجنوب واحتل قرطبة وأخذ يستعد للسير نحو الجنوب للقاء العرب^(١).

ويبدو أن نية طارق كانت السير مباشرة إلى قرطبة عاصمة إقليم بطلي (بيس) ، لأنه سار بحذاء الساحل حتى أنك جزيرة طريف ، ومن ثم الهجه إلى الشمال في سهل قليل الارتفاع ، ومر بين جبلي سيليا دل بابا وسيرا دل رتين واقترب من بحيرة الحندق (لاخاندرا) الواسعة التي تحصر بينها وبين سيرا دل رتين سهلاً متصلاً بعض الاتساع حصياً ، لأن البحيرة تحميه من ناحية والجبل من ناحية أخرى ، واستمر حتى أنك غير الرباط الذي يمتد في بحيرة لاخاندرا ، وكانت يبدأ التوضع في هذه الأيام ببلدة صغيرة زالت الآن ويسمىها العرب بـ *بكتة* ، ولهذا سموا هذا النهر وادي بكتة ، وحرفه بعضهم إلى لكة أو وادي لكة ، وقد أساء الراوية الإسباني رودريجو إردادا نقل هذا اللفظ فظنه *لينة* ورواي لينة ، ومن هنا نشأت هذه التسمية الخاطئة التي سبغ بها كل المؤرخين الإسبان بعده فسموا هذا التوضع الذي دارت عنه المعركة الحاسمة بين العرب والإسبان *جواداليت* (Guadalete)^(٢).

(١) كان للفرق قد توجه إلى الشمال في أوائل ربيع ٧١١ بعد مجرم قام به نقر من الفرنجة على بعض نواحي نية إيطار، وقد ذهب سانفرا إلى أن مجرم هؤلاء الفرنجة إما كانا صحرايين من بلدان وحرز فيطشة، وقد أرموا بذلك إشغال الفرق في ناحية ثانية تسمى للأمر على العرب، وقد اعتد سانفرا في ذلك عبارة للوقاية من توري يترك فيها

"Julius caesare accevit Francos ut españoles Hispaniam intrarent."

CE. LUCAS DE TUY. *Cronica Moris*, L. III p. 76

SÁVEDRA, OP. CIT. P. 65.

وقال الفردي إن الذي أتى للفرق نيا العرب هو تدبير، وكان بلدان قد استعملت على الأندلس، وليس لقبها ما يشي ذلك. انظر: التوضيح، ج ١ ص ١٤٩.

(٢) هذا هو رأي سانفرا في أصل هذا اللفظ وصورة المختلفة التي وردت في المصادر، وقد ذكر جابانجوس في تعليقه على ترجمة فتح الطيب أن هذا النهر كان يسمى عند القدماء *Chryso* .

وهنا عرف طارق عن سبيل عيونته أن للذريق سائر إليه في جيشه ، وأنه وصل إلى قرطبة واستقر بها قليلاً ، ثم تقدم جنوبها وضرب معسكره عند شلونة (Medinacidon) واستعد للموقعة في سهل الربياط هل مغربة من قرية Casas Viejas) الحالية. وتقدم المراجع جيشه بمائة ألف، وربما كان في هذا التقدير مبالغاً، ولكن الذي لا شك فيه أن عدد جيشه كانت تزيد على عدة جيش المسلمين أضعافاً كثيرة، وأن عدد الفرسان فيه كان عظيماً.

ورأى طارق أن العدد الذي معه لا يكاد يكفي للقاء جيش ضخيم كجيش الذريق ، فبعث يطلب اللد من موسى ، فبعث موسى بإرسال خمسة آلاف من خيرة جنده يقودهم طريف بن ملوك وفيهم عدد عظيم من العرب ، فأهركوا طارِقاً قبيل اللحظة الحاسمة ، وقويت بهم نفسه ونفوس من معه. والغالب أن جزءاً عظيماً من هذا اللد كان من الفرسان ، لأن المراجع تحدثنا أن قوة طارق الأولى كانت كلها من الرجال ، في حين أننا سنرى للمسلمين قوة يسيرة من الخيل في المعركة الحاسمة^(١) .

= وأورد كذلك صيداً أخرى لاسم هذا الهمجى :

وأي إيد، وأي لجة : عند ابن الخطيب.

Vadlar, Vadliche, Wadalar عند الذريق الطليطي (Rodríguez Tolosa)

Gualdece عند كوث. في الصورة الإسبانية للروزي.

ثم أتبع ذلك برأي طريف، وهو أنه وجد عند طوريث في الجزء التاسع من *Expone Sagrada* من ٥٢ تفسيراً للفظ *جوزاليت* ملحوظه أن العرب سمعوا غير كريسوس هذا الاسم ومعناه وادي السرور، بسبب ما أصابوا من السرور والراحة بعده، ثم استنتج من ذلك أن العرب لا بد قد سمعوا هذا الهمجى وأي اللغة أو وادي لجة، فكان هذا هو أصل هذه الصور كلها.

CE QAYANGOS The Hist. of the Moab. Dyn. in Spain, t. p. 524.

SAAVEDRA Op. cit p. 68-69.

- وفد فرأى وفسل الاسم وأي لجة وقال إن هذا اللفظ قريب للفظ *Lago Laca* أو البحيرة والمصدر هنا بحيرة الخلق (*Exomela*). وهذا التفسير هو أقرب التفسير إلى الصحة.
- (١) يذهب ساندرا - إحدى على التراجع الصوابية - أن هذا جيش طارق ملقت قبل المعركة ٢٥ ألفاً حسب من انضم إليهم من الصلابة من الصلابة وأعداد الذريق ومن أهل البلاد. فإذا كانت عدة من مع طارق من المسلمين التي عشر ألفاً، فإن عدة من انضم إليهم من الصلابة كانت ثلاثة =

ويبدو أن سير المسلمين الوفير في البلاد إلى هذه اللحظة قد أنتش الأمر في أنفس أعداء الفريق ، فانضم منهم إلى المسلمين نفرٌ عظيم أعانهم بالقوة والرأي^(١) ، وتسامع بذلك نفر من جند الفريق الفاضلين عليه فبدأت تموسهم عندئهم بتحوُّنه وتركه لصيره إذا اشتبك مع المسلمين في القتال، ويُقال إن شهور وآله أحوي غيظته كانوا على رأس هذا الفريق الذي عول على الحيانة، وأنها انتظرت اللحظة الواجبة لتخليها عن الفريق، ويتركاه بلقى جزاءه على ما فعل بغيظته^(٢).

ويبدو أن الفريق كان يشعر بما يدور حوله ، وكان يدرك أن نقرأ من جنده يدبر الحيانة ، فأحب - قبل أن يلقى المسلمين - أن يتعرف ما لديهم من القوة ، فبعث ظليعة من فرسانه لتناوبهم ، فلم يكفد المسلمون يرونها حتى انقضوا عليها انقضاضاً فقلت هاربة ، وأتيأت للفريق بحال العرب وما هم عليه من الخمية والشوق للقتال ، فكاد يسقط في يده^(٣) .

وبدا اللقاء بين الجانبين يوم الأحد الثامن والعشرين من رمضان سنة ٩٢ هـ ^(٤) (التاسع عشر من يوليو سنة ٧١١ م)	١١ - معرى وإني برياط
على وإني برياط على مضربة من شبلونة ، واستمرت المعركة طول ذلك اليوم ورحي وطيسها في اليوم التالي، وأظهر الجيرير	١٩ - بوابسة ٧١٩

٤ - عشر ألقا، أي أكثر من الجيش نفسه وهذا أمر مستبعد، بيد أن هذا لا ينافي من القول بأن ضحا آلام من الصلابة من العوط وأهل البلاد انضموا إلى الجيش الإسلامي.

(٢) Cronicon Sebaste, no. 26.

RODRIGO XIMENEZ Arzobispo de Toledo (Lettre. 26)

(١) ابن عسارى: البيان، ج ٢ ص ١١ - الرزقي في القري: فتح الطب، ج ١ ص ١٦٢ .
وهم من رواية القري أن الذي دبر الحيانة لم يكن أبناء غيظته وأحويه، وإنما قرأ كثيراً من العوط كانوا خصياً على الفريق.

(٢) انظر: ابن القوطية - احتجاج الأندلس، ص ٣ .

ابن عسارى: البيان، ج ٢ ص ٨ - الأختار المصنوعة، ص ٦ .

(٣) الرزقي: رواية القري - فتح الطب، ج ١ ص ١٦٣ .

(٤) الرزقي: رواية القري - فتح الطب، ج ١ ص ١٦٣ .

الذين أتى بهم بليان قدرة عظيمة على القتال ، فقد كان انتقامهم من خيار غمارة وأحسن تدريبهم على الأسلوب البيزنطي . وكان طارق قد قدم نفراً من السودان بين يدي جيشه ، ليلتقوا بما عرف عنهم من الصبر والثبات دفعة الجيش القوطي الأولى^(١٦) . وأظهر فرسان القوط قدرة عظيمة في أوائل المعركة ، وثبوا لضغط العرب والبربر والسودان ، وكان قواد الفرسان من أعداء للذريق الغاضبين عليه ، ويشو أن بليان وزجاله كانوا نشيطين طوال المعركة ، يخلطون الناس عن الذريق ويصرفونهم عنه ، مؤكدين لهم أن العرب لم يبقوا إلى هذه البلاد للفتح والاستقرار ، بل للقتضاء على للذريق والظفر بالنعمة ، وأنهم إن خلطوا للذريق اليوم صفت لهم الأندلس بعد ذلك . ولم يلبث أثر هذا الكلام أن ظهر بين جنود للذريق - وكان كثير منهم كارهاً له تالياً عليه - فلم يلبث فرسانه - وهم حرة جنته - أن خرجوا من المعركة وتركوه لصبره^(١٧) . وكان ذلك كائناً ليقع الفرضي في جيش للذريق ، فاضطرب نظامه ولاذ من بقي منه بالصغار وأسباب المسلمين في ألقيتهم . وقد قتل من القوط في ذلك اليوم عدد عظيم . ولم يعثر للذريق على أثر ، وتذهب المراجع العربية إلى أنه أراد أن يعبر اليرباط على عجل

(١٦) لم يذكر هؤلاء السود من المؤرخين اللاتين إلا ساندرا ، مع أنهم لما بدأ بتدور حطير جداً في الفتح ، وسيكون لهم دور حاسم فيما وقع بين العرب بعد ذلك من الحروب في الأندلس ، وسنلته إلى ذلك في حته .

CE SAAVEDRA Op. cit. p. 71.

(١٧) لجميع المراجع العربية على ذلك، وتؤكد أن حياة للذريق وسط المعركة إنما وقعت بناء على تدوير سابق حكم بين آل غيظنة والعرب . وقد ناقش ساندرا هذا الموضوع ، وانتهى إلى أن الذي قام ترتيب المؤامرة كاتا أغري غيظنة وهما أبداً ، وشخصيته ، وكان أحدهما على حيل للذريق في هذه المعركة ، وقد تمسح ساندرا من أن للذريق يهدف في أمر عام كهذا لواحد من أعدائه ، ولكن فإنه أن بعض المراجع العربية تذكر أنه للذريق سعی في التصالح مع آل غيظنة قبل المعركة الخامسة ، وهذا واضح من قول ابن القوطية : « فلما دخل طارق بن زياد الأندلس أيام توليد بن عبد الملك ، كتب للذريق إلى أولاد الملك غيظنة - وقد زرعوا وزكروا الخيل - يدعوهم إلى مناصرته وأن تكون أجيهم واحدة على صلحهم . . . »

ابن القوطية : الفتح ، ص ٢٠٦ .

فغرق فيه ولم يعثر المسلمون إلا على عضة^(١) لكنه لم يمت في هذه المعركة كما سئري
وسيقوم يدور عظيم فيها بعد. وقتل فيه أيضاً ششريت. وكان ممن تحمل عن
للرقي طمناً في الغنمة والسلامة ! وأصاب المسلمون من هذه الواقعة غنائم لا
تكتاد تحصى ، ولعل أكثر ما يمينا منها هي الخيل ، فقد غنم المسلمون خيلاً كثيرة
حتى لم يبق منهم راجل . وقد قتل من المسلمين ثلاثة آلاف ، وبقي منهم تسعة
آلاف زادهم التصر حماسة ، فأسرع بهم طارق نحو قرطبة تتقدمهم هذه الشرذعة
الباصلة من السود التي أبلت في هذه المعركة بلاء طيباً^(٢) .

وإن يكذ خبر هذا الانتصار يصل إفريقيا ، حتى أقبلوا نحوه من كل وجه ،
وغرقتوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق ، ففاض
سبل البربر على الأندلس ، وأخطوا يستقرون في النواحي القشوحه . وتضخم
جيش المسلمين إلى حد يصعب معه تقديره بعد هذه الواقعة ، وأسلم الآراء هو
أن نقول إن جيش المسلمين تضخم تضخماً عظيماً. ورأى طارق أنه لن يستطيع
السير بهذا الجحفل اللجب دفعة واحدة ، فعال إلى تفريقهم في بعوث صغيرة
يبعثها إلى النواحي .

وأعطب هذا الانتصار اضطراب في شؤون الأندلس كلها ، « وارتفع أهل
الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وتهايروا من السهل ولحقوا بالجبال »
كما يقول الرازي^(٣) . وحسب حزب غبطة أن الفرصة قد سنحت لإعلان واحد
منهم ملكاً مكان الطاغية المهزوم^(٤) ، وفعلاً بذلك وقتة (أخيراً) جهداً كبيراً لكي

(١) لا يطلع ابن عذارى موت الرقي ، ويكفي بقوله: « ولم يعرف للرقي موضع ولا وجدت له جثة ،
ولما وجد له سيف منقوش ، فقاتلوا إته شرق ، وقاتلوا إته قتل . . . والله أعلم »

ابن عذارى: البيان ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٢) فتح الأندلس ، ص ٧ .

الرازي ، رواية القرني - فتح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٣ . وهو يقول إن طارقاً قسم الغنائم على
٩٠٠٠ من المسلمين ، أي أن هؤلاء هم الذين سلموا وقتل الباقون .

(٣) رواه القرني: فتح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٤) يقول ويدور الطيغالي :

يستصدر من مجلس طليطلة فراراً باعتباره ملكاً ، ولكن الأمر لم يستقر له لأن الشائعات كانت تملأ الجيوب بأن اللذين لم يُقتل . وعمل هؤلاء الغبيطيون من جهة أخرى على تشجيع طلاق على الاستمرار في الفتح حتى يتم لهم الانتصار المحقق ، وأما بليان فقد ثبت بقواته في ناحية الجزيرة الخضراء⁽¹⁾ .

ولو عمل طارق بأمر موسى لكان من الواجب أن يعود إلى إفريقية بعد هذا النصر كما عهد عبد الله بن أبي سرح إلى مصر بعد نصر سيطة ، ولكن طارقاً كان أبعث نظراً من عبد الله بن أبي سرح ، ووجد أن الأبواب قد فتحت أمامه فلا معنى لتوكمها والعودة إلى إفريقية ، فمضى مسرعاً نحو استجة ليعبر شتيل من غاضتها في طريقه إلى قرطبة ، ويبدو أن عدداً عظيماً من بقايا جيش لذريق كان قد تحصن فيها لأن طارقاً لقي فيها مقاومة عنيفة ، واحتجاج إلى عون بليان الذي خف إليه مسرعاً . ويبدو أنه استبان كثرة من مع طارق وصحوبة الاستمالة منهم جميعاً في حملة واحدة ، فنصحهم بأن يفرق جنده في بعوث جانبية ، فقال له : « قد فتحت الأندلس ، فخذ من أصحابي أدلاء لفرق معهم جيوشك وسر معهم إلى مدينة طليطلة » . ففرق جيوشه من استجة⁽²⁾ .

— et rex Rodericus, cum esset magnanimus, antequam fugeret, permisisset se occidi, et eo merito, postea eis regnum perdidit preterea...

RODERICUS TOLETANUS. De Rebus Hispanis, Lib. III cap. 20

C.I. SAAVEDRA. op. Cit. p. 76

والترابي إشارة عامة لهذه هذا الرأي . قال إن بليان قال لطارق : وقد ضللت جيوش القوم ورحلوا ، فاصعد ليضيقهم ، وهؤلاء أدلاء من أصحابي مهرة ، ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد ، وأبعد أنت إلى طليطلة حيث متعلقهم ، فاشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع إل أول رأييه بما يدل على أن كبار القوط كانوا يدبرون شيئاً في حاصرتهم ، وأن بليان نصح طارقاً بالإسراع إلى طليطلة وأسا ليدارك الأمر .

انظر : القرني - فتح الطيب - ج ١ ، ص ١٦٤ .

(١) ابن عسار: البيان، ج ٦، ص ١٠ .

(٢) ابن عسار: البيان، ج ٩، ص ١٠ .

SAAVEDRA Op. cit. p. 77.

وإن يلبث حكام البلد أن أسلموه صلحاً ويدخل في طاعة المسلمين^(١١) ،
 والفتح أسلمهم طريق قرطبة وطليطلة . ولو قائد غير طارق لاتفح نحو قرطبة
 وأنفق وقتاً طويلاً في الاستيلاء عليها ، ولكنه كان قد علم بعض ما كان يدور
 إذ ذاك في طليطلة ، وعرف أن الظروف لا تسمح بإتفاق الوقت في الحصول
 على مدائن جنوبي الجزيرة كقرطبة وغرناطة ومالقة . فعجل بإرسال جيش
 الرومي في قوة كبيرة إلى قرطبة ليشغل من فيها عن قطع طريق عودته ، ثم
 مضى بمعظم جيشه مسرعاً نحو طليطلة ليحصل إليها قبل أن يحكم أنصار للروم
 الدفاع عنها ، وقبل أن يدبر أنصار غبطة أمراً لا يكون في صالح المسلمين .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن طارقاً أرسل في هذا الوقت حملة فتحت
 جنوب شرقي الأندلس وكبار مدائنه مثل مالقة وغرناطة وأوربولة ، ولكن ذلك
 غير صحيح ، لأن المسلمين لم يفتحوا هذه النواحي إلا في ولاية عبد العزيز
 ابن موسى ، ولا يستبعد أن يكون قد بعث سرايا صغيرة إلى هذه النواحي
 وغيرها لمجرد الاستطلاع لا للفتح . وكان الجنود عنده قد كثروا ففرق أعداداً
 منهم مع جماعات من رجال بليان بدلوهم على الطريق ، وربما كان بليان
 صاحب هذه الفكرة^(١٢) .

وكان جيش المسلمين يزداد عدة في الطريق من كان ينضم إليه من
 الغاضبين على لادوق وعهده ، وانضم إليه كذلك عدد من اليهود الذين
 استقبلوا أخبار انتصار المسلمين على القوط استيصال الظمآن للياه^(١٣) ، فقد كان
 حالهم معهم كما رأينا شيئاً جدياً ، ولا نزاع في أن طارقاً ألفاء فائدة كبيرة من
 هذه الجماعات من الإيبيريين واليهود التي انضمت إليه ، فقد وجد فيهم
 الأدلاء الذين يقودونه في هذه الأباطح الضيحة التي لم يكن المسلمون يعرفون

(١١) فتح الأندلس، ص ٨.

(١٢) ابن خلدون: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠.

المفري: فتح الطيب، ج ٢، ص ١١٤.

(١٣)

عنها شيئاً ، وهكذا أسعد المسلمون بأكثر مما كانوا ينتظرون ، وسار هذا القائد المجدود طارق بطرق يسود هذه الجماعات من العرب والبيربر والموالي والسود والإيريين واليهود قاصداً طليطلة عاصمة القوط .

عبر طارق الوادي الكبير عند منجبار (Manjibar) وسار في الطريق القديم الذي كان يعرف في عهد الرومان باسم طريق هاتيبال^(٢) ، ودخل طليطلة من غير مقاومة تذكر ، واستولى على الكنوز الزاهرة التي وجدها في تصور القوط وفي كنيسة طليطلة الكبيرة بوجه خاص ، ولم يسهب المؤرخون المسلمون في شيء مما وقع للمسلمين في فتوحهم كلها مثلها أسهبوا في صفة اللهب المحل بالجواهر الذي اغتتمه المسلمون في هذه الكنيسة الجامعة ، فقد سموه مائدة سليمان بن داود ، وذهبوا إلى أن هذه المائدة كانت من زبرجد خالص ، ومن المحقق أن هذا اللهب كان مرة من ذر الفن ، محل يأمن ما لدى القوط من الذهب والجواهر ، وأن وقوعه في يد المسلمين أثار بينهم دهشة كبرى^(٣) .

وقد وجد المسلمون المدينة شبه خالية لأن أهلها انتشروا عنها طالبين الحرب حينما علموا بمقدمهم ، حتى أسقف البلد بِنْتَلِرْد وكبار قساسة المجمع الطليطلي فضلوا ترك البلد ينهي من بناء وترجوهوا إلى روما . ولم يشغل طارق

(١) يذكر القرني أن طارقاً سار إلى طليطلة في الطريق المذكور ، وهذا باتن لنا في القول بأنه تبع طريق هاتيبال الروماني ، لأنه كان طريقاً مضموراً إذ ذلك ، وفيه أمر الآن سكة حديد الأندلس .

القرني : فتح الطيب ، ج ١ ، ص ١١٧ .

CF SAAVEDRA, Op. cit. 78.

(٢) يذهب معظم المؤرخين المسلمين إلى أن طارقاً فتح هذه النحلة الفضية في مدينة الأندلس ، وهذه الفضة هي في الحالت فلعة هنارس (Aula de Henares) ، وهي بالطبع ليست مائدة سليمان بن داود عليه السلام (إذ كانت لسليمان مائدة) ، وهي ليست كذلك مائدة أصلاً ، إذ لا يحتمل أن يفتح القوط بصانعاتها هذه الفضة ، ولكن الغالبية أنها ملحق الكنيسة الجامعة في طليطلة ، إذ لم تكن في فلعة هنارس إذ ذلك كنيسة كبيرة يحتفل بوجود هذا اللهب العظيم بها . ويقوم ملك من ملوك صربيا لأن حيان يقول فيها : «وهذه المائدة المثرة عنها التسمية إلى سليمان التي عليه السلام لم تكن له فيما يزعم رواة المجمع ، وإنما أصلها أن العظيم في أيام ملكهم كان أهل الحسبة منهم إذا مات أحدهم

بالغنائم والذخائر وإلقا مضي قديماً حتى أدرك وانتهى الحجارة ، واستمر صاعداً حتى أدرك بلدة تسميها الراجح العربية « الثالثة » على مطربة من قلعة هنارس⁽¹⁾ ، وكان الصيف قد انقضى وأقبل أكتوبر ومعه برد الحريف ، ففضل طارق وأصحابه العودة لكي يقضوا الشتاء في طليطلة ، وكانت الغنائم قد أنقلت العسكر إلى حد عظيم . ويستعد أن يكون طارق قد سار إلى أمايا (Amaya) وأسترقفة (Astorga) في ذلك الحين كما يزعم بعض المؤرخين⁽²⁾ ، لأن الشتاء كان قد القرب ، وكان الإجهاد قد نال من المسلمين

أومس بال للكتائب، فإذا اجتمع عندهم ذلك المال، صاعروا به الآلات الصعبة من الموائد والكرامى والشاهيا من الذهب والفضة، فصل الشتاء والشموس نزلها مصاحف الأناجيل إذا أترزت في أيام الشتاء، ويصفونها على الطابع في الأعياد المباحة بزينتها، فكانت تلك المائدة نظيفة بما صبح في هذه السبل... وفيه العبارة تدل صراحة على أن تلك المائدة إنما كانت للملح كتبة طليطلة.

ولما تعلم كيف وجده المسلمون في قلعة هنارس، اليوم إلا إذا اغترسنا أن فتاوسة طليطلة حاربوا القرار به لفتحها ولتداسه، ولم يستطيعوا التقدم به أكثر من ذلك الموضع، وذلك لرضي يزيد أي المؤرخين لا إحدائنا تحفة كثيرة من تصور ملوك القوط في طليطلة، مما يفهم منه أن رجال القصور قد حملوا معهم أحسن طرفها حينها أطروحة لاقترب المسلمين.

وصف هذه المائدة لا يمكننا على أي حال من تصور عيبتها تصوراً صحيحاً، إذ أن ابن عبد الحكم وصاحب الأخبار المجموعة وابن خلدون والمقري وصاحب فتح الأندلس يتفقون في وصلها الفداء حرمياً، فهي صنم كانت من زينة حضراء، حاطها وأرجلها منهد، والغالب أنهم يرون أنها كانت حلاً بالزبرجد الأخضر أما من حجبها فإن صاحب الأخبار المجموعة يرفعا في حيرة شديدة، لأنه يقول ثاراً: «ولما كتبت رجل وحسة وسعرت وجلأها ويقول ثاراً أخرى...» وصل لما سقط من حرمي فادخلها فيه.

- انظر: ابن عبد الحكم، فتح ص 207.
 الأخبار المجموعة، ص 17، 19.
 ابن خلدون: البيان، ص 13.
 ابن حبان برواية المقري: فتح الطيب، ج 1، ص 177.
 وفتح الأندلس: ص 9.

SAAVEDRA - Op. cit. pp. 79-80.

(1)

(2) انظر ابن حبان عند المقري: فتح الطيب، ج 1، ص 177.

وتمنوا بالثامن . والأرجح أنه فلام بمحلاته نحو هذين البلدين القاصيين بعد ذلك بزمن ليس بالقصير .

٦٦- مع قرطبة
وأما مغيب الرومي ومن معه من الرجال - ولم يكن عددهم كبيراً
على سعة فوس - فقد أخذوا يقتربون من قرطبة حتى أدركوا
الضفة اليسرى من الوادي الكبير مقابل قرطبة، وكانت القنطرة التي تصل
الشاطئين مهدمة في ذلك الحين، فاضطر المسلمون إلى الانتظار حتى تسح
الفرصة المناسبة للعبور، وبثوا حيناً مترصدين مخبيين في غابة بين قرطبة
(Secunda) وطرسيل^(١) على الضفة اليسرى للوادي الكبير، وأخذوا من مخبتهم
هذا يستظلمون أخبار البلد قبل أن يعبروا النهر إليه ويهاجموه . وكان أهل قرطبة
كارهين لأمر القوط عامة وللذويق خاصة لأن القوط كانوا يختصمون أنفسهم
بالجزء الغربي من البلد، وتركوا جزءه الشرقي للأهلين، كما كان الرومان قبلهم
يفعلون^(٢)، وأقاموا سوراً بينهم وبين الأهلين، حتى لا يقرب هؤلاء مساكنهم
كأنهم منبوذون، وكان البلد حصيناً يدور عليه سور من الحجر الضخم، ولكن
الظاهر أنه كان متدهماً في بعض أجزائه لأن العرب سينفذون من ثغرات فيه،
وكان من حسن حظ العرب أن الجزء الذي كان يقابل القنطرة هو الجزء الذي
كان الأهلون من الإيبيريين الرومان يسكنونه، وفيه الكنيسة الجامعة
(الكاتدرائية) التي ستصبح جامع قرطبة الكبير فيما بعد . ولم يصعب على
المسلمين الاتصال بشرف من الأهلين واستطلاع أخبار البلد منهم، وبمعاونة هؤلاء
استطاعوا عبور الوادي الكبير في ليلة غزيرة المطر من الليل أغسطس^(٣)، عبروا

(١) يسمى هذا الموضع اليوم El Campo de la Verdad أما عن طرسيل فمطرق تطلق ساندرا في كتابه
للتذكور أثناء، ص ٨٩، جلد ٢ .

(٢) SAAYEDRA Op Cit p.١٤٢.
(٣) يقول القزويني : «وأقبل المسلمون ووجدوا حتى عبروا نهر قرطبة ليلاً، وقد أمثل حرس المدينة استراس
السور، فلم يظهر لهم عليه، حديقاً بلدي نالهم من المطر والبرد، فترحل القوم حتى عبروا النهر،
والمس بين النهر والسور إلا مقدار ثلاثين فراسخاً . . .»
لغزني : فتح الطب، ج ١، ص ١٦٤ .

في مواجهة باب الفتحة أو باب الصورة، نسبة إلى مثال أسد كان قائماً على مقربة من السور وظل قائماً أيام المسلمين، وجعل مغيث وأصحابه يدورون حول السور بالتمسك ثغرة فيه يدخلون منها.

ولم يكن من العسير على المسلمين أن يدخلوا إلى داخل البلدة من هذه الناحية، إما من ثغرة ظلم عليها واحد من أهل البلد أو بتسليق السور. ولم يكف نفراً من المسلمين مجتمع داخل البلد حتى اندفعوا إلى الباب ففتحوه ليدخل بقية إخوانهم^(١)، وحدثت في البلد هبة أفاقت على أثرها حامية البلد من القوط ولم يكن عندها يزيد على ٤٠٠ فارس، وكانت متباعدة مع الحاكم في الجزء الغربي الذي يعرف أيام المسلمين بالمدينة أو القصبة (يسمى اليوم لانيلا = المدينة)، وكان الحاكم مقياً وحده في قصر متباعد من الضاحية التي ستعرف أيام المسلمين بريف الزرافين. فأسرع إلى حامية، ولم يمهله العرب أن فاجأوه، ففر بجنته إلى كنيسة قريبة تسمى كنيسة القديس أيسكلو (San Acisclo)^(٢) وتحصن فيها، وأقام المسلمون حولها محاصرين إياها. واستمر الحصار قرابة الثلاثة أشهر، حتى استطاع المسلمون قطع الماء عن المحصورين، وكان يجري إلى الكنيسة في بحري تحت الأرض، فلم يفتن إليه المسلمون، حتى اكتشفه رجل من السود ممن كانوا مع المسلمين^(٣). وقد صبر هؤلاء المحصورين صبراً طويلاً رغم قطع الماء عنهم، ولم يستسلموا إلا بعد أن جهدوا جهداً عظيماً، ويذهب الرازي إلى أن مغيثاً أوقف النيران في الكنيسة

(١) الرازي برواية القرني: فتح القلوب، ج ١، ص ١٦٦.

(٢) يسمي صاحب الأخبار للجسورة هذه الكنيسة تحت أطلع. وقد ورد في تحريم قرطبة لعرب بني نصر، عوي أن هذه الكنيسة هي سان أيسكلو المعجمية.

أطلق: الأخبار للجسورة، ص ١٢ وعاشق ١ من ص ٢٥ من الترجمة الإسبانية.

وانظر كذلك: سائقوا المصدر للشارح، ص ٥٥، عايش ١.

(٣) راجع أخبار ما وقع لهذا الأسود على يد الأسبان والقوط، فقد وقع في يدهم وحسبه مصوراً فحاولوا إزالة ثوبه والفصل والحلك حتى اعتدوا ثم تركوه يقضي غير مقدور أنه حين عليهم، لما مضى إلى المسلمين أظهرهم حل بحري الماء. ولما تعرف إن كنا نقبل هذه القصة أو لا قبلها، لأنها لا تكاد تصدق أن الإنسان لم يكونوا له رلوا أسوداً حتى الساعة.

الرازي - في المغربي: فتح القلوب، ج ١، ص ١٦٥.

حتى ماتوا حرقاً . ونحن نسبعد ذلك ، لأن الكنيسة ظلت بعد ذلك في أيام المسلمين زماناً طويلاً وليس فيها للناظر أثر^(١) . ولواد فائد المحصورين الحرب ، فخرج يشد على جوانبه ، فبمعه مغيث وحده ، وخرج الرجل من البلد وأفضى إلى ضاحية قُطَيْبِرة وكاد يتجو ، لولا أن عثر به جوانبه ، فجلس على ترسه مستأسراً حتى أدركه مغيث وأمره ، وكان هو الفائد الوحيد الذي أخذ أسيراً من كبار قواد القوط ، وقد سلمه مغيث لطارق ، واحتفظ به هذا ليذهب به إلى الخليفة ، ونزعه فيه موسى بن نصير فيها بعد ، فلما اشتد النزاع بينهما عليه أخرج مغيث سيفه وقتله .

أما بقية الحماية فقد ظلت عن آخرها عند باب الكنيسة التي اعتصمت فيها ، فسبيت هذه الكنيسة من ذلك الحين كنيسة الأسرى . واحتل مغيث قصر الحاكم القوطي^(٢) ، الذي سيصبح فيما بعد مقام الأمراء والخلفاء ، بعد أن يعدل ونضاف إليه أجزاء كثيرة . وقد ترك المسلمون كنيسة الأسرى لِنصارى قرطبة فظلت أكبر كنائسهم في عاصمة الأندلس الإسلامية طالما بقيت المدينة في حوزة الإسلام ، ثم عمد إلى اليهود فجعلهم بعض حرس المدينة ، واستأتم إليهم دون النصارى للعداوة بينهم ، كما يقول الرازي^(٣) .

وقد لاحظنا أن المسلمين كانوا لا يفتخرون في الأندلس بلداً إلا جعلوا بعض حرمه وحمامته من يهوده ، ولا يعقل هذا إلا بأن اليهود قد ولقوا إلى جانب المسلمين وأهانتهم من أول الفتح في كل مرحلة من مراحلهم . وهذا أمر طبيعي ، لأن اليهود كانوا يفتخرون على يد القوط بلاه شديداً ، فلم يكتفوا بسرون المسلمين مقبلين حتى انضموا إليهم وأزروهم ، فجزاعهم للمسلمون بذلك . والرازي في هذا عبارة تستحق التسجيل لا لأهميتها للفتح وحده ، بل

(١) الرازي ، نفس المصدر والصفحة .

(٢) في هذا يقول صاحب الأخبار المجموعة: «ودخل مغيث بلاط قرطبة فاعتصمه . والبلاط هو القصر ، من Palatium اللاتينية كما هو معروف .

انظر: الأخبار المجموعة ، ص ١٢ .

(٣) الرازي ، في القوي: فتح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

لتاريخ الأندلس عامة : ، وصار ذلك لهم سنة متبعة في كل بلد يفتنونه :
أن يضموا يهوده إلى القضيبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ، ونمضي معظم
الناس لغربها ، وإذا لم يجدوا يهوداً وقرروا عدد المسلمين المختلفين لحفظ ما
فتح (١٦٦) .

وهنا ، وبعد أن فتح المسلمون عاصمة البلاد وكسروا قنارات لطريق
وقضوا على كل أمل له أو لأتصاره في العودة إلى الحكم ، تقدم أبناء غيطشة
إلى طارق يطلبون إليه الوقف بما وعدهم من الكرامة وحسن الجزاء . ويبدو
أنهم كانوا يؤمنون أن ينسحب طارق ويجد المسلمين معه من البلاد مكتفون بما
أصابوا من الغنيمة ، فيعود آل غيطشة إلى ما كانوا فيه من الملك والسلطان ،
فلما عيب طارق وجانهم وأظهروا أنه أقبل إلى البلاد للفتح الثابت ونشر
الإسلام سقط في أيديهم ، ووجدوا أن لا مندوحة لهم عن القناعة بما يمنحهم
المسلمون إياه . ووجد طارق أنهم لا يستحقون أكثر من ضياع أبيهم ، وهي
كثيرة ، فأمنضاهم لهم . ويبدو أنهم استقلوها وطمعوا في المزيد ، ولم يستطع
طارق إيجابتهم إلى ما سألوا ، فاستأذنه في السير إلى موسى بن نصير في
إفريقية ، وسأله الكتابة إليه بشأنهم معه ، وما أعطاهم من عهد ففعل . فلما
بلغوا موسى أقر طارقاً على ما فعل ، بعد أن قرأ كتابهم واستوثق من صدق
معاونتهم للمسلمين ، ويبدو أنهم ألحوا على موسى في الزيادة ، لأنه - على قول
الرازي - أحاطهم على الخليفة نفسه (١٦٧) فآمر عهد موسى وطارق . وليس لدينا ما
يؤيد دعواتهم إلى دمشق ، ونحن أميل إلى القول بأن موسى بعث إلى الوليد
بالتسأله كلها ، فلم يفعل أكثر من أن أقر عهد أميره ، وعاد الأمراء آخر الأمر
إلى الأندلس فاتعين بما أصابوا ، ولم يكن شيئاً قليلاً ، إذ أعطاهم المسلمون
ثلاثة آلاف ضيعة - هي بعض ما كان لأبيهم الملك غيطشة - فأسحب كل منهم
ألفاً : أخذ ألف ضيعة في الغرب واستقر في إشبيلية ، وأخذ أربعمائة ألفاً

(١) الرازي، عهد القرني: فتح الطيب، ج ١، ص ١٦٦.

(٢) الرازي، برواية القرني: فتح الطيب، ج ١، ص ١٦٧-١٦٨.

في وسط الأندلس واستقر في قرطبة ، وأصاب أنحلالاً (وقلة) ألقاً في شرق الأندلس وفضل الإقامة في طليطلة في خلال المسلمين ، وبهذا كان الفتح الإسلامي خيراً عظيماً عليهم وعلى بيتهم المهضوم .

وتذهب الرواية الإسلامية إلى أن موسى بن نصير لم يكذب
بسمع بأخبار ما وفق إليه مولاة طارق من الفتح حتى أكل
قلبه الحسد ، وقرر أن يذهب إلى الأندلس بنفسه ليعاقبه
ويفتح بنفسه فتوحاً أعظم من فتحه . وعلى الرغم من أن
موسى لم يكن بعيداً عن الغرور والحسد والطمع ، فإننا نستبعد أن يكون هذا
الشعور أو ما يمثله هو الذي دفعه إلى العبور إلى الأندلس ، ثم إن طارقاً كان
بطبعه رجلاً متواضعاً قوياً ، وكان قد فتح هذه الفتح كلها باسم مولاة
وأمره ، وكان يوقفه على الأخبار أولاً بأول ، فقد كان المسلمون قد استولوا
لأنفسهم من ميناوي جبل طارق والجزيرة الخضراء ، وكانت السفن والحنة
غادية ، ولا يعقل أن يكون موسى قد ظل جاهلاً بما يفعله حتى وصل هذا إلى
طليطلة وما وراءها ، وقد أبتا طارقاً يبحث أبناء غوطشة إلى موسى يستثبوه في
أمرهم . وإنما المعقول أن يكون موسى قد شعر بأن المسلمين قد استولوا
أكثر مما ينبغي ، وأن خطوط مواصلاتهم في شبه الجزيرة الواسعة في خطر ،
فقد بقيت مدائن الشرق والغرب جميعاً لم تفتح ، وكان لا بد من فتحها وإلا
تعرض المسلمون للخطر إذا شاء الفسوط في أوريزولة أو إشبيلية مثلاً السير إلى
استجة أو شلونة وقصص الجيش الإسلامي في الشمال عن الحامية الصغيرة التي
كانت في قرطبة يوقطع الجيش والحامية معاً عن سواقي الاتصال بالقرطبية .
ولو قرأ الإنسان روايات هؤلاء المؤرخين في شيء من الرواية لاستبان أن
بعض عباراتها يدل على تناقضهم ، فيذهب ابن حبان مثلاً إلى أن موسى
« تكذب الجبل الذي حله طارق ، ونزل على الموضع التسرب إليه المعروف
الآن بجبل موسى ، فلما احتل الجزيرة الخضراء قال : ما كنت لأسلك في
طريق طارق ولا أقصو أثره ، فقال له العلوج الأدلاء أصحاب بلبان : نحن
نسلك بك طريقاً هو أشرف من طريقه ، وبذلك على مدائن هي أعظم خطراً

وأوسع ظناً من مدابنه ، لم تفتح بعد ، يفتحها الله عليك إن شاء الله تعالى .
 قملء سروراً » . وهذه عبارة إن قلت على شيء فعلى بعد نظر موسى من
 ناحية ، وعلى شرهه إلى الغنائم من ناحية أخرى ، ولكنها لا تدلّ على الخسد
 بحال . فلما بعد النظر فلأنه وقد أقبل مع هذا الجيش الكبير من المسلمين ،
 لم يكن من الحكمة في شيء السير به في بلاد ومدائن قد فتحت فعلاً ، إنما
 الحكمة في استخدامه في فتح بلاد لم تفتح بعد . وأما الشره إلى الغنائم
 فظاهر ، لأن موسى قد سره أن سير به الأدلاء إلى مدن أخرى من مدن طارق
 وأكثر منها مالاً . وليس للحد في مثل هذا الموضوع مكان ، لأن طارقاً ، مهياً
 كان الحال ، مولاه وتابعه ، ويسمه يفتح والحسابه بنعم^(٦) .

لم يذهب موسى للقاء طارق وتأديه ، وإنما انصرف إلى فتح كبار البلاد
 الجنوبية والغربية التي خلفها طارق حين فتح ، فلما تم له ذلك سار إليه ولقيه
 في طليطرة على مسيرة من طليطلة . وقد أظن بعض المؤرخين في وصف ما
 وقع بين الرجلين عند هذا اللقاء ، فيذكر ابن عبد الحكم أن موسى شد وثاق
 طارق ، وجسه وهم يقتله ، لولا تدخل مغيث الرومي . وكان طارق قد كتب
 إليه من محبه يرجوه أن يسرع بخير ما وقع له إلى الخليفة الوليد ، فذهب
 مغيث إلى موسى وحذره أن يسيء إلى طارق ، ثم ذهب مغيث - كما سنرى -
 إلى دمشق وأبلغ الوليد الأمر ، فكتب هذا يهدد موسى ويهدوه للمشول بين
 يديه ، فخاف موسى وأطلق طارقاً ، ثم لم يلبث أن عاد ليؤذي عند الخليفة
 حساباً عسراً على ما فعل^(٧) . ولا ترى إلا تفسيراً واحداً للإنفراد ابن عبد الحكم
 من بين المراجع الموثوق فيها بهذه الرواية . هو أنها كانت معروفة في
 المشرق بمجولة عند أهل الأندلس . وأما وجودها في المشرق فمرجعه على
 أغلب الظن إلى مغيث الرومي ، فقد كان محققاً على موسى مولعاً بالكيد له ،
 لأنه كان يرى أنه مولى الوليد وأنه أولى بولاية الأندلس كما سنرى ، فانتهمز

(٦) ابن حنبل عند المقرئ ، ج ٩ ، ص ١٧٠ .

(٧) ابن عبد الحكم : فتح ، ص ٢١٠ .

لمرصة دعاهه إلى المشرق لإبلاغ الوليد أخبار انتصارات المسلمين ، وأخذ يسأل في مساهمات موسى ويخلق عليه ، حتى لقد أنكسر عليه كمثل قنبل في القنبح كما يرى من رواية ابن عبد الحكم الأتفه الذكر ، وانتشرت قلاته بين أهل قصر الخليفة وبين أهل المشرق ، وسجلها المؤرخون المشركون الذين يمثلهم ابن عبد الحكم في هذه الناحية .

وأما الأندلسيون ، وهم آخرون بأن يعرفوا مثل هذا الخبر على صحة لأن أخبارهم أخذت عن ناس حضروا بأنفسهم هذه المواقف ، فلا يعرفون إلا أن موسى « وضع السوط على رأس طارق وأثبته » كما يقول صاحب الأخبار المجموعة ، وقد كان مستظعاً أن يقول : إن موسى ضرب طارقاً بالسوط بدلاً من قوله : « وضع السوط على رأسه » فقط .

ثم إن الرجلين لم يلبثا أن تعالوا ، فتروك موسى طارقاً على قيادة جيشه وسار كل منهما في الجهة ، متعاضدين متساعدين ، ولو كان ما ذكره عبد الحكم صحيحاً ، لما حدث ما استراه من اشتراك الرجلين الكامل في العمل . وهذا واضح من قول ابن حبان : « قالوا : ثم إن موسى اصططح مع طارق ، وأظهر الرضى عنه وأقره على مقدمته ، وأمره بالتقدم أمامه في أصحابه ، وسار موسى خلفه في جيوشه » (١) .

وعندنا أن ابن حبان أصبح من ابن عبد الحكم في هذا الموضوع ، وهو لم يذكر شيئاً عن ضرب موسى لطارق أو سجنه ، وكل ما يذكره هو أن موسى وسخ طارقاً على مخالفته أمره ، ثم لم يلبث الولد أن عماد بينهما ، وظل طارق أوثق رجال موسى وصاحب مقدمته . ولو كان موسى « مغيباً » على طارق إلى هذا الحد الذي يزعمه ابن عبد الحكم ، فكيف لم يستدعه إليه إلا بعد أن أتم فتح ماردة ، مع أنه - أي موسى - ألهم على هذا القنبح بضعة أشهر؟ ثم كيف

(١) ابن حبان، عند القرني : فتح الطب، ج ٦، ص ١٧٢

طلب إليه أن يخرج للقاءه في طليطرة فقط وقد كان مستطعياً استدعاءه إلى أبعد من ذلك ؟

الواقع أن موسى كان يعمل مع طارق من أول نزوله الأندلس ، وأن خروج طارق للقاء موسى عند طليطرة لم يكن مجرد اللقاء بل لغرض آخر حربي سمعته . وقد أشم الرجلان الفتح معاً على أحسن ما يكون الرجال تعاوناً ، وهما إلى المشرق فلم نسمع أن طارقاً وقف يشكو موسى بين يدي الخليفة . ولو كانت بينهما هذه الخصومة لسعنا لها صدى - ولو خافتاً - في المشرق بعد أن حمادا معاً

والمصري رواية تؤيدنا في هذا المذهب ، إذ يقول : « ... ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من التصرة لطارق هجر إلى الجزيرة بين معه ولحق بمولاه طارق فقال له : يا طارق ، لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبحك الأندلس ، فاستحبه هنيئاً مريئاً ، فقال له طارق : أيها الأمير ، والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أتتو إلى البحر المحيط ... »^(١) .

كذلك يمكننا على الظن بأن الرواية التي تصور القائمين المسلمين العظمين متعددين إنما مرجعها إلى مغيب الرومي ، والمصري عبارة تؤيدنا في هذا أيضاً ، فهو يقول من غير سند ظاهر : « ولما قتل موسى بن نصير إلى المشرق وأصحابه ، سأل مغيباً أن يسلم إليه العليج صاحب قرطبة الذي كان في أسره ، فاستمع عليه وقال : لا يؤديه للخليفة سواي ، وكان يبدل بولائه من الوليد ، وهجم عليه موسى فانتزعه منه ، فقبل له : إن سرت به حياً أدهاه مغيب ، والعلج لا ينكر قوله ، ولكن انزوب عنقه ، فاضطجها عليه مغيب ، ووصل إلياً مع طارق السامي عليه . » عما يذهب منه أن الخلاف كان واقعاً بين موسى ومغيب ، وأن مغيباً كان يضطفن على موسى ويترهبس به

(١) شيخ الطينة ج ١ ، ص ١٤١

واقرا عبارة ابن حبان ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٧٠

الدوائر ، وأنه كان يدل بولائه من الخليفة ، بظن أن هذا يجمعه في موضع ممتاز . ولما كان موسى بطبعه رجلاً فخوراً مزهواً بنفسه ويمكنه من عبد العزيز ابن مروان ومن يزيد بن الهلب ، فإنه من الطبيعي ألا يرضى عن معيث وأن تقع الجفوة بينهما . ولم يحدثنا المؤرخون بما قال معيث للخليفة في زيارته الأولى ، ولكنهم يقولون إنه حيناً عاد مع طارق وموسى بعد الفراغ من الفتح ، سبق إليه - أي إلى سليمان بن عبد الملك - طارق وميث بالشكفة منه ورياء بالحياة ، وانجبراه بما صنع بهما من غير المائدة والعلاج صاحب قرطبة ، وقال له إنه قد حل جوهراً عظيماً القدر أصابه لم نحو اللؤلؤ من بعد فتح فارس مثله ، فلما رأى سليمان وجده ضغيتاً عليه . . . و (٦٦) .

وبما يؤيدنا في ذلك الرأي أيضاً أن ميثاً هذا - الذي يزعم أنه ذهب متصفاً لطارق - لم يكذب بسمع أن الخليفة يريد تعيين طارق عاملاً على الأندلس بعد موسى حتى مضى بخوفه منه وبصدده عن إتمام هذا الغرض ، لأنه كان يطمع لنفسه في ذلك في الغالب . ويبدو كذلك أن الخليفة استبان كذب حديثه فلم يعطه الولاية التي رجا ، فعاد إلى الأندلس كما خرج منها ، بل ترك سليمان بن عبد الملك الأندلس في يد عبد العزيز بن موسى (٦٧) .

ولا شك في أن سليمان كان على اتصال دائم بموسى ، وأنه تلقاه في الأندلس وسار معه كما سار مع طارق ، ولا نزاع كذلك في أن سليمان هو صاحب الفضل فيها يبدو من تكامل فتوح طارق وموسى ، فإن الإنسان إذا نظر إلى فتوح هذا وفتوح ذلك حسب أنها دبرت جميعاً بإحكام من أول الأمر .

(٦٦) القرطبي ، فتح الطيب ، ج ٦ ، ص ١٧٧ .

(٦٧) لطر . وابن عبد الحكم ، ص ٢١٠ .

الأخبار المشروعة ، ص ١٩ .

ابن عسكرو ، ص ٦٨ .

وهو يروي قصة موسى أول الأمر برواية يفتق فيها مع غيره من الأندلسيين ثم يقول : وأبلى إته غيره أسوأها كثيرة . . . إلخ ، مما يدل على أنه يشك في هذه الرواية .

والخليفة أن يلبان وأصحابه تولوا إرشاد موسى إلى خير الطرق التي يستطيع بها إكمال ما بدأ به مولاه ، وبهذا تكامل العملان وتم فيها إخضاع شبه الجزيرة الإيبيرية على أحسن وجه .

ويبدو كذلك أن موسى إنما عبر إلى الأندلس بناء على استغاثة وجهها إليه طارق ، ولا يتبنا عن هذه الاستغاثة إلا صاحب « الإمامة والسياسة »^(١) ، ولكننا نقبلها لأنها تفسر لنا السبب في عبور موسى في ذلك الوقت بالذات . ولو كان موسى قد عبر مع عدد قليل من الجند لقلنا إنه عبر من تلقاء نفسه لكي يرى نتيجة ما وصل إليه قائده طارق ، ولكنه عبر في جيش تزيد عدته على جيش طارق بكثير ، وتغير الأجساد الذين صاحبوه تغيير القبيل على عمل خطير .

والواقع أن الظروف كلها كانت تحتم إسراره وتجهلنا أميل إلى قبول رواية ابن تينة في استغاثة طارق بموسى ، فقد كان المسلمون قد ساروا في البلاد شوطاً بعيداً دون أن يشعروا من سلامة خطوط مواصلاتهم بالجزيرة الخضراء والغرقة ، ولم يكن يدهم من المعائل الكبيرة إلا قرطبة ، وكانت طوائف من الفوط مفرقة في البلاد تستطيع أن تنقذ على جهاهات العرب القليلة المفرقة على طول الخط الطويل من جبل طارق إلى طليطلة وما يليها .

وكان يلبان يقيم معظم الوقت بالجزيرة الخضراء يؤمن ظهور المسلمين ، وكان قد فرق كثيراً من جنوده مع المسلمين في كل ناحية ، وأحسن في مضامه هذا أن الفوط يتجمعون ويدبرون شيئاً ، وشعر بحاجته وحاجة المسلمين إلى عون جديد وإلا ساءت العاقبة^(٢) . ويبدو أنه ألغى إلى طارق شيء من هذا ، لأن الرازي يذكر أن طارقاً رجاه أن يكتب إلى موسى ليعجل

(١) وقال : « كتب طارق إلى مولاه موسى : إن الأمم قد تناهت علينا من كل ناحية ، فاعزوت الغوث » ابن تينة : الإمامة والسياسة ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

العبور^(١١) . ويؤيدنا في ذلك الظن ما يذكره الرازي من أن طارفاً أقام - بعد عودته من سيره إلى مدينة الثالثة - في طليطلة لا يكاد يصنع شيئاً^(١٢) ، ولو قد وجد عند نفسه من القوة ما يعينه على فعل شيء لفعل ، ولكن من معه من الجنود كانوا قد أجهدوا إجهاداً عظيماً ، وكانت المقاومة في أراضي البلاد قد بدأت ترفع رأسها ، ففضل المقام حيث هو ، وكتب إلى موسى يستغث به .

وحسباً وطئت قدم موسى الأندلس عفا بليان لشكائه غشوف المشطر المترقب ، وعند معه مجلساً للتشاور في الأمر^(١٣) . فلولم تكن الأحوال مضطربة هزفة لما كانت هناك حاجة إلى اللجس والمشاورة ، ولما سار موسى إلى طليطلة قداماً ليلقى طارفاً وليحاسبه على ما فعل ، كما ذهب الرجوع . وبدلنا خط سبر موسى واتجاهه إلى إشبيلية على أن بليان قد نبهه إلى خطورة ترك هذا المعقل الخطر في أيدي المسلمين دون فتح .

عبر موسى إلى الأندلس في رمضان سنة ٩٣ هـ - يونيو ٧١٢ م ، واستصحب معه ثمانية عشر ألفاً من خيرة جنده ، جلهم من العرب وفيهم عدد عظيم من القيسية واليمينية ومعهم كتابهم ومواليهم ، وكان فيهم كذلك عدد طيب من التابعين وكبار العرب جعلهم موسى في فرقة واحدة عليها محمد ابن أنوس^(١٤) . وكان هؤلاء العرب الذين ذهبوا مع موسى هم الجماعة الكبيرة

(١١) يقول الرازي في نسخة الإسبانية:

"Yo entro luego a rogar a Don Peláez que lo diez pasaje..."

El GAYANOS. La Corona del Maro Rojo, n. 7

(١٢) يقول الرازي:

"... yo decir que folgaba en Toledo et que non se trabajaba a otra cosa..."

EL GAYANOS. Op. cit. n. 8

(١٣) الإبرسي: نزعة المشفق، ص ٤١٣ من ترجمة فوزي.

(١٤) انظر: العسقي: بقية القيسية، ص ٤١ - القرطبي: فتح الطب، ج ١، ص ١٢٧، ١٢٨.

و قد تحدث الرازي عن هؤلاء التابعين في شيء من الإطفاحة، ويذكر أنه دخلها صحتي واحد هو الشبلر الإفريقي، سمي الإفريقي لأنه سكن إفريقيا.

الأولى من مهاجري العرب إلى الأندلس ، يعرفون عند المؤرخين بطالعة موسى ، وتتكون لهم الصدارة بين مسلمي الأندلس زماناً طويلاً ، وسيكون لهم أثر عظيم حاسم في سير الأمور .

ولم تصل هذه الآلاف الكثيرة إلى الأندلس دفعة واحدة ، بل كان موسى قد قسمهم فرقاً بحسب قبائلهم وأصولهم ومراتبهم ، وكان لكل جماعة راية . فلما عمر انتظروهم في مكان على مقربة من الجزيرة الخضراء ابنتي فيه مسجداً ، وأخذت الرايات تعد عليه في ذلك الموضع ، فعرف الموضع والمسجد بمسجد الرايات ، وظللا عامرين قروناً طويلة .

نزل موسى في الجزيرة الخضراء عند موضع قريب من جبل طارق سمي مرمى موسى ، ثم عجل بالسير إلى شذونة (Medina Sidonia) ومنها سار إلى قرمونة ورمواق (Alcalá Guadaíra)⁽¹⁾ فاستولى عليهما ، وبهذا أمنت خطوط مواصلات المسلمين من الجزيرة الخضراء إلى قرطبة ، إذ أصبحت سلسلة سدائن الجزيرة وشذونة ورمواق وقرمونة وأستجة وقرطبة في يد المسلمين ، وأصبح في إمكان موسى أن يتجه نحو الغرب ليفتح إشبيلية كبيرة

⁽¹⁾ أما التابعون لهم : موسى بن نصير ، وعلي بن زياد التميمي ، وحماد بن زباد التميمي . وقيل إنه رابعهم هو حشاش بن عديف الصنعاني (مسند الشام).

وقد نقل هؤلاء من الأندلس يقول موسى ، إلا أن أهل سرقسطة يزعمون أن حشاش مات عندما ولم يقبل إلى الشرق ، وأنه لديهم مشهور بذكره . ويشهد لهم بعضهم حماساً هو : عبد الرحمن الحشاشي واسمه عديف من زياد ، وبخاصة : هو حشاش بن أبي حنيفة مولد في عهد القار ، وكان في نواحي مصر ، فبعث عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية في جماعة من القضاة ليقتلوه أعتابها ، وقرع مع موسى حين انتصح الأندلس ، وفي ذلك تفصيل طيب عن هؤلاء التابعين .

الرائزي ، عقد القرني ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

وأنظر عن هذا الموضوع أيضاً أقوال ابن بشكوال وابن سعيد وابن حبيب والحجاري في القرني : فتح الطب ، ج ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

(١) ورد اسم هذه المدينة في المراجع العربية بصيغ مختلفة : رواق ، رواق ، ورمواق ، وقد ثبت لاغوت أكثرها أن الرسم الصحيح لهذه التسمية العربية هو رواق ، وأما هي قلعة جواديرا (Alcala de Juaquer) ، انظر : - ألفار ماركو ، Indices geográficos ، p. LAFUENTE ALCANTARA .

256 ولم يرد ذكر فتح قرمونة قبل إشبيلية إلا في فتح الطب ورواية عن ابن حبان وفي الأخبار .

مدائن شبه الجزيرة بعد طليطلة إذ ذلك .

٢٣- فتح سقطت إشبيلية في يد المسلمين بعد بضعة أشهر من الحصار
إشبية والقتال، ويبدو أن أهل البلد ومن فيها من اليهود سارعوا بفتح
الأبواب حينما طُلِقَ القتال واشتد، وأما الحامية القوطية فانسحبت إلى لَبْلَة على
مصب وادي آنة ومنها إلى أُنشوبنة (Sta. Maria de Faro-Dasonoba) ثم إلى
باجة، وهناك راحت تنظر الحوادث. وترك موسى في البلدة حامية قليلة معظمها
من البربر واليهود، ثم سار قاصداً ماردة متتبعاً طريقاً رومانياً قديماً كان يصل
البلدتين، واستولى في الطريق على بلد يسمى لَنْت (١) سلم له أهله دون مقاومة
فسموا لذلك «موالي موسى» (٢).

٢٤- فتح فلما أدرك موسى ماردة وجدها محصن وأقوى مما ظنها، فقد كان
ماردة أنصار لذريق والمغاربيون من قتلوا القوط قد تجمعوا فيها لأنها بلد
بعيد صعب المنال وحر المسالك. فأقام موسى محاصراً البلدة بقية الصيف والشتاء
التالي، ولم يسلم البلدة إلا في الثلاثين من يونيو ٧١٣ م (١ شوال سنة ٩٤ هـ)
بعد قتالٍ طويل هلك فيه نفرٌ كبير من حامية البلدة بسبب كثائِ أعضائها موسى

(١) المصروعة، وقد كانت تنتمي على موسى أولاً لأنه لما إلى حيلة نصحه بها من عدة من الأملاء من
أنصار يزيان، إذ تسربوا إلى داخل البلد في هيئة المسلمين، ثم عاثفوا أهل البلد وقتلوا أبوابه
للمسلمين.

انظر: ابن حبان عند القرطبي، ج ١، ص ١٧.

الأخبار المصروعة، ص ١٦.

(٢) قال ابن القوطية: «لم يفتد من إشبيلية إل لانت إلى التوضع المعروف بلج موسى في أول لانت إلى
ماردة» - اقتراح الأندلس، ص ٩

ولا يظن أنها تكون لانت هذه هي لانت المروعة في جنوب الدناجر، الغربي لشبه الجزيرة. وقد
قرأها مسندراً لَنْتُ لولا كلفوس ولمر أنها عين كاتنوس (Fuente de Cantos)

CE SAAVEDRA. Op. cit. p. 94 et 920 2

(٢) فتح الأندلس: ص ١١، وانظر تعليق JOAQUIN DE GONZALEZ بخصوص هذه العبارة، ص
٩٣ من الترجمة.

في مناطق الصخر أمام مخارج البلد، وقد هلك أثناء محاولات تقب السور نفرٌ من المسلمين سقطت عليهم دبابه كانوا قد اختصوا تحميها ليقبوا طيقة من السور مينة من شيء يشبه الأسمنت الصلب كان يسمى (Argmass)^(١٦). ولم يسلم أهل البلد إلا بعد أن عاهدهم موسى على أن «جميع أموال القتل يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين، وأموال الكتائب وحليها ضاه، وهي شروط سيكون لها أثر في تحديد العلاقة بين المسلمين والأهالي فيما بعد»^(١٧).

يذهب سافدرا إلى أن فتح المسلمين لإسبانيا دخل في دور جديد أثناء فتح موسى لاردة، لأن حراسة الحصون لم يعد يعهد فيها إلى اليهود، ولم يعد أهل البلد يفتحونها من الداخل للمسلمين، ولم يعد المسلمون يختون الهلال ويأخذونها من حكامها فجاء، وتلك كلها دلائل على أن لونا من القطيعة قد وقع بين الأهالي والمشاركة. أما سبب هذا التغيير، فهو أن موسى - في مسيره من الجزيرة الخضراء إلى لاردة - رأى بعينه سوء حال الشعب (الإسباني) ورأى كذلك أن الملك لم يكن قادراً على جمع جيش محترم، وأن مجلس الشيوخ لم يكن يستطيع الاجتماع للتشاور في الأمر، وأن أنصار غيطشة لم يكن يؤيدهم إلا نفر لا يتكون عدة للحرب أو قدرة على إدارة الحكومة. هنا بدأت فكرة «ضم» الأندلس تدور في رأسه، بدأ يفكر في تملك ما فتحه»^(١٨).

(١٦) أورد ابن حبان هذا اللفظ بضم حرفه فكأنه والاشة ماشية.

ابن حبان، عند القرني: فتح الطيب، ج ١، ص ١٧٠.

(١٧) وردت هذه العبارة العامة من ذلك الاتفاق في الأخبار المصنوعة وفتح الطب المطري، ومن ذلك قصة المسلمين الذين استشهدوا تحت الدبابه التي كانوا يجتثون تحتها لقب سور البلد، وذكر أن هذا الرضع يسمى إلى وقتها مخرج الشهداء عند السبب، وهي ملاحظة هامة. ويذكر أن كذلك حيلة موسى مع أهل لاردة وتلويته شعرة من لحيته إلى أمر إلى السود لإرساله لهم، وهي قصة مستعجلة الحفوت.

الظفر: الأخبار المصنوعة، ص ١٨.

ابن حبان، في فتح الطب القرني، ج ١، ص ١٧١.

SAAVEDRA, Op. cit. P. 96 (١٨)

أي أن المسلمين قد قاموا بما قاموا به في الأندلس حتى الساعة وهم يشعرون أنهم يقومون بغارة يعودون إلى بلادهم بعدها، حتى إذا استبان مرمى ذلك كله في مسيره من الجزيرة إلى ملرقة غير رأيه، وأخذ يعمل على الفتح الثابت الدائم، أي على ضم الأندلس إلى دولة الخلافة، وأن هذا التفكير غير نفوس أهل البلاد - الذين كانوا يؤازرون المسلمين إلى هذه الساعة على اعتبار أنهم مغربون يطلبون الغنائم لا غير، أو حلفاء يريدون القضاء على دولة الطاغية لفريق ورد الأمر لأهله - فلم يعودوا يؤازرونهم ولم يعودوا يفتحون لهم أبواب المدن ويدلونهم على ثغرات أسوارها وينفضون معهم على حكام القوط، بل بدأوا يعادونهم وينفون منهم موقفتهم من أي فتح معتد يريد ببلادهم سواء.

وليس في سياق الحوادث ما يؤيد سائقنا في هذا الزعم، لأن الواقع الذي لا شك فيه هو أن المسلمين نزلوا الأندلس من أول الأمر على نية الفتح الثابت الدائم، وأن طارفاً كان يسير في البلاد ليدخلها في حوزة الإسلام، لا ليغنم منها ثم يعود، ولا ليعين فريقاً من أهلها على فريق. ولا يستبعد أن يكون نفر من الإسبان وأنصار غبطة ممن ساعدوا المسلمين من أول الأمر قد انتهبوا - بعد فوات الوقت كما رأينا - إلى أن المسلمين يفتحون البلاد لضمها إلى دولة الخلافة، لا لاقتسام غنائم الفتح معهم، فأخذوا يأسفون بعد فوات الفرصة على ما كان منهم، لأن إيزودور الباجي يقول في هذه المناسبة:

... pace fraudifica male diverberans (n. 36, v. 864)... pacem nonnullas civitates .. iamcoactae proclamitant, atque suadendo et irridendo astu quodam fallit⁽¹⁾.

وبهذا سائقنا رأيه هذا بما حدث بعد فتح ملرقة من أن «عجم أهل

ISODORO PASCENSE. *Crónicas* (36 apud LAPUENTE ALCANTARA, *Aster Mediceus*, (1) apud idem pp. 247-248

وقد أيد سائقنا رأيه هذا بفريقين الأول من صلوة القشتالة (Crónicas Albedenses) يقول فيها: «لم تزلت بين القوط والقرط بصورة مستمرة حروب، استمرت سبع سنواته (بعض القصر من 117) والثانية من ترويح وابع سيلوس (Crónicas Silenses) قصة 17.

إشبيلية فتحوا على من بها من المسلمين ، وهاجروا من مدينة يُقال لها لبلبة ومدينة يُقال لها باجة ، فقتلوا من بها من المسلمين ، قتل فيها ثمانون رجلاً ، فقدم قاهم على موسى بن نصير بملوحة ، فلما فتح ماردة بعث ابنه عبد العزيز على جيش إلى إشبيلية فافتتحها ورجع ^(١) . حقيقة أن هذا هو أول انقلاب من أهل البلاد على المسلمين ، ولكن ، من أين استدللنا بقولنا على أن الذين قاموا بهذا العمل كانوا من الإسماعيليين ولم يكونوا من فلول القوط المهزومة التي كانت تتجمع في نواحي الغرب ، وأن هؤلاء إنما جروؤا على الانتفاض على من بإشبيلية من المسلمين حينما استيانت لهم فلة عندهم وابتعاد إخوانهم المسلمين عنهم ؟

نظن أن هذا القرض الأخير اقرب إلى الصحة ، لأن عبارة ابن حبان وصاحب الأخبار المجموعة تدل على أن الذين غدروا بالمسلمين لم يكونوا من أهل إشبيلية أو لبلبة أو باجة ، فلو أن هذا هو الذي حدث لذكر المؤرخان أن أهل لبلبة وباجة قاروا أيضاً ، إذ لا يعقل أن يسبوا إلى إشبيلية للاشتراك في ثورتها وهم أنفسهم خاضعون ، ثم إن عبد العزيز بن موسى لم يعاقب أهل البلد بعد أن أخذ الثورة ، وتركهم على حالهم وأقام معهم فيها ، ولو كان لهم ضلع في الحوادث لرأينا لذلك أثراً في معاملته لهم . ولا يستقيم الأمر إلا إذا فرضنا أن الذين فعلوا ذلك هم تفرقت من القوط ، من حاميات البلاد التي فرت منها عند انصراف المسلمين وعادت إليها بعد ذهاب الجيش الإسلامي عنها ، لحاول استعادتها أو الانتقام من المسلمين .

فلما فرغ عبد العزيز من أمر الثائرين في إشبيلية صار إلى لبلبة وباجة ^(٢) ، وربما إلى أكثونية، ليطرد منها من عسى أن يكون قد نجح بها من القوط ، ثم ترك في هذه البلاد جميعاً حليفت إسلامية لتؤمنها من أي تدبير يقوم به القوط . وبدلنا نص من القرني على أن حامية باجة كانت قوية، وأن قائدها كان قائداً

(١) الأخبار المجموعة، ص ١٨ .

(٢) ابن حبان: الجلاء، ج ٢، ص ١٧ .

حرباً معروفاً، هو عد الجبار قائد مسيرة موسى ووجد بني زهرة أحد بيوت
إشبيلية التي سيكون لها شأن^(١).

وأقام موسى شهراً في ماردة يرتب أمورها ويربح جنده بعد هذا العناء
الذي تكلفوه في فتح هذا البلد، ومن الواضح أنه أحس أن عناصر المقاومة في
هذه الناحية كانت أقوى مما لقي المسلمون في بلاد الأندلس إلى الآن، وأنه عرف
أن فلول القوط - وأنصار الفريز خاصة - كانوا يتجمعون في هذه النواحي الجبلية
الوعرة فلما منهم أن المسلمين لن يصلوا إليها، واستعداداً للهروب إلى نواحي
قشتالة واسترالموروة إذا ما وصلت أقدام المسلمين هذه النواحي من غرب
الأندلس، لأن سير الفتح الإسلامي سيظل وسيصطدم بعقبات في هذه الناحية
بعد أن كان يسير سيراً ذلولاً دون عقبة ظاهرة. وقد رأينا القوط في إشبيلية ولبلة
وباجة كيف «تجالب فلهم» من هذه النواحي كما يقول ابن عذاري، ولاحظنا أن
فتح ماردة كلف موسى من أمره عمراً، وأنه لم يفتحها إلا بحيلة، وأن المسلمين
عسروا فيها تحسائر لم يجرروها في قرطبة أو إشبيلية أو حتى طليطلة، وهلة فلك
أن فلول القوط كانت تتجمع في هذه النواحي الوعرة من كل جانب.

فلذا صح ذلك، كان سير طارق للقاء موسى بعد فراغ هذا الأخير من
فتح ماردة أمراً معقولاً، لأن الإنسان يتساءل: ما الذي أخر طارق عن الخروج
للقاء موسى حتى هذه اللحظة، مع أن موسى كان في أشد الحاجة إلى العون
أثناء حصار ماردة وكفاحه أهلها.

ولا يفسر هذا إلا بأن موسى رأى أن مقام طارق بطليطلة يؤمنه من عمل
يقوم بها قوطها، فلما فرغ من أمر ماردة وأراد السير نحو طليطلة أحس أن
الطريق طويل محضوف بالمخاوف، لأن فلول القوط كانت «تجالب» وتتجمع
في هذه النواحي. فلما وجدت موسى يأخذ في الطريق رأته الفرصة سانحة
لاعتراضه ومنازك في معركة خطيرة الشأن كما سنرى. وهذا هو السبب الذي
حجز طارقاً إلى المسير للقاءه. ولا يغفل سكوت طارق عن الذهاب إلى مولاه

(١) الفريز: فتح الطيب. ترجمة جليلجوس، ج ٢، ص ١١.

طيلة أشهر الشتاء رغم وجوده على مقربة منه ، إلا بأن موسى نفسه لم يطلب إليه المحي ، إلا في هذه اللحظة ، حينما أحس ببعض ما كان يدبر حوله في هذه النواحي الفسيحة المجهولة للمسلمين .

والواقع أن حركة كبيرة كانت تملو حول جيوش المسلمين الغازية بين وادي آنة ونهر التاجه في ذلك الحين ، فقد كان للذين قد تراجع بين باقي له من قلوبه ولحصن ييم في شعاب المغصية ، مما يلي وادي آنة إلى الشمال في جبال شيرأ ذفرائبا على أبواب قشتالة الجبلية وأسترامادورة في السهل الفسيح الذي يحيط بسلطنة ، وإبشوا هناك بتحيزون الفرصة للاتقاضي على جيوش المسلمين . ولم يكن موسى ليستطيع السير من سارده إلى طليطلة وهؤلاء في ظهره ، بل كان لا بد له من القضاء عليهم ، ولهذا استدعى طارقاً ليلقاء في منتصف الطريق بين سارده وطليطلة ، فسار طارق نحو مائة وخمسين ميلاً وانتظر مولاه في وادي الأروكامبو (Arrocampo) في مكان يسمى المررض (Almaraz) بين التاجه ونهر البيتار^(١) .

وأما موسى فقد سار في طريق روماني قديم يصل ماردة و سلطنة بحذاء نهر سيحبل من ذلك الحين اسمه، وهو قالموتا (Valmota) أي نهر موسى^(٢) . وظن للذين وأصحابه أن الفرصة سنحت لهم المسلمين لتوسطهم هذا

(١) يقول بهذا الرأي سالفدا وبقده به أقوال كثيرة لآخرين إسبان وتفر قليل من مؤرخي المسلمين ، وهو في الواقع أقرب الآراء إلى الصحة في صدد نهاية الطريق . فإن المسلمين لم يظفوه في واقع وادي لكنا ، وتكفي المراجع بالقران بأنه احتضن أو حرق ، وعبرى القاري في سياق الحديث أن هذا الرأي يصحح التواريخ أكثر مما يصحها القول بونه أو اعتداله من ميدان التاريخ طلب لسانه المسلمين أول مرة .

SAAVEDRA, Op. Cit. pp 98 epp.

(٢) وتعين الحداء موسى على هذا النحو ويعتاد على العديد لكان الذي القى فيه بطريق على وجه التفسير ، والمراجع العربية تختلف حول هذه النقطة أشد الاختلاف ، فمن طابري مثلاً يقول « لكن الأثريون حل أن القادما كان على طليطلة ، وذكر الطبري أنه كان على قرطبة ، وذكر الرازي أنها طارفاً خرج من طليطلة كما بلغه مسج موسى إليه ، فلقبه بقرية من طليطلة . . . » وإشابة الرازي تدل على أن اللقاء تم على طريقه من هذا البلد الأخير . وقد ذكر صاحب الأعيان المتسورة على أن اللقاء وقع في

الطريق الطويل وتُعدهم عن أي مركز يستطيعون طلب المعونة منه، وانقضوا على جيش موسى في ناحية يسميها بعض مؤرخي المسلمين «السواقي» وهي (Segoyuela de los Cornejos على مقربة من ثابيس (Tames) ⁽¹⁾، فانقض عليهم المسلمون وتبوا لهم حتى أقتروهم عن آخرهم، وقتل للبريق نفسه، قتله مروان بن موسى بن نصير، فشهدت هذه البلعة مصرح آخر ملوك القوط، وقد حمل أتباعه رفاتَه بعد ذلك ودفنوها في فيزوي، وظل قبره هناك معروفاً حتى زمان ألفونسو الكبير، فقد ورد في حواريات هذا الملك أنه رأى قبر للبريق وقراً عليه

= ناحية برسها ابلده من غير خطأ، ويمكن قرايتها تاليد أو تاليز اعتماداً على عبارة أوردها روبريخ

استق رادا في الترجمة : *Insitivanam qui Taliz dicitur*

ولما كانت بعض التراجم الإنجيلية تقول بأن القلاء وقع عند ناحية تسمى *Abnast* وهو لفظ عربي الأصل يرجع إلى أصل «المعرض»، وهو مكانة على مقربة من ظليقة على نهر البنتار - فلما نستطيع القول بأن القلاء بين الفلطين المسلمين الكثيرين وقع هناك.

ابن حنبل، البيان، ج ٢، ص ١٧.

الأخبار المصنوعة، ص ١٨.

RODERICUS TOLITANUS, *De rebus Hispaniae*, I, III, cap. XXIV

Cf. SAAVEDRA, *op. cit.* P. 98

(١) لم يذكر هذه القلعة من المؤرخين المسلمين إلا الرزازي (في الترجمة الإسبانية) وفتح الأندلس المجهول المؤلف، وقد ذكر هذا المرجع الأخير أن التوضيح الذي وضع فيه القلاء الأخير يسمى «السواقي» في نسخة والسواقي» في نسخة أخرى، ولما الرزازي يسمي هذه القلعة *La batalla de Sagoyas* وهو لفظ قريب جداً من لفظ السواقي . أما مقتل للبريق على يد مروان ابن موسى فلم يذكره إلا ابن قتيبة في الإمامة والسياسة . استقر :

Fragmentos celticos de la cronica llamada del MOHOBASIS, apud SAAVEDRA *Op. cit.* appendix 145 sqq.

فتح الأندلس، ص ٨.

ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧٦

ولا شك في أن نسبة الرزازي لهذا التوضيح به *Sagoyas* كانت الأصل الذي أخذ عنه المؤرخون الإسبان والمصنفون اسم هذا التوضيح . فقد كتب « فرناندو جنرالز » في قصيدته الطويلة عن لارين *Sagoyas* وكتبه « روبريخ كروي » ساجويولا .

Cf. FERNANDO GONZALEZ, *El Último Rey Goda*, Capita 78

RODRIGO CAJAO, *Antiguallas y principado de Sevilla*, f. 122 v.

SAAVEDRA *Op. cit.* pp 100 sq

الواعة تقول: هنا برقد للذريق ملك القوط .

(Hic requiescit Radericus rex gothorum)

ومن الغريب أن هذه الواقعة التي أهملها المؤرخون إجمالاً شبه تام كانت الأساس التي دارت حوله اللاحم الإسبانية التي نشأت فيما بعد حول للذريق آخر ملوك القوط ودفعاه عن بلاده .

ويبدو أن اشتباك المسلمين مع القوط في هذه الواقعة الحاسمة الأخيرة قد شجع نفراً من بقايا القوط وأنصارهم في طليطلة على تخض طاعة المسلمين ، فاستهزوا فرصة خروج طارق وبنده منها ووثبوا بها ، فاضطر موسى إلى فتحها من جديد ودخولها (الظاهر⁽¹⁾) . ويذهب المؤرخ الإسباني مودستو لافونتي إلى أن أفراد حزب غيطشة كانوا يؤملون - بعد مقتل للذريق - أن يتهمهم المسلمون ملوكاً على البلاد ، ولكن موسى حيب ظنوتهم حينما أعلن بعد دخوله مباشرة أن البلاد كلها لخليفة المسلمين في دمشق ، ولم يجد أبناء غيطشة بدأ من الرضوخ للأمر الواقع ، فسكنوا قانتين بما منحهم موسى من أملاك أبيهم وما شرفهم به من عظيم الكرامة⁽²⁾ . فاستقر أخيراً (وَقَلَّة) في طليطلة وعاش أمناً في ظلال المسلمين ، وخلفه ابنه ألبرو (ألفارو) ثم حفيده حفص الذي أصبح فيما بعد قائمياً للنعاري . وأما أرطياس فقد استقر في قرطبة مكرماً معزواً وأصبح له بين المسلمين مكان مرعي ، واحتفظ بلقب «تومس» وورثه عنه ابنه أبو سعيد . وأما ألبرو فقد اختار المقام في إشبيلية وأنجب ابنة هي سارة، عاشت كريمة حتى أيام عبد الرحمن الداخل وابنه هشام ، وابتين هاجر أحدهما إلى الشرق وبقي أحدهما في بلاد المسلمين ليحظى بمكان رفيع وليصبح أسقف المستعربين جميعاً فيما بعد . وكافأ موسى أبة (Oppas) أمنا غيطشة - الذي طائفاً ساعد المسلمين وأعلمهم - بتعيينه أسقفاً لطليطلة ، والظاهر أن جمهور النعاري لم يرض عن هذا التعيين

(1) فتح الأندلس، ص ١٢٠ .

MODESTO LAPUENTE: Historia general de España, II, 429 (7)

لأن إسبانيا آخر هو «أوريباتوه» لم يلبث أن خلفه في هذا المنصب الكبير سنة ٧١٩ م^(١).

٦٥- تولي عملة
إسبانيا في
الأندلس
ولم يكند موسى يستقر في طليطلة حتى سارع بضرب عملة ذهبية
ليدفع منها رواتب الجنود الذين كانوا معه، وأسساً لعزل ضرب
موسى هذه العملة الذهبية - التي كانت في ذلك الحين من حق
الخليفة وحده - إلا بأن الخليفة كان قد حولها هذا الحق في إفريقية فأباحه لنفسه
في الأندلس، لأنها كانت معتبرة في نظره أرضاً مقترحة تابعة لإفريقية، وكان
المسلمون يتعاملون خلال هذه الفترة القصيرة في إسبانيا بالعملة الإفريقية التي
ضربها موسى قبل ذلك سنة ٩٠ هـ . وقد رسمت هذه القطع الذهبية الجديدة
على هيئة العملة الإفريقية : كانت لاتينية عربية، ففي ناحية منها كتب «محمد
رسول الله» يحيط به النص التالي باللاتينية على هيئة دائرة :

In nomine Domini, non Deus nisi Deus. Solus Sapiens. non Deo
similis Alius.

وفي الناحية الثانية نجمة ذات ثمان أذرع كتب حولها باللاتينية :

feritus in Spania

ويطلي ذلك تاريخ سكها وهو سنة ٩٧ هـ (٦٦) .

وضرب موسى كذلك عملة برونزية صغيرة لاتينية الكتابة . ثم بعث
موسى رسولين إلى الخليفة الوليد يبهان إليه أخبار هذا الفتح العظيم ، ووقع
اختياره على الشاب علي بن رباح ، وكان رجلاً صالحاً في نحو الثمانين من
عمره ، ومطقت الرومي فاتح قرطبة . ويسود أن مغيثاً كان حائضاً علي موسى
لشيء في نفسه ، أو لأنه ساءه أن ينسب فضل الفتح كله إلى نفسه مغفلاً بيان ما

DOZY, Recherches, t. p. 79

El emision Sólido, n. 20

SAAVEDRA, Op. cit. pp. 104-105

SAAVEDRA, op. cit. pp. 106-107.

LEVI-PROVENCAL, Hist. De l'Esp. Mus. pp. 20-21

(١) ابن القوطية. الفتح، ص ٤٠٠

(٢)

والمرجع المذكورة هناك.

قام به هو وما قام به طارق ، فلم يأل جهداً في نضج موسى ونشوه سمعته ،
تكان لكلامه أسوأ الأثر على منصر موسى فيها بعد^(١).

٢٦ - السير نحو الشرق
فلما اطمان موسى إلى هدوء ما بيده من البلاد أخذ يستعد للسير
نحو الشمال لإكمال فتح شبه الجزيرة ، ويذهب المؤرخون إلى
أن نيته اتعدت إذ ذاك على التصعيد واختراق جبال الألب
وغلة وأوروبا كلها ليصل إلى القسطنطينية من الغرب^(٢) . وليس لدينا دليل
واحد نستطيع أن نؤيد هذه الأقوال ، ونستبعد أن يكون موسى قد فكر في أمر
خيالي عسير التحقيق كهذا . وكل الذي نعرفه أن موسى جمع أجناده حينها لقتلي
الشتاء وسار بهم في اتجاه الشمال الشرقي ليفتح حوض الإبرو وما فيه من مدائن .
وكان معه طارق وجماعة من كبار جنده ، وتقدم الجند محمد بن إلياس المغلي
أحد قادة البربر مع طائفة قليلة استولت على وادي الحجارة دون كبير جهد^(٣) .

ويبدو أن ما لقبه المسلمون من الشدة عند مراد والسواني ، وما دهمهم

(١) الطبري: فتح الطيب، ج ١، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

وسبب ابن عبد الحكم - على غير عهده - في تفصيل ما فعل موسى بطارق . وما فعله بحيث
من عون طارق والإسراع إلى الخليفة لإفادته . ولنا فهم سبب لهذا الإسهاب إلا أن يكون أخبار
كهلان قد شاعت ونفاهاها الناس في المشرق . ولما كان بحيث هو الوحيد الذي أتيح له التحديث
إلى الخليفة ، فلا يستبعد أن يكون صاحب هذه الشائعات . ورواية الطبري تؤيدنا في هذا .

(٢) يذكر الطبري أن موسى حينما أمرت هذا الموضع الفاسي من شمال الأندلس وأشرف عليه على
ساحل الأضطر (البحر الأطلنسي) وجبال الألب ، فكر في اختراقها والاستمرار في الفتح ، وأنه
وكان يؤمل أن يحرق ما بقي عليه من بلد الفرنجة ، ويقتحم الأرض الكبيرة حتى يصل بالفاس إلى
الشمام مؤملاً أن يتخط بحرقه تلك الأرض طريقاً يسلكه أهل الأندلس في مسرهم وبعيهم من
الشرق وأنه على غير لا يركبون بحراً . ولنا نستطيع تحقيق قائله ، وكل ما نستطيع
استنتاجه منها هو أن الوليد لو لم يكن قد استدعاه وأجج في استدعائه لأم فتح حليفه - كما يذكر
الطبري - أو لاخترق جبال الألب والفاس إلى ذلك . أما ما يرمزه الطبري من وصوله إلى نهر
الروا (دونية) من Boissac (فطر غير صحيح ، وسرى فيما بعد أن المؤرخين وضعوا كثيراً من
أعمال الفاتحين المسلمين مع ابن عبد موسى في حملته تلك ونسبوا إليه .

الطبري: فتح الطيب، ج ١، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) لشهاب الدين الفاسي برواية الطبري - فتح الطيب ترجمة طه حسين ، ج ١، ص ٢٢٣ .

من ثورة أهل طليطلة مال بهم إلى الشقة ، فتراهم في غزوتهم هذه أميل إلى العف ، مما كانوا قبل ذلك ، فبينما كان طارق يجمل الواقع احتلالاً سلمياً يؤمن أهلها ولا يكاد يستيح لنفسه إلا ما كان من أسلاك القنوط أو أسلاك الكتبية ، نسمع من الآن فصاعداً عن نهب البلاد وإحراقها وروع أهلها وخروجهم منها على وجوههم . ويبدو كذلك أن هذا كان نتيجة لسياسة موسى ، وقد عرفناه شديداً قاسياً عظيم الميل إلى المغنم والأسرى والسبايا ، وقد بلغ من إسرائه في هذا الوجه أن العرب أنفسهم - وعمل رأسهم الخليفة - أنكروا عليه هذا السلوك ، فلم يلبث الخليفة أن استدعاه ليناقله الحساب فيما يفعل .

ولم تكد طلائع المسلمين تشرف على سرقسطة حتى رعب أسقفها بنيسو (Benclo) ومن معه من الرهبان ، فجمعوا كتبهم القديمة وفخائرهم الموروثة وقرروا الهجرة من البلد والفرار بهذه الذخيرة ، فلم يلبث موسى أن أرسل إليهم رسولاً يؤمنهم ويعطيهم عهده ، فسكنت مخالفتهم واستقروا ودخل المسلمون البلد بعد قتال لا يذكر^(١) . ولم يكد المسلمون يستقرون في البلد حتى قام التابعي حنش بن عبدالله الشبي الصنعائي بإنشاء مسجد للمدينة ، وقد قدر لهذا المسجد أن يتسع حتى أصبح مسجداً جامعاً وظل قرونيا متواليه متاراً للإسلام وأهله في هذه النواحي^(٢) .

ثم أعقب موسى ذلك باحتلال سرقسطة ووشقة ولاردة وطركونة ، وأحب أن يتابع سيره نحو البرت ، ولكن جنده روعوا لما شاهدوه من فقر هذه النواحي وقلة عمرانها ، ثم إن أهلها كانوا يتكلمون اللغة البسكية فوقعت من العرب موقعا غريباً ، وظنوا أنهم لا يتكلمون^(٣) . واستوحش الجنيد من هذه الناحية وأبدوا رغبتهم في العودة ، وانضم إليهم التابعي حنش الصنعائي وأخذ موسى يحاول

(١) ISIDOR PACENSE, *Chronicon*, n. 30, versos 871-873.

(٢) ابن العريضي: *تاريخ علماء الأندلس*، ص ١١١.

ابن عسكروا: *تاريخ المسلمين*، ص ٢١٣. القنوي: *فتح الطيب*، ج ٢، ص ٤.

(٣) ... وضع تلك البسكية وأولئك في ملائمتهم حتى أتى قوماً كانوا يسمونهم «عرباً بلاد الأندلس».

ابن عسكروا: *البلد*، ج ٢، ص ١٤.

وفي ذلك الحين وصل مغيب الرومي هائداً من دمشق ومعه أسر موسى وطارق بأن يشخصا إلى دمشق، وأحس موسى بما وراء هذه الدعوة، وعرف أن مغيباً مولى عبد الملك بن مروان لا يد أن يكون قد نقول عليه شيئاً، ولكن ذلك لم يصرفه عن المغيبي في إتمام هذه الغزوة التي صاحبها التوفيق إلى هذه الساعة، وأحب أن يسترضي مغيباً حتى يبدعه بمضي في إكمال فتح البلاد، فعرض عليه أن يمنحه نصف ما يفتح من البلاد التي سيفتحها في هذه المهلة، ومنحه القصر الذي كان يسكنه حاكم قرطبة في الجزء الشرقي منها، فقبل مغيب وقل هذا القصر يعرف فيها بعد ببلاد مغيب^(٢). فإذا اطمان موسى إلى ذلك فقد تابع سيره في قشتالة القديمة (Castilla la vieja) لفتح فتحها وليؤمن طليطلة من غدر أي غدر للمسلمين يكون فيها^(٣)، واستقر رأيه على أن يقسم جيش المسلمين قسمين: قسماً يسير به هو، وقسماً يسير به طارق.

عهد موسى إلى طارق في السير نحو جبال كَنْتَبَرِيَّة، فبدأ طارق بهجاجة البشكنس غربي الإبرو فلم يجد صاحب الناحية «فورتونيوس» (Fortunius) بدأ من الدعول في طاعة المسلمين بل اعتنق الإسلام، ومنه تسلسل «بنو قسي» أصحاب الثغر الأعلى الذين سلفاهم كثيراً على طول تاريخ المسلمين في الأندلس^(٤). ثم تابع طارق سيره، واستولى على ألبانيا واشترقه وليون^(٥).

٢٧ - نفس ما وصلت إليه هرج قاطعة معظم من مر بهم من رؤساء هذه الناحية. وقد بقي المسلمين في إسبانيا

(١) ابن قتيبة - الإلمعة والسياسة، ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) الطبري - فتح القسطنطينية، ج ١، ص ١٧١.

(٣) SAAVEDRA Op. cit. pp. 112-114.

(٤) ابن الفوطي - المنتج، ص ٦٢.

(٥) الأخبار المصنوعة، ص ٢٨. وقد جعل هذا التراجع فتح هذه الحصون الثلاثة في سنة ٧١١،

وهو خطأ واضح، وقد يراه في حقه

بعض المقاومة عند قرية نسيها المراجع بارو - لو بلزو - في مقاطعة فاليناديوليد (يولد الوليد) الحالية⁽¹⁷⁾ ، ولم يلبث أن تغلب عليها وسار متابعاً فتوحه. وبدلاً من أن يبرج على أشرفه ليلقي فيها بجيش طاقه، انحرف إلى الشمال واحترق باب تارنا (Tarna) وسار متابعاً مجرى نهر التالون (Nalon) ثم حط رحاله عند قلعة يسميها نُتُ (Lucus Asturum الرومانية و Maria de Luço اليوم) غير بعيد من أُوَيْدُو (Oviedo)، وما زال بها حتى سواها بالمزاب وفر من كان بها إلى مكان فاسر من الشاطئ، يسمي الصخرة (Picos de Europa). ثم سار بنفسه حتى بلغ خيخون (Gijon) وأمر فيها حامية، وجعلها حصناً لا فتحه من البلاد في هذه النواحي البعيدة، ثم بعث سرية من فرسانه لتكرت البحر عند صخرة بلاي (Pena de Pelayo)⁽¹⁸⁾.

فإذا أدركت خيل موسى البحر من الشمال فقد أحس أنه فتح شبه الجزيرة كله ولم يعد هناك معنى للاسترسال في السير، وكان موسى يترك في كل قلعة يفتحها حامية من المسلمين، فتفرق جنده وطال السير بين يفي معه منهم، وبناك منهم الجهد فهالت نفوسهم إلى العودة، فكانتلى موسى بوصوله إلى خيخون وأزمع العودة غير عالم أن نفراً كبيراً من الفوط قد تراجعوا أمامه واحتسوا في نواحي

(17) كتبها المغربي بارو وبلزو، وقد ظن بعضهم أن المراد بذلك ليزيو (Vezio) ولكن نظرة على الخريطة تدل على أنه من المراد أن يصل موسى إلى ثوريو من هذه الناحية في هذا الوقت بالخصر. وقد حقق موقعها سابقاً وقرر أن المراد بها ليلابوز (Villabona) وبهذا تكون صحة الاسم الذي أورده المغربي بلزو.

فتح الغلب، ج ١، ص ١٧٤.

SAAVEDRA Op. cit. p. 117.

(18) هكذا وصل المسلمون إلى أقصى نقطة من لشربس أدركها في أيام موسى في دفعة الفتح الأولى، وإليك عبارة المغربي بهذا الصدد ترويضاً لأهله: «... ودخل معه (أي مع جيشه) حتى بلغ المصارة فالتج حصن بارو وحصن نُتُ، فقام هناك وبعث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الأخضر، فلم يبق كتيبة إلا خدمت ولا تقوى إلا كسر، وثامت الأمام فلانرا بالسلم وبعث الحرية وسكنت العرب المغاور...»

المغربي - فتح الغلب، ج ١ ص ١٧٤ - ١٧٥.

أنتريس وجلبقية . وكان المسلمون يحسبون أنهم قضوا على القوط حتى لم يبق منهم إلا ثلاثون رجلاً^(٦) ، والواقع أن من بقي من القوط إذاً كان قليلاً ، ولو لم يشتمل العرب بعد ذلك بحروب ومنازعات قليلة فيما بين أنفسهم لاستطاعوا الانتصاف إلى هذه البقية الباقية من الأرض والناس ، ولكنهم شغلوا بأسور أنفسهم كما سرى ، فاستطاعت هذه الخفنة القوطية أن تطمئن في هذه الواسي القاصية الناحية ، وأن تنمو لتتهدد في المسلمين كل فرصة تسلب . وكانت معظم الحاميات التي خلفها المسلمون من البربر ، وكان أكثرها حامية استقرت في عيجون على الغالب بقودها زعيم بربري سيكون له شأن ، هو «موسسة» .

لإذا انتهى موسى في فتوحه إلى هذا الحد القصي فقد كان لا بد أن يعود ، لا إلى طليطلة أو قرطبة فقط ، بل إلى دمشق رأساً ، فقد كان مغيث رسول الخليفة يتعجله ، وكان الوليد معجلاً عليه لا يريد أن يتسهل حتى تسلب الروايات إلى أنه بعث إليه رسولاً آخر إسمه أبو نصر لقبه في ذلك ، فأخذ يعثان قومه وأمره بالعودة . وذلك أمر مستبعد ، لأن مغيثاً قد وصل وموسى في سرقسطة في أوائل الربيع ، ولما تنقض على وصوله ثلاثة أشهر ، ولا يتفق أن يكون الخليفة قد استطال هذه اللذة القصيرة فأرسل يتعجل ، وربما كان دأبو نصر هذا كنية لمغيث كما يظن جابانجوس^(٧) .

أخذ موسى في طريق العودة في أواخر سنة ٩٥ هـ (متصف صيف ٧١٤ م) وكان مغيث قد خف للقاءه ، فالتقى بنواحي ليون ، وهناك أدركها طارق عائداً من أشترقة ، وساروا جميعاً فأحترفوا فتح موسى (Valmuza) في طريقهم إلى طليطلة ، ولم يتم موسى في طليطلة شيئاً وإنما مضى مجدداً حتى دخل قرطبة ولقى فيها تقرأ من كبار جنده ، ثم مضى إلى إشبيلية حيث ركب البحر وسعد طارق ومغيث وكبار الجندي في الحجة سنة ٩٥ هـ ، وكان معهم بليان . وتذهب المراجع إلى أنه اصطحب معه ثلاثين ألف رأس من الأخرى ، وهذا أمر

(٦) عيسى بن أحمد القرظي رواية المقرئ: فتح الطيب، ج ٢، ٢٧١-٢٧٢ .

(٧) المقرئ: فتح الطيب، ج ١، ص ١٧٢-١٧٣ .

لا يصدق، نظراً لما يحتاجه مثل هذا العدد العظيم من العدة حتى يمكن نقله هذه المسافة الطويلة من الأندلس إلى دمشق، والغالب أن عدداً قليلاً جداً من هؤلاء وافق موسى في رحلته، وأما الباقي فقد ترك في المزارع يزرعها. ونكاد نتفق مع ابن قتيبة الذي يذكر أن موسى دخل دمشق ومعه ثلاثون من خيرة أسرى القوط، اليهم أخصر الثياب وسار بهم في موكبهم لهدل على عظم الفتح الذي قام به، وكان موسى ميالاً إلى مثل هذه المظاهر^(١).

٦٨ - مودة - بارح موسى الأندلس في ذي القعدة سنة ٩٥ هـ (سبتمبر ٧١٤) موسى وطارق ووصل مصر في السابع من ديسمبر، وبلغ دمشق في السادس إلى الشرق عشر من يناير سنة ٧١٥ م أي قبل وفاة الوليد بأربعين يوماً. وكان سليمان بن عبد الملك قد أحس باقتراب منية أخيه فكتب إلى موسى بأمره بأن يترث حتى يصل بعد موت عبد الملك، فنزول الذخائر التي كان يحملها معه إلى سليمان. ولكن موسى لم يشأ أن يترث، ووجد الحصى في أن يسير سيره العادي، فإن وصل والوليد حي كانت القتائم له، وإلا فهي لمن يخلفه بالخير والعدل. وكان ركب موسى في عودته ركب قائد منقصر أوسع الله عليه في الخير والمغاثم، فكان لا يلقى أحداً إلا أعطاه شيئاً، وأستا تعلم على وجه التحقيق من أي ماله كان يعطي؟ ولكن الذي نعلمه أن أحداً من الفائحين المسلمين لم يبلغ هذا البلوغ من السخاء وكثرة الهبات^(٢).

وصل موسى دمشق قبل وفاة الوليد بأربعين يوماً، فأذهل الناس بما أتى به من الخيرات والمغاثم، بل يجمع المؤرخون على أن أحداً من الفائحين المسلمين لم يعد بغنائم تشبه - بعد فتح فارس^(٣) - غنائم موسى، ولكن الظاهر أن قلب

(١) الأبحار المحرمة: ص ٣٣.

الطبري: فتح الطبقة، ج ١، ص ١٩٣.

الترابي: (في الجزء الإسباني الذي نشره جايانسون) رقم ٦٤. فتح الأندلس، ص ١٩.

ابن قتيبة: الإمتاع والسباغة، ج ٢، ص ١٥٨.

(٢) ابن قتيبة: الإمتاع والسباغة، ج ٢، ص ١٥٨ وما بعدها.

(٣) الطبري: ج ١، ص ٢٧.

الوليد كان متغيراً على موسى تغيراً لا سبيل إلى إصلاحه، فلم يحسن لقاءه، ثم لم يلبث أن لقي ربه وخلفه أخوه سليمان وهو أشد من أخيه غضباً على موسى لما كان منه معه، ولهذا كان طبيعياً أن لا ينتظر موسى غيراً كثيراً، وأن يدرك أن أيام مجده وعزه قد مضت مع أسس الدابر.

بيد أننا نستبعد صحة ما يبالغ فيه المؤرخون من أقاميل سليمان بموسى، نعم إن معيشتاً الرومي لم يدخر وسعاً في تشويه سمعة القاتح العظيم، وصحيح أن قلاته لقيت قبولاً من أذان أولي الأمر في عاصمة الخلافة، ولكن الإنسان يستبعد ما يُقال من أن سليمان كان يقبم موسى في الشمس حتى يكاد يقس عليه من شد التعب والجهد، أو أنه ألزمه أن يطوف بالقبائل هروماً يستجديها مالا يقتدي به نفسه، حتى لقد كان يستجدي الدرهم والدرهمين فيقترح بذلك ليدفعه إلى الموكلين به فيخففون عنه العذاب^(١)، لأن سليمان لو كان قد أنزل بموسى هذه المساءات لما ترك ولديه والذين حل إفریقیة والأندلس، ولأن موسى كان أثراً على نفس يزيد بن المهلب وزير سليمان بن عبد الملك وصاحب الأمر في هواته. وكل ما نستطيع قبوله هو أن سليمان أهمل موسى وتركه في زوايا النسيان، وما نظن أن رجلاً كهذا كان يمكن عقابه بأقسي من ذلك، فقد فتح الفتوح ومصر الأمصار وكان حليفاً بأن يعود إلى ما فتح لينظمه أو ليزيد فيه. ولا نزاع في أن موسى كان على نية مواصلة الفتح إذ عاد. فحرم مسلمو الأندلس من هذه القوة الدافعة التي وصلت إلى شاطئه، فخلج سكاية في عام ومطس عام، وأصاب نقاباً القوط الفرصة التي كانوا في أشد الحاجة إليها ليرتجوا بعد جهد، وليستعدوا للصراع الطويل مع المسلمين من جديد^(٢).

خرج موسى من الميدان وعاش بقية حياته في ظلال النسيان لا تكاد نسمع من أخباره شيئاً، ولا نجدنا القراجع بشيء عنه بعد ذلك حتى موته بعد ذلك بقليل

(١) المقرئ فتح الطب، ج ١، ص ١٨٠.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في فتح الطب، ج ١، ص ١٧٩ وما بعدها.

سنة سبع وتسعين أو تسع وتسعين وهو في طريقه إلى الحج في رفقة سليمان^(١)، وإذا عرفنا أن سنة كانت قد جاوزت الثمانين عند وفاته لتبيننا أن الرجل كان قد قارب الثمانين حين عاد من الأندلس، فلا يستبعد أن يكون سليمان قد لاحظ سنة العالمة فاستحسن أن يتخلبه من العمل وأن يبقى ابنه مكانه في إفريقية والأندلس فبقي الفاتح العظيم في صحبة الخليفة حتى مات في ركابه كما رأينا.

ومعها يكن الخزاء الذي لقبه موسى على يد سليمان، فإن الإنسان لا يسعه إلا أن يقرر أن الخلافة لم تعرف فضله ولم تجزه الجزاء الذي كان يستحقه، فقد فتح للإسلام فتوحاً تضمه في العصف الأول من رجال الإسلام الأول، وكانت له سياسة وقدرته تدفع الإنسان إلى أن يقرر في غير تردد أن هذا الرجل هو واضح أساس ما أدركه المسلمون من سلطان وحضارة في غرب البحر الأبيض المتوسط، لأن فتح الأندلس كان أمراً لا بد منه حتى يطمئن المسلمون على فتوحهم في الشمال الإفريقي، ولو لم يفتح الأندلس لاستمر المغرب الإسلامي مهبطاً بجموع النصرانية، هذا إلى ما كان لهذا الفتح الإندلسي في ذاته من القيمة والأثر بما يخفى عن كل حديث.

قال المقرئ: «... فقد كان له من الأثر ما يوجب أن يترحم عليه. وإن فعل سليمان به وبولده، وكونه طرح رأس ابنه عبد العزيز الذي تركه نائباً عنه بالأندلس - وقد جيء به من أقصى المغرب - بين يديه، من وصياته التي تعد عليه طول الدهر، لا جرم أن لم يمنعه الله بعنه بملكه أو بشبابه»^(٢).

وتصمت الرواية الإسلامية كذلك عن طارق صمناً كاملاً، ولستأ نعلم لماذا صمياً إلا ما يدل من أن مغشياً وبني به هو الآخر ويخون الخليفة منه. وكان هذا يريد أن يرويه الأندلس بعد موسى. والحق أن مغشياً الرومي أساء إلى قائدته إسائة كبرى، وربما كان دافعه إلى ما اقترأه على طارق هو طمعه في ولاية الأندلس، ولكنه عمل كل

(١) وتختلف الروايات حول ذلك الموضوع، فيذهب المقرئ وابن بشكوان أن موسى توفي بوسني القرى في أسوأ حال. انظر المقرئ: فتح القليب: ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٢) المقرئ: فتح القليب، ج ١، ص ١٨١.

حال لم يفر من ذلك بشيء، لأنه عاد إلى الأندلس فيها بعد يعيش في دبلنغره وأملانه، ولكني يتوجب بين سيكون لأحدهم شأنٌ عظيم في تلويح الأندلس الإسلامي^(١).

وإذا كنا لا نأسف كثيراً على حرمان موسى من ثمرات فتوحه، لأنه في الواقع قد استمتع من هذه الثمرات بما فوق الكفاية، فإن المؤرخ لا يسعه إلا أن يقتر بعين الأسف إلى هذه الحجب الكثيفة التي أسدلت على بقية حياة طارق، هذا المسلم الإفريقي المجيد الذي لا تسجل الرواية الإسلامية عنه إلا غيراً. ولكن إهمال المؤرخين أمره لم يجرمه من تصييه من الخلود، فقد آرادت المقادير أن تحمل اسمه أول بقعة من الأندلس وطنتها قدماء، وأن تتظل هذه التسمية بصيغتها العربية معرفة محرفاً بسيطاً إلى اللغات الأوروبية جميعاً، ولربيد المقادير كذلك أن تكون هذه البقعة بالذات من النواضع التي سيثقل ذكرها الناس على مر العصور، لأسبابٍ وعلى صورة لم تكن تدخل في حساب طارق، فلا يزال الناس من ذلك الحين يتحدثون عن جبل طارق أو جبر النار، ويدفهم هذا الذكر إلى البحث عن طارق وأخباره.

٢٩- استيوار لم توقف عمدة موسى وطارق نشاط المسلمين في الأندلس، فقد انتفع بقي فيه نفرٌ من الأجناد استمروا يواصلون العمل لإكمال ما بدأوا به، فتذكر الأخبار المجموعة أن سنة ٩٥ هـ، شهدت فتح كثير من بلاد الأندلس على يد المسلمين دون أن تذكر هذه البلاد، ويذكر ابن القُرظي أن نصيان بن عبد الله الحضري عاد إلى الأندلس بعد مرافقته موسى إلى دمشق، واشترك في الجهاد ومات في سبيل الله، واستمر التابعيان علي بن رباح وحش المصماني في سيرهما بجند المسلمين نحو الشمال حتى فتح الله عليهما ببلونة في أواخر سنة ٩٥ هـ (٧١٤ هـ). ويذكر ابن خلدون أن المسلمين اقتحموا برشلونة بعد ذلك بقليل، دون أن يستطيع التأكد من صحة أخبار هذه الفتوحات^(٢).

(١) القرظي: فتح الطيب، ج ١، ص ١٧٥. جيلانجوس: ترجمة فتح الطيب، ج ٢، ص ٣٩٩.

(٢) ابن القُرظي: تاريخ علماء الأندلس، ج ٢، ص ٢٩ و٣١، ص ١٠٩، ٢٥٦.

القرظي: فتح الطيب، ترجمة جيلانجوس، ج ٢، ص ٢٦.

وكان ينبغي أن نغف بقصة الفتح عند هذا الحد، لأن ولاية عبد العزيز بن موسى بدأ عصر الولاية الذي سنتناوله في الفصل التالي، ولكن بقيت من الأندلس نواح واسعة في الشرق لا بد من استنصاف أخبار فتحها أو دخولها في طاعة المسلمين حتى نستطيع القول بأننا قد فرغنا من أخبار فتح المسلمين للأندلس تماماً.

كان عبد العزيز بن موسى فاعلاً نشيطاً، فقد كانت له يد طول في فروع إفريقية، وقد رأيناه ملازماً أباه مشاركاً إياه في كل عمل قام به في الأندلس، ثم رأيناه بعد ذلك يقود جيشاً سار إلى إشبيلية ليخمد ثورتها التي قام بها أهلها على المسلمين في سنة ٧١٣م، وأقام عبد العزيز بعد ذلك في هذه الناحية مواصلاً الفتح في نواحي الغرب، ففتح بايرة وشنترين وقلعوية خلال سنة ٧١٤ في الغالب.

وإن يك عبد العزيز يستقر في ولاية الأندلس حتى نشط لإخضاع جنوب شرقي شبه الجزيرة الذي لم يصل إليه أحد من المسلمين حتى ذلك الحين، وكان عبد العزيز قد استقر برجال حكومته في إشبيلية، فظل هذا البلد عاصمة للأندلس طوال حكمه^(١).

بدأ عبد العزيز يفتح مالقة^(٢) التي أسلمها حاكمها إلى المسلمين
٣٠ - نصيب دون كبير عتاء، ثم قصد غرناطة، ويُقال إن حاميتها كانت من
البيهود ففتحوا للمسلمين أبوها دون مقاومة^(٣)، ثم توجه عبد العزيز إلى إقليم

(١) ذكر المقرئ في فتح الطيب سبب استقرار عبد العزيز في إشبيلية واتخاذها عاصمة له، ورويته في أن يقل على اتصال مصر بإفريقية، وكانت إشبيلية ميناء كبيراً يبح السلن الكبيرة، ولم يكن حل طارق كذلك.

(٢) يدعي المقرئ أن مالقة فتحت أيام موسى، وأنه أرسل إليه عبد الأملر من يمت حاصرهما وكانت تنضمي عليه لولا أن حاكمها وقع في يد المسلمين نتيجة لعدم حرمه فلم تلبث المدينة أن سقطت. وهذه تفاصيل طرفة، غير أننا نتحج أن تكون مالقة قد فتحت في أيام موسى وعلى يد ابنه هذا، لأننا نعرف أن هذه الحملة قادها عبد العزيز بن موسى بنفسه عقب رحيل أبيه.

المقرئ: فتح الطيب، ج ١، ص ١٧٤.

(٣) أحمد الزواي: روى ذلك في الخطيب. انظر:

مرسية حيث كان يحكم قائد قوطي يسمى تدمير Toodomiro ويذهب سافدرا إلى أنه ابن (Ergabado)^(١) أحد كبار قواد غيطشة، وإلى أن تدمير هذا كان رجلاً نصرانياً حسن العقيدة وأنه كان متقياً استطاع بفضلته وعلمه أن يكسب احترام المسلمين بل إحترام الخليفة نفسه حينما سار إليه فيها بعد أن شكروا إليه غنماً أصابه من عامل الأندلس^(٢). ويذهب الرازي إلى أن تدمير دخل في طاعة المسلمين من أول الأمر دون أن يسلم، وأنه قاد جماعة من المسلمين سارت لفتح أستجة^(٣)، ولكن الغالب أن الرازي أخطأ في ذلك، لأنه يذكر أن المسلمين ساروا بعد ذلك لفتح أوربلة (Orbula) التي كانت إذ ذاك عاصمة إقليم مرسية وكان فيها مقام تدمير، والغالب عتقاً كذلك أن تدمير لم يفعل شيئاً لمقاومة المسلمين، مثله في ذلك مثل غيره من أنصار غيطشة، وبقي مكانه يرتب الحوادث حتى سار إليه المسلمون بقيادة عبد العزيز في أول ولايته سنة ٩٥ هـ على ما روينا^(٤).

فلما اقترب عبد العزيز وجنوده من بلاده تخوف وفكر في أن يجتعي منهم، وتذهب المراجع النصرانية إلى أنه استطاع رد جيوش المسلمين مهزومة مرتين^(٥)، أما المراجع العربية فتكتفي بقصة - موضوعة في الغالب - تدل على ذكاء تدمير وفطنته، فتذكر أنه احتال على المسلمين ليحصل منهم على شروط حسنة، وأقرب النساء فنشرون شعورهن وأعطاهن القصب وأوقفهن على سور المدينة، وأوقف معهن بقية من بقي من الرجال في وجه الجيش حتى عقد على نفسه، ثم هبط بنفسه

(١) قال الطوسي في بداية الملوك: إن اسم تدمير كان تدمير بن عيشوش، ويؤيد أحمد بن أسد العمري ذلك في نظم المرحاة، ويقول سافدرا بأنه لا بد أن يقرأ عيشوش أو عيشوش Oshosh، وأن هذا الاسم هو Ergabado وكان من أسماء القوط المشهورة المتداولة
القصي: بغية الملوك، ص ٣٦٩ و٣٣٧ و ١٠٠.

SAAVEDRA op cit p 87

(٢) إيزيدور الباسي، ولم ٣٨.

(٣) الرازي، طبعة جالانجوس، ص ٤

(٤) وانظر أيضاً: SAAVEDRA: op cit pp 86-89

(٥) SAAVEDRA Op.cit p. 127

كهيئة الرسول فلستانم قلمن، فلم يزل يراوض أمير ذلك الجيش حتى عقد على نفسه الصلح وعلى أهل بلده، فصارتم تدمير صلحاً كلها ليس منها عنوة قليل ولا كثير، وعاملهم على ترك أمواله في يديه، فلما فرغ أبرز لهم اسمه وأدخلهم المدينة، فلم يروا فيها أحداً عنده مدافع، فقدم للمسلمون ومضوا على ما أمطروهم...^(١)، ولستأ نستطيع أن نقل هذه القصة على علاتها، ولستأ نستطيع كذلك أن نقرر المراجع اللاتينية على ما تنهت إليه من هزيمة تدمير للمسلمين مرتين متواليهين^(٢)، وليس من المعقول كذلك أن تدمير سلم دون مقاومة أصلاً، لأنه لو كان فعل ذلك لما حرص المسلمون على إعطائه شروطاً خاصة. وكل ما نستطيع قوله هو أن تدمير كان صديقاً للمسلمين من أول الأمر، لأنه كان من أنصار غبطة الكارهين للفرين وأمره^(٣)، وربما حسب أن المسلمين تاركوه وشأنه، وربما يكون قد تفاهم مع موسى أو طارق على شيء من ذلك، فلما وجد عبد العزيز يسير إليه ويقترب من بلاده أبدى من المقاومة ما أشعر المسلمين أن بلاده لن تفتح من غير عناء، وكان المسلمون مجهدين بعد هذه الحروب المتصلة، وكانوا يريدون لو فرغوا من هذا الكفاح التصل حتى تناح لهم الفرصة لتنظيم شؤون البلاد، فانتهم الفرصة وأقبل يفاوض المسلمين في شروط التسليم، واستطاع أن يحصل على ما ضمن له بقاء شيء من السلطان في يده، وإن كان «لا تختلف في كثير من معاهدات الصلح الكثيرة التي عقدها المسلمون في ذلك العصر».

وقد احتفظت لنا المراجع بنص هذا الصلح على خلاف ما فعلت بالكثير من أمثاله: أورد العسبي نصه العربي وأورد الرازي صورة إسبانية منه وترجمه ميخائيل الغزيري إلى اللاتينية، وأثبته في فهرسه المعروف للمخطوطات العربية في الإسكربال، وهذه هي الوثيقة نقلًا عن العسبي:

«نسخة كتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غيدوش:

(١) الأخبار المصنوعة ص ١٣ - ابن حنبل: البيان، ص ١٣.

(٢) النظر مثلاً: ليرفور الباسي، طرة ١٣٨ أسطر ٩٧٠-٩٧٣.

(٣) بينهم هذا من قول بعض المؤرخين أن طاروق بعث تدمير في جيشه فتح استنقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عيد العزيز إلى تدمير

أنه تزل على الصلح، وأنه له عهد الله وضعت أن لا ينزع عنه ملكه، ولا أحداً من التصاري عن أسلاكه، وأنهم لا يقتلون ولا يُسبون، أولادهم ولا نسائهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يحترق كتابهم ما تُعَدُّ (كذا وصحتها تفيد) وما نُصِّح، وأن الذي اشترط عليه أنه صالح على سبع مدائن: أوربولة وبلتية ولنت وموالة وبفسرة وأنة ولورقة^(١)، وأنه لا يأوي لنا عدواً، ولا يجون لنا أمناً ولا يكتنم خيراً علمه، وأنه عليه وعلى أصحابه دينار كل سنة، وأربعة أمداد فصح، وأربعة أمداد شعير، وأربعة أفساط طلاء، وأربعة أفساط خل، وقسط عمل، وقسط زيت، وعلى العيد نصف ذلك.

كتب في رجب من سنة أربع وتسعين من الهجرة.

شهد على ذلك عثمان بن أبي عبيدة القرشي، وحبيب بن عبيدة القهري وعبدالله بن ميسرة الفهسي، وأبو قاسم المذلي^(٢).

(١) هذه المدن السبع التي عاهد عليها تدمير هي أوربولة وهي *orbula*

بلتية، وقد وجدت في الرازي *Valencia* وهو خطأ، وأوردنا القزيري *Valencia*، وقد أبيت صالحاً أن قرية فديمة بهذا الاسم كانت توجد على مفرة من بلدة *Alcazarilla* الحالية على خمسة كيلومترات من مرسية، وأن النهر الذي بهذه البلدة الأخيرة كان يسمى في القديم وادي قانتيلية وقد تحول مع الزمن إلى *Chantelera*.
لنت، وهي *Alcazar*.

موالة، وهي *Mala*.

بفسرة، وهي *Bogastro* بلدة على مفرة من *Cobiza*.

أنة - وهي *Azaya* على مفرة من دير *San Gines* القديم المعهود في إقليم مرسية.

لورقة، هي *Lorca*.

راجع الملاحظات الختمة التي أوردنا سابقاً، من ١٢٨-١٢٩ والهرمانس.

(٢) الخطر: القضي: بغية العثمانيين، من ٢٥٩.

الرازي: الترجمة الإسبانية، طرفه ١٢.

لو أخذنا بظاهر نص هذه الوثيقة لقلنا إن عهد العزيز اعترف لتدمير بالاستقلال في نواحيه، وإن موقف هذا الأخير من المسلمين كان موقف المعاهد الذي يدفع الجزية، فلم يكن للمسلمين حق دخول بلاده ولا التدخل في شؤون إدارتها. ولم تكن المنطقة التي عاهد عليها الرجل بالصغيرة ولا الغلبية الأهمية، لأن المدائن السبع التي عاهد عليها ترسم صلياً يضم في محيطه كل جنوب شرقي شبه الجزيرة، فكيف يتخلى عن مسلم المسلمون في هذا الجزء الهام من البلاد دون حرب، ولمجرد أن تدمير ضمن لهم الجزية وعاهدتهم على الصلح والنصح معهم، مع أنهم كانوا مستطيعين أن يأخذوا الإقليم كله كما أخذوا بقية شبه الجزيرة؟

لا نستطيع أن نفهم ذلك الصلح إلا على تفسير واحد، وهو أن الأمان أنصب على المدائن السبع وحدها دون الإقليم، ولم تكن هذه المدائن كبيرة إذ ذلك بل كانت حصوناً، فآثر المسلمون تدمير على ملكيتها على أن يؤدي عن أهلها الجزية^(١). ودليلنا على ذلك أن العرب سيترغولون في جنوب شرقي الجزيرة ويستقرون في بعضها دون حرج، ثم إن العهد لم ينص على أن هذه الشروط تسري على أولاد تدمير من بعده، أي أنها كانت له وحده طول حياته، فكان عهد العزيز أقر هذا الرجل

(١) اختلف سافدرا وبروفنسال حول المراد بعبارة: «وإن الذي اشترط عليه أنه صلح على سبع مدائن...» الواردة في ذلك العهد، فترجمها سافدرا:

«... y queda libre en las siete ciudades de...»

أي أن المسلمين تعهدوا له بأن يتركوه حراً في هذه المدائن السبع.
وأما بروفنسال فقد ترجمها هكذا:

«La población así sujeción reservando la remisa de sept villas circunvecinas.»

والترجمة هنا فيما نرى غير دقيقة: لأن المراد من أن الرجل صلح على هذه المدائن السبع هو أنه سلم إليها دخليته في طاعة المسلمين دون حرب، ولكنهم لم يخلوها بل اكتفوا بالعهد الذي أخذوه على صاحبها، وما تعهد به من مدد ما على أهلها من الجزية، حين لم يتركوه حراً كما يقول سافدرا ولم يسلطوا البلاد منه كما يقول بروفنسال، وإنما اعترف الرجل بأن البلاد للمسلمين وأقام كالتقاليم منهم فيها يحكمها باسمهم.

CE-SAAVEDRA Op. cit. p. 129

LEVI-PROVENCAL. *Historia de l'Espagne Musulmane*, t. 7. 28.

وترجمة سافدرا لهذه الوثيقة مطابقة للأصل، وفيها زيادات:

المصادق للمسلمين على بعض بلادها التي كان يملكها تأكيداً لولده وتسكيناً لمخاطب من كان يحرس لها من النصارى.

ولا محل إذن لما يزعمه بعض مؤرخي الإسبان من أن تدمير تصدي للعرب وأرضهم خارج حدود إقليمه كله، وأنه أقام هناك كالأمر المحالف مخالفة للدلتد، ولم يجسر المسلمون بهذا شيئاً، لأن جنوب شرقي الأندلس لم يظل خارجاً عن سلطانهم بل دخل في طاعتهم أسوة بغيره من نواحي شبه الجزيرة، ولأن تدمير كان في «فئة» المسلمين شأنه في ذلك شأن غيره من النصارى الذين دخلوا في طاعة المسلمين إذ ذاك. وكان موقفه منهم موقف مالك إقطاعي من صاحب البلاد كلها؛ له سلطان شبه مطلق في النواحي التي يشملها إقطاعه، ويقفل في هذا الإقطاع ما ظل على الطاعة والصدق وما أتى الواجبات الإقطاعية من مالٍ ومساعدة وقت الحروب وغير ذلك^(١).

ثبت ملاحظة صغيرة عن تاريخ هذه المعاهدة الوارد في نصها، فقد جعل بعض المؤرخين ذلك في سنة ٩١هـ. وذهبوا إلى أنها تمت في عهد طارق بن زياد، وجعلها بعضهم سنة ٩٢هـ. وهذاان فرصان غير معقولين، فإن الوثيقة صريحة بأنها تحققت على يد عبد العزيز، وأنه عقدها بصفته عامل الأندلس، ولو كان عقدها في حكومة أبيه لأشير إلى ذلك في صلبها. فإذا صح ذلك كان من اليسور أن نشك في التاريخ الذي ثورده الوثيقة في نصها. فهي تذكر رجياً سنة ٩٤هـ، ورجب هذا يقع في أبريل سنة ٧١٣م، فلو ذكرنا أن عبد العزيز فتح في هذه العزوة وقبل وصوله إلى بلاد تدمير - حصنين كبيرين هما خرناطة ومالقة، ولا بد كذلك أن شيئاً من الوقت قد ضاع في المحادثات مع تدمير حتى تم الاتفاق معه، إذا حسبنا لذلك كله ثلاثة أشهر

(١) هذا واضح من قول ليونجور الثاني:

Tavallimur que in Hispania pariter nos Medici Arabum statuerit accos et de caigita-
ta, paxem cum eis foretisset habundant. C. I. ca. 28.

وقد ورد النص في القسم الثاني من كتابها لاترني في اكتشافها بتاريخه للأخبار المجموعة، ص ١٤٩.

كان من الضروري أن يكون عبد العزيز قد خرج بهذه الغزوة في يناير أو أوائل فبراير على أكثر تقدير، وهذا وقت لم تغير العادة بالخروج للغزوة فيه في تلك العصور، وأسلم الأراء في هذا الموضوع هو أن نضع تسليم تلعبير - وهو آخر حلقة من حلقات فتح المسلمين للأندلس - في أوائل سنة ٩٦هـ (٧١٤م) لأن موسى لم يرح البلاد إلا في ذي قعدة سنة ٩٥هـ.



هكذا تم فتح الأندلس بعد حرب عنيفة وجهود متصل داما أربع سنوات إلا شهراً، بدأ الفتح في رجب سنة ٩٢هـ وانتهى في أوائل سنة ٩٦ هجرية، وقد فتح المسلمون خلال تلك السنوات القلائل هذه الجزيرة الطبخنة من أقصى الجنوب إلى جبال ألبرت وشاطيء البحر في الشمال، ومن مالقة وطركونة في الشرق إلى قلعة رة وأشبونة في الغرب، واستولوا فيها على سهول الجنوب وعلى مرتفعات قشتالة ونواحي الجوف (استرامادورة) الساحلة، ولم يغادروا بلداً عظيماً أو حصناً هاماً إلا رفعوا عليه راية الإسلام وأدخلوه في حوزة الدولة الإسلامية الكبرى. ولو لم تكن البرامير ثابتة على تمام الفتح في هذه المدة القصيرة لما صدقه أحد، لأن شبه الجزيرة الأندلسية قطر صلب لا يسهل على أحد فتحه أو إخضاعه، وقد وفق العرب إلى ذلك في نظام وسياسة ينبغي أن نسجلها لمن قاموا به.

ومهما بلغ المؤرخ من التناء على طارق فإنه لا يستطيع وقائه حقه، ولو فكر الإنسان في الأمر لحظة لاستخرج من حياة طارق وأعماله سراً من أسرار قوة الإسلام وناحية من نواحي امتيازه: «طارق هذا رجل مغربي يربري لم يكن ليصبح - بغير الإسلام - إلا قائداً حاملاً لجرامة من البربر منسيون في ركن من أركان الأطلسي، فبجاه الإسلام فجعل منه قائداً قائماً سياسياً هيكلاً بقود الجيوش ويفتح الأمصار ويوقع المعاهدات في قدرة وكياسة جديريين بالإعجاب، فلو لم يكن للإسلام من أثر إلا تكوين أمثال هذا الرجل واستنباط قومه للعمل الشليل لكفاه، وكيف وقد بث الإسلام هذه الروح في كل مكان أظلمته رابته، وكيف فعل هذا في أقصر وقت، وحققه على أتم وجه»

الحق أن فتح المسلمين للأندلس معجزة في ذاته، إذ لا يصدق الرء وهو

يتبع أحيار هذا الفتح أن الذين كانوا يقومون به بهذا النظام وهذا النظر البعيد إنما كانوا بربراً لم يسبق لهم عهد بالنظام ولا الجيوش ولا المعاهدات . الحق أن الإسلام قد خطا بخطى معتدته خلال القرن الأول بضعة قرون للأمام ، وهذا تاريخ الرومان في إفريقيا ، لم يوفضوا إلى تحضيرها على نحو يقارب ما فعله الإسلام . ولو من بعيد . بعد عدة قرون ، فما بالك وقد فعل الإسلام ذلك في نحو نصف قرن ؟

ولو ذكر الإنسان أن موسى أكمل عمل طارق ، وأن عبد العزيز أكمل عمل الاتنين ، لاستبان أن العرب ساروا في فتح هذه البلاد على خطة محكمة لم يكن من اليسور وضع أحسن منها ؟ فقد قضى على المقاومة واحتلت العاصمة في أول وثبة ، ثم توجهت الهمة إلى إخضاع كبريات مدن الغرب ، ثم احتل المسلمون إقليم سرقطة ونعموا فلؤل المقاومة في معانقها في الشمال والشرق الغربي ثم فتحوا أقصى الغرب ، وفتح العطل بفتح الجنوب الشرقي . ولو أن مهلباً للحرب من كبار العسكريين اجتمع ليضع خطة الفتح البلاد لما وفق إلى خير من ذلك ، وتلك ناحية ينبغي أن لا تغيب عن ذهن الإنسان وهو يدرس هذا الفتح ، لأنها في الواقع تدل على نبوغ حربي عند هؤلاء المسلمين الأولين .

الفصل الرابع
عَصْرُ الْوَلَاةِ

٣١ - لم تكلف الخلفاء جهداً عماساً في سبيل فتح الأندلس فتح المسلمون خلال القرن الحادي الأول بلاد العرب كلها والعراق والشام وجزءاً من آسيا الصغرى ومصر والشمال الإفريقي وشبه الجزيرة الإيبيرية، ولكنهم لم يتمكنوا في فتح قطر من هذه الأقطار مؤونة هي أسير مما تكلفوه في فتح هذا القطر الأخير. فقد سيرت الخلافة الجيوش نحو كل قطر من هذه الأقطار وألقت في ميادينها بالآلاف العرب وأمدتهم بالزمن والأعطيات، ولم يتم الفتح في معظم هذه النواحي من غير معارك دامية هلك فيها آلاف العرب وانكسرت فيها جيوشهم مراراً عديدة، ولقي فيها نفر من كبار القواد حتوفهم كما رأينا في فتح المغرب. فلما الأندلس فقد احتمال البربر صدمته الأولى. وهلك منهم في واقعة وادي البرباط وحدها ثلاثة آلاف، وأقبل العرب بعد ذلك مع موسى بن نصير في البلاد المغربية لا يكادون يلقون عند ما يعترضهم من البلاد من المقاومة ما يتناسب مع أهمية هذه البلاد، ولا تكاد تاحية تعجب قوماً منهم حتى يخطوا رحاضهم فيها ويستوطنوها دون حاجة إلى حاميات أو إقامة حصون، وما زالوا حتى انتشروا في شبه الجزيرة كله، واستقرت جماعات منهم في نواحي الشمال على سفرة من خليج بسكية، وجماعات أخرى في أقصى الشمال شرقاً وغرباً^(١) بل طمعت بهم الأمان إلى ما وراء إسبانيا من بلاد غالة فانساحوا في بطانحتها يفتحون ويستفرون.

ولمنا لاحظنا أن الخلافة لم تكلف في سبيل ذلك جهداً خاصاً: لم يبعث الأمويون جيشاً واحداً لفتح الأندلس، ولم يخرجوا من خزائهم درهماً لإعداد حملاته،

(١) الأخبار المصنوعة، ص ٣٨.

إنما فتح الأندلس البربرُ وفتحُ إفريقية وفتحُ مصر^(١)، وكانت الأعطيات تدفع من مال إفريقية، وهذه ظاهرة يفرد بها الفتح الأندلسي بين غيره من فتوح المسلمين؛ لقد وقع للخلافة كالغنيمة الباردة من غير جهد أو مؤونة أصلاً.

٣٢ - ثم يتم
الخلافة من
شيء ما
بعد أن ينبغي أن نقرر أن الخلافة نفسها لم تنعم شيئاً مادياً من هذا الفتح، إنما غنمه للذين قاموا بفتحهم وحدهم؛ ففي حين أننا نجد الخلافة بهم - إذا ما لم فتح بلد - بإرسال عامل يقوم بشؤون الإدارة، وعامل آخر يشرف على الجبايات وتنظيم الأموال والنهبر على حقوق الدولة المركزية، وترسل قاصباً ينظم القضاء ويقوم العدل باسم الخلفاء، وبينما نرى سبل الأموال يتشال على خزائن الخلفاء في دمشق من كل ناحية فتحها المسلمون؛ من فارس إلى حدود النوبة وسواحل المحيط الأطلسي، وبينما يحرص المؤرخون أشد الحرص على أن يذكروا لنا مقادير الجبايات وتنظيمها في كل ناحية، إذا بنا نجد الخلافة لا تكاد تنوي هذا القطر العظيم ولو جاثياً يسيراً من العناية التي يستحقها؛ فهي لم ترسل إليه من أول الأمر والياً خاصاً به بل تركته نحو تسع سنين تحت تصرف عامل إفريقية يتصرف في شؤونه كما يريد^(٢)، وهي لم ترسل إليه عاملاً على المال يحصي نواحيه وأهله ويضمس النواحي ويقرر مقادير الخراج والجزية

(١) لم يشر مرجع واحد إلى أن الوليد بن عبد الملك بعث إلى موسى بن نصير أو محمد بن عبد العزيز - ويذكر الرازي - عن الوهبي عن موسى بن نصير عن أبيه - أن موسى خرج في عشرة آلاف من إفريقية، ويقول صاحب فتح الأندلس أن موسى دخل الأندلس معه ثمانية عشر ألفاً من قرشي وأعرابي ورومي الشامي.

انظر ابن خلدون - البيان المغرب، ج ٢، ص ١٥ - فتح الأندلس، ص ١٠.

(٢) نزل موسى بن نصير ابنه عبد العزيز والياً على الأندلس حينما عاد إلى المشرق في سفر سنة ٩٥ هـ (أكتوبر - نوفمبر ٧١٣م) وخلفه أيوب بن حبيب اللحمي، وقد أقامه جنود الأندلس على أنفسهم، ثم أخرج من عبد الرحمن الثقفي وقد عينه محمد بن يزيد عامل إفريقية لسليمان بن عبد الملك - وكان أول والي أقامته الخلافة هو القاسم بن مالك الخولاني، فقامه عمر بن عبد العزيز في رمضان سنة ١٠٠ (مارس - أبريل سنة ٧١٩م) ولم تزد ولايته عن عامين وثمانين شهراً، إذ خلفه عبد الرحمن بن عبد الله العاطفي في ذي الحجة سنة ١٠٢ هـ.

والجباية ، ويفسر ما ينبغي أن ينفذ في البلاد وما ينبغي أن يحصل إلى دار الخلافة ، وهي لم تكن كذلك بتنظيم القضاء في الأندلس من أول الأمر ، بل جعلت ذلك من شؤون السيادة ، يعينون القضاء أولاً يعينونهم كما يشتهون^(١) . وإنه لمن الغريب حقاً أن نلاحظ أن المراجع لا تذكر - ولو مرة واحدة - أن شيئاً من الملك قد أوصل من الأندلس إلى المشرق^(٢) ، بل إننا لن نخرج من بحثنا إلا بتيجة واحدة ينبغي أن نفسرها حتى يتكشف لنا ما ينقصها : وهي أن الأندلس لم يبعث إلى مركز الخلافة شيئاً من ماله أو من جبايته أصلاً .

وذلك في ذاته وضع غريب ، ويميز في عرابته أن الأندلس كان بلداً تحتياً عظيم الجباية ، وأن الخلفاء كانوا يعلمون مقدار غناه بسبب ما يحصل إليهم خزائنه من غنائمه وطرفه ، ولست أشك في أننا سننقل زماناً طويلاً لا نقيم السر الذي جعل الخلافة تضي على هذا النحو من التهاون في شؤون الأندلس ، ولما نستطيع أن نورد ذلك إلى بعده عن مركز الخلافة ، لأن الخلافة لم تحاول ولا مرة واحدة بسط سلطانها المركب عليه ، ولم تطالب مرة - ولو في شيء من الملوك - بتسوية من أمواله وجباياته التي تحق لها وفقاً للنظم

(١) لم يعين خلقه من أمية على الأندلس إلا قسماً واحداً هو يحيى بن زيد الخليلي ، عنه عمر بن عبد العزيز . أما غير يحيى من قضاء الأندلس قبل تمام الدولة الأموية الأندلسية فكانت يعينهم ولا الأندلس في الغالب ولا إمبريقية في الشرق ، وكانوا يسعون قضاء البلد .
انظر الخليلي : قضاء ، ص ٢٧ .

السامي : الرقبة العليا ، ص ٤٢-٤٣ .

ومقدمة الترجمة الإسبانية لقضاء فرطة للخليل .

(٢) يذكر ابن خلدون في الإمامة والسياسة أن سليمان قرر على موسى ٣٠٠٠٠٠ دينار ذهباً حراماً ، ولما تعلم إنه كان هذا المبلغ حراماً امتنع للخلافة من خراج الأندلس في الفترة التي تولاها موسى ، أو هو خراج الأندلس والرقبة معاً ، أو هو نصيب الخلافة في مقام موسى من الأموال . وهذه الإشارة - على اصطحابها وثقة جدواها - هي الوحيدة التي نتحدث عن مطالبه الخلفاء لأحد من ولاء الأندلس بها .

ابن خلدون : الإمامة والسياسة (طبعة القاهرة سنة ١٩٠٤) ج ٦ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

المالية والإدارية التي كانت تطبق في حقة في كل ناحية من نواحي الدولة الإسلامية الواسعة إذ ذلك .

ولسا تستطيع كذلك أن ترد هذه الظاهرة إلى أن جند الأندلس كانوا يستفدون أمواله كلها ، أو أن عساجه كان يتفنى عمل الفسوح فيما وراءه من البلاد ، لأن الواقع أن جنياً عظيماً من عرب الأندلس لم يكونوا جنداً نظامياً تابعاً لندبوان الجند في دمشق ، وأن عدد هؤلاء العرب لم يبلغ البلغ الذي يستفد أموال هذا القطر العظيم الغنى . وأما الحروب فيها وراء البريت فقد كان معظم الفاتحين بها من المتطوعة الذين لا تقرض لهم أعطيات ، وكان ما يقع بين أيديهم من الغنائم من الوفرة بحيث لم يفكروا في مطالبة الدولة بأعطيات^(١) .

كل ذلك يلقي ضوءاً كافياً على حقيقة وضع القطر الأندلسي خلال الفترة التي تقع بين تمام الفتح وبين قيام الدولة الأموية على يد عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالذاهل سنة ١٢٨ هجرية (سنة ٧٥٦ م) فهو لم يكن ولاية تابعة تمام التبعية للخلافة المركزية كمصر أو كالشمال الإفريقي مثلاً ، ولم يكن كذلك قطعاً مستقلاً تمام الاستقلال ، وإنما كان له وضع خاص بين بين : كان يكون جزءاً من الدولة الإسلامية مكملاً لإفريقية داخلياً في طاعة الخلفاء ، يخضب لهم على منابرهم ، ولم يزيد سلطان الخلفاء فيه على هذا اللون الضعيف من ألوان التبعية إلا قليلاً كما سنرى ، وسنحاول فيما يلي من هذا الفصل أن نزيد هذا الأمر وضوحاً .

(١) يذهب بعض المؤرخين إلى أن جند المسلمين الذين كانوا يرحلون للفتوحات فيها وراء جبال البريت بلغوا ثمانين أو مائة ألف في مواقع مثل طرلوشة وبلاد الشهداء ، وذلك القديرات مبالغ فيها ، إذ الواقع أن جند المسلمين لم يزد في هذه القامبات عن سبعين أو سبعين ألفاً أكثر من ثلاثة أوداعهم من البربر ، والربح - أي بين خمسة عشر وعشرين ألفاً - كانوا من العرب ، هذا وقد كان العرب وحدهم هم أصحاب الخبز في قروص القديوان ، أما البربر فلم يكن يقرض لهم رزق ، وسنرى أن ذلك سيكون من أسباب ثورة البربر على العرب .

وظاهرة أخرى لا تقل خرابة ولا أهمية عن هذه : هي هجرة
 العرب إلى الأندلس وسكناتهم نواحيه ، ولسنا نقصد بذلك
 جماعات العرب الفاتحة ، وإنما جماعات المهاجرين المسالين
 الذين أقبلوا إلى الأندلس بعد الفتح واستقروا في نواحيه دون
 أن نحددنا المراجع عنهم بشيء ينفع الغلة ، فقد رأينا أن عدد العرب الذين
 أقبلوا مع موسى لم يزد على ثمانية عشر ألفاً ، وسنلاحظ أن بضعة آلاف
 أخرى ستقبل خلال العشرين سنة التالية شيئاً فشيئاً ، وسنرى أن موجة أخرى
 لا يزد عددها على عشرة آلاف ستقبل مع بلج بن بشر ، فإذا أخرجنا من
 ذلك أعداد من لقي مصارعه في فتح البلاد وما وراهها من نواحي خالية ،
 وأعداد من عاد إلى المشرق أو إلى إفريقية بعد الفتح ، لم نستطع أن نقدر من
 استقر في الأندلس من العرب بأكثر من خمسة وعشرين ألفاً .

ولكننا لا نكاد نغني في استقصاء أخبار الأندلس حتى نجد موج
 بالعرب موجاً : نجد جماعات عربية ضخمة في نواحي قرطبة وإشبيلية
 والجزيرة الخضراء وتدمير وسرقطة ، غير جاليات أخرى صغيرة في كل ناحية
 تقريباً ، وقد استعرض ابن غالب في « فرحة الأندلس » بعض هذه الجماعات
 العربية استعراضاً سريعاً مقتضباً يفهم منه أن عددهم كان يبلغ على الأقل
 أضعاف هذه الألاف التي ذكرها المؤرخون^(١) .

فمن أين أتى هؤلاء العرب ؟ وكيف بلغ من كثرتهم أنهم احتلوا معظم
 سهول البلاد حتى لم يبق للبربر غير القليل منها ، وسهول الأندلس واسعة لا
 يملؤها إلا مئات الألاف ، فكيف أقبل إلى البلاد هؤلاء العرب الذين قاضت
 بهم الأندلس من أقصاها إلى أقصاها ؟

لسنا نستطيع تفسير ذلك إلا إذا افترضنا أن تياراً من مهاجري العرب

(١) راجع البيانات التي يقدمها القرني خلافاً عن فرحة الأندلس لابن غالب : فتح العرب (الظاهرة سنة
 ١٩٤٩) ج ١ ، ص ٣٢١ وما يليها .

كان يسميه نحو الأندلس من أول الأمر ، ويؤيد ذلك قول الرازي بعد وصف معركة وادي لكة : « وتسامع الناس من أهل بر العندوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة الخاتم فيها ، فقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق ، وارضع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال »^(١) . وهي عبارة هامة تدل على أن اندفاع الناس نحو الأندلس كان عظيماً لا يكاد يعدله اندفاعهم نحو أي بلد آخر مما فتح الله على المسلمين في ذلك الحين .

ولم يفسر لنا الرازي عبارته تلك حتى نعرف نسبة العرب إلى البربر في هذه الجماعات المهاجرة ، ولكننا نستطيع أن نقرر أن نسبة العرب وإن كانت قليلة إلا أن عددهم كان كثيراً ، وأن جانباً عظيماً من هؤلاء استقر في الأرياف من أول الأمر على صورة جماعات قليلة في كل ناحية ، وقد وضعت هذه الجماعات يدها على ما استطاعت من الأرض وأخذت تعمل على هجرته واستيعابه مستعينة بالزرايع من الأهليون على نظام المزارعة الذي سنشرحه وكانت الأحوال السياسية في المشرق سبباً من أسباب هجرة العرب إلى الأندلس : فقد هاجر الكثيرون جداً من أهل الحجاز من بلادهم إلى العراق

(١) الرازي برواية المغربي : فتح الطب، ج ١، ص ١٦٢ .

ويبدو أن هذه العبارة تصب في الغالب على البربر، ولكن الذي لا شك فيه أن جماعات كثيرة من أهل المدينة كانت قد هاجرت بعد الهجرة إلى إفريقية والأندلس. راجع الإفادات من ذلك عند:

المحققين: كتاب البلدان، ص ٣٢٧-٣٢٨.

ابن حنون: كتاب العم، ج ٣، ص ٢١ وما بعدها.

السويدي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٩ وما بعدها.

ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٥٧.

السجدي: مروج الذهب، ج ٥، ص ٢٠٠ وما بعدها. ابن الأثير: الخلة: ص ٤٧، ٤٨.

P. H. LAMMENS, *Le Califat de Yezid ibn, VIII-IX* pp. 114 sqq.

Wald, *Geographische Chrestom., I*, p. 306 sqq.

DOZY, *Musulmans d'Espagne*, I, pp. 119 sqq.

وهذه المسألة رغم ذلك لا تزال معلقة جداً لثقل وضوح المراجع

وخراسان والشمال الإفريقي والأندلس عقب هزيمة عبد الله بن الزبير ، وهاجر كثير من الكلبيين بعد اتصال مروان بن الحكم واعتلائه عرش الخلافة ، نتيجة للخطوة التي وصلوا إليها وهاجر عدد عظيم من مصر إلى الأندلس بسبب ما تلا ذلك من أحداث^(١) .

وأما الزبير فكانت أعداد مهاجرين تزيد على أعداد العرب ضعافاً ، ونذهب بعض التواريخ الحديثة إلى أن العرب استأثروا بهم بحير التواحي ولم يتركوا لهم غير المضاب الفاحشة في الشمال^(٢) ، وهذا غير صحيح على إطلاقه ، لأن الزبير انتشروا واستقروا عن أول الأمر في كل ناحية ، وكانت غالبية هذه الأتواج الأولى من الزبير المهاجرين من زنقة ، لأن الزناتيين كانوا أول الزبير إسلاماً وانضماماً للعرب ، وكان طارق بن زياد منهم^(٣) .

أخذت هذه الجماعات المسلحة - حرية ويريبة - تستقر في نواحي البلاد خلال فترة السيادة كلها ، وسنرى أثر ذلك في تطور الحوادث وفي تحول الأندلس إلى بلد إسلامي عربي الطابع في أقل من قرن .



(١) انظر الخامس السابق.

(٢) السؤؤل من إياها هذه الفكرة توزي ، وقد اعتد على عبارة قصيرة جداً وموجزة لأيزوبور الباسي (مقرة ١٤) ولكنها سنرى أن الحوادث لا تؤكد هذا الرأي - صحيح أن العرب استأثروا بمعاملة الزبير وأنهم كثراً ، ولكنهم لم يقتصروا أنفسهم بأحسن الأرضين ، لأن أرض الأندلس كانت من التواحي بحيث كانت تكفي جمع العرب من سعة ، وعلى الزبير بعد ذلك من الأرض ما ليه الكفاية في كل ناحية .

(٣) كان معظم الزبير الذين أسلموا أول الأمر من زنقة . راجع :

ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

اللائقوي : فتوح البلدان ، ص ٢٢٤ .

ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

ابن خلدون : كتاب العرب ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

وفتح العرب للمغرب لصاحب هذا الكتاب ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

٢٤ - ولاية
عبد العزيز
ابن موسى

أصبح عبد العزيز بن موسى بن نصير والياً على الأندلس منذ
مبارحة أبيه موسى البلد في صفر سنة ٩٥ هـ (أكتوبر - نوفمبر
سنة ٧١٣ م) ، ولما تعلم إن كان الخليفة سليمان بن عبد
الملك قد بعث إليه كتاباً يثبت في هذه الولاية ، وإن كنا نعلم
في شيء من الثقة أنه أقره في ولايته سياسةً منه أو رضي عنه . وكان الأندلس
في ذلك الحين تابعاً لإقرية ، وكانت ولاية إقرية بيد عبد الله بن موسى ،
أخي عبد العزيز ، فليس إلى الشك سبيل في أنه أيده على هذه الولاية .

وتكاد المراجع لا تذكر لعبد العزيز عملاً خلا ما ذكرناه من فتحه الجزء
الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة ، ويبدو أن نفسه كانت طول الوقت مرسوة
بتتايها الحروب على مصر أبيه ومصر أسرته ، فسلك إلى السكون والانتظار
والترقب ، ويبدأ وحده فعلى سكوتة عن العمل ولقد عرفناه إلى ذلك الحين
رجلاً نشطاً مقداماً .

٣٤ - مقتل
عبد العزيز
ابن موسى

ويبدو أن حاله مع الجند لم يكن على ما يرجى ، لا لأنهم
كانوا ساعطين عليه بل لأن نفراً من بينهم كان شديد التطوع
والتطوع ، تذكر المراجع منهم حبيب بن أبي عبيدة بن عتبة
ابن نافع الفهري حفيد عتبة بن نافع - وقد كان شخصية قلقة
لا تكف عن السعي والتدبير كما سنرى - وزيد بن عذرة البلوي ، وزيد بن
سابعة التميمي ، وكانوا جميعاً من الظاهرين من جند موسى وكبار رجاله .
وكان حبيب بن أبي عبيدة الفهري أكبرهم وأظهرهم ، وكان موسى قد أخفه
بإبنة وجعله وزيراً له ومعيناً^(١) كما يقول ابن عذاري ، ويبدو أن الخلاف
بين هؤلاء الثلاثة وعبد العزيز كان مستمراً لأشياء تقصوها عليه^(٢) ، كما
يقول الرازي .

لأنما هذه الأثياء التي تقصوها عليه ، فهي علاقته بزوجه النصرانية

(١) ابن عذاري : الظاهر ، ج٢ ، ص ٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٧ .

« أجيلونا » التي تسميها المراجع العربية لبله (= أيلونا) أو أم عاصم . وكانت أيلونا قبل ذلك زوجاً للفريرين فيما تذهب المراجع ، « وكانت قد صاحت على نفسها في وقت الفتح وباتت بالجزية » فأقامت على دينها فحفظت عنده وعظمت على نفسه (١٦) ، فتزوجها وأقام معها في ناحية من كنيسة رُفينة في إشبيلية ، وكانت قد حولت إلى مسجد ، فكانت داره على هذا قرية من موضع اجتماع المسلمين ومكان صلاحهم . ولو قد كان عبد العزيز ضعيفاً مترفقاً كما يفهم من مراجعنا لاستطاع أن يسكن أحد قصور إشبيلية الحسان ، ولكنه كان في واقع الأمر رجلاً جاداً حريصاً على أن يكون على مقربة من رجاله . ويبدو أن أيلونا كانت على جانب عظيم من القوة والشكاه ، لأنها لم تلبث أن ملكت زمام زوجها فتابعها في كثير مما أرادت . ولذهب المراجع إلى أنها عملت له تاجاً من الذهب والجواهر رحلته على أن يلبسه ، لأن « الملوك إذا لم يتزوجوا فلا ملك لهم » كما قالت ، وما زالت به حتى قبل أن يلبسه إذا خلا إليها ، « فبينما هو ذات يوم جالس معها والتاج على رأسه دخلت عليه امرأة كان قد تزوجها زياد ابن نابتة التميمي من بنات ملوكهم ، فصابته والتتاج على رأسه ، فضالت لزباد : ألا أحصل لك تاجاً ؟ فقال لها : ليس في ديننا استحلال لبسه ، فضالت : ودين المسيح إنه لعل رأس ملككم وإمامكم ، فأعلم بذلك زياداً حينئذ حينئذ ، ثم تحدثا بذلك حتى علمه خيبر الجند ، فلم يكن لهم هم إلا كشف ذلك ، حتى رأوه عياناً ، فقالوا : قد تنصّر ! ثم هجموا عليه فقتلوه (١٧) .

ولسنا نعلم كيف فسر الجند لبسه التاج بأنه قد تنصّر ، هذا إذا كان قد لبسه أصلاً ، ولا كيف قال عبد العزيز إن لبس التاج ليس من الدين ، مع أن أشراط الدين ليس فيها ما يفهم منه ذلك ، ثم إن الرجل لم يلبسه كشارة من شارات الملك ، بل لبسه في خلواته مع أهل بيته . وليسنا نعلم كذلك

(١٦) فتح الأندلس، ص ٦٩.

(١٧) ابن عسكارة: البيان، ج ٦، ص ٣٣.

كيف نأرجح هذه التوزرة لمثل هذا الأمر وهم لم يكونوا يتورون على من يعب
الحمر ويفترق المحرمات منهم ، وقد كان جند الأندلس من أكثر الناس إيماناً
في هذه الأمور . ثم لماذا تكون زوجة زياد بن السباغة التميمي بالذات هي
التي تكشف هذا الأمر ؟

إن سياق هذه القصة يدل على أنها ملفقة تلقياً ، وإنما وضعت لكي
تستر الدوافع الحقيقية التي حفزت جند عبد العزيز على قتله .

وأما القول بأن الخليفة سليمان هو الذي أوعز بقتله فنقول لا نجد ما
يزيده ، لأن الخليفة لم يكن عاجزاً عن عزله إن أراد ، ولم يكن ليخشى ثورته
بالجند لأن الجند كان مختلفاً عليه ، وليس بمعقول أن يكون حقد سليمان على
عبد العزيز أشد من حقد على أبيه موسى .

ومصدق ذلك ما يذكره صاحب الأخبار المجموعة من أن سليمان بن
عبد الملك لما بلغه مقتل عبد العزيز بن موسى شن ذلك عليه ، فولى إفريقية
عبيد الله بن يزيد القرشي ، لا أفري لمن من قرشي (يزيد محمد بن يزيد
سولى قرشي والى إفريقية) ، وإلى إفريقية كان أمر الأندلس وبنجة وكل ما
وراء إفريقية . وأمره سليمان فيها فطه حبيب بن أبي عبيدة وزياد بن السباغة
من قتل عبد العزيز ، بأن يشدد في ذلك ، وأن يفتلها إليه ومن شركها في
قتله من وجوه الناس . ثم مات سليمان ، فسرح عبيد الله بن يزيد والى
إفريقية على الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، وأمره بالنظر في شأن قتل
عبد العزيز^(١) . مما يفهم منه صراحة أن الأمر دبره يغير علم الخليفة ، وأن
له أسياً أخرى لا تفصح المراجع عنها . ولقد لنا رواية الأخبار المجموعة تلك
فيها ذهباً إليه أيضاً من أن الأمر دبره حبيب بن أبي عبيدة ونفس من كان معه
من الجند ، وسبى أن حبيباً هذا سيظل طول حياته سبياً للمشاهب

(١) أخبار المجموعة، ص ٢١-٢٢

والقتال ، وأن مصيره لن يكون خيراً من مصير عبد العزيز .

وأثرب التفسير إلى الصحة هو القول بأن المسألة كانت نتيجة لتدبير محكم بين محمد بن يزيد عامل إفريقية لسليمان وبين حبيب بن أبي عبيدة ، وقرر من الجند ، وأن هؤلاء قرروا قتله دون الرجوع إلى سليمان في الأمر ، ومصداق ذلك ما يقوله صاحب فتح الأندلس : « ثم اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللخمي الذي قُتل عبد العزيز بمشورته » مما يدل بوضوح على أن الأمر تم في الأندلس بعد أن اشتور فيه الجند .

وكان سليمان قد أوصى يزيد بأن « يأخذ آل موسى بن نصير وكل من انتسبوا إليه حتى يقوموا بما بني عليه وهو ثلاثمائة ألف دينار ولا يرفع عنهم العذاب ، فليض على عبد الله والي القيروان فحبه في السجن ، ثم وصل البريد من قبل سليمان بأمره بضرب عنقه . . . وحكى الواقدي ، قال : لما بلغ عبد العزيز بن موسى ما نزل بأبيه وأخيه وأهل بيته خلع الطاعة وحالف ، فأرسل إليه سليمان رسولاً ، فلم يرجع ، فكتب سليمان إلى حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ووجوه العرب سرّاً بقتله ، فلما خرج عبد العزيز إلى صلاة الصبح قرأ فاتحة الكتاب ، ثم قرأ سورة الواقعة ، فقال له حبيب : « حلت عليك يا ابن الفاعلة ! » وعلاه بالسيف فقتله (٢١) .

فمن المعلوم جداً أن يكون عبد العزيز قد تحدث بشيء من السخط على بني أمية بسبب ما أنزله سليمان بأبيه وأخيه وآله ، دون أن يصل به هذا السخط إلى حد الثورة وخلق الطاعة ، لأنه لو كان فعل هذا لأبعد حبيب بن أبي عبيدة عن معسكره واحتياط منه على الأقل ، فلم يكف غير هذا الحديث يصل إلى محمد بن يزيد حتى أوعز إلى حبيب هذا ومن معه بخرم به لقتلوه على النحو الذي تصوره رواية الواقدي وتؤيده كل الروايات الأخرى فيه .

(٢١) النظر : ابن عدي : البيان المغرب ، ج ٧ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

وتبع الأندلس ، ص ٢٢

وتجمع المراجع على التثناء على عبد العزيز ، فهو عند أكثرهم من خيار الولاة ، ويؤكد الرازي أنه « ضبط سلطانها وسد ثغورها وافتتح مداخل كثيرة ، إلا أن مدته لم تتغل . . . » . وإذا جاز أن نستنج شيئاً من قصته مع أهلها فهو أنه كان رجلاً تقياً لطيفاً حسن العشرة ، وأنه كان تشارياً على تدفق الحياة .

يقول صاحب « فتح الأندلس » أن جند الأندلس اجتمعوا
 ٣٦ - أيوب بن
 حبيب اللخمي
 بعد قتل عبد العزيز « على أيوب بن حبيب اللخمي ابن
 أخت موسى الذي قُتل عبد العزيز بمشورته » ، وهي عبارة
 هامة تكشف لنا عن بعض أسباب مقتل عبد العزيز ، ولو
 أضفناها إلى رواية « الأخيار المجموعة » - التي ذكرناها آنفاً والتي تؤكد أن
 سليمان استاء حين بلغه خبر مقتل عبد العزيز وبعث يطلب إلى والي إفريقيا
 فحصى المسألة وإرسال من اشتركوا فيها إليه - لبيّن أن القول بأن سليمان هو
 الذي حرض على مقتل عبد العزيز غير صحيح ، وأن الحادث كان من تدبير نقر
 من رجال العرب في الأندلس . فقد كان كبار الجند - وعلى رأسهم أيوب بن
 حبيب اللخمي هذا وحبيب بن أبي عبيدة وزياد بن عذرة البلري وزياد بن ثابتة
 التميمي - تآلمين على عبد العزيز ، فظنوه ليتولى الأمر واحد منهم وهو أيوب .
 ويبدو أنهم كانوا يحسون أن سليمان سيرضى عن فعلتهم هذه ويقرهم على ما
 فعلوا ، ولكن سليمان لم يلبث أن أرسل يطلب عقابهم ، ولم يلبث أن عزل
 واليهم هذا وأقام غيره .

٣٧ - أهل العاصمة
 من إشبيلية
 لم تزد ولاية أيوب عن ستة أشهر لم يفعل فيها شيئاً يذكر إلا
 نقله العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة ، ولا نزاع في أن قرطبة
 كانت أوفق من إشبيلية لحكم الأندلس ، لأن سوقها أوسط
 وأقرب إلى منازل جماعات العرب في الشرق والجنوب الشرقي
 والجنوب . ولو أنهم انتقلوا إلى طليطلة لكان أحسن ، لأنها في وسط شبه
 الجزيرة تماماً ، وهي على أبواب المضارب الشمالية والشمالية الغربية ،
 وصاحبها لا يجد صعوبة في إخضاع هذه النواحي ، أما قرطبة فبينة عنها

جداً ولا تستطيع الحملات الصاعدة منها الوصول إلى نواحي قشتالة وأندلس إلا بعد سير طويل مجهد . وقد ظلت إشبيلية عاصمة الأندلس الإسلامي أربع سنوات إلا قليلاً ، ويبدو أن النية لم تنجبه إلى الانتقال إلى قرطبة إلا في أواخر أيام عبد العزيز . وكانت جماعات كبيرة من العرب قد استقرت في إقليمها ، وقلت مقبلة فيه بعد انتقال العاصمة إلى قرطبة ، وكان معظم هؤلاء العرب الذين استقروا في إقليم إشبيلية وكبار عدته مثل وادي آش وشريش وشلطيخ من هوازن وأسد ويكر بن وائل وإياد بن تزار ومراد وغولان ، وتكونت منهم مع الزمن جمالية عربية قوية اختلطت بأهل البلاد ، وقامت لهم مع الزمن عصبية عظيمة كان لها فيها بعد مع أمراء قرطبة المروانيين تاريخ طويل حافل بالحروب والتنازعات .

وكان قد سكن قرطبة وإقليمها عدد عظيم من العرب ، بل كان ما يحيط بها من الأرباض أحصل أقاليم الأندلس بالعرب من أول الأمر ، وكان هؤلاء العرب المستقرون هناك من أصول شتى لا يكاد يستقر فيها بينهم ، فكان انتقال الحكومة إليها سبباً في تورط العمال فيها صله أن يشجر بين هذه القبائل من خلافات .

وكنا قد أشرنا إلى أن موسى بن نصير كان قد وهب مقيشاً الرومي القصر الذي كان حاكم قرطبة القوطي يعيش فيه في غرب المدينة ، فلما عاد موسى من فتوحه في الشمال ومر بقرطبة ورأى القصر استكشبه على مقيش ، ورأى أنه أرفق ما يكون لعامل البلاد ، فصرف مقيشاً عنه وعرضه عنه داراً أخرى على مقربة من باب القنطرة مقابل الثلثة التي دخل منها أصحابه حين انتزع قرطبة ، وكانت داراً شريفة ذات سفي وزيتون وشمس ، ويقال لها « الأبنانة » كانت للملك الذي أسره وكان له فيها بلاط متيف ، فهي تسمى بالانفلس « بلاط مقيش » . وقد أدخل مقيش هذه الدار لتصبح قصر عمال قرطبة وأمرها ، ويبدو أن أيوب حينها دخل البلد لم يسكنه .

٣٨ - حائل برفقة
 بولي الحرثين
 عبد الرحمن الثقفي
 على الأندلس

وكانت ولاية الأندلس في ذلك الحين إلى عامل إفريقية ، وكان عاملها كنيا ذكرنا محمد بن يزيد (ذو الحجة سنة ٩٧ هـ / أغسطس سنة ٧١٦ م - رمضان سنة ١٠٠ / مارس سنة ٧١٩ م) فلم يفر الجند على ما فعلوا من تولية أيوب بن حبيب وسارح فبعث الحرثين عبد الرحمن الثقفي والياً في ذي الحجة سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ م . ويبدو أن سليمان بن عبد الملك هو الذي حفره على ذلك ، رغبة منه في عقاب من شاركوا في قتل عبد العزيز بن موسى ، ويبدو أن الحر كان قد توقع مقاومة من أيوب وأصحابه من المؤمنين فاصطحب معه قوة صغيرة من أربعمائة عربي من وجوه عرب إفريقية ، ويبدو أنهم كانوا نخبة مختارة ، فلم يستطع جند الأندلس لهم مقاومة ، وأسلموا لهم الأمر . وأصبح الحر والياً على البلاد .

أقام الحر حاكماً للأندلس سنتين وثمانية أشهر ، ولا تذكر المراجع له شيئاً غير سكنه قصر قرطبة الكبير واختطاطه إياه مقاماً للمعالي من ذلك الحين .

توفي سليمان بن عبد الملك في العاشر من صفر سنة ٩٩ / ٢٢ سبتمبر سنة ٧١٧ م ، وخلفه عمر بن عبد العزيز ، فبدأ الأندلس في خلافته عهداً جديداً ، شأنه في ذلك شأن إفريقية وبعض الولايات الإسلامية الأخرى ، بسبب ما امتاز به من الإخلاص في أمور المسلمين والعناية بشؤون دولته والحرص على تغير العمال الصالحين القادرين على النهوض بالمسؤوليات .

٣٩ - ولاية
 المسح بن
 مالك الخولاني

وقع اختيار عمر على رجل من أفاضل عرب إفريقية ليولي شؤون الأندلس وهو المسح بن مالك الخولاني ، وكان قد ظهر قبل ذلك في مناسبة لا نعلم من معنى ، يذكرها معظم رواةنا ، فيقولون إن عمدة خلفاء بني أمية كانت قد جرت بأن لا يدعولوا خزلتهم شيئاً مما يرسله الولاة من خراج ولا هاجم إلا إذا شهد عشرة من عدول الجند في الولاية بأن هذا المال هو المستصفي الخلال ليت المال ، بعد دفع

أعطيت الولاية والإنفاق على مصالحها وشؤونها . فلما أقبلت أسواق إفريقية في أحد أشهر خلافة سليمان ، أقبل معها عشرة من العنود تخبرهم السوالي ، وفيهم إسماعيل بن عبيد الله والسمح بن مالك ، فحلف الثمانية الآخرون على صحة هذا المال وحلاله ، وأما السمع وإسماعيل بن عبيد الله فأبيا أن يخلصا . وكان عمر بن عبد العزيز حاضراً إذ ذلك ، فأعجبه عمل الرجلين وضمهما إلى نفسه وانخرهما إلى وقت يحتاج إليهما فيه . وهي رواية تدل على صحة ما كان يتهم به ولاية إفريقية للأمويين من سوء التصرف في أموال البلاد ، وإزهاقهم أهلها بالمظالم والجزايات ، والمبالغة في عقابهم ما يرسلونه إلى دمشق من الأموال والاطلاف^(١) .

فلما صارت الخلافة لعمر بن عبد العزيز في العاشر من صفر سنة ٩٩ هـ / ٢٢ سبتمبر سنة ٧١٧ م لم يقدم شيئاً على إصلاح ما أقسده من سبقه من الأمويين ، واشتغل بذلك عن أمور الأندلس عاماً وثمانية أشهر ، فلم تنجح له الفرصة للنظر في شؤون المغرب والأندلس إلا في رمضان سنة ١٠٠ هـ (أبريل - مايو سنة ٧١٩ م) ، فأقام إسماعيل بن عبيد الله على إفريقية والسمح بن مالك على الأندلس .

١٠ - عمر بن عبد العزيز
 تذهب المراجع إلى أن عمر بن عبد العزيز كان يفكر في إقفال المسلمين من الأندلس وإخلائها منهم ، إذ «حشي تغلب يفكر في إخلاء العدو عليهم» كما يقول ابن القوطية^(٢) ، أو «لإنقطاعهم من الأندلس من العرب وراء البحر عن المسلمين» كما يقول صاحب فتح الأندلس وصاحب الأخبار المجموعة^(٣) . ولست نجد تفسيراً معقولاً لهذه النزعة من خلقية عرف بالحرص على نشر الإسلام وتوسيع رقعته ، لأن حال المسلمين في

(١) الأخبار المجموعة، ص ٢٣

فتح الأندلس، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) ابن القوطية: الفتوح، ص ١٢ .

(٣) الأخبار المجموعة، ص ٢٣ . فتح الأندلس، ص ٢٤ .

الأندلس كان في إقبال إلى ذلك الحين ، ولم يكن الأعداء قد نهضوا لهم على الوجه الخطر الذي متراه فيما بعد ، ولم تكن قنن العصبية قد عصفت بهم وفرقتهم وأضعفتهم . وربما جاز تعليقه بأن عمر لم يكن يعلم شيئاً عن عظمة الأندلس والساح مديانها وما كسبه المسلمون من فتحها وما يعود على الدولة الإسلامية من أسباب الخير والقوة من بقائها في أيديهم ، ولهذا تذكر المراجع أنه لما ولي السمع بن مالك طلب إليه « أن يكتب إليه بصفة الأندلس وأخبارها وبحرها » ، ولا يستبعد أن يكون إباح له إقبال المسلمين منها إذا وجد أنها لا تستحق عناء حكمها والمحافظة عليها ، فكتب إليه السمع « يعرفه بقوة الإسلام وكثرة مديانهم ، وشرف معانهم »^(١) ، فلما استوثق عمر من أهمية الأندلس وثبات أقدام المسلمين فيه أولاه من عنايته ما هو أهل له .

وكان أول ما اهتم به عمر بن عبد العزيز هو ضبط أمواله
 وتنظيم
 الخلفاء ، فالتدب مولى من ثقافته يسمى جابراً وبعضه في هذه
 المهمة^(٢) . ولما تعلم الأساس الذي سار عليه جابر هذا في
 أداء مهمته تلك ، لأن التصور تذكر أنه اهتم بتمييز أرض الصلح من أرض
 العنوة وباستخراج خمس العنوة لكي يضمه إلى أرض الدولة ، فلم يخرج في
 الخمس إلا ريشاً من أرض قرطبة جعله مقبرة للمسلمين وأمر القرى بيد
 غنامها . وهذه عبارة لا تفسر إلا بأن جابراً اعتبر قرطبة هي الناحية الوحيدة
 التي تحت عنوة ، فأخذ خمسها للدولة ، ولما بقية الأندلس فاعتبره قد فتح
 صلحاً . ولما كنا نعلم أن معظم الأندلس قد فتح عنوة : الجيوب وأقاليم
 قرطبة وإشبيلية وماردة على الأقل ، فكيف لم يزد خمس ذلك كله على ريش
 من أرض قرطبة ؟ ثم ما معنى قولهم إنه أمر القرى في أيدي غنامها ؟ هل

(١) ابن القرطبة : افتتاح ، ص ١٢ - ١٣ .

الأخبار المصنوعة ، ص ٢٣ .

(٢) ابن القرطبة : افتتاح ، ص ١٢ .

أي أساس تركها في أيديهم ؟ إن لفظ « غنمها » هنا يسمح لنا بأن نفترض أن الحكومة المركزية اعتمدت ما فتح من بلاد الأندلس غنيمة لمن فتحها ، فتركت كل ناحية بأيدي من فتحوها واستقروا فيها . إننا نفترض ذلك مجرد افتراض ، ولا يمكننا إبرائه على صورة مؤكدة ، لأن عيانات المراجع قليلة مباشرة ، ولا تعيننا بأية صورة على تبيين النظام الذي وضعه المسلمون للأندلس .

وإذا كان عمر بن عبد العزيز قد تخير السج بن مالك لفضله وأمره أن « يحمل الناس على طريق الحق ولا يعدل بهم عن منهج الرفق ، وأن يحمس ما غلب عليه من أرضها وعساكرها ، ويكتب إليه بصفة الأندلس وأخبارها .. »^(١) فكيف لم يدون للبلاد ديواناً ؟ لقد رأينا حسان بن النعمان يسارع بذلك عقب تمام انتصاره على الكعبة ، فكيف تنقضي إلى الآن أربع سنوات على تمام الفتح دون أن ينشأ للبلاد ديوان ثابت يحمي كل شيء وينظم كل شيء ؟ الحق أن الأندلس يشهد بهذا الوضع الغريب من بين ولايات الدولة الإسلامية جميعاً : لا نعرف إن كان قد أنشئ له ديوان ، ولا نعرف على أي أساس وزعت أرضه بين السابقين واللاحقين المركزية ، بل إننا لا نملك ولو فكرة بسيطة عابرة عن مفاهيم الجزية أو الخراج التي كانت تجبي منه ولو لسنة واحدة . الأندلس هو البلد الإسلامي الوحيد الذي ظل تابعاً لمركز الخلافة نيفاً وأربعين سنة دون أن يذكر المؤرخون ولو مرة واحدة مقدار جزية جبيت منه أو خراج أرسل منه في إحدى السنوات ، بل لم تسجل المراجع أن الأندلس أرسل إلى مركز الخلافة عمراً ما ، أو جانباً من الجباية ، وهذا وضع غريب في ذاته ، ويترى فيما يلي أن عدم ذكر هذه الشؤون المالية ليس مراداً إلى إغفال المؤرخين أو سهوهم ، بل لأن وضع الأندلس في ذاته من أول الأمر كان غريباً لا يشبهه في ذلك بلد إسلامي آخر .

ويبدو أن السج كان ماضياً في تنظيم البلد وإحصاء أمواله ، ولكن

(١) ابن عساق: البيان، ج ٢، ص ٢٥.

الظروف لم تلهه ، لأن خلافة عمر بن عبد العزيز لم تطل ، وهو لم يولّد إلا بعد أن انقضى منها نحو العام ، وكان عليه إلى جانب هذا العمل الإداري أن ينشط للغزوات في أحيائها ، وكان عظيم الرغبة في الجهاد ، فلم يلبث أن استشهد في طرسوس في يوم عرفة من سنة ١٠٢ هـ فلم تبح له فرصة استكمال العمل الإداري الذي بدأه .

ولعل هذا يأتنا في أن نفترض أن « البطحاء المعروفة بالرياح » ، وهي التي خرجت في الخمس ، لا تعني إلا خمس إقليم قرطبة^(١) ، لأنه - كما يقول ابن عذاري - لا يعقل أن يكون هذا الريح هو خمس الأندلس كله ، وأن الرجل كان على نية استنصاف الأمر في الأندلس كلها لو لم تذكره نيته ، وأنه إذا كان قد ترك القصر في أيدي أربابها فإنما فعل ذلك إلى أن يحين وقت ضبطها على أساس ثابت ، لأنه لا يعقل أن يكون قد تركها في أيديهم هكذا طعنة لا يكفلون بحاسيون عنها .

لم يكفد السمع يحيى في تنظيم شؤون البلاد من الناحية المالية حتى اجتمع له مبلغ كبير من المال ، وكانت قنطرة قرطبة الرومانية التي كانت مقامة على الوادي الكبير للاتصال بنواحي جنوبي الأندلس قد تهدمت ، ولم يعد الناس يستطيعون العبور إلا في السفن ، وكان العرب في أمس الحاجة إلى قنطرة مينة يستطيعون العبور عليها من الجنوب إلى محاصرتهم الجديدة ، فوجد السمع أن بناء هذه القنطرة هو أهم ما ينبغي أن يفتن فيه هذا المال المتجمع ، فكتب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يشأذنه في ذلك فأذن له ، فقام السمع « بنائها ، فصنعت على أتم وأعظم ما عقد عليه جر في معمور الأرض من حجارة سور المدينة ، وكانت القنطرة القديمة موصولة الرقبة باب المدينة القبلي بها ، وقد تهدمت هذه القنطرة في أيام الإمام عبد الرحمن

(١) انظر: فتح الأندلس، ص ٢٤ .

ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ٢٥ .

الداخل^(٦٦) وسرى للمسلمين عنابة عظيمة بهذه الفترة التي ستكون ذات أهمية كبرى في تاريخ البلاد السياسي والفكري ، لأنها كانت تصل العاصمة بجنوب الأندلس وبلاد الشرق جميعاً ، ولأنها كانت من الجمال والبهاء بحيث كانت منزلة أهل قرطبة ومقدار خيال شعراء الأندلس أجمعين .

وفي ربيع سنة ١٠٢ هـ (سنة ٧٢١ م) خرج السمع بالصائفة ليخترق فيها وراه البرت فاستشهد في طرسونة في يوم عسرة من العاصم نفسه ، وستحدث عن ذلك في فصل خاص نجعل فيه أعمال المسلمين الحربية كلها فيها وراه البرت .

وفي أثناء السنوات القليلة التي ذكرناها كانت العلاقات بين البربر والعرب في إفريقيا والأندلس تتطور هل نحو سيكون له أثر حاسم في مجرى الأمور في البلدين خلال هذه الفترة وما تلاها ، وجددير بنا أن ندرس هذه الناحية بشيء من التفصيل .

(٦٦) فتح الأندلس ، ص ٢٥

الفصل الخامس
صراع العرب والبربر

انقضت أيام الخليفة النبي العادل عمر بن عبد العزيز وواليه
المجتهدين إسماعيل بن عبيدالله والسبح بن مالك الحفلاوي، وعاد
المغرب الإسلامي إلى ما كان عليه أيام الخليفة سليمان ومن سبقه:
عاد حكام إفريقية يستلبون بالأندلس ويولون عليه من الحكام من يشاؤون، وعاد
هؤلاء يصرفون أموره على الوجه الذي يميته. ولقد رأى الأندلس في الفترة بين
سنتي ١٠٢ و١١٢ حكماً لا تكاد تذكر لهم إلا اهتماماً ظاهراً بالحروب فيها وراء
البر، وانصرافاً ظاهراً إلى المتارعات العسبية العنيفة^(١).

كانت ولاية إفريقية خلال هذه الفترة كلها إلى رجلين من كبار رجال بني
أمية، هما يزيد بن أبي مسلم مولد الخجلاج وكاتبه (١٠٢-١٠٣هـ/ ٧٢٠-٧٢١م)

(١) هم: عبد الرحمن بن عبيدالله العافقي (من ذي الحجة سنة ١٠٢ إلى صفر سنة ١٠٣/ من يوليئه إلى
أغسطس ٧٢١) وعصبة بن شعيم الكلبي (من صفر سنة ١٠٣ إلى شعبان سنة ١٠٧ / ٧٢١ -
٧٢٦)، وعبد بن عبيدالله الطبري (من شعبان سنة ١٠٧ إلى شوال سنة ١٠٧ / من يناير إلى مارس
٧٢٦)، ويحيى بن سلامة العمالي (من شوال سنة ١٠٧ إلى ربيع الأول سنة ١١٠ / من مارس ٧٢٦
إلى يوليئه ٧٢٨)، وحليفة بن الأحمص الشامي (من ربيع الأول سنة ١١٠ إلى شعبان سنة ١١٠ /
من يوليئه إلى ديسمبر ٧٢٨)، وعليان بن أبي نعمة الطشمي (من شعبان سنة ١١٠ إلى المحرم سنة
١١١ / من نوفمبر ٧٢٨ إلى أبريل ٧٢٩)، والحلم بن عبد الكلبي (من المحرم سنة ١١١ إلى ذي
القعدة سنة ١١١ / من أبريل ٧٢٩ إلى فبراير ٧٣٠).
انظر ابن خلدون: البيان، ج ٢، ص ٣٦- ٣٧.

والمبحث الذي كتبه لافونتي إن اكتشافاً وتعليقاً ترجمته للأخبار المصدرة وحقق فيه ولايات عمال
الأندلس.

LAFUENTE Y ALCANTARA, *Cronología de los gobernadores de España. Apéndice III de
Alfonso Moctama*, op. 228-242.

ويشير بن صفوان الكلبي (١٠٩١-١٠٩٣هـ / ٧٢٦-٧٢٨م). وكانت خلافة المسلمين إلى اثنين من أشد الأمويين إغراقاً في العصبية القبلية، هما يزيد بن عبد الملك (١٠١٠-١٠١٢هـ / ٧٢٠-٧٢٢م) وهشام بن عبد الملك (١٠٠٥-١٠٢٥هـ / ٧٢٤-٧٢٦م)، وفي عهدهما ظهر في البيت الأموي الانقسام والتفريق اللذان انتهيا بإضعاف البيت كله وذهاب وجهه. فقد كان يزيد بن عبد الملك مضري الميول: أخضب يزيد بن المهلب وحلوه حتى قتله، وتلقب اليمنية بالمران الأذى حتى تفروا منه ومالوا إلى أعدائه، وامتلأت نفوسهم بالثورة عليه، وعاد إليهم أحناف مرج راعط وتحركت في قلوبهم نارها^(١)، وأقام على إفريقية يزيد بن أبي مسلم هذا، وكان من كبار القيسية، فلما قتل أقام مكانه بشر بن صفوان، ولقي جانب القيسية في بلاد الدولة الإسلامية كلها. فلما أقبل أخوه هشام بدا له أن يخلف من غلواء القيسية المضربة بقبض يده عنهم، ومن ثم أقام نفراً من كبار اليمنية الكلبية من أمثال خالد بن عبدالله الفسري وأخيه أسد على الولايات، فأخذوا يضطهدون المضربة اضطهاداً رضي عنه الخليفة وإن لم يفعل فعلها. ولهذا ترك بشر بن صفوان في ولايته لأن مبعوله كانت كلبية يمنية، وحينما توفي بشر بن صفوان سنة ١٠٠٩هـ / ٧٢٦م كانت ميول الخليفة قد انحرفت بعض الشيء عن الكلبية اليمنية ومالت نفسه إلى إضعاف أمرها، ولهذا أخذ يولي بعض القيسية كبار المناصب، فولي يوسف بن عمر الشنفي العراق، ونصر بن سيار خراسان، وعبيد بن عبد الرحمن السلمي إفريقية، وكانوا جميعاً من غلاة القيسية، فأخذوا يضطهدون اليمنية الكلبية، حتى ليذكر النويري أن عبيد بن عبد الرحمن السلمي لم يكف يهمل إفريقية حتى وأخذ عمال بشر بن صفوان فحبسهم وتعمل عليهم، وكان فيهم أبو الخطاب بن صفوان الكلبي^(٢).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٣٦ وما بعدها، ابن الأثير: الكفيل، ج ٥، ص ٢٢ وما بعدها، للمسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢١٣ - ٢١٤، النويري: نهاية الأرب، طبعة جسد وديور، ص ٢٣. راجع تعليق فورتيل على هذه التفردات العصبية في الفترة الأموية.

هكذا أخذت عواصف العصية تعصف بالدولة في القلب وفي الولايات، ولم يقتصر الأمر على العمال ورجال الدولة بل تعداه إلى عامة الناس، لأن الجاليات العربية التي كانت قد هاجرت إلى الولايات واستقرت فيها لم تخرج عن أن تكون قسبة مضرية أو كلبية ممتدة، فإذا كان العامل ليسياً حلى القيسية واضطهد الكلبية البسنية وأذاعها، واشتكت بينه وبينها الحروب، وإذا كان كلبياً عصف القيسية وأنزل بها من البلاء شيئاً كثيراً. ومن هنا قامت الحروب بين العرب في الولايات، وتغلقت أراضي الدولة الإسلامية من خراسان إلى أقصى الأندلس بمداه العرب، وشغلتهم هذه الخلافات في كل ناحية عما هو أهم منها وأولى بالعناية من الأمور.

ولم يشأ بلد من بلاد المسلمين بهذه الخصومات كما شفي بها المغرب والأندلس، لا لأنها كانت فيها أئسي وأعض، بل لأن المغرب والأندلس كانا إلى ذلك الحين بمثابة الثغر الكبير لبلاد المسلمين عامة وكان لا يد لمن يقوم فيها من العرب أن يكونوا كتلة واحدة بقطعة، وإلا نهض لهم العدو - الذي لم يُفطن عليه القضاء المبرم - واستعاد قوته، وتحفز لتناطحهم وهم في شغل عت. وهذا هو الذي حدث بالفعل: شغل العرب بتصفية ثراهم القبيلة العصبية عن بقايا الفوط في الأندلس، وعن إتمام إخضاع البربر في إفريقية، فأصاب هؤلاء وأولئك فرصة كانوا في أشد الحاجة إليها، واستطاعوا أن يستعيدوا ثباتهم وأن يمتكنوا أقدامهم في نواحيهم النائية، ثم أخذوا يتقدمون على مهل متجهين القرصة في هؤلاء العرب الذين شغلتهم قيس وكتلب عن الفوط والتصرانية والوثنية معاً.

وليس إلى الشك سبيل في أن هذه التنازعات العصبية وحدها هي السبب في هزيمة فلون الفوط وتقدمهم لتنازعة العرب هذه التنازعة الطويلة التي انتهت بخروج المسلمين من البلاد جملة، وأنها هي السبب في ثورة بربر المغرب جميعه على العرب، لأنها أنت في وقت حرج كان المسلمون أحق فيه بأن يذلوا فصارى جهدهم في إتمام فتح البلدين، فعاثتهم عن ذلك واضطراب الأمر عليهم فيها جميعاً.

كانت ولاية بشر بن صفوان في إفرنجية كلية بمنية صرفة ،
وقد عرف الكليليون اليمينيون بإسرافهم في العvisة على الشوالي
في كل ناحية ، وحبسنا من ذلك الإشارة إلى سياسة الحجاج
وعصفه موافق فاروس ، وكان يزيد بن أبي مسلم تلميذه وكتابه^(١) ،

فحبس أنه يستطيع أن يسير في البربر بسيرة الحجاج في أهل العراق
وفاروس^(٢) ، وأخذ يعصف البربر ويشد في جمع أموالهم وتسي نساتهم . وكان
شديد العناية بالاطف الخلفاء وكسب قلوبهم بالهدايا ، فصار يتخير أحسن نساء
البربر ليبعث بهن إلى الخليفة ، وكان يأخذ المائة من الغنم ويذهبها ليأخذ
لمرأها العسل الصافي ويرسلها إلى دمشق ، فرمما ذبح مائة شاة دون أن
يستخلص منها جلدأ واحداً سليماً ، فتغيرت نفوس البربر ، وبدأت قلوبهم
تحدث بالثورة عليه ، لأن البربر كالعرب قوم بدولا يعرقون طاعة ولا
ذلك^(٣) .

وليس إلى الشك سبيل في أن خلفاء بني أمية لم يكونوا ليرضوا
عن سياسة يزيد بن أبي مسلم وبشر بن صفوان في إفرنجية ،
وأهم لم يكونوا يعلمون شيئاً عن الوسائل التي كانوا يلجأون
إليها في عصف البربر والاستبداد بهم . ومن دلائل ذلك أن

يزيد بن عبد الملك لم ينقصب حينما علم بقتل البربر وأبيه يزيد بن أبي مسلم ،
وقال إنه لم يرض عن عمله ، ثم أقر محمد بن أوس الأنصاري الذي أقامه
أهل إفرنجية على أنفسهم^(٤) .

ورمما تبادر إلى الذهن أن الخلفاء كانوا يكلفون العمال أن يكثروا من

(١) ابن عبد الحكم: فتوح ، ص ٢١٢ - ٢١٤ .

أبو المعالي: التاجم الزمعة ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٢) التويري: نهاية الأرب ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح ، ص ٢١٢ وما يليها .

التويري: نهاية الأرب ، ص ٢١ وما يليها .

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح ، ص ٢١٢ .

الهدايا والأعطاف ، فكان العمال يضطرون لهذا إلى الإسراف في عصف الناس والاشتراط معهم ، ولكن رواية لابن عدي تروي تدل على أن العمال يحملون أكبر جانب من المسؤولية في هذا ، وذلك حيث يقول : « وكان الخلفاء بالشرق يستحبون طرائف المغرب ، ويعثون فيها إلى عامل إفريقيا ، فيعثون لهم البربريات السببات ، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير وتكلف لهم - أو كفوفه - أكثر مما كان ، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة »^(١) وهي رواية تدل على أن الخلفاء كانوا يستحبون طرائف إفريقيا فقط ، وأن العمال كانوا يتكلفون الإسراف في عصف الناس طلباً في المزيد من رضى الخلفاء .

وكان التكليبيون يطعمهم على جانب قليل من السياسة والكياسة ، فأسرفوا في الأمر إسرافاً نعر البربر وطمعهم إلى الثورة . وشجعهم على الخفي في هذا العصف ما كان قائماً إذ ذاك بين العرب أنفسهم من عداوة .

وكان وضع العرب في بلاد المغرب يُعقد الفتح وضعاً قريباً في 1٥ - نيز نفوس ذاته ، فإن بربر المغرب - على ما نعرف - يتقسمون إلى بتر البربر زناة وبرانيس ، أو إلى بدو وحضر . فأما البتر فقد تسارعوا إلى الانضمام للعرب من أول الأمر واشتركوا معهم في فتح البلاد ، وأولاً مساعدة قبائل بترية مثل لواتة وبقوسة وهوارة وبرانغواطة^(٢) ، لما استطاع العرب الوصول في المغرب إلى هذه النتيجة الباعرة التي وصلوا إليها بعد جهد طويل متصل . فلما انتصر العرب واستقرت أقدامهم في البلاد ترفع

(١) ابن عدي: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) راجع النصوص الخاصة بتقسيم هذه القبائل إلى المسلمين من أول الأمر في :

البلداني : فتح ، ص ٢٢٤ .

ابن عبد الحكم : فتح ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

ابن عدي : كتاب البربر ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

أضطر لإيقاف هذا الكتاب : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨٢ ، وما يليها .

البر أن يعتبروهم مساوين لهم ، وأن يميزوهم عن البرانس الذين قابضوهم مقاومة عنيفة ولم يلقوا بيد الطاعة إلا بعد أن يسوا من كل عون من ناحية البيزنطيين ، ولكن العرب لم يقطنوا إلى ذلك ، ومضوا يعاملون البر جميعاً معاملة واحدة ، واشتدوا عليهم جميعاً ، أصدقاء وغير أصدقاء ، أخلاقاً وغير أخلاق ، فضرت نفوس البر - وزيادة منهم خاصة - وبدلوا يفكرون في الثورة على العرب عامة . ثم إن البربر - والبر منهم خاصة - حملوا معظم عبء فتح الأندلس ، وقتل منهم في هذا السبيل آلاف ، في حين لم يفقد العرب إلا بضع مئات ، وكان نمر من قادة الفتح بربراً زنتان مثل أبي زرع طريف بن ملوك وطارق بن زياد ، فلم يحسن العرب جزاء هذين ، بل أصاب موسى طارقاً بشر كبير ، ولم ينظر عرب الأندلس إلى بربرها نظر الند للند ، فأنكر البربر ذلك وبدأت نفوسهم تنفجر .

وربما كان دافع عرب الأندلس إلى إسائة معاملة البربر هو خوفهم منهم ، فقد كان البربر في الأندلس أصحاب العرب عدداً ، وكان العرب يشعرون أنهم أقلية ، وكان شعورهم بهذا يدفعهم إلى التحرز من البربر وإبعادهم عن الحكومة والسلطان ، فزاد ذلك في سخط هؤلاء . وكان البر هم حرس الولاة الغربيين إليهم ، وكان الولاة قبل يزيد بن أبي مسلم يميزوهم على البرانس ويتخذون منهم بطانتهم ، فلما جاء يزيد بن أبي مسلم أقفل هذه الناحية وأساء معاملة البر وأراد اتهامهم وإذلالهم ، فضرت نفوسهم منه ، وفقد العرب من قلبك الحنين ولاء هذا الفريق القوي من بربر إفريقيا ، وسيكون لذلك أثر كبير في تطور الحواكث فيما بعد^(١) .

(١) لاحظ قول ابن عبد الحكم - قويتال: بل كان حرس يزيد بن أبي مسلم حين قدم البربر ليس إليهم إلا باري، وكانوا هم حرس الولاة قبله، البر خاصة ليس فهم من البرانس أحد - فليطلب يزيد بن أبي مسلم الناس فقال: إني إن أصبحت صالحاً وشمت حربي في أيديهم كما تصنع الروم، حاكم في يد الرجل الحق اسمه وفي البربر حربي، فيقولون بذلك عن غيرهم، فألقوا من ذلك، وباب بعضهم إلى بعض في قتله، فترج، ص ٢١٤ .

١٦ - الأفرقة ، أي من الأجناب المستوطنين الذين طُلب مكثهم في
 وكان في إفريقية - إلى جانب البربر والروم - نفر كبير من
 البلاد حتى أصبحوا إفريقيين ، وكان معظم هؤلاء يسكنون المدن ومواقع
 الساحل ، وكانوا على علاقة جيدة مع الروم متأثرين بحضارتهم ، وكان فيهم
 كثير من النصارى . ولما قبل العرب وأنشأوا مجاريون الروم وقت هؤلاء الأفرقة
 على الحياء بل قبل نفر منهم على الإسلام ، وكانوا ينتظرون ألا يعتبرهم العرب
 روماً وألا يصفوهم ، ولكن العرب وضحوهم والروم في منزلة واحدة ، فاعتبروا
 الأفرقة موالين ، وغنموا أراضيهم وأموالهم ، فاقبلوا أعدادهم ، واتصلوا
 بزناثة ، وتظاهر الحياء على الثورة^(١) .

١٧ - دعا
 الخارجية في
 المغرب
 وزاد الحال حرجاً أن اشتد بني أمية مع العلويين والخوارج
 أرهبهم وقرهم من الشام والعراق وجزيرة العرب ، فمضوا
 يكتسبون الأمان حيناً وجدوه ، وفر منهم نفر كبير إلى المغرب
 حيث وجدوا أهله حائلين على الأمويين مستعدين للثورة
 عليهم ، فلم يكن أسر على هؤلاء العلويين والخوارج من كتب هؤلاء البربر
 إلى صفوفهم ، ووجدت مذاهب الخارجية - الصفوية والأماضية خاصة - قبولاً
 طيباً من البربر ، وهكذا تبيات في بلاد المغرب كلها الظروف لتثورة عامة
 كبرى على الأمويين والعرب عامة .

ويجسج مؤرخو المغرب على أن معظم من قبل إلى إفريقية من هؤلاء
 الدعاة كانوا من الصفوية والأماضية ، ولنا نعلم بالضبط لماذا كان معظم
 دعاة الثورة في المغرب من هذين الفريقين من الخوارج ، ولا السبب في إقبال

(١) يفسر من دولابن لأبي الحسن والسلاوي أن رجلة بربر طمعة في الثورة التي استحدثت حيناً كانت
 إلى بسرة الطغري عهد الأهل بن جريج الإفريقي ، وكان مع كل منها ثوبه ، مما يدل على أن
 الطائفتين اتفقتا على الوثوب بالعرب .

انظر : أبو الحسن - التجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٤٨ .

السلاوي : الاستبصار ، ج ١ ، ص ٤٩ .

أهل المغرب عليهما خاصة ، لأن مبادئ الصيرفيين لمحت مما يجتذب البربر ، فيها أكثر الخوارج ميلاً إلى التسلة والتسامح مع المخالفين^(١) ، بل الأباضية لا تحل قتال غير الخوارج من المسلمين ولا تستحل من الضنم غير السلاح والخيال ، والصغرية تكاد تكون أكثر مذاهب الخارجية اعتدالاً ، والبربر على ما تعلم لا يميلون إلى الاعتدال في العقائد ، وسرى من أحداث ثورتهم أنهم كانوا متطرفين لا يعرفون وسطاً . وربما كان الأحرى أن نشك في نسبة هذه الحركات إلى الصغرية والأباضية خاصة ، لأن أسبابها كانت سياسية قبل أن تكون دينية ، ولستنا نجد على أي الأحوال في انجبار هذه الثورة الكبيرة ذليلاً واضحاً على صغرية القائمين بالحركة أو أباضيتهم ، والاسلم أن نسميهم خوارج لمحب ، خوارج سياسيين لا دينيين .

ولصاحب « الأخبار المجموعة » رواية يفهم منها أن البواعت البعيدة هذه الحركة كانت موضع خلاف بين المؤرخين القدماء أنفسهم ، وذلك حيث يقول : « وقد يقول من يطعن على الأئمة أنهم إنما خرجوا ضيقاً من سير عمالهم ، وأن الخليفة وولده كاتا يكتبان إلى عمال طليجة في جلود الخرفان العمالية ، فطليح مائة شاة ، فربما لم يوجد فيها إلا جلد واحد . وهو قول البعض للأئمة ، فإن كانوا صدقوا ، فما بال التحكيم فشا فيهم ورفع المصاحف وحلقت الرؤوس ، اقتداء بالأزارقة وأهل النهروان ، أصحاب عبد الملك بن وهب وزيد بن حصن ؟ . . . »^(٢) .

وطاهر أن صاحب هذا المجموع القيم من الأخبار يحاول الدفاع عن خلفاء بني أمية لأنهم أجداد أموية الأندلس ، وليس إلى الشك سبيل في أن عبارته هذه موجهة إلى نفر من معاصريه الذين كانوا يرمون خلفاء بني أمية بالظلم وبمحملتهم مسؤولية هذه الحركة الخطيرة .

(١) الشهريتان : الملل والحلل ، ص ١٦٨-١٦٩ .

البيهقي : الفرق بين الفرق ، ص ٦١-٦٢ .

(٢) الأخبار المجموعة ، ص ٣٦-٣٧ .

ومها يكن من الأمر فقد اجتهد دعاء الخالجيّة هؤلاء اجتهداً عظيماً في إشارة البربر ودفعهم إلى الوثوب بالعرب . ومن دلائل ذلك قول المالكي : « وكانوا - أي أهل إفريقية - يقولون : لا تحالف الأئمة بما تحفي العمال ، فقالوا - أي الدعاة الذين كانوا يجرسون البربر على الفتنة - لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا : حتى نخيرهم ! » .

« فخرج ميرة في بضعة وعشرين رجلاً ، فقدموا على هشام ، فلم يؤذن لهم ، فدعوا على الأبرش فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزونا ورجلنا ، فإذا غتسنا نضلهم ولم يتفلسنا ، ويقول : هذا أخلص لجهادكم ! . . . ، قلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ، ونحن مسلمون ! فأخينا أن نعرف أمن وأي أمير المؤمنين هذا أم لا ؟ فطال عليهم المقام ونفذت نفقاتهم ، فكتبوا أسماهم ودفعوها إلى وزيراته ، وقالوا : إن سال عنا أمير المؤمنين فأخبروه ، ثم رجعوا إلى إفريقية . وبلغ الخبر هشاماً فسأل عن الضر ، فحرف أسماهم ، فإذا هم الذين صنعوا ذلك ^(١) بما يدل على أن أهل إفريقية أنكروا هذه المعاملة السيئة من عمال الأمويين ، وجعل هؤلاء الدعاة يدفعونهم إلى الثورة ويؤكدون لهم أن ذلك الظلم الذي ينزل بهم إنما مصدره الخلفاء أنفسهم ، فأحب ميرة - زعيم البربر - أن يتأكد من الأمر قبل أن يقدم على شيء ، فعرض في وفد من أهل بلده إلى دمشق ليستظن ظلامته أمام الخليفة هشام ، فلم يستطيعوا مقابلته ، فعادوا ولا مندوحة لهم عن الثورة .

<p>وكان الأندلس تابعاً لإفريقية في ذلك الحين ، فلا غرابة أن تظهر فيه أسماء ذلك كله ، ولا غرابة في أن يكون لها جيمعاً أسوأ الأثر على مصائر الإسلام فيه للأسباب التي ذكرناها .</p>	<p>٥٨ - النصيب العربية في الأندلس</p>
--	---

أقسام يزيديين أي مسلم وشُرُّ بن صفوان الكلبي

(١) ليس لدينا ما يزيد فعاب ميرة إلى المشرق ، ولكننا نستطيع أن نستخلص من هذه الرواية أن زعماء البربر حاولوا بسط شكلاتهم أمام الخلفاء قبل أن يلجأوا إلى الثورة .

البيحي على الأندلس عاملين يمينين كلييين هما حنينة بن سحيم الكلبي ويحيى ابن سلامة الكلبي ، وقد حكىنا حوالي سبع سنوات (صفر ١٠٣ - شعبان ١٠٧) (شوال ١٠٧ - ربيع الأول ١١٠) تعصبا خلافا لليمين الكلية وأوفرا صلور القيسية .

وكانت قيسية الأندلس موفرة الصلور يطبعها لا تحتاج إلى من يحرك نيران أسلحتها ، لأن الكثيرين من أفرادها كانوا من حضر حروب الزبيريين والمروانيين في المشرق ، بل كان منهم من حضر صرح راعط وذأى بعينه مصارع القيسية وأقول نجما بهزجة الزبيريين ، وكانوا ينتظرون الفرصة ليسروا حسابهم القديم مع اليمينين الكلبيين . فلم يكف هذا الواليان يسيران في سياستها اليمينية الكلية حتى امتلأت قلوب القيسية لئلا وجاشت نفوسهم بالثورة ، وغدروا لا ينتظرون إلا الفرصة المواتية^(١) .

وكان هؤلاء الكلبيون كثيرهم من اليمينين ذوي شره إلى الأموال وعسف في جمعها ، وقد أشد سحيم معهم شدة خاصة ، فألزم التصاري في الأندلس بقطع جزية مضاعفة ، فتغرت نفوس أهل البلاد وبدأ القلق يسودها من كل وجه^(٢) .

(١) أخبار جموعة: ص ٢٤ ، ٢٥ .
 DOZY, *Musulmans, Espagne*, I, P. 25, 599.
 (٢) إيريندور الياسي (فقرة رقم ٥٢) واسمه الكامل EIDORO FACENSE وهو مؤلف وهي يُقال إنه كان أسقفاً لشبه Pace أو Pace sem أو Pace Baja الحالية من مدن البرتغال (باجة عند العرب) بسبب أنه تاريخ عام لإسبانيا، اسمه:

Epitome (synopsis) Imperatorum vel Avthent Epitomaria super Hispania Chronographice sub uno Volumine Collectis.

وهو يشتمل تاريخ إسبانيا من أواسع العصر القوطي. من نهاية حكم سبوت إلى نهاية حكم يوسف القفري آخر حكام الأندلس الأمويين . وهو يضم معلومات عامة عن الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية في المشرق خلال هذه الفترة. ولم يستطع البحث التاريخي الاعتماد إلى حقيقة لتتجسد هذا أو إلى نسبة هذا الكتاب إليه (ولهذا يفضل الكثيرون تسميته بالتاريخ الطليطلي الجيولوجي المؤلف Estacionado Palentino) لأن خطوته وجدت في طليطلة ، والذي لا شك أنه هو مؤلف هذا المجموع الفريد من الأخبار كان واحداً من رجال الدين الإسبان ، ولكنه يفتقر من هؤلاء باعتدال في الرأي وبعد نسي عن الخصية الدينية التي نجدها عند غيره من مؤرخي إسبانيا .

قلها تولى إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي^(١) وكان قيسياً ، انقلبت
الآفة وتوالت على الأندلس سنوات قيسية لقي الكلييون الهنونيون غلظاً بلاه

من رجال القيس ، وروايته تزودنا بمعلومات قيمة جداً عن خلفاء الأمويين والشرق وأعمالهم على
أمية في إفريقية والأندلس ، ويظهر من نص روايته ، ومن كتبه أخرى معاصرة أنه كتب كتباً أخرى
هي :

1- *Epistolar Regum visigotorum a tempore Riccardi principis*

2- *Epistolar Trogorum*.

وهذا كتاب تاريخ العصور - وفيه يتحدث بالتفصيل عن الحروب التي جرت بين القوم وكثيرون من
قيس عامل هشام بن عبد الملك على إفريقية .

3- *Epistolar*

يظهر فيه أخبار الحروب بين ملج من ملج ومن منه من الشمالية وفيه حرب الأندلس .

4- *Liber ueteriorum aliam Sociam*.

وهو يكمل فيه ذكر الأحداث التي كانت تكرر في كتب السابقة . وكتابه الأول هو أهمها من غير شك ، وهو
الشارح لهذه في التاريخ الأندلسي ، وهو الذي يقصده لمن في هذا البحث ، ويظهر أن مؤلفه أراد أن يجعل
منه صلة لتاريخ إيزيدور الأنجلي SAN ISIDORO DE SEVILLA بعد سنة الكامل عند .

THEODOR MOMMSEN *Historiarum Antiquarum Romanarum Tomus XI, Cronica Minora* (Sae
IV, V, VI : VIII) II, pp 334-360. Berolini, 1873

١٤١

FLOREZ, *Epistolar Sagrada*, pp 282-307, *Historiarum Patrum Episcoporum Christianorum*

وتنشر أعماله من LAFUNETEY ALCANTARA كملحق لرحلته الإنسانية للأندلس الصادرة من
1٤٦ وما بعدها .

والنظر عند :

RUDOLF SCHEVENKOW, *Kritische Bemerkungen über die lateinischsprachigen römischen
Quellen zur Geschichte der Eroberung Spaniens durch die Araber*, 1894

FRANCISCO JAVIER SIMONEY, *Historia de las Mozarabes de España*, (Madrid 1867-
1901) pp. 234, 260.

CESAR DUBLER, *Sobre la Cronica Análoga- Bizantina de 74١ y la Influencia Bizantina en
la Península Ibérica (Al-Andalus, vol. El fin 2 Madrid - Granada, 1936) pp. 282-348*

(١) أكثر وصول عبيدة بن عبد الرحمن إلى إفريقية اضطرراً كثيراً ، لأن الكليون كانوا قد اجتمعوا إلى السيادة في
عهد سابقه بشر من صنهاج ، وكان معظم حرب إفريقية والأندلس كلييون بينهم كذا مكرراً ، وكان ملج قد
ترك مكانه كثيراً ، فلم يكد يستقر في الولاية حتى قام هشام عبيدة بن عبد الرحمن ، وبموجب عبيدة

شعبداً ، قام بالأمر خلالها ولاء أغلبهم قيسية مثل : حذيفة بن الأحوص ،
والهيثم بن عبد الله الكندي . واستمرت حتى سنة ١١١ هـ ، وقد اشتد الهيثم
مع اليمثيون شدة ألتزيم ودفعتهم إلى العصيان علانية ، وقد بلغ من شدته أن
أنكر هشام عليه ذلك - رغم قيسيته . . . وعزله وعاقبه عقاباً صارماً (١) .

ومن عهد الهيثم هذا نبأ في الأندلس خصومة القيسية واليمية الصريحة
الخطرة ، التي سيكون لها أسوأ الأثر على مصير الإسلام في الأندلس خاصة
والغرب عامة .

بيد أننا ينبغي أن نذكر أن المسلمين كانوا معينين خلال ذلك كله
بالحروب فيما وراء البركات ، فقد استمرت جهودهم بعد مقتل السمع بن
مالك الخولاني ، ووصلت جيوش المسلمين في أيامهم إلى قريش من أهنون ،
وكانت أربونة عاصمة الهيثم بن عبدالله الكندي يقيم فيها معظم وقته (٢) .

ولمنا نجد ما نسجله في عهود هؤلاء الحكام القصيرة إلا ثورة بلائيه
زعم قلول القوط في نواحي أشتريمس ، وهي ثورة خطيرة تصون يده المقاومة
الإبانية ، وقد وقعت في عصر عتبة بن شحيم (٣) .

وفي صفر سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م أقام عبيدة بن عبد الرحمن السلمي
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أميراً على الأندلس ، وكان عبد الرحمن من

^١ - الفهران فلك ، كالمكان يوقع معارضة ومعارضة ، ولم يقدم شيئاً على صف اليمثيون عسفاً جاوز الحد
القولوي .

الطرا : ابن عساري : البيان ، ج ١ ، ص ٣٦ .

ابن الأثير : الخلف السيرة : ص ٤٢٧ - ٤٢٩ .

ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ١٠٨ - ١٣٠ .

(١) ليزابودوا : طرقة ٥٧٤ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٦٩ ، ٧٤ .

(٢) ابن عساري : البيان ٢ ، ص ٦٩ . وانظر الفصل التالي .

ليزابودوا : طرقة ٥٦٦ و ٥٧٠ .

(٣) المغربي : تنقيح الطيبة ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

كبار رجال جند الأندلس ، ولقد قضى حياته حتى ذلك الحين يغلزي الأعداء فيما يلي البرقات ، وكان الجند قد أقاموه والياً على الأندلس قبل ذلك مدة لم تزد على شهرين قبل قدوم عنبسة بن سحيم ، وكان عبد الرحمن شخصية أندلسية قضى معظم أيامه في نواحيها وفي الجهاد فيما يليها ، فكان لولايته طابع خاص لا تلمحه عند أحد من سبقوه ، فقد كان هؤلاء مشارقة يقولون على البلاد وهم لا يكتادون بصرفون من أمرها شيئاً ، ولا يكتادون بمعملون إليها إلا عصبيتهم الحمينة أو القيسية ويزيدون الحال سوءاً . فإما عبد الرحمن فأندلسي لا يكتاد بلقي يالاً إلى هذه الجراعلية العصبية ، ولا يكتاد بلتت إلا لإقرار الأمن في البلاد ومروالة الفتح فيما يليها^(١) .

تجمع الروايات الإسلامية على الثناء على عبد الرحمن ، بل يذهب بعضها إلى القول بأنه أعظم ولاة الأندلس اجمعين وأكثرهم فضيلة وأقدمهم إخلاصاً في القيام بما تفرضه الأندلس على واليها من الواجبات ، والواقع أن المراجع لم يتابع في ذلك كثيراً ، فقد كان عبد الرحمن في واقع الأمر منزهاً تماماً وجسدياً بامتداد ، وربما شاركه في إحدى هاتين الصفتين بعض من سبقه من ولاة الأندلس مثل السمح بن مالك أو عنبسة بن سحيم ، ولكنه يمتاز عن هذين وغيرهما بأنه كان سليماً من نزعة العصبية التي أنفست على معظم هؤلاء الحكام أمثالهم . وقد كان الرجل من خائفين إحدى بطون كهلان البعنية ، ولنا نعلل اختيار عبيدة بن عبد الرحمن المسلمي القيسي المنتسب إليه إلا بأن شخصية عبد الرحمن كانت من الظهور بحيث صرقت عبيدة عن التكبير في قيسه التي أنفست عليه الأمور زماناً^(٢) ، ويبدو أن عبد الرحمن كان يتشع

(١) من عبد الرحمن العاطفي ، انظر : ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ٢١١ - ٢١٧ .

ابن حبان : رواية القرني : فتح الطبعة ج ٢ ، ص ٢٩ .

أخبار مصورة ، ص ٢٤ .

ابن حبان : البلاد ، ج ٢ ، ص ٢٧ - ٢٨ . ابن الأثير : ج ٤ ، ص ٩٤ .

BOUORO FACENSE, Coimbra, cc. 56-62

(٢) وكان عبد الرحمن العاطفي في الغالب قائم مع عبيدة بن عبد الرحمن ، ويصدق ذلك رواية ابن عبد الحكم .

بحرر عظيم بين غرب الأندلس ، لأن ولايته لقبته الرضى من طوائفهم كلها
بعتبة وقبيلة .

ولم يوفق عبد الرحمن في غزواته الكبرى التي أراد أن يشج فيها ضالته رغم
ما حشد من عدة وما بذل من جهد ، واستشهد هو ونصر عظيم عن كانوا معه
عند بلاط الشهداء على مطربة من بواتيه في رمضان سنة ١١٤ هـ . ولا نزاع
في أن ابن حبان قد بالغ حينها زعم أن لحداً من جيش عبد الرحمن لم ينج من
هذه الموقعة ، لأنه لا يعقل أن يقتل من المسلمين سبعون ألفاً ثم لا تضرب
الأندلس كلها . والواقع أن عدداً عظيماً من جنود عبد الرحمن عاد إلى الأندلس
قبل الموقعة مستوحشاً من طول الشقة ، فلهذا فاجأ العدو ألقاه في لفة فاستشهد
وبعض من بقي معه .

كان طلع الخزيمة وقع شديد في نفس الخليفة هشام بن عبد الملك ، فقد
أقبلت إليه أخبارها بعد فشل أخيه مسلمة بن عبد الملك في اقتحام أسوار
القسطنطينية بأربع عشرة سنة ، فأحس هشام أن سيوف المسلمين قد عجزت
عن اقتحام معازل المسيحية الكبرى في الشرق والغرب ، فساء ذلك ، وأخذ
يفكر تفكيراً في علاج هذا الموقف ، وفي تقوية جبهة الإسلام من ناحية
الغرب ، ويبدو أنه تخوف سخطر الفرنج على مسلمي الأندلس بعد أن استشعر
قوتهم بعد هذه المعركة .

بدأ هشام فعزل عبيدة بن عبد الرحمن عن إفريقية في أواخر سنة
١١٤ هـ لأنه كان قسياً مسرفاً في عصبية حتى لقد أثار اليقظة وكعاد يوقع
المغرب الإسلامي كله في فتنة عصبية كبرى ، واستبدل به قسياً آخر كان

٥٠ يقول فيها بعد تفصيل أعمال عبد الرحمن في إحدى غزواته في بلاد المغرب : « وكان فيما أصاب رجل
مضطرب بالفر والفرقت والفرود ، فطربها فكسرت ، ثم أخرج الحصن ، وسلم سائر ذلك في المسلمين
الذين كانوا معه ، فبلغ ذلك عهد ، فكتب فيها شديداً ، فكتب إليه كتاباً يتوعد فيه ، فكتب إليه عبد
الرحمن : إن البهارات والأرض لو كانتا رتقا ، لجلل الرحمن للمعاني حيناً محرماً . ثم خرج إليهم أيضاً
عذراً فاستشهدوا وحاشا أصحابه . . . »

ابن عبد الحكم فتوح ، ص ٦١٧ .

بحسب أنه أعدأته نفساً وأقل عصبية ، ذلك هو عبيد الله بن الحبحاب .

٤٩ - مصابح الحكيم في المغرب بعد موسى بن خبير السياسية واجتماعية حساسة . ولا بد أن تعود بتاريخ المغرب سنوات إلى الوراء لتتبع هذه الأزمة منذ مبادئها .

بدأ عبيد الله بن الحبحاب ولايته في إفريقيا بدءاً حسناً ، وقد كان وفق في مصر توفيقاً طيباً كعامل لخراجها^(١) ولكنه لم يستطع أن يدرك في إفريقيا ما لزم من الإصلاح وتهدئة النفوس ، ذلك أن المغرب الإسلامي كان يجوز إذ ذاك أزمة

فلما أن حكومة موسى بن نصير وابنيه عبيد الله وعبد الملك من بعده في المغرب أضاعت على المسلمون ثمرات حكومة حسان بن النعمان وإصلاحاته ، فقد اشتد موسى وبنوه على البربر شدة نفرتهم وبغضت العرب إليهم ، وزاد الأمر سوءاً أن آل موسى احتفظوا بعض القبائل واعتبروا أفرادها موالى لهم وقضلوهم على غيرهم ، فأنكر ذلك نفوس بقية القبائل ، وأخذ كثير من البربر يشعرون بأن الحكم العربي الجديد ليس خيراً في كثير من الحكم البيزنطي المتقضي .

ولو استمر الأمر على ذلك بصورة مضطربة لانفجرت ثورة البربر في زمن مبكر جداً ، ولكن الأحوال هدأت بعد القضاء أمر آل موسى فترة دامت أربع سنوات من ٩٧ - ١٠١ هـ / ٧١٥ - ٧٢٠ م بسبب اعتدال محمد بن يزيد القرشي^(٢) وإسماعيل بن عبد الله اللذين توليا حكومة المغرب بعد آل

(١) ابن الأثير : الخلية السرية (طبعة عريزي) ، ص ٢٢ .

ابن خباري : البيان ، ج ١ ، ص ٢٢ ، ٣٣ .

أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

(٢) القرظي : خطط (طبعة قيت) ، ج ٢ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

القرظي : البيان والإعراب عما بلّغ من مصر من الأعراب ، طبعة مستطك تحت عنوان :

WÜSTENFELD, Abhandlung über die in Ägypten eingewanderten arabische Stämme, Göttingen, 1847 pp. 39-40.

وهي ترجمة لكتاب القرظي «البيان والإعراب عما بلّغ من مصر من الأعراب» .

نصير على ما ذكرناه^(١).

وقد بلغ من توفيق إسماعيل في إقرار السلام في البلاد أنه « لم يبق في ولايته يومئذ من البربر أحد إلا أسلم »^(٢) كما يقول ابن عبد الحكم ، ولم يدانح رايثنا الجليل كثيراً في ذلك ، فالواقع أن حسن سياسة إسماعيل وحرصه على نشر الإسلام قد كسبا للدين عدداً عظيماً جداً من البربر ، فلو قلنا إن ولايته تبنت قدم الإسلام في إفريقية ما بالغنا ، لأن المغرب أصبح بعد ولايته بلداً إسلامياً يغلب على أهله الإسلام^(٣).

وكان من سوء الحظ أن خلفته في ولاية المغرب لم يكن يقاربه في شيء من ذلك، بل كان رجلاً قسياً جافاً شديد العصية قليل الكياسة هو يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج؛ ولاء يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠ - ٧٢١م على ما ذكرنا. ومن حروب الأمر أن يزيد بن عبد الملك أصحبه عبدالله بن موسى بن نصير، وكان عبدالله قد سُزِلَ عن المغرب والنقل إلى الشرق في سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م^(٤)، ولما نظري السبب في ذلك التصرف من يزيد، وربما أراد منه أن يكون عبدالله - بما له من الخبرة بالبلاد والعرفة بشؤونها - عوناً لزيد بن أبي مسلم في شؤونه، ولكنه أخطأ التقدير، لأن عبدالله كان موثقاً الصلح من بني أمية ينتظر الفرصة للاقتصاص منهم بما فعلوا بآله وبه هو نفسه.

ثم إن أنصار بني نصير لم يكفوا يعلمون بحجم عبدالله حتى خرجوا يشلقونه بمرحبين، محسبون أنهم عزهم قد عادت، فساور الخوفاً نفس يزيد بن أبي مسلم

(١) ابن عبد الحكم: طرح، ص ٢١٣.

(٢) ابن حلقون (طبعة موبل دي فرجين)، ص ٨.

(٣) نلس المصدر والصفحة.

(٤) ابن تاجي: معالم الأيمان، ج ١، ص ١٥٤-١٥٥.

ابن حلقون: البيان للمغرب، ج ١، ص ٣٢-٣٣.

(٥) ابن عبد الحكم: طرح، ص ٢١٣. ولا يزيد ابن عبد الحكم في القول بهذا مؤرخ آخر، ولكنها نقل روايته لأنها أقدم ما لدينا، ولم يتحدث أحد من المؤرخين القريبين من هذه الناحية بالتفصيل بعدنا على تعرف الواقع.

من هذه المكانة التي كانت لبني نصير، وأثرت في الغيرة بما رآه من منزلة عبد الله بن موسى في نفوس أهل البلاد، فأحب أن يخضعه إلى نفوسهم، وأن يضعه في مركز حرج، فطلب إليه أن يقوم بإعداد المعطاء اللازم للجنود خمس سنين من ماله، ثم أمره أن يلزم داره^(١)، وأحسب يزيد ذلك بالشدّة البالغة مع موالي بني نصير من البربر، فوضع يده عليهم واعتبرهم جزءاً من الخمس يتبع لبيت المال ويؤكل لعامل المغرب، وأحصى أموالهم وأولادهم، وجعل تقرأ من هؤلاء اللواتي حرسه وبطنته، وأراد أن ينضوي على كل أثر لجاه بني نصير في إفريقية.

ولو اقتصر الأمر على ذلك طان البلاد، ولكنه لم يقتصر هذا العسف على آل نصير ومواليهم، بل توسع فيه حتى شمل به البربر أجمعين، وأراد أن يسير في البربر بسيرة مولاة الحجاج في أهل العراق، ولما أنه أن معظم من اشتد عليهم من البربر كانوا من البر وبناته، أي من البربر الذين انضموا للعرب من أول الأمر وقدموا إليهم أخلص العون. ثم حفزه سوء الرأي إلى أن يتخذ قراراً كان فيه حظه: قرر أن يبيّن حرسه البربر في أيديهم، فخطب الناس فقال: «إني إن أصبحت صالحاً وشمت حرسي في أيديهم كما تصنع الروم، فأشم في يد الرجل اليمنى اسمه وفي اليسرى «حرسى» فيعرفوا بذلك من غيرهم»^(٢) إسرائيلاً سنة في الاستخفاف بالبربر وطلباً للون من الأبهة لم يعرفه العرب قبل ذلك. فتلوت نفوس البربر لذلك وهربوا قتله، وكان عبدالله بن موسى بن نصير يؤيهم عليه ويزيد نفوسهم ثورة واضطراباً، ويحرضه قتل يزيد بن أبي مسلم. الختاله حرسه في سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠-٧٢١ م.

وأقام أهل إفريقية قاضيهم المغيرة بن أبي بردة القرشي والياً حتى يأتيهم رأي

(١) ابن عبد الحكم: فروج، ص ٢١٤ ولا يحد أنه يكون ذلك يؤيد من يزيد بن عبد الملك، لأنه كان يعقلد - مثل أخيه سليمان - أن بني نصير اجبروا أولاً بحسبه وأصوبها من ثقلها حتى لا تتفاضلهم إياها.

(٢) ابن عبد الحكم: فروج، ص ٢١٤. وراجع تعليق فournel على ذلك:

CE FOURNEL, Les Arabes, t. p. 271, note 8.

خليفتهم يزيد بن عبد الملك^(١٦)، فلما بلغ يزيد نبأ مقتل يزيد بن أبي مسلم أمر عامله على مصر بشر بن صفوان أن ينهض إلى إفريقية ويغلب مكانه أخاه حنظلة^(١٧)، فدخل بشر إفريقية في نفس العام الذي قتل فيه يزيد، وكان أول ما فعله هو أن أخذ عبدالله بن موسى بن نصير فقتله^(١٨)، وتبع أسوان بن نصير بالاستقصاء وأنصارهم بالتعذيب، وعزل عن الأندلس الحر بن عبد الرحمن النقفى وولى مكانه كلياً يمياً هو عبيدة بن سحيم^(١٩).

وظل بشر عاملاً على إفريقية بقية خلافة يزيد وجزءاً من ولاية هشام حتى توفي في شوال ١٠٩هـ/٧٢٧-٧٢٨م واستطاع أن يبيد أسورها بسبب ما أسرف فيه من استعمال القسوة البالغة^(٢٠)، ولم يترك أحد من عمال بني أمية الكلبين في العصبية لقومه كما فعل بشر، فقد اشتد في ذلك شدة ملأت نفوس النيسيين عليه حقدًا، وغدوا يترقبون موته يتأخذ الصبر، وكان هو نفسه يشعر بذلك، ومن دلائل هذا ما يذكره المالكى من أن جارية من جوارى بشر قالت وهو يعاني سكرات الموت: «يا شياقة الأعداء! فقال لها: قولي للأعداء لا يموت! حتى لا يستطيعهم الفرح. وكان بشرًا عشي أن يقيم هشام على البلد رجلاً قسيًا بعده، فترك عليها العباس بن صالح الكلبى والياً ورجاً أن يشته هشام في الولاية. ولكن هشام بن عبد الملك انتهب فرصة وفاته ليولي مكانه قسيًا هو عبيدة ابن عبد الرحمن، وقد وقع داخله إفريقية على نفوس الكلبية موقع الصاعقة، حتى

(١٦) ولم يستمر لفترة في الولاية إلا قليلاً، لأن ابنه عويص من أن يظن الخليفة أنه شارك في قتل يزيد بن أبي مسلم إما وجد، وإما مكانه، فاعتزل، وولى أهل إفريقية مكانه محمد بن أوس الأندلسي، وكان يتولى على مزود بمرهات فأرسلوا إليه طوله أمرهم، ثم عزله يزيد بشر بن صفوان.

ابن عبد الحكم: تترج، ص ٦١٥.

F WUSTENFELD, Die Staatshüter von Egypten zur Zeit der Chalifen, Göttingen 1835 (٢)

(٣) ابن عسار: البيان، ج ٢، ص ٦٦.

(٤) نفس المصدر والمنفعة

(٥) ابن عسار: البيان، ج ١، ص ٣٦.

ابن الأثير: الحلة السيرة، ص ٤٧.

أن وأسهم العباس بن باسطة خارت قواه ولم تحمله رجلاه حينما بلغه النبأ^(١)
(١١٠هـ / ٧٢٨ - ٧٢٩ م) .

ولم يكن عبيدة بن عبد الرحمن على اقتداره وحسن رأيه بأحسن
معاملة للبربر ممن سبقوه، فقد أسرف في مغازاة من بعد من
قبائلهم وسعى تسليطهم حتى يُقال إنه عندما يلوح إفريقية يريد
للشرق سنة ١١٤هـ / ٧٣٢ - ٧٣٣ م «كان فيما خرج به من العبيد
والإماء ومن البلواري المتخيرة ٧٠٠ جارية، وغير ذلك من
الخصيان والحيل والدواب والذهب والفضة والأثينة»^(٢) مما يدل على عسفه لنفس
وشدته معهم^(٣)، وكان إلى ذلك شديد الرطاة على كل من اتسم إلى أن نصير من
الحرب اليمنية والبربر الزناتية، فأذى نفراً كبيراً منهم، وكانوا من كبار أهل البلاد
وأصحاب السلطان على توابعهم^(٤).

بيد أن عبيدة كان يشعر أن الحال في إفريقية لم يكن على ما يرام، وأن ربح
الثورة كانت عيب على البلاد، بسبب سوء سياسته وسياسة من سبقه من ولاة
إفريقية، ولهذا سأل هشاماً أن يعفيه من الإمارة لغربيب ظاهر، فأعفاه، وبلّح
إفريقية إلى الشرق بعد أن غل من المغرب من المال شيئاً كثيراً، وبعد أن استبد
بالبربر واليمنية استبداداً بالغا.

٥١. عبيد الله وأقام هشام عامله على خراج مصر عبيد الله بن الحبحاب الذي
ابن الحبحاب ذكرناه والياً على إفريقية والأندلس في ربيع الآخر سنة ١١٦هـ /

(١) ابن عبد الحكم: فوج، ص ٢١٧.

(٢) قس القصور، ص ٢١٧.

(٣) ابن الأثير: الحلة السرية (طبعة تونسية)، ص ٤٨، ٤٩.

(٤) ابن عبد الحكم: فوج، ص ٢١٧.

الأخبار المصنوعة ص ٣١ - ٣٢.

ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٩.

لتنويري: حياة الأرب، ص ٣٣.

السيدوطي: تاريخ الحفلة (طبعة القاهرة) خلافاً هشام بن عبد الملك: ص ٤٨، ٤٩.

٧٣٤ م ، وهذا أصبح هذا الرجل يحكم قرب الدولة الإسلامية كله من حدود مصر إلى جبال الألب ، وهي مساحة تزيد على نصف مساحة الدولة الإسلامية كلها . وكان يسطر سلطان ابن الجحباب على هذا النحوعطاً فادحاً ، لأن الرجل كان رغم ثقافته الواسعة قسياً مبالغاً في قسوته^(٢٦) ، ثم إنه كان إلى ذلك بعيداً عن الكياسة وبعد النظر اللازمين لرجل توكل إليه أمور مثل هذا الملك الشاسع يفعل به ما يريد .

كان أول ما فعله عبيدالله هو أن قسم ولايته على بنيه وأنصاره: جعل ابنه إسماعيل على السوس ، وولى ابنه عبد الرحمن على مغازي السودان ، وجعل على طنجة رجلاً من أتباعه يسمى عمر بن عبيدالله المرادي ، وجعل على الأندلس عتبة ابن الحجاج السلولي ، واحتفظ لنفسه بإفريقية لكي يكون في مكان قريب من المشرق يستطيع أن يدير منه ولاياته جميعاً^(٢٧) .

وكان عبيدالله بن الجحباب كثير من القسوة شديد العصية العربية لا يكاد يقيم لغير العرب وزناً ، فجعل يصف البربر لا يكاد يحفل لمشاعرهم ، وجعل كذلك يتبع من وجد من البنية لا يكاد يعنيه من عذاب شديد ، امتد أذاه إلى أتباعهم ومواليهم وفيهم أنصار بني نصير الغاضبون لما أصاب هذا البيت الكبير من الأذى على يد أهؤلاء القيسيين ، وكان من هؤلاء رجل يسمى عبد الأعلى بن جُريج الإفريقي وكان أصله رومياً ، وكان مولى لابن نصير ، وكان قد كون لنفسه عصابة بربرية كبيرة في نواحي طنجة^(٢٨) .

فإذا بلغ ضعف القسوة ورئيسها في المغرب الإسلامي كله عبيدالله بن الجحباب هذا المبلغ ، فقد بدأت أنفس البربر تتطلع إلى الخلاص ، ولو قد كان عبيدالله وعياله على شيء من بعد النظر لاستشعروا اضطراب النفوس في المغرب

(٢٦) التوبري: مجلة الأوبد، ص ٢٢ .

القريري: سطر (طبعة ليت)، ج ٢، ص ٦١-٦٣ .

(٢٧) ابن عبد الحكم: فتح، ص ٢١٧ .

(٢٨) ابن عبد الحكم: فتح، ص ٢١٨ .

جميعه ، ولكنهم كانوا نيا فلنا لا يكفون بحفلون لشاعر هؤلاء البربر ، حساناً منهم
أهم لن يستطيعوا يفتهم شيئاً . ويدون قضاء ابن الحبحاب على ثورة أهل مصر
قبل ذلك قد هون في نظره شأن غيرهم من الشعوب التي كانت خاضعة لحكمه .

ويبلغ من استخفاف ابن الحبحاب بالبربر أن أراد اعتبارهم جميعاً نبياً
للمسلمين ، من أسلم منهم ومن لم يسلم ، وكان الولاية قبله يقتصرون هذا اللون
القاسي من المعاملة على من لم يسلم من البربر ، من استأمن منهم ومن لم يستأمن ،
قارن عبدالله إلا أن يزيد الأمر سوءاً بوضع مسلمي البربر موضع العيب الذين
يملك المسلمون رقابهم ونهض في تضيق ذلك ، فكتب إلى رجائه بحصر خمس البربر
واعتبارهم رقيقاً^(١) ، ولم يكن عبدالله يستطيع أن يفر البربر وسي . إليهم بأكثر
من هذا ، فهؤلاء قوم أسلموا ومنهم من اشترك في جيوش المسلمين غزياً وانلوج
اسمه في الديوان ، فكيف يُعتبر بعد ذلك عبداً رقيقاً ؟

ولما انحصرت المعاملة السيئة على البربر ونصارى الأندلس وحدهم لكان من
اليسور لتلاميذ الخطر إذا بقي العرب جميعاً بدأ واحدة . وهم لم يكونوا قليلين في
إفريقية والأندلس . ولكن ابن الحبحاب كان مسرفاً في تيسيره لا يكاد يعفي
اليحيين من شره ، فتغيرت نفوسهم عليه ، ولما كان أكثر حرب البلاد يمنين ، فقد
وقف القيسيون بسبب سياسة رئيسهم ابن الحبحاب من أهل البلاد جميعاً - عربياً
وغير عرب - موقف العدو ، وغدا هؤلاء لا ينتظرون إلا الفرصة الملائمة لينقلبوا
على ابن الحبحاب والقيسية بل على العرب جملة .

ولم يكن الدعاء اللين لخدمتنا عنهم يتجهزون فرصة هي أعظم من هذه ،
فنفس أهل البلاد تغلي والعرب متشمسون على أنفسهم ، وليس أهون عليهم في
مثل هذا الظرف من توجيه البربر وإرشادهم إلى طريق العمل ، وسنرى من
حوادث الثورة التالية أنها كانت مرتبة مغلوبة ، وأن أبدي عركيها من حواجز
العرب كانت ظاهرة لا تحتاج إلى طويل بحث ، وأغلب الظن أن هؤلاء الحوارج

(١) الخيري : حياة العرب ، ج ١ ، ص ٦٤ .

وقدوا في إقناع البربر بأن الله لم يقصر حق القيادة والإمامة على العرب وحدهم، بل جعله حقاً مطلقاً لكل مسلم صالح، وأن حكام العرب جادلوا عن الطريق القويم - وأهم - أي البربر - إذا وثقوا بالعرب لم يكونوا في ذلك إلا مغفلين لتعاليم الإسلام كما وردت في القرآن، وسنرى ذلك بوضوح حينما يعلن رئيسهم ميسرة نفسه إماماً وتسمى بالخلافة، وحينما يرفعون المصاحف على الأسيجة كما كان خوارج المشرق يفعلون^(١).

ويبدو أن أعداد هؤلاء الدعاة من الخوارج كانت عظيمة في المغرب، لأن الأمان عند قبائله وفي شعبه كان مضموناً لهم، ولأن البربر كانوا ساحطين تتأجج نفوسهم بالنفوس على العرب، فكثير من هؤلاء الخوارج إلى المغرب واختطافهم بين قبائل البربر، ولم يلبثوا أن قلبوا المغرب كله رأساً على عقب. ولما كان هؤلاء الدعاة لا يستطيعون أن يقيموا في إفريقيا أو في المغرب الأوسط لقرب هذه النواحي من مقام عامل بني أمية في القيروان، فقد تحجروا مقامهم ولدهوهم نواحي المغرب الأقصى البعيدة: إقليم طنجة ونواحي السوس الأقصى بوجه خاص، إذ كانت هذه النواحي موطن أكبر القبائل الزناتية وأكثرها استعداداً للثورة وهي برعواطة ومكناسة، وانضمت إليهما كذلك أعداد قليلة في ماصونة.

٥٢- ميسرة وكان في القيروان إذ ذاك رجل من قبيلة مطفورة، يسمى تيسرة، ربه الثور ويطلق معظم المراجع العربية على تسميته بالحقير أو بالحضور، في إقليم طنجة
 ٥٣- ميسرة، لأن ابن خلدون يؤكد أنه كان رئيس مطفورة^(٢) أو لعله كان يتسبب إلى بيت كبير من بيوت هذه القبيلة، ولأن ما سيلي من الأحداث يدل على أنه كان

(١) الأخبار المصروفة، ص ٣٢.

(٢) ابن عبد الحكم - فوج، ص ٢١٨.

التوري: لسالك والملوك، ص ١٣٤.

التوري: حياة، ج ١، ص ٣٤.

(٣) ابن خلدون: العر (طبعة دي سلبو)، ج ١ ص ١٥٠.

رجلاً فاعصية فما خطرهما، والثابت أن مسيرة كان من رواد المجالس العلمية في مساجد القيروان، وأنه كان ذكياً بعيد الطامع شديد الميل للصفوة، فوجدت مبادئ الخارجية الصفوية سيلها إلى نفسه فاعتنقها، ووفق في نفسه أن ينشرها في بلاده، واتجه بصره إلى مواطن مطهرة في إقليم طنجة، فمضى إلى هذه الناحية واتدس بين جماعات قومه مطهرة، وأخذ يكسب لنفسه الأنصار ويؤلبهم على العرب وحكامهم، فلم يلبث أن استأنفهم إلى رأيه، فرفقوا راية المصيان، ولم تلبث الدعوة أن امتدت حتى شملت مكتاسة، فأنهت بجموعها وانضمت إلى مسيرة وقومه^(١).

ولم تلبث برغواطة أن أعلنت الخروج يقودها داعية خارجي لا تكاد تعرف عنه شيئاً وهو طريف بن شمعون بن يعقوب بن إسحاق ومنه ابن له غلام يسمى صالحاً^(٢). وانضمت القبائل الثائرة بعضها إلى بعض تترقب الفرصة لإعلان الثورة والخروج على بني أمية، وكان عامل طنجة لعبيد الله بن الحبحاب قسماً شديداً العصية لقبس وللعرب هو عمر بن عبدالله المرادي، فمضى يصف البربر لا يكاد يحسب لشعورهم حساباً، وكان مسيرة إذ ذلك نشطاً في دعوته، فأهانه جهل عمر بن عبدالله المرادي وسوء سياسته على كسب قلوب الناس.

ثم منحت الفرصة لمسيره وأصحابه للخروج على العرب علاتية، ذلك أن عبدالله بن الحبحاب أرسل قائده حبيب بن أبي عبيدة سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م^(٣) في حملة إلى صقلية، وأصبحه خيرة جنده، فجعل مسيرة وأصحابه يشهرون فرصة اعتماد حشد عبدالله بن الحبحاب فيها وزاء البحر، فجمعوا أنصارهم، وتنازعوا نحو طنجة ووالها عمر بن عبدالله المرادي، واستولى مسيرة عليها وقتل المرادي، وانضم إليه عبد الأهل بن جريج الإفريقي ومن معه من الأمازيغة وموالي بني

(١) ابن خلدون: العمر والطبقة ذي سليمان، ج ١ ص ١٦٢.

(٢) التكري: المسالك والممالك، ص ١٣٥.

(٣) ابن خلدون: العمر والطبقة ذي سليمان، ج ١ ص ١٥١.

ابن حداري: البيان المغرب، ج ٦ ص ٣٨.

لصير، فأقامه والياً على طنجة، ثم سار إلى نواحي السوس واستولى عليها وقتل واليها إسحاق بن عبيد الله بن المحجوب، وبهذا خرج اقرب الأقصى كله من يد الأمازيغ، وخرج مركز عبيد الله بن المحجوب في إفريقية وساء مركز المسلمون في الأندلس^(١).

ورجع عبد الله بن المحجوب نقرأ من خيرة جنته وقود عليهم رجلاً من كبار عرب إفريقية هو خالد بن حبيب الفهري، وبعث إلى حبيب بن أبي عبيدة يتمهل عودته، فلم يكف يعود، حتى بعثه ومن معه من الجند إلى شوا أزر خالد، والتقى العرب بقوات ميسرة على مقربة من طنجة، فامزموا وقتل منهم نفر عظيم، وعاد ميسرة إلى مركزه في طنجة مصوراً، ثم ادعى الخلافة وتسمى بها، وبيع عليها^(٢). ويبدو أن النصر ذهب بصوابه، فأساء السيرة في جماعته، فلم يلبثوا أن قتلوه وولوا مكانه واحداً من كبار رؤسائهم هو خالد ابن حميد الزناتي، وكان خيراً من ميسرة وألنف^(٣) (١٢٢ هـ / ٧٣٩ - ٧٤٠).

ولخرج مركز ابن المحجوب في إفريقية، فبعث إلى عقبه بن الحجاج السلوي عامل الأندلس إليه الإسراع لعونه بمن يستطيع من الجند، فأسرع الرجل، وحاول مهاجمة مواقع البربر في طنجة فلم يستطع، وعاد أترابه^(٤).

(١) انظر من ميسرة: ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢١٨-٢١٩.

ابن القوطية: اقتراح، ص ١٤-١٥.

ابن خلدون: البيان، ج ١، ص ٣٩.

ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٤٢.

ابن خلدون: العروبة في سلطنة، ج ١، ص ١٣٧ و١٤١.

(٢) التبري، ج ١، ص ٣٤-٣٥.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢١٨.

هذا يحاول فوراً لقتال عن ميسرة، على عهده من اقتراح كل ثقل على المسلمين، ويبدو في هذه اللقطة العنيفة وتكلف بصورة واضحة جداً:

CE, HENRI FOURNÉL, *Les Arabes*, t. 1, pp. 288-289.

IBDORÍ FACENCIS, *chronicon, España Sagrada*, VIII, Cap. 61, in p. 302.

(٤)

٥٣ - مزينة
الأشراف التواتر
سنة ١٢٣ هـ
(٧٤١ / ٧٤٠ م)

وجيش ابن الحبحاب جيشاً أصغر احتفل في تكوينه وجعل فيه
نظراً عظيماً من الأشراف عرب إفريقيا والظاهرين منهم ، ودرس
بهم قوات خالد بن حيد الزناتي ، فلم يكذب هذا الجيش
العربي - يقوده خالد بن حبيب القهري - يقارب طنجة ويلقى
البربر ويشدد القتال بينه وبينهم حتى قبحه خالد بن حيد من
خلف بمعسكر عظيم ، فانهزم بعض أصحاب خالد بن حبيب وكرهه هو أن يتهزم ،
فالتقى بنفسه هو وأصحابه في أول المعركة ، فقتل هو ومن كان معه ولم يسلم
منهم أحد : « وقتل في هذه الموقعة حمة العرب وقرسانها ، فسميت وقعة
الأشراف وانتظمت البلاد ومرج الناس ، واختلقت الأمور على عيда الله ،
فاجتمع الناس وعزلوه عن أنفسهم »^(١) . وبلغ ذلك هشام بن عبد الملك
فغضب غضباً « مضرية » لفظاً ومعنى ، وقرر إرسال جيش عربي عظيم إلى
إفريقية ليؤدب البربر ويقضي على ثورتهم ، وعزل عيда الله بن الحبحاب في
جهدى الأولى سنة ١٢٣ - ٧٤٠ هـ . وقد أصاب بعزله إليه ، لأن الرجل كان قد
لجأ في سوء التصرف بعد هذه المزيمة ، وكان دافعه الأول إلى ذلك الرغبة في
الانتقام لقتل ابنه إسماعيل^(٢) .

ويبدو أن ابن الحبحاب شك في أن لعرب إفريقية بدأ في هذه المزيمة ،
فأنهم نظراً منهم بأنهم اتفقوا مع البربر الأفارقة على إيقاع المزيمة بجيشه ، وكانت
جماعة من هؤلاء العرب الإفريقيين تقيم في تلمسان يرأسها موسى بن أبي خالد ،
أحد موالى معاوية بن حشيب أحد كبار قادة العرب الذين ساهموا في فتح إفريقية
بنصيب كبير ، وكان عامل تلمسان « وقد اجتمع عليه من تسك بالطاعة ،
فقبض عليه ابن الحبحاب وقطع رجله ويده »^(٣) لئلا يقتل ابنه إسماعيل فثار

(١) التوري : حجة الأريب ، ج ١ ص ٢٥ .

(٢) « وبلغ ذلك هشام بن عبد الملك ، فقال : قتلت هؤلاء الرجال الذين كانوا يقدمون علينا من العرب ؟
قول : نعم ، قال : وإني لأظنهم لم الغلبة عربياً ، فمن المصدر والصفحة .

(٣) ابن عبد الحكم : الفرج ، ص ٢١٨ .

على نفسه بذلك العرب الإفريقيين أجمعين ، ودفنهم إلى الخروج عليه صراحة ، واضطرت أمور البلاد كلها . وكان هذا - في الغالب - هو ما حدا بهشام بن عبد الملك إلى الإسراع في عزل ابن الحبحاب واستبدال غيره به^(٦١) ، وتم ذلك في جمادى الأولى سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م .

٥٤ . كتوم بن اسطر رأي هشام بن عبد الملك على أن يعهد في ذلك إلى رجل من زعماء عياض القشيري القيسية توهم فيه القدرة ويُعد النظر وهو كتوم بن عياض القشيري ، (١٢٣هـ / ٧٤١م) ولم يكن هشام بأحسن حفظاً في هذا الاختيار منه يوم عهد في إفريقية والاندلس إلى ابن الحبحاب : كان كتوم بن عياض قيسياً شديداً الاعتدال بنفسه ، وكان في نفسه إلى جانب ذلك غرور جعله يظن أن البربر قوم لا حيلة لهم في الحرب ، وأنهم إذا كانوا قد انتصروا على عبيدة بن عبد الرحمن وعلى عبيد الله بن الحبحاب ، فإنما يرجع ذلك إلى جهل هذين وقلية التعدادهما . وكان الخليفة قد أوسع عليه في النفقة ، وأمر عمال مصر وطرابلس وإفريقية أن ينضموا إليه بكل ما يستطيعون من رجال وعيال وهدنة ، فزاده ذلك غروراً ؛ فخرج كتوم بعدد عظيم من دمشق ، ومراً بمصر فاستصحب عدداً من خيرة جندها وكذلك فعل بطرابلس وإفريقية . فاجتمع له جيش عظيم^(٦٢) جعل على مقدمته قائد غيلة بلج بن بشر القشيري^(٦٣) . وكان فارساً شهياً إلا أنه كان

(٦١) ابن عبد الحكم : فروع ، ص ٢١٨ .

القشيري : نهاية الأرب ، ص ٣٥ .

(٦٢) ابن عبد الحكم : فروع ، ص ٢١٨ .

(٦٣) ابن عبد الحكم : فروع ، ص ٢١٩-٢٢٢ . ويُقال أن طليحا كان ابن عمه القشيري ، نهاية الأرب ، ج ١ ، ص ٣٥ وراجع تعليق هجران على هذا الجيش :

II JOURNAL, Les Berbères 1, p. 202.

ويقتصر ابن خلدون في الجزء الأول من تاريخه على ذكر عدد الشاميين في هذا الجيش وهم ١٢ ألفاً من الفرسان كان يتقدمهم بلج بن بشر (اليان ، ج ١ ، ص ٣٨) ، ثم يذكر في الجزء الثاني أن عدد الجيش كله كانت ٣٠ ألفاً (اليان ، ج ٢ ، ص ٣٠) ويؤيده في ذلك ابن الفوطي (انتصاح الأندلس ، ص ١٤) ، أما ابن خلدون فيجعل عدد الجيش ٧٠،٠٠٠ (لورد تلك الرواية المغربي في فتح الطيب ، ج ١ ، ص ١٢) .

أشد غروراً وعصبية من كلثوم ، وجعل على رجاله ثعلبة بن سلامة العاصلي .
وكان من غلاة الشاميين .

ويبدو أن كلثوماً حول على القتال حتى الموت ، لأنه أوصى بأن يخلفه بلج
في القيادة إذا أصابه شيء ، فإذا قتل بلج خلفه ثعلبة بن شوابة .

كان جند إفريقية إذ ذاك مواطنين للبربر بناحية طنجة في انتظار
٥٥٥ - العرب
الإمريون
المدد من دمشق ، وكانت ثورة هؤلاء الجند جماعة من العرب
طال بهم القسام والعمل في إفريقية حتى أصبحوا يعتبرون
أنفسهم أفرقة لا يعطون إلى أحد من القادمين من الشرق ، مثلهم في ذلك
مثل عرب الأندلس إذ ذاك ؛ كانوا يعتبرون أنفسهم « أهل البلد » ويصمون
بالبليديين ، وقد تكونت جماعات العرب الأفرقة من جند العرب الأول الذين
استقروا أثناء الفتح أو بعده فيها وأقربهم من نواحي المغرب ، وقد جرت عادة
هؤلاء العرب أن يستقروا في النواحي بين انضم إليهم أو صار في ولائهم من
البربر ، فاعتبروا مواليهم واتدجروا فيهم مع الزمن ، وبهذا كثرت جموع
هؤلاء العرب الإفريقيين البليديين وأصبحوا قوة سياسية لها خطرهما . ولما كان
هؤلاء العرب الأول هم الذين فتحوا البلاد ، فقد أصبحوا يعتبرون أنفسهم
أصحابها وملاك نواحيها ، لا يكاد يجرؤ غيرهم من غير قبائلهم على الاستقرار
معهم فيها . وولفد إليهم من بلاد العرب طوائف من أبناء عصبيتهم وانضموا
إليهم فاشتدت بهم سواعدهم ، ولما كان معظم من شارك في فتح إفريقية من
العرب بمشيين فقد كثر جمع المشيين في إفريقية ، كما كثروا في الأندلس ،
وانضمت إليهم جماعات من البربر الزناتية ، وأخذوا ينظرون للمشيين خاصة
نظرهم إلى حدود خيول .

ومن هنا تفهم السر في هذا التصور العنيف الذي أظهره عرب إفريقية
البليديين عندما أخذ ولاية الفيسيين يتعاقبون على إفريقية تصاحبهم جماعات قبية
قليلة تريد الاستقرار في البلاد . ولنصف إلى ذلك أن عدداً عظيماً من نواحي
إفريقية أنشأوا فيها أسراً من أهلهم وقربتهم ، فأصبحت هذه الأسر مع الزمن

فوات جده وسلطان بختيسار من الصف حولها من العرب الموالي والأنساع ، وأصبحت لها وديعة على جماعات العرب والبربر في التواحي التي استقرت فيها ، ومن بيوت هذه الأسر بني عتبة بن نافع وكان أقوامها وأصلها ، وبنت معاوية ابن حديج ، وبنت بني نصير . وكان لهذه البيوت الثلاثة التصيب الأول من السلطان في إفريقية خلال العصر الأموي ، بل صارت الأمور أخيراً إلى بيت عتبة بن نافع ممثلاً في شخص عبد الرحمن بن حبيب بن عتبة^(١) .

وكان هؤلاء العرب الأفارقة « البلديون » مقبضين جماعات ، كل جماعة في ناحية عليهم رئيس منهم يقوم بشؤون الإقليم لحساب عامل إفريقية في القيروان . وقد سجل المؤرخون لنا منهم جماعات قوية في طرابلس وسيرت ولقباس والقيروان ، ومن شخصيات هؤلاء العرب الإفريقيين في ذلك الحين : حبيب بن ميمون (سيرت) وعبد الرحمن بن عتبة التغفاري ، ومسلمة بن سودة القرشي (القيروان) وصفوان بن أبي مالك (طرابلس) وسعيد بن بجرة المساني (قابس) وحبيب بن أبي عبيدة بن عتبة بن نافع ، ويبدو أنه كان رأس هؤلاء العرب الأفارقة جميعاً ، وكان مقبضاً إذذاك بجسوع من هؤلاء العرب عند طنجة موافقاً لحالد بن حيد الزناتي زعيم البربر الثالثرين وخليفة مسرة^(٢) .

ولم تكن العلاقة بين هؤلاء العرب الأفارقة الثالثرين مدائن إفريقية وأريافها وبين البربر من أهل البلاد على ما يرام ، لأن العرب جميعاً كانوا لا يعطشون إلى البربر بعد هذه الحرب الطويلة التي كانت بين الجانبين أيام الفتح . ولأن العرب الأفارقة كانوا يعنون أنفسهم سادة البلاد وأهلها ، ولأنهم كانوا إلى ذلك عماد الحكام وولايتهم على النواحي ، فكراههم البربر لذلك وحملوهم تبعات مظالم

(١) راجع تراجم عتبة بن نافع وروضع بن ثابت الأحمري ومعاوية بن حديج وديعة بن عبد النبي وزيد بن الحلوث الصديقي ولبي عبد الرحمن بن بسر بن أرملة وأبي عبد الرحمن عبد الله بن زيد (الزهري) ومن بعده من الثالثرين في

الملكبي : رسائل القوس ، ج ٦ ص ٤١ وما يليها .

الأنساع - معالم الإسلام ، ج ١ ، ص ٩٩ وما يليها .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ٢١٩ - ٢٢٢ .

هؤلاء الحكام ، وكان من هؤلاء العرب البلديين قدامى معظمهم من اليمنيين منذ أيام موسى بن نصير وبنيه وُجِّد غالبهم من الغيبة ، وكان القريشان متعاقبين كما لاحظنا^(١) .

لذا كان طبيعياً أن تكون ثورة البربر في إقليم طنجة إيذاناً بشوكة عامة جديدة من البربر جميعاً على من بين أظهرهم من العرب ، سواء أكانوا من رجال الدولة ووجنتها أو عرباً مستقرين مسلمين ، ومن هنا فإتانا لا نستطيع القول بأن هذه الثورة كانت في صميمها ثورة بربر على عرب ، بل كانت فتنة عامة بين جماعات متنافرة ، ولم يكن معظم المشتركين فيها يميلون إلى بني أمية ، ولهذا فقد كانت الحركة في جملتها فتنة إفريقية عامة وثورة على بني أمية .

٥٦ - ثورة البربر - وصل كلثوم بن عياض الإفريقية ، ولم يشأ أن يرجع بالقيروان ، بل أراح على العرب في بلبنة مبيدة على مقربة منها (شوال ١٢٣ / أغسطس ٧٤١ م) . ثم طرابلس إتصرف بجموعه إلى ناحية طنجة خلفاً على الإفريقية عبدالرحمن بن عقبة الغفاري ومسلمة بن سودة القرشي . فلم يكذب يتعد عنها حتى نهض زعيم من زعماء زناتة يسمى عكاشة بن أيوب القزازي - وكان من الخارجية المصيرية - فجمع جموعه بناحية قابس ، وأرسل أخاه في تغرب البربر ، لحصروا حبيب بن زيون ومن معه من العرب في سيرت ، وأقام محاصراً لهم حتى خفف لشجدهم صفوان بن مالك رأس عرب طرابلس ، فانتهز البربر إلى

(١) ذكر الرازي في أخبار ولاية عبيد الله بن الحبحاب قصة تصورها لنا هذا القراء بصورة واضحة ، ملخصها أن عبيد الله لم يكذب بل إفريقية حتى قدم عليه عليه بن المطح السلولي ، وكان المطح - أبو عتبة - قد ألق الخوارج ضد عبيد الله ، أي أن بني الخوارج - وهم بنو الحبحاب وغيرهم - كانوا موالي المطح السلولي وهي سلوك ، فلم ابن الحبحاب لعنة وشرفة ، فذكر أولاده ذلك ، وخشوا أن يخط من قدهم في نظر عرب إفريقية ، ولأنوا إليهم في ذلك . فانتظر ابن الحبحاب حتى اليوم التالي ، فلما اجتمع الناس وحضر المجلس استقدم عتبة وأعلن إليه أمام الناس أنه واهب وأعطى أولاده مؤبداً إليهم على عترتهم نحو الشجاج وبنيهم ، فقبل الأولاد من أنفسهم . وهذا يدل على أن أولاد عبيد الله كانوا يفتخرون أنفسهم عرباً لفرقة ، أي من أصحاب البلاء ، ففكرها أن يسودهم هذا الشرقي لقبل ويخط من قدهم ، وهم في هذا يخبرون عن شعور العرب بالاتفاق عامة لحر من كان يميل من العرب ، انظر : الأضطر المصروفة ، ص ٢٦ - ٢٧ .

قبايس ، وكان عرب القيروان قد علموا بالأمر وانضوا مع أميرهم مسلمة بن سودة إلى قبايس لتجندت عرب هذه الناحية والقضاء على ثورة البربر ، وانضى الجهمان بأحوال قبايس ، فانهمز العرب وحادوا مفلولين إلى القيروان حيث أكل البربر بمحاصروهم بها^(١) .

بهذا زاد مركز عرب إفريقيا حرجاً : انهزمت قواتهم عند قبايس وحاصروهم البربر في القيروان ، وانهزمت قواتهم عند طنجة قبل ذلك ، وأقام خالد بن حيد الزناتي موافقاً لمن يفي منهم على غير يسو ، وأخذ يؤلب بقية البربر عليهم ويستعد لل معركة قاصلة جديدة بينه وبينهم .

في هذه الظروف العصيبة كان كلثوم بن عياض ومن معه يقتربون من طنجة ليلقوا البربر ، ولو قد كان كلثوم حسن السياسة لتوجه إلى عرب إفريقيا وكسب قلوبهم حتى يقف العرب جميعاً جبهة واحدة أمام الخطر الداهم ، ولكنه لم يفي هؤلاء العرب بمعاملة نقرتهم منه وصبرتهم عن عونه ، وكان كما قلنا قسياً جافاً شديد الاعتزاز بنفسه : أتف أن ينزل القيروان وأرواح في سبيها ، ثم تقدم نحو طنجة ويحث بلمر حبيب بن أبي عبيدة رأس عرب إفريقيا بأن يقيم مكانه لا يصنع شيئاً حتى يقدم عليه . وكان بلج بن بشر على مقدمة كلثوم كما قلنا ، ولم يكن أقل عصبية ولا كبرياء من كلثوم ، فلم يكفد بلقي عبيدة حتى أهانه وأحقره ، وأعلن إليه أن الشامية قد عولت على المقام في إفريقيا واتخذها داراً ، فجز هذا في نفس الأثارة وأحبالهم على ما كان لهم من المكانة في البلاد^(٢) . وزادهم نفوراً من بني أمية والشاميين عموماً .

وبعث حبيب بن أبي عبيدة إلى كلثوم يشكو إليه ابن أخيه ، فلم يلج عنده إنصافاً كلياً ، فلتمتلات نفس أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ونفوس من معه من

(١) ابن عبد الحكم : فتح ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن خلدون : البيان ، ج ١ ، ص ٤٦ .

العرب البلديين سخطاً على الشامية وخوفاً منهم . ثم وصل كلثوم إلى نواحي طنجة ولقي حبيباً ، فعامله نفس المعاملة التي عامله بها بلج قبل ذلك ، وتقدم أبو عبيدة بن عتبة (أبو حبيب) يريد نصيح كلثوم فرفض نصيحته وأهانته ، وهذا التقسم المسكر العرب قبل المعركة إلى فريقين بنطوي أحدهما على اللد نحو الآخر : فريق العرب الأفاوقه وعلى رأسهم أبو عبيدة بن عتبة وابنه حبيب ابن أبي عبيدة وحفيده عبد الرحمن بن حبيب ، وفريق الشامية القبليين وعلى رأسهم كلثوم بن عياض وبلج بن بشر ، فكان هذا الانقسام أسوأ الأثر في مجرى الحوادث^(١) .

وكانها أراد هشام بن عبد الملك أن يزيد الموقف تعقيداً ، فأمر كلثوم أن يسير وفق التوجيهات التي يرسمها له هارون القرني مولى معاوية بن هشام ومغيث الرومي مولى الوليد ، وقد أمره الخليفة بهذا بحجة أنها أحرف ببلاد إريقية^(٢) ، وكان أبلى به أن يأمره بالاتفاق مع العرب الأفاوقه ، لا بطاعة هذين الوثنيين اللذين سيزيدان الأمر تعقيداً وحرماً . ويدعو أن هشام أراد أن يكونا رهيون على كلثوم ، لأن الجيش الذي كان معه كان عتياً جداً ، كانت عدته تبلغ السبعين ألفاً على قول بعض المؤرخين .

وليس أدل على ما كان بين الطرفين من التوتر من أن العرب البلديين كانوا يختلفون أبواب مدنها إذا سمعوا بتقدم الشامية ، ويدعو أن بلجاً لم يدخر وسعاً في زبانه تغورهم ، فنجعل يقول إنه إنما أتى ليستتر بين معه في إريقية كما

(١) يقول ابن عبد الحكم في وصف هذه الحالة النفسية التي سادت الجانبين: « وكان كلثوم حين خرج إلى العمير قد قدم بلج من بشر القسي على مقدمته في الليل ، فلما قدم على حبيب رفضه وأهان منزله ، لم قدم كلثوم ذلكاه حبيب فهاون به أيضاً ، ثم خطب كلثوم الناس على يزيدان له فطعن في حبيب وشتمه وأهل بيته . . . هذا من عبد الحكم : فتوح ، ص ٢١٩ - بل بلغ من اضطراب النفوس أن دار القتال بين الجانبين قبل أن يلقوا العمير ، ولم يسطع كلثوم إقرار السلام إلا بعد جهد . وكان بلغ من بشر من أكثر الناس حمية لعينيه ، وهو المسؤول عن كثير ما نزل بالعرب في إريقية والأندلس من البلاد في ذلك الحين . ابن خلدون : البيان ، ج ١ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) الأخبار المجمعة ، ص ٢١ .

ذكرنا ، ولم يكن يستطيع أن يثير نفوس الأهلّة بأكثر من هذا ، لأن معظم من كان قد استقر في إفريقية إلى الآن كانوا بنية كلية ، وكان مجرد التكبير في إقرار بضعة آلاف من القيسية الشامية معهم في نواحيهم كافياً لإثارة نفوسهم وإثارة نار العداوة فيها ، هذا إلى أن القيسية كانت فيهم بقوة وقلة كياسة وشدة في العصبية ، فكانوا لا ينزلون بلداً إلا أكلوا أهله - عربياً أو غير عرب - هكنا فعلوا في خراسان وفي شمال إفريقية وفي الأندلس .

٥٨ - هجرة العرب على هذه الحال التي الجيش العربي مع البربر يفودهم خالد بن عبد القدورة حيد الزناني عند بليلة تسمى بقندورة أو تقندورة على مقربة من تاهرت قرب مصب نهر ملوية^(١) ، وقد رأى هارون القرني ومغيث الرومي أن أعداد البربر عظيمة جداً ، وحقاً على العرب منها ، فنصحا كلثوماً بأن يضرب حول معسكره خندقاً ، ولكن الغرور ملأ نفس بلج ، وظن أنه إذا جال بخيله لم يلبث البربر أن يتفرقوا ، وغاب عنه أن البربر قوم ذوو جلد على الحرب وحيلة في الميدان ، فصنعوا أكياساً من الجلد ملأوها بالحجارة ، وأخذوا يذلقونها على رؤوس الخيل ففرت وروعت ، ولم يستطع القرسان القتال عليها ، فأمرهم كلثوم أن يترجلوا ، ولم يكن البربر يرجون خيراً من ذلك ، فانقضوا على العرب وأحاطوا بهم ، وأعملوا فيهم السيف ، وتبدت طلّاح الخزيمة لكلثوم ، فخطب حبيب بن أبي عبيدة وعرض عليه قيادة الجيش ، فقال حبيب : قد فات الأمر ، ثم اشتد القتال وأحاط البربر بالعرب حتى كانوا يأتون عليهم أجمعين ، فلما رأى

(١) بين المؤرخين خلاف حول مكان هذه الواقعة ، فيذهب القراني إلى أنها كانت على نهر ملوية (دوي لمك ابن حنون: العبيد، ج ١، ص ١٥٢) ، وذهب ابن عساري وابن حنون إلى أنها كانت على نهر سبو (ابن عساري: البيان، ج ١، ص ٤٧ وابن حنون: العبيد، ج ١، ص ١٣٧) ، أما صاحب الأخبار المسيحية فيذهب إلى أن الواقعة كانت عند بليلة تسمى تقندورة أو بقندورة (الأخبار، ص ٣١) . ويصنف ابن القوطية بقندورة (بلفام) - انظر الافتتاح، ص ١٥ ، ولم نجد بليلة بهذا الاسم في هذه الشاحية من إفريقية ، وربما كانت نسخة الاسم بقندورة بالياء ، فقد ذكر ابن حنون بليلة بهذا الاسم دون أن يحدد موقعها . وقد رجعت رأي القراني وابن حنون . راجع: العبيد وطبعة دي سلون ، وانظر أيضاً : JOURNAL des Savants, L. P. 264 n. 1 .

حبیب ذلك عزم علی الاستشهاد وأوصی ابنه عبد الرحمن أن یلزم بلجاً ، وقاتل حتى قُتل ، وهكذا أبدى هذا العربي القهري من الشهامة والبسالة ما یملك النفس ، وزاح ضحیة شدة الآسین وعصیتهم .

وكان یلج قد رفض أن ینزل عن جواده وظی معه نحو عشرة آلاف ، فحملوا علی البربر فی عصف حتى اخترقوا صفوفهم ووصلوا خلفهم ، ثم استدار لهم البربر وكاتروهم حتى اضطروهم إلى القرار ، ففروا - يتقدمهم یلج - فی اتجاه طنجة ، وأما بقية العرب فقد أساط بهم البربر واشتدوا فی قتلهم حتى قتل هارون ومغیث وحبیب بن أبی عیبة وکلثوم نفسه ، وانتهت المعركة بهزيمة كبرى للعرب ، حتى لوؤكد المؤرخون أن ثلث هذا الجيش العربي الكبير قد قُتل وأن ثلثه الآخر راح أسیراً ، وأما الباقون فقد تفرقوا ظولاً مهزومة لا تكاد تلوی علی نضیه بعد السلامة^(١) (١٢٤ هـ) .

انهزم بلج وأصحابه من الشلیبية إلى الغرب ، واتبعهم أبو یوسف الحواري ، وكان طامحاً من طواغیت البربر ، فأحزبهم فقاتلهم ، قُتل أبو یوسف وانهزم أصحابه^(٢) واستطاعوا أمر الأمر أن ینخلوا سبته وتحصنوا بها ، وأقبل البربر یحاصرونهم ویهاجمونهم المرة بعد المرة ویحاولون الاستیلاء علی هذا البلد منهم ، فلم یستطیعوا ، فلما ینسوا قطعوا الزروع حول الحصن ، وأقاموا مشدین الحصار حوله حتى عدم یلج وأصحابه الأقوات وسادت حانهم كثيراً .

وزادت ثورة البربر والحوارج فی إفريقية عسفاً ، وقام من البربر فی كل

(١) ابن عبد الحکیم: الفتاح، ص ٢٢٥.

ISIDORI FACINNES Croniconcap. 66- 69.

الأخبار المحررة، ص ٣٢. ابن العزلة: الفتاح، ص ٦٥.

الزیری: جابة الأرب، ج ١، ص ٣٦.

أبو الحسن: التهم الزاهرة، ج ١، ص ٣١٩.

(٢) ابن عبد الحکیم: فتوح، ص ٢٢٥-٢٢٦.

ناحية زعيم بقود مواطنيه في هذا الكفاح : قام أبو يوسف الهواري بقود بربر إقليم طنجة وبقاتل بلجاً ومن معه ، ولجعت جموع عظيمة منهم في ناحية الزاب بقودها قائدان بربريان هما : عكاشة بن أيوب القزاري الصفري الطارحي وعبد الواحد بن يزيد الهواري ، وأخذوا يستعدان للسير نحو القيروان ، فلما أتتا العدة سار عكاشة على طريق مَجَانة والقرب من القيروان وعسكر عند «القرن» ، وأما عبد الواحد فسار على طريق الجبال والقرب من القيروان وعسكر عند حُيْبة ، وكان على مقدمة جيشه أبو قرة المغيلي^(١) . وكان أبو قرة من كبار زعماء الخوارج . وكان قد نادى بنفسه إماماً ، وكان بربرياً مستعرباً من قبيلة مغيلة .

٥٩- جيوش وكادت هزيمة «الأشراف» قد روحت هشاماً وملات نفسه خوفاً الحلام تتدخل من ناحية البربر ، كما رأينا ، ثم وقعت هذه الهزيمة عند بقودة فكانت ضغناً على إهالة ، وأحس أن المسألة ليست باليسر الذي تصوره ، وأن الثورة إذا استمرت على هذا النحو فربما كانت نتيجةها خروج المغرب والأندلس جملة عن طاعة الخلافة ، فعجل بتخير نحو ثلاثين ألفاً من عبدة جنده بعثها إلى حنظلة بن صفوان عامله على مصر ، وأمره بالإسراع إلى إفريقية ، ليوصل حنظلة القيروان بجنوده في ربيع الأول سنة ١٢٤ هـ / ٧٤١ م ، وأخذ يرسم الخطة للقضاء على هذه الثورة الخطرة . وكان هشام - رغم مرضه - دائم الاتصال بحنظلة وجيشه لتوجيههم والأطمئنان على مصيرهم ، ومحدثنا المراجع أنه هو الذي رسم لحنظلة خطة العمل ، فنصحته بأن لا يتسخر حتى يجتمع الجيشان البربريان عليه ، وأن يعجل بحرب كل منهما على حدة^(٢) .

وقد فعل حنظلة ذلك : خرج للقائه عكاشة ومن معه عند القرن ، فالتقى بهم وانتصر عليهم انتصاراً حاسماً ، وقتلهم قتلاً ذريعاً . ويبدو أنه خسر عدداً عظيماً من جنده في هذه الواقعة ، لأنه عاد إلى القيروان بعدها ليستعد للسير إلى

(١) ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ٢٢٠ .

التويري . نهاية الأرب ، ص ٢٧ .

(٢) الأخبار الصغرى ، ص ٢٧ .

جمع البربر الثلثي المعسكر على مقرية من حُبة يقوده عبد الواحد بن يزيد المواري وأبو قرة المغيلي .

يذكر التويري أن عبد الواحد كان في ثلاثمائة ألف^(١)، ويظهر أن تقديره هذا مبالغ فيه، لأنه لو كان في هذا العدد العظيم حقاً لما استطاع حنظلة الانتصار عليه بالعدد القليل الذي كان معه، ولكن الثابت أن حنظلة بذل أقصى جهده في الاستعداد لهذه المعركة الخطيرة الحاسمة، وأنه تناسى قيسته في هذه اللحظة الحاسمة، وجمع العرب جميعاً، أغارقة وغير أغارقة، حل لواء واحد للدفاع عن مصير العرب ومذهب السنة والجماعة في إفريقية وفأنخرج ما في الخزائن من السلاح، وندى في الناس فكان يعطي لكل منهم درهما وخسين ديناراً، فلم يزل يفعل ذلك حتى كثر عليه الناس، فرد العطاء إلى أربعين ثم إلى ثلاثين، ولم يقدم إلا شيئاً قوياً. فعبا الناس طول ليلته، والشمع حوله وبين يديه، فعبا في تلك الليلة خمسة آلاف دارع وخمسة آلاف نليل، وأصبح وقدم للقتال، وكسرت العرب جفون سيولها، والتقوا، ولزم الرجال الأرض، وجشوا على الركب، وكان ذلك بمكان يسمى الأصنام، حل وادي نهر شلف جنوب غربي مدينة الجزائر الحالية، واشتد القتال وصبر العرب صبر الفداء^(٢). وكان عكاشة قد أسر في القرن، فأمر به حنظلة فقتل صبراً^(٣)، وانتهت المعركة بانتصار العرب، وقتل فيها عبد الواحد، وانقسم ظهر الثورة وأخذت البلاد تهدأ، وكان ذلك في سنة ١٢٥ هـ - ٧٤٣ م. ومات هشام قبل أن تصله أخبار هذا النصر، وخلفه الوليد بن يزيد، فأقر

(١) التويري: حياة الأوب، ج ١ ص ٣٧.

(٢) ويحت حنظلة أيا الخطار وأيا حل الأمانس. والمره أن يعث إليه مئداً من جندعا، ويبدو أنه لم يوق إلى شيء، لأن حال العرب في الأندلس لم يكن حسناً كما سنرى. عن معركة القرن والأصنام انظر: ابن عبد الحكم، تروج، ص ٢٢١ - ابن الطوطبة: فتوح، ص ١٥ - ابن عسار: البيان، ج ١، ص ٤١ - الأعيان للجموعة، ص ٣٦-٣٧ - التويري: حياة الأوب، ج ١، ص ١٢٧ والنص الواردة هنا عن التويري. هذا والأصنام موضع كانت فيه آثار رومانية قديمة في ذلك الجبل، وقد اختلف المؤرخون في تحديد مكانه. والغرب أرادهم إلى الصخرة عروما يدعب إلى أن الأصنام تقع على ثلاثة أميال شيك القروان على مقرية من جلولا. وانج: FOURNEL... Les Berbères, t. p. 300 n.4.

(٣) ابن عسار: البيان، ج ١، ص ٤١.

حنظلة على ولاية إفريقية، وساد السلام وربعها أثناء خلافته القصيرة، لأن حنظلة كان معتاداً في عصبية، فأخذ عرب البلاد يطمنون إلى مصرهم، ولزم البربر السكون بعد هذه المزايم القاسية. وكان انتصار حنظلة انتصاراً لمذهب السنة والجماعة، فمن ذلك الحين وجحت كافة السنة على الخارجية ولهذا يعتبر أهل السنة من المغاربة هذه المعركة معادلة لمعركة بدر الكبرى.

ولكن الأخبار لم تلبث أن وردت بمقتل الوليد بن يزيد في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ - إبريل ٧٤٤م، وكان الوليد شديد العصبية للقيسيين دائم الانتصار لهم، وكان مقتله إهذاباً بانتصار أعدائهم اليمينيين وهودهم إلى السلطان. ولهذا رجع القيسيون في إفريقية عندما بلغهم النبأ، وعاقبوا أن ينقلب عليهم اليمينيون والبربر الزناتيون يؤازروهم الخليفة الجديد وأنصاره. فخرج إلى الشام نفر من كبارهم وجندهم، وبقي حنظلة في نهر قليل من الموالين للدولة^(١).

٦٠- ظهور
أسر
عبد الرحمن
ابن حبيب
ويبدو أن القيسيين كانوا على الحق فيما تخوفوا من انقلاب اليمينيين عليهم، لأن رأس هؤلاء العرب الأمازيغية البلديين، عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عتبة بن تميم لم يلبث أن يالو إلى العمل.

كان عبد الرحمن مع بلج بن بشر في الطائفة التي انهزمت إلى سبتة عقب هزيمة الأشراف، إذ كان أبو حبيب بن أبي عبيدة قد أمره بأن يلزم بلجاً، فلما انهزم بلج وبعث إلى سبتة، تركه عبد الرحمن وسفى إلى الأندلس ليلقى أميرها إذ ذاك عبد الملك بن قطن القيرواني، وجعل يثبته على بلج وأصحابه ويخبره منهم، فلما تسامح بموت الوليد وخرج معظم القيسية إلى الشام عاد إلى إفريقية ممجلاً. وجمع أصحابه الأمازيغية وعسكر بهم في مكان يُعرف بسبخة سُجُوم في أوائل سنة ١٢٧م - ٧٤٥م^(٢)، وقرر أن ينتهز الفرصة ويخلص إفريقية من القيسية جملة، فكتب إلى حنظلة ومن معه يطلب إليهم ترك القيروان وإخلاء البلاد، وأمهلتهم ثلاثة أيام. وشاء حنظلة أن يقاوم، ولكنه رأى قلة من معه، وبلغت آباء اضطراب الأمر على

(١) ابن عبد الحكم: فتوح، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) التوري: حيلة الأوب، ج ١، ص ٣٩.

الأموية في الشرق، فقرر ترك إفريقية والعودة إلى الشرق.

ويبدو أن حفظة لم يقرر ذلك مختاراً بل مضطراً، فقد بدا له من اختلاف
عرب إفريقية عليه وتواضعهم مع عبد الرحمن بن حبيب ما أمحله وزعده في المقام
هذه البلاد، فقد حدث بعد انتصاره في موقعي القرن والأصنام أن أمر قائده على
طرابلس معاوية بن صفوان أن يخرج لحرب نفر من الصفرية من نفزاوة، فخرج
إليهم وحاربهم وانتصر عليهم ولكنه قتل في المعركة، وأرسل بعد ذلك بقليل نفراً
من وجوه العرب إلى عبد الرحمن ليصالحوه ويردوه إلى الطاعة، فاستجاب لهم هذا
بالأموال فانقلبوا على صالحهم الذي أرسلهم^(١) وشاقت الأمور بحفظة،
واستبان أن أمر بني أمية كله إلى زوال، وطمع فيه عبد الرحمن بن حبيب، فجمع
أصحابه وبنى بهم إلى القيروان.

٦١- عبد الرحمن واحتل عبد الرحمن بن حبيب القيروان وما استقر بها أميراً، وصار
ابن حبيب الأمر في المغرب بعد هذا الكفاح الطويل للعرب الأندلسيين
بمحل القيروان بعد نزاع طويل مع البربر حيناً والعرب المشارقة القيسية حيناً آخر،
وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ١٢٧هـ - أبريل ٧٤٥م^(٢).

٦٢- عنان النزاع كان انتصار عبد الرحمن بن حبيب وسيادته على إفريقية مختاماً
سنة القيسية للنزاع بين القيسية والبنية في إفريقية، لا لأن الفريقين انبها إلى
والبنية في التفاهم والسلام بعد هذه المفازعات الخطرة، بل لأن توالي الحروب
إفريقية مع البربر حيناً وبينهم وبين أنفسهم حيناً كان قد انتهى بإضعاف
العرب جميعاً في المغرب، فلم يعد لديهم من القوة ما يمكنهم من طلب السيادة على
هذه البلاد الواسعة. ثم إن زمان سيادة العناصر العربي في الدولة الإسلامية كان قد

(١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢٢٣.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢٢٠.

الأخبار المصنوع، ص ٢٢-٢٣.

ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤١-٤٢.

ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٢.

ابن الأثير: الحلة السوداء، ص ٥١.

ولى بزوال الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية مكانها بعد ذلك بسنوات (١٣٦هـ - ٧٤٩ - ٧٥٠م)، فلم يعد لعرب إفريقية - قيسية وبنية - أي رجاء في أن تلقف الدولة إلى جانبهم وتزيد هذا الفريق منهم أو ذلك على هذا النحو الذي جرى عليه خلقه بني أمية.

ولم يكن انتصار عبد الرحمن بن حبيب انتصاراً للخصم العربي في الواقع، وإنما كان انتصاراً لهذه الطائفة الإفريقية من العرب التي كانت زنتاً تؤيدها وتشد أزرها وهي طائفة العرب البلديين، ولهذا نستطيع القول إن انتصاره كان انتصاراً لزناتة من بعض الوجوه، ومصداق ذلك أن الأمر لم يَصْفَ لعبد الرحمن بن حبيب شهراً واحداً بعد ولايته تلك، فقد بايع لمروان بن محمد، فلما قتل بايع لأبي جعفر المنصور ثم اختلف معه وخلع طاعته، واستغل أمره، ولم يلبث التراجع أن دب بينه وبين من كان معه من العرب، وانتهى الأمر بقتله على يد أخيه إلياس بن حبيب سنة ١٣٨هـ - ٧٥٥ - ٧٥٦ م، ولم يكن إلياس بأحسن حظاً من أخيه، لأن الحرب استمرت بينه وبين ابن أخيه حبيب، وقتل بعد ستة أشهر، وخلفه ابن أخيه حبيب ابن عبد الرحمن الذي لجأ إلى بربر ورفجومة وكانوا حوارج وسار رئيسهم عاصم بن جميل وهو ابن أخت طارق بن زياد ودخل القيروان وقضى على بقية بني حبيب. ولم تدم ولايته أكثر من ثمانية عشر شهراً كلها حروب ومنازعات، وانتهى أمره وأمر بيت حبيب كله في المحرم سنة ١٤٠هـ - ٧٥٧ م.

وسنحت القرصة لورقجومة إحدى قبائل البربر الزناتيين، بعد أن دخل رجالها القيروان وسيطروا على إفريقية فترة قتلوا من العرب خلالها نفراً كثيراً، ولم يته أمرهم إلا بعد أن أرسل أبو جعفر المنصور واليه على مصر محمد بن الأشعث في أربعين ألفاً: ثلاثين ألفاً من أهل خراسان و عشرة آلاف من أهل الشام، كان فيهم الأتلب بن سالم بن عفال بن عضاجة التميمي الذي صارت إليه الأمور كلها في المغرب في جمادى الآخرة سنة ١٤٨هـ - ٧٦٥ - ٧٦٦ م بفضل من كان معه في جيشه من الخراسانيين، وبفضل من انضم إليه من البربر^(١).

(١) انظر العاصم في: التبري: ج١، ص ٤٠ - ٤٦.

يد أننا ينبغي أن نقرر أن ما ذكرناه من اتصال محمد بن الأشعث ومن أزره من العرب الأفارقة والبربر لم يكن عتماً للفتنة الإفريقية والثورة على الشاميين ، لأن حركات الخوارج الصفرية والأباضية استمرت بعد ذلك أشد ما تكون استعلاءً وقوة . ولكي نفهم هذا حق الفهم نعود إلى تفصيل ما أجمنا من تاريخ عبد الرحمن ابن حبيب وآله في إفريقية .

٦٣ - السير
بطلون
نواحيهم
ذلك أن الأمر لم يكفد يستقر في القيروان حتى ظلت قبائل البربر من أن يستولوا بما يسيطرون عليه من النواحي ، فقام في كل ناحية زعيم بربري وأعلن نفسه أميراً : قام عمرو بن الوليد الصديقي واستولى بجماعات من البربر على تونس ، وأعلن أبو العطاء الأزدي استقلاله بطبطناس ، واقطع ثابت الصنهاجي وقومه باجة لأنفسهم وانضم إليه عبدالله بن سفرويد ، وقامت جماعات من أباضية حوارة بقودها عبد الجبار والحارث المسوريان واستولت على ناحية طرابلس وقتلوا عاملها بكر بن عيس القيسي^(١) ، وخاض عبد الرحمن بن حبيب وأخوه إلياس من بعده مع هؤلاء الثائرين حروباً طويلة عنيفة استمرت سنوات .

ثم وقع الخلاف بين المراد بيت بني حبيب أنفسهم ، فتحارب بنو عبد الرحمن وبنو أخيه إلياس ، وتصب لكل نفر منهم فريق من العرب الإفريقيين حتى اضطرت أحوال البلاد واشتعلت ناراً من جديد ، وانتهى الأمر بأحدهم وهو عبد الوارث قائد جنود إلياس ولكن إلياس من قتل أخيه عبد الرحمن بن حبيب ، فهرب ابنه حبيب إلى ورجسومة إحدى بطون نفزة

(١) ابن عدي: البلاد ج ١ ، ص ٤٨ وما يليها .

ابن خلدون: المس ج ١ ، ص ١٢٨ .

التوبري : حيلة الأوبد ، ص ٣٨ وما يليها .

والاستعانة بها على إتمامه شاركهم إليه عبد الرحمن بن حبيب^(١) ، فنصرتهم ورفجوتهم وشيخها حاصم بن جميل ثم وقع الخلاف بين حاصم بن جميل وحبيب وانتهى الأمر بموت هذا الأخير ، وأصبحت هذه القبيلة الزنابية سيدة

(١) إليك شجرة بيت عتبة بن لفتح في القرظية:



الظر :

- ابن عبد الحكم : فتحه ، ص 203 - 204 .
 ابن خلدون : العصر ، ج 1 ، ص 109 وما يليها وص 130 وما يليها .
 ابن عسقلان : الديار القريب ، ج 1 ، ص 50 وما يليها .
 الثموري : نهاية الأرب ، ج 1 ، ص 80 - 83 .

إقليم إفريقية - فجعل شيخها عاصم بن جميل وكان خروجياً صريحاً بالسير إلى القيروان ، وخرج أبو كرب جميل بن كرب قاضياً للقاء ورفجومة بقودها عاصم وأخوه مكرم ، قُتبت لما ثباتاً كربياً يظهر القيروان ، ثم انزيم وهلك هو ومن بقي معه .

ودخلت ورفجومة القيروان في ذي الحجة سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ - ٧٥٨ م ، وهكذا سقطت عاصمة المغرب الإسلامي في يد البربر الخوارج الزناتيين ، فكان هذا الحادث إيذاناً بوزال سلطان العرب عن المغرب جملة ، وبدا يوضح أن دولة الخلافة لا بد متخلية عن هذا القطر المسبح راضية أو كارهة في القريب لو في البعد : فقد اشتدت الخصومة السياسية بين أهل السنة والخوارج ولم يعد هناك سبيل لإصلاح النفوس ، واختلف العرب على أنفسهم فضعف أمرهم وهاتوا في نظر رعاياهم .

ولم يلب بيت عربي في هذا الدور من تاريخ المغرب الإسلامي حوراً يقرب من الدور الخطير الذي لعبه عبد الرحمن بن حبيب ، فقد كان طموح هذا العربي الفهري وتعصبه للعرب الإفريقيين البلديين سبباً مشجعاً للخوارج على موالاة جهودهم ، ولم يكن في نفسه بالرجل الثالث ولا القدير ، وكان فيه ميل إلى الظلم ، فلم يلبث أن نفروا منه ، ونقض له أخوه الياس فقطعه واستبد بالأمر كما قلنا ، فكان شراً من عبد الرحمن وأحق ، واختلط الأمر عليه ووثب به أبناء بيته ، فلم يلبث أمر بني حبيب كلهم أن تقرق وضاع ، وفسح معه سلطان العرب البلديين على البلاد ، ولو لم يتداركها الله بعد ذلك بسنوات فلائيل محمد بن الأشعث ثم بالأهلب بن ضالم بن عقيل لما عاد السلام إليها .

ثم إن دخول ورفجومة القيروان واستبدانها بشؤون إفريقية لم يكونا إلا مظهماً لقوة الخوارج الصفوية وانتشار أمرهم انتشاراً حياً لم السيطرة على البلاد ، وكانت سيادة هذه القبيلة شراً حالماً على إفريقية وأهلها ، لأن كراهتهم للعرب بلغت مبلغاً جعلهم يستيحيون كل محرم ، وكانت دعوة

الصفرية قد كتبهم ولما يتمكن الإسلام من نفوسهم بعد ، فأصلتهم وأخرجتهم عن الإسلام جملة ، ومن ثم لا غرابة في أنهم حينما دخلوا القيروان قتلوا من بها من قريش وساموهم سوء العذاب ، وربطوا دوابهم في المسجد ١٤٠ هـ / ٧٥٧ - ٧٥٨ م^(١) ، فآثار عملهم هذا إخوانهم بربر نفوسة ، وكانوا أباشية ، فساروا بتقدم شيخهم أبو الخطاب ، فأخرجوا ورفوعة من القيروان ، وأنزلوا برجانها مذبحة مروعة وقضوا على سيطرتهم على إفريقية .

ومن طريق ما يُلاحظ أن أبا الخطاب بدأ عمله بتخلف طاعة العباسيين على القيروان ، ولم يتخير عربياً ليقبمه في الإمارة ، وإنما تخير رجلاً من أصل فارسي هو عبد الرحمن بن رستم ، وكان خارجياً أباشياً شديد العصبية لبشاهية الخارجية (١٤١ هـ / ٧٥٨ - ٨٥٩ م) ولم يستطع محمد بن الأشعث فساند المنصور دخول القيروان وإعادة المغرب إلى طاعة الشرق إلا بعد حرب عنيفة وموقعة فاصلة مع نفوسة على مفربة من توارفة إحدى قرى طرابلس (جمادى الأولى ١٤٤ هـ / يونيو ٧٦١ م^(٢)) ، وقد هرب على أثرها عبد الرحمن بن رستم إلى أقصى المغرب الأوسط ولحصن بتاحية جبل جزول عند تاهرت ، وكانت هناك إذ ذاك بقايا حصن روماني قصرها واستقر فيها يؤمده البربر الأباشية ، وأعلن نفسه إماماً ، وأنشأ بذلك الدولة الرستمية ، ولم يلبث أن سيطر على المغرب الأوسط كله^(٣) .

وحدًا حدوده بربري خارجي آخر هو أبو قرة المغيلي شيخ قبيلة بني بفرن وكان صفرياً ، فأعلن نفسه إماماً في نواحي تلمسان . وهكذا استقلت كل جماعة من البربر في ناحية ، ولم يبق للعرب إلا سلطان ضئيل بقي لبعض العصفرية في

(١) التوزري : نهاية الأربعة ج ١ ، ص ٤٤ .

(٢) ابن عذاري : البيان ج ١ ، ص ٦١ .

التوزري : نهاية الأربعة ج ١ ، ص ٤٤ - ٤٦ .

(٣) البيان المغرب ج ١ ، ص ٦١ وما يليها .

التوزري : نهاية الأربعة ج ١ ، ص ٤٤ - ٤٦ .

خواهر القيروان ، وظلَّ من السيطرة بقي لجزالة عربية صغيرة أخرى كانت تقيم على الطاعة في نواحي طبة وعدنة ، ولم يبدأ أسر البلاد إلا على يدي محمد بن الأشعث قائد العباسيين وبعد محمد بن الأشعث ولي أبو جعفر المنصور على إفريقية الأغلبي بن سالم بن عقال . وعندما قتل هذا في حربه مع الخوارج تولى أمر إفريقية أبو حفص عمر بن قبيصة المهالي وبدأ بفلك حكم للمهالية في إفريقية . وقد استمر حكم المهالية إلى سنة ١٨٠ هـ ثم تولاها هرثمة بن أعين ثم تولى أمر إفريقية إبراهيم بن الأغلبي بن سالم بن عقال الذي أقام دولته بسواعد بعض رجال العرب المشاركة تؤيدهم فرق من الجند الحمرانية وبعض القبائل الصنهاجية المتحالفة للزناية الخارجية سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، وعلى يديه نخرج المغرب عن طاعة الخلافة العباسية جملة .

كانت ثورات البربر على العرب إذاً عتصماً للبيعة إفريقية المطلقة على المغرب . فإن دولة بني الأغلبي تعتبر بداية لعصور استقلال إفريقية عن الخلافة . ووقفت حدود إفريقية الأغلبية السنية عند مجرى نهر شلف . أما غربي هذا النهر فقد قامت فيه دولة الخوارج الأيبانية الرستمية التي سادت المغرب الأوسط .

٦٤ - دولة
في مدبر
في سجلماسة

وانتهزت جماعات من بربر مكتاسة - إحدى بطون خريسة - فرصة ابتعادها عن القيروان وانتقال العرب بمنازعاتهم مع البربر ومع أنفسهم ليستولوا بتاحيتهم وليقيموا لأنفسهم دولة .

كانت هذه البطون من نقوسة تسكن على منابع نهر ملوثة عند الموضع الذي ستقوم فيه بلدة سجلماسة فيما بعد ، وكانت هذه القبائل تسيطر على قرى تازا وتسلول ، وكانوا إذ ذاك من منزل الرحاة ، فأقبل عليها في مراعيها رجل بربري من حج إلى بيت الله الحرام وأخذ أصول الدين على قضاها المدينة ، واسمه أبو القاسم سمكو بن رسول بن مسلان بن أبي أزول ، ويبدو أنه كان قد مال إلى ناحية الخارجية ، فدعا الضوميين إلى مبدئه فالتصوا إليه وتبعوا له ، ولم يلبثوا أن تغفروا طاعة الخلافة في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ - ٧٥٨ م بتوهم شيخهم عيسى بن يزيد الأسود ، ثم اتخذوا لسجلماسة عاصمة لهم فالتفتت ومدنت ،

ومات عيسى فضله ابنه اليسع وعطف هذا ابنه مدرار ، وفي عهده قوي أمر هذه الدولة البربرية التي عرفت في التاريخ بدولة بني مدرار . وإنما فصلت أمر نشوء هذه الدولة لأن ذلك يلقي ضوءاً على التطور الباطني الذي كان يجري في المغرب الإسلامي إذ ذلك ، وواضح جداً أن دعوات الصفرية والخارجية أصحاب فضل كبير في نشر الإسلام في نواحي المغرب الأقصى والوسوس ، كما رأينا في حالة هذا الداعية أبي القاسم سحكو ، وكما سيحدث في حركات المرابطين والموحدين فيما بعد^(١).

٦٥ - ربي جوييه وقد حاول أ. ف. جوتيه جغرافياً للمغرب ومفلسف تاريخه على في ثورات البربر ملهيب الفرنسيون أن يدرس هذه الحركات الثورية ويبتسح لها أصولها البعيدة في تاريخ المغرب القديم وتكوينه الجنسي . فالتفتي إلى آراءه لا بد من إيرادها في ختام هذا البحث^(٢) . يرى جوتيه أن هذه الثورات هي أخطر حادثت في تاريخ المغرب الإسلامي قبل الحركة الفاطمية . فلتعرض آراءه في تحليل أسباب هذه الحركات لأنها تكشف لنا في الواقع عن خصائص هامة ينفرد بها هذا التاريخ المغربي ، وتلقي على الثورات الخارجية البربرية نفسها ضوءاً كالشفا^(٣) .

(١) راجع عن هذه الأحداث:

ابن عشاري: البيان، ج ١، ص ٦١ وما يليها. التويري: نهاية الأرب، ص ٤٤ وما يليها.
ابن خلدون: العمدة، ج ١، ص ١٢٩ وما يليها.

(٢) E. F. GAUTIER, *Le Peuple de l'Afrique du Nord*, pp. 260-269.

(٣) لم يبحث أحد هذه الحركة مثل ما بحثها به جوييه من العمق والشمول، وقد انتهى من بحثه إلى نظرية عامة فسر على أساسها لتاريخ المغرب الإسلامي كله، وقد أطلعنا عنه جميع مؤرخي المغرب الفرنسيين، ولهذا رأيت أن أعرض لها في شيء من الإجمال. وبالتك مراجعته التي استند إليها في هذا البحث (ولما للقائته وتسهيلاً للمراجعة:

أبو زكريا: تاريخ أبي زكريا، ترجمه وعلق عليه EMILE MASQUERAY (الجزائر 1914)، ص ٦٧ وما يليها من المقدمة.

ابن خلدون: العمدة (ترجمة دي سلون) ج ١، ص ٢١٦ ٢١٥، ج ٢ ص ١٢٥ وما بعدها.
ابن عشاري: البيان، ج ١، ص ٤١ وما يليها.

ابن الأثير: حركات المغرب التي جمعها هاليان Pagnon، وترجمها إلى الفرنسية في كتاب *Annuaire Des Magreb et de l'Espagne*، ص ١٢.

يرى جوتييه أن هذه الثورات الخارجية في المغرب إن هي في الواقع إلا
 الدونانية التي دعت أمن المغرب النصراني من قبل . وتفصيل هذه الحركة
 الدونانية في إجمال هو أن «دوناته» أسقف كازنوار إحدى بلاد المغرب الأوسط لم
 أن يعترف بصقليان (Cicilianus) بطريقاً لقرطاجنة ، لأن من اتجهوا كانوا
 نساءً مشكوكاً في صلاح عقيدتهم ، فنظب عليه صقليان ، وثارت بينهما
 المحسومة ، وتعصب لكل منها فريق ، وانقسم نصارى إفريقيا شيعتين : شعبة
 صقليان ، وشعبة الدونانيين المنتهين أو الخارجين عليه .

والخارجية المغربية في نظر جوتييه ، ليست في الواقع إلا شيئاً شبيهاً
 بالخارجية الدونانية النصرانية ، فالخوارج المسلمون لا يخالفون غيرهم من
 المسلمين في أمر من أمور العقيدة - كما تحالف البيرونتية الكاثوليكية مثلاً - وإنما
 يخالفونهم في عدم الاعتراف بخلافة معاوية ، ويقولون بأحقية علي وأولاده في
 الخلافة (كذا ١) ، بالضبط كما كان الخلاف بين دونات وصقليان خلافاً حول
 شخص صقليان وحده في الطريقة ، والحركات الدينية الخطيرة - سواء في
 المغرب النصراني أو في المغرب الإسلامي - لم تنشأ عن آراء أو عقائد خاصة بل
 عن تعصب وانحصار لأشخاص ، لأن أهل المغرب - كما يقول - لا يكادون
 يجفلون للعقائد في ذاتها ، ومدار الأمر كله عندهم هم الأشخاص .

وإيمان البربر في رأي جوتييه يمتاز إلى ذلك بتطرف بالغ وتبسك بالظواهر
 يجعلهم يعلقون أمر العقيدة كلها على فرع من فروعها ، ويصرون على ذلك
 إصراراً لا يكاد يقبل تنازلاً . وهذه كلها أمور نلاحظها في الدونانية كما نلاحظها
 في الخارجية : فقد كان الدونانيون متعصبين لبيادتهم تعصباً أعمى لا يكاد
 يصنق ، وكانوا يتحرون جماعات في سهولة لا يكاد يصورها العقل أملاً في أن
 يفتنوا الشهادة ويرفعوا إلى السماء ، بل بلغ بهم الأمر أن كان القلق يداورهم في
 بعض الأحيان حينما يعلمون أن لهم الحق في قتل أنفسهم واعتنام الشهادة على
 هذا السبيل « الموت » ، فكانوا يسألون أحد الملوك أن يقتلهم بيده أو يوصل له إذا
 لم يكن قادراً عند خوارج المغرب المسلمين ، فلم يصل الأمر إلى حد اعتنام الشهادة

بالانحلال ، وإنما هم كانوا ينهاتون على العقيدة نهاقت من لا يعنيه أمر حياته ، نجد هذا واضحاً عتياً عند غلاتهم كالصقريين ومعندلاً بعض الشيء عند معتادليهم كالأباضيين . هذا مع العلم بأن تقاني هؤلاء الأخرين في العقيدة كان يذهب بهم إلى حد إلغاء شخص الإنسان إلغاء تاماً أمام الخالق .

٦٦. الدونية ثم يقول: ولقد أحسن مسكراي حينما قال إن الخارجية هي والمخرجة الدونانية نُقلت من إطار مسيحي إلى إطار إسلامي . ولا يمينا الإطار ولا الحادث الذي أثار الحركة في المسيحية أو في الإسلام يقدر ما تيمنا الظاهرة ومعزاهما الذي يتلخص في الحقيقة التالية: وهي أننا نجد عند المخرجة أنفسهم أسلوباً واحداً عتياً في الإحساس بالله وقوته ، وأتينا نجد هذا الإحساس ظاهراً في صور مختلفة متباينة ، فذلك غريزي عند هذا الجنس .

وهو - أي جوتيه - لا يتم لذلك بالناحية الدينية للموضوع - فهي في نظره حادث عارض - والمهم عنده هي الغايات والنتجات المادية التي تيسر دائماً خلف مشار العقيدة ، ولقد طالما حاول الناس أن يصلوا إلى الحق السياسي والاجتماعي للحركة الدونانية ، وقد ففروا ، وليس بالمعبر كذلك الوصول إلى النتجات السياسية والاجتماعية التي أدت إلى المخرجة .

ثم يقول : إن ابن مخلدون نفسه قد كشف عن هذه النتجات بعد نظره وزكاته ، وذلك حيث قال: إن المخرجة انتشرت على عجل في البلاد وأصبحت سلاحاً في يد أهل الفتنة يجاربون به الدولة ، وهو يقصد بالدولة هنا دولة الخلفاء التي يمثلها العمال ، فهؤلاء المخرجون كانوا يلتصون الأتصار بين الطبقات الدنيا من البربر .

ويقول: ولم تكن الدونانية في الواقع إلا حركة بربرية سياسية اجتماعية أساسها ديموقراطي ، إذ كانت في الواقع ثورة شعبية قام بها فقراء الناس المستضعفون . وطبيعي أن الشعب الذي قام بحركة المخرجة لم يكن هو نفسه الشعب الذي قام بالدونانية ، فقد تغيرت الأحوال بتغير الأزمنة وإنما كان عماد

الحركتين هؤلاء الناس الذين كان تصوفهم صورة نظرية حرمانهم من الحريات الدينية ، وكان هذا التصوف يعني خلفه - بطبيعة الحال - انفجاراً هائلاً لطامع لم تسعها الظروف بالتحقق .

وكانت الخارجية كذلك ثورة من البربر أهل البلاد على السادة الأجانب يمثلون هذه المرة في صورة الخلفاء المشارقة .

٦٧- أي فريق ثم يعني جزئيه يمثل عناصر الحركة الخارجية ، لأنه لا يريد أن من اليوم نفس يكفني بتسميتهم بربراً وكفى ، بل يريد أن يعرف أي فريق من هذه الحركة ؟ البربر نفس بعينه الحركة ، ويقرر بوضوح أن الذين قاموا بالحركة كانوا في الغالب بربراً زنتيون ، لقد انفجرت الثورة أول الأمر في طنجة خلف ظهور الجيوش الإسلامية الغازية في إسبانيا ، ثم لم يلبث لها أن وصل إلى القيروان ، وقد وقعت موقعة الأشراف على مجرى «شلف» ، وولدت المعركة الثانية التي هلك فيها كلثوم بن عياض على نهر «سبوه» وولدت الثالثة التي انصف فيها العرب لأنفسهم عند القرن على نظرية من القيروان سنة ٧٤٢ ، وأما الرابعة فقد كانت إلى الشرق مما يلي ذلك ، وفيها استولى الخارجيون على طرابلس ، ثم نشهد بعد ذلك رد فعل عربي عنيف يقسوم به عبد الرحمن بن حبيب . أي أن الحوادث البارزة في الحركة كلها دارت حول طرابلس وتونس وتلمسان (بين سنتي ٧٤٣ - ٧٥٢) وفيها بين سنتي ٧٥٧ - ٧٥٨ ينتقل مركز الحركة إلى القيروان ، فيستولي عليها برابر ورفجومة الخارجيون ويعثون فيها فساداً ، ثم يطردهم عنها برابر آخرون ، ويستولون عليها .

ثم ينهض العرب الحرب الخارجيين من جديد يطردهم محمد بن الأشعث ويحمرز النصر في ضرت من سواحي طرابلس ، ثم يسير إلى القيروان فيحتلها ، ولكنه لا يوفق إلى النصر عند تلمسان التي ينتقل إليها مركز الحركة بفضل أبي قرة البقرلي (سنة ٧٦٥) ، ثم يعود الخارجيون فيستولون على طرابلس ، ويحاصرون القيروان ، ويطلب اللؤبخون الحديث عن حصار الخارجيين لطينة في

إقليم هدنة ، ويذكرون أن عاملها عمر بن حفص ظل زمناً طويلاً محاصراً (سنة ٧٧٠) حتى لقي حتفه على أسوار القيروان (سنة ٧٧١) ، ثم يستمر الأمر بين أعداء ورد بين العرب والمخارجيين حتى ينتهي الأمر إلى يد بني الأغلبي في سنة ٨٠٩ ، فهتداً أحوال البلد وسودها السلام قدراً من الزمان . لمراكز الثورة هي طنجبة وروادي سبو وإقليم تلمسان وروادي شلف وهدنة وجنوبي تونس وطرابلس ، أي أنها تقع جميعاً في نطلق السهول والغضاب العالية ، أي في مواطن زناتة ، لقد وقعت الثورة كلها في لوطان زناتة على وجه التقريب .

ثم يمضي جوتييه موقداً رأيه ، فيذكر أن ابن خلدون وابن عسدي يؤكدون أن عبء الحركة الأولى حملته برغواطة (ويشير إلى أن برغواطة هذه قد كثرت بالقرآن فيما بعد ، وأقام رجالها في إقليم الشاوية ديناً جديداً يخالف الإسلام) ، ومظلة وهوارة وبني يفرن ، ويناقش النصوص مناقشة يخرج منها بأن قليلاً جداً من صحابة قد شاركوا في هذه الحركة ، وأنها لهذا ينبغي أن تعتبر حركة زناتية صرفة .

ثم يستطرد جوتييه استطراداً بعيداً يحلل فيه الحركة من الناحية الاجتماعية ، ولكننا نكتفي بهذا القدر الذي لوردناه لأنه يلقي ضوءاً كاشفاً على بعض العناصر النفسية في هذه الحركة البربرية الخطيرة ، ومنها من كلامه قول أنها كانت حركة زناتية ، وهذا معقول وطبيعي ، فقد كانت زناتة قد أعانت المسلمين وانضمت إليهم من أول الأمر أصلاً في أن تتصرف بهم على الروم والصارى والأتارفة وصنهاجة ، وأن تستعيد في ظلهم بعض ما فقته في عهد هؤلاء ، فطاجاً العرب رجالها هذا العصف الذي رأيناه ، فنجحت فتوسمهم إلى الثورة . ومنها كذلك قوله إن هذه الحركة طبيعة مركبة في النفس البربرية : فهي طبيعة عفان وتصوف واستخفاف بالحياة . ومنها كذلك إشارته إلى ناحيتها القومية ، فالواقع أن الذين قلعوا بها كانوا يتكروون على العرب هذا التصرف المطلق في شؤون البلد . ومنها أخيراً ربطه هذه الحركة بأهلها في عهد الروم وسيره بالحركة إلى مطالع العهد الأغلبي .

٦٨ - الأحرار ونحوه الآن إلى الأندلس . لم تكن الأحوال في الأندلس إنداك في الأندلس بأحسن مما كانت عليه في المغرب . كانت هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء ومقتل عبد الرحمن الغافقي وخيرة رجاله في رمضان سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م قد أوقعت البلد في أزمة كبرى ، ذلك أن البهيين وأحلافهم من المدنيين انتهزوا فرصة موت الغافقي واشتغال عامل إفريقية عنهم فألقوا كبرهم عبد الملك بن قطن بن نفيثة بن عبدالله الفهري في أول شوال سنة ١١٤ هـ ، ويبدو أن عبيدة بن عبد الرحمن عامل إفريقية أقر عبد الملك في ولايته لأن العلاف لم تكن طيبة بينه وبين أنصار عبد الرحمن الغافقي (١) .

٦٩ - عبد الملك لا نجدنا المراجع العربية بمعلومات وافية عن أعمال عبد الملك في ابن قطن ولايته الأولى ، ولكن إيزيدور الباجي يذكر أنه أساء السيرة وأذى الفهري المسلمين والتصارى معاً ، وأن من معه من اليمنية عاثوا في البلاد فساداً وأكثروا من الشغب والثورة عليه ، وأنهم شرعوا إلى الأموال شرهاً اضطر معه عبد الملك إلى عصف الناس عسفاً أشد النفوس وأسخطها (٢) . فلما تولى عبيدالله بن المحباب أمر إفريقية بعث على الأندلس مولاة عتية بن الحجاج السلولي ، وكان رجلاً قيسياً صالحاً محباً للجهاد ، فوصلها وبدأ ولايته عليها في شوال سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م (٣) .

ويذكر إيزيدور الباجي أن عبد الملك بن قطن الفهري ومن معه من المدنيين حاولوا أن يعارضوا عتية ويحدثوا عليه الشغب ، فاضطر إلى القبض ، على عبد الملك وإلقائه في السجن ، ثم نقل عسفاً عظيماً من المدنيين إلى إفريقية لكي يبدأ البلد ويصريح من نزوعهم الدائم إلى السلطان والقوضى (٤) .

(١) انظر: ابن عبد الحكم - شرح، آخر ص ٢١٦ واول ٢١٧ .

(٢) إيزيدور،قرة ٦٠ .

(٣) الأخبار المصنوعة، ص ٢٧-٢٨ .

(٤) إيزيدور قرة ٦١ ، ويورد بالثنيتين هنا جماعات من أهل الكوفة المنورة من الأندلس عاجزوا إلى الأندلس واستقروا فيها ، وأسألوا أنفسهم شعبة سياسية قوية ، وكانوا يؤازرون البهيين ويمنون

ويبدو أن الأحوال استقرت لعقبة في الأندلس بعد ذلك فاستطاع أن يقوم بأمر البلاد ويأحسن سيره وأجملها وأعظم طريقة وأعداها^(١). واستطاع كذلك أن يتصرف إلى القنوج في صقلية وفيها وراء جبال البرت بقية أيام حكمه الذي طال سبع سنين^(٢).

في ذلك الحين كانت ثورة البربر في إفريقية على أشدها ، وكان عبيد الله بن الحبحاب قد اتصرف عنها وتولاها كلثوم بن عياض ، وشغل القيسية في إفريقية عمومهم في الأندلس ، فضغط أمر عقبة ومن معه ، وبدأ اليمينيون ومن معهم من المشيخين وفيهم بعض الأنصار يتطلعون إلى السلطان من جديد ، وقد أمكنتهم الفرصة في أوائل سنة ١٢٣ هـ إذ مرض عقبة وطال مرضه حتى أشفى على الموت ، والغالب أن اليمينيين ضمخوا عليه وأرغموه على إقامة عبد الملك بن قطن خليفة له إذا تولاه الله ؛ وقد كان ، وعهد السلطان إلى ابن قطن ومن معه من اليمينيين والمشيخين^(٣) .

٧٠ - اتفاد الغوا من إفريقية إلى الأندلس	والظاهر أن نضراً من دهلة الثورة البربرية الإفريقية خف إلى الأندلس ليثير بربرها على عسرها ، ولم يكن البربر في الجزيرة الأندلسية مطمئنين إلى العرب ، لأن هؤلاء الآخرين استبدوا بتوهم بالسلطان ، مع أن معظم فضل القنوج يعود إلى البربر .
--	---

ويذهب نفر من المؤرخين كذلك إلى أن العرب اختصوا أنفسهم بخير بقاع الأندلس ، ولم يتركوا للبربر غير النيات والجلال الفاحشة في الشمال والغرب^(٤) .

(١) ابن عديزي: البيان، ج ٢، ص ٢٩ .

(٢) الأخبار المجموعة: ص ٢٨ .

(٣) إيريندور الباجي، فقرات ٦١ - ٦٣ . ويذكر ابن عديزي أن عقبة استنقله (البيان، ج ٢، ص ٢٩) . ويذهب ابن عبد الحكم إلى أن عبيد بن عبد الرحمن هو الذي رده عبد الملك إلى ولاية الأندلس (فتوح، ص ٢١٧) . أما ابن القوطية فيؤكد أن عبد الملك ومن معه من اليمينية احتضروا على عقبة وعلموه، فهو يتفق مع إيريندور في ذلك، وقد أعدنا برؤيتهما .

(٤) DOZY, *Man des Musulmans d'Espagne* 1, p. 161 .

وليس ذلك صحيحاً على إطلاقه ، لأن جماعات بربرية كثيرة كانت مستقرة في أعصّب نواحي الأندلس في الجنوب والشرق والغرب ، بل كانت ناحية الجزيرة الخضراء أن تكون مقصورة عليهم لكثرة من تولّوا من بطونهم وعشائرهم ، ثم إن العرب لم يكونوا من الكثرة بحيث يستطيعون الانفراد بكل سهول بلاد عظيم واسع كالأندلس ، ثم إن الكثيرين منهم (أي من العرب) كانوا أهل جهاد مقبضين دوماً في منطقة ألبرت وما وراءها عند أريونة ، فلم تكن بقية العرب لذلك من الكثرة بحيث تستطيع احتلال سهول الأندلس الواسعة في الشرق والجنوب والوسط والغرب .

٧١ - طغيات
 ثوراً ثم إن المراجع تتحدث كذلك أن جماعات كبيرة منهم كانت قد عبرت الأندلس استقرت في أقصى الشمال عند لاردة وأسترقة والمدالين التي خلف الدروبء كما يقول صاحب الأخبار المجموعة^(١) أي في نواحي المضارب الشمالية المجاورة لمواطن الإسبان التصاري في الشمال ، فتعليل ثورة البربر على العرب في الأندلس بأن هؤلاء استبدوا دونهم بخبرات البلد وحرموهم منها جميعاً بالمعنى لا تؤيدها المراجع ، فأما غضب البربر فسيه استبداد العرب بأمر الحكم واعتبارهم البربر شعباً محكوماً لا ينبغي أن يترك له أي نصيب في الحكم أو في إدارة الأمور ، ولم يكن البربر يعتبرون أنفسهم بأقل من العرب ديناً ولا كفاءة ولا فضلاً ، فقد كانوا هم الذين حلوا معظم عيب الفتح ، وكان منهم طريف وطارق وهما صاحبا الفضل الأول فيما كتب الإسلام في الأندلس من نصر . ولم يلق الأمر عند مجرد الاستبداد بالأمر بل تعداه إلى سوء المعاملة والإهانة ، فكان العرب يوقعون بهم آتسى العقوبات لآتفه الأسباب ، فإذا جرؤوا على الشكوى كان عقابهم أشد وأقسى^(٢) .

(١) الأخبار المصنوعة ، من ٢٨ وراجع تلك المقتال القيم الذي كتبه سوار جويلر عن مقتل البربر في الجزيرة الأندلسية .

CESAR DUBLER, Ueber beherbesiedlungen auf der Iberischen Halbinsel, in Forschungen P. Bad Zürich 1901

DOZY, Recherches, I, p. 119.

(٢) إيريندور ، فقرة ٤٤ .

ثم إن استبداد القيسية بالأمر كان حربياً أن ينفر البربر ، إذ كان القيسيون قوماً ذوي عصبية شديدة ، لا يكادون ينظرون لتعريضهم لنظرهم إلى ناسٍ مثلهم ، وقد رأينا موقفهم من البيعة ومن البربر في إفريقيا ، وليس لدينا وثائق تدلنا على معاملتهم للبربر في الأندلس ، ولكن الأدلة كلها تدل على أنهم أساءوا معاملتهم ونفروا نفوسهم ، وكان البيثيون أقرب إلى نفوس البربر منهم ، لأنهم كانوا معظم الوقت مضطهدين مثلهم^(١) . وهذا لا يمنعنا من أن نقرر أن هؤلاء البيثيين كانوا إذا وصلوا إلى السلطان أقصدوا من أمره أشد مما كان القيسيون يفعلون ، لأن عيب القيسيين كان كبيراً وصليفاً ، في حين كانت عيوب الكلبية البيثية الظاهرة جشعاً إلى المال وميلاً إلى الفوضى وجزأ عن التنظيم وحسن الإدارة.

٢٢- ثورة طبري إذ أن يبادر بربر الأندلس إلى الثورة حينما تبلغهم أبناء البربر ثورة أبناء صموثهم واشتباكهم مع العرب في الحرب في إفريقيا .

فيقول صاحب الأخبار المجموعة - وروايته على قصرها أكثر ما بين أيدينا تفصيلاً : - «ففضي أن بربر الأندلس لما بلغهم ظهور بربر العدو على عربها وأهل الطاعة ، وثبوا في أنظار الأندلس ، فأخرجوا عرب جليقية وقتلهم ، وأخرجوا عرب أسترقنة والمدلين التي خلف الدروب ، فلم يرج ابن قطن إلا فلهم قد قدم عليه ، وانضم عرب الأطراف إلى وسط الأندلس إلا ما كان من عرب سرنطة وغرهم ، فلهم كانوا أكثر من البربر ، فلم ينج عليهم البربر»^(٢) . . . ويزيدنا صاحب فتح الأندلس وضوحاً فيقول : «وتطاولت البربر أيضاً بالأندلس على العرب الساكنين بجليقية وأسترقنة والمدلين التي خلف الدروب ، وقتلهم وطردوهم لكثرتهم هناك وقلة العرب»^(٣) ولا يزيدنا يزيدور على ذلك كثيراً ، وإن كان يشير إلى أن العرب استبدوا بالبربر وأقوهم وعاملوهم

(١) يعنى هذا من قول ابن القوطية مثلاً : «وقضى حرب الأندلس وبربرها إلبريون الأسيرين الثمانين وتحصنوا لعبد الملك بن قطن العمري ، ويطولون لأهل الشام : بلقنا يضيق بنا فأخرجوا عنا» .

ابن القوطية ، افتتاح ، ص ١٧ .

(٢) الأخبار المجموعة ، ص ٢٥ .

(٣) فتح الأندلس ، ص ٢١ .

معاملة قاسية ، فاستخطهم ذلك ودفع بهم إلى الثورة^(١) .

ولكن دوزي يضيف من عنده كثيراً ، فيزعم أن العرب اختصوا أنفسهم بأحسن الأرض ، ولم يتركوا للبربر غير التواحي الفاشلة في الشمال ، وبعض في الجبالغة . على عهده - فيذكر أن بربر الأندلس تلقوا أخبار ثورة أبناء عمومتهم في العدة الإفريقية بقبول عظيم ، وأن دعاة خلوذين ذهبوا إلى الأندلس ليحضروا البربر على القيام على العرب واستصاغم جملة ، فلم تلبث أن انفجرت ثورة دينية سياسية في إقليم جليقية امتدت إلى شمال الأندلس جميعه عدا إقليم سرقسطة ، ولنا تعلم من أين استقى هذا كله ، وليس بين أيدينا إلا ما أوردها من النصوص^(٢) .

ومها يكن من الأمر فقد تار بربر شمال الأندلس على عربها المقيمين في نواحي جليقية وأسترة والتواحي القاسية من أشقوس وبعض مناطق الغرب مثل ماردة وقوردية وطليرة ، فلما إقليم سرقسطة فلم يجرؤ البربر فيه على الوثوب بالعرب ، لأن العرب هناك كانوا أكثر عدداً منهم ، وأسرع من بقي من العرب في هذه التواحي بالمهروب إلى وسط الأندلس^(٣) ، فإذا انتصر البربر هذا النصر الأول فقد انتظمت قواهم في ثلاثة جيوش كبيرة : وجهة الأول طليطلة والثاني قرطبة والثالث الجزيرة الخضراء ليتصل بالبربر عبر المجلز . ومثل هذا الترتيب لا يمكن أن يصدر إلا عن قيادة واحدة نظمت صفوف الثائرين ورسمت لهم وجهة واضحة معينة ، لأن الاتجاه إلى الجزيرة الخضراء معناه محاولة قطع مواصلات العرب مع الشرق لخصرهم حصراً لا هفليس لهم منهم ، وهذا أمر لا يصدر إلا عن رأس مفكر مدبر ، ويذهب دوزي إلى أن الثائرين اجتمعوا واتخذوا من بينهم إماماً دون أن يذكر مرجعه في هذا القول^(٤) . ولكننا وجدنا في فتح

(١) إيزيدور، نقراً ٧٦ .

(٢)

DOZY, *Man. d'Esp.* I, p. 161

(٣) الأخبار المبرورة، ص ٢٩ .

(٤) يقول صاحب الأخبار المبرورة في ص ٢٩ : « وكانت قد رامت البربر بالأندلس على أنفسهم أمر عظيم » . ولم تستطع قراءة هذا الاسم ، وطالع أن المؤلف يريد أن يقول إن البربر اجتمعوا رأساً فقط لا إماماً ، فالتفرق بين الأمرين ظاهراً ، إذ إن نص ابن القوطية ينهم من أن الحركة

الأندلس، إشارة موجزة إلى وجود زعيم بربري يسميه «زقطرفو» كان يرأس جماعة البربر التي كانت متوجهة إلى الجزيرة الخضراء والتي تجتمعت في شذونة ، فلا يستبعد أن يكون هذا في الواقع رسماً عرفياً لاسم هذا البربري الذي قاد بربر الأندلس في الثورة كما قاد مسيرة بربر إفريقيا^(١).

فخرج مركز حرب الأندلس إنفاً ، ووجد عبد الملك بن قطن ومن معه من الكلية البحنة أنهم لن يستطيعوا الثبات للبربر إلا إذا وصلتهم من المشرق إمدادات . ولم يكن ذلك ممسوراً لأن ثورة البربر في إفريقيا كانت على أشدها ، ثم إنهم كليليون ينيون وكان اليوم يوم القسيمة الضرية .

٧٣- بلج بن وكان بلج ومن معه من الشامية القسيمة محصورين في سبتة منذ شهرين مع عام ، وقد أجهدهم الحصار حتى أكلوا اللباب والجلود وأشرفوا محاصرون في سبتة على الملاك^(٢) وكانوا لا يكفون عن الكتابة إلى عبد الملك يسترضونه ويستغيثون به ، فلم يسمح إلى استغاثتهم ، لأنه كان يتشاهم على نفسه ، فهم قسيمة شامية متعصبون وهو ومن معه كليليون ينيون في مشاعرهم ، فتركهم لكي يهلكوا حيث هم^(٣) . وكان عبد الرحمن بن حبيب - كبير عرب إفريقيا الذي تحدثنا عنه - قد نجا من معركة الأشراف - وانهمز مع بلج وأصحابه إلى سبتة ، ومن هناك عبر إلى عبد الملك بن قطن الفهري مثله ، وجعل يحرضه على بلج وأصحابه ويخوفه منهم ، فزاده ذلك إصراراً على تركهم لمصيرهم^(٤) . وبلغ من إصراره في ذلك أن عربياً أندلسياً من لحم يُقال له عبد الرحمن بن زياد الأحرم أشفق عليهم من التلف ، فبعث إليهم مركبين وشحنهما بالشمع

١- سيبويه ، كما كلام عدي فهمت به أن الثورة كانت مدينة لبعثاً ، وانظر أيضاً : ابن حبان ، برواية الفري ، بلج الطيب ، ج ١ ، ص ١١ .

(١) فتح الأندلس ، ص ٣١ ، وهذه هي قراءة ناصر الكفاف ، ولم استطع تحديدها .
(٢) الأخبار المجموعة ص ٣٧ .

(٣) نفس المصدر والصفحة وفتح الأندلس ، ص ٣١ .

(٤) ابن عبد الحكم : خروج ، ص ٢٢٠ .

والأمام ، بلوغ ذلك عبد الملك فعضب عليه وعاقبه أشد العقاب^(١) وسامت حال بلج وأصحابه . ولر لم يكن الربيع قد أقبل وأثبتت الأرض بعض الخضرة والقل خلكت^(٢) . ولكنهم اقتاتوا بذلك واستعانوا به على البقاء حتى وانتهت الظروف بالفرج من حيث لم يتصوروا .

وزاد مركز عبد الملك بن قطن وعرب الأندلس حرجاً مع الأيام ، ولم يجد نفسه هرجاً إلا أن يأنز هؤلاء الفسيفيين المحصورين في سبتة في العبور إلى الأندلس ، فأجابه إلى طلبهم بعد طول عتاد ، واشترط عليهم أن يارحوا الأندلس بعد القضاء على ثورة البربر مباشرة ، واشترطوا عليه بدورهم أن لا يفرقهم وأن يعيدهم إلى إفريقية جماعة واحدة ، وينزلهم في مكان يستطيعون منه العودة إلى الشرق . وتم الاتفاق على ذلك ، وأرسل إليهم عبد الملك سفناً عبروا بها إلى الأندلس سنة ١٢٣هـ / ٧٤١ م بعد أن أعطت كل فرقة منهم عشرة من رجاها رهائن احتفظ بهم عبد الملك في جزيرة أم حكيم في مدخل الوادي الكبير^(٣) .

٧٤ - خاتمة بلج
 هكذا عبر بلج بن بشر القيسي ومن معه من القيسية الشامية إلى الأندلس ، ولم يكن عددهم ليزيد على عشرة آلاف ولكنهم كانوا من غير شك نخبة من غير فرسان الشامية القيسية . لقد أساء رئيسهم كلثوم وبلج استعمالهم حتى عهد اللحظة وسيرتكون من الأخطاء فيها بعد شيئاً جسيماً ، ولكنهم امتازوا بشجاعة عظيمة وذكاء بعيد ، وسيتبهي بهم الأمر بالاستقرار في البلاد ، وسيكون لهم في تطور الأندلس الإسلامي أحسن الأثر حينما تستقر الأمور وتقوم الدولة الأموية .

ترك بلج وأصحابه سبتة في حال من الجوع لا مزيد عليها ، وكانت

(١) الأخبار للبرصعة ، ص ٣٨ . ابن خلدون عند القرطبي : فتح الطب ، ج ٩ ، ص ١١٠ .

(٢) لغة ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) لغة ، ص ٣٩ .

ملايهم قد بليت حتى كانوا يشترون بالدروع ، وتزلوا الجزيرة الخضراء ،
 افوحدا بها جلوداً مديوغة كثيرة ، فقطعوا منها المدروج ، ثم أقيلوا إلى قرطبة ،
 فكسا ابن قطن خياريهم وأعطاهم كلهم عطاء ، فلم يكن فيه ما يهينهم ،
 واستقبلهم عرب بلد الأندلس وهم ملوك ، فكسا كل رجل منهم ن خياريهم
 خياري عشرته ، وأفضل عليهم الناس حتى ليسوا وشبهوا (١٧٤) . وهكذا أوى
 عرب الأندلس رجال هذه الطائفة القليلة من القيسية بعد أن تلافواهم البلاد
 والنوب منذ مبارحتهم موافقهم الأولى في الشام منذ قرابة العلوين . ولا نزاع في
 أن القيسية الأندلسية قد أحست استقباهم وإكرامهم على النحو الذي يصفه
 صاحب الأخبار المحسوسة طمعاً في أن تقوم بهم قلوبها . ومن ثم ليس بغريب
 أن نرى قيسية الأندلس تهص لمنازلة الكلبية اليمنية من جديد .

٧٥ - طالما بلغ ولم يكذب بلج وأصحابه يرجون بقرطبة حتى نهضوا للعمل الذي
 يهني حل ثروة أتوا من أجله وهو لقاء التبرير والقضاء على ثورهم . كان أول ما
 التبرير في الأندلس ينفي عمله هو القضاء على الجيش البربري الذي كان متجهاً
 نحو الجزيرة الخضراء ليصلي بالناشرين في ناحية طنجة وسبتة ويقطع كل أمل
 لعرب الأندلس في أي عون يأتيهم من الشرق ، ويبدو أن هذا الجيش البربري
 كان أقوى جيوشهم الثلاثة وأكثرها نظاماً ، وكان قد وصل كما رأينا إذ ذاك إلى
 شدونة وعسكر عندها .

نهض بلج وأصحابه للقاء هؤلاء ، وانضم إليه نفرٌ من حرب الأندلس
 البلدين ما بين قيسية ويمنية ، والنقى الجمعان على مقرية من شدونة ، فلم يكن
 للعرب لهم إلا نهضة حتى أبادوهم وأصابوا أمتعتهم وديارهم فالتقى أصحاب
 بلج وانتعشوا وأصابوا المغالم (١٧٥) . ولا نزاع في أن هؤلاء العرب كانوا مدفوعين
 في هذه المعركة بالرغبة في طلب الثغر من هؤلاء البربر الذين أذاقوهم الويل في
 إفريقية والأندلس طوال الحقبة الماضية . ثم نهض بلج وعبد الملك بن قطن ومن

(١) الأخبار المحسوسة ، ص ٣٩ .

معها لبقاء الجيش البربري الذي كان متجهاً نحو قرطبة ، ولم يجدوا عناء كبيراً في هزيمته والقضاء عليه .

لما الكتلة البربرية الثالثة التي كانت محاصرة طليطلة يبدو أن أمرها كان أعظم من الكتلتين الآخرين بسبب الأعداد العظيمة التي تجتمعت فيها . كانت جماعات بربرية غفيرة من بربر جليقية وأسترلة وماودة وقورية وطلبرية قد انجفلت من بلادها وانصبت إليها ، وأقبلت فحاصرت طليطلة ، وأقامت على الحصار شهراً حتى اشتد الأمر بطليطلة وأهلها ، وكان بعض هذه الجيوش البربرية قد عبر الشاجة وانحدرو نحو الجنوب وحاول عبد الملك بن قسطن أن يتاجزها الحرب فلم يفلح ، فلما تم له القضاء على الجيشين البربريين الآخرين على يد الشامية جمع رجاله وسار مع الشاميين للقاء البربر على مقرية من طليطلة ، فلما تسمع هؤلاء بمسيره إليهم حلقوا رؤوسهم القداء بمسرة ، « ولكني لا يخفي أمرهم وليضربوا ولا يختلطوا »^{٧٦} ، مما يدل على شدة حماسهم وورعيتهم في النصر .

٧٦- معركة . دارت المعركة الحاسمة بين الجاسبيين عند وادي سليط (Guzalet) وهي أوارها ، لأن قلوب الجاسبيين كانت تفيض سخطاً ، وأظهر الشاميون من الشجاعة والقدرة ما استطاعوا به القضاء على هذه الجيوش البربرية والانتصار عليها ، فلم ينسج منهم إلا الشريد ، فركب أهل الشام وابسوا السلاح ، ثم فرقوا الجيش في الأندلس لقتلوا البربر حتى اطلقوا جرمهم^{٧٧} (أوائل ١١٢٣ م / منتصف ٧٤١ م) .

ويُفهم من هذه العبارة الأخيرة أن العرب بعد أن انتصروا على البربر هذا الانتصار الحاسم عند وادي سليط تعقبهم في نواحي الجزيرة واشتدوا في ذلك شدة بالغة حتى ساء حالهم .

(٧٦) المرجع السابق ، ص ٤٠ ، و وادي سليط هو جسر في الشاجة من البلاد جنوب طليطلة بقليل . ولد أنبار الرزازي في قطعة باقية من الترجمة الإسبانية لشرويه إلى هذه الموقعة بقوله : « en escazuela cerca de el » .
« Anales de Toledo » edición de Toledo en el año de 1608 ، ص ٨٨ في نهاية عمود ٢ من طبعة جازانجوس ولم يستطع الناشر تحقيق هو كاليكان هذا .

٧٧ - المجاعة شغل العرب والبربر ببلد الحروب عن عبادة الأندلس ، وكانت
 ومحمدا البربر جمع كثيرة من هؤلاء البربر وأعداد قليلة من العرب قد اشتغل
 إلى البربر بصلاح الأرض واستقرت فيها منذ سنوات الفتح الأولى ، وكان
 نضر آخر من العرب قد استظفروا في عواصم الأرياف والقري التي عثمورها
 واشتغلوا بالإشراف على المزارعين من أهل البلاد ، فكان إشرافهم هذا من
 العوامل التي أسرعت بعبادة الأرض بعد انتهاء فترة الفتح وما دار خلالها من
 حروب . فلما اشتغل العرب بالحروب فيها بينهم ، وغلبوا موافقهم ، وانسحبت
 الحرب العنيفة بينهم وبين البربر وانصرفوا عليهم واشتدوا في الانتقام منهم ،
 خالف من بقي من البربر واضطربوا في مساكنهم . وبدأت الرقبة تصاورهم في ترك
 هذه البلاد التي كانوا يقعون فيها على الخطر، إلى بلادهم الأولى حيث يكونون
 أكثر أطمئناناً ، فانصرف معظم هؤلاء البربر عن الزراعة وأخذوا يجمعون
 الأرض ، وكان العرب قد فعلوا ذلك قبلهم ، وهكذا أخذت المزارع والقري
 تخلو من سكانها من العرب والبربر ، وأخذ الخير يقل في البلاد . وتوالى ذلك
 سنوات فازدادت الحال سوءاً .

ولم ينته العرب إلى ذلك لاستغلام بحروبهم مع البربر ومنازعاتهم بين
 أنفسهم ، فانتهى الأمر بعد سنوات قلائل إلى جماعة كبيرة لقتلة المحاصيل ،
 وانضاف شر هذا البلاء الجديد إلى شر الحرب القائمة والقوضى السائدة وقلة
 الأمان ، فانهدمت الزروع وتدمرت المحاصيل ولاح شبح مجاعة عظيمة ظهرت
 بشكل حاد بعد أن انهزم البربر هزيمتهم النهائية عند وادي سليط . فلم تكذ عشرة
 أعوام تنقضي على ذلك حتى فحطت البلاد وانابتها جماعة عامة شديدة يتحدث
 عنها صاحب الأخبار المصنوعة بقوله : «حتى كانت فتنة أبي الحظائر وثوابة ، فلما
 كانت سنة ثلاث وثلاثين (٧٧٤٨م) هزمهم (أي هلاي زعيم الإسبان) وأخرج (بريد
 أخرجهم أي العرب) عن جليقية كلها، ونصر كل مذنب في دينه وضعف عن
 الحراج ، وقتل من قتل ، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى أستورقة ، حتى استحكم
 الجوع فأخرجوا أيضاً المسلمين على أستورقة وغيرها ، وانضم الناس إلى ما وراء

الدرب الآخر وإلى قوربة وسارده في سنة ست وثلاثين، واشتد الجوع، فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف البربر مختارين ومرحلين، وكانت إجازتهم من راد بكورة شقونة يُقال له وادي برياط، فتلك السنون تسمى وادي برياط، فحفظ سكان الأندلس، وكاد يغلب عليهم العدو، إلا أن الجوع شملهم^(١).

واشتدت المحنة وأصابته نواحي الأندلس كلها عدا إقليم سرقسطة الذي نجا منها بفضل مياهه وأثماره وبفضل الجماعة العربية الكبيرة التي استقرت فيه. ويبدو أن المحنة كانت شديدة جداً، لأن الكثيرين من العرب انجفلوا - كما رأينا - إلى النواحي التي توقعوا أن يجدوا فيها خيراً، وكان البربر أسوأ حالاً، لأن الغزائم قلت فربهم، ولأن العرب تبعوهم بالآتي في كل ناحية حتى ضاقت البلاد بهم، وأحسوا العداوة والشر في الأندلس فأخذت جموع منهم تعود إلى إفريقية ليطنوا بين أهلهم وعشائرهم، فهاجروا إلى إفريقية أرسالاً كبيرة.

٧٨ - رصف لا نزاع في أن عدد من هاجر من البربر كان عظيمًا جداً، لأن نصارى الإسبانيا للتاريخيين يحدوثنا أن نواحي شمال الأندلس وغربها كانت تخلو من نحو الجنوب أهلها المسلمين، فإذا أضفنا إلى ذلك أعداد من هلك من السكان - عرباً وبربراً - بسبب للجاعة، ومن انجفل منهم إلى الجنوب وإلى الغرب وإلى إقليم سرقسطة، استطعنا أن نعرف السبب فيها حدث من اتساع دولة النصارى الإسبان في جليقية وأستريس اتساعاً مفاجئاً بلغت به ضعف حجمها الأول بين سنتي ٧٥١ و٧٥٣ (١٣٤ - ١٣٦م): ذلك أن الإقليم الواسع الواقع بين نهري التهو والدويرو خلا من سكانه المسلمين في ذلك الحين، فاستطاع النصارى أن يتقدموا ويحتلوا ما استطاعوا من هذه المساحة من غير جهد، وكان بقوتهم ملكهم ألفونسو الأول، فاسترجع النصارى أفرانقة وأبورتو وفزيو^(٢)، وبذلك سيطروا على شمال الأندلس

(١) الأخبار المصنوعة، ص ٦٢.

(٢) عن بعض التاريخيين أن القبيلة العربية القزير *Qzayr* هي بازو الوارمة في المغرب، ولكن سافروا أينما خطا ذلك (انظر القزير: نفع الطيب، ج ١، ص ١٧٤).

SAAYEDRA, *Estudio sobre la inmigración de los Arabes en España* (Madrid, 1882) p. 192.

حتى الدويرو، ثم تقدموا بعد ذلك في حلب فاستولوا على أشرطة ولبون وسمورة ولدسيا وسلمنقة وقورية. بل ذهب المراجع النصرانية إلى أنهم استرجعوا ملوحة نفسها، وثوسعوا نحو المشرق فاحتلوا سلدانيا وسيفاقاس وشقوية وأقيلة وأوكا وأوسيا وميراندا على غير آبرة وسيسيرو والساتكو على غير ديورخة. والتحدت حدود الأندلس الإسلامي إلى الخط الممتد من قلمرية على المنديجو إلى قورية وطلبيرة وطلبلة على التاجة إلى وادي الحجارة وطلبلة ونبيلونة في الشمال الشرقي.

ويهذا خسر المسلمون نحو ربع ما فتحوه من الأندلس بسبب هذه الحصومات القبلية من ناحية وبسبب التنازعات بين العرب والبربر من ناحية أخرى، وكان لهذا أسوأ الأثر على مستقبل الإسلام في الأندلس^(١).

ولم تلق نتائج هذه الثورة المشؤومة عند ذلك الحد، بل إنها خلقت في نفوس العرب والبربر من الكراهة للحكم الأموي في دمشق سيظل قائماً قرونًا متوالية لا تكاد الأيام تحوه. كانت هذه الحرب الضروس حرب فناء بين الجانبين، فلما انهزم الخوارج في إفريقية والأندلس ظل بقايا خوارج البربر طوال القرون التالية يحسون الخوف من دولة الخلافة والكراهة لرجالها، وقد انتهى الأمر بعد قرابة ثلاثة قرون بالتدمج العرب والبربر وقيام الشعب العربي المغربي. وأما في الأندلس فلم يظهر أحد من الجانبين الآخر، لأن عودة الهجرة البربرية إلى الأندلس بعد قيام الإمارة الأموية قوى جانب البربر الخوارج من جديد وأعانهم إلى المقاومة، ففتوت مراكزهم وأخذوا يتاثرون العرب والأندلسيين مرة أخرى، وسرى ذلك بصورة واضحة أثناء الأزمة الكبرى التي دامت طوال إمارات محمد والنذر وعبدالله، وسرى أثر هذه الحصومة واضحة بشكل خطير حاسم بعد سقوط الخلافة الأموية.

يقول الرازي تعقياً على هذه الحوادث التي ذكرناها: «ومن هذا وأشباهه

(١) BALLESTEROS' *Historia de España y su influencia en la historia universal*, II, pp 325 (نظر) sqq. IDOZY, *Recherches*, I, pp 116 sqq.

قدمت العداوة بين بربر الوسط وعرب الأندلس، وتوارثها الأبناء إلى يوم البحث، فبالعرب غزوا في بلادهم وبمساهم سيث ذراهم وقُتلت أمواتهم حتى أدخلوا في الإسلام واضطروا إليه قهراً. قال: قلنا رجع العرب إلى بلادهم [في] الشرق، واستقر منهم الأقل [في] الأندلس عن أراء الجهاد ورغب فيه، وكان البربر يومئذ أكثر منهم فيها لمجاورتهم بلادهم، لم تزل عدواة الأديان والغلبة تتجدد بينهم^(١). وفي هذا الكلام مبالغة.

ولقد قامت الثورة البربرية^(٢) التي أشرنا إليها مراراً في هذا البحث في سنة ٧٤٠/١٢٢ وكانت بدايتها في المغرب الأوسط فهناك قام بها أبو قرة القليل وصاحبه أبو يوسف الحواري، وهما من رأس في هذه النواحي على الأساس الذي ذكرناه، وقد درست هذه الثورة في كتاب فجر الأندلس وقلت إنها كانت ثورة بربر على عرب وتبعت أحداثها على هذا الأساس، ويبدو لي الآن أنه لا بد من تعديل تلك النقطة على أساس الحقائق التي تكشفت لي وعرجت بعضها في هذا البحث، وأهم تعديل لا بد من إدخاله على النظرة العامة لتلك الثورة وأحداثها هو أنها لم تكن ثورة بربر على عرب بقدر ما كانت ثورة نفر من أهل المغرب الإسلامي العربي الوليد على أوضاع لم تعجبهم مما كان سائداً في عصر بني أمية، فقد كان بين الثائرين عرب وبربر مستعربة وكان بين مكالمحي الثورة عرب وبربر مستعربة أيضاً، أي أنها كانت ثورة عامة داخل نطاق الدولة الإسلامية العامة، وهذا تغيير جوهري في نظرتنا العامة لتطور التاريخ المغربي.

ولا يتسع المجال هنا لرواية أحداث هذه الثورة على الضوء الجليل، ولكننا سنأخذ من تفاصيلها ما يمكن أن يعيننا على تبين خطوط النظام الإداري والمالي الذي سار عليه العرب في حكم إفريقية والمغرب في عصر الولاة .

(١) روى ذلك صاحب فتح الأندلس، ص ٣٤ .

(٢) هذا الرأي الجديد في ثورة البربر مأخوذ من بحث للمؤلف نشر في المجلد الأول من مجلة كلية الآداب بجامعة الكويت .

شواهد أخرى على صحة هذا الرأي

من مميزات الثورات أنها تميز المجتمعات هذا عنيفاً يقلب الأوضاع فيها ويجعل أسافلها أعاليها فيكشف للعين الكثير مما كان خافياً من أحوال المجتمع ونظمه التي يصعب التعرف عليها في عصور الاستقرار وثبات الأحوال ، ومن هنا كانت الدراسة العميقة لعصور الثورات عظيمة القيمة في تعرف أحوال المجتمعات قبل وقوعها وفي أثنائها .

وهذا يصدق تماماً على هذه الثورة المغربية التي هزت كيان المغرب في عصر السلافة ، وكانت كيانها إعصار عنيف اجتاح المغرب كله فقلب أوضاعه قلباً تاماً ، وأطلعنا أهل بعض ما كان خافياً من تلك الأوضاع وأثارتا بشواهد على ما قلناه .

فقد قلنا إن العمليات الأربع التي انقسمت إليها ولاية إفريقية والمغرب انقسمت إلى وحدات إدارية أصغر في إفريقية التي كانت تتكون من طرابلس وإفريقية والزاب . وهذه الأقسام الأصغر تنقسم بدورها إلى عمليات مراكزها المدن مثل قابس وطرابلس وقفصة والفيروان وتونس وتوزر والسبلة وطبسة وباتجاية وما إلى ذلك .

ولكننا لا نملك شواهد تدل على أن أعمال المغرب الأوسط أي تلمسان والمغرب الأقصى والسوس قد انقسمت بدورها إلى أقسام إدارية أصغر في المدن والنواحي ، ولكننا قلنا على أن هذه العمليات الثلاث انقسمت إلى أقسام إدارية محلية تولت الرياسة والحكم فيها أمر حربية أو مستعربة قامت بأموورها لحساب العمال أو مستقلة بنفسها . وقلنا أن هذه الأسر سادت في هذه النواحي وانفردت بها على أسس قريية من الإقطاع ، فهي تحوز الناحية وتحكمها وتتعهد بإقامة شعائر الإسلام فيها وتقديم عون عسكري ، وربما شيء من المال مما يجنيه في الناحية . وروينا أنه في بعض الأحيان كان رأس الأسرة صاحبة الإقطاع يعمل على الحصول على تأكيد لإقطاعه من الخليفة في دمشق .

ولا تستعمل مراجعنا لفظ « إقطاع » لأن هذا المصطلح بمفهومه الذي ساد في بلاد الإسلام في العصور المتأخرة لم يكن قد أصبح بعد نظاماً معمولاً به له قواعد السياسية والمالية المقررة ، ولكن النظام الذي سادت عليه هذه الأسر وعلاقتها بالحكومة المركزية كانت إقطاعية الطابع في مجموعها .

والتصوُّج المعروف لهذه البيوت هو بيت صالح بن منصور الجني الملقب بالعبد الصالح الذي كان رأس جماعة من الحميريين منحه موسى بن نصير ناحية النكور إقطاعاً له ، ثم بُنيت له الإقطاع الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وقد اتخذ السرجل لنفسه لقب الأمير وحكم نحو ثلاثين سنة (٩١ - ١٢٣ / ٧١٠ - ٧٤٠) ، وعمل يديه أسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة ، ثم ارتد أكثرهم لما ثقلت عليهم شرائع الإسلام ، وقدموا على أنفسهم رجلاً يسمى داود ويعرف بالرندي ، وكان من نفرة وأخرجوا صالحاً ، ثم اتفاهم الله بهداء وقابوا من شركهم وقتلوا الرندي وامشروا صالحاً ، فبقي هناك إلى أن مات بشمالاً^(١) ، وخلفه بنوه ، وقد استمرت هذه الأسرة تحكم هذه الناحية الصغيرة حتى سنة ٤٧٣ / ١٠٨٠ - ١٠٨١ عندما استولى يوسف بن تاشفين على النكور وخلع آخر بني صالح .

وفي أثناء تصاريف الثورة وتقلباتها نجد أسماء عرب آخرين استقروا في ضواح أخرى من المغرب وحكموها على هذا الأساس وإن لم تطل أيامهم كما طالت أيام بني صالح في نكور ، فهناك مثلاً حبيب بن مسعود شيخ عرب مبروت والقائم بأمرها عندما قامت الثورة ، ومثله صفوان بن أبي مالك صاحب طرابلس ويوصف أحياناً بأنه أميرها^(٢) ، وسعيد بن بجرة الغساني صاحب قبايس ، وعامر بن نافع بن الأزرق صاحب سيبه (في الزاب) ، بل هناك رجل يسمى عبد الله بن مسعود التجيبي يوصف بأنه كان إمام بربر طرابلس حتى قتله عبد الرحمن بن حبيب ، وعمرو بن الوليد الصدفي الذي رأس في

(١) ابن عبد الحكم ، فتح المبرقة والأندلس ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٦ .

نونس ، وأبو عطفان عمران بن عطفان الأزدي الذي رأس في الساحل ،
وعبد الله بن حيان الأباضي زعيم الأباضية زويلة ، وتصيرين حاتم الأباضي شيخ
باجة ، وإسماعيل بن زياد الأباضي الذي يذكر أنه ثار على عبد الرحمن بن حبيب
فيسمعه من بربر نفوسة واستولى على قايس .

ومن أمثلة هؤلاء الرؤساء في أثناء تلك الثورة عكاشة بن أيوب الفزاري^(١)
(من ناحية قايس) ، وهو فزاري بالولاء ، وعبد الواحد بن يزيد الحواري وأبو
يوسف الحواري ، « وكان طائفة من طواحي البربر » كما يقول ابن
عبد الحكم^(٢) ، وهناك أيضاً ثابت الصنهاجي وصاحبه عبد الله بن سكرتيد ،
وقد ثارا في ناحية باجة واستقلا بها . ومن طرائف هذه الشخصيات البربرية
المستعربة التي رأست في تواجدها عقب لفتح عبد الجبار بن قيس المرادي
والخارث بن تليد الحضرمي من رؤساء جماعات البربر في إقليم طرابلس ،
وكلاهما يُلقب بالحواري ، أي لأنها بربريان حواريان أصلاً ثم دخلا في ولاد
العرب فأصبح واحد منهما مرادياً والثاني حضرمياً (وكلا النسبين بمبادئ) ،
ورأس كل منهما ناحيته ، فلما قامت الثورة أخذوا بمبادئ الأباضية ، وقد حدث
أن حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع تولى طرابلس
لأبيه عبد الرحمن فقبض على شيخ عربي ممن رأسوا في نواحي طرابلس واحتنقوا
الأباضية فقتله ، قتار له عبد الجبار بن قيس والخارث بن تليد الحواريان
المستعربان « واستولى عبد الجبار على زناتة وأرضها » كما يقول ابن
عبد الحكم^(٣) ، وقد بلغ من تدخل العرب والبربر المستعربة في هذه الفترة أن
عبد الرحمن بن حبيب أراد أن ينفي شر عبد الجبار والخارث الحواريين فأقام على
طرابلس حرباً هو يزيد بن صفوان المعافري ، فنقب هذا حوارياً مستعرباً هو
بجاهد بن مسلم الحواري « وليستألف الناس ويقطع عن عبد الجبار حوارة

(١) ابن عبد الحكم ، فتح ص ٩٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٩٧ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتح ص ١٠٦ .

والجبرهم ، وبعد نزاعٍ طويلٍ انتصر عبد الجبار والحارث واستوليا على طرابلس كلها^(١) حياً من الزمن ، ثم وقع الخلاف بينهما وتقاتلا ، فولى البربر على أنفسهم إسماعيل بن زيد النفوي ، فعظم شأنه وكثر تبعه ، فخرج إليه عبد الرحمن بن حبيب حتى إذا كان بقباس قدم عمه شعيب بن عثمان فلقى إسماعيل ، فقتل إسماعيل وأصحابه ، وأسر من البربر أسارى كثيرة^(٢) ، وهؤلاء البربر المستعربة كلهم كانوا رؤساء في نواحي إقليم طرابلس على الأساس الذي ذكرناه ، وعندما قام عبد الرحمن بن حبيب وطمح إلى الاستبداد بأمر المغرب كله استعان برؤساء وزعماء من العرب البليديين ممن أسوا بدورهم في بعض نواحي المغرب للقبض على رؤساء البربر المستعربة الذين ثألوه ، وجددير بنا أن نلاحظ أن احتشاق أولئك الرؤساء من البربر للأباضية والصفوية كان وسيلة لجأوا إليها في تأكيد حقهم في الرياسة ، لأن مبادئ الخارجية تقرر أن الرياسة حق لأصليح المسلمين سواء أكان عربياً أو غير عربي .

وقد استمر أولئك الرؤساء من البربر المستعربين يتمسكون بحقوقهم في رياسة قبائلهم وحكم نواحيهم بعد أن تم النصر لعبد الرحمن بن حبيب وأقبل هو وآله الفهريون يتزعمون أولئك الرؤساء من نواحيهم فطال النزاع ولم يوفق بنو حبيب الفهريون فيما طلبوا ، بل كانت نهايتهم على يد زعيم من زعماء أولئك البربر المستعربين وهو حاصم بن جميل شيخ قبيلة ورفجومة الزناتية ، وكان يته قد رأس في ناحية سدرة يقرر العرب أثناء الفتح .

واستمر النزاع بين الحكومة المركزية وهؤلاء الرؤساء من البربر طوال أيام المهالبة أيضاً ، ومن أمثلتهم في ذلك العصر أبو يحيى بن قريش الطواري الذي امتنع على يزيد بن حاتم ورفض أن ينزل له عن حقه في ناحيته مما أدى إلى حرب طويلة بينها .

(١) نفس المصدر ص ١٠٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٨ .

ومن هؤلاء الرؤساء من البيروم المستعربة أبو القاسم صفرون بن واسول المكشحي جد بني واسول الذين انشأوا دولة بني مدوار في سجلماسة ، فقد أسلم جدهم أبو القاسم أيام الفتح ، وكان اسمه سمكو أو صفرون (الذي حرفة بعض النسخ إلى شعرون وزعموا تبعاً لذلك أنه كان يهودياً) بن مصلان ، ثم عاد إلى بلده ورأس في ناحيته ، فلما دخل مذهب الصفرية ناحية سجلماسة قام أولاد صفرون بتأييد عيسى بن يزيد في قيادة الجماعة ، عاد الأمر إلى بيت القاسم بن صفرون وثوى الرئاسة منهم إلياس بن أبي القاسم ثم أخوه أليسع وهو المؤسس الحقيقي لهذا البيت^(١) ، ولأبن خلدون في أولية هذا البيت عبارة غزيرة المعنى التاريخي قال : « كان أهل مواطن سجلماسة من مكناسة يدينون لأول الإسلام بدين الصفرية من الخوارج ، لقنوه عن أئمتهم ورؤوسهم من العرب لما لحقوا المغرب وانتزوا على الأصقاع ، وماجت أقطار المغرب بفتنة يسيرة ، فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم نقضوا طاعة الخلفاء وولوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب ورؤوسهم الخوارج واحتفظوا مدينة سجلماسة لأربعين ومائة من الهجرة ، ودخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في دينهم . . . »^(٢) ومن هذه العبارة نفهم الحقائق التالية :

١ - إن قرأ من رؤوس العرب وأئمتهم لحقوا بالمغرب لأول الفتح وانتزوا على الأصقاع ، أي استقلوا بها ، أي « تقاسموها » ، كما قال ابن خلدون في عبارة أخرى ذكرناها .

٢ - فلما انتشرت بينهم مذاهب الخارجية نقضوا طاعة الخلفاء . ومعنى هذا أنهم كانوا قبل ذلك في طاعة الخلفاء أي إن تقاسمهم الأصقاع والنواحي كان يرخص من دولة الخلافة وإقرارها .

(١) ابن خلدون ، تاريخ ٦/٢١٨ .

(٢) نفس المصدر ٦/٣٦٧ .

٣ - وعقب دخول أولئك المكنايين في الأماضية وخروجهم على طاعة الخلفاء
ولوا على أنفسهم أميراً من موالي العرب ورؤوس الخوارج هو عيسى بن
يزيد الأسود .

٤ - ثم غضبوا على عيسى بن يزيد وعزلوه وقتلوه وأقاموا على أنفسهم أبا
القاسم صفوان أميراً مستقلاً سنة ١٥٥ / ٧٧٦ فكان هذا نهاية عصر الولاة
بالنسبة لتاحية سجلماسة الواسعة التي تشمل منطقة متابع نهر درعة في
جنوبي المغرب .

وهذه كلها حقائق تؤيد ما نقلوه . ومعنى هذا أننا نجد شواهد واضحة
على هذا القول في التاحيتين من المغرب اللتين تملك عن تاريخهما في هذه
العصور بعض التضميل .

بل لدينا أخبار عن حرب تبريرا بطول المقام في المغرب واتصال رياستهم
على القبائل البربرية في النواحي التي استقروا بها ، وليست هذه المظاهرات
بالجديدة على تاريخ الإسلام ، فهناك أيضاً حرب استعجموا بطول مقامهم في
إيران واختلاطهم بالإيرانيين حتى صاروا منهم ، ومن أمثلة هؤلاء في المغرب
عبد الملك بن أبي الجعد الوردنجومي صاحب عاصم بن جميل شيخ قبيلة
وردنجومة الذي ذكرناه ، فهذا الرجل الذي يوصف بأنه وردنجومي لا بد أن
يكون عربي الأصل ، فإن البربري مهما استعرب لا يسمى بابن أبي الجعد ،
فهذا الاسم عربي قح ، ومثله في ذلك كليب بن جريح الكلبي الذي ينسب إلى
هوارة ، وصاحبه عياض بن وهب المسواري أيضاً ، وربما كان هؤلاء من
بسيهم البكري ، بالمولدين ، أي مولدي المغرب ، أي الذين ينحدرون من
آباء عرب وأمهات بربريات من بنات القبائل البربرية التي عاشوا في منازلها ،
فقد ذكر أبو عبيد البكري في كلامه على قرية صغيرة قرب نهضة (جنوبي
يسكرة الحالية) تسمى بطنوس طائفة وقال : « وهي ثلاث مدن ، إحداهما
يسكنها المرثدون ، والثانية يسكنها اليمن ، والثالثة يسكنها قيس ، ولا بد أن

انقسام هذا البلد الصغير إلى تلك الأقسام الثلاثة يرجع إلى عصر الولاة ، لأن الكلام على القسمة والهيمنة بدأ في الثلاثي بقيام الدولة العباسية ، ولم يعد له وجود فعلي يذكر في أواخر القرن الهجري الثاني .

ونخرج من هذا التفصيل بالقول بأن الفاتحين العرب وأوائل الولاة تركوا بالفعل البيوت العربية أو البربرية المستعمرة عن اتصال بهم وأسلم وحمل معهم تنزل بالنواحي وترأس فيها وتقوم بحكمها ، والمفروض طبيعة الحال أنه حدث هنا ما حدث بالنسبة لمعظم القبائل العربية وممازجها في شبه الجزيرة العربية : أسلمت القبائل وأصبحت مواطنة في دولة الإسلام وأرسلت رجالاً منها للإشتراك في الفتح ، وفي مقابل ذلك احتفظت بالسيادة في نواحيها ، وحصل رؤسائها على تثبيت لرياستهم ولحقوق قبائلهم في أراضيها وهذا واضح في الكتب التي كان رسول الله ﷺ يكتبها لوفود القبائل التي جاءت تعلن إسلامها في عام الوفود خاصة ، وقد جرت عادة الرسول على أن يرسل إلى القبيلة نفرًا من المسلمين يعلمون الناس شرائع الإسلام ، وقد يكون فيهم مصدق أي مشرف على عملية إنعراج الصدقات وتسلم نصيب الجماعة الإسلامية منها . وتعرض فيما يتصل بالمغرب أن مثل هذا حدث فيه وقد أتينا بشواهد كثيرة على أن العرب الذين كانوا يرسلون إلى القبائل البربرية ليعلموهم الإسلام كانوا يصبحون رؤساء في نفس الوقت ، وقد رأينا هذا في حالتين محددتين هما حالتا بني صالح في تكور وبني أبي القاسم سمغون في سجلماسة ، والأولون عرب الآخرون بربر مستعمرة ، وجددير بالملاحظة أن اختيار مُعلم الإسلام والإمام رئيساً فعلياً للجماعة قلل سلطتها كمنه تقليد استقر في المغرب ، ففي القرن الخامس الهجري ذهب عبد الله بن ياسين إلى منزل قبيلة جدالة ثم لشونة معلماً وإماماً لشؤون الدين ، ولكنه رأس الناس ولقد هم لأول نزوله ، فكان ذلك ميلاداً لدولة المرابطين .

وإذن فقد شملت ولاية إفريقية والمغرب الشمالي الإفريقي كله من حدود صرت إلى ساحل المحيط ، وانقسمت بعد ذلك إلى أربع عمالات كبرى هي

إفريقية والمغرب الأوسط أو تلمسان والمغرب الأقصى أو طنجة ثم السوس أو سجلماسة . وكانت كبرى هذه الولايات وأكثرها نظاماً إفريقية ولقد ذكرنا حدودها وانقسمت إلى عمالات مراكزها المدن ، ودون ذلك كانت ولايات القبائل في منازلها ترأسها بيوت عربية أو بربرية مستعربة ، وفي ولايات المغرب الأوسط والمغرب الأقصى والسوس لم نسمع بعمالات في المدن ، وإنما انقسمت الناحية إلى ولايات القبائل ورؤسائها من عرب أو بربر مستعربة ، وتحولت هذه الولايات القبلية إلى وحدات سياسية ، خاصة عندما اهتم الرؤساء بإنشاء المدن لتكون مراكز لسلطانهم، والكثير جداً من مدن المغرب التي ظهرت في العصور الإسلامية أنشأتها رياسات القبائل التي ذكرناها ، ولهذا فإن أسماؤها في الغالب أسماء قبائل مثل مكناسة وتامزغران ووهران وتافلالت وحصن مرينية وتاونت أو أسماء جماعة مثل الأتصاريين وبنو مروان وبنو مغراويين وبنو وارث وعقبة الأفارق وقرية الصغالبه وقد تنسب إلى مؤسسها من رؤساء القبائل وهو كثير .

لقد كان نظاماً بسيطاً ولكنه كان طبعياً وناجباً من ظروف المغرب نفسها ومعتمداً في نفس الوقت على سوابق جرت عليها دولة الخلافة في الشرق ، ولهذا كان ناجحاً ، فإن هذه البيوت ربطت الجماعات البربرية بجماعة الإسلام ربطاً عميقاً وإن لم تربطها بدولته ربطاً يهذ الإحكام ، ولكن الإسلام دين ونظام وحضارة قبل أن يكون دولة ، ثم إن الربط بالدولة المركزية مهما كان متيناً فقد كان مصيره إلى الضعف والتلاشي لتظهر الوحدات المحلية في صورتها الإسلامية العربية ، وهذا هو الذي حدث في المغرب . كان هذا التنظيم بداية لعملية « ميشامور فوزيس » عربية إسلامية مغربية أحدثت في تاريخ المغرب أشمل وأعمق تغيير تعرفه . ثم جاءت الغزوة الحلالية فأكملت في عنف كثير عملية تعريب المغرب التي كانت تسير في طريفها في بدء ، ولكنها كانت تسير .

ولقد كانت الثورة التي استلذت في نواحي المغرب ابتداء من

سنة ١٢٢/٧٤٠ في ولاية ابن المهدي واستمرت إلى نهاية العصر الأموي تقريباً ثورة غزيرة أصاب البلاد منها أذى شديد ، وطرقت قلوب الناس وسفكت دماء كثيرة وأضاعت جهوداً كان يمكن أن توجه إلى البناء والتنمية ، وفتحت الباب على مصراعيه لبياتى الخارجية ، بل إلى مذاهب مغارجة عن الإسلام تماماً مثل زندقة يبرغواطة التي طال أمدها ولم يتم القضاء على قيودها إلا على أيدي المرابطون في القرن الخامس الهجري ، ولكنها فيما يبدو لنا كانت ثورة طبيعية أو لم يكن منها مفر ، فإن الإسلام حشر العرب والبربر حشراً في طريق واحد على النحو الذي رأينا ونفرض عليهم أن يعيشوا معاً . فلم يكن من التنازع والتنازع مفر ، وكان لا بد من الصراع حتى ينتهي الجانيان إلى نوع من التآلف أو التعايش كما تقول : استعرب البربر من جانبهم شيئاً وتبرير العرب من جانبهم شيئاً وتلاقى الحيوان في نقطة ما من الطريق وساروا معاً وأصبحت شيئاً واحداً في ظل الإسلام والعروبة في نهاية الأمر .

كانت فترة لا مفر منها إذن ، وقد دأبت شديدة قاسية ، ولكنها انتهت نهاية طيبة ، إذ أخرجت - بعد ولادة عسيرة - شعباً من أكبر ما تعزبه أسيرة الإسلام والعروبة هو شعب المغرب ، وأدخلته في رحاب التاريخ ليقوم بنفسه بتجاربه في الحكم والحياة .

هكذا أسدل الستار على هذه الفترة الإفريقية الكبرى بعد حروب طويلة ودماء غزيرة . ولكن الأهم تكفلت بمحو آثار هذه العداوة ، وبعد أن قامت الدولة الأموية الأندلسية يقليل لن نجد في الأندلس إلا الأندلسيين ولكن أسوأ آثارها أنها قللت من قوة المسلمين في مواصلة الفتح في غالة وهي فرنسا . لقد كان من الممكن قبل هذه الثورة أن يستمر المسلمون في مغازلة ما لم يفزوه بعد من أنحاء الأندلس حتى يستولوا على شبه الجزيرة كلها ، بفضل جموع البربر المهاجرة . أما الآن ، وقد علمت هذه الجموع البربرية إلى بلادها ، وبعد أن هلك منها في الفترة من هلك ، فلم يعد من اليسور تعمير شبه الجزيرة كله بالمسلمين . وانقشع أمام الإنسان الحضارى مجال النمو ، وتجمدت آماله في غزو بلاد المسلمين وليس يخفى

على أحد أن الأندلس الإسلامي إنما أتى من الشمال والغرب - حيث هاجر البربر -
ولم يأت من الشمال الشرقي حيث ظلت جامعات العرب والبربر مقيمة في إقليم
سرقسطة .

الفصل السادس
القياسية واليمينية

٨١ - مؤرخو الأندلس والعباد بين نسبة واليهبة
 عندما نشر راينهاردت بيتر - أن تودزي كتابه المشهور في تاريخ الأندلس - المعروف بـ «تاريخ مسلمي إسبانيا» لأول مرة على نسبة واليهبة الحروب القبلية التي وقعت بين حرب الأندلس خلال عصر الولاة، وبالغ في تصوير هذه الحروب حتى جعل العرب الذين استقروا في شبه الجزيرة شرايم من أجل العصبية لا هم غا إلا الاقتتال فيما بين بعضها وبعض، كأنهم كانوا منقسمين إلى شعبين متعادين لا تربط أحدهما بالأخر رابطة، هما شعب عدنان وشعب لحيان، لا يبالى أحدهما بشيء في سبيل القضاء على الأخر، وعلى يصف في إسهاب الوثائق والأيام التي دارت بين الفريقين في نواحي الدولة الإسلامية عامة وفي الأندلس خاصة دون التفات إلى شيء آخر، كان تاريخ العصر الأموي لم يكن إلا تاريخ الصراع بين عرب الشمال وعرب الجنوب^(١).

ومن هنا جاءت الصورة التي رسمها لعصر الولاة في الأندلس صورة مشوهة لا تحمل الحظيفة التاريخية في شيء. ولكن ذلك التشويه لا يخلو من دلالة لها قيمتها. فقد كان تودزي أول من كتب تاريخاً للأندلس على منهج علمي صحيح، وكان أول مؤرخ يحدث التنس هذا التاريخ في مصانره الأولى واقتصر على قراءة هذه المصانره، لوفق فيما نقله فيه مؤرخون لم يتأهلوا لهذا المطلب بأنوائه اللازم^(٢)، ووضع يده

(١) REINHARDT PETER - ANNE DOZY, *Histoire des musulmans d'Espagne* (Londres, 1864)

وقد لقي الكتاب لأول ظهوره رواجاً عظيماً، فأعيد طبعه وترجم إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية. ثم أشرف إيطاليست اليقي - بروكسفل على طبعه طبعاً حديثاً معدلاً منقحاً طبعته في ثلاث مجلدات سنة ١٩٢٢.

(٢) MASDEU, *Historia Crónica de España* (Madrid, 1885).

(٣) مقال ذلك:

على الأصول التي ينبغي أن يؤخذ منها ذلك التاريخ، فتصح بذلك الباب لمن جاء بعده.

وقد نقض آراء دوزي مستشرقون لا يقلون عنه نجراً، مثل يوليوس فلهاوزن وأجناس جولدتسيهر، فلما الأول ظم يقره على ما ذهب إليه من المبالغة في تصوير ما كان بين العدنانية والقطانية⁽¹⁾، وأما جولدتسيهر فتعمق الأمر وبحث موضوع العدنانية والقطانية عامة، وانتهى إلى أن الحجة الغربيين أمرؤوا وأكثروا في ذلك الموضوع دون سائر كتاب من الأصول، فإن العرب في الجاهلية وصدر الإسلام لم يقرؤوا إمام يتقسمون إلى عرب شمال وعرب جنوب، وإنما نشأ ذلك التقسيم بين للعرب إلى شعبين متعادين خلال العصر الأموي ونتيجة لسياسة بني أمية في الاستعانة بجماحة من العرب على جماعة وتقريب قوم دون قوم. فإذا قرب الخليفة الأموي قيساً حظيت قبيلته وحاول أبناء عمومته أن يفيدوا من ذلك، وإذا قرب الخليفة شيخاً كلياً (أي بنيياً) سخطت القبيلة صاحبة الحقوة أولاً. وأخذ كل فريق يتمصب لأصحابه ويحسد على منافسه، فظهر هذا العداء بين العدنانية (أو العلوية) والقطانية، وهو عداء أخذ أسيا شئ، فهو في الشام خصومة الشام واليمن، وفي خراسان عداء مضر وأزد اليمن، وفي الأندلس صراع بين قيس وكلب. وفي أثناء ذلك مضى كل فريق يعتز على صاحبه بأعمال أجداده في

- وقد تحدث في الجزء العشرين منه عن العرب في الأندلس.

JOSE ANTONIO CONDE, *Historia delos Arabes en España*, Madrid, 1920

وأنظر نقد دوزي في القرنين الأولين في أبحاث:

Recherches sur l'émigration et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen-Age (3e. vol. Londres, 1881) vol. I, pp. 30-100.

وأنظر نقد رامون مينند بيدال لعظم ما كتب في أوروبا في التاريخ إسبانيا الإسلامية في:

RAMON MENENDEZ PIDAL, *La España del Califato* 2^{da} ed. Madrid, 1929) tomo I, pp. 3-100.

(1) انظر الترجمة العربية للكتاب.

JULIUS WILHAUSEN, *Das Arabische Reich und Sein Sturz*.

مترجمان: تاريخ الدولة العربية إلى نهاية العصر الأموي، ترجمة الدكتور محمد عبد الحادي أمروني، القاهرة، ١٩٥٧.

الجاهلية، ونسبوا لمؤلاء الأجداد من الوقائع ما لم يكن، وهكذا رجع الناس بخصوصية العدنانية والفسطاطية إلى الوراء وتصوروا أن هذه الخصومة القديمة قدم الجاهلية، ورود المزيخون ذلك كأنه حقيقة واقعة^(١).

وبحسبنا الآن أن نقول أن ما يحكيه مؤرخو الأندلس عن عداوة قيس وبنين في الأندلس مبالغ فيه، أو على الأقل مبالغ في تصويره بحيث يبدو وكأنه هو كل تاريخ الأندلس في عصر الولاة، وهذا هو ما نخرج به من كتابي الأخبار المجموعة والفتاح الأندلسي مثلاً، ومما أكثر المراجع إسهاماً في الكلام على عصر الولاة.

والحقيقة أنه كانت هناك بالفعل عداوة بين قيس وبنين في الأندلس، وأصولها ترجع إلى ما كان بين هلمين الحيين من صراع على السلطان في قلب الدولة الأموية، وكان أحدهما إذا انتصر في مرحلة من مراحل النزاع اقتد على الآخر، فهاجرت جماعات منه إلى الولايات ونفوس أقرانه تفيض بالحنق واللدن، وهناك تنضم إلى من تجده من أبناء عشيرتها، فتجتمع بكسر القبائل، وتتكون الجاهات القيسية والمضرية، ويتجدد النزاع القبلي بصورة أعنف مما كان في قلب الدولة. حدث ذلك في خراسان والمغرب والأندلس وغيرها من الولايات.

ولكن العصية لم تكن وحدها سبب النزاع القبلي في الأقاليم، فقد كان هناك النزاع على المقام والسلطان في الولايات، وكانت هناك مصالح جديدة تختلف من ولاية لولاية، ومن هنا كانت بعض القبائل تنسب عصيتها في سبيل كسب مادي وتنضم إلى قبيل غير قبيلها، وكانت هناك قبائل محابدة، لا هي من قيس ولا من مضر، وكانت تنضم إلى هذا الفريق أو ذلك بحسب ما ثلثه عليها مصالحها. ومن ثم فقد كانت الأحزاب التي اضطرت في الأندلس خليطاً من هلمين الحيين في أغلب الأحيان، ولكن كلت ثقل عليها صفة الأكثرية من جماعتها.

(١) انظر تعليقا على هذا الموضوع على هامش الطبعة الجديدة التي قمنا بها لكتاب جرسي زيدان: العرب قبل الإسلام، القاهرة سنة ١٩٥٧.

وقد رأينا فيها مر من الكلام طلائع الصراع بين القيسية والبيمنية في الأندلس، وكيف بدأ الخيران يتنازعان على السلطان، ثم شغلتها عنه الثورة البربرية أو الفتن المغربية.

فلما انتهت هذه الثورة عملاً الجوهرياً فعاندا إلى النزاع، وأسرفا فيه إسرائفاً تجاوز كل حد، حتى ضعف أمر العرب والإسلام في الأندلس وكاد أمرهما يتلاشى فيه جملة، لو لم تتدبره العناية بعهد الرحمن الداخل.



خرج عبد الملك بن قطن ومن معه من البيمنية مطلقين من المعركة العتيفة مع البربر، كما خرج منها عبد الرحمن بن حبيب في إفريقية، ولكنه لم يطمئن على أمره ما دام بلج وأصحابه إلى جانبه، وقد كان هؤلاء قيسية لا يقنعون بغير الصدارة والقيادة، ثم إن هذا النصر لم يثبت إلا بسببهم، فأقام عبد الملك خائفاً منهم يتربص، ولم تكف الحرب تضع أوزارها حتى أسرع مطالب حلفاءه بمبارحة الأندلس وفاء بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم، فلتكأ هؤلاء حيناً، فما كانوا ليرتكوا هذا البلد الذي أقيمت عليهم التهمة فيه إلا إذا أخرجتهم منه قوة. ثم إن عبد الملك لم يكن خالص النية نحوهم، إذ اعتذر عن إعادتهم إلى إفريقية جماعة واحدة، وتعلل بأنه لا يملك سفناً كافية لنقلهم وما جمعوا من خيبرات وغنائم. وطلب بلج وأصحابه أن يبحروا من الجنوب الشرقي من ناحية تدمير (مرمية) حتى يستطيعوا العبور إلى ناحية أخرى من إفريقية يستطيعون الذهاب منها إلى القيروان، ولكن عبد الملك أصر على أن يبحروا من الجزيرة الخضراء، وتعلل بأنه لا يستطيع نقل سفنه من هذه الناحية خوفاً من انهيار البربر الفرصة والعبور إلى الأندلس^(١).

(١) الأخبار المجموعة، ص ٤٠-٤١.

ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٦.

ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٨٩.

المغربي: فتح الطب، ج ٢، ص ١٣.

٥٢- بلغ من بشر وليس إلى الشك سبيل في أن عبد الملك لو روق ثم بعده ليجثوا بل لمر الأندلس عن تعلقة أخرى للبقاء في الأندلس، فقد أصابوا فيه من الخير ما لم يكونوا يظنون به، فأما وقد بدأ هو بالعشوان - لسوء رأيه وقلة نياسته - فلم يعدوا يرون حرجاً في مناصبه العدا ومهاجته، ووثبوا به في أوائل ذي القعدة ١٢٣هـ (٢٠ سبتمبر سنة ٧٤١ م) وغلموه وأخرجوه من القصر وأقلعوا أميرهم بلجاً والياً على الأندلس. وأقام عبد الملك شبه سجين في دار له بقرطبة تسمى دار ابن أيوب، وأعلنت ابنة قطن وأمية، للحق أولها بأربونة حيث كان يقود جند المسلمين عبد الرحمن بن علقمة اللخمي وكان من أنصار عبد الملك بن قطن، وجعلوا يظنونه معاً فيها عسى أن يصتعا إزاء هؤلاء القيسيين الذين لم يطمئن لهم جنب حتى أزلوا البحنة عن الإمارة جملة. وأما أمية بن قطن فلحق بماردة حيث اجتمع عليه نفرٌ من عرب الأندلس وبربرها واحتفظوا يتحفزون للأخذ بشركهم من بلج وأصحابه^(١).

أثار انتصار الشامية هذا ثائرة أهل البلد جميعاً: عرباً وبربراً وإسباناً، إذا اعتبرهم الجميع أجناب ينهي إخراجهم على أية صورة. لم يخف العرب منهم موقف عربي من عربي بل موافق صاحب البلد من قازٍ أجنبي، ولهذا نجد قدماء عرب الأندلس - مينة وقبسة - يشرون على هؤلاء الشامية بدأ واحدة ومحاولون إخراجهم. وتلك هي الفترة التي ظهر فيها التمييز بين ما يسمى بالبلديين والشاميين، فأما البلديون فهم عرب طائفة موسى ومن أتى بعدهم من أرسال العرب، وقد استقروا في البلد ورسخت جذورهم في نواحيها قرابة ثلاثين سنة، وتوشجت بينهم وبين أهلها الأواصر، وكان معظمهم مينة، والبحنة ذات حمل إلى التمييز والاستقرار والمفود، فتوثت الصلات بينهم وبين الأرض وأهلها. وأما الشاميون فهم هذه الجماعة التي أتت مع بلج، ومعظمهم قبسة، وقد نظر أهل

(١) الأحبار الصرفة، ص ٤٣.

ابن عذاري: البيان المغرب، ص ٣٢.

العري: فتح الطيب، ج ٢، ص ١٣، ١٧.

البلاد إليهم على أنهم أجانب كما قلنا، واجتمعت كلمتهم على حريم^(١)، ولو لم يكونوا على جانب عظيم من الشجاعة والهلوة الحربية لذهبت ريجهم أو لاندبحوا في الأعرين. وكان من سوء حظ الأندلس أن يكونوا من نخيرة العرب شجاعة وقادرة، فطال البلاء بهم واستمرت الحرب بينهم وبين البلديين سجالاً.

ويبدو أن عبد الرحمن بن حلقمة اللخمي لم يهزم أمره على السير لحرب بلج وأصحابه إلا حينها بلغة نأ مقتل عبد الملك بن قطن القهري، فجالست نفسه ونفس حليفه قطن بن عبد الملك ومن معها من البلديين ومن التف حولها من البربر وأهل البلد لطلب الثأر، وساروا حرب بلج ومن معه من القيسية. وأما مقتل عبد الملك فقد وقع بعد ولاية بلج بقليل: ذلك أن عامل عبد الملك على الجزيرة الخضراء أهمل في أمر رهائن القيسية الشامية الذين كانوا في جزيرة أم حكيم، ولم يرسل إليهم الماء بانتظام، وكان الماء يحمل إلى هذه الجزيرة إذ لم يكن فيها ماء. فلما تولى بلج أسرع فأرسل بفك أسر هؤلاء الرهائن، لوجدتهم على أسوأ حال من الإجهاد والعطش، ووجد أن أحدتهم - وهو خساني من أهل دمشق - قد مات عطشاً، فنهض اليعنوني من أهل قرطبة يطالبون بلجاً برأس عبد الملك فداء لابن عشرين الغساني، وقلنا بلج إذ تفرقت نفسه عن قتل عبد الملك وهو شيخ قد عدا التسعين، ثم إن مسؤوليته عن موت الغساني لم تثبت، فشكل اليعنوني في نوابها بلج وظنوه لا يهتم لثأرهم أو يحفظ حل عبد الملك لأنه من مضر مثله، وكانت الفتنة تلح بينهم وبينه، فلما لم يجد من الأمر بداً أراح لهم دمه، فأخرجوه وهو شيخ كأنه فرخ نعامه، وهو ابن تسعين سنة أو أكثر، حضر الحرة مع أهل المدينة، ومنها قُل إلى إفريقية، فأخرجوه، وهم ينادونه: وبا فالأ قللت من سيرتنا يوم الحرة ثم عرضنا (لم) أكل الكلاب والجلود طلياً بثر الحرة، ثم يعتّ جند أمير المؤمنين^(٢). ثم قتلوه وصلبوا رفاقه وعن يمينه تخزير وعن يساره كلب، إمعاناً في الترواية والتكايه^(٣).

(١) ابن القزويني / الفتوح، ص ١٧.

(٢) الأندلس المحصورة، ص ٤٢ - ابن عساقري: البيداء المغرب، ج ٢ ص ٣٢

فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بن علقمة اللخمي وقطن بن عبد الملك ومن معها من العرب في إقليم أريوة، ثارت في نفوسهم الحمية لطلب الثأر، وساروا بجيهم نحو قرطبة للقاء الشاميين وحريمهم، وثارت العصية مرة أخرى في نواحي الأندلس كلها، وتسارع اليمينيون للانضمام إلى عبد الرحمن بن علقمة، وجمع بلج من استطاع جمعه من قيس ومن انضم إليهم من مواليهم من البربر ومن أهل البلد الإسبان، وطبقي أن يكون جمع اليمينية أضخم لأن معظم البلديين انضموا إليهم، فيقال أن عددهم بلغ أربعين ألفاً، ومائة ألف على قول آخر، في حين لم يزد من مع بلج عن اثني عشر ألفاً، وعسكر بلج وأصحابه في موضع يقال له أفرة بقرطبة على بردين من قرطبة^(١).

ولم يلبث عبد الرحمن ومن معه أن أقبلوا بجيوشهم، ووقع اللقاء
 ٨٤ - سوتعة
 اتوا برضوة بينهم وبين ولم يعرف عرب الأندلس ولعبة بينهم وبين أنفسهم أعطف ولا أحمى ولا أبعد أثراً من هذه، لقد تقاضى الجانبان في القتال وتناحط الألاف منهم جرحى، وحسب عبد الرحمن بن علقمة أنه يضع حداً لهذه المذبحة إذا قتل بلجاً، وكان عبد الرحمن أعظم مقاتلي الأندلس وأرماهم بالنبل، فسأل عن بلج فدلوه عليه، فزوق نحوه سهامه ومضى نحوه على عجل وضربه بالسيف ضربتين أصابته من مقتلاً. ويبدو أن هجومه زعزع الشامية عن مواضعها حتى خشي رجالها الفزعة، فتصدى له واحد منهم هو الحصون بن الدجن العقيلي قائد خيل جند قنشرين وثبت له وجعل يعده ومن معه عن الميدان حتى انفرد به وشغفه عن المعركة الدائرة، وانتهز البلجيون الفرصة فهجموا على بقية البلديين هجمة قصصوا بها ظهورهم وألحقوا بهم مقتلة شديدة، واستمر القتال أياماً، ومات بلج بعد يومين متأثراً بجراحه، فتولى قيادة الشاميين ثعلبة بن سلامة العاملي، ورجحت كفة البلديين حيناً وانهمزوا إلى ساردة حيث أقبلت جموع

(١) ابن القزويني: الفتوح، ص ١٦.

الأخبار المصنوعة، ص ٤٢

وانظر عن أفرة برضوة للمصنف الجغرافي المسلم ترجمة لاثومني اكتشفتها لأخبار المصنوعة، ص

البلديين ومن معهم من البربر محاصريهم، وخلف ثعلبة الهزيمة، فكتب إلى خليفته فرطبة أن يخرج لتأجزة أهل البلد. وطال القتال، وحضر عبد الأضحى، فتغل به البلديون عن قتال الشاميين، فانتهز هؤلاء فرطبة، وبتعضوا فيهم نهضة أزالتهم عن مواضعهم وأزلت بهم مذبحة وهزيمة عظيمة، وهذا انتهى هذا الصراع العنيف بهزيمة ساحقة للبينية والبلديين. وقد كانت الهزيمة ساحقة إلى درجة قلت شريهم وأضعفتهم وأخرجتهم من ميدان السياسة ومن القيادة، ومن ذلك الحين أخذ معظمهم يتفرقون في نواحي البلاد، ويشغولون بالزراعة والتجارة وما إليها من أمور المعاش وشؤون النشاط السلمي. ومن هنا أهمية هذه الواقعة في تاريخ البلاد الاجتماعي^(١). ولم يستطع من بقي منهم في الميدان النهوض من جديد، إلا حينما أقبل عبد الرحمن الداخل على ما سيأتي ذكره.

والقرب ثعلبة من سلامة العامل بين معه من فرطبة يجر في ركابه من وقع في قبضته من كبار البينية وفرارهم أسرى، ونزل عند المصاراة^(٢) من ظواهر فرطبة وعقد سوقاً لبيع هؤلاء الأسرى، وقد أراد له لحد العداوة أن يبيعهم لمن ينقص لمن يزيد! فجعل الناس يتفصون حتى بيع وأحد من كبارهم بكلب وثاني بعود، واستمرت هذه المهزلة للمكية أياماً^(٣).

(١) الأخبار المجموعة، ص ٤٥.

ابن عسار: البيان، ج ٢، ص ٣٣-٣٤.
والنظر عن ثعلبة بن سلامة:

القصي: بنية القمص، ص ٢٢٣-٢٢٩ رقم ٦٠٦.
المصري: فتح الطبيب، ج ٢، ص ١٣-١٤.

(٢) تقع إلى شمال فرطبة، ويذكر لافونتي أنكارا في قاموس الجغرافي الذي قيل به ترجمته للأخبار للمصورة أن موضعها كان موضع طاحونة زيت (المصاراة - المصارة - المصارة - بالاسبانية) انظر الترجمة الإسبانية، ص ٢٤ هامش.

(٣) الأخبار المجموعة، ص ٤٦.

ابن عسار: البيان، ج ٢، ص ٣٣-٣٤.

١٥٠ - ص ١٥٠
 فنيا ثعلبة في ذلك إذا ضجة تتعالى من بعيد، وإذا موكب يقترب،
 أبي الخطار بن ونظر الجميع فإذا والد جديد للأندلس يقبل ومعه وثيقة التعمين من
 الحسام الكشي حنظلة بن صفوان عامل إفريقية، وهو أبو الخطار الحسام بن ضرار
 الكلبي، بعثته العتابية في هذه اللحظة لينفذ أسرى البليديين من هذا البلاد المهين
 الذي كان ثعلبة ومن معه من الشاميين يصرون على إزالته بهم. وكان أبو الخطار
 رجلاً من خيار أهل الشام من أهل دمشق، فرضي به الشاميون والبيديون،
 وأطلق الأسرى والسبي، فسمي ذلك المعسكر «عسكر العافية»، وأقلت ثعلبة بن
 سلامة وعثمان بن أبي سعة وعشرة من قواد الشام، وأمن إبي عبد الملك بن
 قطن، فاستقامت حال الناس بالأندلس، وأتزل أهل الشام بالكور^(١).

وبدا أبو الخطار ولايته على الأندلس في ذلك اليوم من رجب سنة ١٢٥ هـ
 (مايو سنة ٧٤٣ م). وصانف بعده ولايته ميلاً عاماً من مسلمي الأندلس إلى
 المهانة والسكينة بعدما كان من شروخ العصبية، وكانت الحروب قد أنهكتهم
 وكادت تفشيهم حتى عشوا على أنفسهم غائلة نصارى الشمال، وكانوا قد بعثوا إلى

(١) الأبحار المجرعة، ص ٤٦. الكشي: بنية للقصص، ص ٦٦١-٦٦٢ رقم ٦٨٦.

وقد أمدنا ابن القوطية بملاحظات غنية عن ولاية أبي الخطار، فقال إن عتاشاً حينما بلغه ما فيه
 حرب الأندلس من القراق وحروب شارل ابن لويه العباس بن الوليد (يذكر ابن القوطية خطأ أنه
 أخوه) نصحه بأن يمدد من عتاشة اليمانية القشتالية لكي يجذب قلوبهم، فاستمع نصيحته ودلى
 حنظلة بن صفوان الكشي إمرية وأمره بأن يرسل ابن عمه أبا الخطار الأندلس فسلمى أبو الخطار في
 نحو ثلاثين رجلاً من الشاميين ومن عرب إفريقية، وبسببهم ابن القوطية الطالعة الثانية من
 الشاميين. ولما أتت أخبار حرب الأندلس، فسار مستقراً وأخضع لواء الولاية الذي أعطاه إياه
 حنظلة في حية كانت معه، فلما تزل بواسط شوش والقرب من الكنان الذي كان القريظان يتعززان
 فيه بطن قرظية، وقع اللواء وأعلن نفسه للخريطين، فصارها إليه كل يشكروا الأجر فاشترط
 عليهم السبع والطلاعة، فأقبلوا ويكره البيهون أنهم لا يمتثلون للشاميين ولا بد من إخراجهم
 عنهم، فغلب إبيهم أن يهملوا حتى يدخل قرظية ويسارح، ثم يفتل في أرحم والمدل، فأقبلوا.
 وقد بدأ أمره وأخرج ثعلبة بن سلامة العاطلي والوفد من عبد العزيز الكشي وعثمان بن أبي سعة
 الحشمي من الأندلس إلى طلمة بإفريقية، ثم تم بتفريق الشاميين في إواص الأندلس على ما سبلنا
 بيانه.

الطرق: فتح الأندلس، ص ٦٩-٧٠.

احتظة وقدأ منهم بسط له سوء حال الأندلس ويرجوه أن يغثها برجل فاضل يكف القتال ويقر السلام بين الجماعات المتعدية، فتخير لهم أبا الخطار هذا وبعثه في اللحظة المناسبة على ما رأينا، وقد بدأ أبو الخطار ولايته بدءاً حسناً فلمن أمة وقطن ابني عبد الملك بن قطن ومن معها من البشنيون والبلديين اللزوعين بعد هزيمتهم، وأخرج من الأندلس نفراً من المشرقين في عصبيتهم من الشاميين وأعادهم إلى إفريقية وفيهم ثعلبة بن سلامة، وانتهى بعد تفكير إلى ضرورة إبعاد الشامية القيسية عن قرطبة لكي يخلص من متابعهم.

٥٦- إخراج القترح عليهم أبو الخطار أن ينتقلوا إلى الأرياف في الكور، هل أن الشاميين من يجعل لهم ثلث ما يحيى من أهل القلعة في النواحي التي يختارون قرطبة إلى الكور الإقامة فيها. ولم تفعل لنا المراجع هذا الانطلاق بأكثر من ذلك، فلنا نعلم إن كان استقرارهم في هذه النواحي معناه قيامهم بجباية أموالها واحتجاز الثلث لأنفسهم وإرسال الثلثين إلى قرطبة، أو أن عمال والي الأندلس كانوا يبيعون الخراج على العادة ويمطون ثلثه لؤلؤ العرب الشاميين. فإن كان النظام الأول فمعناه أن أبا الخطار أنظمهم هذه النواحي مقابل أن يؤدوا ثلثي خراجها دون أن تتدخل الإدارة المحلية في شؤونهم أو شؤون الإقليم، وإن كان الثاني فمعناه أن هذا الثلث الذي كان يُعطى لهم كان معتبراً «مطاه» عن الخدمة العسكرية التي كانوا ملزمين بأدائها بصفحتهم جنداً رسمياً مقبداً في الديوان. ولكن الغالب أنهم استقروا في هذه النواحي على النظام الأول، أي «مقطعون»، لأن شواهد الحوادث بعد ذلك تدل عليه صراحة، ثم إنه كان - كما سنرى - النظام السائد المتبع في الأندلس إلى ذلك الحين^(١).

(١) الأخبار المصنوعة، ص ٤٦.

يزيد بن يحيى، الجزء الثاني، الشورى أولاً للأخبار المصنوعة، الفقرات من ٦٤ إلى ٦٧.

ابن خلدون: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٤.

المغربي: فتح الطيب، ج ٢، ص ١١-١٤.

ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٠٤.

حرص أبو الخطار، وهو يتوم بذلك، على ألا يمس حقوق البلديين، وكان هؤلاء قد توزعوا فيما بينهم بعض نواحي الأندلس المخصصة على مثل هذا النظام من المقاطعة: كان كثيرون منهم قد استقروا في أقاليم سرقسطة وأريونة وباجة وأشبيلية، فلم يشأ أبو الخطار أن ينزل هؤلاء الشاميين إلى جوارهم، وقد أشار عليه بذلك أربطاس بن غبطة شيخ نصارى اللعة، وكان مقبلاً إذ ذاك في فرطية متنعماً بمقام كريم بين العرب وأهل جنسه وعند الولاة، ويبدو أنه كان مشيراً لهؤلاء، يسألونه الرأي فيما يجزيهم من شؤون البلاد، وهو بما أحرف، وقد أشار على أبي الخطار بذلك، وكان رابهاً حسناً، قبله الشاميون، فباع أبو الخطار إلى إتلافه^(١).

أقر أبو الخطار كل جماعة من الشامية آتية من جند بلد واحد في ناحية، وكان جند مصر أكثرهم عدداً فأنزلهم في ثلاث نواح هي أوكشونية وباجة وتدمير (مرسية)، وأنزل جند حمص في أشبيلية، وجند فلسطين في شذونة، وجند الأردن في ربة (ناحية مالقة)، وجند دمشق في البيرة، وجند قنسرين في إقليم جُبَّان، وبهذا تفرق هذا الجند للشاميين في نواح شتى متباعدة فبدأ أمرهم إلى حين، وكان إنزالهم بعيداً عن مواقع البلديين الأول سبباً في سكون هؤلاء والطمأنينة لعدول أبي الخطار، لأنهم وعلى ما بأيديهم من أموالهم لم يتعرض لهم في شيء منها. فلما وجد الشاميون أنفسهم في بلادٍ «شبه بلادهم» و[في] توسعة، سكنوا واغتبطوا ولغولوا^(٢). فاستقر الكثير منهم في الأرض وأخذ يعمل فيها، وشغلوا بذلك عن

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩.

DOZY, *Manuel de l'Espagne*, I, pp. 166-169.

E. LEVI-PROVENCAL, *Histoire de l'Espagne Musulmane*, I, pp. 34-35.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة (طبعة محمد عباد حنّان، القاهرة ١٩٥٥)، ج ١، ص ١٠٩. انبان القرب، (طبعة تولاان وبروكسل، لندن ١٩٥١) ج ٩، ص ٣٣.

DOZY, *Recherches*, I, pp. 79-80.

SIMONET, *Historia de los Reinos de España*, pp. III, 197-198.

E. LEVI-PROVENCAL, *Man. de l'Espagne Musulmane*, p. 35, note 1.

(٣) فتح الأندلس، ص ٣٧.

متنازعات السياسة والعصبة، ولم يلبثوا أن كثرت أمواتهم، وكان في ذلك خير كثير للأندلس وأهلها.

ولو قد استمر أبو الخطار على هذه السياسة العادلة لصلحت الأحوال وانتهت هذه العصبة البغيضة التي مزقت حرب الأندلس إلى ذلك الحين شر مرقق، ولكنه لم يلبث أن انصرف عن الجفنة ومال إلى عصيته الكلبية البحتة، وكان سبب ذلك مقتل صدوق له عزيز عليه هوسعد بن جواس، فاتهم الشامية القيسية بقتله، وأخذ يتخلفهم وينزل بهم ما يستطيع من الأذى^(١)، فاستمرت نيران عصيتهم من جديد، وبدا يوضح أن الأندلس مشتعلة مرة أخرى بنيران هذه العصبة على صورة أشد مما رأى في سابق الأيام. وحدث أن معنياً كتابياً من الشامية اختلف مع كلبى فشكاه الكلبى إلى أبي الخطار، فجار هذا في حكمه على المعدي (العندائى)، فذهب إلى شيخ من كبار الشامية يسمى الصميل بن حاتم بن شمر - ويلقب بلدى جوشن - يشكوه ما أصابه، فمضى هذا إلى أبي الخطار وكان أبو الخطار يتخوف الصميل، لأن أمر القيسية كان قد انتهى إليه وفالهم بالنجدة والسقاء، وتوجس منه أبو الخطار شراً.

٨٧ - طهر
الصيل بن
حاتم
فلما أقبل الصميل إلى أبي الخطار في شأن العندائى اتهم أبو الخطار
الفرصة وأحب أن يشفي بعض لدد نفسه منه، فلكزه وشتمه وأمر
حاتم
جنته أن يضربوه، فضربوه حتى مالت عيافته من عمل رأسه،
فخرج وقلبه يتلظى بنيران الثأر، وعاد إلى داره بفيل قرطبة فجمع كبار قومه وأخذ
يشاورهم في السبيل التي يستطيعون بها أن يضلوا هذه الإهانة ويدركوا ثأرهم من
أبي الخطار واليمنية^(٢).

وكان الصميل في ذاته شخصية غريبة جداً، تكاد تعتبر في ذاتها نموذجاً لهذا الطراز من العرب الذين دخلوا الإسلام بخيرهم وشرهم، وظلوا فيه على حالهم لم يكف الأيمان بمس فلويهم أو يغير منها شيئاً، وقد وصفه دوزي وصفاً لطيفاً لا بأس

(١) الصبي: بعة القيس، ص ٢٦١.

(٢) الأمازيغ المصنوعة، ص ٥٦ - فتح الأندلس، ص ٣٧.

من إرثه لفته: «لم يكن الصميل رجلاً علياً لا في الخير ولا في الشر، وكانت نفسه بطبيعتها خيرة كريمة ولكنها كانت غاضبة لغتوين متكافئتين من الخير والشر، متعالية جياشة عيفة لا تنسى لؤها. كانت نفسه مهابة تهبة قوية، ولكنها كانت جاهلة نشيطة غاضبة للفرصة للفرصة بقودها الحظ كيف شاء، كانت خليطاً عربياً من الملكات المتعاضبة أشد التعرض. كان يبدو نشطاً مثابراً إذا ما استثيرت عواطفه، فإذا هدأت ثورة نفسه بدا كسولاً قليل الاكتراف. وكانت هاتان الخصلتان الأخيرتان أقرب إلى طبعه. وكان كريماً واسع العطاء، وكانت تلك صفة بقدرها أصحابيا أكثر مما قدرها غيرها، وقد بلغ من كرمه أن شاعره كان يحرص ألا يزوره إلا مرتين في العام، مرة في كل عيد، حتى لا يستفد الصميل ماله، إذ كان أقسم أن يبه كل ما عنده منها رآه. وكان لكل سيد عربي شاعره، كما كان الحال عند سادة العشائر الإسكتلندية، ولم يكن الصميل مع ذلك رجلاً متعلماً، إذ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب»^(١)، عمل الرظم من فرامه بالشعر، وبالشعر الذي يدور حول مدحيه بوجه خاص، وعمل الرظم من أنه كان ينظم الأبيات منه بين الحين والحين، وكان أصحابه يرون أنه أن بعد زمانه»^(٢). بيد أنه كان خبيراً بالحياة لا يكاد يفوته من وجوهها شيء، حتى أن أعداءه أنفسهم كانوا يقررون أنه نموذج كامل للأدب. وشخصية الصميل كانت استمرارية لهذا الطراز من الشرائف العرب القديمة السرفين في حبه للحياة، والذين لم يكونوا مسلمين إلا بالاسم، فقد كانت أخلاقه متحلة، وكان لا يكاد يفعل لشيء من أشراف الدين: فكان يشرب الخمر على الرظم من نهي الدين عنها، فكان يرف في الشراب حتى لينام. كل ليلة سكراناً^(٣). فاما القرآن فقد كان لا يعرف منه شيئاً، ولم يكن ليهتم بتعرف هذا

(١) ابن القزويني: اقتراح، ص ٤٠.

(٢) إشارة إلى قول لوطيوس للصميل في حديث له معه: «ها أنا جوشن، إن عمل حياتك جبروتاً أن أقدم لم بأحدك، ولو أخذت لم تنكر عليّ بر من بروته، أي أن الإسلام لم يؤثر في نفسه، وعلى جعله الخلع والحقن والفرجات».

DOZY, *Manuel des Espagnols* (Mansfeld, Leipzig, 1902) I p. 173-174

ابن القزويني: اقتراح، ص ٤٠.

(٣) الأخبار المصيبة، ص ٧١.

الكتاب، إذ إن مبادئه التي تدعو إلى المساواة كانت قس كبرياء. ولقد خطر يوماً بمؤدب يؤدب الصبيان وهو يقرأ «وتلك الأيام تداولها بين الناس» فقال الصميل: «وتداولها بين العرب» فقال له المؤدب: «بين الناس» قال الصميل: «وهكذا نزلت الآية؟»، قال له: «نعم»، قال الصميل: «والله إنني أرى هذا الأمر مشاركتنا فيه العبيد والسفك والأراذل»^(١) ولا نزاع في أن الكثيرين جداً ممن شارك في فتح الأندلس وساهم في هذه الحروب القبلية بضلع عظيم كان من هذا الطراز، وهذا ما يفسر إصرارهم في حروبهم العنصرية التي نحن بصددنا.

٨٨٠ - مزينة فلما انتهى الصميل إلى داره في حفدة الزيتون قبل قرطبة، جمع من أبو الخطار تقي من الشامية ومضى يستشيرهم فيما هو فاعل. وكان يحس ثقة رولاة نواية بن سلامة العالم الشامية القيسية أمام الكثرة اليمنية الكلية التي كان أبو الخطار يرأسها، فتاب له رأي في التقرب إلى اللخمين والجلذامين من اليمنيين وعرض الرياسة عليهم مقابل معاونته في حربه مع أبي الخطار، وكان يوسف الفهري شيخ الظرفيين حائلاً على أبي الخطار مثلها على فرصة يشفي فيها لده نفسه فاستصوب الشامية وأبه. ولم تكن القيسية إذ ذلك على اتفاق تام، إذ كانت غطفان منحرفة في استنجة، لأن شيخها أبا العطاء كان يحسد الصميل على رياسته للقيسية دونه، لهذا ياعر الصميل بالتوجه إلى استنجة واسترضى أبا العطاء وكسبه إلى جانبه، ثم مضى إلى مورور حيث كانت منازل جذام وشيخها نواية بن سلامة اللخمي. وبهذا جمع الصميل بشائخه وذكائه عصبة قوية من قيس وحكم وجذام ولطفلسان، واجتمع رجال هذه القبائل في شقوة وعزلوا على السير إلى قرطبة وعزل أبي الخطار^(٢).

وعجل أبو الخطار بالخروج للفداء الشامية وهو لا يشك في الظفر، ولم يكن

(١) ابن النوفلي: الفتوح، ص ٤٠.

(٢) DOZY, *Manuel d'Espagne*, t. pp. 173-174.

الأخبار المصنوعة، ص ٥٦.

ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٥.

الفري: فتح القطيب، ج ٢، ص ١٢.

ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٧.

يدري بما دبره الصميل من استمالة لحم وجذام وإضعاف جيبهة اليمنية، وكان اللقاء عند وادي لكة الذي شهد إلى اليوم من حروب المسلمين شيئاً كثيراً. وقد تقاضى معظم الكلية عن قتال بني عمومتهم جذام ولحم، ثم تركوا أبا الخطار في قفة وولوا مديريه، فلبث بعض الوقت حتى اضطر إلى القرار، فلذا هو جاد في قراره يريد قرطبة وقع أسيراً في يد أعدائه، فكبلوه بالحديد، وتولى ثوابه بن سلامة اللخمي أمر الأندلس بحسب ما تم بين الصميل رأس القيسية الشامية وأبي العطاء رأس غطفان. وثوابه هذا سيد لحم وجذام (رجب سنة ١٢٧هـ/ أبريل سنة ٧٤٥م)^(١).

لم تدم ولاية ثوابه إلا عاماً وبعض عام، ولم يحدث فيها من جليل الأمور إلا محاولة أبي الخطار استعادة الولاية وجمعه نقرأ من اليمنية وسيره إلى قرطبة، وقد اندحر أبو الخطار وتبدد كل أمل له في الولاية، وانقضى من صفحات التاريخ الأندلسي بحيلة ماهرة دبرها هذا الرجل الماهر الصميل بن حاتم: حينما عسكر الجيوشان وجهاً لوجه وأعدا يستعدان للحرب، انتهر الصميل فرصة هبوط الليل وبعث رجلاً من معد وقف بمسكر اليمنية وباداهم مؤكداً لهم أنه إنما يقول ما يقول حقاً للدماء لا خوفاً من القتال، وجعل يسفه أخبارهم في السير لتصره أبي الخطار وحرب بني عمومتهم من لحم وجذام، ويذكرهم بأن القيسية لو كانت تريد قتل أبي الخطار لقتلته وقد كان بيدها بالأس أسيراً، وأنهم لا ينبغي أن يخشوا شيئاً من ثوابه لأنه جدامي وجذامي، ففعلت هذه الكلمات فعلها في نفوس اليمنية الكلية وانقضى معسكرهم وعادوا إلى مواطنهم، وهكذا سيد أمر أبي الخطار وضاع أمره، واستطاع الصميل أن يكسب الموقف بذلكه وقدرته^(٢).

وصفا الأمر لثوابه حيناً، ولكن ولايته لم تدم طويلاً كما ذكرنا، فقد حاجله الموت بعد عام من انتصاره الأخير على أبي الخطار. ولم يكف يخفي من الميدان حتى هب ابنه عمر يطالب بأن يخلفه في السيادة. ونهض لماقتسه يحيى بن حريث رأس

(١) الأخبار المجموعة، ص ٥٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٨.

جذام وأحد كبار العرب الذين كونوا هذا الخلف.

٨٩. الصميل
محمد القريني
لورنت الفهري

وكان الصميل يستطيع أن يناهض بنفسه أميراً على الأندلس في ذلك الحين، لأنه كان بالفعل رأس العصبة القائمة بالأمر ومصرف لورنت الفهري شؤون البلاد، ولكنه كان أذكى من أن يفر أحلافه من اليدوية بمثل هذا العمل، وكان لا يرضى كذلك أن يترك الأمر لأحد من المتناصبين مخافة أن يستبد به وبجبايته، فمضى يبحث عن شخص يرضاه الهميون ويؤمن جانيه القيسيون ثم يكون إلى ذلك ضعيفاً سهل القيادة حتى يملك زمامه. وهذه البحث إلى يوسف الفهري سيد القيسيين في الأندلس، وكان للفهريين مقام ممتاز عند العرب أجمعين إذ ذاك، لأنهم ذؤابة فريش وكانت فريش في هذه المزارعات كلها حياً لا تسرف في الليل إلى فريقي دون فريق، وقد جعل الصميل بثبيت أمر يوسف حتى يفسد عمل يحيى بن حريث سيد جذام مطامعه في الإمارة. وكان يحيى شديد الكراهية للشامية، وكان يقول: ولو أن عماء أهل الشام جمعت لي في قديح لشرتهاة^(١) فكره الصميل - وهو شامي قيسي - أن تصير الإمارة إليه فيصيب قومه منه شر، فلما تم أمر يوسف الفهري سعى الصميل حتى أقام يحيى ابن حريث عاملاً على ربه ترغيباً لنفسه ولقومه^(٢).

من ذلك اليوم أصبح أمر الأندلس في واقع الأمر بيد الصميل بن حاتم، فقد كان يوسف الفهري رجلاً سهل القيادة عدلي السن، فمضى الصميل بصرف الأمر كما يشاء، وكان كلاً لاحتظنا رجلاً كثيراً واسع الحيلة، فلم يمسر عليه قياد بقية الزعماء. وقد استطاع هذا الرجل أن يكسب ربه من تحالف مع القيسية الشامية من معد، فقوي أمره وأمر صاحبه الفهري.

لذا استقر الأمر للصميل على هذا النحو فقد بدأ يفكر في التخلص من يحيى

(١) الأخبار المصورة، ص ٦٠.

ابن عشاري القباد، ج ٢، ص ٣٧-٣٨.

(٢) يذكر صاحب الأخبار المصورة أن النزاع على الولاية كان شديداً بين يوسف الفهري ويحيى بن حريث ومحمود بن توبة ويكتبه توبة بن عمرو عسقلان.

الأخبار المصورة، ص ٥٧.

ابن حريث حملة، وكان يحيى كياً عرفنا شديد الكراهية للشامية وكان لا يترك متازعاً للصميل مهدداً أمره. فبأمر الصميل بعزله عن ولاية رُبَّه قبل أن تثبت قدمه وشئت ساعده فيها. فلم يكد العزل يبلغه حتى ففر وقومه للحرب. وسعى حتى وضع يده في يد أبي الخطار سيد الكلية اليمنية الذي كان يعيش في قومه ببعض نواحي أشييلة مهملأ ضعيفاً بعد هزيمته^(١)، وهكذا اتفقت كلمتها على هاربة الصميل ومن معه من قيس، وشعر الصميل بالخطر وهرب أن يحيى فاعلماً به وقومه الأفاعيل إذا قدر له النصر، ولهذا عجل فاستقر المدينة القيسية كافة، فتسارعوا إليه. وكان من لطف المفادير أن الدعوة إلى الحرب لم تس إلا عرب جنوب الأندلس وحدهم، فبقي أهل الشرق والشمال الشرقي والغربي في مواظهم لم تحرك الدعوة منهم ساكتاً، ولهذا سينحصر الصراع المقبل في حدود ضيقة، ولن يكون له من النتائج السيئة ما كان لما سبقه من الحروب التي أتينا عليها.

٩٠ - موفد
شقة
سنة ١٣٠ هـ
(٢١٧ م)
وكان القتال بين الجانبين هذه المرة فريداً في بابه، وصله صاحب الأخبار المصنوعة بقوله^(٢): «فلما رأيت قضاة ما يدعو إليه ابن حريث أحبوا جمع كلمة اليمن كلها، فأجابوا ابن حريث وقدموه. فأصغلت بين الأندلس حيرها وكندتها ومدحجها وقضاعتها. واحتازت مضر وربيعة إلى يوسف، وربيعة بالأندلس قليل. فلقن خيار اليمن بين حريث من كل جند، وتجسرع أهل البلد بتجسرع أهل الشام، ولحق خيار مضر بيوسف والصميل، لا يعرض أحد لأحد: يخرج الجوار فيودع بعضهم بعضاً حتى يلحق كل رجل بقومه^(٣)» وهي أول حرب كانت في الإسلام بهذه الدعوة... فزحف ابن حريث وأبو الخطار إلى يوسف والصميل بقرطبة، فأقبلا حتى نزلا على نهر قرطبة

(١) كانت لصاعلة أهل إجماع حرب الأندلس على يوسف القهري، قد نصبت لأبي الخطار ولما فشلها عبد الرحمن بن نعيم الكلابي فتبعه مائتي رجل وأربعين فارساً ومهاجم القرطبة واستند إلى الخطار وصلى به إلى كلب وأقره في ناحية إشبيلية.

الأخبار المصنوعة، ص ٥٨.

(٢) وصف ابن القوطية هذه الواقعة وصفاً موجزاً.

النظر - الانتاج، ص ٦٠.

فكرها ابن خلدون ببعض التفصيل: اليان، ج ٢، ص ٣٧.

(الوادي الكبير) بقبليها بقربة شقنقة. وعبر يوسف والصميل النهر إليهما بمن معها. فالتقوا حين صلوا الصبح، فظاهمتا على الخيل حتى نقصت الريح. وثبتت الخيل وحيت الشمس. ثم تداعوا إلى البراز، فتنزلوا ويتضاربوا بالسوف حتى تقطعت (هكذا في النص والأصح نقصت) ثم تقابضوا بالأيدي والشعور (١) لم يكن في الإسلام صبر مثله، إلا ما يذكر من صفيين. ولم يكن القوم بكثير لا هؤلاء ولا هؤلاء، وإنما كانوا خياراً من القريتين وكثراً متقاربين، إلا أن اليمن كانوا أكثر قليلاً. فلما أصبى بعضهم بعضاً توافقوا يشرب بعضهم وجوه بعض بالنسي والجعاب، وتعني (هكذا وصحتها بحش) بعضهم التراب على بعض. . . إذ قال الصميل ليوسف: ما أوفقتا إذ خلقنا جنداً نحن عنهم في خفلة! قال: ومن هم؟ قال: أصحاب السوق قرطبية! فرد إليهم يوسف هؤلاء خالده بن يزيد وصاحب (. . .) فأخرجنا منهم نحواً من أربعائة وأجل معهم الخشب والعصي ومع قليل منهم السيف والزواقي، فأخرج الجزلرون بسكاكينهم، فجازوا إلى قوم مؤمن، وقد مضى الظهر والمصر لم يصلوها لا صلاة خوف ولا أمن، وقتلوا وأسروا بشراً كثيراً خياراً، وأسروا أبا الخطار وابن حريث وكاتبا الأميين. وكان ابن حريث لما رأى أهل سوق قرطبة يقتلون أصحابه نغيب ودخل تحت سرير الرحي التي بموضع بيع الخشب، فلما أسروا أبا الخطار وموا يقتله قال: ليس علي فوت، ولكن عندكم ابن السوداء بن حريث! فقل عليه، فأخرج وقتلاً جميعاً، وكان ابن حريث يقول: لو أن مداه أهل الشام جمع لي في قدح لشربتها! فلما استخرج قال له أبو الخطار: يا ابن السوداء! هل بقي في قدحك شيء لم تشربه؟ (١).

تلك كانت حالمة أبي الخطار الذي أن يصلح الأمر فزادها سوءاً، وأراد أن يستغل البعثة من استبداد القيسية ففقد حياته وحياته من ساروا معه، ودفع البعثة إلى وحدة من الخزيمة لأن تهبض منها إلا في ظلال عبد الرحمن الداخل وإمارة قرطبة، وأصبحت الأندلس من تاريخ تلك الواقعة تحت سلطان يوسف الفهري في الظاهر وسلطان الصميل بن حاتم في واقع الأمر.

(١) الأخبار المجموعة، ص ٥٩-٦٠.

٩١- سنة وأحب الصميل أن يشفي أحفاد نفسه، فسار بالأسرى مصعبين أسرى شدة وقعد لهم على باب جامع قرطبة، وكان من قبل كنيسة القديس بيجت (بيستو - قنست)، وجعل يقضي في أمرهم بالموت واحداً واحداً في لذة ووحشية واستخفاف بشر النفس، فلما ضرب أوساط السبعون منهم ثارت نفس حليفه أبي عطاء شيخ خيطان، فقام يتهام، ولكن الرجل رده وقال له في نشوة الانتقام: «اقعد أبا عطاء، فهذا عرك وعز قومك»، ومضى في هذه المذبحة البشعة حتى لم يظن أبو عطاء الصبر، وعشي أن يكون الصميل القيسي يسرف هذا الإصراف في التشفي من اليمينية رغبة منه في القضاء عليها، وتحركت في أبي عطاء شامته، فقام إلى الصميل يقول: «يا أعرابي! والله إن تظننا إلا بمدواة صيفين، لتكفرن أو لأدعون بدعوة شامية»، وبهذا التهديد وحده خاف الصميل وكف عن هذا العمل البشع^(١).

٩٢- ليجاعة واستطاعت الأمور ليويسف القهري والصيل بن حاتم بعد هذا نجاح النصر الحاسم على من كانوا يتولونها من اليمينين، وكان الصميل الأندلس كما رأينا شخصية قوية بعيدة الطموح في حين كان يوسف القهري رجلاً مستأ في نفسه طموح، فجعل الصميل يصرف الأمر من يده. ومشي به حتى ستم الرجل وفكر في الخلاص من هذه الوصاية التي يفرضها عليه هذا القيسي القوي. فعرض عليه أن يقيم حاكماً على إقليم سرقسطة، وقبل الصميل ذلك، وكان إقليم سرقسطة موطن معظم اليمينين، فلما يوسف أن يدهم هذا القيسي الواقع^(٢). وكانت البلاد تعاني من إذ ذاك مجاعة حادة لم يسلم من شرها إلا إقليم سرقسطة بفضل مياهه وخيراته، فكان ذلك مما مال بالصيل إلى إطاعة أمر يوسف.

وأما أسباب هذه المجاعة فترجع إلى هذه الحروب العنيفة التي وقعت بين العرب: شامية وبنية، وبين العرب والبربر. وقد رأينا أن هذه الحروب لم تكن قصيرة الأمد ولا محصورة الميدان، وإنما امتد شرها حتى شمل سكان البلاد جميعاً

(١) عن الصخر، ص ٩١.

(٢) الأشهر للصورة: ص ٦٣.

وأقاليمها كلها، وقد رأينا أن العرب انجفلوا من المواضيع التي كانوا قد استفروا فيها في الوسط والشمال والغرب وحلقوها لا يكاد يشرف على عمارتها أحد، وأقبل البربر في أعقابهم وهجروا مواقعهم البعيدة وساروا هم الأبحرون إلى الجنوب، ثم انهزموا أمام العرب هذه الهزائم المتلاحقة، وتبعهم هؤلاء بالأذى في كل ناحية حتى ضاقت بهم البلاد، وأخذوا يهجرون الأندلس ويعودون إلى مواطنهم الأولى في إفريقيا جماعة^(١). وهكذا فقدت النواحي أعداداً عظيمة ممن كان قد سكنها من العرب والبربر الذين كانوا يقومون على زراعتها وعمارها، فلا خرابية أن نقل المحاصيل وتعرض البلاد لخطر المجاعة. ثم إن هذه الحروب المتوالية بين العرب حيناً وبين العرب والبربر حيناً آخر قد دارت رحاها في الأقاليم المحيطة المزروعة في الجنوب والجنوب الشرقي، فحرب كثير من المزارع واضطرب أمر زراعتها، وزادت المحاصيل قلة تبعاً لذلك. وانتهم النصارى الإسبان القرصنة وأخذوا يهتدون إلى الجنوب واحتلوا المنطقة الواسعة الواقعة بين نهري دوبره وتاجيه وأخذوا بغزوهم المسلمين، فانطساف إلى الأندلس الإسلامي بلاء آخر جديد كانوا قد غلظوا أهم استراحوا منه^(٢)، واجتمعت العوامل كلها فزادت الأمر حدة، واشتد الجوع وعظمت البروى وانعدم الأمن حتى تنقطعت الصلات بين النواحي، وبلغ من الأمر أن صاحب الأخبار للجمهورية يذكر أن يوسف الفهري احتاج مرة إلى رسول يبعث إلى الصمبل في مرسطة فلم يجد، إذ كان الرسل الفاندون جميعاً قد هلكوا، وانقطعت المواصلات لو كانت بين قرطبة ومرسطة^(٣).

دامت هذه الحال خمس سنوات من سنة ١٣١ هـ إلى سنة ١٣٦ هـ/٧٤٩ - ٧٥٥ م، وكانت هذه السنة الأخيرة هي أفساها وأشدّها، بما أدى إلى زيادة هجرة الناس إلى إفريقيا. . وانضم الناس إلى ما وراء الدوب الآخر وإلى قورية ومارنة في سنة ست وثلاثين، واشتد الجوع فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف البربر مجتازين ومرتحلون، وكانت إجازتهم من واد بكورة شقونة، يُقال له وادي

(١) أخبار الجمهورية: ص ٦٢.

(٢) *decey, Recherches*, I pp. 116 seq.

(٣) أخبار الجمهورية، ص ٧٨.

برباط، فحلف سكان الأندلس، وكعاد أن يطلب عليهم العتق، إلا أن الجوع شملهم^(٦١). إلى هذا الحال انتهى بمسلمي الأندلس تاجرهم بسب العصية وبسب الرغبة في إقلاق البربر والاستعداد بالأمر كله دونهم، واستحدثت عن ذلك بتفصيل أوفى حينما نتحدث عن مبادئ حركة الإسبان الصلبي.

وقد سلم من هذه المجاعة الشديدة إقليم سرقسطة على ما قلناه، لأن عربيه أكلوا في مواضعهم لم يشتركوا في هذه الحروب الدامية إلا بتصيب قليل، ولأن من كان يسكنهم من البربر في هذا الإقليم أقدته كثرتهم عن أن يشب بهم، فلم تند نيران الحروب بين العرب والبربر إلى إقليم سرقسطة، وبقي الإقليم كله على حالة من الرخاء ووفرة الخير، فلما وصله الصليب وجد قومه في سعة، ووجد جماعات العرب الذين مستهم المجاعة في أقاليم أخرى يتوافدون إليه انتجاعاً للخير، وفتح الصليب إلى أن يوسف إنما بعث إلى هذه الناحية لكي يذل أهلها من اليمانيين، ولكي تقع البغضاء بينه وبينهم، فيشتغل بهم ويشغلوا به ويخلص الأمر ليوسف، فعول على كسب قلوب أعدائه، ففتح خزائنه ومضى يعطي بكلتا يديه متناسياً عصبية القهسية لكي يفوت على يوسف غرضه. وكان الصليب داعية واسع الذكاء، ماخراً من كل شيء، لا يكاد يفعل أمراً عن إيمان، قال صاحب الأخبار المجموعة: «فلم يأنه صديق أو عدو فصرمه، فلزاد سؤدداً، وأقام بها أعوام الشدائد التي تابعت»^(٦٢).

٩٣ - اليمانيون وأقام يوسف يدبر الأمر وحده في قرطبة بما عرفناه فيه من الضعف
بخرور
على الصليب
في سرقسطة
وكان في قرطبة إذ ذلك قتي من بني عدي بن عبد الدار يسمى عامر بن هاشم، وكان فارساً نجداً يلي الصوائف قبل ولاية يوسف والصليب، فجعل يوسف يكد له خوفاً منه وغيرة عما كان القتي يشبع به من عظيم المكائنة، وأحس هذا بما يدبر له

(٦١) الأخبار المجموعة، ص ٦٢.

(٦٢) الأخبار المجموعة، ص ٦٣.

الوصول لسورج إلى الكتابة إلى المصور خليفة العباسيون بسأله توليته الأندلس
 ويعد سجل الولاية وكان عامر قرشياً من بني عبد الدار، مبنياً في مشاعره، ساءه
 ما صنع يوسف والضميل باليمانية، وخاف أن يفعل الضميل مثل ذلك يمن
 سرقسطة، فأخذ يستعد للوثوب يوسف وابنتي لنفسه حصناً كبيراً في منية بهري
 قرطبة وأخلق خلفه عظيمة كاد أن يجعلها مدينة، وأراد أن يبني بها بيتاً ينضم إليه
 ويظاور يوسف حتى يأته إمداد اليمن، وضعف سلطان يوسف حتى كان لا يركب
 معه خمسون رجلاً من حشمه^(١). ووقعت الوحشة بين الرجلين، ولولا أن يوسف
 كان يطعمه جباناً متردداً لوقعت الحرب، ولكنه فضل أن يبدأ بسؤال الضميل رأيه،
 فنصحه هذا بالتدبير عليه وقتله، فلم يكذب عامر يعلم بذلك حتى شعر بأن حياته
 أصبحت في خطر، واتجه همه إلى أن يقوم بحمل حاسم إزاء يوسف الفهري
 وصاحبه الضميل^(٢).

كان الرجل مبنياً في مشاعره كما قلنا، ففكر في الاتجاه إلى ناحية تكون
 لليمن فيها عزوة وكثرة، ولم يكن في الأندلس أكثر مبنياً من إقليم سرقسطة، حيث
 أقام الضميل هاتلاً جهده استتلاف الناس والتجيب إليهم، فكتب عامر إلى زعيم
 من زعماء سرقسطة يسمى الحباب (أو الحجاب) بن رواحة بن عبدالله الزهري
 الكلابي - وكان سيد بني زهرة من كلاب يمت إليه بالقرابة - يعلمه بأن لديه سجل
 أبي جعفر المصور ويدعوه إلى معاونته للخلاص من سيادة القيسيين، واستخفت
 الدعوة الزهري فنهض مع عامر ينخر من لومه، واجتمع إليهما كذلك أعداد من
 القيسية، وسار جمعهم وحاصروا الضميل في سرقسطة^(٣).

ويبدو أن الخطر على الضميل كان شديداً لأنه بعد يستجد بمن أمكنه
 الاستجداء به من القيسية، كتب إلى جند قسرين وهمشوق، ويبدو كذلك أنهم
 تفاصروا عنه، لأنه ألح عليهم، وجعل يقول إنه يجترى منهم بالليل، فنهض
 لعونه سيد من كلاب يسمى عبدالله بن علي وجمع له عدداً من قبائل كلاب

(١) الأخبار المصورة، ص ٦٢ - ٦٤.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) الأخبار المصورة، ص ٦٥.

وهارب وسليم وهوازن، وتنافس من القيسية سيد جند قسرين الحصين بن
 الذئبن العقبيل وسيد جند دمشق سليمان بن شهاب، ولم ينهض للعون إلا بنو عامر
 ابن كلاب وشيخهم عبيدالله بنو نمير وسعد وجميع قبائل هوازن وسليم بن منصور
 ثم تابعهم غطفان. فلما اجتمعت معظم قيس على هذا التحول لعون الصميل شعر
 الحصين بن الدجن وسليمان بن شهاب أن قعودهما عن عونه ليس بضرته فنهضا
 بين معهما. واجتذبت الدعوة كذلك أتباع بني أمية ومواليهم في الأندلس، وكان
 معظمهم مقيماً في جند دمشق بتاحية البيرة. فنهض زعمائهم أبو عثمان عبيدالله
 ابن عثمان وعبيدالله بن خالد ويوسف بن بخت، وكانوا من أنصار يوسف
 والصميل، وهذا تحركت قيس جميعها لغياب هذا الصميل الذي فعل بالأندلس
 الأفاعيل. بيد أننا لا ينبغي أن نبالغ في تقدير أعداد من نهض لعون الصميل،
 فإن كل طائفة لم تنهض إليه إلا بضع مئات، مما يدل على أن عرب الأندلس
 كانوا قد قلوا إذ ذاك قلّة ظاهرة.

٩١. الحرب بين سارت هذه القوات حرب اليمنيين ومن معهم من البربر الذين
 القيسية والغلبة كانوا مقيمين على حصار سرقسطة ومن فيها من القيسية.
 لسرقسطة وكان معظم هذه القوات من القيسيين لا تفكر إلا في القضاء
 على اليمنية، وكان فيهم نفرٌ من موالي بني أمية كما قلنا، ولم يكن هؤلاء الأمويون
 يفكرون في أمر الصميل بقدر ما كانوا يفكرون في أمر بني من بني أمية كان إذ ذاك
 طليبا في العدة الأخرى بشاطيء إفريقية عند بربر نفزة، وكان قد أرسل هؤلاء
 بداراً إلى الأندلس لينفض هؤلاء الموالي الأمويين ويدعوهم إلى أمره.

وصلت جموع القيسيين إلى طليطلة، ويبدو أنها استخرقت وقتاً طويلاً في
 التجمع والسير، فأمكننت اليمنية الفرصة لتشدّد الحصار على الصميل ومن معه
 حتى ساءت حالهم. وأقبلت رسلهم إلى طليطلة تستحث القيسيين في سرعة
 السير، فمجنلوا بإرسال فارس منهم برسالة إلى الصميل تؤكد له إسراعهم إليه
 بالعون، وتسلل الرجل بها بين قرسان عامر وزهرة المحاصرين للصميل، وربط
 الرسالة بحجر ثم ألقي بها إلى المحصورين، ولم يكن فيها إلا اليتان الأتيان:

نشرٌ بالسلامة يا جدارُ أملاك الغيوث وانتلطح الحصار
أملاك بنات أمواج ملجئات عليها الأكرسون وهم نزار

فناولها الصميل لمن قرأها له - فقد كان الرجل لا يقرأ - فلم يكذب يسع
الآيات حتى استبشر ونلتى في قومه يعلمهم بالخبر ، وصرى في نفوس المحصورين
الفرح والحماسة ، ونهضت هممتهم بعد أن كانوا قد أشرفوا على التسليم . وتسامع
اليمينون المحاصرون للصميل بذلك فخالقوا أن تنزل بهم الخزيمة إذا انتظروا حتى
تقبل هذه الأمداد القيية ، فتفرقوا ، وخلص الصميل من هذا الحصار دون مشقة
أو قتال . وأقبل التيسيون ومن معهم من الأمويين فاستقبلهم الصميل استقبال
الخبر والسلامة ، « وأعطاهم العطاء الجزيل : أعطى خيارهم خمسون ديناراً ،
وأعطى قيرهم من الناس عشرة عشرة وشقة شقة خبز ، ثم أقبل معهم إلى قرطبة .
فلما فرغ الصميل وأصحابه من الاحتفال بالنصر انتهز الأمويون الثلاثة الفرصة
ليكلموا الصميل في أمر صاحبهم عبد الرحمن بن معاوية ^(١) .

وستقف هنا بأخبار هذه الفتن القبلية وبشيء تلقي نظرة على وجهه أخرى من
نشاط مسلمي الأندلس في ذلك العصر ، ولنلم بطواهر أخرى لا تقل عنها أهمية
بالنسبة لمستقبل الإسلام في الأندلس . ستحدث عن الأفعال العسكرية التي قام
بها المسلمون فيها على شبه الجزيرة الأيبيرية إلى الشمال من أرض أوروبا ، وستدرس
ميلاد حركة المقاومة النصرانية في شمال شبه الجزيرة وشمالها الغربي .

(١) عن هذا الحادث انظر :

الأخبار المصنوعة، ص ١٧ - ١٩ .

ابن عذارى : البيان للفرج، ج ٢، ص ٤٣ - ٤٥ .

فتح الأندلس، ص ١٢ وما يليها .

ابن الأثير : الحلة السيرة، ص ٤٥ - ٥٠ .

الفصل السابع

فتوح المسلمين في غزاة

ولمنا بالفتوح الإسلامية عند نهاية الأعمال العسكرية التي قام بها موسى
ابن نصير في نواحي سرقسطة وما يلي طليطلة إلى الشمال الغربي وما يلي وادي
الحجارة إلى الشمال ، ولكننا لم تفصل أعماله في شمال سرقسطة لأنها أدخلت
في باب فتوح المسلمين في منطقة الألب^(١) وما وراءها .

يذهب بعض المؤرخين إلى أن موسى وطارق استوليا على برشلونة ثم عبرا
جبال الألب وفتحوا أربونة وأبينون وواصلوا التقدم حتى بلغا ليون في فرنسا^(٢) ،
وهي الحد الأقصى لفتوحات موسى وطارق بحسب ما يذكره هؤلاء المؤرخون .
وليس من الممكن أن يكون موسى وطارق قد عبرا الألب وصعدا مع نهر
رُدانه^(٣) ، حتى بلغا ليون ، وليس بين أيدينا دليل واحد يؤكد مثل هذا الزعم .
وأما فتوحها في نواحي برشلونة والركن الشمالي الشرقي لشبه الجزيرة فتحسب
إلى شيء من التوسخ حتى يتضح مدعاها على وجه قريب من الصحة .

يذهب مؤرخنا إلى أن موسى حينما أتاه رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك
- على ما ذكرنا - لم يتعجل العودة وإنما دفعه ذلك إلى الإسراع ومضاعفة
الهمة في الغزو حتى يستكمل فتوح شبه الجزيرة قبل أن تأخذ عليه الظروف
سبيل إخراج هذه الغلبة . فعبّر نهر ألبه ونمضي نحو الشمال الغربي دون أن يمر
ببِنَلُونَة وغزوا بلاد البشكنس فيها حتى أتى قوماً كاليهاثم - كما يقول ابن

(١) جبال الألب أو الألبات هي المعروفة عندنا خطأ بالبرانس . وألبرت هو القبط اللاتيني Alpes أي الجبال
أو الغربى الجبال ، ولهذا تسمى في العربية أيضاً بجبال الألباب .

(٢) المغربي : فتح الطيب ، ج ١ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٣) رُدانه هي الصيغة العربية لاسم نهر الرون ، وهي مكتوبة عن اسمه اللاتيني Rhodanus .

عذارى^(١) - ثم اتجه نحو الشمال فأطاعه رؤساء جليقية وأسلموها ، حتى إذا بلغ لك (Lago - Lacus Astorum) أنزله رسول ثان من قبل الوليد بأمره بالعودة إلى دمشق ، فلم يستطع مخالفة الأمر هذه المرة . ففكر راجعاً وانضم إليه طارق وألحقها جميعاً نحو قرطبة ومنها إلى الشرق^(٢) وانتهى دوره في الفتح الإسلامية بعد أن قام بدور يضعه في الصف الأول من الفاتحين المسلمين .

ولم يجد ابنه عبد العزيز بن موسى أثناء ولايته القصيرة التي لم تزد على سنتين وأشهر فزاعاً يمكنه من القيام بالغزو والفتح فيها خلا سيره إلى ناحية تدمير ، وعقدته المعاهدة التي ذكرناها مع صاحبها تدمير ، مدة ولايته ، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه المتح مدناً وحصوناً كثيرة ، ولكنهم لم يذكرها شيئاً على وجه التحديد مما يدل على أن جهده في الفتح أثناء ولايته كان قليلاً جداً^(٣) .

ويبدو أن خليفته أيوب بن حبيب كان أكثر منه انصرافاً إلى الغزو على الرغم من قصر ولايته ، ولم يحدد لنا المؤرخون النواحي التي صوّف إليها

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٤٨ .

ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ص ١٨ . المغربي : فتح الطيب ، ج ١ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

وقد ذهب ليزيدور الباجي إلى أن موسى لم يفتح سرقسطة إلا بعد السيف ، فارتكز بأهلها من الريلات شيئاً كثيراً ؛ فبهم بالسيف وأتعل النار في البلد ، وقتل الثببان والأطفال الرضع بالحرب ، وأنه نشر الحراب والجروح في المنطقة كلها . ولم نشر المراجع العربية إلى ذلك .

cf : ISIDORO PACENSE : Chronicon , c. 38.

CODERA, Estudios, VIII, p. 204

وذهب يسارنو وكونشي إلى أن موسى استولى على نواحي كسطونية (Castana) وبيرة (Navarra) بولغون عصابات كثيرة لأن أهلها قوموه مقاومة شديدة ، ولم يذكر المؤلفان من أين أحداً هذه المعلومات ، وقد شك إليها كوديرا وأخبرها بمقالة صدرها كوندرا .

VLARDOT, Hist. des Arabes et des Musulmans d'Espagne, I, p. 82.

CODERA - Estudios Críticos de historia árabe española (Segunda serie, Madrid,

1917)

(٣) ابن الأثير : ج ٢ ، ص ١٤ .

المغربي : فتح الطيب ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

نشاطه ، ولكن الغالب أن جهوده وجهت نحو شمال شبه الجزيرة وشمالها الشرقي ، ويذكر الأسقف روميجيو الطليطلي أن أيوب هذا هو الذي ابتنى البلد المعروف بقلعة أيوب (Calatayud) إلى الشمال الشرقي من طليطلة ، وكان في موقعها حصن روماني قديم يسمى (Bilbilis)^(١) .

٩٥- هذه وتتفق المراجع على أن الحر بن مالك - خليفة أيوب - كان رجلاً الغزوات
مبارزاً وراهباً
كثرت
فإن نشاطه ملحوظ في الغزوات في غالة وما وراء البرتات ، ولم يذكر شيئاً مفصلاً عنها إلا إيزيدور الباسي ، فقد أقرده لقصة خاصة للحر وأعماله ، فلذكر أنه غزا جنوبي غالة حتى أربونة عاصمة غالة النربونية (Gallia Narbonensis) وظل يهاجم أهل هذه النواحي حتى اضطروا إلى طلب الصلح ففتحهم إليه ، ولكن أحداً من مؤرخي المغرب أو الفرنجة لا يزيد إيزيدور في ذلك ، ولهذا لا يمكننا التوصل على هذه التفاصيل الواردة في روايته تلك^(٢) .

٩٦- السمع فلما أقام عمر بن عبد العزيز السمع بن مالك الحولاني والياً على طرسونة - استنهاضه عند
طولونة
الإيمان جم النشاط ، فلم يكفد يستمر في الولاية حتى بانحو باليهودس لحروب النصرانية فيما وراء البرتات ، فتوغل في غالة حتى أمرك طرسونة (Tarascon)

CODERA, Op. cit. pp 111 (١)

(٢) يقول إيزيدور الباسي عن غزوات الحر في غالة ، لفترة ١٣٠ ، ص ١٥١ :
Hayo tempore Alahos per Hispaniam incertos judaicos militat, atque debellando captivificando post per tres annos Galliam Narbonensem petat, ad portum Hispaniam ultrafretam vertigalia censendo, ad Hiberiam citeriorem se subtrahit, regnum, sacros supra scriptos,
ولد أخوه CENAT MONCAUT يقول إيزيدور وقررات الحر فتح أربونة ، وجعل هذا الحدث سنة ١٠٦ هـ وهي أول سنوات حكم السمع بن مالك - وقد نقل عنه ذلك مؤرخون محدثون كثيرون دون أن يفتخروا إلى ذلك الخطأ .

CENAT MONCAUT, Histoire des peuples et des états pérennes (3 e. éd. - 1873) I, 477.

واستمر في التقدم حتى وقت بابوا طولوشة (Tolosa) . ويبدو أن نشاطه هذا رجع لعل أنطانية (أكويتانيا) ، فقبض له فوقها وسار بجيشه حتى ألقى السحق في سوقة عنينة على مقربة من طولوشة . واشتد القتال بين الجانبين وحسب المسلمون صيراً كريماً حتى قتلوا عن آخرهم كما يقول ابن حيان ، وقد استشهد السحق مع من استشهد في هذه الواقعة في يوم عرفة من سنة ١٠٢ هـ (١٠ يونيو سنة ٧٢١ م) ، ولم تستطع قلوب الجيش الإسلامي العودة إلا بفضل ما أبداه أحد كبار الجند - وهو عبد الرحمن بن عبد الله العلافقي - من الجهد ، فقد أقامه العسكر رئيساً عليهم ، فبذل المهمة في جمع شتاتهم والتفكير بهم حتى عاد إلى الأندلس . وكانت تلك هي ولاية عبد الرحمن الغافقي الأولى ، ولم تدم إلا شهراً لأن عامل إفريقية استبدل به عنبسة بن سحيم الكلبي بعد هذه الكارثة بأشهر ثلاث^(١) .

٩٧ - عنبسة
وجنت
الكبرى

وقد قضى عنبسة السنوات الأربع الأولى من ولايته في تنظيم أمور الأندلس وتهدئتها ، بعد الاضطراب الذي وقعت فيه بسبب خلافات العصبية التي ذكرناها وسبب هذه الكارثة التي أصابت السحق ورجاله ، ولكنه كان ذا حاسة للفرح ، فلم تكده الأمور لتستقر شيئاً حتى عجل بالبروز للغزو في غالة فصعد مع نحو ردة حتى أترك قرطوشنة (Carrossons) فحاصرها وشدد الحصار حتى نزل المدافعون عن البلد على

(١) الأعيان المصنوعة ، ص ٣١ .

القوي ، ج ١ ، ص ١٤٩ - ج ٢ ، ص ٩ .

ابن حيان : الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

وتلك المراجع العربية أن هذه الخربة وقعت عند طرموشة - والأصح أن يقال أنها كانت عند طرموشنة (Tolosa) على مقربة من طولوشة عند مصب الرون ، وقد ذهب إلى هذا الرأي سلفنا مستنداً على ما ذكره الزينوري الباهي من أن السحق استشهد عند طولوشة في سوقة حامية به وبين جوان أكويتانية . وقد ذهب ليزيدوري إلى أن عربة السحقين كانت قاصدة .

ISIDORO FACENSE, *Chronicon*, c. 44.

يلزم صاحب معلقة مرواسيك كذلك أن عربة السحق ومقله كانت عند طولوشة

Chronicon Moissiacense, app. 4, p. 165

شروطه ، فنزلوا له عن البلد ونصف الإقليم المحيط به وتعهدوا ببرد أسرى المسلمين الذين كلنوا في الحصن وكان يدفعوا الجزية وأن يشتركوا مع المسلمين في حرب أعدائهم جنباً إلى جنب ، ويضيف صاحب « مدينة موانيسك » أن حنسة استولى بعد ذلك على نيمة (Nimes - Noemansum) وأخذ رهائن أهلها وأرسلهم إلى برشلونة ، مما يفهم منه ضمناً أن برشلونة كانت إذ ذاك في يد المسلمين وأنهم اتخذوها حصناً ومركزاً يصعدون منه للغزو فيها وراء البربات .

ثم واصل حنسة سيره حتى أدرك بحري نهر ريدان. ويبدو أنه وجد الطريق أمامه عالية ، فسار مسرعاً ، دون أن يلقى مقاومة ، وصعد مع النهر حتى أدرك نهر السامون ، ودخل إقليم بورجونيا واستولى على أوتون (Autun) (Augstodunum) ونهبها وأحرقها .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن حملة حنسة لم تنف عند هذا الحد « بل نبت مدينة أوزة (Uzès) وقبين ومالت في نواحي فالانس ، ووصلت الموجة حتى ليون وماكون وشالون . وهناك تفرعت فرعين ، سار الأول نحو ديجون وبيز (Bèze) ولانجر (Langre) ، واتجه الثاني صوب أوتون مرة أخرى . ولم يقف تيار هذه الحملة إلا قرب بلدة سانس (Sens) على بعد ثلاثين كيلو متراً جنوب باريس ، لأن إيبن (Ebbon) أسقف سانس تصدى للمسلمين وأوقف تقدمهم .

وعاد حنسة حين معه من الجند محملون بالغانم بعد أن وصلوا إلى قلب غالة ، وغزوا حوض الزون كله ونهطوا نهر اللوار وأصبحوا على مسافة قصيرة من السين نفسه . وقد تم ذلك كله خلال سنتي ١٠٦ - و ١٠٧هـ / ٧٢٥ - ٧٢٦م^(١)

وطبعي أن تثير هذه الغارة العنيفة المخاوف في نواحي غالة كلها : ارتاعت معظم الدوقيات الجنوبية والوسطى ، وشعرت مملكة الفرنجة أنها أمام خطر

DOM VAISSETTE, *Mémoires de Languedoc*, I, 781 - 784.

(١)

واهم حقيقي . وهذا يوضح أن الحملة الثقيلة ستكون حملة حاسمة من كل وجه ، فلما أتم العرب فتح مملكة الفرنجة أو ارتدوا عنها ، وأبو كانت أحوال مسلمي الأندلس على غير ما علمنا من الاضطراب ، بسبب خلاتات العصبية ومنازعات العرب والبربر ، لما اضطر عتبة إلى الانصراف عن فتحه الموقفة في حالة بعد أن أترك هذا النصر العظيم .

يبدأ أننا ينبغي أن نلاحظ أن حملة عتبة لم تكن في الحقيقة غير غارة بعيدة المدى ، ولو كان عتبة على نية الفتح الثابت لأتم الاستيلاء على ما غلب عليه من اللدائن ، ولأقام الحاميات في بعضها على عانة العرب في فتوحهم . وربما كانت نية من أول الأمر أن يقوم بحملة تشبه حملة عطية الكبرى : غارة بعيدة المدى تشق البلاد شرقاً وتطلع للمسلمين على أحوالها وتجهد لما بعدها . ولو استقر عتبة في ليون مثلاً أو في أحد مراكز غالة الوسطى لكان في إمكاننا أن نقرر أنه فتح جنوبي غالة ووسطها ، أما وقد عاد أنتراجه بعد أن سار نحو ألف ميل شمالي قرطبة فلا نستطيع القول إلا أن حملته الرائعة تلك لم تكن أكثر من غارة سريعة بطويلة أنت بمغانم وفيرة ونشرت في نواحي غالة كلها وعباً شاملاً . ومبها يكن من الأمر فإن عتبة بن سحيم الكلبي ينفرد بين القاطنين المسلمين بهذا الفخر ، فخر الوصول برايات الإسلام إلى قلب أوروبا الغربية ، ولم يدرك هذا الشاو بعد ذلك فاتح مسلم آخر⁽¹⁾ .



٩٨ - ١١٤ هـ
غزة نحو
حوض الرون

وأما كيف استولى عتبة بن سحيم على فرقتونة ، ثم كيف انحرف بعد ذلك شمالاً يشرق في اتجاه نهر الرون ، واستولى على نيمة (Nimes - Noemansum) ، ولا يمثل اتجاهه هذه

Chronicon Moissacense, p. 163.

SIDORO FACENSE, C. 52.

CODERA Op. cit. p. 114.

LEVI - FROVENCAL, Op. cit. pp. 41 - 42.

(1)

ويذهب بروفسال إلى أن عتبة لا بد أن يكون قد قبل كناه لقبه مع نصارى طرسونة .

الوجهة إلا بأن طولوشة كانت ما تزال إذ ذلك في أيدي المسلمين ، ولو كانت في أيدي التصاري لما تركها . وهي أقرب البلاد إليه . واتجه نحو بلاد الرون .

ولو كنا نملك نصوصاً توضح من الوثائق اللاتينية الشديدة الإيجاز لاستطعنا أن نقرر السبب في اتجاه عبية نحو حوض الرون بدلاً من متابعة الغزو في الاتجاه الأول ، أي في اتجاه دوقية أقطانية . وربما انضح الأمر بعض الشيء إذا درسا الوضع العام في جنوبي غالة في ذلك الحين .

لاحظنا أن المسلمين لم يهدوا عناء في غزو إقليم سبتمانية ، فاستولوا هل عاصمت أربونة واستقروا فيها واتخذوها مركزاً لأعمالهم . والسبب في ذلك أن سبتمانية لم تكن داخلة في دولة الفرنجة ، بل كانت من أملاك القوط الشرقيين أصحاب الأمر في إيطاليا . ثم تراضى سلطانهم عليها ، وطمع فيها الأمراء الاقطاعيون المتنازعون على السيادة على جنوبي غالة مثل كُند (كوت) طولوشة (تولوز) ودوق أقطانية (أكرتين) وكند بوانييه ، ولكنهم لم يجرؤوا على غزوها تحاشياً للاشتباك مع القوط الشرقيين⁽¹⁾ . وكانت سبتمانية ولاية ساحلية تمتد من شمالي جبال البرت بحذاء ساحل غالة (فرنسا) الجنوبي وتتصل بما يعرف اليوم بالريفيرا الإيطالية . وكانت تتألف من سبعة أقسام إدارية صغيرة ، ولهذا سميت بسبتمانية (Septemania) .

فلما خرج المسلمون من سبتمانية وبدأوا يهرسون خلال دوقية أقطانية واستولوا على عاصمتها طولوشة تغير الأمر ، ونهض لردهم دوقها أودو - (Odo) وأوقع بهم الهزيمة التي ذكرناها عند طولوشة والتي استشهد فيها السمع ابن مالكا الخولان (ذي الحجة سنة ١٠٢ هـ / يونيو سنة ٧٢٦ م) . وقد أخذ عبية يثار السمع واستولى على قرقشونة . وبدلاً من أن يتجه نحو طولوشة ، وكانت لا تزال في أيدي المسلمين ، نجده يرتد إلى سبتمانية ثم يهاجرها ليصعد

LAVISSE, Histoire de France, II, p. 45.

(1)

مع الرون ويدرك تيمه (Nimes - Noe mansum)^(١) فما العلة في ذلك ؟

ربما استطعنا تفسير ذلك إذا نحن درسنا علاقات الدوق لودو بالعرب من ناحية ، وتملكة القرنجة من ناحية أخرى .



١٩ - الدوق لودو وعلاقته مع المسلمين

تبدأ الروايات التي تحدثنا عن صلوات أودو بالعرب بالكلام عن صلته بثورة مونوسة . وقد عرضنا من قبل لهذه الثورة وذكرنا كيف أوردت للمراجع العربية هذا الاسم بصورة مبهمه لا يفهم منها إن كان اسم شخص بربري أو اسم إقليم ، وكيف أن هذا الأجهام قد توقع المؤرخين جميعاً في خلاف حول الموضوع كله : فالأغالبية - وهم كوندو وريسر ودوزي وبروقسال وجربيل وكألبت - فقد ذهبوا إلى أن مونوسة زعيم بربري ثار على المسلمين في نواحي بنبلونة ، وعارض هذا الرأي جماعة من الإسبان على رأسهم كوديرا ، فقد ذهب إلى أن مونوسة إن هو إلا تحريف لاسم مكان هو منريسا (Manresa) معتمداً في رأيه هذا على أن لفظ مونوسة ورد في النصوص العربية مبهماً دون تحديد . ولكننا لا نستطيع أن نقبل هذا الرأي لأن رواية ليزيدور الباجي آيين من أن تُحذف جملة ، ثم إن سياق الحوادث يدل على أن شخصاً بربرياً اسمه مونوسة وجد فعلاً ، وأنه لعب دوراً خطيراً في العلاقات بين المسلمين والنصارى في هذه الأيام^(٢)

والهك موجزاً لرواية ليزيدور عن مونوسة :

إن رجلاً من الجنس البربري اسمه مونوس (Munnus) ثارمت إليه من حدود ليبيا (إفريقية) أنخبار الظلم القاسي الذي كان يعالیه أبناء جنسه في هذه البلاد ، فصالح القرنجة وصاهر أودو دوق أقطانية وأخذ يعمل على إلهاء العرب

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ .

ISIDORO FACENSE : *Chronicon*, C. 58.

CODERA , *Excursus arabes*, VII PP. 141 Sqq., VIII pp. 115 - 118

(٢)

أعداء إسبانيا ، ووثب بهم بالفعل وأصبح في حرب دائمة معهم . ولكن أنصاره كانوا في خلاف متصل معه . ولم ينهض عبد الرحمن (الغافقي) لمحربه إلا بعد أن أرسلت نحوه حوالي عشر حملات . فتبض عبد الرحمن لمونوسة وتبعه قزابل حواتق الجبال . ونحرج مركزه وضيّق المسلمون عليه المحتاق وقتلوه وتبصوا على زوجته وأرسلوها إلى بلاط الخليفة .

وتبض رواية إيزيدور بعد ذلك في ذكر أعمال العنف والاضطهاد التي أنزها عبد الرحمن بحلفاء مونوسة من النصارى ، وخاصة أهل شرطانية (Cer - Cerritania) ، وكيف أنه ألقى أنابادوس (Anabadus) أسقطها بعد ذلك^(١) .

وبعنا من هذه الرواية مسألان : الأولى هذا الضمير الذي توردته عن أعمال عبد الرحمن واضطهاده للنصارى ، والثانية هي علاقة أودو بالمسلمين ، وكيف أنه زوج ابنته لزعيم بربري منهم لكي يأمنهم على بلاده .

وأما المسألة الأولى فنناقشها عند عرضنا لأحداث الفترات الثلاثية عن عبد الرحمن جملة ، وأما المسألة الثانية فذات أهمية خاصة لنا هنا ، لأنها تفتح بعض الضوء على علاقات أودو بالمسلمين .

ونقطة الضعف في هذه الرواية هي زعمها أن مونوسة قام بثورته تلك حين بلغته أخبار ما كان البربر في إغريقية يقاسونه من مظالم العرب ، أي في نفس الوقت الذي حدثت فيه الثورة البربرية التي فصلنا أمرها ، ولم تقع هذه الثورة إلا بعد حركة مونوسة بعشر سنوات . ومن هنا لا يستقيم كلام إيزيدور ، وربما استطعت القول بأن مونوسة إنما وثب بالعرب لما كان من سوء معاملتهم البربر جملة في الأندلس .

كان أودو دوق أقطانية ، بناء على هذه الرواية ، حليفاً لمونوسة البربري وحيماً له قبل أيام عبد الرحمن الغافقي ، أي في أيام عبسة وربما في أيام

ISIDORO PACENSE : Chronicon, C. 58.

(١)

السمح ، وربما كان هذا من أسباب هزيمة السمع عند طولونة . وما يؤيدنا في هذا الظن أن عتبة ، حينما عرض بحملته التي نحن بصددنا ، اتجه نحو بلاد الدوق رأساً واستولى على قرقشونة ، ثم انحرف إلى سيثمانية من جديد وسار نحو تيمه على ما روينا .

ولسنا نعلم - على أي الأحوال - إن كان مونوسة قد خرج مع عتبة وساهم في هذه الحملة أو لم يخرج ، وإن كان انحراف الحملة عن بلاد الدوق يؤيد خروجه مع المسلمين . وليس بعيد أن يكون وجود مونوسة في جيش عتبة هو السبب في انصراف المسلمين عن بلاده ، وقد كانوا مستعجلين التوغل فيها والاستيلاء على كبار معاقلها .

ثم إن الدوق لم يسر لحرب المسلمين كما فعل يوم ساروا إليه بقوادم السمع بن مالك ، ولم يحاول أن يهاجمهم من خلف بعد أن تركوا بلاده خلفهم وساروا مع نهر دانة صمداً حتى قاربوا السين ، ولا يعقل ذلك إلا بأنه كان في ذلك الحين صديقاً موالياً لهم . وربما كانت هذه الصداقة هي مصدر الرواية الفرنجية التي تنهم الدوق بأنه استدعى العرب لغزو غالة لأنه كان في خصومة مع قارله (شارل مارتل) صاحب الأمر في الدولة الفرنجية إذ ذلك^(١) .

والواقع أن أودو لم يكن إذ ذاك على وئام مع دولة الفرنجة ، وكان قارله بنفس عليه مكانته ويود لو أزاله عن ولاية أقطانية (أكويتين) الغنية الواسعة ، وقد أوردت لنا الروايات اللاتينية أمثلاً متفرقة عن عداة الرجلين وما كيان بينهما من خصومة . وليست هذه العداوة بالأمر الغريب ، فقد كان معظم الأشراف الأقطانيين في غالة يخافون قارله ويكرهونه ، وكان الكثيرون منهم - وفيهم أودو - في حالة حرب معه ، وهذا هو السبب المعقول الذي دفع بأودو إلى مصداقة

(١) بطول إيزيدور :

Et de Sarracenis in auxilium sui adiecit, qui venientes cum rege suo Abderrami trans-
eunt Garonnam, Haedgalens usque perveniunt castra vastantes, acclivibus cre-
matis, Petreus basilicam Sancti Illudii incendit. . . ٢٠٦ . ص كوبرا ، ص ٢٠٦ .

المسلمون وبمضاخرة واحد منهم هو مونوسة .

لم يقع انصراف عبسة عن أراضي الدوق إذاً مصالفة ، وإنما كان أسراً طبيعياً أملكته الظروف العسرة ، فقد انصرف العرب عن أراضيها لأنه كان حليفهم ، وربما كان هذا الحلف هو السبب فيها وفق إرادة المسلمون من انتصارات فاتت كل ما كان منتظراً في حملة عبسة .

١٠٠ - ١٠١ هـ ولم يستطع عبسة إدراك الأندلس بعد هذه الغزوة الكبرى فقد دأبته في طريق العودة جموع كبيرة من الفرنج التحمت معه في موقعة أصيب أثناءها بجراح بالغة توفي على أثرها في شعبان سنة ١٠٧ هـ / ديسمبر سنة ٧٢٥ م وقام بقيادة الجند الاسلامي والعودة به إلى الأندلس قائد تسميه المراجع النصرانية Hodra أو Hodeyra وهما صيغتان محرفتان لمعركة^(١) .

١٠١ - عذرة بن عبد الله النهدي وعذرة هذا هو عذرة بن عبد الله النهدي الذي خلف عبسة في ولاية الأندلس بدون تعيين من عامل إفريقية أو من مركز الخلافة ، وقد ظل في السيادة سنتين وثلاثة أشهر (شوال ١٠٧ هـ - ربيع الأول ١١٠ هـ / فبراير - مارس سنة ٧٢٦ م -

(١) يذكر ابن عذري (البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦) وابن الأثير (ج ٥ ص ٢٧٢) أن عبسة مات حنقاً ولم يستشهد . وقد أورد القرني روايات مضطربة كثيرة نقلها عن ابن حبان والرازي بنهم منها أنه توفي مستشهداً (القرني : فتح ، ج ٢ ص ٩) ورواية ليزيد بن أبي عمير واضحة ، لأنه يذكر أن عبسة توفي ، فقام أحد قرانه وهو Hodera (عذرة) بقيادة الجند والعودة بهم إلى وطنهم (الأندلس) ، وأن عبسة لم يبق له بذلك قبل وفاته :

... Qui dum rabiis pervolat, morte propria vias terminans parat : atque Hodera occidens patriae sibi committae vel principem avaritiae repedantia, vel quasi refractantis, in extremo vitae positus ordinat (s. 53).

يبد أن الكهوس من مؤرخي خلفه يشاروننا إلى هذه القصة التي استشهد فيها عبسة وقيام عذرة (الذي يسموه في بعض الأحيان Hodera) بصيغ كلمات الجند والعودة بهم إلى الأندلس ، وقد أخذوا يروا بهم لأهم الترخي بحوادث الترخي بالأهم ، ولم يكن لنا عن ذلك من الترخي صحت الرواية العربية .

ولا تنسب الرواية الإسلامية إلى عنزة أي عمل حربي في غالة ، ولكن الرواية النصرانية تذكر أعمالاً حربية خطيرة قام بها المسلمون بعد مقتل عنبسة مباشرة ، وحيث إن ولاية عنزة دامت سنتين وأشهرًا فلابد أن هذه الأعمال وقعت خلالها ، ويحصل ريثو اختيار هذه الأعمال في قوله : « . . . وقد قتل (عنبسة) في إحدى غزواته سنة ٧٢٥ م . واضطر خليفته عنزة إلى قيادة الجيش في طريق العودة إلى الحدود . ولم تلبث الحرب أن استمرت من جديد في عصف ، ولما كانت أعداد كثيرة قد أقيمت من الأندلس ، فقد نهض قادة المسلمين ، وقد شجعهم المقاومة القليلة التي صادفوها ، وأخذوا يرسلون الحملات في كل وجه . ويقول مؤرخ عربي إن رياح الإسلام أخلت نهب على النصرانية من كل ناحية ، فالتحم المسلمون سيمائية سرية أخرى وهادنوا إلى حوض السرون وغزوا بلاد الألبين (Les Albigeois) وإقليم رويرج (Le Rouergue) وجيلودان (Gévaudan) وليليه (Levalay) ونهبوها نهباً شديداً ، وأنت النيران على ما أفتقته سيوف العرب ، حتى لقد استكر الكثيرون من الفاتحين أنفسهم هذا الإسراف في أعمال العصف^(٢) .

ولما نستطيع تحقيق ذلك على وجهه الصحيح ، وإن كنا نقبل ما تذكره الروايات اللاتينية عن الأعمال التي وقعت أثناء ولاية عنزة لأن عبد الرحمن الغافقي حينما تولى وجد المسلمين في حالة طيبة في غالة ، ولو كان أمرهم وقف عندما انتهت إليه أعمال عنبسة وهو الرجوع إلى الأندلس ، لما استطاع عبد الرحمن الغافقي أن يقوم بالعمل الكبير الذي قام به .

وتلخيص الروايات النصرانية أحياناً كثيرة عن أعمال العرب في غالة خلال هذه الفترة التي نتحدث عنها وهي التي انقضت بين موت عنبسة وقدم عبد الرحمن

(١) ابن بطريق : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

(٢) REINAUD, *Invasions*... 22 . ولم يشر ريثو إلى مراجعته التي استند إليها في ذلك

المخافتي ، وهذه الأخبار ملأى بالبالغات حياً تسميه مساهمات العرب أو مطالبهم التي أنزلوها بأهل هذه النواحي ، ونحن نورد طرفاً منها على سبيل استكمال الأخبار عن أعمال المسلمين الحربية في خلة .

نذكر هذه الروايات أن المسلمين خربوا كتيسة رودس (Rhodós) الكبيرة وعاثوا فيها أي حيث ، واستقروا في حصن قريب من موضع وركبيرف الحثالي (Ropueprive)^(١) . واتقم إليهم نقر من أهل هذه النواحي وساروا معهم بغزون في كل وجه ، وبمكي المؤرخون في هذه المناسبة قصة شاب يسمى داتومس أو دادون أظهر بطولته كبيرة في محاربة العرب ورددتهم عن ناحيته^(٢) .

ويغلب على الظن أنه في خلال هذه الفترة - أي بين سنتي ٧٢٥ و ٧٣٠ م (١٠٧ - ١١٢ هـ) - قام المسلمون بالغزوات التي تسميها الروايات

(١) ويحملها بعضهم في موضع بالأجيب (Balaguer) REINAUD, Op. cit. p. 23. والمراجع للمطالع .

(٢) أورده هذه المكتبة الشهية ERMOLDUS NIGELLUS في نص المصنفه لاتينية نشرها رينس M. PERTZ : *Monumenta Germanicarum Historiarum* II, p. 466 Sqq

ويبدأ قصة دادون في البيت السابع بعد المكتين من أبياتها ، ووردت إشارة إليها في كتابه ، هناك المصحفة *Galla Christiana* ج ١ ، ص ٢٢٦ ، وقد خصصنا بحثاً عن غزوات العرب في خلة كتابنا .

كان دادون شاباً صغيراً من قرية كوكك (Conques) في إقليم روجج (Rouergue) عندما التقم المسلمون هذه القاصبة ، فحمل السلاح وخرج لتتالمم مع قومه من رجال ناحيته ، حينها حو في بعض مطارقات الغزاة بعيداً عن قريته ، وحمها السيلون ونبهوا به وأخذوا أنه أسيرة وأدخلوها في حصانهم . فلما عاد دادون وسمع الخبر حمل سلاحه وبعثى إلى الحصن يريد اقتحامه ، وسخر منه السيلون علف أسوارهم ، وقال له بعضهم : إذا أردت أن ترد لك أمك فأعطنا الحصان الذي نعطيه وإلا نديمت أمك أمام عينيك . فرفض دادون أنه يهبهم إلى ما طلبوا . فقبضوا أنه ورموا إليه برأسها ، فبلغ من وجع الفتي وحسره أن نعت صلاته في ناحية على ضفاف نهر الدوردون (Dordogne) ولد أشبهه حين بعد في مكان ترهبه نهر كوكك (Conques) .

وقد أوردها هذه المكتبة كسوفج لما كتبه مؤسس هذه المصنفي عن المسلمين في هذه القصة . وقد أورده رينو نصية أخرى من هذا الطراز يدهت رواد المصنفي إلى أنها حدثت في عهد النصارى .

REINAUD : *Inscriptions*... pp. 26 - 28.

Galla Christiana - II, p. 468.

النصرانية في أقاليم دوفينه (Dauphiné) وليون وبورجونيا (Bourgogne) .
 ولا تذكر مراجعتنا العربية عن ذلك شيئاً على الإطلاق في حين تختلف المراجع
 النصرانية فيما بينها اختلافاً بيناً بشأنها . فأما اللغوي فيذكر : « إن الله ألقى
 الرعب في قلوب النصاري ، ولم يعد أحد منهم ليظهر إلا ليشتاقن . فاستولى
 العرب على البلاد ومنحوا الأمان لمن أراد ، وساروا مصعبين حتى وصلوا حوض
 الرمانة ، وهناك ابتعدوا عن الشاطئ ، وتوغلوا داخل البلاد » .

ولم يذكر لنا اللغوي البلاد التي وصلوا إليها حينما توغلوا في غداة هذه
 المرة ، ويقول رينو في تفسير عبارة اللغوي تلك : « ولا نستطيع التعرف المواقع
 التي وصل إليها العرب إلا بما خلفوه وراءهم من التخريب في النواحي التي
 وصلوا إليها ، فحيا يحيط بفيون (Vienne) وعلى ضفاف الرون تحولت الكنائس
 والأديرة كلها إلى مخرائب ، وكذلك تحسرت كنائس لوهون (Lyon) وبميت
 ماكون ومسالون على السامون ، وتعرضت بون (Besançon) لتخريب ذريع ،
 وأشعلت النيران في كنيسة سان نازير (Saint Nazaire) وسان جان في
 أوتون ، وهدم دير سان مارتان (Saint - Martin) خارج البلدة ، وبميت كنيسة
 سان أندوش (Saint - Andoche) في سوليو (Saulieu) وعلى مقربة من
 ديجون هدم العرب كنيسة بيز (Béze) (١) .

ولم نشر للمراجع التي أشار إليها رينو إلى أن العرب هم الذين حرقوا
 النواحي التي ذكرها كلها ، وإنما هو الذي جعل دأبه - كلما وجد شيئاً قد احترق
 أو كنيسة تحسرت في هذه الفئة - نسبة ذلك إلى المسلمين ، مع علمه بأن العصر
 كله كان عصر اضطراب وحروب بين النصاري فيما بين بعضهم وبعض في هذه
 الجهات من غالة على وجه الخصوص ، ومع علمه بأن كلاركس نفسه أنزل
 بالكنائس والأديرة في جنوبي غالة وفي بورجونيا وفي أقمطانية من التخريب

(١) REINAUD, Op. cit. pp. 29 - 30 . ومراجعته هي :

Galla Christiana IV pp. 51, 450 - 860 - 1042

Chroniques Mérovinges dans Hist. des Gaules, II, 655.

DOM PLANCHER - Histoire de Bourgogne, I, p. VII.

والأضرار ما فاق كل وصف . وليس من المعقول أن المسلمين لم يكن لهم هم في غاراتهم في غالة إلا تخريب الكنائس والأديرة وإشعال النار في المدن ، فقد فتحوا قبل ذلك مصر وإفريقية والأندلس وهي كلها خاصة بالكنائس والأديرة وما إليها من المؤسسات النصرانية فلم يحرقوا ولم يخرّبوا ، فمن عجب أن ينقلب حالهم إذا عبروا إلى غالة فيفتحوا لها إلى برابرة غربيين لا يكلمون يشقون على شيء !

الواقع أن هذا الكلام لا يقوله مؤرخ جيد يقدر معنى ما يقول . فليس من الجدل في شيء أن يقال إن العرب لم يفعلوا في غالة غير تخريب الكنائس وحرق الأديرة ، والثابت المعروف عنهم أنهم لم يخرّبوا كنيسة أو يحرقوا ديراً . وإذا نحن قلنا المسلمين بالشعوب التي كانت تسود غالة في ذلك الحين ، من فرنجة وقوط غربيين وقوط شرقيين وبرغنديين ومن إليهم ، أتينا أن المسلمين كاتوا أعظمهم حضارة وأبعدهم عن النهب والتخريب . ومهما بحثنا في حوثيات ذلك العصر فلن نجد بين من ظهروا على مسرح الحوادث في غالة خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادي رجالاً نستطيع أن نقارنهم بالسحح بن مالك أو عتبة بن سحيم أو عبد الرحمن الغافقي .

وبلاحظ ريتو الملاحظة التالية : . . . إن غارات العرب هذه التي يجمع الناس على أنها لا بد أن تكون قد امتدت إلى أبعد مما ذكرنا^{١٦} . لت جميعها

(١) يقول ريتو : يذهب بعضهم أن العرب أرسلوا سرابيا يلبثت القوارب عند نيجير (Nerves) من ناحية ، ولبثت فرانش كومتيه (Franche Comté) من ناحية أخرى . فإننا صدق هذا ، فلا بد أنه يكتروا محرّبا دير القديس كولومبان (Saint Colomban) في نيجير ، ويذهب بعضهم كذلك أنهم قتلوا معظم رجال المدن والقرى في بيزانسون (Besançon) . وهذه الزاعم ليست بعيدة عن الصدق ، خصوصاً فيما يتعلق بفرنس كونتيه حيث لا زال كثير من المواقع يحمل اسم ساوازان (Saurazan) . وبذلك كذلك إله كنيسة لوكسيل (Luxeuil) عُدت وهي في سطح الترخ (Vosges) وبيج رجالها وجل وأسمهم القديس ملاك (Mellin) .

cf. P. LECOMTE, *Annales Ecclesiastiques Françaises*, IV pp. 728 Sqg. 795 Sqg.
MABILLON, *Annales Benedictines*, II, p. 88.

MABILLON, *Acta Sanctorum Benedicti II*, pars II, pp. 327 Sqg.

وتذهب هذه الزاعم إلى أن العرب لم يحدوا مطوية جنوية إلا عند بلدة صانص (Saux) إذ إن

دون خطة مفصلة من قبل ، ومع هذا فلم تلق إلا مقاومة ضئيلة جداً ، مما يدلنا على الحالة السيئة التي كانت تسود فرنسا في ذلك الحين وعلى عدم وجود أية حكومة ترمي شؤونها . ولكننا إذا قارناها بما حدث في إسبانيا قبل ذلك بسنوات ، تبين لنا أنه لم يحدث في أي موضع أن وجد الفاتح إقبالاً من أهل البلاد ، إذا استتبنا بضعة أشخاص بلا دين أو وطن ، ولم يحدث أبداً في أي مكان أن اتفقت معهم جماعة لها قيمتها من السكان ، وحتى في المدن مثل أريستونا وقرقشونة - حيث استقر العرب بصورة ثابتة - ظلت جماعة على إخلاصها للتصراية^(١) .

وهذا أيضاً كلام لا قيمة له من الناحية التاريخية ، فأي سند استند إليه هذا الباحث الفرنسي ليقول ذلك ؟ وما معنى القول بأن أحداً من سكان البلاد لم ينضم إلى المسلمين ؟ ومن الثابت أن منطقة جبال الأيرت كلها ونواحي بسكايه وسيماية كانت تسكنها جماعات بدائية لم تستقر بعد على دين ولم تفهم بعد معنى الوطن ، بل لم يكن المترجاة أنفسهم ، أصحاب الأمر في حالة ، ليأخذوا الدين مأخذ الجدل أو يشعروا بشعور « وطني » نحو حالة . وأن يكون ذلك وغالة كلها كانت في دور التكوين ، لم تصبح بعد « وطنياً » بتعصب أله أحمد ؟ وأيسر دليل على مغالطة رينو وأمثاله هو أن أولئك الذين يزعم أنهم لم ينضموا إلى المسلمين

أسفلها (Ebbes) أو (Ebbes) تصدى لهم ، وجمع قرأ من أهل البلدة وهجم بهم على المسلمين ، وأكثر تاراً على آلات حصارهم فظفروا . وكان هذا الرجل قبل ذلك فارساً وكوليداً البلدة تونير (Tounier) ثم تروهب ورسنه الكنيسة لقيماً قبل بعد .

ولا نذكر هذه القصص للمسلمين ولا تلج إلى أهم هم الذين قاموا بهذه الأعمال ، ولكنها تقول بال التوند (Yandes) واليندال (Vandali) والجنرال (Gaudal) هم الذين كانوا يهرون ، فضاء مؤرخ الكنيسة هؤلاء إن الراد هذه الألفاظ هم المسلمون ، ونداههم رينو وغيرهم من المؤرخين المحققين في ذلك ، وهو تعصب لا معنى له وخاصة إن هذه التسميات أطلقت فيما بعد على المسيحيين الذين انفاروا على هذه النواحي وغيرها على أيام قارله وبيير وشركان . وقد عاد رينو فنتأكد في أن المسلمين هم الذين لغوا بذلك .

انظر كتابه الألف لذكر ، ص ٣١ - ٣٢ .

(١) رينو : نفس المرجع ، ص ٣٢ .

ولم يقيدوهم هم الذين أنزلوا بمؤخرة جيش شرلمان الفرنجي المسيحي مذبحه
رثغالة ومأساة رولان بعد ذلك بأكثر من قرن .



وكان كبار رجال حالة في حالة لا تمكنهم من النهوض غرب المسلمين تماماً
أودو قلد ركن إلى السكون ولم يجرؤ على الخروج للاتهام بعد الذي رأى من
قوتهم ، ولم يجرؤ كذلك على طلب المعاونة من قارله لأن العلاقات بينها لم تكن
على ما يرام ، وأما قارله فكان مشغولاً بحرب الفريزيين سكان إقليم فريزيا
الذي يحرف اليوم بالنورمندي والبافارين والسكسون غربي نهر الراين ، وكانوا
يهددون نورمانيا - قلب بلاد غربي الراين - بخطر داهم إذا ما عبروا الراين ،
ولهذا لم ينهض قارله للملازمة المسلمين حينما غزوا بورجونيا ، وكانت إذ ذاك داخلة
في طاعة .

لم تكن هذه الأحداث التي ذكرناها في ولاية صخرة بن عبد الله الفهري
أعمالاً عسكرية منظمة يمكن إدراجها في سلسلة الغزوات المنظمة التي قام بها
ولاة الأندلس في حالة ، وإنما كانت نشاطاً عاماً قام به المسلمون الذين استقروا
في سبتانيا وقاعدتها أربونة ، وبعض قواعد جنوبي غالة مثل طولوشة
وطرسونة .

أما سلسلة الفتح فتصل من جديد عندما يتولى الأمر عبد الرحمن بن
عبد الله الغافقي سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م .

١٠٢ - الغافقي لا نزاع في أن عبد الرحمن الغافقي كان أقدر قائد عسكري
عرفته الأندلس في عصر الولاة . ومن المؤسف أن أعباءه لدينا
قليلة جداً لا تتناسب مع الدور الكبير الذي قام به في تاريخ الإسلام . ويبدو
أن كسارته بلاط الشهداء التي ختمت حياة الغافقي كانت الأمانة الواقعة عند
مورسيا ، فأولجزوا الكلام عنها قدر الطاقة ، وأصاب الإيجاز سيرة عبد الرحمن ،
فصمدوا الاكتفاء بمجرد الإشارة إليه مع عظيم تقديرهم له .

كان عبد الرحمن جندياً أندلسياً ، قضى أحسن أيامه عاملاً في جيوش المسلمين المغاربة فيها وراه البرنات . ويفهم من إجماع عرب الأندلس على تقديره أنه كان سليماً من نزعة العصبية التي ابتلى بها غيره ، ومن دلائل ذلك أن عبيدة ابن عبد الرحمن القيسي عامل إفريقية المتحصب لقبسبة أقامه على الأندلس وهو يئس من غافق . وقد أورد ابن عبد الحكم رواية يفهم منها أن الرجل كان مسلماً سليم الإيمان حرصاً على أصول الشريعة لا يحفل في سبيل ذلك بنفصب من يدهم الأمر . يقول ابن عبد الحكم ، بعد الكلام عن إحدى غزوات عبد الرحمن :

« .. وكان فيما أصاب رجل مفضضة بالدر والياضوت والزمرجد ، فأمر بها فكسرت ، ثم أخرج الخمس ، وقسم ذلك في المسلمين الذين كانوا معه ، فبلغ ذلك عبيدة (بن عبد الرحمن القيسي عامل إفريقية) فنفسب غضباً شديداً ، وكتب إليه كتاباً يتوعده فيه ، فكتب إليه عبد الرحمن : « إن السموات والأرض لو كانتا رقناً لجمع الرحمن للمظنون منها مخرجاً . ثم خرج إليهم أيضاً غزياً ، فاستشهد وعامة أصحابه »^(١) .

وهذه هي الإشارة العربية الوحيدة التي نلح على ناحية من خلق عبد الرحمن . ويصفه إيزيدور الباجي بأنه كان رجلاً نشيطاً عبقاً قاسياً ، لا يبالي أن يتزل بالنصارى أنسى المظالم وأشد ألوان الاضطهاد والتخريب والقسوة^(٢) . ولا تضيف النصوص اللاتينية الأخرى إلى أوصافه هذه شيئاً ، وإن كانت جميعها تتحدث عن شجاعته الشارة ومقدرته الحربية العظيمة . ولو أمدنا المراجع العربية بأخبار مفصلة لاستطعنا التعرف مكان هذه الروايات النصرانية من الصحة ، ولكنها أقدم ما بين أيدينا وأكثره تفصيلاً ، ولا مندوحة لنا عن الاعتماد عليها إلى حد كبير .

وكان عبد الرحمن جندياً من طراز آخر غير طراز عبيدة ، وإذا كنا قد قلنا

(١) ابن عبد الحكم : فوج ، ص ١١٧ .

(٢) إيزيدور الباجي : طرائف ، ص ٥٩ - ٦٠ .

والمر أيضاً ، ابن العرشي : تاريخ علماء الأندلس ، رقم ٥٨٤ .

إن هذا الأخير كان من طراز عقيدة، أي من الذين تستهوجم الغارات البعيدة المدى والضربات المنوية ، فنقل عن عبد الرحمن العافقي إنه كان من طراز حسان بن التعمان ، من طراز الضالحين الذين يرسمون خطة الفتح الثابت المستمر ، فيسدون إلى مراكز المقاومة القميلة ويهاجمونها لكي يتم الفتح وتدخّل البلاد في حوزة الاسلام .

عمر عبد الرحمن البربريات في أوائل سنة ١١٤ هـ / سنة ٧٣٢ م ، ولما تعلم على وجه التحقيق عدة الجيش الذي كان معه ، فلما المراجع النصرانية فتزعم أنه كان يقود عدة الجيش بعدد يتراوح بين سبعين ألف ومائة ألف . وليس لدينا ما يوضح هذا الأمر ، لأننا لا نستطيع بمجرّد الرقوص ، وكل ما نستطيع أن نقول هو إن عدة الجيش لم تكن لتزيد عن سبعين ألفاً على أي حال ، وأن جل هؤلاء كان من البربر ، لأن الكثيرين من عرب إفريقيا والأندلس كانوا إذ ذاك في شغل بما نصرّفوا إليه من المنازعات العنصرية من ناحية ، ومن الاستمرار في القرى والاشتغال بالزراع من ناحية أخرى ، ونستطيع أن نقول كذلك إن معظم هؤلاء كانوا يمتين ، لأن عبد الرحمن العافقي كان يمتياً ، ولأن غالبية سكان نواحي إقليم سرقسطة كانوا يمتية ، وبهم كانت غالبية العرب المحاربين في ناحية كبريات وما يليها .

وكانت مصلحة المسلمين تقتضي الاستمرار على صداقة أودو لكي يكون لهم عوناً على حرب الفرنجة والخصاص منهم ، ولم يكن ذلك بالعسير لو كان عبد الرحمن العافقي سياسياً كما كان قائداً ممتازاً، فقد وحل المسلمون إلى قرب الصين ، وكان على خليفة عيسى أن يكمل عمله ، فقبض على المسلمين إلى قلب الدولة القرنيجية . ولكن حركة موتوسة^(٩) أفسدت الأمر كله، وقد رأينا أنه من

(٩) راجع عنه :

ISIDORO FACENSE, C. 61.

RODRIGO XIMENEZ DE RADA, p. 12.

العسير أن تعرف أسباب الجفوة التي طرأت بينه وبين عبد الرحمن ، وإن كان من الممكن ردها إلى ما كان بين العرب عامة والبربر عامة إذ ذاك من التحاسد والتباغض ، وبما كان في خلق عبد الرحمن نفسه من الصلاة والاستقامة ، مما لا يشهد معه أن يكون قد كره هذه الصداقة المتصلة وذلك العهد المتين بين موندوسة وأودو .

وعلى أي الأحوال ، كانت ثورة موندوسة ونهوض عبد الرحمن للقضاء عليها من أسباب فشل عبد الرحمن في حملته الكبرى على غالة ، فقد غضب السطوق لما أصاب صهره وتوقع الشر من ناحية العرب وبدأ يظهر الجفوة نحوهم ، فلم تعد لهم مندوحة من حربه أولاً ، ولهذا اتجه عبد الرحمن بقواته إلى عواصم أطنطانية ففتحها كما سنرى ، وفر من بقي من جنود الدوقية إلى الشمال وأخذوا يستجدون ملك الفرنجة ، وانضمت قواتهم إلى قواته فكثرت جمع النصاري أمام المسلمين . هذا إلى أن الحرب بين موندوسة وعبد الرحمن كانت حرباً بين البربر والعرب في حقيقة الأمر ، وسنرى أن نفوس العرب والبربر لم تكن متلفة في هذه الحملة كما كانت فيما سبقها ، وسيكون لهذا أثره البالغ في هزيمة و بلاط الشهداء ، التي سنفصل أمرها .

جمع عبد الرحمن جنده في بيلونة ، واحتفل في إعداد حملته هذه احتفالاً عظيماً ، لأنه كان يرجو أن يكون فتح غالة على يديه . ثم اخترق بجنوده جبال ألبيرت في لواتل صيف سنة ٧٣٢ م من عبرات ووشقالة التي شهدها مأساة رولان بعد ذلك بستوات ، أي إنه لم يسلك الطريق القاصف الذي سلكه فيه العرب إلى ذلك الحين : طريق ساحل البحر الأبيض الذي ينضم إلى سبتمانية وحوض الرون ، يسلك طريقاً في وسط الجبال يقضي إلى قلب دوقية أطنطانية مباشرة . فلما أفضى إلى غالة اتجه أول الأمر نحو وادي الردانة لكي يهدد أسره ويحسي ظهره قبل أن يتجه إلى دوقية أطنطانية في الغرب ، ويقال إن سبب اتجاهه إلى وادي الردانة خروج مدينة أول (Arclatum) عن الطاعة وتوقف أهلها عن

دفع الجزية ، فهاجمها واستولى عليها بعد معركة عنيفة^(١) . فلما تم له ذلك وأمن ظهره توجهه بجموعه نحو القرب ليهاجم دوقية أقطانية (أكرتين) . وكانت هذه تتكون من عدد من الكونتيات أكبرها عشقونية وتمتد من جبال البرنات إلى حدود الفوار في الشمال ، ومن نهر الألب في الشرق إلى خليج إسكايه في الغرب ، وكانت تعد أعظم إمارات حالة بعد المملكة الفرنجية التي كانت تصاحبها على حدودها الشمالية .

١٠٥ - الاستيلاء . توجه عبد الرحمن بفواته نحو بردال (بوردون) ، فحلف الدوق على بردال (بوردون) بفواته لكي يوقف تقدمه ، ولقيه على ضفاف البوردون (بوردون) على مقربة من ملتقى بالجابرون (Garona) فانتهزم هزيمة قاصمة فقد فيها عدداً عظيماً من فرسانه وفر هارباً^(٢) ، وتقهقر أمام المسلمين نحو الشمال تاركاً لهم عاصمة بردال ، فدخلوها وحبسوها حبساً قريعاً^(٣) ، فلما فرغوا منها اتسحروا في البساط هناك يفتحون كل ما صادتهم ، فلما امتلأت أيديهم من الغنائم تقدموا نحو الفوار ، وكانت وجهتهم هذه المرة مدينة تور ثانية سدائن الدوقية على نهر الفوار وفيها كنيسة سان مارتن ، وكانت لها إذ ذاك شهرة ذاتة في الأنفاق ، فاتحموا البلدة وغربوا كنيتها^(٤) .

(١) حيان : دولة الإسلام في الأندلس ، ص ٨٦ . - DOM VAISSETTE, Op. cit. I. p. 795.

(٢) ISIDORO PACENSE, Chronicon C 95.

ويبدو أن عدد القتل من جيش إيبون كان عظيماً ، لأن إيزيدور يقول :

Deus numerum occisorum vel perentium recognoscat .

DOM VAISSETTE, Op. cit. I. p. 795. (٣)

Tunc Abderraman supradictus Endomen Ducem insequens, dum Tarosensem ecclesiam, palatium diruendo et ecclesias utulando depravatus desiderat (٤)

ISIDORO PACENSE, Op. cit. c. 99.

وأيضاً يذكر إيزيدور اسم كنيسة القديس مارتن (سانكتوس مارتينوس) التي ذكرناها في النص ، ولكن دون تحديد حيثيت ذكر أن العرب حاربوا كنيسة البلدة الرئيسية .

١٠٦- أورد
 مستخدم
 يدعون مارتل

عناك أسرع أورد إلى قوله (شارل مارتل) يستجد به ، إذ وجد نفسه مضطراً إلى مصالحته ، وهذا توحدت قوى النصرانية في خاتمة للوقوف في وجه المسلمين . ورحب قارله بالقرصة ، لأنه كان تواقفاً إلى بسط نفوذه على الكويين وأراضيها الواسعة ، ولأنه كان قد استشعر الخطر الإسلامي منذ حين ، فقد غزا المسلمون منذ عام فقط بورجونيا وهي داخلة في بلانه وصعدوا حتى قازبوا اللوار . وقد عرف قارله كيف يأخذ للأمر عتده ، فجعل يجمع الجند والفرسان من كل ناحية ، ولم يدخر جهداً في ذلك ، فقد كان الخطر في هذه المرة واضحاً جلياً ، ويبدو أنه لم يكتف بمن كان عنده من الجند في غالة ، فبعث يستقدم جنداً من حدود الرين من نواحي أوستراسيا ، فأنه نجدت من جنود أجلاف أقباه يجازيون شبه حركة في مثل هذا الجو البارد ، ويفهم إيزيدور بأن أيديهم كانت حديدية ترسل ضرباتها القاصمة في سرعة وقوة ، وهذا اجتمع لقراره جيش قوي قدير على الثبات للمرب ومنازلتهم^(١) .

وينبغي أن نضيف هنا أن الفرنجة السالبيين أنفسهم - ومنهم كان معظم جند قارله - كانوا قوماً بدويين أشداء لا يفلون عن العرب حلافة ولا شجاعة ، لقد مهدوا بحراهم وصددوهم غالة كلها وغلبوا البرغنديين والقوط الغربيين ويقايا الرومان في غالة وغلبوا السكسون عدة مرات وما زالوا ييم حتى كسروا

Tarotii divitiarum, ecclesiarum et palatiorum vastatione et incendio diruti diruti et corrupti. -
 ١٠٦ / RODERIGUEZ JIMENEZ, 12 - 13.

أما صاحب ذيل التاريخ لويجيدروس فيقول
 ... Ad domum beatissimi Martini evectendam destinant

أي: إنه يترك إلى العرب أرفوا فقط تحريب الكنيسة ولم يفعلوا :

Scolastici Preceptorii Continuatio II.

Ubi dum pax per septem dies atriq; de pugna conflictu exoriant, sese postro- (١)
 mo in aciem parant, atque dum aciem diriscent gentes septentrionales in ictu oculi
 et paries inflexibiles permanentes, sicut et Zoon signis glacialiter marant adstrictas,
 Arabes gladio emicant .

ISID. PAC. Op. cit. c. 39.

شربهم ، وانصاعت لهم جماعات كثيرة من الثبريرين كالسوف والالآن ، وكان ملكهم في ذلك الحين في صعود ، إذ كان قارله حاجب اللوك الثروفتجين ، وكان أبوه يبين قد استولى على السلطان منهم ، وخلقه قارله واحياً طفا المطلب الجيد وهو إزالة الثروفتجين عن الملك والحلول محلهم . وكان سياسياً قافراً وعلمياً ماهرأ ، استطاع أن يجمع الناس حوله بالقوة تارة وبالسياسة تارة أخرى ، واجتمعت له قوات قتل يرقب بها الحوادث ، فلما بلغت كيباء الغزو العربي شعر الامتوحة له عن اتخاذ الأهبة ، ثم أفلل حصصه أودو يستلث به فلبس النداء وأسرع للقضاء المسلمين بنفس مشرقة للقتل وجنود منطلعة للقتال^(١) .

١٠٧- النصر وكان للمسكر العربي في مثل هذه الحال من التوتز وحلو الحالة الإسلامي للمنية : لم يكن يتقص المسائلين الإيمان ولم تكن الحيرة لتعوز ليل العزة القيادة ، ولكن أموراً أخرى كانت تغل من هزيمة الجيش وتقلل من أمه في الظفر .

كول هذه الأمور أن العرب بعدوا مسافات شاسعة جداً عن مركز الدولة الإسلامية^(٢) . ويكفي أن يتصور الإنسان المسافة بين دمشق وجبل طارق ، وبين جبل طارق وهر اللوار ليعلم أن الجيوش الإسلامية للحرية في نواحي خالة كانت تقوم في الواقع بمغامرة أعرب إلى نقص الأساطير منها إلى حوادث التاريخ ، لأنها كانت في وضع لا تستطيع معه أن تحصل على إمدادات من الجند أو العتاد من مركز الخلافة . ولم يكن في استطاعة هؤلاء المحاربين أن يحصلوا على إمداد من عامل الأندلس في قرطبة ، لأن حنذاً عقلياً من عرب الأندلس لم يستقروا في العاصمة مل تفرقوا في نواحي شبه الجزيرة وشغلوا بها إلى حد كبير عن الحكومة المركزية . وقد رأينا فيما مر من الحديث أن عرب الأندلس هؤلاء

GIBBON, *Decline and fall*, II, p. 803.

(١)

(٢) أنار جيون إلى هذا الحد الشاسع إشارة لطيفة جداً .

الظفر : استصلاح الدولة الرومانية وسقوطها ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٢ .

كانوا في واقع الأمر جماعات متفرقة في التواحي لا يستطيع العامل استخدام أجناد منهم على عجل ، وكانت العصابات قد توزعتهم وفرقت بينهم ، فلم يعد من اليسور لعامل الأندلس أن يجمع قوات محترمة إلا من بني عصبته . وربما لم يكن هذه النقطة الأخيرة أثر كبير في تكوين جيش عبد الرحمن ، لأنه كان في الواقع بعيداً عن نزعة العصبية ، فاجتمعت إليه أعداد كبيرة من عرب الأندلس جميعاً ، إلا أن أثرها ظهر بعد مقتله ، فقد تفرق العرب واختلفوا فيما بينهم اختلافاً شديداً انتهى إلى انسحابهم جملة ، ولو كانوا بدأ واحداً لارتدوا بعد الهزيمة إلى أقرب مركز لهم ليستجمعوا قواهم من جديد كما فعلوا بعد الهزائم المتكررة التي جرت عليهم في إفريقيا .

وانتصف إلى هذا ما كان بين العرب والبربر إذ ذلك من أسباب الخصومة ، وهي ظاهرة تاريخية ينبغي ألا يجعل حسابها في كل ما يتصل بتاريخ المغرب والأندلس حتى نهاية القرن الهجري الثاني ، وقد رأينا مثلاً ثورة مونتوسا وما جرت من وحميم العواقب ، وسنرى أثرها واضحاً كذلك فيما أعقب موقعة البلاط . وكانت غالبية الجيش الإسلامي المقاتل في غالبه من البربر ، وليست لدينا أية تفاصيل عن أعدادهم أو طوائفهم ، مما يحول بيننا وبين استجلاء حقيقة الموقف في المعركة الحاسمة .

ومسألة أخرى كانت تصعب الجيش الإسلامي وتقلل من أمه في الظفر ، هي الغنائم التي جمعها الفرقة المسلمون من التواحي التي مروا بها قبل لقاء القرنية في الموقعة الفاصلة . وتتفق المراجع جميعاً على أن الجيش الإسلامي كان يمر ورياه قطاراً عظيماً محملاً بالغنائم والأسلاب من كل صنف ، وربما بلغت المراجع النصرانية في وصف أعمال السلب والنهب التي قام بها المسلمون في تواحي غالبية ، ولكن أكثر الأحكام اعتدالاً في هذه الناحية يقرر أن المسلمين اجتمع لهم شيء عظيم جداً من أسلاب المدن وتحف الكنائس والتقسوز والحصون . وبدوا أن استسلك الجند بهذه المغائم كان عظيماً ، لأنهم حملوها معهم حتى عبر اللوات ، ولو أحسنوا لبعثوا نفراً ليودعها لرسوة أو يرشونة حتى

يطبختوا عليها وتحلوا أيديهم للعسل المقبل ، ولكنهم كانوا أحرمص عليها من أن يذوقوها ، بل سترى أنهم كانوا أحرمص عليها منهم على النصر والظفر ، فكان هذا الحرمص في ذاته من أشد أسباب هزيمتهم ، لأن عدوهم استشعر هذا الحرمص منهم وعرف كيف يستغله لصالحه .

١٠٨ - مكان
المعركة
ولنا تعلم مكان الواقعة القاصلة بين المسلمين والفرنجة على وجه التحديق : أخفقه الرواية الإسلامية فيها أفضت ، وتركته الرواية النصرانية مبهاً فذكرت أنها كانت إلى شمال بيواتيه Pictavens في اتجاه تور ، أي على الطريق الروماني القديم بين البلدين ، ويقول على « الطريق الروماني » لأن اسم المكان كما تحدهه الرواية الغربية باسم « بلاط » الشهداء يفهم منه أنها وقعت على مقربة من قصر كبير « بلاط »^(١) وربما كان أقرب الأراء إلى الصحة في هذا الموضوع ما ذكره بروئسال من أن الواقعة كانت « على مقربة من طريق روماني يصل شاتلرو (Chatelleraut) بيواتيه ، على مسافة نحو عشرين كيلو متراً من المدينة الأخيرة ، وربما كانت عند الوضع الذي يسمى اليوم (Moussais - la Bataille)^(٢) .



١٠٩ - معركة
سلاط الشهداء
لم تقدم لنا هذه الرواية الإسلامية إلا إشارات عابرة مبسرة عن هذه الواقعة القاصلة . ولا يحلل هذا الإخفاك الغريب بمجرد رغبة الرواة المسلمين في إخفاء معالم هذا الحادث المحزون ، لأن هؤلاء المؤرخين قدموا لنا تفاصيل طيبة عن هزائم أخرى تزلت بالاسلام على يد النصرانية ، كهزيمة الخندق ومأساة العقاب ، وكانت هذه الأخيرة أخطر من

(١) LEVI - PROVENCAL : *Miss de F&ap. Microbiome*, t. p. 44.

(٢) ظن الكثيرون أن القراء بلفظ « بلاط » طريق بلاط ، وترجمها الصغاري إلى PAVI ، ولكن المراد بلفظ بلاط في الأندلس قصر أو حصن حوله جدران تامة له ، فيبولون « بلاط محبت » و « بلاط الحر » و « بلاط يوسف » ويفصلون بذلك قصور أو قلعة الرجال ، واللفظ مشتق من Palatum اللاتينية . وعلى هذا فبلاط الشهداء معناه في الواقع « قصر الشهداء » ، مما يفهم منه أن مكان الواقعة كان إلى حواله قصر أو حصن كبير وربما كانت له علاقة كبيرة بهزيمات المعركة .

« بلاط الشهداء » وكانت مصيبة الإسلام فيها أعظم ، فكان إحصاء معالها أول ، فكيف اتفق أن كل ما تقدمه الرواية العربية عن هذه الواقعة لا يزيد في مجموعها على عشرين سطراً موزعة في نحو سبعة مراجع أو ثمانية ؟ بل كيف نجد نصوص هذه الروايات من الاضطراب بحيث يذهب ابن عذارى على ذقة روايته إلى أن الواقعة حدثت سنة ١١٥ هـ لا سنة ١١٤^(١) بل كيف يذهب ابن خلدون إلى أن قائد المسلمين الذي استشهد في هذه الواقعة لم يكن عبد الرحمن الغافقي وإنما محمد بن عبيد الله بن الحبحاب ، وهي شخصية لم نسمع بها إلى الآن في حوادث الأندلس^(٢) وكيف يذكر المقرئ في إحدى رواياته أن الواقعة حدثت أيام السمح بن مالك^(٣) كيف يقع هذا التناقض كله وذلك الإهمال كله في وقعة مشهورة فريدة في بناها كواقعة البلاط مع أن نفس هذه المراجع أوردت لنا تفاصيل هزائم إسلامية أخرى حدثت في نفس الفترة على عرجة كبيرة من الدقة والعناية ، كما رأينا في هزيمة « صهوة » و « الأشراف » اللتين مررنا بهما ؟ ثم كيف نجد الرواية النصرانية لا تخطئ مرة واحدة في ذكر اسم القائد الإسلامي الذي خلط روايتنا التقات فيه هذا الخلط ؟

الواقع أن المسألة لا تعطل إلا بشيء واحد : هو أن هزيمة المسلمين كانت من الشدة بحيث كان أوائل الرواة يفسرون حتى من مجرد ذكرها من فرط الألم والشاؤم ، فاندرجت أخبارها في مدارج النسيان وتعاقت عليها الأعمار فلم يبق في ذاكرة الرواة منها إلا أن أهل الإسلام قد هزموا في هذه الناحية هزيمة مروعة بين سنتي ١١٤ و ١١٥ هجرية .

والدلائل كلها تنطق بأن الهزيمة كانت مروعة حقاً : أولها تسمية الواقعة ببلاط « الشهداء » ، وهي تسمية يفهم منها أن عدد من استشهد فيها من المسلمين كان عظيماً جداً . وثانها أن المسلمين لم يتناولوا الاضطراب من اللوار بعد

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

(٣) ابن حبان في المقرئ : فتح ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

ذلك أبداً ، ولو كانت هزيمتهم هناك بسيرة لعادوا إلى المحلولة ، ولو بقيت منهم بقية صالحة ما ترددت في العودة . وثالثها هذا الصمت الغريب الذي تسدله الرواية الإسلامية على الواقعة . ورابعها هذا الإجماع على فداحة خسارة المسلمين الذي نجده عند المؤرخين النصارى في هذا الموقف ، فضلاً عن مؤرخينا الأول ابن حبان الذي لا تدع روايته مجالاً إلى الشك في مصاب المسلمين في هذه الواقعة^(١) .

ولا مندوحة لنا عن الاعتماد على المراجع النصرانية في وصف هذه المعركة الخطيرة ، وينبغي أن ننبه إلى أن أقدم هذه المراجع - وهما المدونتان النسوية أولاهما إلى إيزيدور الباجي وثانيتهما للنسوية إلى بلده موماسياك (Molissiac) - قد كتبت أولاهما بعد الحوادث بنيف وعشرين عاماً وثانيتهما بعده بنحو قرن ، ولم يزد ما كتبهما معاً عن الواقعة على بضعة أسطر ، أما التفاصيل الكثيرة فتتراجع إلى مدونات متأخرة جداً تشوبها روح القصص والأساطير .

ونكتفي في وصف تطورات هذه الواقعة بما أورده عنها إيزيدور الباجي وصاحب مدونة موماسياك وبابولوس دياكونوس وصاحب ذيل فرميجياداريوس الأول والثاني^(٢) .

(١) ... وذكرته - أي عبد الرحمن الغافقي (ويذكر ابن حبان المسيح بن مالك خطأ) - كتل في الواقعة المشهورة عند أهل الأندلس بواقعة البلاط ، وكان جنده الإنجليكية قد تكاثرت عليه ، فاستأذنت بالمسلمين ، فلم ينج من المسلمين أحد . قال ابن حبان : ليقال إن الألمان يسبح بذلك الوضع إلى الآن .

ابن حبان رواية القرظي في فتح القليب ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

BIDORO FACENSE : *Chronicon*, ed. 58 - 59, 60.

(٢)

Chronicon Molisimense, p. 166.

PAULUS DIACONUS, *Ex Lib.* VI.

Sordani Fragularii. Continuatio, II, III, 294-304 *Ajbar Mac'hmas*, p. 168.

ODIERA, *Op. cit.* pp. 118-119.

REINAUD : *Op. cit.* p. 34-35.

١١٠ - المعركة وقع اللقاء بين قلوبه وعبد الرحمن في الثاني عشر أو الثالث عشر من أكتوبر سنة ٧٣٢ م / أواخر شعبان سنة ١١٤ هـ . وتبادل التفاهيل التي لديها على أن كلاً من الفريقين كان يحس خطورة هذا الصراع الحاسم ، فلم يشبك الجيشان في المعركة الحامية إلا بعد بضعة أيام ظلاً ظللاً يتناوشان في اشتباكات محلية ، ثم اشتبكا بعد ذلك في قتال عنيف ، واجتهد الفرنجة ومن معهم من الألمان والسويف والسكسون في اختراق خطوط العرب يومين متتاليين دون نتيجة ، وقد بللوا أنفسهم ما استطاعوا من جهد وهجم مشاهير وفرسانهم على المسلمين هجوماً عنيفاً بالحرايب ، ولكن هؤلاء لبثوا ثباتاً لمبدأ ، بل بدأ في بعض الأحيان - قرب مساء اليوم الثاني على الخصوص - أن المسلمين أخذوا يتفوقون على أعدائهم . ثم حدث بعد ذلك أن اندفعت فرقة من فرسان الفرنجة فاخترقت صفوف المسلمين في موضع ، وأفضت إلى خلف الصفوف حيث كان المسلمون قد أودعوا غنائمهم وكانت شيئاً عظيماً جداً ، فربح الجند الإسلامي المحارب وغشي الكثيرون من أفرادها أن يستولي عليها هؤلاء الفرنجة ، فالتفت بعضهم وعادوا إلى الخلف ليعيدوا الأعداء عنها . وهنا اضطرت صفوف المسلمين واتسعت الثغرة التي أخذ منها الفرنجة ، فاندفعوا فيها في عنف وقوة زلزلت نظام القوات الإسلامية ، وحاول عبد الرحمن جهده أن يثبت جنده ويمد نظامه أو يصرفه عن الملح على الغنائم فلم يوفق ، بل أصابه منهم أودى بحياته ، وكان ذلك نذير الشوم على جيوش المسلمين ، إذ انهال عليهم الفرنجة من كل جانب وحصدتهم حصداً . وسُير المسلمون حتى أتبل الليل ، فانتهزوا فرصة الظلام وتسللوا متراجمين إلى الجنوب على عجل ، وكان ذلك في العشرين من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (لوائل رمضان سنة ١١٤ هـ) .

وحينما أسفر الصبح نهض الفرنجة لمواصلة القتال ، فلم يجندوا من المسلمين أحداً ، وتقدموا على حذر من مضارب المسلمين ، فإذا هي عالية منهم وقد فاضت بالغنائم والأسلاب والحيرت ، فظنوا أن في الأمر خدعة ، وترشوا قبل أن يتحاشوا العسكر ويتجهوا ما فيه ، ولم يفكر أحد منهم في تتبع المسلمين ، أما لأنهم خافوا أن يكون العرب قد نصبوا لهم بهذا الانسحاب شركاً ، أو لأن

قدم الأندلس من إفريقية أو كان من عربها اللقبين فيها ، ويغلب على الظن أنه كان من جند العرب في الأندلس ، واختاره عبدة للولاية من بينهم ، لأننا نجد من أول الأمر في عصابة من الرجال يؤازرونه ويتصهون له . وهو أمر لم يكن ليحدث لو أنه أتى من إفريقية ، خصوصاً وأن المراجع لا تذكر أن جماعة من العرب انتقلت إلى الأندلس في ذلك الحين .

وكان أول ما اعتم به عبد الملك هو المسير إلى طالة لإقرار أمر
 ١١٢ - عبد الملك
 ابن ظفر العمري
 يسير إلى طالة
 المسلمين فيها بعد مولعة البلاط وما تلاها ، وقد توجه بنشاطه
 أول الأمر إلى نواحي شمالي الأندلس ، فهاجم نواحي أروغون
 ونبره ، ثم عبر البرنات وأفضى إلى لاجدوك واهتم بتحصين
 المعاقل التي كانت ما تزال في أيدي المسلمين . وكانت نواحي سبتانية إذ ذاك
 في فوضى شاملة بسبب الحروب المتوالية وبسبب الاضطراب الذي نجم عن
 هزيمة البلاط وتفكك جيوش المسلمين ، وكان الظاهرون من أهلها قد انتهزوا
 فرصة تلاشي أمر اللدوق لكي يتوزعوا النواحي فيما بينهم وبعثوا أنفسهم أكتعاداً
 أو أوقافاً بها ، واحتربوا فيما بينهم . وكانوا جميعاً يكرهون الردو وقبارله معاً ،
 وخشوا أن تؤدي هزيمة المسلمين إلى وقوعهم تحت سلطان أحدهما ، فجمعوا
 يستعينون بالعرب المتحصنين في أريونة ، وتذكر المراجع عنهم ذوقاً يسمى
 ماورنت (Maurontes) اتخذ لقب ذوق مرميلية وحالف جند المسلمين وطمع
 في السيادة على بروغانس كلها^(١) .

وكان قارله مشغولاً إذ ذاك بتقرير سلطانه في ولايتي بورجونيا وليون اللتين
 تم له فتحهما ، وكان المسلمون قد فتحوها ثم أخذوا عنها بعد الهزيمة وخلطوها
 في فوضى شاملة ، فأتاهم قارله فيها نقرأ من المتخلصين له بسمون Laudes
 (أي الخلاء) وفرض طاعته على أشرافها . ثم اشتغل بعد ذلك بأمر أهل
 فريزيا (Frisia) ومضى لإعضاعهم وأتفق في ذلك وقتاً ليس بالمتصير . وأحب
 أن يضمم ولاء جنده فأطلق أيديهم في ذخائر الكنائس وأملاكها ، فأغضب

REINAUD, Op. cit. p. 52.

(١)

بذلك التساوية وعامة الناس . وكان جنده الفرنجة يعتبرون أنفسهم سادة البلاد المفتوحة ، وكان قراره يميز جنده على أهل عمالة الأصليين ويحرم عليهم الزواج منهم ويلزمهم بالعيش بعيداً عنهم ، فيغضه أهل جنوبي غالة ، وقرى حماسهم نحوه ، وهكذا خسر ولائهم^(١) ، وأعلن ذلك العرب على الثبات في هذه النواحي ، بعد أن كان أمرهم قد تفرج وتواتر عليهم ثواب الناس ، حتى غدوا كالمحصورين في أربونة وغيرها مما كان يدهم من العائل .

١١٢ - المسلمون وكان قائد جنده المسلمين في أربونة وغالة رجلاً تسميه المراجع بـ *بسترون* أو *الضمرانية* *بـ يوسف (Jussel)* ، والغالب أنه يوسف النهري الذي انتصر إليه ولاية الأندلس فيما بعد ، فاتحد مع ساورنت *دوق مرسيلية (Massilia)* ، وسار لفتح الرندانة واستولى على *آرل (Arelatum)* وغيرها وأطلق يد جنده فيها حولها حتى صارت لقسراً خراباً بعد ذلك أربع سنين ، وتوغل بعد ذلك في بروغانس واستولى بعد حصار طويل على بلدة *فرتا (Perotta)* التي تسمى اليوم *(Saint - Remi)* .

١١٤ - الاستيلاء ثم توجه نحو *أبينون (Avenionum)* واقتحمها على أهلها على *لبيون* بعد أن دافعوا عنها دفاعاً عنيفاً ، وأضت جيوش المسلمين إلى *نهر الدورانس (Durance)* ووقفوا عند ذلك الحد بعد أن استعادوا بقيادة *يوسف* هذا جزءاً عظيماً مما كانوا قد فقدوه بعد وقعة *البلاط* ، وقد ثبتت قدم المسلمين في هذا الجزء أربع سنين لم يمرر خلالها أحد على منازلهم السلطان *قيداً*^(٢) .

Gallo Arvenna, I, p. 537, 544, 600, 620.

(١)

RENAUD, Op. cit. pp. 33 - 34.

Chronicon Moissiacense, p. 166.

(٢)

Recueil des Historiens de France, II, p. 655.

Fregedari Sciociani Cordeuano, dans Recueil des Historiens de France, Op. cit. II p.

456.

Deiis rebellanti gente vobisima Lanciaulorum, irruumpenteque Rhodorum Fl-

- viciu...

وقد لبث قارله ساكناً أثناء ذلك كله ، ولم يفكر في السير للقاء المسلمين مع نهمه إلى الأرض وطعمه في توسيع سلطانه بأي سبيل ، وبدلاً من ذلك أسرع إلى أقطانية حينما بلغه موت لودو سنة ٧٢٥ م وأرغم ابنه على حلف بين الولاة له . ولا يعلى انصرافه عن العرب وتجنب لقاءهم إلا بأنه قد ذاق مرارة الحرب معهم وعرف جلدتهم وقدرتهم فصار يتجنبهم ، وقد رأيتهم يتخوفون منهم بعد موقعة البلاط مما يدل على أن نجرة « البلاط » لم تكن عسيرة على العرب وحدهم ، بل على قارله أيضاً . وكان هو أعرف الناس بأنه لولا لفظته إلى حيلة مهاجمة معسكر الغنائم لما استطاع كسب معركة البلاط ، وقد كان يفود المسلمين فيها بطل من أبطالهم هو عبد الرحمن العافقي ، وهو جيش وحده .

١١٤ - إحصاع وكان عبد الملك بن قطن قد اطمان إلى جهد قائده في أربوة ، إمارات البرت فلم يتجشم عناء السير نحو الرذانة ، فوجه همه نحو إمارات جبال البرت^(١) ليكسر شرة أهلها ، وكثرت كما رأيتنا قوماً جبلين شديدي الراس قد ضروا على حروب الجبال والمصابت ولم يكن قد أخضعهم إلى ذلك الحين أحد ، وقد لقي عبد الملك في الحروب معهم بلاء شديداً وعزموه في معركة كبيرة لا تذكر المراجع زمانها أو مكانها ، وكان بطبعه رجلاً سيء السياسة عتياً قلوباً ، فلم تلبث الشكوى منه أن وصلت إلى أفرقية واتصلت إلى دمشق ، وانضات إلى ذلك هزيمة فصبغت بعزله . وكانت ولاية إفرقية قد صارت إلى عبيد الله بن الحبحاب ، فصجل بعزل عبد الملك وبعث على الأندلس مولاة عقبه

PAPON : Hist. de Provence, I, p. 85.

M. DE LAGUY : Description de Quelques médailles inédites de Marseille (Ann. 1834) p. 23

REINAUD, Op. cit. pp. 54 - 55.

(١) لم تكن جبال البرت إذ ذلك ماصلاً بين غالة وإيبيريا كما هي اليوم فاصلاً بين فرنسا وإسبانيا . وإنما كانت فيها إمارات فقد حل جيش الجبال في غالة وإيبيريا ، وهذه الإمارات هي السنوات التي تشكلت حوقاً فيها بعد ملك نورا وأرجون .

ابن الحجاج السلوي ، وكان أفضل من عبد الملك من كل وجه^(١) .

كان عقبة يطبعه وجلاً جماعداً ، مثله في ذلك عبد الرحمن الغافقي ، وكان قد اختار ولاية الأندلس لأنها « موضع جهاد » كما قال^(٢) ، وكان مسلماً صلباً عادلاً متفانياً في القيام بأعباء منصبه الجديد ، وكان عبد الملك قد أفسد الأمور وبشر أهل الأندلس ، عرباً وغير عرب ، مسلمين وغير مسلمين ، فصرف عقبة همه إلى اقرار الأمور وإشاعة العدل في الناس ، ثم تجرد للجزو في شمالي الجزيرة ، وصرف همه أول الأمر نحو الثائرين في أشتريس ، فلما أوفى على غنائه في هذه الناحية التحدر إلى الشرق ، فنزل سرقسطة وتوجه منها نحو البرنات وغالة .

١١٦ - عقبة
السلوي
يهدد تشارط
الفرج في غالة
كان المسلمون بعد أن ثبتوا أقدامهم في بروفانس تحصنوا في
المداين الكبرى وحولوها إلى رماطات ثم جعلوا يرقبون
الحوادث . فلما أقبل إليهم عقبة بحماسة ورغبة في الجهاد نهضوا
معه نحو ناحية الدوقينية (Dauphiné) واستولى عقبة على
سان - بول - شروا (Saint-Paul-Trois-Chateaux) ودونزير
(Donzair) وغيرها . ثم اتجه نحو الشمال في جردة وحزم فاستولى على
لأانس وخرب جميع الكنائس المحيطة بفيون (Vienne) ، وكان من معه من
الجنود ينتظرون هذه الفرصة بفارغ الصبر ليهدموا ثلر معركة « البلاط » ، فعضوا
معه يشتدون لا يكادون يقابلون شيئاً عامراً إلا خربوه .

(١) REINAUD : Op. cit. p. 55.

(٢)

ويذكر بنو في نفس الموضوع أن الخليفة أبقى لعبد الملك ولاية تطغور الشمالية في الأندلس وسخطت
الحوادث ، ولا تعرف المصدر الذي استقى منه هذا الكلام ، وكل ما نعرفه هو أن عبد الملك بقي
في الأندلس بعد عمله وأنه كان يدبغ بمرکز ممتاز بين البيتين في الأندلس ، وقد ظل يدبر على
حده حتى رآه في أستراليا أيام ولايته واستقر ولاية الأندلس من جديد كما نعلم
الأخبار المصنوعة ، ص ٢٧ - ٢٨ .

Galla Christiana : I, 303 - 337.

(٣)

REINAUD : Op. cit. p. 57.

١١٧ - إيلدة وصعد بهم حفة مع ودانة حتى أهدأ فتح إقليم بورجونيا كله ،
 فتح بورجونيا واستولى على ليون من جديد ، وامتد جناح المسلمون الشرقي
 في إقليم دوفاينه حتى وصل إلى بيدمت في شمالي إيطاليا ،
 ويبدأ أن المسلمين مستعدون مراكزهم كلها في حالة عن قريبة^(١٦) .

هنا تحرك قارله للعمل من جديد ، وكانت حروبته مع أعدائه في شمال
 أوتراسيا وشرقها قد انتهت إلى هدنة مؤقته سنة ٧٢٧ م واستطاع التفرغ للسير
 نحو الجنوب ، فجعل يؤرمال أخيه شلدبراند (Childebrand) - ساعده الأيمن
 في كل حروبته - في جيش كليف نحو أبنون ، وكتب إلى لوتبراند
 (Luitbrand) ملك اللومبارد في شمال إيطاليا يسأله المسير لهاجمة جناح
 المسلمين الشرقي للتحصن في جبل بيدمت . وانحدر شلدبراند مع الرون حتى
 وصل أبنون وبدأ حصارها ، وكان المسلمون قد أحكموا تحصينها فعمجز الجيش
 الفرنجي عن اقتحامها ، واضطر قارله إلى السير بنفسه في جيش جديد ، وشدد
 الأحواض الحصار واستماتاً بأآلاته ، وتقدم لوتبراند في نفس الوقت وهاجم
 المسلمين عند بيدمت ، وأمام هذا الضغط الشديد لم يستطيع المسلمون
 الاستمرار في الدفاع عن أبنون ، ولكنهم لم يسلموا البلد واستماتوا في الدفاع
 عنها حتى اقتحمها الفرنجة عليهم . ويصف صاحب قيل مدونة فريجيداريوس
 استيلاء قارله على البلد بقوله :

« . . . وأحاط كارولوس (قارله) بالبلد وحاصر أسوارها حصراً حديدياً
 (in modum Hierico) بجيش ضخم وأبواق ذات أصوات عالية وآلات حرب
 وأعدت مفزعة مركبة على الأسوار ، وحضرت حول الأسوار خنادق ، وتواترت
 على البلد جيوش جرارة فلم يلبث البلد أن سلم^(١٧) . »

(١٦) Gallia Christiana I, 300-777REINHAUD, OP. Ch. P. 57

PAULUS DIACONUS, Lib. VII apud Achbar Machems., p. 187. (١٧)

ونفسه :

« Cuius machines et rotas huius super muros et aedem moenia irruunt, urbem vaco-
 cedunt, hostes captivum interficientes trucidant... »

وتختلف لوتبراند لوحة عند هاتوا الشار في بعضه أريات تكشفها عنها إلى ما سمعنا مع العرب في شمال

ثم تقدم الجيش الفرنجي نحو أريونة معقل العرب الرئيسي في غالة ، وتذكر المراجع النصرانية أن قائده كان يسمى أثيمة (Athima) وربما كانت صحته « هزئة » . وتذكر اللقونات اللاتينية أن اسم ألبرت وثبت بالمسلمين من جديد وقطعت مواصلاتهم مع الأندلس ، فلم يبق للقوات الإسلامية في غالة إلا أن تحصل بمراكزها الرئيسية في إسبانيا عن طريق البحر ، فعجل عقبه بن الحجاج بإرسال مدد عن طريق البحر يقوده قائد عربي يسميه إيزيدور الباجي (Amor) وصحت عمرو أو عمر على الغالب ، فنزل المدد على شاطئ « غالة في موقع قريب من أريونة ، فأسرع فأرله للقائه ، والتقى به يوم أحد على شاطئ « نهر البير (Berre - Birra) على بضعة فراسخ من أريونة ، ويذكر صاحب مؤرخة موانئك أن القائد العربي كان قد تحصن على ديرة عالية واعتمد على كثرة جنده ولم يتخذ الخيطة ، ففاجأه فأرله على غرة وأنزل به منمة ليحده استشهد فيها عمر نفسه ، ولم يتج من معه إلا عدد قليل استطاع بعضهم الوصول إلى أريونة ودخولها ، وحاول الباقون الهرب في المراكب فتعقبهم الفرنجة في مراكب صغيرة وأصابوا كثيرين منهم^(١٦) .

١١٨ - قارل وهناد قارله يشدد الحصار على أريونة ، واستبسلت حاميتها الإسلامية فلم يندرك الفرنجة منها على طول الحصار متلاً ، فاضطر قارله إلى رفع الحصار والتقهقر إلى الشمال . ويدون أهل غالة الجنوبية ولفوا منه موقف العدو ولم يعينوه على ما طلب من

= إيطاليا بطرله :

Deinceps terrarum feroces
 Uaque Saraceni, quos dissipat impiger, ipso,
 Cum diremrent Gallis, Caetero poscente iuram
 of : SIGONIUS, de Regno Italiae, anno 740.

وأما تعقيب حصار قارله لأبيون فقد ورد في :

Fregetarii Continuatio III, apud Achibae Mächman pp. 168 - 169.
 Brenetides Historiens des Gaules, II, p. 486.
 REINAUD, Op cit. pp 57 - 58.
 Continuatio Scolastici Fregetarii III, Loc. cit.
 Chronicon Moitanicemar apud Achibae Mächman pp. 165 - 166.

(١٦)

إخراج المسلمين ، مما يدلنا على أن ما تذكره الروايات النصرانية عن مساءتهم في
المنواحي التي دخلوها، إن هي إلا مبالغت قسوسة ومزاعم رهبان نصارى .
فلراد قارله لإنتقام من أهل غالة ليحزي نفسه عن فشله أمام حصون أربونة ،
قتلهم صفاً شديداً ، وغرب حصون بيزيه وأجفة وبيمه . وقد لقيت هذه
البلدة النصرانية الأخيرة من الولايات على يد قارله شيئاً كثيراً ، مهدمت أسوارها
وأخلقت فيها النيران ، وفعل قارله مثل ذلك بمجطونة (Magallona) وكانت إذ
ذاك من المدن الزاهرة في هذه الناحية . وعاد إلى الشمال ومعه كثير من أسرى
المسلمين وعدد من كبار الغالين ، أعظمهم معه كرهاتن ليضعن بهم إرغام أهل
نواحيهم على التسخّل عن حوز العرب ، مما يدلنا على أن أهل غالة الجبوتية كانوا
يفضلون المسلمين على الفرنجة ، وذلك طبعي ، لأن الفرنجة كانوا إذ ذلك
أجلاً قسا بعيدين عن كل تمدن ، لا مقاربة بينهم وبين المسلمين أصلاً في
مسائل الحكم والتنظيم .

ويؤيد المؤرخ رينو ذلك بقوله : « ومن المؤكد أن سلطان قارله كان ميخضاً
إلى أهل غالة الجبوتية ، لأنهم كانوا يفتخرون بأنهم احتفظوا بجزء من النظم
الرومانية وحضارتها ، فكانوا ينظرون إلى أهل الشمال نظراً إلى متبرهين مع
لم تزيلهم طوايح البلافة الجرمانية . ولم يستطع رجال الدين على الخصوص أن
يغفروا لقارله استبداده بممتلكات الكنائس . وكان العرب في تقدمهم قد استولوا
على معظم الكنائس والأديرة ووضعوا أيديهم على ممتلكات هذه المؤسسات ، فلما
أقبل قارله وأخرج العرب لم يعد إلى رجال الدين ممتلكاتهم ، وإنما فرق الأراضي
والمنازل على جنوده ، فآثار ذلك استنكار الأتقياء وظل معظم الأسقفيات والأديرة
عراياً لقلّة تعهدتها بالعتية . ويذكر التاريخ فيليكاريوس (Viliarius) أسقف
لسيون الذي حاول ، بعد خروج العرب من المدينة ، أن يسترجع ممتلكات
أسقفية ، فلما وجد لها تفرقت في أيدي غير رجال الدين غادر بلده ومضى إلى
دير القديس سالوريكيوس (سان موريتز الآن) . ولم تصلح هذه الأخطاء إلا

خلال الأعراس التالية شيئاً فشيئاً ، في حكم بين وشارلمان (١٦) .

١١٩ - وعجزة رينو تفسر لنا مر كراهية أهل غالة الجنوبية للفرنجة ،
العرب
وأهل غالة
ولكنها لا تفسر لنا سر ميلهم إلى المسلمين ومؤازرتهم إياهم ،
وليس لذلك إلا تفسير واحد لم يشأ المؤرخ أن يذكره ، وهو أن

المسلمين كانوا يحترمون الدين وأصحابه ، ولم تمتد يدهم بالأذى إلى أموال الناس
قيماً دخلوه من البلاد إلا بقدر ما اضطرتهم إليه الضرورات العسكرية . وقد
رأينا المسلمين ينصفون الناس في الأندلس ولا يكادون يؤذون رجال الدين أو
المؤسسات الدينية ، فمن عجب أن تتغير نعتهم دفعة واحدة بعد دخولهم غالة !
وقد كان قائدهم إذ ذاك رجلاً اشتهر بالعدل وإشراق الحق هو عقبة بن الحجاج
السلولي الذي تجمع للمراجع التصرانية نعتها حل التناء عليه ، ومن أسف أن
مراجعة العربية تضمن علينا بسطر واحد بتر أماسنا الطريق في هذا الموطن
اليهم ، إلا عبارة يسيرة عن سلوك عقبة تزيد ما قلناه ، تقول إن الرجل كان إذا
أسر الأسير لم يفتكه حتى يدعوهُ إلى الإسلام وبين له فضائله ، فأسلم على يديه
ألفا رجل بذلك (١٧) ، مما يأذن لنا في القول إن عقبة ومن عمل تحت إمرته من
المسلمين كانوا يؤثرون الرفق حتى مع الأسرى (وكان مصيرهم القتل في قواعد
الحرب في تلك الأيام) فكيف بأهل المدن والأرياف الذين يستسلمون ويؤدون
الجزية دون حرب ؟ وكيف ولدينا الرهبان الساطع حل حسن تصرف المسلمين
مع أهل هذه النواحي من انضمامهم إلى المسلمين ومؤازرتهم إياهم على ملك
الفرنجة وأودو وغيرها من طوائف الجرمان ؟ وحتى كتابات الرهبان - على
تعصبها الشديد - تنقص بالشكوى من ساءات الفرنجة وملكهم قارله ، وقد
كتب معظمها بعد هذه الحوادث بسنوات ، أي في ظلال أمبراطورية شارلمان ،
فلا بد أن كتابيا تحفظوا كثيراً من ساءات قارله ، وأما ما طيها من الأقوال من

(١٦) انظر عن هذه التفاصيل مدونة مواسيك والديبل الثالث لمؤرخة فرميداريوس في النواضع المشار إليها
cf. CHARYIT : *Mis de la Sainte Eglise de Vienne*, p. 147.

REINAUD - Op. cit. pp. 59 - 61.

(١٧) ابن خلدون : البيان القرب ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

أقاميل المسلمين فمبالغتة تغرب من الأساطير ، ولا يستطيع التاريخ للتصنف أن يقبل إلا القليل منها^(١).

وكان الدوق ماورنت قد عاد إلى بروقاتس بعد انصراف قارله ، وعند المختصر مع المسلمين من جديد ، فتخوف قارله من عواقب ذلك وقرر السير إلى الجنوب مرة أخرى لمحاولة القضاء على هذا الخصم العنيد . فاتحدر سنة ٧٣٩ م مع أخيه شلدراند ووجهتها ماورنت وبلاد ، واستوليا على ماسيليا (مرسيليا) قاعدة دوقية وطرداه من البلاد ، وأقاما للحكم على الشاطئ المقابل لشواطئ اسبانيا وحالا بذلك بين العرب وبين الاسترسال إلى شرقي ودانة من جديد^(٢).

بيد أن المسلمين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا التحدي ، وجعلوا مهمهم بعد ذلك نزول بروقاتس وبقية من ناحية البحر . وأهانهم الخط بموت قارله (٧٤١ م / ١٢٣ هـ) واضطراب الأمر من بعده حتى استقراره لايت بين الثاني ، ولكن ظروفهم لم تمنهم على الاستفادة من هذه القرصة المتفاداة كاملة ، لأن فتنة البربر في الأندلس والرغبة كانت إذ ذاك على أشدها ، فتوقفوا عن مدد حيايمهم في غالة^(٣) .

وكان عقبه بن الحجاج قد توفي (صفر سنة ١٢٣ هـ / يناير ٧٤١ م) على ما رأينا ، وصار الأمر مرة أخرى إلى عبد الملك بن قطن : وثب عليه هو ومن معه من البيعة واستبدوا بالبلاد وأشعلوا الأندلس نارا ، ثم أقبل يلج

(١) راجع ما يقوله رينوي هلمش ص ٦٣ .

(٢) يبدو أن التفاصيل الواردة في تدبير حبة القديس موركاربوس Poncebais بخصوص اتصال المغرب التي أحدثها العرب في داخل إقليم بروقاتس تصب على ما فعله الشيريون في هذه الأراضي حينما زلوا بعد سنة ٨٨٩ م .

(٣) وهي ملاحظة قوية تزيد ما قلناه ، وهو أن الرهبان نسوا كل ما فعله الشيريون الجرماني من التحريب في شمالي إيطاليا وحتوي غالة إلى العرب . ويشير المؤلف إلى كتاباته البولندية (Hollandicus) بتاريخ ١٢ أغسطس ٧٣٧ م .

(٤) Continatio Progederit, III, Loc. cit REINAUD : Op. cit. p. 63.

(٥) REINAUD. Op. cit p. 72

والقيسون وتلزموه الأمر وانزحوا الإمارة وقتلوه ، قتلوا اليمنية على كلمة واحدة .

وكانت قيادة المسلمين في حالة فد وصلت إلى عبد الرحمن بن
عقشة اللخمي على أوائل أيام عبد الملك بن قطن ، وكان
عبد الرحمن بنياً متعصباً فلم يكذب بترامس إليه خير مقتل عبد الملك
حتى قرر السير إلى قرطبة للانضمام إلى قطن وأميرة ابنسي
بحرف من حالة
بحته

عبد الملك بن قطن ، وأخذ معه معظم من معه من أتباع الجند ، حتى لتزعم
المراجع العربية أن عدة من سار معه إلى قرطبة كانت مائة ألف^(١) . وهي مبالغه
ظاهرة ولكنها تدل على أن حالة خلقت من اتجاه مضالهما من المسلمين ،
تضعف مركزهم فيها نتيجة لهذا ، وكان ذلك من أقوى الأسباب في زوال أمر
الإسلام من حالة جهلة . وكان عبد الرحمن نفسه من خيرة قادة المسلمين
وفرسانهم حتى لكان يلقب بـ « فارس الأندلس » وكان قيامه بقيادة جند الإسلام
في حالة خير ضمان لثبات أمر الإسلام فيها ، فأما وقد انصرف بمن معه ، وألقى
بنفسه في معصية « المصارة » وفقد الآلاف من خيرة جنده فيها ، فلم يعد
للمسلمين أمل كبير في الثبات فيها وراء أثيرات ، خصوصاً وقد انتظم أمر
الدولة الفرنجية واستتب الأمر لبيبين في أوستراسيا ودان له إينا لودو صاحبها
أقطانية بالطاعة ، وتهدد أمامه الطريق للتجرد للحرب للمسلمين .

ولا غرابة والحالة هذه أن نقرأ في المدونات النصرانية أن كبريات مدائن
سبثانية مثل بزييه وبنمة ومهلونة تخلصت من الحكم الإسلامي ، وقامت فيها
حكومات محلية من أهلها ، وكذلك حدث في إمارات أثيرات مثل كتبريه
ونيرة ، خلعت طاعة المسلمين وصار أمر أهلها بأيدي أنفسهم^(٢) .

ولم يكذب الأمر يستقر ليوسف الفهري والصحول (من ربيع الثاني سنة

(١) الأبحار المجموعة ، ص ١٣ .

وانظر أيضاً : ابن القوطية : الانتاح ، ص ١٦ .

REINAUD Op. cit. p. 77.

(٢)

١٢٩ هـ / ديسمبر سنة ٧٤٦ م) حتى عجل يوسف بإرسال ابنه عبد الرحمن في بعث إلى نواحي البربات لإقرار أمر الإسلام فيها من جديد ، قلقى مقاومة عنيفة ولم يوفق إلى شيء يذكر . وكانت المواصلات بين جند المسلمين في أربونة وأجنادهم في شمالي الأندلس قد انقطعت ، فطمع فيهم فايتر (Vaifre) ولد لودو الذي صارت إليه أمور أقطانية بعد نزاح طويل مع أخيه في سنة ٧٥١ م / سنة ١٢٣ هـ . وكان عبد الرحمن بن علفضة اللخمي قد عاد إلى أربونة بعد هزيمته مع اليمانيين في وقعة المصاراة فتولى الدفاع عن أربونة ، ولكن أمره كان قد ضعف بسبب ما قلته من الجملد في حروب العصبيات في الأندلس ^(١) .

وكان مركز يمين قد قوي في غالة كلها بعد أن انحاز إليه البهايا
١٢١ - بين قناري
عاجم أربونة
وتغل إلى الصاج من آخر المبروتجيين (سنة ١٢٣ هـ / سنة
٧٥١ م) فيلتر بالمسير في جيش كبير نحو أربونة عام ١٢٣ -
١٢٤ هـ / ٧٥٢ م . وأعانه الحظ بوجود حليف قوي من قوط
جنوبي غالة يسمى أنسموندوس (Ansemundus) كان سلطانه يشمل بلدان
ثيمة وأجندة ونجلونة ويزيزية فسلمها إليه ، وبهذا لم يبق أمام يمين إلا أن يوجه
قواته كلها نحو أربونة ، فتقدم وحاصرها فترة من الوقت ، ولم يلبث أن استبان
مناعتها وصعوبة الاستيلاء عليها ، فتركها وحلف أنسموندوس ليحضي في
الحصار . ودارت الحرب بين أنسموندوس والمسلمين ، فلم يلبثوا أن أوقعوا
به : فاجأه كمين منهم وقتله ، وحلت مجاعة شديدة يجتوب غالة كله ، فلم
يستطع جند الفرنجة الاستمرار في حصار أربونة ، فاضطروا إلى الانسحاب منها
ونجا البلد من خطر الحصار هذه المرة أيضاً ^(٢) .

ولم يمض جديداً في أمر أربونة خلال السنوات السبع التالية ، لأن أهل
الأندلس شغلوا بأمر عبد الرحمن الداخل وتأسيس دولته ، فظلت حامية البلد
قائمة بالدفاع عنها معتمداً على نفسها دون أن يعمر قلبها أمل في وصول

^(١) REINAUD Op. cit. pp. 76 - 77.

^(٢) *Comptes Mousonnais*. Loc. cit. REINAUD, Op. cit. p. 78.

تجددات من المسلمين ، ولكن الحظ أصابهم باشتغال يبين عنهم بما دعاهم من الثورات في بلادهم ، فظلت أربونة وبطن نواحي سيديانة ثغراً إسلامياً يقوم للأندلس الإسلامي كالفرع الحصين دون أن يقطن أهل الأندلس إلى هذا الدور الخطير الذي لعبه هؤلاء المسلمون المنزليون في هذه الناحية القاصية يحيط بهم الإعداء من كل ناحية .

ولم تغيب عن عبد الرحمن الداخل أهمية هذا الثغر ، فلم يكف الأمر يستفر له حتى أسرع في سنة ١٤٠ هـ / سنة ٧٥٨ م بإرسال بعث قوي يقوده قائد تسميه المراجع النصرانية سليمان^(١) ، ولكن التوفيق أعطاه هذا البعث ، إذ دهمه رجال العصابات في محرات جبال ألبرت الحظيرة ومزقوه إرباً^(٢) . وكانت هذه آخر محاولة قام بها الأندلس لإنقاذ آخر معاقل الإسلام في حالة ، إذ روحت هذه الكارثة عبد الرحمن قلم يعد يفكر في أمر حامية غالة ، وشغلته الثورات الكثيرة التي تواترت عليه ولما يشتب سلطانه .

فإذا كانت أربونة قد تركت لشأنها على هذا النحو الحزناً ، ولم يعد
 ١٢٢ - سقوط
 أربونة
 سنة ١٤٦ هـ / نصائح كبرى للتمكن منه ، ودالمت عنه جهاعات منهم
 سنة ٧٥٩ م) بعد جهاعات ثبتت كلها للهجمات المتوالية من جيوش الفرنجة
 ومن انضم إليهم من جهاعات الجرمان قرابة الثلاثون عاماً ، إذا
 كان هذا حالها الذي صارت إليه ، فقد كان من الطبيعي أن يضمف أمر حاميتهما

(١) ذكر ابن الأبار في الحلة السرية وعلقين من رجال دولة عبد الرحمن الداخل يسمى كل سبياً كما سليمان : الأول أبو سليمان حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، والثاني نظير بن سليمان بن عبد الملك بن زياد أبو سليمان الكاتب . والرابع ابن المراد هنا هو الأول ، لأن ابن الأبار يذكر أن عبد الرحمن ولده خليفة واعمالها ، وقد توفي أبو سليمان هذا في عهد عبد الرحمن في حين توفي الثاني في عهد الحكم الرشدي . انظر :

ابن الأبار : الحلة السرية ، ص ٤٥ وبها بعدها وص ٦٠ .

الى حد لا تستطيع معه الثبات . والواقع أن انتصار رجال المصائب على البعث الإسلامي الذي أرسل لتجديدها سنة ١٤٠ هـ / سنة ٧٥٨ م وتبين نصاري جنوبي غالة أن حملة لربونة وطمايت غيرها من العائل الإسلامية في سبتمانية باثت وحيدة منعزلة لا يزداد أمرها مع الأيام إلا ضعفاً ، فزاد طمعهم فيها وأخذوا يتربصون بها . فلما كانت سنة ٧٥٩ هـ شعر أهل لربونة من التصاري أن في استطاعتهم الوثوب بمن بينهم من المسلمين وإخراجهم منها ، وكان الفرنجة قد أرسلوا بعثاً حاصرها ، فتشجع أهل لربونة وانقلبوا على الحامية الإسلامية على حين غرة ، وقتلوا من أفرادها نقرأ عظيماً وأسرعوا ففتحوا أبواب البلد للفرنجة ، وعجل بين بإرسال بعث قوي أكمل ما بدأ به أهل البلد ، وقضى على ما بقي للمسلمين من الجند في لربونة ، وبهذا ضاع هذا للعقل الإسلامي القوي ، بعد أن ظل في يد المسلمين قرابة الثلاثين سنة يزيد سلطانهم على سبتمانية ومعظم نواحي جنوبي غالة^(١) .

١٢٣ - طمايا
المسلمين
في غالة

وبقيت من المسلمين بعد ذلك جماعات صغيرة تسيطر على بعض نواحي دولقة السوليتيه وكوتيتيه نيس ، واعتصمت جماعات منهم في شعاب الألب الغربية ، وظلت هذه الجماعات تقيم في هذه النواحي طوال عصر شرقان ، ولذهب بعض نصوص - غير موثوق في صحتها - إلى أن تلك الجماعات الإسلامية استولت على جرينوبل في تاريخ غير محدد بالضبط . وقد ظلت هذه الجماعات الإسلامية مقبلة في هذه النواحي حتى نزل المسلمون شاطيء فرنسا الجنوبي مقبلين من صقلية وقرصنة بعد مائة

(١) وروى تفاصيل كثيرة عن هذا الحادثة في قصة فيلومين PHILOMENE التي نشرها M. CIAMPI في طرونة سنة ١٨٧٣ تحت عنوان :

Certa Caroli Magni ab Carantonem et Normannos

ويبدو أن هذا المرجع لا يمكن الاعتماد عليه ، لأن رينولدزون المؤلف يصرح انه كتبه بأمر شرقان ، ولكن هذا الكتاب الذي كتبه لول الأمر بالرومنساليقوالدي يضع المؤلف فيه في عصر شرقان حوادث وقعت على أيام أبيه وبين وجهه قوله ، قد كتب في القرن الثاني عشر على الاغلب ولا يستحق أية ثقة .
REINAUD, op. cit. p. 81 et not. I.

وثلاثين عاماً على ما فصلناه في دراسة أخرى^(١٦٦) . ولكننا نستطيع القول إن تاريخ سيادة المسلمين في جنوبي غالة ينتهي بم سقوط أربونة سنة ٧٥٩ ميلادية^(١٦٧) .

وبعد أن سقطت أربونة تغير الوضع في شمال الأندلس الغربي
 ١٦٦ - خارج
 مستوطنة أربونة
 تغيراً تاماً ، إذ وقعت الولايات النصرانية الواقعة في منطقة
 البرت رأسها وانتعشت بقيام الدولة الشرفانية ، فتوي أمرها
 واستمدت العون من غالة ، وهنا يبدأ تاريخ « التفر الإسباني » الذي نشأت عنه
 إمارة قطلونية (كتلونيا) فيها بعد ، وسنرى شرفان بعد سنوات يعبر البرت
 ويحاول الاستيلاء على سرقسطة^(١٦٨) .

وقبل أن نترك غالة وتاريخ المسلمين فيها ، لا بد من أن نتعرف أحوال
 المسلمين أثناء إقامتهم فيها ، والنظم التي ساروا عليها في تنظيم ما كان تحت
 سلاطنتهم من أراضيها .

١٦٥ - امروا
 جنوبي غالة
 تحت
 الحكم الإسلامي
 لا نملك عن ذلك الموضوع إلا معلومات عامة وأمثلة قليلة لا
 يؤمن القياس عليها . والثابت على أي حال أن مقام العرب في
 غالة لم يدم على هيئة مستقرة إلا نحو ثلاثين سنة ، وأن
 المسلمين لم يسيطروا فيها على مساحات واسعة يستطيعون أن
 يطبقوا عليها نظاماً ثابتاً كما كان الحال في الأندلس مثلاً ، ولو قد انتصر
 المسلمون في رقعة البلاط وثلاثت الخاقمة الفعلية أمامهم لأخضعت الأمور مجرى

(١٦٦) الطغر : حين مؤسس : للمسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، بل بدء الحروب الصليبية . مجلة
 الجمعية المصرية التاريخية سنة ١٩٥٤ .

REINAUD, Op. cit. p. 81 et note 1.

(١٦٧) ومراجعته :

Galla Christiana, III, p. 1275.

M. DE COURCELLES : Hist. géologique des Pêres de France.

المواد الخاصة بـ Clermont - Tomaro, Agouli . ولا يوافق رينود على كثير مما ورد في حله
 التراجع .

REINAUD, Op. cit. pp. 81 - 82.

(١٦٨)

آخر : إذا نشأت ولاية جديدة في غالة ، ولأرسل عامل الأندلس إليها العمال والرجال . فلما وقد انهزم المسلمون في محاولتهم الكبرى فقد وثقت ممتلكاتهم في غالة عند وضعها الأول ، وظلت معتبرة ثغراً للأندلس فيها وراه البرتات ، يقيمون فيها ويصانفون عليها ليحموا ما وراءها ، ولينهبوا فيها للغزو إذا ما أمكنتهم الفرصة . والمعروف أن الولايات الإسلامية كانت تسولد عقب الانتصارات العسكرية الكبيرة ، هكذا نشأت ولايات العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس ، وقد كان يحدث أن يملك المسلمون أرضاً واسعة دون نصر حاسم ، كما ملكوا جزءاً من آسيا الصغرى ، فلم تنشأ ولاية إسلامية في آسيا الصغرى على الرغم من أن ما كانوا يملكونه من أرضها أهم الأمورين يزيد مرات كثيرة عن مساحة ولاية البصرة مثلاً .

ظلت فتوح المسلمين فيها وراء البرتات معتبرة إذن ثغراً تابعاً للأندلس من الوجهة الإدارية ، والأدلة كثيرة على أن عمال الأندلس اعتبروا سبتمانية ثغراً عسكرياً لا كثورة إدارية ، وقد نشأ هذا الثغر في أيام السجح بن مالك ، فهو الذي المتح لربوة ونهمة وأجدة ومهلوية ووصل بالفتح إلى ليدون ، ولو لم يهزم عند طولوشة لما اقتصر ثغر غالة على سبتمانية وبعض الأراضي الساحلية الواقعة شرقي الردانة ، ولجعل المسلمون عاصمة ثغرهم في أهديون أو طولوشة أو غيرها من كبار المراكز التي تسيطر على جنوب غالة كلها ، فجهزت هذه الخزينة لأغنية عمل الأسال ، واضطر المسلمون إلى الارتداد إلى الجنوب والتحصن بناحية سبتمانية . وقد حاول عبسة بن محجم أن يتصرف لقتل سلمه لقدام بغارته الكبرى التي لم تزد على أن تكون مظاهرة عسكرية رائعة ولكنها قليلة الأثر ، ثم جاء عبد الرحمن العافقي وأراد أن يفتح غالة فتحاً دائماً ، وأعد عدته لملاقاة الصخرية في معركة حاسمة فانهزم هو الآخر وقتل ، ثم جاء عقبه بن الحجاج وحاول أن يصل إلى ما فشل فيه عبسة وعبد الرحمن فكان أحسن حظاً وإن لم يصل إلى نتيجة ، ومضى عن الولاية وأملاك المسلمين شمال البرتات لا يزيد عن إقليم سبتمانية .

١٦٦ . لغات
 لم يبق للمسلمون
 إلى الشام
 في حالة ؟

ومن الواضح أن ضعف مركز المسلمين في خالية إنما آل من
 اقتصر معظم محاولاتهم على العبور إلى خالية من الأبواب
 والممرات الشرقية ، فالتصرفت جهودهم كلها على الجنوب
 الشرقي لغالة وحوضي ودانة ، ولو نفذوا من الغرب أيضاً من
 أول الأمر لسيطروا على أقطانية وأزناة هذه الشوكة من جنهم وثبتوا أقدامهم في
 جنوب خالية كله ، ولأستطاعوا أن يكونوا أثبت أقداماً في الملوكة التي هزموها فيها
 على حدود هذه الدوقية عند طولوشة مرة وعند نور مرة أخرى . وربما كان سبب
 ذلك هو أن سلطان المسلمين لم يتمكن تماماً في الركن الغربي من جبال ألبيرتات ،
 وظلت أقصى تصرفهم في هذه الناحية عند بنولوشة جنوبي ألبيرتات ، وظلت
 مساحات أخرى واسعة يسكنها أقوام جبليون قويو مهارة حرة وجلد لم يخضعوا
 لسلطان المسلمين ، بل ظفروا بتربصون بهم الفرص ، لا يكاد يمر بهم بعث
 إسلامي إلا هاجموا وتحططوا رجاله ، ولا أمكنتهم غرة في المسلمين إلا
 انتهزوها . وقد كان ترك المسلمين للسيطرة على هذه الناحية من أكاد الأسباب في
 زوال سلطانهم عن منطقة ألبيرتات وما صافقها من الشمال والجنوب ، وستكون
 هذه التراخي مهيداً تولد فيه الكثير من الولائيات الإسبانية النصرانية التي
 مستاويء المسلمين مثل أرغون ونبرة وشرطانية وريبادورثا وغيرها . ولو قد اعتم
 المسلمون بإكمال إخضاع منطقة ألبيرتات وثبتت أقدامهم فيها لتمكنوا من
 القضاء على كل قوة منافرة لهم فيها ، ولكن هذا أجدى عليهم من الاسترسال
 في مغازلة خالية لأن غزواتهم في خالية لم تؤمهم أي ثمر على الإطلاق ، في حين
 كان تهديد الأسر في نواحي ألبيرتات تهيداً تاماً يؤمن الأندلس الإسلامي ،
 ويقطع كل سبيل لنصارى الأندلس في الاتصال بالجماعات النصرانية الكبرى في
 خالية وإيطاليا .

ولتلاحظ إلى ذلك أن المسلمين غانهم الحظ في الوقت الذي دخلوا فيه
 خالية ، فقد دخلوها في إبان قيام الدولة الكارولنجية وكانت أسرة فتية في طور
 التأسيس ، وكان رجالها يجتهدون في إعمال البيت الميروقنجي للاستحوازة على
 العرش من دونه ، وكانوا قد انشأوا لاتصهم جيشاً قوياً جمعوه من خيرة الفرنجة

ومن انقسم إليهم من الثيريرين ، وبعضوا يحاولون إخضاع غالة كلها وشمالها إيطاليا ، فآثارهم دخول العرب البلاد وتوغلهم فيها وغلاهم لكل من فكر في مساواتهم من أهل الجنوب ، ولو قد فطن العرب لتوضيح السياسي في غالة وحالفوا أوجهه وبغيره من أكتاد الجنوب وأدواقه لكنان حفظهم أحسن ، ولكنهم كانوا يجهلون كل شيء عن الحال في غالة . وهم في ذلك عذر : فقد بعثت بهم الشقة ، ولم يعد هناك سبيل لاتصالهم المباشر بقلب الدولة في دمشق ، وكان كل عماد المجاهدين في غالة على الأندلس وأهله ، ولم تكن أحوالهم قد استقرت بعد ، بل لم تكن أعدادهم كافية لسيادة الأندلس نفسه ، فكيف يقدر جديد تفصله عن الأندلس جبال وعرة مثل البربات وتقوم فيه شعوب جديدة فية ، يعمر نفوس أهلها من الآمال مثل ما كان يعمر قلوب المسلمين أنفسهم ؟

ولا ينبغي أن نظن أن المسلمين لم يفكروا في غزو غالة غزواً مستمراً والاستقرار فيها ، لأن الواقع أن نفوسهم تطلعت إلى فتحها فتحاً ثابتاً من أول الأمر ، ولا يسعنا ونحن نتأمل جهود الحر بن يوسف والسمح بن مالك وهنسة ابن سحيم وعبد الرحمن الغافقي وعبد الملك بن قطن إلا أن نقرر أن هؤلاء القواد المقدرين كانوا يشعرون أنهم يقومون بفتح منظم غايته إدخال البلاد في رحاب الدولة الإسلامية ، لا مجرد القيام بغارات سريعة لا هدف لها بعد الغنمة كما يفهم من كلام بعض المؤرخين المحدثين . بل لعنا لو قلنا السمع والغافقي وهنسة بن الحجاج بغيرهم من رجال الفتح الإسلامية الأخرى لتبينا أن فتح غالة كانت من أجدد الجهود الإسلامية الحربية ، وأن تضحياتهم في سبيلها من أهل ما ضحوا به في فتوحهم . وقد رأينا تقائهم في إتمام فتحها ، وتبينا أن تضحياتهم في سبيلها لا تقل روعة عن تضحياتهم لفتح الأندلس نفسه ، ولا نزاع في أن السمع والغافقي وهنسة يعدون جميعاً في طليعة قادة المسلمين العظام ، ولا نزاع كذلك في أن المسلمين ضحوا في سبيل غالة أكثر مما ضحوا في سبيل مصر مثلاً ، وأن من استشهد من المسلمين في نواحي غالة كانوا جشميرين ينسحبها ، لو لم يكن الأندلس نفسه مضطرباً هذا الاضطراب .

وربما بدا غريباً أن نرد معظم السبب في فشل المسلمين في فتح غالة إلى

اضطراب الأحوال في الأندلس وبعد خسارة عن مركز الدولة الإسلامية لا إلى الجشع في الغنائم كما يزعم بعض مؤرخي التصاري ، أو إلى قوة الدولة الفرنجية كما يزعم بعضهم الآخر . ولكن هذه هي الحقيقة : فأما البعد السحيق عن مركز الدولة فقد حرم فالحق خسارة من توجيه الدولة وعون رجالاتها السريع ، وحرمانهم من إمداد العتصم العربي الذي كان قوام الفتح وعمودها القفري ، ويكفي أن تذكر أن من دخل الأندلس من العرب كان قليلاً لا يكاد يكفي لسيادة الأندلس نفسه ، وأن جزءاً عظيماً من هؤلاء استقر في نواحي الأندلس ولم يشترك في أعمال الغزو فيما بعدها من البلاد ، يكفي أن نذكر ذلك لكي نتبين أن عدد العرب في الجيوش الإسلامية الغازية في غالة كان قليلاً جداً . فأما غالبية الجند الإسلامي المحارب في غالة فكانت من البربر ، وتدل الدلائل كلها على أن أعداد هؤلاء البربر كانت عظيمة وإن لم تبلغ مئات الآلاف كما يزعم رواية أصحاب المدونات اللاتينية^(١) ، والغالب أن معظم من كان يهجر إلى الأندلس من البربر كان يهجر إليها طمعاً في فضل الجهاد ومقاتله ، ولهذا كانت جموعهم في الجيوش الغازية عظيمة ، وكان طمعهم في الغنائم كبيراً كذلك ، وقد كان لهذا وذاك أثرهما البعيد في تطور أحداث الغزوات في غالة كما رأينا .

فإذا كانت نوايا المسلمين الغازين في غالة قد انعقدت على الاستقرار ، وحال مقامهم في سبثانية نهياً وثلاثين عاماً ، فلا بد أنهم وضعوا نظاماً لإدارة النواحي التي خصعت لهم ، وليس لدينا إلا إشارات عابرة تعيننا على تكوين فكرة عن هذا النظام . ويكفي أن ننبه إلى أن كلامنا هنا مقصور على ما سار عليه العرب في حكم سبثانية فقط من النظم خلال السنوات الثلاثين التي سيطروا فيها عليها واقتلوا أربونة عاصمة لهم .

١٢٧ - طيبة وطبيعي ألا يكون العرب قد مضوا في حكم هذه الناحية كما الحكم الإسلامي حكموا مصر مثلاً ، لأن مصر كانت ولاية مفتية في حين كانت في غالة سبثانية ولاية عسكرية ثغرية ، وكان المسلمون ينظرون إلى

(١) انظر الفصل الرابع من كتاب رينوالف الفكر ، من ص ٢٢٩ فصاعداً .

هذه الولاية التصرية نظراً لمخالف نظرتهم إلى الولايات المدنية ، فكانوا أميل إلى التعامل مع السكان في النواحي التصرية طمعاً في كسبهم إلى جانب المسلمين ، وكانوا كذلك أكثر حرصاً على الجنود الضميين في الثغر منهم على المقيمين في الولايات المدنية ، فقد وزع عمر بن الخطاب أراضي أقصى شرقي فارس على فاتحها من المسلمين وسماها الثغور المدنية ، وقد فعل ذلك استئذاناً لقلوب هؤلاء الجنود ولتصوية نفوسهم على سداد ثغرهما . واعتبر عمر بن عبد العزيز الأندلس ولاية ثغرية ، فأقر الإقطاعات فيها ، وتسامح للمسلمين مع أهل النواحي من التصاري فيه ، فمنحوا كل ناحية عهداً بحرمتها في كل شيء مع اشتراط أداء جزية معينة ، والخضوع للحكام الإسلامي الذي يقيم في الناحية في بعض المسائل الكبرى^(١) .

١٢٨ - المسلمون وقد ذهب وينو إلى أن المسلمين عاملوا سيمتائية على هذا
بعبارة سهلة الأصل ، وقال إن العرب ملأوا في حكمها على نفس الأسس
إقليمياً لغريباً التي قهرروها في صلحهم مع قلمرية (Coimbra) في أقصى
لجوبي الأندلس ، وإنما تخير قلمرية بالذات لأنها كانت أشبه بالثغر هي الأخرى ،
ولأننا عثرنا على نص معاهدتها مع المسلمين كاملاً . وأهم ما في هذه المعاهدة هو
أن يكون لأهل قلمرية الحق في أن يحكموا أنفسهم بشرايتهم التي تعودوا أن

(١) موضوع حكومات المسلمين في الولايات الثغرية في حاجة إلى التدرس ، فقد كانت لها نظم خاصة تختلف كل الاختلاف عن النظم التي أمرها المسلمون في الأراضي القوية . أما فيما يخص الثغورنا هذا - فقلنا . لعقول محمد بن عزيز ، ونصه في غاية الأهمية لدراسة الموضوع كله ، والتكلام هنا منصبه على الأندلس : « ... فبحث إليها السبع بن مالك عملاً ، فوردتها في جند سوى جنبها الأول ، فأرادها الثغور منهم في أموالهم وبشاركتهم فيها بالهديم ، فوجد لهم وعد على أمير المؤمنين صخر (ابن عبد العزيز) وشكروا إليه فقلنا ، ورضوا إليه في الرجوع إلى بلادهم ، وقال لهم من رده مع السبع ، فعلمهم من قلنا وأسهم وهدد لهم واشهد في عقدتهم على إقرارهم في أموالهم ، وأعطاه المرزبان مع السبع إقطاعات ثغرهما ، وقال : هذه الثغور المدنية - أولاً إقطاعات عمر بن الخطاب (رضاه) الجند فيها لم يسفوها ، فكيف بتلك الناحية ؟ فبما تستنير الله في إجلاد المسلمين عليها - ثم إن لم يبق ذلك يبلغ الكتاب أجله ... » .
انظر النص في :

DOZY : Recherches, I, app. I, p. V.

ينظموا بها أسورهم قبل مجيء المسلمين ، وأن يكون لهم حاكم منهم يقوم بالقضاء بينهم وينفذ الأحكام فيما عدا أحكام الإعدام إذ كان لا بد من عرضها على الحاكم الإسلامي المقيم . وكان هذا العامل المسلم يقيم في قنصرية مثلاً لسلطان المسلمين ، وضعه حماية تزيده وتحميه وتمنع التصاري من الانتفاض عليه ، فإذا وقعت خصومة بين مسلم وواحد من أهل البلاد كان لا بد من عرضها على الحاكم المسلم الذي يقضي في الأمر بمقتضى الشريعة الإسلامية ، وإذا اعتدى نصراقي على مسلمة ألزم باعتناق الإسلام والزواج منها ، فإذا كانت متروكة لم يكن له من الموت مفر^(١) .

فإذا طلبنا شروط هذه المعاهدة على سبتمانية استطعنا أن نقول إن الحماية الرئيسية كانت تقيم في أربونة ، وإن حماية إسلامية صغيرة كانت تقيم في كل بلد كبير من بلاد سبتمانية وديوثيه وما خضع للمسلمين من دوقية . أنطانية وحوض رداثة ، وهذه الحماية تقوم بحماية المكان والقرار السلام بين أهله وجمع أمواله . وكان للمسلمين إلى جانب ذلك جند غلاز كبير يخرج للغزو مع العامل المقيم أو مع عامل الأندلس نفسه إذا أقبل .

١٦٩ - نظم الحكم ولا نزاع في أن العرب خففوا عن أهالي هذه النواحي
 لي
 حسب حاله أهياء حكمهم إلى أقصى حد استطاع ، وليس لدينا دليل
 مادي على ذلك ولكننا نستدل في الفرق به إلى أمرين : الأول
 هو تعلق أهل هذه النواحي بهم ووقوفهم إلى جانبهم أمام الفرنجة ، وهذا أمر لم
 يكن ليحدث لو لم يكن المسلمون قد اجتذبوا أهل هذه النواحي بالتخفيف عنهم
 في كل شيء ، والثاني هو أن المسلمين كانوا أخلاقاً نزيهين من أدواق هذه النواحي
 مثل ماوريت دون مسيلية (مرسيليا) الذي ذكرناه ، ولم يكن هؤلاء الأشراف
 يبتنوا على الولاء للمسلمين إلا إذا كان هؤلاء قد أبقوا لهم على ما كان لهم من
 سيادة في بلادهم . ولنلاحظ أن لوائح هؤلاء الأدواق المعاهدين لم تكن منفصلة

(١) REINAUD, Op. cit. pp. 272-299.

(١)

والمراجع الواردة في الموضع .

عن أراضي المسلمين ، أي أنهم لم يستقلوا بنواحهم عن السلطان الإسلامي ، بل اعترفوا به وأقاموا معه : فقد كان مابوت يحكم مسيلة وما حوفا من أراضي دوقية ، وقد أخضع المسلمون هذه النواحي ولكنهم لم يسوا مابوت ، فظل يحكم أهلها ويؤدي للمسلمين ما حق لهم من أموالها ، أي أنه كان شيئاً يشبه « زعيم عجم الذمة » وه قوسى النصارى « في الأندلس ، مع فرق طاهر وهو أن زعيم عجم الذمة كان رجلاً مدنياً صرفاً تقتصر مهمته على معلنة المسلمين على حكم البلاد ، وكان خاضعاً لعامل الأندلس خضوعاً تاماً ، ولم تكن له سيادة فعلية إلا في حدود ضيقة ، في حين كان « دوق عجم الذمة » في ناحية سبتانية سيداً قوياً ذا جنود وسلطان ، وكان حليفاً للمسلمين لا خاضعاً لهم ، وكان يتعاون مع المسلمين في مهمتين رئيسيتين : إقرار السلام في الناحية ، ثم حمايتها من الفرنجة وحلفائهم .

وقد زعم رينو أن المسلمين اضطهدوا النصارى في سبتانية
 واستولوا على كنائسهم ، ولم يستند في ذلك إلى دليل واحد
 مباشر أو غير مباشر . ولست ندرى لماذا أصر على الكلام عن
 هذه الناحية بهذا الأسلوب مع عدم وجود الدليل ، وربما كان

١٣٠ - موقف
 المسلمين
 من المسيحية
 في غالة

الأصديق أن يقال إن المسلمين تركوا لأهل هذه النواحي حرية الدينية كاملة
 كما فعلوا مع أهل الأندلس ، بل ربما كان الأقرب إلى التلطف هو أن موقفهم من
 النصارى ورجالها في ناحية سبتانية كان أكثر رفقاً ، فقد كان لهم حلقاه من
 النصارى ، وكانوا يحاولون كسب رجال الدين في جنوبي غالة لأن قراره كان قد
 أساء إليهم إساءات بالغة وانتزع أموال الكنائس وهرقها على جنده ، وشرد
 الكثيرين من القساوسة والأجبار ، ولا نزاع في أن حال الكنائس في النواحي
 التي كانت خاضعة للفرنجة في جنوبي غالة كانت أسوأ من حالها في النواحي التي
 كانت خاضعة للمسلمين .

ساروا في ذلك على نفس الأسس التي ساروا عليها في الأندلس : أي أنهم تركوا الأرض التي فتحت عنوة في أيدي أصحابها وأطفالها فيها الأسرى وفرصوا عليها مآلاً يتراوح بين ثلث وربع المحصول، وأما ما فتح صلحاً فقد تقرر عليه العشر . ويستبعد أن يكون المسلمون قد ملكوا الأرضين واشتغلوا بالزراعة في هذه النواحي لانضطراب الأحوال وعدم استقرار الأراضي في أيديهم أزماً طويلاً . وهذا فيما نظن كان من أقوى الأسباب في زوال أمر المسلمين من هناك ، لأن من كان فيها من المسلمين ظلوا مجرد جنود قلق يقيم في المدن أو يخرج للغزو ، ولم تنح لهم الفرصة للانتشار في الأرض وامتلاكها والاختلاط بأهلها ونشر الإسلام فيهم وتربيهم .

ولم يكن سقوط أربونة وما تلاه من الأحداث التي ذكرناها هو ختام تاريخ المسلمين فيها وراء ألبرتات ، بل استمرت بقاياهم وأثارهم هناك زمناً طويلاً وتجدد لهم تاريخ في جنوبي حوض رداة بعد قرن ونصف ، إذ نزلوا هذه الناحية من البحر ، ولكننا نقف عند هذا الحد الآن ونحيل القارئ على ما كتبناه في هذا الموضوع في بحثنا عن « المسلمين في حوض البحر الأبيض » .

وقد رأينا أن جهود المسلمين في هذه النواحي لم تكن بالقليلة ولا بالعبارة ، وإنما كانت جهوداً مضنية جادة قصد من ورائها إلى فتح غالة ومد رواق الإسلام على غرب أوروبا ، ولم يوفق المسلمون في ذلك للأسباب التي ذكرناها . ولا يقلل ذلك من قيمتها في ذاتها ولا من أهميتها التاريخية . وأبسط نتيجة نخرج بها من هذا العرض السريع هو أن المسلمين لم يدخلوا غالة غزاة نهائين لا ينظرون إلى شيء بعد الخزيمة . بل دخلوها فاتحين منظمين يريدون إدخالها في رحاب دولتهم وتحولها إلى الإسلام ، ولو قد استقر لهم الأمر في غالة الجنوبية لآلحهم نظرتهم إلى ما وراءها ، ومن هنا كانت أهمية « بلاط الشهداء » في تاريخ النصرانية في غرب أوروبا ، فقد حالت بينها وبين الزوال فعلاً . ولا يمكن القول بأن المسلمين لو كانوا انتصروا في « بلاط الشهداء » ولقاموا بحكم الإسلام هناك لما منع ذلك النصرانية من أن تعود كما عادت في الأندلس ، لأن الذي

أعاد النصرانية في الأندلس هو عجز المسلمين عن فتح غالة ، وكانت نصرانية
 غالة هي نواة النصرانية في غرب أوروبا إذ ذلك ، ولم يكن يليها إلا شعوب
 وثنية ، أما البابوية في روما فلم تكن تستطيع شيئاً ، لأنها هي نفسها كانت في
 حماية المبيارد ، وكان أمرها إذ ذلك ضعيفاً لم يتقرر على النحو الثابت الذي نراها
 عليه خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين^(١) .



١٣٦ - مقبرة
 بين
 المسلمين
 والغريبة
 في غالة

ولقد أسرف الغربيون في تقدير أهمية « بلاط الشهداء » وقالوا
 إنها أنقذت حضارة غرب أوروبا أو المسيحية ووضعت حداً
 لسيادة الشرق على الغرب ، وما إلى ذلك مما يحلو الكلام فيه
 لمؤرخي أوروبا وفرنسا خاصة . والواقع أن هذه كلها مبالغت
 لا يقبلها الحكم التاريخي الصحيح فلم يكن الفرنجة الذين تصدوا لرد المسلمين
 عن غالة بأصحاب البلاد ، بل كانوا غزاة أغلروا عليها وتملكوها بعد السيف .
 فإذا كان المسلمون أغريباً عن غالة فقد كان الفرنجة أغريباً أيضاً ، ولم يكن لهم
 من الحق فيها أكثر مما لغيرهم . وقد كانوا يحكمون البلاد بالعدل والقسوة
 حكماً أجنبياً خالصاً ، وكانوا يترفعون عن أهل غالة الأصليين (الغاليين
 الرومان) ويعتبرونهم مجرد رعية عليها الخضوع . بل لم يكن هؤلاء الفرنجة
 السالون مسيحين مخلصين ، وإنما كانوا ما يزالون أجلافاً متبريرين أقرب إلى
 الوثنيين منهم إلى أهل الكتاب ، وكانت وظائفهم على الكنائس شديدة وظلمهم
 للمهيمان ورجال الدين عظيماً ، ولا شك أن المسلمين كانوا أقرب إلى روح
 المسيحية من أولئك للمسيحين . ولم يقلب الطابع المسيحي على الفرنجة إلا من
 أيام بيبين الثاني من قارله بسبب تصديه لحماية البابوية من المبيارديين حماية
 سياسية لا دينية ، وقد زاد ارتباط الفرنجة بالمسيحية على أيام شارلمان ، وهو أول
 ملك فرنسي مسيحي صافق . وقد كتب في أيامه الكتبةيون من أصحاب
 المدونات النصرانية التي نقلت إلينا أخبار الصراع بين العرب والفرنجة على
 غالة ، وصوروا حروب قارله مع المسلمين على أنها حروب شارلمانية مسيحية ،

(١) REYNAUD, Op. cit pp 282-5qq.

(١)

أي أنهم كتبوا عن عصر بروج عصر آخر ، ونسبوا إلى قارله ومعاصريه ما لم يكن يعرفه هو . فلم يكن الرجل يفكر في مصير المسيحية بقدر ما كان يفكر في مصير مملكته ، وقد رأينا أن موقفه من الكنائس والقسوس لم يكن موقف الصديق ولا موقف الراعي المسيحي وإنما موقف الطاغية العسكري الذي لا يفكر إلا في ملكه وأمواله ومغائته . وليس إلى الشك سبيل في أن السماح بن مالك وعبد الرحمن الغافقي وأمثالهما كانوا يعرفون عن المسيح والمسيحية أكثر مما كان قارله ورجال مملكته يعرفون . ثم إن المسلمين كانوا أهل دولة ذات نظم وقوانين وقواعد مقررة ، في حين كانت نظم الدولة الفرنجية في طور التكوين ، كانت أصول الحكم فيها تعتمد على قوانين الجرمان الأول ، وهي شبيهة بقوانين العرب الجاهليين ، فلم تكن الحرب إذاً حرباً بين إسلام ونصرانية بقدر ما كانت صراعاً بين حضارة وجاهلية ، بين نظام وفوضى .

بل لم يكن الفرنجة الذين حاربهم المسلمون بأصنام الثقافة اللاتينية كما زعم مؤرخو العرب ، فلم يكن الفرنجة يعرفون من اللاتينية شيئاً ، بل كان قارله نفسه لا يكتب اسمه ، لا باللاتينية ولا بغيرها (وكذلك كان شرقان) وكان رجاله محاربين أجلاً لا يفقهون من اللاتينية شيئاً ، بل لعلهم لم يكتسبوا له سمعوا بعد بحضارة الرومان . ومن الثابت على أي حال أن الفرنجة والقوط الغربيين وأصراهم من الغنيسيين هم الذين لُزوا بقايا الحضارة اللاتينية من البلاد التي سيطروا عليها . وكان عليهم فيما بعد أن يتعلموا اللاتينية على أيدي رهبان ومعلمين أقبلوا من إيرلندا وبلاد الشمال . وقد بين هنري بيرين هذه الحقيقة بما لا يحتاج إلى مزيد من البيان ، وقد أوجزنا نحن آراءه في بحثنا الذي أشرنا إليه عن « المسلمين في حوض البحر الأبيض » .

وإذاً فلم تكن موقعة البلاط إنقاصاً للمسيحية والحضارة اللاتينية كما يذهب معظم مؤرخي الغرب ، لقد كانت المسيحية في حرج في حالة عندما دخلها المسلمون ، وكانت اللاتينية قد تلاشت منها . وهذا كله يلقي ضوءاً جديداً على مكان موقعة البلاط من التاريخ ، نعم إن المسلمون لو انتصروا فيها

أسادوا غالة وغرب أوروبا ولكن القرآن الكريم يدوس الآن في جامعة أكسفورد
كما قال إنولرد جيون ، ولكن انبازام المسلمين فيها لم يكن هو الذي أوقف
تقدمهم ، لأنهم كانوا إذ ذلك قوماً مجاهدين ، الموت أحب إليهم من الحياة ، كما
قال رسل هرقل عندما سألقم عن المسلمين ، وكانت الخزائم لا تعني في حسابهم
شيئاً ، وقد رأيناهم يتهمون المرة تلو المرة في إفريقيا ، فلم يمنعهم ذلك من
العودة والإصرار على الفتح . إنما الذي أوقف تقدم العرب هم العرب
أنفسهم ، بما شجر بينهم من غنم العصبية وما صرفهم عن مواصلة الفتح من
أحقاد الضمير وثقافة النظرة الجاهلية إلى الحياة .

الفصل الثامن
قيام حركة المقاومة النضالية

حينما وصلت جيوش الإسلام الفاتحة إلى أُلُكْ (Lugo=Lucus) وأوغلت في الجبال الصخرية المقضية لل سواحل كثيرة القاحلة ، وأشرفت عند منحون على خليج بسكابة^(١) ، اعتقد قادة المسلمين أنهم لمروا من المتاح هذه الناحية ، وتحولوا بجهودهم إلى الركن الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة فيما يلي الخط الممتد من برشلونة إلى (أماليه) ماراً بهلاوة وسرقسطة وتظيلة وقلهرة ونخرة وما يلي ذلك من منطقة البرنات وما إلى شمالها من أراضي غالة^(٢) . ولم يكن يختر على مال موسى وطارق - ومن جاء بعدهما - أن الركن الشمالي الغربي النضي السس « جليقية » الذي خلفوه وراءهم دون فتح - استصغاراً لشانه - إنما كان في الواقع حصناً لجأت إليه أعداد قليلة من بقايا القوط ، واطمأنت إلى الحياة في هضابه ووديانه ، وأخذت تنتظر الفرصة المواتية لتخرج منه وتتساح فيما يليه من الأرض رويداً رويداً ، لتكوّن لنفسها دولة لا تزال تتسع بجهود أمراتها ومواتاة الظروف إياها حتى تصبح كتلة صلبة لن يستطيع العرب القضاء عليها ، ولا تزال أحداث الزمان تجري بها إلى سعور حيناً وإلى نحوس حيناً ، حتى تضعف دولة الإسلام في شبه الجزيرة ، فيتانس أهل جليقية الصعداء وينقلون من الدفاع إلى الهجوم ، ويشج لهم المسلمون

(١) كان خليج بسكابة يعرف في العصر الروماني بالبحر الغالي الكثيري (الكويجا) . Mare Gallicum .

Constablicum Aquitanicum التقر

FRANCISCO CONDEMINAS Y LUIS VISINTIN : Atlas Historico de Espana .

الخريطة رقم ٤ من هذا الأطلس .

(٢) ابن خلدون : البيان ، ج ٢ ، ص ١٨ .

الفرص بما أسرفوا فيه من الخصومات فيما بينهم ، حتى إذا هدموا دولتهم بأيديهم والفرد كل فريق منهم يقطعها منها ، أقبل هؤلاء القاصدون في الشمال يستعيدون من المسلمون البلاد بلداً بعد بلد ، حتى استخلصوا شبه الجزيرة كله من أيديهم ، بعد قرابة ثمانية قرون من الجهد والكفاح .

١٣٢ - انصرف العرب
 إلى المزارع
 من صياد دولتهم
 وليس من الصواب في شيء أن يذهب الإنسان إلى أن العرب اضطروا إذ تركوا هذا الركن القوي دون فتح ، فقد كان على أيام موسى هضبة مقفرة موحشة باردة لا أهمية لها من أية وجهة حربية أو عمرانية ، تحيط بها غابات كثيفة . وكان طبعياً أن يخلطها العرب دون فتح . ولم تأتي العلة - فيما بعد - من تركها ، بل من انقسام العرب أنفسهم وانصرافهم إلى منازعات الجنس والعصبية : فقد قضت هذه المنازعات على أعداد كبيرة منهم ، وصرفت جهودهم عن مراقبة الجزيرة والاستمرار في اليقظة على سلامة دولتهم فيها ، بل أدت حروب العرب والبربر إلى مبارحة معظم البربر للنواحي التي كانوا قد استقروا فيها في الشمال الغربي الأقصى ، وانحدارهم إلى الجنوب ، بل إلى عودة أعداد عظيمة منهم إلى إفريقية على ما نلاحظه ، فتخلقت وراءهم مساحات فيضحة من الأرض كان من الطبيعي أن يتقدم القوط والايبريون الرومان للسكنى فيها دون خوف ، فاستعادوا بهذا الشكل نحو خمس شبه الجزيرة دون أن يظن العرب إلى ذلك ، فإذا استولتوا من أنفسهم في هذا الخمس فقد كثرت أعدادهم وتساموا شيئاً من الرغاء أعانهم على الثبات للمسلمين وعمل ردّهم عن بلادهم أولاً ، ثم شجعهم على التقدم نحوهم والاستيلاء على الأرض والبلاد من أيديهم فيما بعد .

١٣٣ - وتسمى هذه الحركة في تاريخ إسبانيا بحركة «الاسترداد» أو الريبونيكستا Reconquista ، والإسبان يعتبرون تطوراتها الحفلات الرئيسية لسلسلة تاريخهم القومي الطوي يبدأ بضعة قرون قبل المسيح ، حينما هبط الفينيقيون شبه الجزيرة الأيبيرية ، ويتصل أثناء العصور الإغريقية والرومانية والقوطية النصرانية ، ويستمر خلال الفترة الإسلامية متمثلاً في هذه الدويلات

التي نشأت في الشمال ، وأخذت تتسع حتى قطعت على دولة الإسلام في البلاد وأعادها نصرانية كما كانت .

ولا شك في أن إطلاق تسمية « الريكونكيستا » على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها في أوائل القرن الهجري الثاني (النصف الأول من القرن الثامن للمسيحي) وربطها بحركة الاسترداد الحقيقي التي بدأت بصورة جديدة عمسومة بعد زوال خلافة قرطبة وانتشار دولة الإسلام في شبه الجزيرة في أوائل المائة الخامسة للهجرة ، لا يخلو من خطأ ، لأن أشتريس إنما ولدت في ناحية لم يفتحها العرب قط ، فميلادها لا يعد بدءاً لحركة الاسترداد ، وإنما يعد ميلاداً لحركة المقاومة للسيادة الإسلامية . وقد بدأت حركة المقاومة هذه فعلاً في أواخر أيام « بلاي » على ما سيجي ، ونشطت على أيام أذفونش الأول ، ولكنها ولقت بعد ذلك زمناً طويلاً ، ولم يتجدد نشاطها إلا بعد أيام المنصور بن أبي عامر . ومن هنا يجوز لنا أن نتعرض على ما تجمع عليه التواريخ الإسبانية من أن حركة الاسترداد إنما كانت معركة دامت ثمانين قرناً *la batalla de ocho siglos* ، وقد اعترض على هذه التسمية نفر من معتدلي المؤرخين الإسبان .

وقد كان مؤرخو الإسبان ومن شايعهم من الأوروبيين ينظرون إلى الفتح الإسلامي على أنه حادث طارئ ، طال زمنه ثم انتهى أمره دون أن يخلط في البلاد الثرى يذكر ، ولهذا كان هؤلاء المؤرخون يهرون بالفترة الإسلامية مروراً عابراً لا ينظر معه إلا بضع صفحات من مؤلفاتهم . ولم يتبين الإسبان أهمية هذه العصور الإسلامية إلا من أواخر القرن الماضي ، ولم يعتبروها جزءاً هاماً بعيداً من تاريخهم إلا من أوائل القرن الحالي ، نتيجة لجهوده طائفة من المستشرقين الإسبان ، لم يدعروا جهداً في كشف النقاب عن جمال هذه العصور الإسلامية وما قام خلالها من حضارات ، وما خلفته للإسبان وللحضارة البشرية من تراث عظيم .

فإذا كان هذا هو مكان حركة الاسترداد هذه من التاريخ الإسباني العام ، فلا بد لدارس التاريخ الأندلسي من الوقوف عندها بين الحين والحين ليرقب تطورها ، لأن العلاقات الحربية وغير الحربية بين المسلمين والنصارى في إسبانيا

تكوّن جزءاً هاماً من تزيخ العصور الإسلامية نفسها . بل ستكون هي الناحية الهامة الخطيرة من تاريخ هذه العصور ابتداء من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) .

وطبعي ألا نجد من مراجعنا العربية أي اهتمام كبير بمبادئ هذه الحركة ، لأنها كانت في أول الأمر خافية أو كالمخافية ، لا يكاد يفضل لها مؤرخ يتبع الحوادث العامة ، وطبعي كذلك أن تهتم بها المراجع النصرانية اللاتينية الإسبانية اهتماماً عظيماً ، لأن مصنفها كانوا قساوسة ورجالاً عاشوا في مدائن الدول النصرانية الشمالية أو في العواصم الإسلامية ، ولكن اهتمامهم بها لم ينفعا كثيراً لأن أسلوبهم في كتابة التاريخ في هذه الأعصر كان يقتصر على تسجيل قوائم من التاريخ والأحداث موجزة بإيجازاً شديداً وبفسطرية اضطراباً بالغاً ، ولهذا فإتانا لا نستطيع الانتفاع بها إلا إلى حد محدود جداً .

فإذا كانت الحقائق الخاصة بتطورات هذه الحركة تضيع بين إهمال المراجع العربية واضطراب المراجع النصرانية ، وظلت مبادئها وتطوراتها في أنوارها الأولى نيباً مقسماً بين الغموض والأساطير ، وأصبح من العسير جداً أن نكتب في شيء من الثقة عن أول أبطالها للمسيح بلاني^(١) بن فابيللا وعن أول حوادثها الجسام التي تسميها المراجع بواقعة « كوكا دونيجا » .

١٣٤ - الأيبيريون^١ وكذلك يحيط الغموض في مراجعنا العربية بحقيقة الأجناس الرومان التي كانت تسكن أشتريس وكستبريه على أول أيام الفتح الإسلامي ، لأن أصحاب المدونات الإسبانية في العصور الوسطى يسمونهم « القوط » في حين يجعلهم العرب قوطاً أو جلالفة ، وهم يريدون بالجلالفة أهل الركن الشمالي الغربي لشبه الجزيرة الإسبانية ، والواقع أن هذه الناحية كانت تسكنها جماعات من الأيبيريين ، وهم جنس قديم أقبل إلى شبه الجزيرة من إفريقيا واستقر فيها من أقدم العصور ، يمتاز بالنشاط والذكاء ويعتبر أساس

(١) Polayo ، هذه هي الصورة الإسبانية لاسمه ، أما صيرته في اللاتينية فهي Pologast وقد كثرت استعمال الصورة الإسبانية لأنها أشيع ، ولأن هناك من القرويين من يقول بأنها الأصل كما سبى .

سكان شبه الجزيرة كلهم ، وأما من أتوا بعد ذلك فمهاجرون اختلطوا بهذا العنصر الإفريقي الأصل وأول من هاجر إلى شبه الجزيرة واختلط به جنس أوروبي قديم - جرمني في الغالب - هاجر إلى شبه الجزيرة من الشمال في أعداد قليلة اختلطت بالعنصر الإفريقي وتكون منها العنصر المسى بالإيبيري Los Iberos .

وتوالى الهجرات بعد ذلك على شبه الجزيرة ، أهمها هجرة الكلت وقد اختلط معظمهم بالإيبيريين ، وبقيت بعض جماعاتهم صافية في سواحي جليقية ، ثم نزلت البلاد جماعات من الغنطيين واليوثان ، ثم أعقبها ذلك موجة الفتح الروماني الذي شمل البلاد كلها ونظمها للمرة الأولى تنظيمياً إدارياً ، وإلى هذا الأثر العمراني ترجع القيمة العظيمة لهذه الموجة الرومانية التي طبعت البلاد بالطابع الروماني ، حتى أصبح أهلها يعرفون بالإيبيريين الرومان من ذلك الحين Iberos - Romanos ، فلما أقبل الفوط لم يختلطوا بأهل البلاد ، فبقي سكان شبه الجزيرة إيبيريين روماناً في حين كانت الطبقة الحاكمة من الفوط^(١) .

١٣٥ - صخرة تطلق المراجع العربية وغير العربية على أن فلولا من الفوط لوت بلاي أسام الفاتحين المسلمين ، ولا زالت تنهض نحو الشمال حتى اختصمت منهم بمركن قصي من « جليقية » تسميه المراجع العربية « صخرة بلاي » والإسبانية (Picos de Europa) في ناحية كتثيرية الفاحلة^(٢) . وهناك

(١) F. OLORIZ. *Distribucion geografica del factor rásico en España* (١) (Boletín de la Royal Sociedad Geográfica, Vol. XXXIII, 1894, primer semestre) pp. 294 - 299 .

(٢) تسميها المراجع العربية في الغالب « الصخرة » اختصاراً ، وقد ترجمها لافونسي إي الكنترا إلى حجارة للمسلمين في نسبهم وهم يحملونها في جليقية Galicia عموماً ، لأنها في كتثيرية ، وهي أهل قسم كتثيرية ارتفاعاً وابتدعها إلى الشمال ، وهي الناحية التي يخص بها بلاي ومن معه . ولغات من المراجع الإسبانية أن « بلاي » وأصلها احتوا من المسلمين في مقارة أوسدا (Cova de osas) الواقعة في جبال « بيكوس دي أوروبا » ، وقد وصفها الكونت سان سوبلراره : « كتلة مائلة من صخر الجبل بين الإسبان فيها ثلاث قسم : قمة إلى الشرق تسمى « أندارا » وثانية وسطى تسمى Baitos وثالثة غربية تسمى قمة كوزا لوتنجا . ويبلغ متوسط ارتفاع الصخرة 21٠٠ متراً .

LE CONTE SAINT - SAUD : *Monographie des Picos de Europa, Études et Voyages*, Paris 1923.

اطمان بها المقام ، لأن العرب عجزوا عن الوصول إليها واستصغروا شأنها ، ولم يجدوا على أنفسهم بأساً في تركها حيث هي . وتبالغ المراجع العربية في استصغار شأن هذه الأعداد ، فيقول عيسى بن أحمد الرازي مثلاً : « . . . ولم يبق إلا الصخرة ، فإنه لاذ بها ملك يقال له بلادي ، فدخلها في ثلاثمائة رجل ، ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جميعاً ، وبقي في ثلاثين رجلاً وعشر نسوة ، ولا طعام لهم إلا العسل يشترونه من خروق بالصخرة فيقتنون به ، حتى أعيى المسلمين أمرهم واحتضروهم وقاتلوا : ثلاثون مسلحاً ، ما عسى أن يحيى منهم ! »^(١) . ويقول ابن عساري : « فما زال المسلمون يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلاً ، وحتى قويت أزدتهم ولم يتفوتوا إلا بعسل يمدونه في خروق الصخرة ، وأعيى المسلمين أمرهم فتركوهم »^(٢) . وانصرف المسلمون عن بلادي وأصحابه ، فاطمان المقام بهم واعتلطوا بأهل هذه الناحية من الإيبيريين الرومان ، فأخذت أعدادهم تتزايد ، وازداد أمرهم ثباتاً .

ومن الثابت أنه كان على رأس هؤلاء القوط المماريين إلى « الصخرة » قصر من أهل بيت اللريق ، ونفر من كبار القوط وعدد آخر من القساوسة ورجال الدين الذين نفلوا الهجرة والعيش في هذه النواحي القاصية على العيش في البلاد التي فتحها المسلمون . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن نفراً من هؤلاء المماريين أخذ يفارق صخور كتشبية ويعود إلى مواطنه الأولى بعد أن اطمان إلى عدل المسلمين^(٣) ، بل إن بعضهم تبع غيره من أهل البلاد ودخل في الدين الجديد ، ولم تعد لنا الروايات تاريخياً لتلك وإن كنا نظن أنه حدث خلال ولاية عقبة بن الحجاج السلولي (أي بين سنتي ١١٦ و ١٢١ هـ) .

١٢٦ - مرسية . ولا نعلم على وجه التحقيق كيف حكم المسلمون ما فتحوه من نواحي كتشبية وجلبقية مما يلي هذه الصخرة ، ولكن إشارات

(١) عيسى بن أحمد الرازي ، في فتح الطبقة للطرقي ، ج ٢ ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) ابن عساري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٣) LEVI - PROVENÇAL Histoire de L'Espagne Musulmane, I, p. 43 .

متناثرة هنا وهناك تدل على أنهم أنزلوا بها جماعات من المسلمين معظمهم من البربر ، أقاموا هناك مرابطين ومستقرين ، وكان يرأس هذه الجماعات البربرية رؤساء من بني جلدتها تنفق المراجع على ذكر واحد منهم هو مونومة .

وقد سبق أن أشرنا إلى هذا الزعيم البربري عند كلامنا عن حملة عبد الرحمن الغافقي على غزالة ، وبقي أن نستكمل الكلام عنه هنا إذ إنه كان أكبر قواد المسلمين في الركن الشمالي الغربي لشبه الجزيرة إذ ذلك .

وأقرب الأراء إلى الصحة في أمر مونومة أنه كان من رؤساء الجنود في جيش طارق بن زياد^(١) ، والغالب أن موسى وطارقاً تركناه حاكماً على أشتريس وما يصادقها من نواحي جليقية ، ثم امتدت منطقة نفوذه بعد ذلك حتى شملت شمال شبه الجزيرة كله^(٢) ، فقد رأينا صلاته الوثيقة بالندوق أودو صاحب ألبطانية وصهره معه ، وما كان لذلك الصهر من أثر على سير الأحداث في غزالة .

وستوقف نظرنا أن المراجع النصرانية الإسبانية تذهب إلى أن مونومة تعلق بابنة بلاي وتزوجها ، كما أحب ابنة أودو وتزوجها^(٣) ، كأنه كان ذا ولع

(١) SAAVEDRA, Estadio... p. 70.

(٢) ESTANSILAO RENDUELES LLANOS : Historia de la Villa de Gijón desde los tiempos más remotos hasta nuestros días (Gijón, 1867) p. 93.

(٣) عن علاقة مونومة بابنة أودو انظر :

RODÉRIGO XIMÉNEZ DE RADA, Historia arabum. p. 12.

ومن علاقة بابنة بلاي انظر :

BARRAU DIEGO : Royaume Asturies, pp. 117 - 118.

ورود في بعض الروايات أن ابنة أودو كانت أسى لأميجيا ، ويبدو أن هذه التسمية من ابتكار القصاص .

وأورد تولد من هذه الحوادث رواية أكثر تفصيلاً زعم أنه استقاعا من مرابيح غرنية ، ولم تسطع تحقق روايت هذه لأنها لم تجدتها في أي من مراجعتنا العربية ، ورواية كانت من ابتكاره وتاريخه فهي بمثابة هذه الابتكارات . وفيها إلى تلك حطت طامع ، فهو يزعم أن لقبته هناك إلى أن مونومة إن هو إلا حنينة (من محبم الكليلي والي الأندلس) وأنه للزاع عبد الرحمن الغافقي على الولاية لأنه كان

خاص بالرفوع في هوى بنات الأشراف والزواج ممنهن ! وقد عطل بعض المؤرخين ذلك باقتراض وجود شخصين بنفس الاسم في هذه الناحية في ذلك الحين^(١) ، وهو أمر مستبعد . والأصح أن يقال إن علاقات مونومة مع أودو وزواجه سبته اختلط أمرها على بعض الرواة والقصاص ، فجعلوها مع بلاني ، وأطلق القصاص لحياهم العنان فقالوا إن مونومة رأى ابنة بلاني وأعجب بها فاختطفها

يعتقد أنه حق بما تته . ويقول إنه ربما كان مونومة في إحدى غاراته وقعت فيه على لامبيجا فأخذ حصانها ومنى حتى تزوجها ، وحالف أباهما أودو . فلما أراد عبد الرحمن غزو طائفة طارفة مونومة في ذلك وأخذ يهاب حبه أودو ، رأى عبد الرحمن أن يفر الحائفة التي عقدتها مونومة وقال له إن لا حلف بين المسلمين والنصارى وإن السيف وحده هو الحاكم بينهم ، فسأرح مونومة وأبلغ أودو بحزم عبد الرحمن حتى يستعده ويصفي بلاده منه . وقرر عبد الرحمن بخاتبة مونومة عقداً له على ما استطاع في حده وحسن إخوانه المسلمين . وبماجه على غرة ، هجر مونومة أمهه وانحصر منه بالجيلال مستصحباً معه زوجته لامبيجا ، وما زال المسلمون يطاردونه من صحرة إلى صحرة حتى انكفروا بالفرج ، انشد به الخوج والإحباد وقفاص النصارى عن نصره بسبب القامله معهم في أول أمره. وانتهى أمره بأن سلط من شائق وتدفقت منه قطع المسلمون رأسه وبشوا به إلى دمشق ، وأسروا لامبيجا وأرسلوها إلى دمشق كذلك فضعها الخليفة إلى سريره . وقد وقع ذلك لمونومة في مكان يسمى بـ *بيريديا* *Barpedia* . وهي رواية مليحة بالطبع لا نجد ما يؤيدها ، وإنما نوردتها لأنها تذكر أن مونومة رأى ابنة أودو في إحدى غزواته فهمام بها بالقبض كما حدث عندما رأى ابنة بلاني (على ما ترجم الأكايمس) مما يدل على الوضع والاختراع فيما يتعلق بعلاقة مونومة ببلاني .

cf : CONDE : *Histoire*, I, 83.

LEVI - PROVENCAL, *Histoire de l'Espagne Musulmane*, I, p. 42. (١)

وقد انكر الأستاذ كويرا وجود مونومة إنكاراً تاماً ، ونعيب إلى أن هذا اللفظ (*Monsara*) إن هو إلا تعريف اللفظ *ماسون* (ويصححها كويرا إلى *Monsara*) طائفة تحتوي على فروعها القيس من عهد الكلافي كما يقول ابن عديزي ، والبيان القريب ، ج ٢ ، ص ٢٧) وقال إن القصاص ابتكرها القصة كلها ، فزعموا أن مونومة كانت زعيماً بربرياً ونرا على زعمهم ذلك القصاص كله ، وهو رأي ضعيف لم يقره عليهم إلا بعض المؤرخين الإسبان مثل بالستروس ، وبما يتهم اليوج لا نفرد .

cf : F. CODERA : *Mansara y el grupo Español en Estudios Históricos de Historia árabe española*, Zaragoza 1903, p. 135, 3pp.

BALLESTEROS ' *Historia*... II, pp. 9 - 30

JUAN JAURGAIN : *La Valencia*... p. 34

REINAUD : *Invasiones*... pp. 36 3pp.

LEVI - PROVENCAL : *Historia*... I, pp. 42 - 43 et notes.

وتزوجها . ولا يبعد على أي حال أن يكون مونومة قد تزوج بعض نساء ناحيته أو تسراهن فكان هذا أصل أسطورة مع ابنة بلادي^(١) .

وكل ما يمكننا استخلاصه من تلك الروايات هو أن مونومة كان زعيم المسلمين المستقرين في أقصى شمال شبه الجزيرة ، وأنه كان ذا نشاط وهمة ، فالتصفت الأسباب بينه وبين أودو من ناحية وبلادي من ناحية أخرى ، ونتيجة لطول الجوار نشأت بينه وبينها ، وأودو على الخصوص ، علاقات صداقة زادت أواصرها عندما وقع الثغور بين العرب والبربر .

١٢٧- بلادي وهنا ينبغي أن نسأل : من هو بلادي هذا الذي تذكره النصوص وتنسب إليه أحداثاً كثيرة جعلته في الظلمة من شخصيات التاريخ الإسباني ؟ لبدأ بروايات التراجم النصرانية عنه لأنها أثبتت صلة بهذا الموضوع : يذكر أقدمها - وهي رواية مدونة البلدة (chronicon Albeldense) - أن بلادي كان ابن أمير قوطي يسمى برمودو (Vermudo) وابن أخي للبريق ، وأنه - أي بلادي - اختلف مع للبريق ففناه هذا عن ظلمة قبيل دخول العرب البلاد ، فذهب إلى أشتريس وأقام نفسه أميراً عليها ، وأقام ببلاطه في بلدة (Canicas = Cangas) تسعة عشر عاماً . ومات فيها سنة ٧٣٧^(٢) . ورواية نسبتان السلمتي أكثر تفصيلاً ، فهي تذهب إلى أنه عندما غزا العرب الأندلس هلك معظم القوط بالسيف أو بسبب الجوع ، وأن من نجوا

(١) وقد تحدث إيريندور الباسي عن مونومة في شيء من التفصيل فقال إنه رجل من الجنس البربري *uxo ex Maenorum gente* مشترك في فتح الأندلس وسار مع قوات المسلمين حتى أقصى الشمال وسار مع إخضاع ناحية شرطانية (Cantania في اللاتينية و Cantara في الإسبانية) وأظهر نفسه بالغة حتى لقد حرق القامباني أسقف شرطانية حياً ، واجتهد في نصرة الإسلام ، حتى إذا تراءت إليه أخبار ثورة إخمارة البربر في إربانية انقلب على العرب وحالف أودو ودعى قطانية . فرحب به أودو وزوجه إحدى بناته ليضمن موته وحمولة من معه من البربر :

Et quis filiam suam dux francorum nomine Eudo Causa fecerat et in conjugio, ob persecuioem anabem differendam iam olim tradida.

HUICI : *Crónicas Latinas de la Reconquista. Chronicon Albeldense*, I p. 157. (٢)

من المراد بينهم الملك فر بعضهم إلى خالته ، ولجأ معظمهم إلى أشتريس ، حيث أقاموا على أنفسهم بلايوين اللوق فاتيلا اميراً ، وقد حكم بلاي تسعة عشر عاماً وتوفي سنة ٧٣٧ ، وألحد مع زوجته « جانوذا يوسا » في كنيسة سانتا اوبلاياد فيلاينو^(١) . وتضيف سفوتة سيلوس (Chronicon Silense) أن بلاي كان حامل سيف اللوق (Spatarius regis Roderici) ، وأنه هرب إلى أشتريس حينما غزا العرب البلاد وتشرد في نواح غير معروفة منها (Vagabatur incertis locis) يجمع الناس لحرب المسلمين ، فلما اكتملت له العدة نازحهم وانتصر عليهم ، فأكبره القوط لهذا وأقاموه عليهم أميراً^(٢) .

وأما تاريخ إسبانيا العام (Cronica general de Espana) الذي صنفه ألفونسو العاشر المعروف بالعالم ، فيذهب إلى أن بلاي كان ابناً « لفايلا ، دوق كتبرية الذي كان الملك أويكا قد تقاه من طليطلة ، فغضى إلى نوفة Tuy واستقر فيها حيناً ، وهناك مات بسبب ضربة عصا كانت قد أصابته من يد غيطشة ، الذي كان يطعم في زوجته (أي زوج فاتيلا) ، فلما صعد غيطشة إلى العرش نفى بلاي من طليطلة ، وأراد أن يفتأ عيبه ، فضر إلى كتبرية ، وهناك تزعم أهل هذه الناحية ، ودعاهم إلى الوثوب بالعرب ، واستطاع الانتصار عليهم في معركة عند مغارة أونجا (In Cueva de Onga) سنة ٧١٨ م^(٣) ويضيف لوقا التودي (Lucas Tudense) في تاريخ العالم (Chronicon Mundi) قصة تعلق « مونوسة » - الأمير المسلم على هذه النواصي ، وكان مقبلاً في نيبخون - بإحدى بنات بلاي مما أثنى إلى الخصومة بين الرجلين ، ووقعت الحرب بينه وبين المسلمين ، فأقامه القوط ملكاً عليهم قبل لقائه إياهم وانتصاره عليهم في « معركة مغارة أونجا » ، وتوفي في كانجاس سنة ٧٣١ م بعد أن حكم ثمانية عشر عاماً ، ويذهب لوقا التودي كذلك إلى أن فاتيلا أبا بلاي كان ابناً

HUIJCI, Op. cit. I, p. 206.

(١)

HUIJCI, Op. cit. II, p. 44.

(٢)

Primera Cronica General de Espana (Madrid, 1906) pp. 303 - 400.

(٣)

لشندستر ، وربما زعم لوقما هذا رغبة منه في أن يجعل بلادي سلباً للبيت القوطي^(١) .

وأما الروايات العربية عن أصل « بلادي » فأكثرها تفصيلاً رواية « ابن حبان » التي يقول فيها : « قال غير واحد من المؤرخين : أول من جمع قتل النصراني بالأندلس - بعد غلبة العرب لهم - حليج يقال له بلادي من أهل أشتريس من جليقية ، كان رهينة عن طاعة أهل بلده ، فهرب من قرطبة أيام الحريرين عبد الرحمن الثقفني ، الثاني من أسراء العرب بالأندلس ، وذلك في السنة السادسة من افتتاحها سنة ٩٨ من الهجرة ، وثار النصراني معه علي نائب الحريرين عبد الرحمن ، فطردوه وملكوا البلاد ، وبقي الملك فيهم إلى الآن^(٢) . »

ويذهب صاحب « الأخبار المجموعة » إلى أنه كان جليقياً من أهل أشتريس^(٣) ، ويؤيده ابن خلدون في رأيه هذا ، ويقول : « إن اسم النصرانية اجتمعت أمام المسلمين إلى سيف البحر من جانب الجوف ، وقرطوبوا والنروب وراء قشتالة واجتمعوا بجليقية ، وملكوا عليهم بلادي بن فائلة ، فملكهم ملكاً فيهم تسع عشرة سنة ، وملك سنة ١٣٣ ، وولي ابنه فائلة سنتين ، ثم هلك فولوا عليهم بعدهما ألفونش بن بيطرة الذي اتصل الملك في عقبه إلى اليوم ، ونسبهم في الجلالة من المعظم كما تقدم ، ويزعم ابن حبان أنهم من أهقاب القوط ،

(١) LUCAS-STUDENSE Chronica Mundi, opud :

SCHOTT, Hispaniae Illustratio Scriptores varii : 17 n. 1 - 126, 605 n. 1

(٢) ابن حبان برواية الفري - فتح العليب : ج ٢ ص ٦٧١ .

(٣) الأخبار المجموعة ، ص ٦١ .

وليس عيارها : « ... فثار أهل جليقية على المسلمين ، وطلب أمر حليج يقال له « بلادي » فدأقروا في أول كاشفا ، فخرج من « الصخرة » وطلب على كورة (هنا كلمة أسطورية التامخ ولم يحفظ ذلك الشاعر) والنضريس ... » وقد جعل لتاريخ هذا الحادث سنة ١٣٣ هـ / ٧١٠ م - ٧٤١ م (ولة كان من التثبت أن بلادي توفي سنة ٧٣٧ م (حوالي ١٣٠ هـ) فإن لا قوتي إي ككتائرا في تعديته على الترجمة الإسبانية للأخبار المجموعة يذهب إلى أن مؤلف « الأخبار » يخلط في هذه المقارة بين أصلان بلادي وأصنام ألفونش بن بيطرة ... وهو رأي سطوك .

انظر الترجمة الإسبانية للأخبار المجموعة ، ص ٦٦ ملحق ٥ .

وعندي أن ذلك ليس بصحيح ، فإن أمة القوط قد ضرت وغيّرت وهلكت ،
 وقيل أن يرجع أمر بعد انتشاره وإنما هو ملك مستجد في أمة أخرى والله
 أعلم^(١) . أي أنه يقرر مع القرني وصاحب الأخبار المجموعة إن بلاي حليقي
 من أهل الشمال ، وليس قوطياً ، ونلاحظ أن ابن خلدون لا يؤيد رأيه إلا
 بدليل استخرجه من فلسفته ، فلا يمكن - في رأيه - أن يكون الرجل قوطياً ، لأن
 ملك القوط قد اندثر ، ولا يمكن أن يقوم أمر أمة اندثرت ، وسنرى أن قانونه لم
 يصلح هذه المرة .

١٣٨ - ولم يكن أحد من المؤرخين ليشبه إلى « بلاي » هذا لو لم يقترن
 كولدريجما اسمه بصراع قصير مع العرب أعانه الحظ على التوفيق فيه ،
 فانتصر عليهم وأبعدهم عن النواصي التي كان يسطر عليها سلطانه . وقد بالغت
 المراجع النصرانية في تصوير هذا النصر ، وجعلته شيئاً أثبت بالفتح العظيم ،
 وزاده مؤرخو الإسمانية تفسيراً وإيجلاً مع الزمن ، فجعلوه بدءاً لصراحتهم
 لإخراج المسلمين من بلادهم ، وإيماناً بهلاك إسبانيا النصرانية من جديد . ومن
 هنا أهمية التي نحددنا إلى أن تقف عنده وثقة تتفق مع تدوره في التاريخ الإسباني
 عامة .

تؤكد المذونات اللاتينية الإسبانية كلها تجمع على ذكر هذا الانتصار ، وإن
 اختلفت فيما بينها في التفاصيل وتحديد التاريخ اختلافاً بسيطاً .

ومصدر هذه الروايات النصرانية كلها قصة طويلة أوردتها « سبستيان
 السلمظي » في تاريخه بقول فيها : « إن بلاي حينما انتهى به المطاف إلى ناحية
 « الصخرة » أعلن نفسه أميراً على ما يهاورها من النواصي واتخذ قرية كانتجلس
 (Canicás = Cangas) مركزاً لأعماله ، وهناك أعلن الثورة على العرب
 وصارحهم بالعداء ، فأرسل إليه المسلمون جيشاً كبيراً يقوده قائد من كبار

(١) أورده « موري » نصر ابن خلدون في ملاحق أبيه :

cf : DOZY : Recherches (3e éd. 1880) I, appendice III, pp. X, XI.

فوادهم يسمى علفسة^(١٦) ، فعزاً أشرس وتتوغل في أرضها ، فلما سمع بلاي بذلك تحصن في جبل أوسبة Ancosa في مغارة القديسة مارية Cova Sanctae Marianae التي تسمى كذلك « مغارة أونجا » فحاصره المسلمون وضيقوا عليه ، وكان معهم أبه (Oppus)^(١٧) أجرو فيطشة الذي انضم إلى المسلمين لأشياء نعمها عليه ، فمضى أبه إلى بلاي ، وحاوره محاولاً إقناعه بالتسليم للمسلمين ، وأورد لنا سياستبان نص هذه المحادثة مفصلاً ، فلم يفلح في إقناعه ، فبدأت تشتت هذه المحاولة فقد قام المسلمون بهجوم عنيف على الجبل والمغارة بالتحاول (Fundibala) والهيام ، وهنا حدثت معجزة : إذ كانت الهيام تتردد نحو المسلمين أنفسهم ! وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين وقتل ١٢٤ ألفاً منهم ، فهاجم القائد علفسة نفسه ، وأخذ « أبه » أسيراً ونجا من المسلمين ثلاثة وستون ألفاً فروا هارين ، فتلقوا جبل أوسبة وانحدروا من الناحية الأخرى ، وصاروا في محائق في الجبل يسمى محائق أنكورا (El Tajo de Ancosa) وانحدروا إلى إقليم ليانا (Liñana) ، وهنا حدثت معجزة أخرى : إذ إن الجبل النهار من الناحية الشرقية على مصب نهر الديفا (Deva) فطمر بقية المسلمين^(١٨) .

وتتل رواية سياستبان في الأهمية والطول ورواية « مدونة البلدة » التي تذهب

(١٦) لم يرد ذكر علفسة الفحصي هذا على صورة صريحة في مواضع الإسلامية . ولكن وجود اسمه عند الرحمن وقام يؤيد وجوده في الأندلس أوائل أيام الفتح ، عند كان أولها فبدأت القوات المسلمين في جنوب حالك وكان من كبار البعية ، وقد قام بدور كبير في الحروب بين الشافيين والشافيين . وهو الذي قتل بلج بن بشر في معركة « لغوة بوطيرة » ، ويصفه صاحب « أخبار الحموية » بأنه كان : « بعد فارس لعل الأندلس » وأنه « كان فارس لعلنا مع جملة الأندلس » وأخيه سلاح كبريم لا يجيبك فيه سيف فضيل (بن الدهن العليل) . - النظر الأخبار الحموية ص ١٣ - ١٤ . وكان الثاني من كبار موالي بني أمية في الأندلس ، وكان من الأصدة التي أهدت ملك عبد الرحمن الداخل ، رابع نفس المستر . ص ٧٥ وما بعدها .

وإن الأثر : الحلة السوداء ، ص ٣٣ وما بعدها .

(١٧) هذا من الصورة العربية لاسم Oppus كما أوردها صاحب أخبار الحموية (النظر ص ٥) وهو أحد بني علفشة White ملك الفوط الذي غصب لسوق المرش . وقد سماه ابن الأثيرية « حامس » .

AMBROSIO JUNCI : Los Cronistas Latinos de la Reconquista, I, (Valencia (٧) 1913) , Sebastiani Chronicon, Pelagius P. 206.

إلى أن ثورة بلادي حدثت في أيام يوسف الفهري ، وكان مولودة حاكماً على أشرس في ذلك الحين ومقيماً في ليون ، لسار نحو بلادي جيش إسلامي يقوده رجل تسميه الملونة القمان أو ألومان (Alozman = Alcsman = علقمان = علقمة ؟) وكان معه « أبه » فانهزم المسلمون وأسر « أبه » ، ومات مولودة بعد ذلك بزمان . وأما الذين نجوا من القتل فقد هلكوا بناحية ليانا (Liebana) إذ انهار عليهم الجبل بإرادة الله ^(١) .

وورد ذكر الواقعة كذلك في « مدونة سيلوس » ، ولكن ما فيها إن هو إلا تكرار لما قاله سيثيان السلمطي و « راهب البلدة » مع إضافات يسيرة . منها أن ثورة بلادي حدثت في بلدة (Cangas) ، وهو يسمي علقمة (Alchaman) ويقدر العرب بمائة وسبعة وثمانين ألفاً ، ويذكر أن معجزة انهيار الجبل حدثت على مقربة من نهر الديفا بناحية ليانا ، وأن مولودة كان مقيماً ببلدة عيطون فهرب عندما سمع بخبر الخزيمة ، وقتله أهل هذه النواحي في قرية أولاليس (Olalies) ^(٢) .

وتكتفي مدونة كمبستيلة (Compostela) بالقول بأن بلادي طرد المسلمين من هذه الناحية واحتلها ^(٣) ، في حين لا تزيد مدونة « شرطانية » على أن المسلمين سادوا شبه الجزيرة كله إلا « مغارة مارية القديمة » ^(٤) .

أما مراجعتنا الإسلامية فقد أشارت إلى وثوب بلادي بالمسلمين في ناحية « الصخرة » ومحاولتهم القضاء عليه وهزيمته إياهم . وإشارتها كلها موجزة غير دقيقة التحديد ، ولكنها تدل على فهم أصحابها لأهمية الدور الذي لعبه بلادي في تاريخ دول إسبانيا النصرانية والإسلامية أيضاً ، وما ترتب على خروجه في وجه المسلمين وحرره معهم من النتائج البعيدة في تاريخ شبه الجزيرة كله : فعيسى بن

A. HUICI : op. cit. *Cronicon Albedran*, I, p. 159 (١)

(A. HUICI : op. cit. *Monachi Salmar Cronicon*, II, p. 50 (٢)

A. HUICI : op. cit. *Cronicon et Historiae Compostellanae Codex* I, p. 80 (٣)

A. HUICI : op. cit. *Cronicon Compostellae*, I, p. 90. (٤)

أحمد الرازي يقول : « وفي أيام عبسة بن سحيم الكلبي قام بمرض جليبية حلج حيث يقال له « بلاني » من وقعة أخذ النصارى بالأندلس ، وجدَّ الفرنج في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم ، وقد كانوا لا يظعمون في ذلك^(١) مما يفهم من أن الرازي كان يعتبر « بلاني » منشيء حركة المقاومة النصرانية ومجدد دولة النصرانية في الأندلس من جديد بعد تفرق أمرها على أول أيام الفتح ، وأن نهوضه بأمرها كان الحشر الأول في بنائها الجديد ، فقد قوي شأنها بعد ذلك ، ونهض أهلها إلى مدافعة المسلمين عما استولوا عليه ، بعد أن كانوا لا يظعمون في ذلك قبل ظهور « بلاني » . ولابن حيان - عميد المؤرخين الأندلسيين - رواية أخرى أدل على شخصية بلاني وقدره بقوله فيها : « أنه في أيامه - أي أيام عبسة بن سحيم الكلبي - قام بجليبية حلج حيث يدعى « بلاني » ، فصاب على العلوج طول القرار ، واقتنى قرانهم حتى ساء بهم إلى طلب الثلار ، ودافع عن أرضه ، ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم والحماية عن حربهم ، وقد كانوا لا يظعمون في ذلك . وقيل إنه لم يبق بآرض جليبية قسرية فيما فوقها لم تفتح إلا « الصخرة » التي لاذ بها هذا العليج ، ومات أصحابه جوعاً ، إلى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلاً ونحو عشر نسوة ، وما لهم عيش إلا من عسل النحل يجمعونه في جباخ معهم ، في تحرق الصخرة . وما زالوا محتضين بوجعها إلى أن أحس المسلمون أمرهم واحترقهم وقالوا : ثلاثون عليجاً ما عسى أن يجيء منهم : »^(٢) مما يفهم من أن « بلاني » كان شهماً شجاعاً ، فهال تراجع قومه المستمر أمام المسلمين ، فنهض يستنهض همهم « ويقتني قرانهم حتى ساء بهم إلى طلب الثلار » وهي عبارة صليبية المعنى والدلالة ، يدل إن أحداً من مؤرخي إسبانيا النصرانية القدماء لم يقل مثل هذا القول الذي يحدد دور « بلاني » كواضع أساس حركة « الاسترداد » وصاحب الفضل الأول فيها .

وربما كان مؤرخانا الأندلسيان الكبيران - الرازي وابن حيان - أصدق نظراً

(١) عيسى بن أحمد الرازي رواية القرني : فتح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦٧١ .

(٢) رواه القرني في فتح الطيب ، ج ٢ ، ص ٩ - ١٠ .

وأصبح تقديراً لبلادي من جماعة من تناول الحديث عنه من أصحاب المسونات النصرانية ، الذين لا تخرج رواياتهم عن مبالغت وتفاصيل بعيدة التصديق عن انتصار بلادي على المسلمين عند معارة أوتنجا عند سفح جبل أوسية (AUSA) ، وهو انتصار محقق لا تنكره الرواية الإسلامية ، ولكن مبالغت الروايات النصرانية تلقي عليه ظلاً من الشك ربما قتل من قيمته .

يقول صاحب « الأخبار المجموعة » بعد أن يشير إلى ظهور بلادي في ناحية الصخرة : . . . وغزاه أهل أستورقة زمناً طويلاً ، حتى كانت فتنة أبي الخطار وشوابة ، فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين ومائة هزمهم وأخرج (يريد : أخرجهم) عن جليقية كلها ، وتصر كل مدلبب في دينه وضعف عن الخراج^(١) . وأُقتل من قتل ، وصار قُلمهم إلى خلف الجبل إلى أستورقة ، حتى استحکم الجرح فأخرجوا أيضاً المسلمين عن أستورقة وغيرها ، وانضم المسلمون إلى ما وراء الدرب الأحمر ، وإلى قورية وعلمنة في سنة ست وثلاثين . ويقول بعد قليل : « وكذا أن يغلب عليهم - أي على المسلمين - العدو ، إلا أن الجرح شملهم^(٢) » ونستخلص من روايته هذه الحقائق الآتية :

أولاً - إن « بلادي » خرج على المسلمين في ناحية أثنريس واستقل بها في ولاية غنبة بن سحيم الكلبي .

ثانياً - إن حشد المسلمين القائم في أستورقة حاولوا إخضاعه زمناً طويلاً ، دون أن يوفقوا .

ثالثاً - إن حركة الرجل أخذت في النمو ، حتى إذا وقعت فتنة أبي الخطار ، واشتغل المسلمون بحربه مع يوسف الفهري والصمويل بن حاتم ، انتهز الرجل الفرصة وضاع جهده ، فهزم المسلمين هزيمة أخرجتهم عن جليقية جملة .

(١) مكتفا في الأصل ، ولا يستقيم المعنى إلا إذا استلخنا من حرف الجر « من » .

(٢) الأخبار المصنوعة ، ص ٦٤ .

رابعاً - إن صدى هذه الخزيمة ترد في نواحي جليقية كلها ، فعاد بعض من كان أسلم من أهلها إلى النصرانية ، وضعف الخراج تبعاً لذلك .

خامساً - إن أهل هذه الناحية انقلبوا على المسلمين وقتلوا منهم من استطاعوا قتله ، وفر الباقى إلى أستورقة ، ليحتسوا بالعسكر الإسلامي الخيم هناك .

سادساً - ولم يفتح بلاي القرصنة ، فتقدم وأخرج المسلمين من أستورقة واستولى عليها .

سابعاً - واتسحب مسلمو هذه النواحي عن طريقين : طريق الغرب إلى إقليم سرسطة وطريق الجنوب إلى مارعة وقورية .

وسنرى بعد قليل أن صاحب « الأخبار المجموعة » خلط بين أعمال « بلاي » وأعمال « أنفتش الأول » ، وأن عمل بلاي لم يتعد الخطائق الأربع الأولى .

ويقول صاحب فتح الأندلس : « وقام علاج غيبت من أهمهم في أيام عبسة هذا بأرض جليقية اسمه بلايه بن قافلة عمل من كان يملك أطراف جهته من العرب ، فتفاهم عنها . فملك سنتين ، ثم ملك ابنه قافلة بعده إلى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، ثم حلك فاستولى على أهل جليقية بعده أنفتش بن بطرقة جد بني أنفتش هؤلاء الذي اتصل أمرهم إلى اليوم »^(١) . وهي رواية مختصرة فيها خطأ كبير في نسب بلايه وفي تحديد التاريخ ، ولكنها تقرر أن بلاي كان مستقلاً بناحيته عن المسلمين ثم تار على من بأطراف هذه الناحية من العرب ، فهرمهم وطردهم عنها .

وللعقري رواية لا تقل عن هذه أهمية ، وإن لم يستندها إلى أحد ، وذلك حيث يقول : « قال غير واحد من المؤرخين : أول من جمع نبل النصراني

(١) فتح الأندلس ، ص ٢٩

بالأندلس بعد غلبة العرب لهم عالج يقال له « بلاي » من أهل أشتريس من جليقية ، كان رهينة عن طاعة أهل بلنسية ، فهرب من قرطبة أيام الحربين عبد الرحمن الثقفي ، الثاني من أمراء العرب بالأندلس ، وذلك في السنة السادسة من الفتح ، وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة ، وشارك النصراني معه على نائب الحربين عبد الرحمن فطرطوس ، وملكوا البلاد ، وبقي الملك فيهم إلى الآن^(١) .

وهي إشارة عامة تعيننا على تكوين فكرة عن حياة بلاي قبل لجوئه إلى الصخرة وتياممه بالثورة على المسلمين ، وهي عمود هروب بلاي من أيدي المسلمين سنة ٩٨ هـ / ٧١٨ م وهو تعهد سيعتنا على ربط أحداث حياته بعضها ببعض .

وقبل أن نستخلص من هذه الروايات كلها سلسلة واحدة مترابطة الخلفات عن حياة « بلاي » وحركاته ، يجدر بنا أن نناقش التواريخ التي تقدمها لنا هذه الروايات .

ليس من اليسر مناقشة التواريخ الصخرية التي يقدمها إلينا المؤرخون عن هذه الحوادث ، لأن المؤرخين النصراني الذين يتحدثون عنها يختلفون فيها بينهم اختلافاً عظيماً ، فيجعلها « سبستان » في أوائل أيام الفتح ، لأنه يذكر أن قائد البعث الإسلامي المهزم كان « علقمة » وهو من قواد طارق بن زياد ، في حين يجعلها صاحب « مدونة البلدة » في ولاية يوسف الفهري ، أي بين سنتي ١٢٩ - ١٣٨ هـ / ٧٤٦ و ٧٥٦ م . أما مؤرخونا الإسلاميون فلا يكادون ينفقون هم الأصحرون فيها بينهم ، فابن حبان والرازي يجعلان ثورة « بلاي » أثناء ولاية عتبة بن محجم (١٠٣ - ١٠٧ هـ / ٧٢٦ - ٧٢٥ م) ، في حين يجعلها صاحب « الأخبار المجموعة » في بدء ولاية عقبه بن الحجاج السلوي (١٢٢ هـ / ٧٤٣ م) ويكتفي المقرئ بالقول بأن بلاي هرب من قرطبة سنة ٩٩ هـ / ٧١٧ م ، وأنه كان في أشتريس في العام التالي (١٠٠ هـ /

(١) المقرئ : فتح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦٧١ .

٧١٨ م) ، دون أن يزيد على ذلك شيئاً . لما هزمت بلاي للعرب فاجعلها صاحب الأخبار المجموعة وصاحب فتح الأندلس في أثناء ثورة البربر على العرب أي في أوائل قننة أبي الحظار والصميل ، أي بعد سنة ١٢٢ هـ / ٧٥٠ م .

وقد حاول أدواردو سالدرا أن يستخلص من هذه التواريخ المتناقضة رأياً لا بأس من إيراد ، لأنه يمثل الرأي المتبع بين عامة المشتغلين بتاريخ هذه الأحداث من الإسبان المحققين .

يقول « سالدرا » : إن رواية المقرئ صريحة في أن بلاي هرب إلى صخرته (Picos de Europa) في سنة ٧١٧ م ، وأنه كان هناك فعلاً في سنة ٧١٨ م في ولاية الحر بن يوسف ، ويعود ابن حيان والرازي فيؤكدها أن بلاي قام بثورته في ولاية عنبية ، أي بين سنتي ٧٢١ - ٧٢٥ م ، وهذا تاريخ معقول ، لأن بلاي لا بد أن يكون قد أتفق هذه السنوات في جميع الانتصار والقيام بغارات صغيرة ومناوشات مع المسلمين أتلفت بالقم ، ففكروا في إرسال بعث لتأديبه والقضاء على حركته . وحيث أن سبستان يذكر أن وقعة « كوفادونجا » كان في أوائل أيام الفتح ، لأنه يذكر اسم القائد حلقمة - الذي تؤيد المراجع العربية وجوده في هذه الأيام - فإن أقرب القروض إلى الصحة أن حلقمة هذا سار حرب بلاي في ولاية عنبية ، وهناك حدثت الوقعة ، وانهمزم هذا البعث الإسلامي واستشرى أمر بلاي بعد ذلك ، ولكن ظروف المسلمين لم تسمح بإرسال قوة لتأديبه إلا بعد ذلك بنحو اثني عشر سنة ، أي في ولاية عنبية ، وهذا ما أشارت إليه المراجع الإسلامية من ليام عنبية من الهجاء بحملة تأديبية تبعت بلاي ورجالها بالحرب حتى كانت قتلهم ، ورجعت وهي تظن أن الرجل وأتصلوه لن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ، ولهذا اختفى اسم بلاي حتى من المراجع النصرانية ، فلم نجد له ذكراً إلا سنة ٧٢٧ م وهو عام وفاته الذي تحدده المراجع النصرانية^(١) .

EDUARDO SAAVEDRA Pelayo, Conferencia Histórica, Madrid 1906

(١)

ولنا على هذا الرأي استدراك :

ذلك أن سبستان السلمطي لم يحدد تاريخاً لواقعة «كوفلوندونجام» وإنما ذكر أنها كانت في أوائل أيام الفتح . فليس هناك ما يدعو إلى القول بأنها حدثت أثناء ولاية عقبة بن الحجاج بالذات . وربما كانت أيام عقبة هي أبعد الأيام احتمالاً لوقوع هزيمة إسلامية على يد النصاري في الأندلس ، لأن الرجل كان محارباً لا يمل القتال ، وقد استفد أيامه في الحروب مع النصاري ، وظل يتبع الفاترين في جليقية حتى خيل إليه أنه قضى على كل أمل لهم في القيام على المسلمين من جديد ، ثم انصرف بعد ذلك إلى الناحية الشمالية الشرقية ودخل بنبطونة^(١) وما يليها من البلاد شمالاً ، ولو قد هزم له بعث على يد بلاي لما انصرف عنه ولواصل قتاله . والثابت من الروايات النصرانية والإسلامية أن بلاي تتبع المسلمين بعد انتصاره عليهم حتى أخرجهم من بلاده ، ولا يمكن أن يكون ذلك قد وقع على أيام عقبة . والمراجع الإسلامية صريحة كذلك في أن بلاي طارد المسلمين وأخرجهم من بلاده أثناء فتنة أبي الخطار والصميل أي بعد سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠-٧٥١ ميلادية .

بيد أن هذا لا يتفق وما تجمع عليه الروايات النصرانية من أن «بلاي» توفي سنة ٧٣٧ ميلادية ، وهي في مجموعها لا تستند على دليل واحد يؤيدها في هذا التحديد . بل إن القومس العاشر يجعل وفاته قبل ذلك بست سنوات أي سنة (١٢١ هـ / ٧٣١ م) أي أثناء ولاية عقبة بن الحجاج السلوي ، مما يدلنا على أن تحديد تاريخ وفاة بلاي بهذه السنة لم يخل من أن يناقضه مؤرخ مطلع

(١) يقول ابن عسار عن أعمال عقبة الحمرية : «ومر الذي فتح مدينة أريونة ، وفتح جليقية ونبطونة وأسكنها المسلمين . وبعث فوجاته جليقية كلها غير الصخر ، وبعثه بجاً إليها ملك جليقية وكان بها ثلاثمائة رجل فما زال المسلمون يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلاً وحتى قبضته أزدودهم ، ولم يتقون إلا بعمل يحدونه في حروق الصحراء ، وأمر المسلمين لمرهم فتركهم ، وأتم عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأعملها وأجمل طريقة وأعد لها إلى أن غرأ أرض إفريقية ...» - البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩ ، وليس في هذا كله إشارة إلى هزيمة ، ولا احتمال الفتح أي بعت إسلامي .

كهذا الملك العالم ، الذي قرأ كل التواريخ التي كتبت قبله ولم يقر ما أجمعت عليه .

ثم إن ابن خلدون - وقد اعتمد على الرازي وابن حبان فيما كتب من تاريخ ملوك الجلائقة - يجعل وفاة بلالي سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ - ٧٥١ م أي في نفس السنة التي يؤكد صاحب الأخبار المجموعة أن بلالي هزم المسلمين فيها وأخرجهم من جليلية . ولما كان الرازي وابن حبان وصاحب الأخبار المجموعة هم أقدم من حفظ لنا أخبار هذه الفترة البعيدة ، نقتنا أميل إلى الأخذ برأيهم ، ومتابعتهم في القول بأن واقعة كوكلفونيجا وقعت سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ - ٧٥١ م أثناء فتنة أبي الخطار والحصيل ، وأن « بلالي » لا بد أن يكون قد توفي بعد ذلك بقليل ، في أواخر ٧٥١ م على الأرجح^(١) .

وقد لاحظ دوزي أن التواريخ التي لمجدها المدونات اللاتينية لأحداث هذه الفترة لا يمكن تأييدها ، وفضل عليها روايتي الرازي وابن حبان ، ولم يرض كذلك عن التواريخ التي قدمها ابن خلدون ونظم كلامه عن موضوع تاريخ حوادث هذه الفترة بقوله : « إنه لمن العسير جداً - إن لم يكن من المحال - أن نحل إشكالاً من هذا النوع ، إذ يتقصنا الخطأ الذي يدلنا على طريق الخروج من هذه المناهة »^(٢) .

وهو على حق ، فليس لدينا ما يقنعنا بقبول ما تجميع عليه غالبية المراجع النصرانية من جعل واقعة كوكلفونيجا سنة ٧١٨ م وجعل وفاة بلالي سنة ٧٣٧ م ولا يذكر لنا مؤرخونا الإسلاميون هذه الواقعة محددة باسم أو بتاريخ ولو تقريبيين لها . ثم إن منطلق الحوادث لا يستقيم إذا نحن فرضنا أن بلالي هزم المسلمين على أيام عبسة أو على أيام عبقة : فلو قلنا إن الغزوة وقعت في أيام عبسة لضاعت قوتها كتنصر حاسم رد المسلمين عن بلاد أشتريس ، لأن عبقة أتت بعد

(١) نذهب « مدينة قلندة » إلى أن كوكلفونيجا وقعت سنة ٧٥٩ م أي أثناء الصراع بين عبد الرحمن الداخل ويزيد بن يحيى القهري ، وقد أخذت روايتها من سدير ، فذهب إلى أن التريفة حدثت في تلك السنة .

cf. J. F. MASDOU : *Historia-Critica* , I, pp. 33 Sup.

DOZÉY, *Recherches*, I, p. 96.

(٢)

ذلك وغزاهما حتى ألجأ بلادي إلى « الصخرة » ، ولم يبق له إلا عدد قليل من الأنصار ، أي أن « كوكفادونجا » لم تكن الواقعة الفاصلة التي ودت المسلمين عن تعقب النصرى ، بل عادوا إليها وأوغلوا أكثر مما فعلوا من قبل ، وانصرفوا عنها بعد ذلك بسنوات من تلقاء أنفسهم ، لأن حربة اضطر إلى مغادرة الأندلس إلى إفريقية ، كما يقول باليستروس^(١) ، فلا يكون والحالة هذه لكوكفادونجا ولا بلادي فضل في ارتدادهم أو في ميلاد أشتريس ، ولا تكون « كوكفادونجا » والحالة هذه إلا مناقشة خسرها المسلمون وعادوا بعدها إلى الظفر .

ولما كانت الروايات النصرانية وما بين أيدينا من الروايات الإسلامية لجميع أصل أن انتصار بلادي على المسلمين كان حاسماً ، وأنه أعقبه إخراجهم من جبلية ، فلا نفر لنا من القول بأن هذا الانتصار حدث بعد أيام حربة ، وفي أوائل سنة أبي الحظار وثوبان بن سلامة العاسلي أي في سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ - ٧٥١ م أو فيما بعدها ، ولا يخصص لنا في هذه الحالة من جعل ولادة بلادي بعد ذلك بقليل في نفس السنة ، تشبهاً مع محمد بن خلفون سنة وفاته .

لذا انتهينا من تقرير أحداث حياة « بلادي » ومحمد بن ثورينجها ، فنعرض حياته وما قام به من الأعمال المتخلصة من مجموعة ما لدينا من المراجع الإسلامية والنصرانية .

نستطيع أن نقبل ما يذكره القومس العاشر - الملك العالم - من أن « بلادي » كان ابناً لفانيليا فوق كتيرية ، وأن فانيليا (Fanila) هذا كان قد استقر في سويدا (Tuy = Tude) - عاصمة كتيرية في ذلك الحين - بعيداً عن البلاط القوطي في طليطلة ، لأن نزاعاً قام بينه وبين الملك « أجيكسا » (Egles) فلما مات هذا الأخير وخلفه غيطة ، تمجد النزاع بينه وبين « قانلة » ، إما لأن غيطة طمع

BALLESTEROS, *Hisoria...*, II, p. 181.

(١)

وهو عطا : لأن حربة أقام بالأندلس حتى انتهت ولايته نهاية غير واضحة ، وقد اتبعت مرجحة الذي أشار إليه ، وهو الأصل للمجموعة ، فلم نجد فيه ذكراً لهذا ، لا في الأصل ولا في الترجمة الإسبانية ولا في التعليقات عليها : الأصل العربي : من ٢٨ - الترجمة الإسبانية : من ٢٨ -

في زوج فاطمة (أم بلادي) لولسب آصر ، والمهم هو أن النزاع شارحين
الرحلون ، ولم فاطمة مرة أخرى إلى كتبتيرية حيث مات هناك خلفاً ابنه
« بلادي » .

فلما وثب لذريق بفيظشة وآله ، انضم إليه « بلادي » وأعان على إترك
العرش ، فكافأه على ذلك بأن جعله « حامل سيفه » (Spatarius) واستمر
« بلادي » على هذا حتى فتح العرب الأندلس ، فكان ممن وقعوا في أيديهم
أسرى ، فأحفظوا به لديهم في قرطبة رهينة .

ولما كانت أيام الحر بن عبد الرحمن بن يوسف الظفي ، حامل الأندلس
بين سنتي ٩٧ و ١٠٠ هـ / ٧١٧ - ٧١٩ م . أمكنت بلادي القرصة ، ففر من
قرطبة ، ونشر في نواحي شمال الأندلس فترة من الزمن ، وتقل في أشتريس
حتى استقر به المقام في بلدة « كانجا دي أونيس » ، وهناك التفت حوله نفر من
القوط الهاربين من المسلمين ونفر من الإيبيريين الرومان المقيمين في هذه
الناحية ، فأخذ يجردهم على الوثوب بالعرب ، ويعيب عليهم طول الاستلام
والترجع أمام المسلمين حتى استنفض منهم ، وجمعهم على الوثوب بهم .

وكان عامل المسلمين على نواحي أشتريس القائد البربري « مونوسة » ،
فولعت بينه وبين بلادي مناوشات ، وقل مونوسة يحاربه ويطارده حتى أجراه إلى
الشمص « بالصخرة » في عدد قليل جداً من أنصاره ، ولو ظل مونوسة مكانه
لقضى على بلادي في ذلك الحين ، ولكن نزاعاً وقع بينه - أي بين مونوسة -
وعبد الرحمن الغافقي ، فحاربه وما زال به حتى قتله على يد قائده البربري وابن
زيان « سنة ١١٣ هـ ٧٣١ م .

وعلا الجو أمم « بلادي » بذلك ، فتشجع وخرج من « الصخرة » وأخذ
في التوسع حتى استولى على خيخون التي كان « مونوسة » يقيم فيها ، وسط
سلطانه على إلهي أشتريس وكتبتيرية ، واتسع ملكه ، وأخذ يتنازع من جاوره
من الأذواق ، حتى شمل سلطانه جزءاً من جلدية ولاحتي أشتريس وكتبتيرية .

فلما ولي الأندلس عتية بن الحجاج السلولي (١١٦ - ١٢٣ هـ / ٧٢٤ -

(٧٤١ م) تجرد للقضاء على هذه الدولة التي قامت في وجه المسلمين في شمالي الأندلس وأخذت تنتقص من سلطتهم على شبه الجزيرة ، فها زال يحارب بلاي ويقطع أراضيهم جزءاً جزءاً حتى رده إلى « الصخرة » كما كان ، وأدخل الكثيرين من أهالي أشتريس في الإسلام ، وكلفت الدولة الناشئة أن تنهار وينتهي أمرها .

ثم ساعدتها المقاتلين بما وقع من الخلاف بين البعتيين والقيسين في الأندلس عقب وثوب عبد الملك بن قطن ومن معه من اليمانية بغنية واتزاهم الأمر من يده ، فقتل بلاي ومن معه الصعداء ، وأخذوا يهاجرون الصخرة ويتشرون لها والأها من نواحي أشتريس .

ورفعت في أثناء ذلك الفتنة البربرية ، واشتد الصراع بين العرب والبربر في نواحي شبه الجزيرة كلها ، وكان عقبه قد خلف على أشتريس علقمة اللخمي ومعه قوة من الجنود قديم في أستورقة (Asturicum = Astorga) أو في ليون (Legio = Leon) فهال علقمة ومن معه ما رأوا من تقدم بلاي وأصحابه في أرض المسلمين ، فنهضوا إليهم في قوة مسيرة ، وتوغلوا في بلادهم حتى أتركوا الصخرة ، وتحصن بلاي منهم في جبل لومبة (Lombe) واحتمى قعر من أنجاد جنده في مغارة كبيرة تسمى « مغارة أونجة » (Cova de = Covadunga) (Onga) أو « مغارة مارية القديسة » ، فلما أراد العرب اقتحام الجبل والصعود إلى المغارة هبط عليهم بلاي وأصحابه فهزموهم ، وقتلوا علقمة ، وارتد المسلمون مسرعين نحو أستورقة وشردت جماعة منهم ، وضقت تضرب في نواحي أشتريس الفاحشة حتى نزلت ناحية ليانا Liobana حيث هلكوا ، إمساحل يد الجلالة أو لسبب آخر . وتشجع بلاي وأصحابه فقدموا واستعانوا ما كانوا قتلوه ، وعاد أمرهم كما كان ، وأتاح المسلمون لهم هذه الفرصة عما انشغلوا فيه بعد ذلك من فتنة أبي الخطار والصميل ، فاطمان بلاي وأصحابه ، وقوي مركزهم وثبتت أقدام الدولة الجديدة .

١٣٩ - ١٤١ م هذه هي خلاصة ما بين أيدينا من التصوص عن « بلاي »
 و« كوفادونجا » . وواضح جداً أن هذه المعركة لم تكن كوفادونجا

في واقع الأمر أكثر من متلوثشة انهزم فيها المسلمون لأسباب أخرى غير ما تزعمه الروايات النصرانية من تفوق بلاي وأصحابه في الشجاعة والنجدة أو من تدخل قوى علوية عفت لنجدة التصاري في اللحظة الحاسمة . ولم يعد المسلمون إلى مهاجمة هذه النواحي الشمالية القاصية إلا في أيام التصور من أبي عامر ، فظلت منذ يوم «كوفاندونجا» مهبطاً لدولة أشتريس المتلثشة ، فلبثت قواعدها ورسيت أصورها على نحو لم يستطع المسلمون معه إزالتها بعد ذلك أبداً ، أي أن هذه الواقعة كانت إيداناً بميلاد أشتريس وبدءاً حاسماً لحركة المقاومة النصرانية في شبه الجزيرة . وهي على هذا الاعتبار حادث فاصل من حوادث التاريخ الإسباني .

وربما بدا لنا أن التواريخ الإسبانية تبالغ في تعظيم هذه الواقعة ، وربما كان مراد هذه المبالغة إل « بلاي » وأصحابه ومعاصريهم من الفصاح . بيد أنه لا حرج على بلاي وأصحابه ، ولا حرج كذلك على الروايات النصرانية في مثل هذه المبالغة ، لأن هذه المتلوثشات ، التي وقعت بين المسلمين والتصاري في نواحي أشتريس وانتهت بانتصار هذه الجماعات النصرانية التي اختارت العيش في هذه الناحية القاصية الفاحلة - مستقلة عن سلطان المسلمون - على العيش في ظلهم ، قد وضعت أساس الدولة الإسبانية النصرانية التي ستباح لها أن تتأوى المسلمون قرناً بعد قرن حتى تتيح الظروف لها فرصة إخراجهم من البلاد .

والتاريخ الصحيح يعتبر « كوفاندونجا » ميلاداً لهذه الحركة التي متصل حلقات تاريخ إسبانيا النصرانية وتعيد البلاد إلى النصرانية وإلى ميدان الحضارة الغربية من جديد . وليس إل الشك سبيل في أن حركة بلاي تعد حادثاً رئيسياً في تاريخ إسبانيا كله ، لأن العبرة في أمثال هذا الحادث ليست بالتفاصيل الدقيقة ولا بالأرقام الصغيرة أو الكبيرة ، بل العبرة فيها بالمعنى التاريخي الذي يشتر خلف الحادث نفسه . « ونحن - كما يقول المؤرخ بالستروس - بعيدون جداً عن الحادث بدرجة لا تسمح لنا بأن نزعّم أننا نستطيع أن نقرر أعداد القتائين أو أن نصف الحركات الحربية على وجه الدقة ، ثم إن هذا ليس هو الأساسي ولا المهم ، فسواء أوجد في هذه المعركة هذا العدد أو ذلك من القتائين ، سواء أكانت وقعت في هذا المكان بعينه أو في مواقع أخرى ، فإن

الأمر المهم هو أن بعضاً إسلامياً - ربما كان صغيراً - أراد أن يقضي على مركز حركة ثورية ، وحاول الوصول إلى الموضوع الذي اعتقد رجاله أنه وكر رجال العصبيات والثائرين ، فقتل في إندراك ما طلب بسبب التخوة والشجاعة التي أبدتها حفنة من الرجال كانوا يقاتلون قتال اليائس مناضحين عبا بأيديهم ، وأقبلوا بهذا الكفاح ما هو أغل ما كانوا يملكون في ذلك الحين ، وهو الاستقلال عن السيادة الأجنبية . وقد أقاموا بعد ذلك محافظين على كرامتهم وملكاتهم محصلين ما كلفتهم هذه المحافظة من باعظ التكاليف .

« ثم إن ازدياد الإجلال لكونفودونجا مع مرور الزمن ، واتجاه الأنظار خلال العصر إلى هذه البقعة من الجبل التي أشرنا إليها بالذات ، ليدان على أنه قد وقع فيها مجيئ بها وبغاربها حادث باقي الأثر من حوادث الصراع الذي أراد خلفاء من حضوره وشهدوه أن يجلدوا ذكره . فكيف وبين يدينا وثائق تزيد وقوع هذا الحادث بالفعل ؟ ولستا نريد بهذه التأكيدات كلها أن نقول - بأي حال - إن الواقعة كانت من الكبر بما يتفق مع هذه العناني التي ذكرتها ، وليس معناه كذلك أن الكارثة التي نزلت بالعقد كانت بالشدة التي يصفها بها الرواة الذين استرسلوا مع غيالبهم وحسابهم أكثر مما ينبغي ، وإنما معناه أن النقد السليم يقرر الصفة الرمزية للواقعة ، فقد كانت بدءاً للعمل مجيد ، وكانت أول حجر في بناء ضخم . وكانت هذه الهزيمة الصغيرة وذلك القتل اللذان أصابا القوة الحربية الإسلامية حوامل القهيت النصارى أن أعداءهم لم يكونوا معصومين من الهزيمة ، وذلك وحده يوضح لنا كيف أن الحادث الصغير أصبح منذ هذا التاريخ معبراً في نظرهم رمزاً وهدفاً وغاية بعيدة عالية ، أي أنه إما كان في الواقع اللئوس بدء استقلالهم وبدء التحرر من السلطان الإسلامي . وهذا الأمر ذو قيمة لا تقدر»⁽¹⁾ .

وأما من وجهة النظر الإسلامية فهذه الحادثة في ذاتها لم تكن تعني شيئاً لو لم يعقبها من الأحداث ما زاد في قيمتها وأهميتها : فلو لم يختلف المسلمون على

HALLSTERSGOS : *Historia ... II*, pp. 180 - 181. (1)

أنفسهم وينقسموا شعباً لما كان لكوفادونجا ولا لبلاي نفسه أهمية كبرى ، فإن انهماك الجيوش الإسلامية لم يكن بالأمر النادر ولا الحاسم ، وقد انيزمت هذه الجيوش في التربة مثلاً عشرات المرات ، وكانت الغزوات في بعض هذه الحالات قاسية بل قاسية ، ولكنها لم تكن حاسمة ، لأن المسلمين استطاعوا أن يجمعوا صفوفهم بعد كل هزيمة ويعودوا للقتال حتى يقضوا على الحركة ويستعيدوا ما يكون قد ضاع منهم . فأما في هذه المرة فقد عجز المسلمون عن إخضاع هذه الناحية ، وقامت فيها الدولة النصرانية ولم تخضع من التاريخ بعد ذلك أبداً ، فأصبحت لهذا حدثاً حاسماً له خطره في تاريخ إسبانيا الإسلامية . والثابت على أي حال أن المسلمين لم يتركوا هذا الركن القضي من جليقية دون فتح لأنهم هزموا أمام بلاي أو غيره ، أو لأنهم احتفروا هذه البقية الباقية من النافرين ، بل لأنهم انصرفوا عنها إلى التائه من منازعات الجنس والعصبية ، فأضعفوا أنفسهم من جهة ، وأعطوا ورجال الحركة فرصة كانوا في أشد الحاجة إليها ليثبتوا أقدامهم وليتحولوا من جماعة من النافرين الظالمين إلى دولة مستقرة لها كيان ولها سيادة على ما تملكه من الأرض من جهة أخرى ، ومن الواضح جداً أن هذه الحركة وانصراف العرب عن القضاء عليها قد أنشأ في شبه الجزيرة وضعاً جديداً سيكون محوراً من محاور التاريخ الأندلسي كله وهو : أن إسبانيا لن تكون من ذلك التاريخ قطراً إسلامياً خالصاً ، وإنما ستكون قسمة بين الدولة الإسلامية والدولة النصرانية ، وأن كلاً من هاتين الدولتين مشير في طريقها ، وأن النزاع بينهما سيستمر ، وأن هذا النزاع سينتهي بعد فترتين طويلة برجحان الكفة النصرانية وزوال أمر المسلمين والإسلام من البلاد .

ولم يخف هذا المعنى على مؤرخينا الإسلاميين ، فهذا ابن حبان يقول عن جماعة بلاي : « . . . وما زالوا يفتنون بوعرها - أي بوعر الصخرة - إلى أن أعمى المسلمين أمرهم واحتضروهم ، وقالوا ثلاثون علياً ! ما عسى أن يجيء منهم ؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة والاستيلاء إلى ما لا يخفى به . وملك بعده - أي بعد بلاي - ألفونس جسد عظماء الملوك المشهورين بهذه

السمة ... (١٦) . وهذا ابن سعيد يقول : « فإك احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه إلى أن ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة ، حتى أن حضرة قرطبة في بدعهم الآن ، جبرها الله ، وهي كانت سرير السلطنة لعينة (١٧) .

ويضي كذلك أن نقرر أن هذه الحادثة أحدثت جانباً عظيماً من قوتها من طبيعة هذه الطوائف القوطية والإيبيرية الرومانية التي اعتصمت بهذا الركن ، فقد كانت طبيعة صلبة مشابرة لا تكف عن القتال ولا تخشاه ، وهي لم تنسج بالسلامة من أيدي المسلمين ، وإنما حولت عمل الاستمرار في مناجزتهم ، وضعت في ذلك بصير وجدد يستوفقان النظر . وأحسن رجلاً الاستفادة من هذا الوضع الذي كانوا فيه على بساطة شأنه ، وما زالوا يحاربون وبغال دون ، لا يتركسون غرة من العرب إلا انتهزوها ، حتى أصبحوا مع الزمن قوة يخشى بأسها .

فإذا صح هذا استبانت لنا القيمة الحقيقية لشخصية بلاي في التاريخ الإسلامي عامة ، فهو واضح أساس الدول النصرانية الشمالية الغربية التي ستحمل لواء المقاومة على الجبهة الشمالية الغربية « وهو أبويني أنفنش هؤلاء » كما يقول مؤرخونا الأندلسيون ، وقد رأينا أن معظم أحداث حياته لا زال هيئاً موزعاً بين القصاص وأصحاب الملاحم الشعرية الأسطورية ، ولكن المهم أن التاريخ الصحيح يعترف له بجمع شمل النصراني المتضربين ولما دعتهم في حرب المسلمين قيادة موقفة ، وفي هذا كفاية ، فلا معنى إذن لإنكار وجوده كما فعل بعض المشرقيين في الشك من المؤرخين^(١٨) ولا معنى للإصرار على أنه ينحدر عن صلب البيت الحاكم القوطي القديم ، لأن الواقع أن الرجل ساء إلى أوج الملوك بما قام به من دور كبير : « وربما كان بلايو هذا ، منسجاً الأسرة الأشتورية رجلاً عادياً من العوام ، رجلاً بسيط الأصل رقيق الحال ، ولكنه امتاز على لي حال

(١٦) القرني - نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(١٧) نفس المصدر والصفحة

(١٨) مثل MAYANS و MASDEU و يقرر وجوده ولكنه يشك في نسبة الكثير من أعماله إليه (و

NOGUERA , CASIRI , FELLICER , SARMIENTO

c/ BALLASTEROS : op. cit. p. 194.

بخصال ممتازة أعلته للتراسة . وسواء أكان قوطياً أم إيبرياً رومانياً ، فقد استطاع أن يضع نفسه على رأس المغلوبين في لحظات الخطر المحيق ، وحاز لنفسه القيادة عن جدارة ، كما يقول باليستروس^(١) .، فذلك لا يغير من الواقع شيئاً ، لأنه يبقى لبلاي بعد ذلك فضل إقامة حوالة للتصيرية في الشمال وتعزيزها أمام الفتح الإسلامي الجلف ، وفضل تكوين هذه النواة التي تكونت حولها فيما بعد دولة استطاعت أن تسير بالتاريخ الإسباني إلى الأمام حينما عجز المسلمون عن الاستمرار في القيادة بعد انهيار دولة الخلافة الأموية وفشل كل المحاولات الجليلية التي قام المسلمون بها لجمع الكفة وإعادة سيادة الإسلام على شبه الجزيرة .

هذا ، وليس بين مؤرخي الإسبان المحدثين إجماع على إقرار ما تذهب إليه الروايات النصرانية من اتحاد بلاي عن صلب قوطي - ملكي أو غير ملكي - بل منهم من يذهب إلى أنه من أهل أشتريس الأصلاء ، أي كلتي أو إيبري روماني ، وأن اسمه الأصلي ليس بلاجيوس (Pelagius) كما توردّه المدونات النصرانية بل بلايو (Pelayo) بدليل وجود ألفاظ كثيرة في اللغة الأشتورية تنتهي بالياء والواو (yo) منها أسماء أعلام مثل (Volcayo) و (Payayo) و (Olayo) و (Ubayo) والألفاظ المشمل (orvayo) و (carbayo) و (borgayo) و (argayo)^(٢) .

بل من علماء الإسبان من يقرر أن أصل بلاي من ناحية لسانا بالذات^(٣) ، ومراجعتنا العربية تؤيد هذا الرأي ، وهي أقدم من المراجع النصرانية ، فهي تسميه بلاي وهي تسمية أقرب إلى بلايو منها إلى بلاجيوس ، ثم إن لوثي مؤرخينا الإسلاميين يؤكدون أن الرجل كان جليقياً على ما سبق ذكره .

BALLESTEROS : op cit p II, 174

RICARDO BURGHIETE - Recopilaciones Anticriticas, p. 284.

BALLESTEROS : op cit, p 182

(١)

(٢)

(٣)

وقد كانت عاصمتها طول حياته بليدة كاتيكاس اللاتينية (Caricis)
 (Cangas de Onis) الإسبانية ، وأغلب الظن أنه دفن بها مع زوجته جلوديوسا
 (Gaudiosa) ، وعطفه ابنه فانافة (Fafila) على ما تجمع عليه التراجم
 النصرانية (يزيدها في ذلك ابن علدون) ، ولم يكن على شيء من خصال أبيه ،
 وإنما كان مولعاً بالصيد ، وفضله ذهب أثناء الطرد بعد أن حكم سنتين لم يكف يفعل
 خلالها شيئاً ذا بال كما يقول سباستيان السلمي^(١) ، ويجعل المؤرخون وفاته في سنة
 ٧٣٩ م وذلك لا يتفق مع ما ذكرناه ، والأصح أن يكون قد توفي سنة ٧٥٢ م
 أي ليل قيام الدولة الأموية بأربع سنوات ، ودفن مع زوجته فروليبا
 (Froleba) أو (Froiluba) في كنيسة سانتا كروث في كاتجاس .

وقد انتهت ولاية عفية بن الحجاج الذي كان يرجى أن يتم القضاء على
 حركة بلاي على يديه نهاية غير واضحة ، فمن قائل إنه مات حتف أنفه أثر
 مرض ألم به ، وأنه أوصى لعبد الملك بن قطن بالولاية من بعده^(٢) ومن قائل أن
 البحتين انتهوا فرصة ثورة بربر إفريقيا على العرب أثناء ولاية عبيدة بن عبد الرحمن ،
 فمزلوه وولسوا شيخهم عبد الملك بن قطن مكانه^(٣) ، وهكذا انحفت
 هذه الشخصية العربية المجاهدة في « ليل الزمان » كما يقولون ، ولو قد أنهت
 له فرصة أطول لتروأ بعيداً في تاريخ المغرب الإسلامي .

وكان من سوء طالع الدولة الإسلامية الأندلسية الناشئة أن الأمور صارت
 إلى عبد الملك بن قطن من بعده ، إذ إن عبد الملك كان يمياً شديد العصبية
 قليل السياسة ، فلم تلبث الأمور أن سادت بين يديه ، واشتعلت نيران الثورة
 البربرية في الأندلس ، وأعقبها قدوم طالعة بلج من الشاميين إلى الأندلس
 واحتدام الحصار بين هؤلاء الشاميين ومن كان في الأندلس من قداماء القاطنين
 والمهاجرين من العرب والبربر الذين يطلق عليهم لفظ « البلديين » ، مما جعل

(١) JUS ANOZA GARCIA SALA : *Gijón en la Historia general de Asturias* . II (١)
 pp. 445 - 499 .

(٢) ابن القطان ، في بيان العرب لابن عذري ، ج ٢ ص ٢٩ .

(٣) الزري في نصح الطب للسفري ، ج ٢ ص ١١ ، وابن عذري : بيان العرب ، ج ٢ ص ٢٩ .

الأندلس الإسلامي شعبة نار ، فهلكت من العرب أعداد كبيرة ، وانبت من البربر جماعات ، وعادت جماعات أخرى منهم إلى موطنها الأولى في إفريقية ، فلم يقف تراجع المسلمين عند حدود أشتريس كبا وأينا ، بل غلبت المساحة الواسعة الواقعة بين نهري النهرو وبويرة من سكانها المسلمين ، وأصبحت أرض فضاء حاجزة بين الدولة النصرانية في أقصى الشمال والدولة الإسلامية التي أصبحت تحد من الشمال بخط يبدأ من أقرافة على ساحل المحيط الأطلسي ويمتد إلى أمورية تطليطة ، ثم يصعد حتى لاردة في ناحية الشرق . ولم يوقف هذا التقلص إلا لثوم عبد الرحمن الداخل وإقامته صرح الدولة الأموية في سنة ١٢٨ هـ / ٧٥٦ م .

١١٠ - ألفونس
ابن بطر
(ألفونس الأول) (ألفونسو) الملقب بالأول . ولم يكن من بيت بلاني ، وإنما كان ابناً لبطرة (Pedro) دوق كتثيرة ، وكان ألفونس قد تزوج بتاً لبلابو تسمى إرمينسندا Ermensinda ، وارتقى العرش بعد موت خالته ، كما يفهم من أن خالته بن بلاني مضي صغيراً دون أن يخلف عهدها^{١١٠} .

تولى ألفونس بن بطرة دوق كتثيرة شؤون إمارة بلانية الصغيرة فأضاف إليها دوقية كتثيرة ، فامتدت حدودها اتساعاً طيباً مكنتها من الخروج من صخرتها القاحلة التي كانت حروب عقبه بن الحجاج السلوي قد ألجأنا إليها .

ويجمع المؤرخون على أن ألفونس الأول كان زعيماً واسع النشاط بعيد المطامع : تولى وقد انزاح عن الإمارة النصرانية خطر المسلمين إلى حين ، وشغلهم عنها حروبهم سنوات طويلاً ، فمجدد ألفونس بانتهاز الفرصة ، واستغلها أحسن استغلال لصالحه ، فلم يخلف العرش إلا وهذه الإمارة النصرانية الصغيرة دولة ذات حدود ومعالم وأسباب من القوة تمكنتها من الحياة

والاستمرار في التقدم ، ولم يستطع المسلمون بعد ذلك القضاء عليها ، فلا غرابة أن يعتبر الإسبان حكومة ألفونشس الأول الميلاد الحقيقي لإسبانيا النصرانية .

وقد اختلفت آراء المؤرخين في أعمال بطرة كما اختلفت في سلاي وأعماله ، فذهب هر كولانو إلى أنه لم يكن أكثر من زعيم جماعة من رجال العصابات^(١) ، وذهب ساموفا إلى أنه كان مجرد نهاب يهاجم المواضيع العاصرة ليهب ما فيها ، دون أن يمد حرجاً في ذلك^(٢) ، فقد كان أمثاله من القيادة يعيشون على السلب في هذه الأعصر ، وربما حركته إلى القيام ببعض خاراته عوامل دينية . وبها يمكن من أمر فقد كان الرجل صاحب فتوح وحروب ، وقد اقرن عصره بانساع مقاييس الدولة أشتريس الناشئة أصبحت بعده تسيطر على نحو خمس شبه الجزيرة كله ، وقد ذهبت للدونات النصرانية ومن تابعها من المؤرخين مذاهب شتى في تفصيل حروبه وفتوحه التي قام بها حتى بلغ بدولته الصغيرة هذا المبلغ^(٣) .

١١١ - المسلمون
بفرد الرمن
الشمالي الغربي
شبه الجزيرة

لم يكده ألفونشس يستقر في الإمارة ويوطد أمورها بعد اتساعها الجديد حتى وجد البربر الذين كانوا يحتلون نواحي أشتريس وكتيبيرة وجليقية وعامة النواحي التي يسميها صاحب الأحبار المجموعة ، خلف الدروب^(٤) يهجرون مساكنهم وأوطانهم ويتحدرون إلى الجنوب ، ووجد أن الهجرة لا تقتصر على البربر

(١) ALEJANDRO HERCULANO : *Historia de Portugal* (Lisboa, 1863 IV.)

(٢) SAMOZA, op. cit. p. 451 - 504.

(٣) MASDEU, op. cit. XII pp. 60-100.

(٤) الدروب من الطرق التي كان المسلمون يسلكونها في طريقهم من سهول الجنوب والوسط إلى

النواحي الساحلية العاصرة في أقصى شرق الأندلس ، ومعظمها طريق رومانية قديمة بين الفصاف وأشبال وأنها فربان - دروب شرقي من طليطلة إلى وادي الحجازة إلى حوض إبرة - ثم يسير تصادفاته ماراً بظهرة ويعبره حتى سلطنة Pampelona ومن ثم يهني إلى إلبه Alava المتلاح

Castilla ولشتريس Asturias . ودروب غربي يبدأ من الجوف El Algarve ويسير نحو ساريا Merida وغربية Cora ثم ظهرة Talavera طليطلة Toledo ومنها إلى سلسنة Salamanca وسمررة Zamora مجليقية .

بل تشمل العرب كذلك ، فقد انجفل الذين كانوا يقيمون منهم في هذه النواحي القاصية إلى نواحي وسط الأندلس وجنوبها ، وأن الكثيرين منهم هلكوا في الفتنة التي وقعت بينهم . وقد كان انجفال المسلمين - ما بين عرب وبربر - من هذه النزاح حدثاً خطيراً يصفه صاحب الأخبار المجموعة بقوله : « قضى أن بربر الأندلس لما بلغهم ظهور بربر العدو على عربها وأهل الطاعة ، وليوا في أقطار الأندلس فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم ، وأخرجوا عرب أسنقة والمدائن التي خلف الدروب ، فلم يبق ابن قطن إلا قتلهم قد قدم عليه ، وانضم عرب الأطراف كلها إلى وسط الأندلس ، إلا ما كان من عرب سرسطة ولغرههم ، فأبى كانوا أكثر من البربر ، فلم ينجح عليهم البربر ، فأخرج إليهم عبد الملك (ابن قطن) جيوشاً فهزموها وقتلوا العرب في الأفاق »^(١) . وهذا لم يبق منهم في هذه الناحية بقية ، ولم يعد العرب إلى الاستقرار في « المدائن التي خلف الدروب » بعد ذلك ، وكان ذلك آخر عهدهم بها : زالت آثارهم منها على الرغم مما بذلوا من جهد في فتحها والاستقرار فيها ، زالوا منها لا على يد الفسطاط أو الأيبيريين الرومانيين بل على يد البربر شركائهم في الدين وحلفائهم في هذا الفتح الكبير .

١٤٢ - مجرة
أعداد كبيرة
من البربر
لدى إمرتة

وليت البربر حينئذ فعلوا ذلك استقروا في مواضع العرب وأقاموا يعصرون هذه النواحي ، بل اتجهت هممتهم إلى التجمع في جيوش والسير إلى الجنوب للقضاء على العرب جملة ، فخرج مركز العرب ، ولم يجد عبد الملك بن قطن شيخ البختين وسيد الأندلس إذ ذاك بدأ من الاستعانة ببلجج بن بشر ومن معه من الشاميين الذين كانوا محصورين في سبتة لكي يخلصوهم من البربر (١٢٣ هـ / ٧٤١ م) فاصبروا وتنازلوا البربر وانتصروا عليهم في مواقع حاسمة عند كلونة وعمل مغربة من قرطبة وعمل وافي سلبط El Rio Salado (أوائل ١٢٤ هـ / منتصف ٧٤١ م) وقتلوا منهم أعداداً عظيمة . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعقبوهم بالأندلس وانتقل في نواحي

(١) الأخبار المجموعة ، ص ٣٥ .

الأندلس كلها ، فلم ينج منهم إلا المريد ، فركب أهل الشام وأبوا السلاح ، ثم فرقوا الجيش في الأندلس ، فقتلوا البربر حتى أقتلوا جرهم ^(١) .

١٤٣ - المجاعة
مخاج
شبه الجزيرة
ولما كان البربر هم غالبية من استقر في نواحي الشمال الغربي للأندلس وريفها من المسلمين ، فقد بدأت هذه الأرياف والمزارع تخلو من العنصر الإسلامي ، وكانت الحروب بينهم وبين العرب ، وبين العرب وأنفسهم قد خربت الزرع وحالت بين المزارعين من أهل البلاد ، وبين مواصلة عملهم الأمن في الحقول ، فأخذت المحاصيل تقل من منتصف سنة ١٢٤ هـ (٧٤١ م) ، وتوالي ذلك خلال السنوات التالية ، فلم تحل سنة ١٣٣ هـ / ٧٥١ م حتى شملت الأندلس جميعه المجاعة الكبرى التي أشرنا إليها ، انضافت مساكنها إلى مساكن الحروب والتنازعات فقل العمار في النواحي وضربت المجاعة بجزائها ، حتى تقطعت أوصال البلاد ، وكانت البرد قد قطعها الجوع فلا يريد ، كما يقول صاحب الأخبار المجموعة ^(٢) . وهبطت البلاد كلها خلال السنوات التي أعقبت هذه الثورة البربرية هبوطاً بالغا خيف منه على نصير الإسلام في البلاد جملة .

١٤٤ - إخراج
المسلمين
من جليقية
وما يجاورها
لم يكن أنفوش وأصحابه يترقبون بخصومهم المسلمين فرصة هي أحسن من ذلك ، فعملوا بانتهازها ، وتشجع من كان في طاعة للمسلمين من أهل النواحي الشمالية من الأيبيريين الرومان فوثبوا بالعرب في نواحي جليقية وما يصاحبها ، ويشير إلى ذلك صاحب الأخبار المجموعة إشارة فيها غمطاً في تحديد التواريخ ولكنها تصور الحال تصويراً حسناً بقوله : « وظل أمر هليج يتال له بلاي قد ذكرناه في أول كتابنا ، فخرج من الصخرة ، وغلب على كورة (كلمة ناقصة) وأسترس (غمطاً من الناشر وصحتها أسترس) ثم غزاه المسلمون من جليقية وغزاه أهل أستورقة حتى كانت فتنة أبي الخططر وثوابية ، فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين

(١) الأخبار المجموعة ، ص ٤٠

(٢) الأخبار المجموعة ، ص ٧٨

(وسادة) هزمهم وأخرجهم عن جليقية كلها ، وتصر كل مذنب في دونه وضعت عن الخراج ، وقتل من قتل ، وصار قلوبهم إلى خلف الجبل إلى أستورقة حتى استحکم الجوع ، فأخرجوا أيضاً المسلمين عن أستورقة ، وغيرها ، وانضم الناس إلى ما وراء النوب الأخر وإلى ثوروية وملارفة في سنة ست وثلاثين (٧٥٤ م) . واشتد الجوع ، فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصبلا وريف البربر مجتازين ومرتحلين ، وكانت إجلاتهم من واد بكسورة شذونة يقال له وادي برياط ، خلف سكان الأندلس وكاد أن يغلب عليهم العدو إلا أن الجوع شملهم (١) . مما يفهم منه أن نصارى الأندلس استغلوا الفرصة استفلافاً كاملاً ، فلم يدعوا وسيلة يمكنهم أن ينالوا فيها من المسلمين إلا ابتدروها ، ولو لم تشملهم هم الآخرين للجامعة لكان بلاؤهم في المسلمين أشد وأبعد مدى .

وتزيد المراجع النصرانية ذلك بما تذكره من الفترحات التي
 ١١٥ - حدود دولة
 الإسلام بمصر
 إلى مصر
 تنسبها إلى أفنوتش بن بطرقة ! وهي لا تذكر أنه وجد هذه
 النواحي خالية أو شبه خالية فدخلها ، وإنما تذكر أنه فتحها
 على المسلمين بعد السيف وانتزعها من أيديهم ، وهذا خطأ كما
 رأينا . وفي نصوص هذه اللواتي النصرانية تفصيل لما أوجزه صاحب الأخبار
 المجموعة من قوله « فأخرجوا أيضاً المسلمين عن أستورقة وغيرها » ، لأن
 « غيرها » هذه كانت مدائن كثيرة لا تقل أهمية عن أستورقة مثل أفراغه Praga
 وبيورتو Oporto ونيزيو Visio والنواحي المحيطة بهذه البلاد حتى نهر دوربا
 Duero (٢) . أما قول صاحب الأخبار المجموعة : « وانسحب المسلمون إلى ما
 وراء النوب الأخر » فعناه انسحابهم عن طريق النوب الشرقية القضيبة إلى
 حوض إبرة وإقليم سرقسطة الذي لم تنله الجامعة لحصنه ، وقد استطاع
 المسلمون النبات أخيراً عند ثوروية وملارفة في الغرب خلفين وراهم مراكز هامة
 مثل ليون Leon ومسورة Zamora ولدسما Ledesma وشلمنقة Salamanca
 وسلدانيا Saldana وميمانتاس Simancas وشفوية Segovia وأيلة Avila ولوكا

(١) الأخبار المجموعة ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) DOZY, Recherches... 121, BALLESTEROS, Historia... II, p. 185

Oca وأوسيا Osmia وميراندا^(١١) ، وكلها مراكز هامة فتحتها الجيوش الإسلامية بعد الغناء والتعب وفقدتها هؤلاء العرب والبربر بسبب منازعات قبيلة عصفرية عمياء لا معنى لها . وأصبحت حدود الأندلس الإسلامي قبيل عبيد الرحمن الداخل تبدأ من ناحية الشرق عند بنبلونة في أقصى الشمال الشرقي ثم تتحدر إلى تظيلة على الإبرة ومنها إلى وادي الحجارة إلى الشمال من تظيلة بين حوض الإبرة والتاجة ، ثم تظيلة وطلبيرة في حوض التاجة ، ثم قورية وتنتهي الحدود عند قلعة على ساحل المحيط الأخضر . أي ان الأندلس الإسلامي فقد ربع شبه الجزيرة على وجه التقريب قبيل مقدم عبد الرحمن الداخل (١٣٨ هـ .

وقد لاحظنا أن مؤرخينا الإسلاميين لا يؤيدون دوزي في هذا الرأي الذي انتهى إليه من أن أنفوتش أخذ هذه النواحي دون قتال مع المسلمين وأن هؤلاء انسحبوا منها قبل اقترابها منها ، وهم يستعملون عبارة « أخرجهم منها » وهي واضحة الدلالة . وتفسير ذلك يسير ، وهو أن الذين هجروا النواحي بسبب المجاعة وحروب العرب والبربر كانوا جنود المسلمين ورجال حامياتهم وغالبية المستقرين منهم في هذه النواحي ، وقد بقيت خلف هؤلاء جماعات من المسلمين معظمهم من البربر لم يستطيعوا الرحيل وأقاموا في منازلهم خلف الشروب على رغم الخطر المحيط ، فاستطوى عليهم أنفوتش حينما وجدهم دون حماية وأخرجهم مما كانوا قد استقروا فيه ، وقد بقيت من البربر رغم ذلك كلة بقية في بعض النواحي القاصية ، وتكاثرت فيها وتركت أسبأها على بعض المواضع في أقصى نواحي جليلية وأنتريس .

DOZY : *op. cit.* p. 123.

(١١)

وقد جعل القرى فتح بعض هذه النواحي في أوائل أيام عبد الرحمن الداخل وفي عهد قورية الثاني ابن أنفوتش بن طرفة ، وقال : « وعندما فتح المسلمون هذه قرىهم وتجهيد أمره ، لم يتركهم الحلفاء واستعمل سلطانهم ، وعند قورية بن كنفوتش ملكهم لئلا تعود القبائل فأخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم ، ضلكت مدينة لكة وميراندا وسمرقوة والشلفة وفلسنة وشقيرة ، وحاصرت للحلفاء حتى اقتصمها الصوري بن أبي جسر آخر الدولة . . . » (فتح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢١٧) . ولكن إجماع المؤرخين متفق على أن هذه المدن سقطت في أيدي الصوري في أيام كنفوتش . انظر

BALLESTEROS : *op. cit.* II. p. 185.

وليس معنى ذلك أن مملكة أشتريس الناشئة اتسعت حتى شملت ذلك كله ، لأن الروائع أن أذفونش الأول لم يستول بالفضل إلا على التواصي المحيطة بأشتريس أي ناحية ليانبا وسردوليا Vardulia وساحل جليقية ، وليس من المؤكد أنه احتل ليون . وأما الباقي وهو المساحة الواسعة الممتدة بين حوضي المنبو والتابعة فكانت في ذلك الحيز أخص قضاء فاصلة بين إسبانيا الإسلامية في الوسط والشرق والجنوب والغرب ونبوة أشتريس النصرانية في أقصى الشمال^(١) .

١٤٦ - ما بين
سوري
البحر والندوة
منطقة فراغ

وتؤيدنا المراجع النصرانية في هذا القول لأنها لا تقول أن أذفونش استقر في هذه البلاد الكثيرة التي تعددها ، وإنما تكتفي بالقول بأنه خرج وأقر أريالها (Eremavit campos)^(٢) .

تذهب التواريخ الإسبانية إلى أن أذفونش الأول حكم عشرين سنة امتدت من ٧٣٩ م إلى ٧٥٧ م^(٣) ، ويقرر ابن خلدون أنه لم يحكم إلا ثمان عشرة سنة ويجعلها من ١٣٥ هـ إلى ١٤٢ هـ / ٧٥٢ - ٧٦٠ م وهو غسلاً طاهر في الحساب ، والغالب أنه أراد أن يقول ثمان سنوات فقط ، ونظن أن حكومة أذفونش لم تزد على هذه السنوات الثمان تبعاً للحساب الذي قدمناه ، وتوفي في أوائل حكم عبد الرحمن الداخل ، فكأنما أرادت المقادير أن تتفادك المسلمين في هذا القطر الواسع برجل بعيد إليهم ما فقدوا على يد أذفونش الأول^(٤) .

(١) BALLESTEROS : op. cit. p. 185

(٢) MANUEL RISCO : *España Sagrada*, XXXVII p. 93.

(٣) DOZY : *Recherches* ... I, p. 98.

(٤) انظر من ابن خلدون الذي أورده موزي ذيلاً لاحقه III p. XIII. DOZY, op. cit. appendix III
وليك قائمة ملوك أشتريس الأول بتواريخ حكمهم كما أوردها المصنفات اللاتينية مقارفة بما أورده ابن خلدون (من ٩٥ من الأبحاث) :

ابن خلدون	المصنفات اللاتينية
١٦١ - ١٣٣ هـ / ٧٧١ - ٧٥١ م	Pelayo ٧١٨ - ٧٣٢ م
١٣٣ - ١٣٥ هـ / ٧٥١ - ٧٥٢ م	Faída ٧٣٧ - ٧٣٩ م
١٣٥ - ١٤٢ هـ / ٧٥٣ - ٧٦٠ م	Alfonso I ٧٣٩ - ٧٥٧ م

وقد اختلفت أحكام المؤرخين الإحصائيين على الكوفيتش الأول ،
فمن قائل إنه لم يكن إلا رئيس عصابات يفتجأ بها الأماكن
الأمية العاسرة وغيرها ، ومن قائل إنه لم يكن يرمي من وراء
هذا الجهد كله إلا إلى السلب والنهب ، ومن قائل إنه كان يسهو واعياً إلى
استرجاع إسبانيا من المسلمين . وربما كان أصح الآراء فيه أنه كان يغاور كل من
جاوره طمعاً في الغنائم التي لم يكن يستطيع تسخير أموره في دولته بلدونها ،
وطمعاً في توسيع رقعة مملكته الصغيرة . أما القول بأنه كان يسعى لاسترجاع
البلاد من المسلمين فبالغة في التعدير لا يؤيدها الواقع ، لأن الرجل كان يغاور
جيرانه النصارى ويتزل بهم من البلاد أشد مما أنزل بالمسلمين ، ثم إنه - آخر
الأمر - لم يلق المسلمين في موقعة واحدة ولم يفكر في السير إلى نواحيهم ، وإنما
انصرفت جهوده على النواحي الخالية التي لم يكن ليتوقع فيها مقاومة . ثم إنه لم
يحتل من البلاد التي حلت من أهلها المسلمين إلا ما ذكرنا من نواحي أشتريس
وليانا وبردوليا ، أما الباقي فقد قام بإخراج بقية المسلمين منه أهل البلاد من
الإيريين الرومان ، بعد أن أخرج المسلمون أنفسهم بأنفسهم منها .

ومها يكن من الأمر فقد انتقلت دولة النصارى في الشمال في عصره من
طور إلى طور : اتسعت حدودها واطمأنت أمورها وابتعد عنها الخطر
الإسلامي ، فأنبحت لها الفرصة للتكون والسير نحو القوة ، وأصبحت نواة
صلة لن يستطيع المسلمون القضاء عليها بعد ذلك ، بعد أن كانت قد تاربت
الزوال خلال ولاية عقبة بن الحجاج السلوي ، قبيل الثورة البربرية المشهورة .

إلى هنا نغف هذه القطعة من تاريخ الولايات النصرانية الشمالية خلال
عصر الولاة ، بعد أن حددنا الوضع السياسي العام في شبه الجزيرة الأيبيرية في
مطالع الإمارة الأموية الأندلسية على يد صخر قرينش .

مروية من الكوفيتش ٧٧٧ - ٧٦٨ م

٧٧٥ - ٧٦٩ م / ١٥٨ - ١٥٢ م

٧٨٥ - ٧٧٥ م / ١٦٨ - ١٥٨ م

٧٩٢ - ٧٨٥ م / ١٧٥ - ١٦٨ م

مروية من الكوفيتش ٧٧٧ - ٧٦٨ م

أوردل بن مروية ٧٦٨ - ٧٧٤ م

شيلون ٧٧٤ - ٧٨٣ م

مرويات ٧٨٣ - ٧٨٩ م

الفصل الثامن
المجتمع الأندلسي - ١
العرب والبربر والموالي

دامت فترة الولاية ستة وأربعين عاماً هجرية ، تبدأ من رجب سنة ٩٢ هـ
 (إبريل - مايو ٧١١ م) وتنتهي في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ (١٠
 مايو سنة ٧٥٦ م) وهو اليوم الذي أعلنت فيه إمارة عبد الرحمن بن معاوية
 الداخل على الأندلس جميعه وولدت فيه الدولة الأموية الأندلسية . وقد جرت
 العادة بأن ينظر المؤرخون لك هذه الفترة على أنها فترة تمهيد قصيرة لا أهمية لها في
 تاريخ الأندلس الإسلامي ، بل ينظر إليها بعض المؤرخين على أنها فترة عبثية
 اتفقها العرب في منازعات قبيلة وعبث لا طائل تحتها . ولعلنا رأينا فيما مر بنا من
 أحداثها أنها أهم من أن ينظر إليها هذا النظر السطحي ، لأن ما عبر بها من
 الأحداث كان له من النتائج الجيدة ما سلاخظ أثره في كل دور من الدورات تاريخ
 المسلمين في شبه الجزيرة الأندلسية بعد ذلك ، فقد قام المسلمون خلال هذه
 الفترة بأعظم جهود حربية قاموا بها فنياً وراء البريات خلال تاريخهم الطويل ،
 ووضعت في أثنائها أسس النظم الإدارية والمالية التي ستجري الأمور بمقتضاها
 حتى قيام الخلافة الأموية على يد عبد الرحمن الناصر في أواخر سنة ٣١٦ هـ
 (أوائل سنة ٩٢٩ م) ، وفي خلالها أيضاً ولدت الولايات النصرانية الإسبانية في
 شمالي غربي الجزيرة وشمالها ، ونشأت كذلك عداوة العرب والبربر ، وكلها
 ظواهر تاريخية ذات آثار ومضاعفات تاريخية دائمة . وقد عرضنا لهذه الظواهر
 كلاً على حدة بحسب ما اقتضاه المقام ، ونهي أن نلقي نظرة عامة على الفترة
 كلها ، لتكون لأنفسنا فكرة صحيحة عن الأندلس الإسلامي في فجر تاريخه .

١ - العرب

١٤٤ - طالع موسى دخل العرب الأندلس على هيئة نياز متصل لم تسجل المراجع من مواجهته إلا عدداً قليلاً تسميه « الطوائع » جمع طالع ، وهي الجماعة من العرب الذين دخلوا الأندلس . ولؤل هذه الطوائع طالع موسى^(١) ، لأن الجيش الذي أقبل مع طارق لم يكن يضم إلا طائفة قليلة من العرب ، ورجاله على هذا لا يسمون بطالعة طارق . كانت طالع موسى تضم نحو اثني عشر ألفاً من العرب ، معظمهم من القيسية واليمينية وموالي بني أمية ومن لحق بهذه الطوائف الثلاث من البربر المنتسبين إلى موسى بن نصير ، وقد كانوا في حكم العرب رغم أصلهم البربري .

وقد استقرت هذه الطوائف في كل ناحية على طول الطريق الذي سار فيه موسى ، أي في نواحي الجزيرة الخضراء وأشبيلية وسرقسطة وبعض نواح متفرقة في أقصى الشمال والشمال الغربي ، فيما تسميه المراجع « ما وراء النورب » . والأدلة كثيرة عن أن معظم اليمينيين استقروا في ناحية سرقسطة ، وتناشرت جماعات منهم في قرطبة وحواليها وفي إقليم أشبيلية ومرسية ، وكان القيسيون قلة في هذه الطالعة استقر معظمهم في نواحي الجنوب .

وحيثما أقبل الحر بن يوسف الثقفني إلى الأندلس في ذي الحجة سنة ٩٧ هـ (أغسطس سنة ٧١٦ م) استصحب معه أربعمائة من « وجوه أهل إفريقية » ، ويبدو أنهم كانوا نخبة عربية ممتازة لأن صاحب فتح الأندلس يصفهم بأنهم كانوا « أول طوائع الأندلس للعدودين » ، ولما كان معظم عرب إفريقية من اليمينيين ، فإننا نستطيع أن نقول إن معظم هذه الطالعة كانوا من اليمينيين ، ولما كان الحر قد قدم بهم ليشدوا لزره فقد أقاموا في قرطبة وما حولها^(٢) .

١٤٥ - طالع بشر القيسي - بعد طالع موسى - هي طالع بلج بن بشر القيسي في ذي القعدة سنة ١٢٣ هـ (يناير سنة ٧٤١ م) الذين

(١) المغربي : طبع ، ج ٣ ، ص ١٤١ - ١٤٤ .

(٢) فتح الأندلس ، ص ٢٣ .

نجوا من مطيحة العرب في سوقة بشدورة ، وابتلوا إلى سبنة وتمحصوا بها حتى
عبروا إلى الأندلس في ولاية عبد الملك بن قطن القهري الثانية على ما فصلناه ،
وكان عدد هذه الطائفة بقرب العشرة آلاف خاليتهم العظمى من القيسيين .

١٥٠ - الشيبون . ولما كان أهل الطوائف السابقة على طائفة بلج قد استقروا في
البلاد وتقسّموا غير نواحيها فقد كانوا يعتبرون أنفسهم أهل
البلد وأصحابها ، وتسموا بالبلديين وكرهوا أن يقبل إليهم مثل هذا العدد
العظيم من الشاميين ويقاسمهم غيرات البلد بل يحاول أن يغلّبهم عليها ،
فغفروا من هجرتهم وانتهروا بتازعوتهم السيادة على البلاد .

١٥١ - الشاميون . ومن تاريخ نزول بلج وجماعته القيسية بدأ النزاع بين اليمنية
والقيسية في الأندلس ، لأن الأقلية القيسية التي كانت هناك لم
تلبث أن انضمت إلى القيسية المقلبة بنازعة العصية القبلية ، وقد أظهرت هذه
الجماعة القيسية من الشجاعة والشجدة ما مكنتها من القضاء على ثورة البربر في
زمن قليل ، فارتفعت بمقدّمهم أسهم القيسيين وبدأ الصراع الحزني بين جذمي
العرب الكبارين ، واحتدمت نيران هذا الصراع بينهما خلال ولايتي بلج وثعلبة
ابن سلامة العاملي (ذو القعدة ١٢٣ هـ / يناير ٧٤١ م إلى رجب ١٢٥ هـ /
مايو ٧٤٣ م) لأن بلجا وثعلبة كانا من أعنف الشاميين .

انتزع بلج ومن معه من الشامية الولاية من اليمنيين ، وما زالوا يشخ
الأندلس إذ ذلك - عبد الملك بن قطن - حتى تخلصوا منه . ولم يكن عبد الملك
مبتأياً صرفاً بل كان فهيراً يتسبب إلى مضر ، ولكنه كان يمثل البلديين ، فما زال
الشاميون يرؤسهم حتى قتله . ولما كان عبد الملك يمثل زعامة البلديين -
ومعظمهم يمتنون - فقد ثارت اليمن على كلمة واحدة في كل ناحية يقدروهم
عبد الرحمن بن علقمة اللخمي وصاحب أربونة أي حاكم الثغر الأعلى (القيم
سرقسطة وما يليه شمالاً حتى أربونة) وأمّية وقطن ابنا عبد الملك بن قطن في
ناحية ماردة .

٥ . . . وحشدوا من أقصى أربونة وراجعوا أهل البلد والبربر وسوقهم تطرف

من دعاه اليرير ، فرضيت اليرير أن تال ثارها من أهل الشام ، فإذا فرغوا كان لهم في أهل البلد رأي^(١) ، وانضمت إليهم جماعة قليلة من البغين كانت في جيش بلج يتزعمها عبد الرحمن بن حبيب رأس العرب البلديين في إفريقية فيما بعد ، ونهضت هذه الجماعة كلها لتحارب القيسيين الدخلاء لتستعيد منهم الزعامة وتخرجهم من البلاد جملة .

١٥٢- الصراع بين ولقد احتدم الصراع بين العرب في شبه الجزيرة ، ونجى أن
البلديين تبه إلى أمر همام ، هو أن ما تلا ذلك من أدوار الصراع بين
والشاميين العرب لم يكن في حقيقة الأمر صراعاً خالصاً بين كلب وقيس
يقدر ما كان صراعاً بين حرب الأندلس القدماء (البلديين) والعرب الدخلاء
الذين أخذوا يعرفون من ذلك الحين بالشاميين ، وهي تسمية دقيقة تدلنا على
أهم لم يكونوا قيسيين خالصين بل كانت فيهم قلة يمنية ، بل سيتطور وجه النزاع
بعد قليل ، ولن يصح مجرد صراع بين البلديين والشاميين بل صراعاً بين حزبين
كبيرين غالبية الأول من القيسية وغالبية الثاني من الكلبية ، وتتظم إلى كمل من
الحزبين جماعات من طوائف متفرقة من العرب تليل بما مصالحها الخاصة إلى هذا
الحزب أو ذلك .

وقد بلغ هذا الصراع بين هذين الحزبين الكبارين أقصاه في شوال سنة
١٢٤ هـ / أغسطس سنة ٧٤٢ م ، حينما التقى رجالهما في موقعة أقرة بمرطورة
التي انتصر الشاميون فيها انتصاراً حاسماً وصارت إليهم قيادة الأندلس من ذلك
الحين إلى قيام الدولة الأموية ، ولم يرفع البلديون رأسهم من جديد إلا بفضل
عبد الرحمن الداخل وقيام دولته بعد ذلك بأربع عشرة سنة . ولما كانت غالبية
الشاميين قيسية ، فإن هذه الفترة كلها تعتبر فترة سيادة القيسية على الأندلس .

١٥٣- ميادة ولم ير الأندلس فترة هي أسوأ من هذه قبل وقوع الأزمة الكبرى
الشاميين على التي تعرض أمر الإسلام خلالها للتضياع مدى إمارات محمد
الأندلس وأثرها والمثلر وعبد الله ، لأن الشاميين أوقعدوا البلد ثاراً ونشروا بين
أهلها روحاً من التفتقل والاضطراب لا سبب لها في الواقع إلا

(١) الأخبار المصنوعة ، ص ٤٣ .

ما جيل عليه القيسيون من ميل إلى الفوضى واستهانة بالدعاء وإسراف في
المقصورة .

وقد بدأت هذه الفترة المظلمة بولاية ثعلبة بن سلامة العاملي (شوال
١٢٤ هـ / أغسطس ٧٤٢ م) ، فقد كان قيسياً جافياً غليظاً لا تكاد تحلط
خلقه رحمة أو رفق ، وما رواه المؤرخون من أقامه هذه السوق التي أقامها عند
« المصارة » لبيع أهدائه من العرب المغلوبين في موقعة أقبوة برطورة ، فيقول
صاحب الأخبار المصبوحة : « ولقد بلغنا أنه باع أشياءهم لمن ينقص بهم ، لقد
قبل إنه صاح على ابن الحسن - وجعل كان بالأندلس من أهل المدينة - وعلى
الحارث بن أسد - من جهينة من أهل المدينة - فقال : من يحسر على هذين
الشيخين ؟ فقال قائل : أحدهما عندي بعشرة دنانير ! فقال الصائح : من
ينقص ؟ فلم يزل يصيح : من ينقص ؟ حتى باع أحدهما بكلب والأخر
بعور .. » (٦٦) .

ولم ينفذ البلطيين - واليمنيين خاصة - إلا قدوم أبي الخطار الحسام بن
ضرار الكلبي والياً من قبل حفظة بن صفوان عامل إفريقية ، وكان الناس قد
استغاثوا به وكتبوا إليه يقولون : « أينا يزال يجمعنا ويأخذ بيعتنا له ولاسير
المؤمنين ، حتى يصير الشام والبلدان على دعوى واحدة ، فقد أفتانا القتل ونحن
العدو على فرارنا » . فوصل أبو الخطار في اللحظة المناسبة ، وأنفذ اليمنيين من
الذل والمناه ، ورضية حرب الأندلس جميعاً ، ولهذا يسمى عسكره عسكر
العافية (٦٧) .

١٥٤ - تزيق
الشامية في
النواصي
وقد بدأ أبو الخطار يدعاً طياً ، وأراد أن يستعين بأراء قوم
ليسوا من البيت ولا من القبيلة ، فاستشار عريضاً شيخ أهل
الذمة ، وكان رجلاً عاقلاً مجرباً كئيباً سجيماً ، فأشار عليه
بتزيق الشاميين في النواصي ، لأن يشاءهم إلى جواره في العاصمة وضواحيها
حظر على الخائكم والحكوميين ، فعمل على تزيقهم في الكور التي لم يكن فيها

(٦٦ و ٦٧) أخبار المصبوحة ، ص ٤٥ .

من البلدين أحد ، وأنزلهم في هذه النواحي مع أصحابها من أهل الذمة ، على أن يكون لهم ثلث الخراج وللشولة الثلثان . ويبدو أنه وجد صعوبة في إقناعهم بقبول ذلك ، لأنه اضطر إلى إخراج ثلاثة من زعمائهم من البلاد هم : ثعلبة بن سلامة العامل والوقاص بن عبد العزيز الكتاني وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي ، لأنهم كانوا سبب فساد الأندلس ، ووكل بهم من أخرجهم من البلاد^(١) . وأرى الباحثون منهم بعد ذلك أطاعة أمره ، فلم يزل أبو الحظار يلاحظهم حتى استأمنوا إليه وأقاموا معه ، وتوسع لهم في البلاد ، فأُنزل كل قوم على قدر منازلهم في الشرق^(٢) .

ولقد فرغهم أبو الحظار على الكور على أساس لطيف : فخير لكل قوم ناحية تشبه من حيث المناظر المحيطة بها الناحية التي أتوا منها من الشرق على النظام التالي :

جند مصر : في كورة أكشوبية وباجة وبعض نواحي كورة تدمير .

جند الأردن : في كورة ربه .

جند دمشق : في كورة البيرة .

جند قسرين : في كورة جيان .

١٥٥ - خصومة القبية والبصرة لعمود
ولو قد استمر أبو الحظار على هذه السيرة لدام السلام وعاد إلى البلاد هدموها ، ولكن أبا الحظار لم يلبث أن نبض فيه عرق الحمية ، فمال إلى قومه وعجابهم وأخذ يعسف القيسيين ، وكان من سوء حظه أن كان بين هؤلاء القيسيين رجل من طراز الصميل بن حاتم الذي أشرنا إليه ، وكان بدويّاً جلفاً من جند قسرين ، وكانت إليه زعامة القبية بعد إخراج زعمائهم الآخرين ، وبلغ من سلطانه على قومه أنهم كانوا يطيعونه في كل ما يريد دون أن يسألوه السبب ودون أن تكون

(١) ابن الفوطي : افتتاح ، ص ٢٠ .

(٢) فتح الأندلس ، ص ٣٦ .

هناك حاجة ظاهرة إلى ذلك . فلم يلبث أن تصدى لأي الخطار ، ونذهب إليه مرة يشكو إليه أمراً خلق يعني ، فتعمد أبو الخطار الإسراف في إهائه فلنكسر وشمم ، فنخرج عنه ، قلبي داره ، وبعث إلى خيار قومه ، فشكوا إليهم ما لقي ، فقالوا له : نحن لك تبع . (٢٦) .

هكذا تلوذت نيران العصبية مرة أخرى : ثلثها أبو الخطار بسوء سياسته والصميل بعنفه وبدأوته وجهله ، وانقسمت البلاد حزبين من جديد ، وثارَت بيننا حرب غرابة لم يتخذ مصير الإسلام في الأندلس منها إلا قدوم عيد الرحمن ابن معاوية .

لم يكن هذان الحزبان الجديدان هما المضربين والقيسين كما كان الحال قبل قدوم طالعة بلج ، ولم يكونا كذلك البلديين والشاميين كما كان الحال منذ دخول بلج إلى هيء أبي الخطار ، بل تكونا من جماعتين من القبائل ألفت بين عناصر كل منهما عوامل المصلحة وحس البقاء : ذلك أن أبا الخطار لم يصف القيسيين كلهم ، فلبثت منهم جماعة إلى جاتيه تؤيده ، ولم يصف اليمينيين كلهم فانضمت جماعة إلى الصميل ، ولا نستطيع أن نسمي هذين الحزبين إلا بحزب أبي الخطار وحزب الصميل ، وإن كانت اليمية أغلب على الأول ، والقيسية أغلب على الثاني . وإليك التكوين القبلي لكل من الحزبين . على قدر ما تعيننا المراجع على تصوره :

حزب الصميل	حزب أبي الخطار
معظم قبائل : حلم (يمن)	جذام (يمن)
جذام (يمن)	فهر (عدنان)
قيس (عدنان)	قضاة
خطقان (قيس) ^(٢٧)	جند حمص (غليظ)

(٢٦) أخبار مجموعة ، ص ٥٦ .

(٢٧) جاء في الأخبار المجموعة أن الصميل من حاتم عدنا قرو وخاصة أبي الخطار قال لقرية : « والله ما أحب أن أفرسهم للقضاة واليمية ، ولكن اللطف ندموا ما فرج راعوا ، ولقد فرسوا » .

أي أن الأمر لم يعد عصية قبلية بل عصية حزبية ، وربما عصية موطن . فسخرى عند بياننا لمنازك القبائل العربية في شبه الجزيرة أن هذه الجماعات التي تألفت كانت متجاورة المواضع ، ولا يعزى انقسامها إلى حزب أو إلى الخطأ إلا إلى أن إقليم حصص الذي كانوا فيه ، وهو إقليم أشيلية ، كان يضم مواطن القبائل التي انضموا إليها .

وقد رشح الصميل بن حاتم ، وهو قيسي ، لقيادة حزبه رجلاً من جذام ، أي من اليمن ، هو ثوبة بن سلامة الجذامي ، وهو ما كان ليفعل ذلك إلا وقد تبين أن معظم المنضمين تحت رايته كانوا من اليس . ثم إننا نستنتج من قبول القيسية الذين كانوا مع الصميل لذلك الوضع أن العصية القبلية لم تعد المحرك الرئيسي لجماعات العرب ، بل عصية المصلحة والموطن ، أي العصية السياسية . وقد كان الصميل نفسه رجل سياسة ودهاء قبل أن يكون رجل قبائل : كان رجلاً واقعياً لا يؤمن إلا بما يفعله ، وربما كان خلقه هذا هو الذي أخرج الصراع من الميدان القبلي الصريح إلى ميدان السياسة والصالح .

وتولى حزب الصميل الحكم ، وقام ثوبة بن سلامة بالأمر ، ولم تطل مدة ولايته أكثر من عام ، وكان الانشقاق يتبع في صفوف الحزب ، إذ تتلزع الرئاسة عمرو بن ثوبة ويحيى بن حريمث ، ولكن الصميل تدارك الأمر بذلك واختار رجلاً من محارب بن قيس ، أي من قريش الظواهر ، وكانت بطون قريش الظواهر كلها أشبه بالجاهلية بين عرب الشمال وغرب الجنوب ، فكان اختيار الصميل لهذا المحارب - وهو يوسف النهري - حسياً للفرزاع وإرضاء للقرقيز ، ودليلاً على مهارته السياسية .

ومن دلائل غلبة الروح السياسية على عرب الأندلس خلال هذه الفترة

«وعظاماً، ويتدخل منهم رجلاً تقدمه يكون له الاسم ولنا الخط . قال : فكثروا إلى ثوبة بن سلامة الجذامي وكان من أهل فلسطين ، ثم ساروا حتى وفدوا عليه فأجابهم ، وأجابهم لهم رجلاً . . . » (ص ٩٦-٩٧) - وانظر تعليق تروزي على هذا الوضع .

DOZY, *Manueliers d'Espagne*, t pp. 175 - 177.

الأخيرة من عصر الولاة أن الذين تحركوا لاستقالة أبي الخطار من سجنه لم يكونوا أهله من اليمن ، بل كانوا من قضاعة ، وقضاعة على ما نعرف مشكوك في موضعها من عدنان ومحطان ، فبعضهم يحملهم من العدنانية وبعضهم يحملها من القحطانية ، وإن كان الأخيرون أكثر : قامت جماعة من القضاعية قوامها مائتا رجل وأربعون فارساً واختطفوا أبا الخطار وفروا به إلى منزل بعض القبائل اليمنية بتاحية أشيلية ، وكان يقود أولئك القضاعيين عبد الرحمن بن نعيم الكلبي (بن) فبدأ حزب أبي الخطار ينهض من جديد ، وأشدت ساعده عندما انحط الصميل فعزل يحيى بن حرث شيخ لحم عن كورة ريمة . ففر يحيى بن حرث ومن تابعه من لحم وانضموا إلى حزب أبي الخطار . وشيئاً فشيئاً انفصلت بقية القبائل اليمنية التي كانت في حزب الصميل وانضمت إلى أبي الخطار ، فلم يبق مع الصميل إلا قيس . وهكذا وقف قيس وكلب مرة أخرى وجهاً لوجه وهوى عرب الأندلس إلى درب النزاع القبلي الخالص من جديد ، وانضم البلديون - ومعظمهم من يمن - إلى الكلية حزب أبي الخطار ، ووقف اليمنيون في جانب والقيسيون في جانب على النحو التالي :

اليمنيون برأسهم ابن حرث

عمر + كندة + مدحج + قضاعة

القيسون برأسهم يوسف الفهري والصميل

مضر + ربيعة

ومن غريب ما وقع أن أهل بعض القبائل الشجائيريين الذين عاشوا إلى ذلك الحين في سلام وولام ، جعل بعضهم يودع بعضاً تم يخرج كل منهم ليأخذ مكانه في صفوف الجبهة التي سيقاوم فيها دون أن تكون لديه أي دوافع خاصة لهذا الخروج . وليس أتضح من هذا دليلاً على أن العرب علوا ، رغم الإسلام ورغم ما نالوا من خيرة ، بدأوا جاهليين في أعماق نفوسهم لا يكاد الاختلاف

الأحوال والظروف يغير من طبعهم الأصل شيئاً^(١) .

وقد سافر العرب في هذا الصراع وكانهم كانوا يعيشون وحدهم في ذلك القطر ، أو كأن جماعاتهم فيه بلغت من الكثرة بحيث غطت كل ما عداها . ولكن الواقع - وهذا غريب ما في الموضوع - أنهم لم يكونوا إلا قلة بالنسبة لقبية سكان الجزيرة . وعلينا أن ندرس الآن توزيع القبائل العربية في شبه الجزيرة في هذه الفترة ، فلعل ذلك يعيننا على تفهم ذلك الوضع الذي يبدو من الغرابة يمكن .

١٥٧ - يجر وإذا أخذنا بالعلوم القليلة التي لدينا عن أعداد العرب
العرب في الذين نزلوا الجزيرة لم نستطع أن نقدرهم إلا ببضعة آلاف :
الأساس فقد كانت طالعة موسى تضم ١٢ ألف وطلعة بلج ١٠ آلاف
وإصطحب الحر بن عبد الرحمن الثقفي معه أربعمائة وجميع
هؤلاء ٢٢٤٠٠ ، فإذا افترضنا أن بضعة آلاف آخرين دخلوا الجزيرة فرأى لو
جماعات لم نستطع تقدير أعداد من دخلوا الجزيرة من صحراء العرب بأكثر من
ثلاثين ألفاً . فإذنا حسبنا من قتلوا في حروب العصبية ومن استشهدوا في
الفتوح وراء الأبرت تبين أن بقية هذا العدد القليل لا يمكن أن تغمر شبه الجزيرة
الواسع على هذه الصورة التي رأيناها .

يبد أننا ينبغي أن نلاحظ أن جميع العرب الذين دخلوا الجزيرة دخلوها
رجالاً بدون نساء ، ثم اتحلوا النساء من أهل البلاد ، وقد توسعوا في ذلك ،
فكثرت نساؤهم وكثر عيالهم أيضاً . ولكني نعطي الفارسي فكرة عن حصوة
أولئك الداخلين نذكر جانباً من نسل عبد الرحمن الداخل وبنه ، وقد أحصاهم
ابن حزم في جمهرة أنساب العرب . وقد احترناهم لأهم التوحيدون الذين لدينا
إحصاء بالأرقام عنهم وعن أولادهم وأحفادهم ، وينبغي أن نلاحظ أن ابن حزم
لم يذكر إلا الظاهرين من بني أمية ، أي أنه ترك الحاملين ، والحاملون في العادة
أكثر أولاداً ، وقد ترك كذلك ذكر الخلف من الإناث في الغالب .

(١) الأخبار الصرفة ، ص ٥٨ - ٥٩ .

أحقب عبد الرحمن بن معاوية سبعة ذكور ، وهشام ابنه ستة ، والحكمم الرضي ثمانية عشر ، وعبد الرحمن الأوسط مائة ولد ، منهم غسون ذكراً وخسون أنثى ، والأمير محمد نيفاً وثلاثين ذكراً ، والأمير عبد الله أحد عشر ذكراً ، وعبد الرحمن الثامر أحد عشر ذكراً . . . إلى آخره^(١) .

فيذا نحن أحصينا المذكور فقط نبينا أن ستة من رجال البيت الأموي أنجبوا ١٤٤ ولداً ذكراً ، أي بمتوسط ١٩ ولداً للواحد ، وذلك غير البنات . وإذا اعتبرنا هذا العدد أصل من الطبيعي ، لأن عبد الرحمن الأوسط أصل بالتوازن الطبيعي وجاوز الحد المألوف ، أمكننا الاجتزاء من ذلك العدد بحشرة لكل شخص ، وأمكننا أيضاً أن نطبق نسبة التكاثر هذه على بقية العرب ، فقد كانوا جميعاً في سعة من النساء والعيش في ذلك البلد الطيب الرخي .

ومعنى ذلك أن أولئك الثلاثين ألفاً من العرب أصبحوا بعد عشرين سنة من دخول العرب الجزيرة ٣٠٠ ألف ، غير من انضم أو انتسب إليهم من مواليهم من أي معهم من المشرق أو المغرب أو انضم إليهم من أهل البلاد .

وهذا التضخيم لا يجعل تلك العضلة التاريخية حلاً تاماً ، ولكنه يجعلها أقرب إلى المعقول والممكن . وربما زادت وضوحاً إذا ذكرنا أن العرب انتشروا في شبه الجزيرة انتشاراً واسعاً بحيث لم تخل منهم ناحية من نواحي الشرق (من شماله لها جنوبه) والجنوب والوسط والمغرب حتى نواحي قلمرية وشتيرين وأشونة . وقد كان العرب ، رغم ما رأيناه فيهم من العنف في خصوماتهم بين بعضهم البعض ورغم احتيازهم بعضهم العربي لوماً بمسنون العشرة ، بعيدين ، كأفراد أو جماعات صغيرة ، عن نزعات السيادة والتعالي التي تمسك بها من سبقهم من الرومان والقوط . ثم إن مطامعهم في أموال أهل البلاد المفتوحة كانت قليلة ، ومشرى عند دراستنا للناحية المالية ، أن الإدارة العربية لم تكلف أهل البلاد شيئاً كثيراً . ومن ثم فقد كان العرب لا يملكون في ناحية من نواحي الأندلس حتى تتصل العلاقات بينهم وبين من حولهم من أهل البلاد ، خاصة وأن العرب كانوا

(١) ابن حزم : حجة أسلاف العرب (طبعة بروكسل ، القاعة ١٩٤٨) ، ص ٨٧ - ٩٣ .

يعاهدونهم ويرتبطون معهم بأواصر القرى ، أي أنهم لم يكونوا سادة أو حكاماً
يظفر ما كانوا مساكنين أو معاشين ، فأس إليهم الناس وأقبلوا عليهم ، واحتلظ
الحيان ، وبدا وكأن العرب أكثر من عددهم الحقيقي .

١٥٨ - مراجعنا والدينا عن منازل العرب في شبه الجزيرة معلومات طيبة في
عن منازل العرب معظم ما لدينا من المراجع ، وقد أورد القرني في نضح الطيب
بالاندلس صفحات من « فرحة الأندلس » لمحمد بن أيوب بن غالب
الغرناطي من أهل القرن السادس الهجري ، وأورد أبو محمد علي بن حزم في
تفصيحاً : جملة أسباب العرب « معلومات وبيانات مستنيضة عن منازل
العرب في الأندلس » تستطيع إذا نحن جمعناها وأضفنا إليها ما لدينا من بيانات
ابن غالب وغيره أن نحدد منازل العرب في شيء كثير من الدقة ، بل نستطيع أن
نرسم خريطة ديموجرافية لعرب الأندلس .

ومن الواضح أن معلومات ابن حزم وابن غالب لا تنصب فقط على الفترة
التي ندرسها ، وأن بعض من ذكر من العرب دخلوا الجزيرة فيها بعد ، وخاصة
أيام عبد الرحمن الداخل وابنه هشام الرضي ، ولكننا نستطيع الأخذ بها دون
التعرض لحط كثير ، لأن الذين دخلوا الأندلس بعد فترة السيادة لا يمكن أن
يكونوا إلا شيئاً ضئيلاً بالنسبة لمن دخلوها في تلك الفترة . ثم إن الداخلين أيام
الإمارة الأموية كانوا يقدون قراني أو في جماعات صغيرة ، وكانوا في الغالب
يتزولون قرطبة أو يقصدون أهل قبائلهم في النواحي ، أي أن دخولهم لم يغير
الوضع العام ، وفي إمكاننا أن نعتمد على تفصيلات ابن حزم وابن غالب في
شيء كثير من الاطمئنان .

وراضح مما بين أيدينا من النصوص أن جماعات العرب التي دخلت
الأندلس كانت تضم أعداداً طيبة من فحول العرب ممن يثرون الحصول الرئيسية
الأصلية هذا الجنس غير قليل . وسواء نظرنا إلى الأعمال الإيجابية كعملية الفتح
نفسها ومواصلتها فيها وراء الأندلس ، أو إلى النشاط السلمي كحروب
العصية ومناقشات الرئاسة ، فإننا نرى هذه الفحولة العربية بصورة لا نجد لها

فيما يشبه الأندلس من حيث الوضع العام مما فتحه المسلمون من البلاد وقد أشار إلى ذلك المقرئ بقوله : « فاعلم أنه لما استقر قدم أهل الإسلام بالأندلس وتنام فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب منهم إلى الخلول بها ، فنزل بها من « جراتهم » العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم ، إلى أن كان من أسرهم ما كان «^(١)» . . . ، والمراد به « الجراثيم » هنا الأصول .

ويتفق ابن حزم وابن غالب وابن سعيد على أن هؤلاء الأعقاب الذين يشير إليهم المقرئ كانوا كثيرين ، وأن هذه الكثرة لم تقتصر على فريق دون فريق : ففي الحديث عن المنتسبين إلى محارب بن هبسر (من قريش الظواهر) يقول ابن حزم - برواية للمقرئ - : « وهم بالأندلس عدة وثيرة ، وأما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثر ، وجعلهم في طلبطة وأعمالها »^(٢) . وفي الحديث عن لميم (مضر) يقول ابن غالب : « إجم خلق كثير بالأندلس »^(٣) ، وهكذا الأمر مع معظم القبائل التي يذكرها أولئك المؤرخون .

١٥٩ - وقد كانت جماعات اليمنية تفوق العدنانية كثرة عدة وسعة الخطابين
أقاليم ، قال المقرئ في الكلام عن الضحطانية : « وهم الأكثر في الأندلس ، والملك فيهم أوسع إلا ما كان من خلفاء بني أمية ، فإن القرشبة قدمتهم على الضرقين . . . »^(٤) . ويقول ابن غالب : « ومن الأزد من يتسب إلى الأنصار على العموم ، وهم أجم الغضير بالأندلس . قال ابن سعيد : والعجيب أنك تعدم هذا النسب بالمدينة ، وتجد منه بالأندلس ما يشذ عن العدد كثيرة . ولقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد إلا شياً من الحنودج ومجوزاً من الأزد »^(٥) ، وهي مبالغة من ذلك الداعية الأندلسي اليراع ، يخفف من غلوها ما يصرح به ابن غالب أن من الأزد - أزد الأندلس -

(١) المقرئ : نبع الطب ، ج ٢ ، ص ٢٧١

(٢) نفس المصدر والمرة ، ص ٢٧٢ -

(٣) نفس المرجع .

(٤) المقرئ : نبع الطب ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ -

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٧٤

من يفضل الانتساب إلى الأندلس ، لأن هذا الانتساب كانت له قيمته الاجتماعية في الأندلس ، ولهذا كان يلجأ إليه « الجم الغفير » من الأزد فيما نظر .

غير أننا عندما ننظر فيما لدينا من البيانات نلاحظ أن القبائل اليمنية التي نزلت الأندلس لم تكن تزيد على العدنانية هذه الزيادة التي نتحدث عنها التصور ، فقد أحصينا مجموع ما ذكره ابن حزم وابن غالب وابن سعيد من هذه وتلك فكانت العدنانية ٤٢ قبيلة واليمن ٥٢ ، ولا نفسر الغالبية اليمنية إلا على أحد وجهين : إما أن تكون أعداد من دخلوا الأندلس من القبائل اليمنية أكثر بكثير من أعداد من دخلوا من القبائل العدنانية ، أو أن يكون « الجم الغفير » من العرب الداخلين قد زعموا لأنفسهم أنساباً تصارية - ما بين أوس وخزرج - إتساقاً للمكانة والمنزلة ، وقد يكون الأمران قد حدثا معاً .

وإذا نحن أمعنا النظر فيما لدينا من البيانات عن منازل العرب في الأندلس لاحظنا ما يلي :

١٦٠ - ملاحظات ١ - إن ما يقال من أن العرب اختصوا أنفسهم بأغنى نواحي
على
منازل العرب
في الأندلس
صحيح ، فقد ترك العرب لغيرهم نواحي من انحصب ما في
الأندلس ، فقد تركوا مثلاً أحواض الواديانة والتاجرة وغير
شقورة (غير مرسية) وغير شقر (غير بلنسية) والنواحي الأبيض وواحي لكنة
وغيرها كثير ، ولم تكثر منازلهم بشكل واضح إلا في حوضي الوادي الكبير
وواحي إيرة الأوسط وفروعها الكثيرة . بل هم لم يعمروا من وادي إيرة إلا الدير
الرئيسي والفروع الجنوبية ، أما الشمالية فتركوها دون سكنى ، ونزل اليرير فيها
عدا ذلك كله . ولو أننا ازننا بين ما احتله العرب وما احتله اليرير ، لوجدنا
الكفتين متعادلتين تقريباً .

١٦١ - استمرار

العرب
على طول
خطوط الفتح

٢ - ونستطيع أن نقول بصفة عامة إن العرب استقروا على طول خطوط الفتح الأول ، فترى منازلهم تنتشر ابتداء من الجزيرة الخضراء ، وثلاً معظم المنطقة الواقعة جنوب نهر شيل وحووض الوادي الكبير ، ثم تكثُر بصورة ظاهرة في إقليم أشيلية ، وتستمر على طول الوادي الكبير وفروعه . وعند إقليم أشيلية تنتشر منازل العرب في نفس الاتجاه الذي مار فيه موسى ، وتكثُر في نواحي أوبية وليلة وبلجة ، وتتصل حتى بطليوس ثم نواحي طليبرة وطليلة فنواحي الحجارة وقلعة أيوب ودروقة وحووض إبرة الأوسط حول مسرطة في منطقة واسعة تشمل حوض نهر جَلَق Gallego ونهر الحَمَة Rio Alhama .

ومن أحواز قرطبة يمتد خط محروبي آخر ، على طول طريق طارق بن زياد حتى طليطلة ماراً بقلعة رباح .

ومن حوض الوادي الكبير اتساح العرب شرقاً ، فملأوا نواحي ما يعرف عادة بشرق الأندلس ، وهي نواحي بلنسية وتدمير (مرسية) ولقت والمرية ومالفة . ويبدو أن هذا الامتداد متأخر قليلاً عن عصر الولاة ، ولكنه لا يتعدى أيام هشام بن معاوية ، لأننا سنجد الجماعات العربية التي استقرت بشرق الأندلس قد تأسست فيه على أيام الحكيم الرضي . وقد زحف العرب مع السهل الساحلي الشرقي حتى وصلت بعض جماعاتهم إلى برشلونة ، فاستقرت فيها بطون من لجيب (كنفة) .

٣ - إن واحداً من جلعي العرب الكبيرين (عدنانان وقحطان) لم يفرود بالسكنى في ناحية بعينها إلا في قليل من الواضع ، بل الأغلب أن نجد قبائلها متجاورة في كل ناحية تقريباً .

- ١٦٣ -

منازل العرب
في الأندلس

ويمكن إجمال توزيع قبائل عدنان وقحطان فيما يلي :

أ - مواضع سكنتها مجموعات متسارية تقريباً من قحطان وعدنان

قحطان

عدنان

أشيلية ونواحيها

- مرة بن ذبيان - غطفان - عك - هوازن - جذام - الأشعر - جزيلة -
 هوازن بن حكيم - ثوابه - بل - لحم - مراد - لبس -
 الخييار بن مالك - الأنصار^(١) .

البيرة وغمرناطة

- خزيمة - أسد - مرة بن ذبيان - طي - عمدان - عسان -
 نعيم بن مضر - الحضرمة^(٢)

وادي آس

- عويك - سعد العشير

بظليوس

- زهرة - حضارمة

ب - مواضع غالبية من نزلها من قحطان (البيهون)

قحطان

عدنان

سرقسطة و نواحيها

- خزرج - عذرة - قضاة -

- تجيب - كتانة - جذام

(١) كانت كتانة البيهون في ناحية إشبيلية وغرب الأندلس ألوى مجموعاتهم وأكثرهم نظاماً ، وكان لها شيخ يرأسها هو « أبو الصالح » شيخ المالكية في غرب الأندلس ، وسكنته قرية صغيرة من شرق إشبيلية (ابن القوطية ، ص ٢٠) .

(٢) يزيد كتانة البيهون في إقليم البيرة وحيات ابن القوطية يقول : « ثم خالطوا القحطانيين بالبيرة وحيات مثل جد بني الصمعي بالمسقلانيين (يظن أن هذا اسم قرية) ، وجد [بني] حسان ، وهي عمر أصحاب وادي آس القسطين وسيرة وقحطية الظالمين حيران » - ص ٢٢ .

عبدان	تقطان
ربيعة	تدمر
تهد	جزام - حوس - حائق - حضارمة
حزيمة	رية
كنانة	جزيلة - حزرج - فورهين
	مألقة
	حضارمة
	شلمونة
	جزيلة - حرموم - جذام
	استجه ومورور
حائق	لحم - حنصم
	الجزيرة الخضراء
كنانة	حولان - بنو عذرة - لحم - جذام
	ج - مواضع غالبية من نزلها من عبدان :

عبدان	تقطان
ملكان - مزينة - ربيعة -	جوان
لحم - القصى	بنو منطل - جذام - مرة
	عنى ^(١)
	باجة وأبله
	حوف - زهرة ^(٢)

(١) النظر القامش القسطنطيني .

(٢) جاء في افتتاح الأندلس لابن القوطية : « وكانت الرثمة طيلة لعبد الظنارين عم إلى الصباح ، وبادجة لابن عمه أيضاً عمرو بن طلوت وكافهم بن تميم » (وكلهم بن) .

أوبئة

سلول - الطماخ - مطروح

أحشين

طليطلة

الأصبار

الزمارقة (تميم) - باعلة - كنانة

د - مواضع لم يسكنها إلا تحطانيون :

قحطان

عدنان

قلعة رباح

خزرج - جذام

دلاية

هدرة - قضاة

قرية صالحية (قرب مالقة)

ضمان

قلعة حوران

حوران

برشلونة

نجيب

داريل (شمالي قرطبة)

بلن

هـ - مواضع لم يسكنها إلا عدنانيون :

قحطان

عدنان

مدينة مرسية

ملككان - أقصى بن مضر

طليطلة

عوف

بلنسية

هولزن

وينبغي أن تنبه إلى أن هذا الإحصاء تقريبي ، فقد اعتمدنا فيه على ابن حزم وابن غالب وابن سعيد وبعض مؤرخين آخرين ووردت في ثنايا كلامهم إشادات لمنازل العرب في الأندلس . وقد أضعنا قضاة في حملة اليمن ، مع اختلاف النسبة في جعلها من عدنان أو قحطان ، لأن الرأي الأغلب هو أنهم قحطانيون^(١) . وينبغي أن نلاحظ أن معظم ملاحظات ابن غالب لا تشير إلى المواضيع ، فهو يقول مثلاً : « ومن أهل الأندلس من يتسبب إلى الأوس أسمي الخزرج ، ومنهم من يتسبب إلى غسان بن عك بن محمدان بن أزان بن الأزد ... »^(٢) .

٤ - إن هناك نواحي معينة حيث إلى العرب سكنها ، فتكاثروا فيها . ويستطيع أن تعتبر هذه المواضيع مراكز العروبة في الأندلس ، فقد كانت هي الهاد التي تكاثروا فيها وانتشروا منها إلى غيرها من النواحي . وقد ظل المنصر العربي غالباً على هذه النواحي حتى نهاية تاريخ المسلمين في الأندلس ، وكانت إلى نهاية القرن الخامس الهجري فقط ارتكاز للإسلام الأندلسي ، ومن هذه المواضيع قرطبة مثلاً - ولم نذكرها في الإحصاء السالف الذكر لأن العرب من كل قبيلة نزلوها ، بحيث لا تجد قبلاً عربياً إلا كان منه في قرطبة - وأشبيلية ونواحيها . وأستجة وربة وقبرة والجزيرة الخضراء وألبيرة وجيان ومالقة وتدمير وسرقطة وشذونة ولرمونة ولبلة وباجة وأرنية .

٥ - ويقول القرني : « وكان حرب الأندلس يتميزون بالعمائر والقبائل والبطون والأفخاذ ، إلى أن قطع ذلك التصور بن أبي عامر ، الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس ، وقصد بملك تشبهتهم ، ولقطع التحامهم وتمصيم في الاتهام^(٣) ، ومعنى ذلك أن كل قطعة من الحرب نزلت بناحية ظلت محتفظة

(١) وقد كان القضاة في الأندلس يحثرون أنفسهم من اليمن ، جاء في الأحياء المجموعه :

« ما صفت بين الأندلس ، حبرها وكندها ومناجها وقضاةها ، واحتازت مصر وربة إلى

بوصف ، وربة بالأندلس قليل » (ص ٥٨)

(٢) القرني : فتح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٣) القرني : فتح ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

بكيانها القبلي ، رغم تراوجهم مع أهل البلاد . وقد حافظت الدولة على هذا الكيان القبلي إلى أيام المصور ، لأن هذه القبائل كانت - كما سنرى عند كلامنا على التنظيم الإداري - أساساً من أسس تكوين الجيش الاندلسي ونظام الضرائب .

٦ - ويدون الكثير من القبائل التي نزلت مواضع في الريف بعيدة عن المدن اتخذت لأنفسها حصوناً تعتصم بها ، وقد ظهرت أهمية هذه الحصون أثناء الفتنة التي شعلت عهود الأمراء عمدة واللتنر وعبد الله ، فقد تحولت الحصون والقلاع أثناءها إلى مدن ظلت تحمل أسماء أصحابها ، وشال ذلك حصن مراد (بين أنشيلية وفرطية) وقلعة بني سعيد (أو قلعة بحصب) في إقليم غرناطة ، وقلعة محولان (بين الجزيرة الخضراء وأنشيلية) .

ومعهم من أنشأ قرى كاملة ظلت تحمل أسماء أصحابها ، مثل منزل همدان (على ستة أميال من غرناطة) ومنزل طيء (جنوبي مرسية) ودلو بيلّ (شمال فرطية) وغيرها .

وكانت هذه المواطن العربية كلها في دور التكوين خلال القشرة التي نتحدث عنها : كانت كثر القبائل الواقعة من المشرق تتجمع إلى ذوي قرياتها وتكون العصبيات التي لعبت الدور الخطير الذي فصلنا تاريخه . وسنرى فيما بعد أن قبائل العرب لم تغير مواضعها إلا في النادر ، وإن كان كل تركيز قد مد له فروعاً فيما بعد وأنشأ مراكز أخرى تنتمي إلى نفس الأصل .

وقد ذكرنا أن العرب كانوا يدخلون الأندلس رجالاً فقط ، ثم يتخذون النساء من أهل البلاد ، وحل هذا فالأجيال الثانية من هؤلاء العرب جميعاً لا يمكن أن يكونوا عرباً من ناحية الدم ، بل ربما جاز اعتبارهم مولدين ، حتى البيت الأموي نفسه كان بيتاً مولداً ، إنما كانوا عرباً بالإحساس والاتجاه واللغة إلى حد كبير .

ويدهي أن أولئك جميعاً لم يعمدوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثاني ، فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد ،

اختلطت بها لغة العرب ونشأت عن ذلك «عجمية أهل الأندلس» ، أو «اللطينية» كما يسميها ابن حزم ، وقد بلغ من غلبة هذه «العجمية» أن ابن حزم يذكر جماعة من العرب بالذات فيقول : «دار بلن بشمال قرطبة» ، وهم هناك إلى اليوم على أنسابهم لا يسمون الكلام باللطينية ، نساؤهم ورجالهم ، ويقرون الضيف ، ولا يأكلون إلبة الشاة إلى اليوم ، ولهم دار الحسرى بجزيرة^(١) ، مما يفهم منه أن كلام عرب الأندلس «بالطينية» كان أمراً عاماً شذت عنه هذه القبيلة . وبطبيعة الحال لم يكن لسان عرب الأندلس قد استعجم بعد في فترة الولاة ، ولكن العملية كانت قد بدأت على أي حال^(٢) .

ب - السير

١١٣ - من الواضح أن أعداد من اشترك من السير في فتح الأندلس
 تيار الهجرة
 البربرية
 إلى الأندلس
 وفي فتوح خالة كانت تزيد على أعداد العرب أصحاحاً ، وأن
 هذه الأعداد لم تقتصر على من اشترك في الجيوش الغازية ، إذ
 إن تياراً من الهجرة البربرية اتصل واستمر عقب المتفتح

(١) ابن حزم : جوهرة أسبب العرب ، ص ٤١٥ .

(٢) اعتمادنا في هذه الملاحظات ، كما اشترنا أيضاً على :

جوهرة أسبب العرب لابن حزم (نشر ليبي بروكسال) ، القاهرة سنة ١٩٤٨ .

ابن غالب : فرجة الأندلس ، منطقتان أوردهما القرني في فتح الطيب (القاهرة ١٩١٩) ص ١ ، ص ٢٧١ - ٢٧٦ .

ابن سعيد : مقتطفات من المغرب في الأقطاب ، أوردها القرني في فتح الطيب ، نفس الجزء والصفحات السابقة .

القرني : فتح الطيب ، ملاحظات للمؤلف في نفس الصفحات .

الأخبار المصروحة - طبعة لاقويوتي إي الكفرا ، مدريد ١٨٧٧ .

ابن النوطية : تاريخ اقتتاح الأندلس ، طبعة بيلينجودوس وساليدورا وكوبيرا ، مدريد

١٩٢٦ م ابن خلدون : البيان المغرب ، طبعة أبي مرويسال وكولان ، لايدن ١٩١٧ .

LEVI - PROVENÇAL, Histoire de l'Espagne Musulmane (2e éd. vol. I, Paris 1851) pp. 71-84

ELLAS TERES - L'Empire Arabe en Al - Andalus, Segun la "Famihara" de Ibn Hajar, AL - Andalus vol. XXIII fasc. I pp. 99 - 113.

مباشرة ، وأن شبه الجزيرة لم يثبت أن امتلاء بهؤلاء المهاجرين . قال القرني في فتح الطيب : « وسمع الناس من أهل بر العدة بالفتح على طارق ، وسعة العالم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وغرقوا البحر على كل ما قدسوا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق »^(١) .

وبين أيدينا نص يزيد غلبة البربر على العرب أول الأمر ، لا من حيث العدد فقط ، بل من حيث القوة أيضاً ، قال ابن القوطية بعد هراخه من أخبار عبد العزيز بن موسى : « ومكثوا سنين لا يحصونهم وال ، إلا أن البربر قدسوا على أنفسهم أيوب بن حبيب اللطمي ابن أخت موسى بن نصير ، مما يدل على أن البربر هم الذين اختاروا لثاني ولاية الأندلس ، ولقد رضي به بقية مسلمي الجزيرة وغلب في الولاية حتى ولي الحر بن عبد الرحمن الثقفي . ولو لم يكن البربر خاليين على الأمر في الأندلس حينذاك لما استطاعوا تولية وال يرخصه جميع المسلمين »^(٢) .

وقد أمدا ابن حزم في الجمهرة بمعلومات غاية في الأهمية تظني ضوءاً على الهجرة البربرية إلى الأندلس . ومن الواضح أن كلام ابن حزم يتعلق بمنازل البربر في الأندلس على أيامه ، ولكننا نستطيع بمقارنة هذه المعلومات بما لدينا من أخبار فترة الولاية أن نتبين من من أولئك البربر نزل الأندلس في ذلك الزمن المتقدم .

ويجزي أن نلاحظ أن التجهيد فيما يتصل بالبربر أصغر منه فيما يتصل بالعرب ، لأن الفجرات العربية الكبيرة انتهت بنهاية عصر الولاية ، فلم يند منهم على الأندلس بعد ذلك إلا أفراد أو بيوت أو جماعات قليلة ، أما البربر فقد كان تيار هجرتهم متصلاً ، بحكم الجوار أولاً ، وبحكم الخلدية الخاصة التي كانت تشبه الجزيرة الأندلسية على بربر الشمال الإفريقي ثانياً ، ولأسباب سياسية ثالثاً . ومن ثم فإن القطع بشيء في هذه الناحية لا يتلو من مخالفة ،

(١) القرني : فتح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢) ابن القوطية : الفتح ، ص ١٣ - ١٤ .

وكل ما استذكره فيها يتصل بمنازل البربر خلال عصر الولاة ينبغي أن يؤخذ
باعتبار .

١٦٦ - عادت بنسب ابن علقون إلى أن جمع البربر التي دخلت الأندلس
البربر الأول مع الفتح وبعده بقليل كانت من قبائل مطرفة ومدبونة ومكتاسة
وهوارة^(١) ، وهذه القبائل كلها من زناتة أو من البربر البحر ،
وكل منها أشبه بالشعب الكبير الذي تنفرح عنه القبائل الصغيرة ، وكانت بطونها
متفرقة في نواحي المغرب ، ولكن كتلة هوارة وتقوسة كانت منتشرة على سواحل
البحر الأبيض من حدود مصر إلى طرابلس ، أما مدبونة فكانت منازلها على
ساحل البحر من نواحي المغرب الأوسط إلى سبتة ، ومطرفة كانت تحتل إقليم
طنجة وتمتد على ساحل المحيط الأطلسي . ومن هذه الأصول الأربعة كان جيش
طارق بن زياد ، وكانت الأمداد البربرية التي أتت عقب الفتح وشكلت في
إفهامه وفي فتح غالة . ويشبه ابن حزم إليها تغزة ، وهم أولاد تغزوا أكبر أبناء
لاوي الأكبر جد اللواتين جميعاً . ونغزة قبيل ضخم لا يقل عن مطرفة وهوارة
وتقوسة ومدبونة ، ويذكر أيضاً مغيلة وملزوزة وهما بطنان صغيران من بطون البربر
يتسبان إلى خري بن مادغيس أخي لاوي الكبير ، ومعنى ذلك أن أولئك البربر
الذين دخلوا الأندلس أول الأمر كانوا جميعاً بشراً ، وقبهم زناتية مثل مكتاسة
واليالي من بطون بترية أخرى .

ولم يكن البربر إذ ذاك يضمون أنفسهم هذا التقسيم الحاد إلى بربر
وبرانس ، لأن ذلك ظهر فيها بعد ، عندما سرت حدود العصبية القبلية من
العرب إلى البربر ، وعندما بدأ البربر يستقلون بأنفسهم ويقومون القبول معتزتين
بالعصبية والأصول ؛ بدأت ذلك صياحة من البرانس ثم تلها زناتة من
البربر . أما في الفترة التي نحن فيها ، فلم يكونوا جميعاً إلا بربراً إلى جوار
العرب . وتدل الأدلة على أنه كانت فوهم جماعات مصمودية ، فيحدثنا
صاحب « فتح الأندلس » أنه كان برانس جماعة البربر بتناكرنا « في جبل رندة »

(١) ابن علقون ، طبعة بولاق ، ص ٢ ، ص ١٠٦ وما إليها .

زعيم يسمى عبد الرحمن بن عوسجة⁽¹⁾ ، وهو جد بني عوسجة المصموديين (من البترقي البرانس) الذين كثروا فيما بعد في الأندلس وعصروا نواحي جنوب شتيرية المغرب ، حتى صارت تسمى « بلاد عوسجة » ، وإليه أيضاً نسب دانس بن عوسجة الذي أنشأ قصر أبي دانس Alexcer de Sal على مقربة من قلنتيرة Colenbeira⁽²⁾ في البرتغال الحالية . ويذكر ابن القوطية أن وليس بربر ناحية مورور أثناء دخول عبد الرحمن بن معاوية كان إبراهيم بن شجرة⁽³⁾ ، وهو من الصاعدة . ويذكر ابن القوطية أيضاً أن جماعة من المهوريين نزلت خلال عصر الولاة على مقربة من جهات ، والمهوريون مختلف في نسبهم ، فهم من البتر حيناً ومن البرانس حيناً ، كما يختلف العرب في نسبة لقضاة⁽⁴⁾ .

وقد ذهب سيزار دويلر في بحث قيم عن « منازل البربر في الأندلس » يبحث عن أسماء المواضيع الإسبانية التي يمكن ردها إلى أصل بربري ، واستخرج من هذه الأسماء أن البربر لا بد أن يكونوا قد سكنوها وأعطوها أسماءهم . واستطاع بذلك اكتشاف الكثير من منازل البربر مما لم يسجله المؤرخون ، ولا تستطيع القطع بأن هذه المنازل ترجع إلى عصر الولاة ، لأن نياز البربر لم يتقطع عن الأندلس طوال العصور الإسلامية ، ولكننا نستطيع القول بأن المواضيع التي ذكرها دويلر في أقصى الشرق أو في الشمال أو قاصبة المغرب يمكن اعتبارها منازل قديمة ترجع إلى عصر الفتح الأول ، لأن البربر الذين تزلوا الأندلس ابتداء من عصر الناصر كانوا يستقرون في الجنوب والوسط والشرق ، دون أن يستقروا في أماكن متطرفة كانت في ذلك الحين ميدان حرب . واعتقاداً على ذلك يمكن القول بأن مواضيع مثل التالية يمكن اعتبارها من منازل البربر الأول في الأندلس :

Villa Nova de Ourem في البرتغال الحالية نسبة إلى بربر وهران .

(1) فتح الأندلس ، ص ٥٣ .

(2) ابن حزم : المسيرة ، ص ٤٦٥ .

(3) ابن القوطية : الفتح الأندلس ، ص ٥٣ .

(4) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

- Tunis في البرتغال الحالية نسبة إلى بربر تونس .
- Akquerubim في البرتغال الحالية نسبة إلى بربر القيروان .
- Arzila في البرتغال الحالية نسبة إلى بربر أوزيلا ، وهي أصيلا .
- Adzenata في الشرق على مقربة من قسطنطين Castellon نسبة إلى زناتة Sanet أو قرب لاردة نسبة إلى زناتة .
- Berisanet قرب طركونة نسبة إلى زناتة .
- Butsenit قرب لاردة نسبة إلى زناتة .
- Barasal قرب جواردا في البرتغال نسبة إلى بني برزال (زناتة) .
- Mequinenza في الثغر الأعلى عند ملتقى الأبرة بتهيرة الأشطر (Segre) نسبة إلى مكناسة .
- Ceneja قرب قسطنطين نسبة إلى صنهاجة .
- Cenja ضاحية من ضواحي سرقطة نسبة إلى صنهاجة .
- Azinhaga في البرتغال نسبة إلى صنهاجة .
- Cotanes قرب بلد الوليد نسبة إلى كتامة .
- Cotaniillos حي من أحياء شقوية نسبة إلى كتامة .
- Cotimos و Alcouthim في البرتغال نسبة إلى كتامة .
- Benigomar بناحية أنكا نسبة إلى غمارة .
- Gomara بناحية صورية Soria نسبة إلى غمارة .
- Gomeriz و Gomers في جلوية نسبة إلى غمارة .
- Albornos بناحية أهلة نسبة إلى البرانس .

وغير ذلك كثير^(١) .

وقد ذكرنا هذه المواضع على سبيل المثال لا على سبيل المحصر نستنتج أن البربر انتشروا منذ العصر الأول في نواحي شبه الجزيرة كلها . وقد اكتفينا بذكر المواضع المتطرفة في أقصى الشمال الشرقي والشمال والغرب وتركنا غير ذلك من مواضع الوسط والجنوب والجنوب الشرقي والجنوب الغربي ، إذ لا تكاد تخطر ناحية من هذه النواحي أو مدينة من مدنها من منازل بربرية . ثم إننا - كما قلنا - لا نستطيع القطع بأن البربر نزلوا مواضع الجنوب والوسط والجنوب الشرقي والجنوب الغربي من أول الأمر^(٢) .

بيد أننا نستطيع القول بأن المواضع التي قامت فيها إمارات بربرية فيما بعد أو التي ولي عليها أمراء بني أمية وخلفاؤهم ولاة من البربر كانت منازل بربرية من قديم الزمان ، لأن الأمراء لا يولون أميراً بربرياً على ناحية معظم سكانها عرب أو من أهل البلاد . ومن غير الممكن كذلك أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لا يقبل على سكانها العنصر البربري ، لأن حكم هذه النواحي كان لا يقوم إلا على عزوة وعصب متأصلين .

(١) انظر :

CÉSAR E. DUBLER : *Ueber Bemerkenswertheiten auf der Oberen Halbinsel Romanas Hei-* وهو عده من *SACHE und ORT, FESTSCHRIFT Jacob Lud* في *J Ober-Aus* *veritas* Band 20, pp. 183 - 203. Zürich, Gerl. 1942

في مجلة الأندلس . العدد الأول سنة ١٩٤٢ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٧ .

(٢) وبما ذلك ما يذكره صاحب الأبحار المجموعة حيث يقول في كتابه عن الصراع بين العرب والبربر في الأندلس : « وكانت قد رآست البربر على أنفسهم ابن [يمانى الأصل] وحفظوا من جليلة وأسبورة وماردة ولوربة وطليرة ، فقلعوا في ثوبه لا يصبه عده حتى اعتادوا نواباً يقال له لامة » (ص ٤٠) وهي عبارة تدل على أن جامعات البربر في النواحي التي ذكرها كانت كثيرة قبل هذه الفترة حتى استطاعوا أن يمشدوا منها العناداً لا لخص . وقد هجر الكثير من أولئك البربر مواضعهم بعد ذلك على ما فصلناه ، ولكن بقيت منهم في كل من هذه النواحي جامعات قليلة . أما في نواحي طليطرة وماردة ولوربة عند تلكت جامعات كثيرة منها على طول العصور الإسلامية .

وعلى هذا الأسس نستطيع أن نفسر البيانات التي يقدمها ابن حزم في كلامه على « بيوتات البربر في الأندلس » في جمهرة نسب العرب عن أصول البربر وعنازلهم ، مثل قوله :

أمرء الثغر^(١) :

	من مديونة	بنو هذيل
من ناحية صَدْبِيَّة	من سُرْبَة	بنو عيادوس
	من ثيروال	بنو غزلون
من ناحية شاطبة	من الخاصة من نغزة	بنو عميرة
السهلة	من مديونة	بنو زوين
ويطة	من هوارة	بنو فزي النون
ملوذة ومذلين	من هوارة	بنو قرفون
شلونة		بنو تيه وبنو الأخطل
ولاي الحجارة	من مصمودة	بنو القرج
قصر مضي	من مصمودة	بنو مضي
	من مصمودة	بنو روسين
اللتانية	من مغيلة	بنو زروال
شلونة	من مغيلة	بنو الياس
شسترية	من زنتاة	بنو عزون

فهؤلاء جميعاً كانوا أمرء على نواحيهم مما يدل على كثرة بربرية فيها ، ثم إن وصفه لهم بأنهم « أمرء الثغر » يدل على أن معظم أمرء الثغر كانوا من البربر ، أي أن معظم النواحي الشمالية كانت منازل للبربر . وعندما نذكر ما قلناه عن مونتسة الذي كان وادي الثغر كله من حدود ألبرت إلى المحيط ، نتأكد لدينا هذه الحقيقة . أضف إلى ذلك أن مجموعة منازل البربر التي ذكرها ابن حزم تكون خطأ واحداً يبدأ من نواحي جبال ألبرت عند لارفة ويوشقة ثم يتحدى إلى ناحية مدينة سالم (قاعدية الثغر الأوسط ليبيا بعد) فقد نزحها بنو سالم من

(١) يلاحظ أن الكثير من القوامع التي سجلتها ليس من الثغر

البرانس وأعطوها اسمهم ، وسكن إلى جوارهم بنو الفرج وبنو عوسجة . ولي الدائرة الواسعة التي تحيط بمدينة سالم والتي تضم شتيرة والسهلة ووادي الحجرلة نجد كتلة بربرية ضخمة تسمى هذه النواحي كلها إلى أحواز طليطلة ، وهذه الكتلة تتكون من بني الفرج وبني سالم وبني عوسجة وبني صبرون بن شيب وآل وهب بن عامر المواريين ، وكل هؤلاء من البرانس ، ثم بني عزون وبني بلال وبني نعمان وكلهم من البر . ولقد هذه الكتلة البربرية شرقاً لتشمل تيروك حيث نزل بنو غزلون وناحية البوت حيث نزل بنو قاسم ، ثم تحصل هذه السلسلة البربرية ، بناء على البيانات التي يقدمها صاحب الأخبار المجموعة ، فتشمل مناطق طليطلة (جنوبي طليطلة) وماردة ولقورية بين الناحية والدويرة ثم تصل إلى ساحل المحيط عند قلشيرة حيث نجد فرعاً من بني عوسجة وبني دانس عند قصر أبي دانس . ويذكر ابن حزم فرعاً من بني الفرج استقروا في طرسونة أي فيما يلي جبال البرت من نواحي غانة ، وهذه الجماعة إن هي إلا بقية من البربر الذين كانوا يعمرن النواحي القصية من الأندلس والذين كانوا يمدون بحذاء خليج بسكاية ويعمرن حوض نهر اللثو ويوسفولون في جليقية ، وقد اكتشف سيزار دوبلر - كما رأينا - مواضع ذات أسماء بربرية كثيرة في هذه النواحي القصية .

وقد رأينا في كلامنا عن البربر والعرب كيف اتسحب معظم البربر الذين كانوا يعمرن ما وراء الدروب ، أي شمالي نهر الدويرة إلى الجنوب وهناك بعضهم إلى إفريقية ، ورأينا كيف أن جموعهم أزعجت العرب واضطر عبد الملك ابن قطن إلى السماح بجنود بلج بدخول الأندلس لينقلوا من فيه من العرب ، ولولا أن أعداد أولئك البربر كانت كثيرة جداً لما أزعجت العرب أن هذا الحد . ومعنى هذا أن ما يلي نهر دويرة شمالاً والحوض الأعلى لنهر إبرة ثم ما بين نهر الدويرة وناحية ، هذه النواحي القصية كلها كانت عامرة بالبربر وكانت هذا دار اسلام في ذلك الوقت المبكر ولم يخرجها من بلاد الإسلام وبجعلها بلاداً نصرانية أو بلاداً غلاء مفتوحة للاعتداد النصراني من الشمال ، إلا هذه الفتنة العمياء التي وقعت بين شعبي الإسلام الكبيرين اللذين فتحنا هذا البلد وأدخلناه في

نطلق الدولة الإسلامية الواسعة^(١) .

والأداة كثيرة على أن البربر الذين دخلوا الجزيرة أول الأمر اختلطوا بعرب الطائفة الأولى السعينة بالبلديين وأصبحوا معهم حزباً واحداً لا فرق فيه بين عربي أو بربري ، بل كان الجاثمان إلياً واحداً على الشاميين أو عرب الطائفة الثانية . قال ابن الفوطي في « افتتاح الأندلس » : « وتولى أمر قرطبة والشاميين والأمويين ثعلبة بن سلامة العمالي ، وانصرف عبد الرحمن بن حلقمة إلى الشمر ، وبقي عرب الأندلس وبربرها يحاربون الأمويين والشاميين ويتعصبون لعبد الملك ابن قطن الفهري ويقولون لأهل الشام : بلدنا يضيق بنا فخرجوا عنا »^(٢) . وقال في خبر ولاية أبي الخطار : « فلما أشرف من فيج الفائدة والحرب قائمة بين الشاميين والأمويين وبين البلديين والبربر ونظر القريظان إلى اللواء حلوا الحرب . . »^(٣) . وقال بعد ذلك : « فقال أهل البلد والبربر : سمعنا وأطعنا ، ولكن لا عمل لنا هؤلاء الشاميين فخرجوا عنا »^(٤) . وقال بعد خبر تفريق الشاميين في الكورد : « وبقي البلديون والبربر على غنائمهم لم يتفصم شيء »^(٥) . وقد ظل هذا الحلف بين البلديين والبربر قائماً حتى نهاية عصر الولاة ، بل إن « الموالي » أنفسهم - وبتحدث عنهم - كانوا يتقسمون قسمين : البلديين والبربر في ناحية والشاميين في ناحية أخرى ، وكانت الصدارة بين الموالي للشاميين منهم .

ويؤيد صاحب الأخبار المجموعة ما قلناه عن اتحاد العرب البلديين مع البربر بقوله في سياق الحديث عن الصراع بين بلج وأصحابه والعرب البلديين : « فبيته محصوراً قد نزل أهل البلد من البربر والعرب وجلبهم البربر على عارضة إذ

(١) هذه البيانات مستقاة من « جبهة » ابن حزم ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ . ومقالة « الأخبار المجموعة » التي أنشأها إليها وأرسلها في ص ٤٠ وقد أوردناها بعضها فيما سبق .

(٢) ابن الفوطي : افتتاح ، ص ٦٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٩ .

(٤) نفس المصدر والمصنف .

(٥) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

حضرهم عيد فطر أو أضحى .. (١١) ثم يقول بعد ذلك : « فجميع له أهل البلاد - العرب والبربر - جمعاً » (١٢) .

١١٦ - هل
الخص
العرب أنفسهم
ياحسن نواحي
الأنلس ؟

وقد كثر كلام المؤرخين في أن العرب اختصوا أنفسهم بأحسن نواحي الأنلس ، فلم يشركوا للبربر إلا النواحي الجبلية أو الفاحلة أو القصية في الشمال ، وأن ذلك كان من أكبر أسباب الثورة البربرية . ولكننا رأينا في كلامنا على هذه الثورة أن الذي أغضب البربر لم يكن احتجان العرب لأحسن النواحي ، وإنما لسوء سياسة العرب جملة ، فقد تقاضم العرب فيما بين بعضهم وبعض بسبب سوء هذه السياسة لا بسبب انفراد فريق منهم دون آخر بطيرات البلاد . ذلك أن شبه الجزيرة الإيبيرية فسيح يتسع لأضعاف من نزل هناك من العرب والبربر معاً . ثم إن العرب لم يتنازروا مواضعهم ، ولكنهم استفروا حيث شاخت لهم القنادير على طول خطوط الفتح ، أي في النواحي التي عرفوها لأول دخولهم البلاد . وقد فرق أبو الخطار عدداً عظيماً من الشأميين في الكور ، التي عرفت فيما بعد بالكور المجننة ، واختار لهم هذه الكور بنفسه ، أي أن الفئان نزلوا لم يتنازروها هم بأنفسهم ، أي أن العرب لم يكونوا يتغيرون بل كان استقرارهم في الغالب نتيجة مصادفات ، فقد رأينا مثلاً كثرة العرب وتزاحمهم في منطقتي جيان ، والسبب في ذلك واضح يسره قول ابن الخطيب في كلامه عن فتح جيان والبرية ومالقة أن طارقاً « سار في معظم الناس إلى كورة جيان يريد طليطلة » (١٣) . فلو لم يكن « معظم الناس » قد مروا بهذه الناحية لما كثر العرب فيها ، ولو أن العرب مروا أول الأمر بناحية فطلونية ورأوا خصب أراضيها

(١) الأبحار الجبرقة ، ص ٤٤ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة (طبعة محمد عبد الله حبان ، القاهرة ١٩٥٥) ، ج ١ ، ص ١٠٧ .
وقد نسب ابن الخطيب فتح هذه الناحية أول الأمر إلى طارق ثم عد تصحيح ذلك في نفس المصلحة فقال إن هناك من يقول إن ذلك الفتح تم في أيام موسى بن نصير سنة ٩٢ على يد ابنه عبد العزيز بن موسى كندة ولايته على ما قلناه .

لتزاموا فيها ، ولكن لم يعرفها منهم إلا القليل في زمن متأخر فظلت شبه خلاء
منهم ، لم يسكنها إلا جماعة من تريب ، وقد أشرنا إلى ذلك .

ولدينا دليل واضح على أن العرب الأول لم يختصوا أنفسهم دون البربر
باحسن الأرضين ، وهو أن عرب الظلعة الأولى ، طاعة موسى ، كانوا دائماً
أحلاماً للبربر على الشأميين لأنهم تقاسموا معهم ما نزلوا به من البلاد ، وساءهم
جميعاً - عرباً وبربراً - أن يعاول الشأميون مشاركتهم في هذه الأراضي فنضروا
بدافعونهم عنها ، واشتدت الحصومة بين الجانبين .

وحقيقة الأمر أن المسلمين الأول دخلوا البلاد ، عرباً وبربراً ،
استقروا حيث نزلوا أو ساروا ، ولجأ كل فريق منهم إلى ما يناسب مزاجه من
النواحي : فالعرب فكانوا يفضلون دائماً البساط والتخضضات والنواحي
الداخلة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وخاصة سرقسطة ، وأما البربر
فكانوا في بلادهم يعيشون في بلاد جبلية عالية ، فالتفوا مثل هذه البلاد في
الأندلس ، فاستقروا فيها باختيارهم . ففي الجنوب مثلاً استقر العرب في شلونة
واستجة ، واختار البربر منطقة رندة الجبلية فسكنوها ، وسميت تاركوتا باسم
بعض قبائلهم ، وأحسبتهم نواحي قبرة وموروز وأشونة فنزلوها واحتفظوا مع
العرب في بقية نواحي الجنوب . ثم إن جماعات من البربر أحسب الانتفراء بنواح
يكونون فيها مستقلين ، على مثل أحوالهم في بلادهم الأول في إفريقيا ،
فاستقروا فيما بين نهرى دويرة وناجة ، وهي نواحي هضاب مرتفعة تناسبهم من
كل وجه .

استقر البربر إذاً إلى جانب العرب في بعض النواحي ،
١٧٧ - يقول البربر
ومفردين بأنفسهم في نواح أخرى ، واحتفظوا في كل ناحية
البلدين
والأهلين ولربطوا معهم بروابط الزواج وتحولوا مع الزمن إلى
« بلديين » أي أندلسيين . وقد كان هؤلاء البربر أثر عظيم جداً
في انتشار الإسلام في الأندلس ، فإن البربري قريب جداً من حيث المزاج
والطبع - والأصل أيضاً - من أهل البلاد الأصليين ، وخاصة أولئك الذين كانوا
يعسرون الأرياف منهم ، فامتزجوا بهم دون تكلف . ثم إن البربر لم يعرفوا

عصية الجنس التي أقدمت على العرب الكثير من أمورهم ، وكانوا شديدي
 الحماس للإسلام ، فقد كان الإسلام بالنسبة إليهم رمز سيادة ، فأنظروا العصية
 له ، واجتهدوا في نشره ، وأعانهم على ذلك أنهم بطبيعتهم جنس متدين شديد
 التعلق بعقيدته ، فلا غرابة والحالة هذه أن تكون هذه الجماعات البربرية التي
 أثبتت في نواحي البلاد من أكبر العوامل في تحول أهلها إلى الإسلام . ولو درسنا
 طبيعة الإسلام الأندلسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري على الأقل ، لنبتنا أنها
 تشبه طبيعة الإسلام المغربي عامة من حيث التمسك الحرفي بأهداب العقيدة
 والشرام مذهب واحد والتعصب له ، والحرص على تجميل رجال الدين ،
 والتصوفين منهم بصفة خاصة ، والميل إلى تقديس الأولياء وحب الجهاد في سبيل
 الدين وما إلى ذلك . وقد أشار لفي بروفانسال إلى غلبة الطابع البربري على
 الأندلس بقوله : « وفي هذا الصدد ، ربما كان « الطابع البربري » أظهر وأوضح
 اليوم في إسبانيا وجنوبي البرتغال من « الطابع العربي » بالمعنى الدقيق هذا
 اللفظ ، وذلك في كثير من ظواهر الحياة الريفية ، والنشاط الزراعي »^(١) .

١٦٨ - علة وكان معظم من أجهل إلى الأندلس خلال هذه الفترة الأولى من
 الزناتين على الزناتيين ، وكان زعمائهم كذلك زناتيين ، فقد كان أبو زرعمة
 السمر الأول طريف وطارق بن زياد زناتيين وكان زعيم البربر في سوادهم
 في الأندلس الكبرى التي أشرفنا إليها زناتياً ، وكان بنو الخليل وبنو وانسوس
 الذين أمهاتوا عبد الرحمن الداخل على إقامة إمارته زناتيين ، وقد رأينا أن معظم
 أسماء الأماكن البربرية في نواحي أشتريس وجعليقية زناتية . ثم إن السمر (ومنهم
 زناتة) كانوا أول أهل الفريفة إسلاماً ، وقد انضم جماعات منهم إلى المسلمين
 منذ أيام عقبة بن نافع وأسلمت واشتركت في فتح المغربين الأوسط والأقصى ،
 وكان ولاية إفريقية يتخلدون منهم حرسهم وعامة جندهم^(٢) . وكان منهم زعماء

(١) LEVI - PROVENÇAL, *Hist. de l'Espagne Musulmane* 2e. éd. Paris, 1950 Vol (١)
 p. 88.

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٦١٤ .

الثورة في إفريقيا ، مثل مسيرة المطغري وعلاء بن حيد الزناتي . وذلك كله يزيد غلبة العنصر الزناتي على من دخل الأندلس من البربر خلال هذه الفترة الأولى .

ومن المعروف أن الزناتيين كانوا أقرب إلى العرب وأشبه بهم من الصابجين ، فقد كانوا يدبراً مثلهم ، ثم إنهم كانوا على الوثنية حتى دخول المسلمون البلاد ، ففتح علم الدين الجديد أبواب التنضير والانتظام فساروا جنباً إلى جنب مع العرب الأول ، وخاصة البلديين منهم .

وكان هؤلاء البربر في مجموعهم أبسط طبعاً وأكثر سذاجة من العرب ، وأقرب إلى تلوذق بساطة الإسلام من كثيرين من العرب الذين أقبلوا إلى الأندلس بعد تغلب طويل في الفتن في المشرق ، ولهذا كان أولئك البربر بصرون على التمسك بمبادئ العقيدة ، وكانوا يجاجون العرب ويتفنون تصرفاتهم معهم مستندين إلى أصول الشريعة ، كما كان يلقبها لهم دعوات إسلاميون انبشوا بين صفوفهم . ولهذا أيضاً سهل اجتذاب الكثيرين من أولئك البربر إلى مبادئ الحجازية ، الأماضية والصفورية بصفة خاصة ، لأن دعواتها بين البربر كانوا كثيرين ولأن ظاهر هذه المبادئ ، كما كان أولئك الدعاة يشرحونها ، أقرب إلى مبادئ الإسلام الصحيح .

١٦٩ - البربر وإلى هذه الجماعات البربرية يرجع جانب كبير من دافع العرب والفتح في حالة ، كانت جماعات البربر تجوز في حالة إلى الأندلس وقتلها معلقة بالفتح والجهاد وما يتعلق بها من مظالم وأسلاب ومكاسب ، وكانوا يتجمعون في الأندلس فلا يستطيع العمال تركهم دون عمل يسكعون في العاصمة وحوفاً ، فكانوا ينهضون معهم للغزو . ولا شك أن حملات واسعة المدى ، كذلك التي قام بها السمع بن مالك أو عتبة بن سحيم ، ما كانت تتم لولا وجود هذه الجماعات البربرية المتوفرة المتعطشة للفتح ومغانم . وكلما زاد نشاط الفتح زاد هؤلاء البربر ضراوة على الحرب وطعماً في الغنائم ، وربما امتدح طمع بعضهم في الأسلاب فكان ذلك من أسباب فشل بعض الحملات .

كان في هؤلاء البربر إذاً قوة تدفعهم إلى الاسترسال في الفتح ، كما كانت شعوب التبريرين بدفع بعضها بعضاً نحو أراضي الفتوة الرومانية .

هكذا يمكننا تحليل جانب من هذا النشاط الحربي العظيم الذي أبداه المسلمون في فتح الأندلس وغالبه .

ومن العسير جداً أن نقدر أعداد العرب والبربر الذين اشتركوا في هذه الأعمال الحربية ، لأن أعداد من اشترك منهم في الجيوش الرسمية - وهي الأعداد التي رواها المؤرخون - لا تكون إلا نسبة ضئيلة من العرب والبربر الذين هاجروا إلى الأندلس على هيئة تيار متصل : فقد كانت الاضطرابات السياسية في الشرق ، وميل خلفاء بني أمية إلى القيسية حياً وإلى البينية حيناً ، سبباً في هجرة جماعات من العرب معظمهم من اليمنيين والمدنيين إلى الولايات وخاصة المغرب والأندلس ، وقد استقر نضر قليل من هؤلاء العرب في إفريقية واستمر الأكترون في طرقتهم حتى حطوا رحالهم بالأندلس ، أما البربر فكان تيارهم أقوى وأعدادهم أكبر ، ولا يمكننا تصور تحول بلد كأندلس إلى الإسلام هذا التحول السريع إلا بافتراض أن أعداد المهاجرين المسلمين كانت كبيرة فعلاً^(١) .

ومن الطريف أن نلاحظ أن البربر - على حداثة عهدهم بالإسلام - كانوا أكثر تمسكاً بالإسلام وحامساً للفتح من العرب ، لأن الإسلام كان وسيلتهم الأولى في التبرير بأنفسهم والاحتفاظ بحقوقهم كأنداد للعرب وسادة في البلاد المفتوحة وأصحاب حق في الغنائم والأرضين ، ولهذا نراهم يمتنعون دائماً على العرب ويهتمونهم بمخالفة الدين ويطالبونهم بتنفيذ أشرافه . وكانوا إذا استقروا في الأرياف متمسكوا بالإسلام حتى يميزوا أنفسهم عن أهل البلاد ، ولهذا لا

(١) ويؤيد ذلك بوضوح قول الرازي : « إن الذي أزعج موسى من الأندلس أبو نصر رسول الوليد ، قدس على حاله وثقل ثقلاً ، وقيل معه من ذهب إلى الشرق ، وكان أكثر الناس قتلوا ببلاد الأندلس لطبيعتها فقاموا فيها ، مما يدل على أن عدداً قليلاً جداً من ورد البلاد من المسلمين المسلمين قد غلبوها وحده إلى إفريقية أو إلى الشرق . وسلاطنته أن معظم من ينقل إلى الأندلس يستقر فيه ولا يعود ببلاده أبداً (القرني : فتح الطب ، ج ١ ، ص ١٧٧) .

بالح إذا قلنا أن جانباً عظيماً من الفضل في إسلام أهل الأندلس يرجع إلى هؤلاء البربر الذين آمنوا بالدين الجديد في سذاجة وقوة ، واحتفظوا بهذا الإيمان لأنه يكسبهم حقولاً معنوية ومادية لا يملفونها بدونه .

وقد أساء العرب معاملة هؤلاء البربر من أول الأمر كما رأينا ، فلما في نفوسهم شعور من الخوف من العرب ، حتى إذا قامت الثورة البربرية في إفريقيا وانتقلت إلى الأندلس وقعت القطيعة بين الحزبين وصار الأمر بينهما إلى عدااء صافر خطر . وقد انتهى الدور الأول من الصراع بانتصار العرب ، فهاجروا من البربر من هاجر ، وأقام على خوف من أقام ، حتى بدأت بشائر الدولة الأموية فالتصموا إلى عبد الرحمن ، وهم لا يكادون يفقهون في حسن نوابه ، وكان لا بد له من أن يخوض صراعاً طويلاً معهم - كما فعل مع غيرهم - حتى يخضعهم للدولة الجديدة ، وانتهى الأمر بهم إلى الطاعة والاستقرار .

١٧٠ - البربر
والعرب
البلديون

ولا نزاع في أن البربر انضموا إلى البلديين وكونوا حزباً واحداً منذ بدء الصراع بين هؤلاء وبين الشاميين كما قلنا ، ولكن انضمامهم هذا لم يكن خالصاً ولا صادقاً ، لأنهم عرفوا من ويلات البلديين إلى ذلك الحين ما نفرهم من العرب جملة ، ولصاحب الأخبار المجموعة عبارة عظيمة الدلالة ذكرها أثناء روايته للنزاع بين بلج بن بشر والبلديين ، قال : « فلما بلغ ابنه (ابنه عبد الملك بن قطن وهما أمية وقطن) ما كان ، حشداً من أقصى أربونة ، ورجعوا أهل البلد والبربر وسبيلهم تقطر من دماء البربر ، فرضيت البربر أن تنال ثأرها من أهل الشام ، فلما فرغوا كان لهم في أهل البلد رأي ^(١) بما يدل على ما كان يجاور تقوس البربر جميعاً تحو العرب - بلديين وشاميين - من الكراهية والخوف .

وقد أشرنا إلى ما علقه القيسيون من الاحتقاد في قلوب البربر بسبب أفعالهم فيهم عندما تزكوا البلاد بقيادة بلج ، ورأينا أن البلديين انضموا إلى الشاميين أثناء هذه الحقبة ، فلما انتهت بالقضاء على البربر وتثبيتهم في كل ناحية

(١) الأخبار المجموعة ، ص ٤١ - ٤٢ .

زاد تقوى من بقي منهم ، وأخذوا ينظرون إلى العرب نظرهم إلى عدو ، فكانوا لا يسيرون معهم إلا على خوف ، ومن دلائل ذلك ما يرويه ابن الفوطي في أخبار عبد الرحمن بن معاوية الداخل وإنشائه توكته ، قال : « فلما كان بالعشي ركب مع ثقات من مواليه ورجاله ونفر من العسكر ، فسمع البربر يتكلمون في العسكر بالبربرية ، فدعا بمواليه من البربر مثل بني الخليلع وبني وانوس وغيرهم وقال لهم : مخاطبوا بني عسكم ومظومهم وأعلموهم أنه إن تغلب العرب وقطموا دولتنا فلا يفسد لهم معهم ، فلما أظلم الليل دنوا من العسكر ، ومخاطبوهم بالبربرية فأجابوهم إلى ما أحيوه ووعدهم ، إلى أن انحرفوا عن عسكهم ، فأصبح لهم (كذا) قالوا للعرب : إنا لا نحسن الحرب إلا نوساً فأهلوا من بقي منا على الخليل ، فأرجلوا العرب وأهلوا البربر على خيلهم . ودخلوا رجالة فخرقوا إلى عبد الرحمن ، ووقعت الموقعة على عبد القهار^(١٦) مما يدل على أن بعض البربر الذين كانوا في صفوف عبد الرحمن كانوا متخوفين مترددين يفكرون في الانقلاب عليه ، وأنه استعان على كسبهم بتخويفهم مما سيصيبهم على أيدي العرب إذا هو الهزم ، وكان هذا التخويف كافياً لتغيير رأيهم فأخلصوا في القتال في صفوفه وتصروه .

١٧١ . جماعات وينبغي أن نذكر أنه كانت هناك إلى جانب البربر الذين هاجروا السودان إلى الأندلس واشتركوا في الفتح جماعات من السودان أو في الأندلس السود ، فقد قال صاحب « فتح الأندلس » مثلاً في كلامه عن غزوات موسى : « ولقد السودان بين يديه للفتح والغارات^(١٧) ، ويبدو أن أعدادهم كانت قليلة ، ولهذا كان أثرهم قليلاً . والغالب أهم ظفوا مجرد جنود يماريون إلى جانب هؤلاء وأولئك ، ثم اندرجوا في جيوش الدولة الأموية بعد ذلك ولم نعد نسمع عنهم .

(١٦) ابن القزطبي : الفتح ، ص ٣٦ .

(١٧) فتح الأندلس ، ص ٥ .

تأثرت جماعات البربر المستقرة في الأندلس بالبيئة الجديدة تأثراً عظيمياً ، فكان الجيل الأول منهم لا يكاد يفهم حتى يتطلع للجيل الجديد أندلسياً قد أنسى أصله واتخذ الأندلس وطناً ، ولما من الناحية العقلية الضوية فكأنوا يجتهدون في التعرب : يتعلمون العربية ويتقبل من له ميل منهم على دراسة الإسلام والتفقه فيه ، وأما من الناحية المعاشية فتجد البربر قد ارتبطوا بمن يجاورونهم من أهل البلاد بالصهر والغربة ، وأخذوا عن أمهاتهم الإسبانيات لغتهم في الحديث ، أي أن شأن أولئك البربر كان شأن غيرهم من مهاجرة العرب ، طوبهم البيشة الأندلسية الغلابة في ثيابها ، فأصبحوا أندلسيين ، ومنهم من اتخذ لنفسه اسماً عربياً زيادة في التعرب ، ومن هنا كانت أسماء جماعاتهم ذات الأسماء العربية التي ذكرنا بعضها . ومن الواضح أن البربر كانوا أسرع اندماجاً من العرب في البيشة الجديدة ، فقد حالت بين العرب وبين الاندماج السريع الكامل عصبيتهم ولغتهم العربية ، أما البربر فلم يكن هناك ما يحول بينهم وبين الاندماج ، لا عصبية ولا لغة مكتوبة . ثم عمل الإسلام عمله فيهم ، فاستنظموا وتحضرُوا ، وأصبحت لغاتهم مع الزمن في جملة العرب الأندلسيين . وقد كان هؤلاء الأندلسيين الذين رجعوا إلى أصل بربري أعظم الأثر في بناء الأندلس الإسلامي من كل ناحية .

وقد أشار ليني بروكسفال إلى أن الزواج بينهم وبين العرب كان قليلاً أو معدوماً ، وليس لدينا ما يؤيد ذلك ، لأن العرب مهياً قبل في احتزازهم في أنفسهم لم يكونوا يعتبرون أنفسهم جنساً متميزاً بدمه عن غيرهم ، كما كان الحال مع الرومان أو الفوط ، بل كانوا من أكثر الشعوب امتزاجاً بغيرهم . وللإسلام في ذلك أثر واضح .

جـ - القوالي

ولا يكتمل الكلام على العرب والبربر بدون الإشارة إلى القوالي ، فقد كانوا خلال هذه الفترة كلها عاملين من أكبر العوامل في توجيه تيار التحولات ، ثم

كانت لهم بعد ذلك اليد الطولى في إقامة دولة عبد الرحمن الداخل .

١٧٢ - سولي - نجد الموالي - مذكورين باسم « موالي بني أمية » - لأول مرة في
سلي أمية حديث ابن القوطية عن بلج بن بشر وفراره إلى ناحية طنجة
بين نجا من العرب من « معركة الأشراف » ، وذلك حيث
يقول : « وانخل بلج بن بشر في عشرة آلاف حتى نزل بمدينة طنجة : منهم
ألفا مول وثمانية آلاف عربي »^(١) . ولنا نجد هؤلاء الموالي قبل ذلك ذكراً
ككتلة « متماسكة » ، وإنما تجد أفراداً منهم مذكورين هنا وهناك كما يسمح لنا
بالقول بأن قيام « موالي بني أمية » كحزب أو كتفوة سياسية في الأندلس يرجع إلى
تاريخ بلج بن بشر الأندلسي ، وقد انضم إليهم بعد ذلك من كان في الأندلس
من موالي بني أمية ومن دخلها بعدهم ، ثم من دخل في ولاء البيت الأموي
من أهل البلاد .

١٧٤ - تكوير - ولا يتضح من إشارة ابن القوطية هذه ما إذا كان أولئك الموالي
كنة الموالي من موالي بني أمية في المشرق أو من دخل في ولايتهم من أهل
في الأندلس المغرب ، ولكن ما لدينا من أخبارهم بعد ذلك يدل على أن
عدداً قليلاً منهم كان من موالي المشرق وأن أكثرهم كانوا من أهل المغرب الذين
دخلوا في ولاء بني أمية أو عمالهم . ومن الجدير بالملاحظة أننا نجد فيهم قبيلتين
بربريتين كاملتين ، هما بنو الخليل وبنو واتسوس^(٢) .

ولا نزاع في أن إفريقية كانت تضم عدداً عالياً من موالي البيت الأموي
الذين كان الخلفاء يعثونهم مع الجيوش ، فحينما خرج كلثوم بن عيسى من

(١) وهؤلاء الموالي جزء من عدد عظيم من الموالي كان هشام بن عبد الملك قد بعث بهم إلى إفريقية .
وقال ابن القوطية : « خدم كلثوم [بن عيسى] إفريقية ومعه ثلاثون ألفاً من موالي [بني أمية
وعشرون ألفاً من بيوتات العرب » ، وقد انضم هذا الجيش أمام البربر في صوفاة بشدورة (أو
لقنورة) ولم ينج من الجيش العربي إلا بلج وأصحابه ، ثم « انخل بلج بن بشر في عشرة آلاف
حتى نزل مدينة طنجة ، وهي المعروفة بـ« الحصار » ، منهم ألفا مول وثلاثة آلاف عربي » ، ص ١٥ .

(٢) كان بنو واتسوس موالي عبد العزيز بن مروان . (ابن القوطية : اقتراح ، ص ٢٩) .

المشرق لقتال البربر مثلاً كان جيشه يتكون من « عشرة آلاف من بني أمية وعشرين ألفاً من بيوت العرب »^(١) ، والمراد ببني أمية هؤلاء مواليهم من أهل الشام أو العراق وفارس ، ومن البديهي أن الكثيرين من هؤلاء اللواتي المشارقة قد شاركوه في فتح الأندلس واستقروا فيه ، وتكونت منهم ، ومن انضم إليهم من دخل في ولاء بني أمية من أهل المغرب والأندلس ، هذه العصبة القوية التي سيكون لها أعظم الأثر في مجرى الحوادث فيما بعد . ولقد دخل في ولاء بني أمية تضر كبير من أهل المغرب ودخل في ولاء عمالهم ، وبخاصة موسى بن نصير ، عدد عظيم كذلك ، وقد ارتبط هؤلاء جميعاً برابطة الولاة نحو البيت الأموي حتى البربر الذين دخلوا في ولاء بني أمية كانوا أقرب إلى منحوتهم في الولاة منهم إلى بني عمومهم من البربر ، مما يدل على أنهم كانوا يحشرون رابطة الولاة الجديدة أقوى من رابطة العصبة الأولى^(٢) .

ويبدو أن التفرقة بين اللواتي وغيرهم كانت واضحة في ذلك العصر ، وأن اللواتي كانوا معتبرين في مركز اجتماعي ومعنوي لا يقل عن العرب ، بل إننا نلاحظ أن العرب كانوا يميلون إلى أن يعتبروا أنفسهم موالي ، فقد ذكر ابن القوطية في أخبار أرطاباس أنه « دخل عليه عشرة من الشأميين فيهم أبو عثمان وعبد الله بن خالد وأبو عبدة ويوسف بن بخت والصفيل بن حاتم ، فجلسوا وجلسوا على الكرسي المحيطة بكرسيه ، فلما أخذوا مقاعدهم وحس بعضهم بعضاً دخل ميمون العليد ، جد بني حمزم البوابين ، وهو أحد اللواتي الشأميين . . فقال الصفيل : يا أرطاباس ، ما يعجزك من سلطان أبيك إلا تفاد الطية : أدخل عليك ، وأنا سيد العرب بالأندلس ، ويدخل أصحابي هؤلاء معي ، وهم سادات اللواتي بالأندلس ، فلا تزيدنا من الكرامة على النعمة على العبدان . . » (ص ٣٨ - ٣٩) . أي أن الصفيل وصف العشرة الذين كانوا

(١) ابن القوطية - افتتاح الأندلس ، ص ١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

ولقد كان أبو القاسم موالي عبد العزيز بن مروان . نفس المصدر ، ص ٢٤ .

معهم بأنهم من الموالي ، وابن القوطية يقول إنهم كانوا عشرة من الشّاميين فقط ، بما يقفهم منه أن الشّاميين جميعاً كانوا يعتبرون وصفهم بالموالي شرفاً لهم ، ويؤيد ذلك أن الصّحيل قال لهم بعد ذلك : « أنتم ملوك » ولم يكن ليصفهم هذا الوصف لو لم يكونوا من سادات العرب جملة ، لا من الموالي قسب .

وظاهر أن أعداد هؤلاء الموالي زادت في الأندلس زيادة عظيمة ، بدليل أن بلج بن بشر عندما سار للقاء اليمية الذين كان يقودهم عبد الرحمن بن علقمة وأمية وقطن ابن عبد الملك بن قطن عسرج في « عشرة آلاف من الأمويين والشّاميين »^(١) . ثم تزايدت أعدادهم بعد اضطراب الأمر على الأمويين في المشرق ، ومصداق ذلك ما يذكره صاحب الأخبار المجموعة من أن « الطلب حينها اشتد على بني أمية هربوا إلى الأندلس ، وكانوا يسمعون في الرؤية أن مستراحهم بالمغرب ، فترج أكثرهم إلى إفريقية »^(٢) ، ولا بد أن الكثيرين منهم هربوا إلى الأندلس ، وسنرى براهين ذلك فيما يلي من الأحداث .

١٦٥ - الوقت وكان هؤلاء الموالي يعتبرون أنفسهم تابعين للبيت الأموي أو لمن
 السياسي عهد إليه الأمويون بالولاية ، وهم فلما لم ينضموا إلى عبد الملك بن
 العمالي قطن لأنه انتزع الأمر من الوالي الرسمي الذي سلفه وهو حقة بن
 الحجاج ، وحينما أقبل بلج بعهد عماله كلثوم بن عياض عامل هشام انضموا
 إليه ، فلما قتل بلج انضموا إلى خليفته ثعلبة بن ثوبة ، وكانوا فلما يحاربون
 البلديين لأنهم كانوا يعتبرونهم ثلثين على بني أمية ، ومصداق ذلك ما يقوله ابن
 القوطية : « وانصرف عبد الرحمن بن علقمة إلى المغرب ، وبقي حرب الأندلس
 ويربها يحاربون الأمويين والشّاميين ، ويتحصنون لجد الملك بن قطن النهري ،
 ويقولون لعرب الشام : بلدنا يضيق بنا فخرجوا عنا .. »^(٣) .

وبقي هؤلاء الموالي إلى جانب الشّاميين حتى أقبل أبو الحظائر ، ولا نسمع

(١) ابن القوطية : فتوح الأندلس ، ص ٦٥ .

(٢) الأخبار المجموعة ، ص ٥٠ .

(٣) الأخبار المجموعة ، ص ٥٠ .

لم ذكرأ في عهده ، والظاهر أنه فرقهم في السواحي فيمن فرق من الشأميين ، لأننا سنجد جماعات منهم عند حمير ، عبد الرحمن مفرقة في نواحي ربة وشلونة وشاكرنا ، ولكن غالبهم العظمى بقيت في قرطبة وفيها زعماءهم من أمثال يوسف بن بخت وأمية بن يزيد وعلم بن علفمة وأبو قُرَيْبَة .

وحينما انتصر يوسف الفهري على أبي الحنطار وتخلص منه ، بمعاونة الصميل بن حاتم ، اعتبر نفسه الوالي الشرعي وحاول لهذا أن يفسح يده على موالى بني أمية ، فجعل يسميهم « موالينا ويظهر الليل إليهم »^(١) على اعتبار أنه الوالي الشرعي للأندلس والنائب عن خلفاء بني أمية وصاحب حق الولاء على مواليتهم . ولو قد كان يوسف صاحب رأي وسياسة لأفكده منهم ولقوى مركزه بهم في صراعه للقبيل مع عبد الرحمن بن معلوية ، ولكنه كان ضعيف الرأي بعيداً عن السياسة ، وكان أمره كله بيد وزيره الصميل بن حاتم ، فاستطاع هذا أن يكسبهم إليه ، فكانوا إلى جانبته إلى أن ظهر عبد الرحمن الداخل .

ولم يعل أمر موالى بني أمية في فترة كما علا خلال الفترة التي سبقت قدوم عبد الرحمن ، فقد كانوا كتلة طيبة متناصفة من الرجال الأشداء . وقد أبدوا يوسف الفهري والصميل لتعاملها على القحطانية^(٢) ، لأنهم كانوا يكرهون هؤلاء القحطانيين (اليمنين) ورؤساءهم ، فكانوا خير نصير ليوسف والصميل في صراعها مع أبي الصباح وغيره من كبار اليمنين . قال صاحب الأخبار المجموعة : « وكان لبني أمية يومئذ بلاء عظيم معروف وصبر محمود ، فكانوا من يوسف بأشرف المنازل ومن الصميل وجمع ليس ومضر ، فخرجوا مع ليس فيمن قوي من بني أمية »^(٣) .

١٧٦ - للوالي فلما أقبيل بدر مولى عبد الرحمن واتصل بهم بدأ موقفهم من ولهم المفضية يتضرر ، لأن يدرأ عواطفهم بأحب لغة إلى نفوسهم ، الدولة الأموية وأنتهم أن انضمامهم للأمر الجديد إنما هو إنتقال لهم من

(١) ابن القوطية : الفتاح ، ص ٢١ .

(٢) ابن القوطية : الفتاح ، ص ٢١ .

(٣) الأخبار المجموعة ، ص ٦٦ .

فرضي العصبية في الأندلس . والمراجع في خلاف على ما اتفق معهم عليه : هل طلب منهم العمل على « إنجلترا » عبد الرحمن وإيوانه لإنقاذهم من البربر فقط ، أو تحدث إليهم في تحويل السلطان إلى عبد الرحمن وإقامة دولة جديدة . والرأي الثاني أصح ، لأن تطور الحوادث يؤيده ويدل على أنهم كانوا يسمون لتمهيد السلطان لعبد الرحمن لا مجرد إيوانه وتأييده .

ولم يخف ذلك هل الصميل ، رغم محاولة موالى بني أمية خذاعه ، وكان الرجل رغم إسلامه في الشراب وتشعث ذهنه ذكياً يفهم بواطن الكلام ، وهذا لم يكف يوافق على إيوانه عبد الرحمن ويعد موالى بني أمية بإرغام يوسف على إجارته وتزويجه ابنته ، حتى رأى الأمر هل نفسه وتبين خطورته ، فبعث من استوقف رسوليهم في منتصف الطريق ، وأسرع بنفسه على فرسه الأبيض « الكوكب » وقال لها : « إن منذ أيتيموني برسول ابن معاوية وكتابه لم أزل في إدارة ، فاستحسنت ما دعوتنا إليه ، ثم كان مني إليك ما كان . قلنا فلرقتكما رؤيت فيه ، فوجدته من قوم لو بال أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله . وهذا رجل قد حكمتنا عليه ، مع ما له في أمنا (يريد يوسف الفهري) . . . وأنا أعلمكما أن أول سيف يسلم عليه (أي على عبد الرحمن) نسيتي ، فبارك الله لكما في رأيكما . . . » (١) .

وهي عبارة خطيرة الدلالة ، لأن الصميل كشف بها عن أعمق ما كان يدور بنفوس الموالى ، وأعلن إليهم عدائه الصريح لما يريدون ، ومن هذه اللحظة فهم هؤلاء الموالى الآخري عنك يرجونه من يوسف والصميل والضربة جلة ، وبدأت أفكارهم تنحى وجهة أخرى . انهموا نحو اليمينين الذين كانوا يكرهوهم ويهابوهم حتى هذه اللحظة ، وقد جاء هذا التغير الحاسم دليلاً على ما كان يتنازع هؤلاء الموالى من تمام المعرفة بأحوال البلد وسلامة حسهم السياسي ، فقد سلوت قضية مولاهم عبد الرحمن من ذلك الحين صعداً ، وقد قال أبو عثمان عبيد الله بن عثمان أحد كبار هؤلاء الموالى يصف هذا التحول :

(١) الأخبار المشهورة ، ص ٧٣ .

« فانتطع رجائونا من مضر وريضة بأسرها ، ورجع رأينا إلى أطباء اليمن وإدخالهم في رأينا ، ففعلنا ذلك من قورنا : لم نمر يمان له بال وثقتنا به إلا عرضنا عليه أمر ابن معاوية ودهونته إليه ، فآلفينا قوماً قد وضرت صدورهم يتمنون شيئاً يجمعون به سبيلاً إلى طلب ثأرهم ، ورجعوا في عقد بني أمية بالأندلس ، ثم رجعنا إلى جندنا وقد يشنا من مضر فاجتعا مراكياً »^(١) .

ولصاحب « فتح الأندلس » عبارة على جانب عظيم من الأهمية تبين موقف هؤلاء الموالى وعلاقتهم بعبد الرحمن وبني أمية ، وذلك حيث يقول : « وشاور (عبد الرحمن) كل من معه من الأمويين فقالوا : إنما يرضى لك هذا القهري ببعض أعماله التي هي أعمالك وأعمال جدك ، وإنما هو عامل لعامل ابن عمك ، فيخرج عميد الذي يحتاج به ، فإنما هو من عمال جدك أمير المؤمنين هشام ، فلا والله لا ترضى لك بهذا حتى نكاله دونك ويعود إلى حالته الأولى ويترك الأمر لك »^(٢) . أي أن قدوم عبد الرحمن قد حل رابطة الولاء التي تربطهم إلى هذا القهري الذي هو في الواقع عامل لعامل إقليمية ، وعامل إقليمية من عمال بني أمية، فما معنى الولاء له وعبد الرحمن حميد هشام منهم بينهم ؟

والواقع أن موالى بني أمية قاموا بدور خطير جداً في إقامة أمر عبد الرحمن وتحويل تاريخ الأندلس كله وجهة جديدة ، ولولا مؤازرتهم له والتفافهم حوله لما قام أمره ، ولولا إخلاصهم له ولبنه لما استطاعت الإمارة الأموية أن تسير على هذا النحو الموفق الذي سارت عليه .

١٧٧ - موالى وقد دخل الكثيرون من أهل الأندلس في ولاء بني أمية بعد من تحول
إسبانية
الفتح المسلمون الأندلس لحق بالشام وأسلم على يدي الوليد بن عبد الملك ،
الفتح ، فقد قال ابن حزم مثلاً في « الجمهرة » في سياق الكلام
عن بني قسي : « كان قسي قومس الثغر في أيام القسوط ، فلما

(١) نفس المصدر ، ص ٧٤ .

(٢) فتح الأندلس ، ص ٥٢ .

فكان ينتمي إلى ولاته ، ولذلك كان بين قسي في أول أمرهم ، إذا وقعت الفتنة بين العسرية والبيمانية يكونون في جملة المضربة ، فولد قسي : قُرْتُسُون وأبوشور وأبو سلامة وجونس ويحيى^(١٦) ونجدنا الخويلات الأندلسية عن عدد كبير من هؤلاء الموالي الأندلسيين ويوسف : بنو يارون ، بنو غومس ، بنو غرمية ، بنو قارله ، بنو مرتين ، وغيرهم . فقد جعل آباء هذه البيوت أول الأمر في ولاء بني أمية في الشرق ، ثم انتقل ولاؤهم إلى بني أمية الأندلسيين ، وظل بعضهم محضاً بهذا الولاء وانفرد بعضهم الآخر في عداد المولدين . ولا شك أن هذا الولاء سار على نفس الأسس التي جرى عليها نظام الولاء في الشرق ، مع فرق واضح : هو أن الموالي في الأندلس كانوا موالي البيت الأموي لا موالي قبائل عربية ، كما كان الحال مع الكثير من الموالي الفرس ، فلم تذكر الخويلات الأندلسية ولاء قوم لقبيلة إلا نادراً ، فقد ذكر ابن حزم مثلاً في « الجمهرة » من بيوت البربر بني سالم وبني الفرج وقال أنهم موالي بني هزوم^(١٧) .

١٧٨ - طيبة وليس لدينا نص يثبت أن هؤلاء الموالي الأندلسيين أو بعضهم ولاء الأندلسيين كانوا موالي عتاقة إلا في حالات قليلة ، فقد ذكر المؤرخون أهل ناحية من نواحي ملقة باسم « موالي موسى » وهم موالي موسى بن نصير ، ويغلب على الظن أنهم دخلوا في ولاء موسى بعد فتح الناحية عنوة فأعتقهم وحصاروا مواليه . وذكر ابن القزويني في حديثه عن بعض علماء الأندلس مثل سعدان بن إبراهيم . . بن زياد وابنه قاسم أن الأب كان مولى الإمام عبد الرحمن ابن معاوية ولاء عتاقة^(١٨) . ولو قد كان سعدان هذا وأمثاله من موالي بني أمية الذين أتوا من الشرق لاكتفى ابن القزويني بالقول بأنه مولى بني أمية ، كما هي عادته ، أما وقد ذكر أنه مولى عتاقة فلا يفسر إلا بأنه كان ممن صاروا إلى ملكية الأمويين من أهل البلاد أو البربر ثم أعتقهم فصاروا مواليهم بالعتاقة .

(١٦) ابن حزم : الجمهرة ، ص ٤٧٧ .

(١٧) نفس المصدر ، ص ٤٦٥ .

(١٨) ابن القزويني : عتاقة ، ترجمة رقم ٥١١ ، ص ١٠٧٠ .

ويؤيد هذا ما يذكره ابن الفرغني عن عالم آخر هو إسماعيل بن يدر بن إسماعيل بن زياد إذ يقول إنه « مولى نعمة لبني أمية من أهل قرطبة »^(١) ، وموالي النعمة هم موالي العنافة مع اختلاف كبير ، هو أن مولى النعمة لا ينبغي أن يكون رقيقاً ثم احتق ، بل قد ينعم عليه بالولاء كشارة من شارات الإعزاز والتقدير . وهم في الأندلس يختلفون عن الموالي إطلاقاً ، لأن ابن الفرغني يذكر الكثير من الموالي محدداً ولأهم الأول أو مكتفياً بالقول بأنهم موالي بني أمية ، مثال ذلك : إسماعيل بن خلف المعروف بابن الخبازة من أهل سرقسطة « ونسب إلى ولاء بني أمية »^(٢) ، وإسماعيل بن القاسم بن عبدون « مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان من أهل قابلفلا »^(٣) ، وأسلم بن عبد العزيز بن هاشم « مولى عثمان بن عفان رحمه الله »^(٤) ، وحرث بن أبي سعد « مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية »^(٥) ، وحسن بن عبيد الله بن محمد . . . بن واقع « مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(٦) ، وزكريا بن يحيى بن عباد بن كيسان « مولى هشام »^(٧) ، وسليمان بن عبد الرحمن بن يزيد « مولى معاوية بن أبي سفيان »^(٨) ، وهكذا . وقد يكتفي المؤرخون بقولهم : « من الموالي »^(٩) ، كما هي الحال مع سعيد بن حميد بن عبد الرحمن ، أو بقولهم : « مولى قم »^(١٠) كما هي الحال مع سعيد بن عثمان بن سليمان الحجبي . وقد يذكر الولاء محضاً في دقة كقول ابن الفرغني في ترجمة شمر بن عمير : « مولى بني أمية ثم لآل سعيد

(١) ابن الفرغني : تاريخ علماء الأندلس (طبعة كوبرا ، مدريد ١٩٩٢) ترجمة رقم ٢١٤ .

(٢) نفس المرجع ، رقم ٢٢١ .

(٣) نفس المرجع ، رقم ٢٢١ .

(٤) نفس المرجع ، رقم ٢٧٨ .

(٥) نفس المرجع ، رقم ٣٢٤ .

(٦) نفس المرجع ، رقم ٣٤١ .

(٧) نفس المرجع ، رقم ٤٤٣ .

(٨) نفس المرجع ، رقم ٥٥٧ .

(٩) نفس المرجع ، رقم ٤٨٢ .

(١٠) نفس المرجع ، رقم ٤٨٤ .

ابن العاص^(١) : وقد يراد ذكر الولاء في صورة غير واضحة ، كقول ابن القزويني في ترجمة سهل بن إبراهيم بن نوح : « نسبة في البربر وسوالي بني أمية » ، وقد أشرنا فيما سبق إلى دخول أعداد من البربر في ولاء الأمويين ، فقد رأينا أن بني واتسوس يعتبرون أنفسهم موالي عبد العزيز بن مروان .

١٢٩ . موالي اصطخا فقد عرف الأندلس في هذا الوقت المبكر بنظام الولاء ، وكان الموالي إما مشاركة أهل الأندلس مرتبطين بروابط ولاء قديمة للبيت الأموي أو لأفراد منه ، أو مغربيين دخلوا في ولاء بني أمية أو قوادهم أو بعض قبائل العرب ، وانتقلوا إلى الأندلس محتفظين بهذا الولاء ، أو إسبانياً دخلوا في ولاء بني أمية أو قوادهم ونقلوا محتفظين ، هم وأبتائهم ، بهذه العتلة .

والنصوص التي بين أيدينا لا تسمح لنا بالحكم على طبيعة ولاء الإسبان ، ولكن الأحداث لا تدل على أنهم كانوا موالي عتلة ، بل موالي اصطخا ، دخلوا في ذلك الولاء التزاماً للحصانة أو شرف المنزلة ، كما رأينا في حالة بني لسي .

وما يزيد ما ذهبنا إليه من أن معظم أولئك الموالي كانوا موالي اصطخا ، أن عبد الرحمن الداخل عندما أراد أن يكسب يوسف الفهري بعث إليه وفدًا من مواليه ، « وبعث معهم بكسا وفرسين وبغليين وصيفين وألف دينار ، وكتب إليه يذكر له اصطخا أبائه بلجد يوسف (أي اصطخا بني أمية لعقبة بن نافع جد يوسف الفهري) ولأهله ، ويدعوهم إلى الصهر والتوسمة^(٢) » مما يدل على أن الاصطلاح المستعمل في الأندلس للولاء هو الاصطخا .

وكان أهل الأندلس يرحمون حرمة الولاء ، ويحافظون الخلف منهم على ما ارتبط به السلف منهم ، فقد ذكر ابن القوطية كيف أن محمد بن موسى - وكان من بيت من العرب يقال لهم بني موسى - « وكان بنو عبد الرحمن العائلي عاملاً

(١) نفس المرجع ، رقم ٤٩٥ .

(٢) من القوطية : الفتاح ، ص ٢٥ - ٢٦ .

الاندلس المتقدم ذكره يدعون أنهم مواليه . - عندما تولى الوزارة أيام الأمير محمد ، بحث في بيتي عبد الرحمن بن عبد الله العسافني ، وكان لهم عهده وثروة بمرئاة الغافقيون من شرف أشبيلية ، فقال لهم : إنكم تدعون أمراً لو كان حقاً وعلمناه لم نجعل لنا الانتفاء عنه ، فهل علم إلى أن نخلطوننا بأنفسكم وتدعون أهلاً ، فإن كنا مواليكم كما تقولون فنحن منكم ، وإن كنا من العرب فنحن بنو عمكم ، فأجابته القوم وشكروا على ذلك ، وصاروا أهلاً وصاهر بعضهم بعضاً ، وانقطعت تلك الدعوات من يومئذ (١) .

١٨٠ - أما الموالي وعمل أي الأحوال لم يكن الموالي في الأندلس في هذه الفترة وما تارخ الأندلس^٢ بعدها ، في نفس الوضع الذي كان فيه موالي الشرق ، فهناك كان التولي في وضع اجتماعي أقل من وضع الحر ، أما هنا فقد كان الولاء شارة امتياز ، ولم يحدث إلا ظهراً أن ترفع العرب على الموالي ، فقد ذكر ابن الفوطية أن العرب احتجوا عندما عين عمرو بن عبد الله بن الليث - وكان موالي - قاضياً للجماعة في قرطبة (٣) ، وفيها عدا ذلك كان الموالي في مركز اجتماعي لا يقل في شيء عن مركز الأحرار . وعندما أتى عبد الرحمن وإهوانه على إقامة الدولة أصبحوا في مركز أعلى من مركز العرب الأحرار ، فقد أصبحت الوظائف الكبرى مقصورة عليهم ، وحرص أمراء بني أمية على الاحتفاظ ببيوت الموالي وإعطائهم مكانةً مماثلة في الإدارة والمجتمع ، فلم يكونوا يعتمدون إلا عليهم . وقد أخلصت بعض بيوت أولئك الموالي للبيت الأموي إخلاصاً عميقاً مستمراً ، وحملت عن البيت الأموي جانباً كبيراً من المسؤولية ، بحيث لا يمكن التأريخ للبيت الأموي بدون التأريخ لهذه البيوت إلى جانبه ، ومن أكبرها بنو أبي عبيدة وبنو حنظلة وبنو شهيد وبنو عبيد الرؤوف وبنو قنيس وبنو ميث (٤) .

(١) ابن القزطبة ، افتتاح ، ص ٧٦ .

(٢) ابن القزطبة : افتتاح ، ص ٧٣ .

(٣) عم أولاد ميث الرومي موالي الوليد بن عبد الملك (أخبار مجوسية ، ص ١٠) وأول من امتياز منهم في الأندلس عبد الكريم بن ميث . وقد نزل ميث في معركة القرن (بالقرطبة) (أخبار ، ص ٢١) .

وأصلهم كلهم من سوالي بني أمية ، بعضهم سوالي البيت الأموي نفسه ، وبعضهم سوالي قوادهم ؛ وقد كان سوالي البيت الأموي يسمون سوالي تميمش ، وكانت لهم الصداوة على غيرهم من السوالي . وفي عهد عبد الرحمن الناصر زاد مركزهم ارتفاعاً حتى صاروا يسمون بالأبناء^(١) .

فأما بنو أبي عبدة فهم أبناء حسان بن أبي عبدة مولى مروان بن الحكم ، وقد دخل جدهم الأندلس سنة ١١٣ هـ / ٧٣١ م مع ابنه عبد الغافر الذي أصبح فيما بعد وزيراً لعبد الرحمن الداخل . وقد نقل أبناء هذا البيت يتولون كبار المناصب إلى أيام التصور بن أبي عامر ، وقد تفرغ عن هذا البيت بعد ذلك بيت أبي الحزم بن جهور أصحاب قرطبة في عصر الطوائف^(٢) .

وبنو حدير هم أبناء مولى من سوالي عبد الرحمن الداخل ، ولا شك أن أصلهم من سوالي بني أمية في الأندلس ، لأن المراجع لا تذكر أن عبد الرحمن بن مولاه هذا من المشرق . وقد ظهر أمر بني حدير عندما تبع منهم موسى بن محمد ابن حدير الذي تول أمر قرطبة أيام الأمير محمد ، وقد ظل بنو حدير يتقلدون في كبار الوظائف حتى أيام الناصر^(٣) . أما بنو شهيد فهم أبناء مولى من سوالي عبد الرحمن الداخل ، وقد ظلوا في الوظائف إلى أيام الدولة العاصمية . وكذلك كان الأمر مع بقية البيوت التي ذكرت هنا^(٤) . ومن الطريف أن بعض مؤسسي هذه البيوت دخلوا الأندلس عرباً أحراراً ثم دخلوا هناك في ولاء بني أمية الشارقة ، ثم انتقلوا إلى ولاء بني أمية الأندلسيين ، ومثال ذلك بنو شهيد وبنو عبد الرؤوف .

(١) LEVI - PROVENÇAL , *L'Espagne Musulmane au Xe. Siècle* (Paris, 1932) p. 106.

LEVI - PROVENÇAL ; *Musée de l'Espagne Musulmane*. 2e. éd. II, p. 126, III, p. 194.

(٢) ابن الأثير : *الحلة السواد* ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

LEVI - PROVENÇAL , *L'Espagne Musulmane*. II, p. 101

(٣) *الحلة السواد* ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

LEVI - PROVENÇAL , *Op. cit.* pp. 99-100.

(٤)

وفي عداد هذه البيوت من موالى بني أمية فوات الأصول المشرقية تدخل
بيوت الموالى فوات الأصول البربرية ، مثل بيت الزجاجي ، وذات الأصول
الإسبانية كبيت بني قسي ، وإن كان وضع هذه البيوت الأخيرة يختلف عن وضع
الموالى المشاركة والغفارية من حيث الوظائف ، فقد قصرها أمراء بني أمية على
الموالى البلديين والشأميين ، ولكن مركز الموالى الإسبان الاجتماعي كان عظيماً ،
لقد كانوا سادة في نواحيهم (١) .

وقد بلغ من اختصاص أمراء بني أمية هذه البيوت بالوظائف أن كان
أفرادها يتنافسون على الوظائف حتى يتحير الأمراء ، ومع ذلك كانوا لا يفكرون
في إخراجها عنهم ، كما حدث أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ، فقد « تناحس
الوزراء كلهم في خطة الحجابة ، واضطره كل واحد منهم إلى ألا يولي غيره ،
فأخذته شجرة ، فأقسم ألا يولي واحداً منهم ، وأمر بالإفراج بين الحزبان (الحزبان
الأموال) وكان الحزبان يومئذ موسى بن حدير شيخ الحزبان ، وابن بسيل اللقب
بالغمام وظاهر بن أبي هارون (وكلهم من أهل بيوت الموالى هذه) ومهران بن
عبد ربه لا قديم له ، وكان له به اتصال وهو ولد فخرجت إليه القرعة فولي
الحجابة أمراً . . ثم مات . . . وقد وضعت خطأ تحت « لا قديم له » لأن
ابن القوطية أراد بها أن مهران لم يكن من أهل هذه البيوت القديمة ، وقد كانت
توليتها الحجابة مصادفة ، ثم عادت بعد ذلك إلى آل غانم ثم إلى آل شهيد وهم
من موالى البيت الأموي .

١٨١ - أراد حول وقد لاحظ بعض الباحثين شيئاً من التشابه بين « الامطناع »
أصل الاء الذي شاع في الأندلس الإسلامي ونظام الانتفاع
الامطناع Benefactoria أو Behetaria الذي عرفته الدولة الليونية
الأستورية الإسبانية ، و « البفكتوريا » أقرب إلى نظام « الإلغاء » الذي عرفته
الدولة الإسلامية في المشرق ابتداءً من القرن الرابع الهجري ، ومعناه أن

(١) ابن القوطية : الانتفاع ، ص ٦٢ .

يلتجى - مالك صغير إلى مالك كبير و - يلجى - إليه لرفه ويصبح من أتباعه في تطير قيام المالك الكبير أو الإقطاعي القوي بحمايته ، فكان الرجل يعتبر ولاجئاً ، والأرض « ملجاء » ، وهذا بالضبط هو ما يعنيه المصطلح الروماني Beneficium الذي أصبح فيما بعد لونا من ألوان الإقطاع الأوروبي . وقد لاحظ ليفي برونشال أن صاحب القاموس اللاتيني العربي المعروف بالفوكايبولشا Vocabulista يترجم كلمة Benefacere بلفظ « اصطنع » بل إن لفظ « مولى » انتقل كما هو إلى المصطلح القانوني في تلك المملكة النصرانية ، فكانوا يقولون Maulitatus . وقد ذهب الذين يرجعون نظم الدولة الليونية الأشتورية كلها إلى أصول رومانية ، إلى أن مسلمي الأندلس أخذوا نظام الاصطناع عن نظام الولاء الروماني Patrocinium وهو رأي معقول إذا نحن اعتبرنا الظروف الخاصة التي أحاطت بتكوين النظم الإسلامية في الأندلس ، فقد يكون أوسك الأندلسيون الذين دخلوا في ولاء بني أمية من الداخلين في ولاء البيت الفوطي ، فلما صار الأمر للمسلمين انتقلوا بولائهم إلى بني أمية ليحتفظوا بما كان لهم من ميزات اجتماعية واقتصادية . وهذا هو التفسير المعقول لما فعله تسي عندما ذهب إلى المشرق ليُدخل في ولاء الخليفة الأموي مباشرة^(١) .

١٨٢ - ملاحظات ومهما يكن من أمر فقد صرف الأندلس الإسلامي في ذلك اصبراً على الخوالي
 المعصر نظام الخوالي ، وكان هؤلاء أنواعاً وطبقات : منهم موالى
 لي الأندلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموالى عثمان بن عفان ،
 وموالى خلقه بني أمية ، ثم موالى بعض موالى البيت الأموي
 مثل مغيب الرومي وموسى بن نصير ، ثم موالى بعض القبائل العربية ، وقد كان
 عددهم جيعاً قليلاً بالنسبة لعدد السكان ، ولكن عددهم كان محترماً بالنسبة
 لعدد العرب . وقد كان من الممكن أن يظل الخوالي في نفس الوضع الذي كانوا
 فيه في المشرق ، ولكن الظروف للضطربة التي أحاطت بالعرب خلال فترة
 الخولا ، وانصرانهم إلى التحالف فيما بين بعضهم وبعض أعطت هؤلاء الخوالي

LEVI - PROVENÇAL, *Mémoires de l'Égypte*, t. III, p. 210 - 213.

(١)

مركزاً متساوياً ، إذ ظلوا كتلة واحدة يسمى اليمينيون والشأميون إلى كسب تأييدها ، ثم منحت لهم القرصة بدخول عبد الرحمن بن معاوية فاجتهدوا في إقامة دولته ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه ، ومن ذلك الحين أصبحوا أهل الدولة وأصحاب اليد العليا ، فلترفع بلارتفاعهم معنى الولاية في الأندلس ، وأصبح وسيلة من وسائل علو المنزلة في المجتمع وعلو المرتبة في الإفادة ، وأصبح أقرب إلى « الإصطناع » منه إلى الولاية الصرف . وأفاد من ذلك الإسيان الذين نقلوا ولائهم من البيت القوطي إلى البيت الأموي ، أو الذين دخلوا منهم في ولاه الأمويين على أساس الباترونيستوم الروماني ، فاحتفظوا بمكانتهم وشراعتهم وزاد مركزهم قوة كلما طالت بالبيت الأموي الأيام في الأندلس^(١) .

وسيجري على اصطناع الموالي كل أمراء البيت الأموي وخلفائهم ، فقد اتخذ كل منهم لنفسه موالي انضموا إلى طبقة الموالي ، حتى المنصور بن أبي عامر اتخذ لبيته موالي عرفوا بالموالي العسريين .

وأساس هذا الاختلاف بين وضع الموالي في المشرق ووضعهم في الأندلس يرجع إلى الظروف الخاصة التي أحاطت بهذا البلد خلال الفترة التي تحدث عنها . ولو لم تكن هذه الظروف لظل موالي الأندلس في نفس وضع أشباههم في المشرق ، بل ربما تلاتسوا كقوة سياسية ، كما كان الحال في مصر الإسلامية مثلاً . وهذه الناحية تبين الأهمية الخاصة لعصر الولاية ، فلولاً ظروفه الخاصة لما كانت نظم الأندلس على النحو الفريد الذي نعرفه ، وسنرى مصداق ذلك عند دراستنا لنواح أخرى من النظم الأندلسية التي وضعت أسسها في عصر الولاية .

(١) ويؤيد ذلك أن أولئك الموالي أصبحوا يسمون « بالأبناء » أي أبناء بيت الإمارة أو « أبناء نعم الخلفاء » كما يقول ابن القوطية (ص ٨٣) ، بل كان كبارهم يسمون خلفاء الأمراء ، وقد كان الواحد منهم يسمى « خليفة » (انظر : ابن القوطية ، ص ٦٩) .

الفصل العاشر

المجتمع الأندلسي - ٢

المولدون والمستعمرون

تحدثنا في الفصل السابق عن عناصر السكان التي دخلت الأندلس بالإسلام أومع الإسلام ، ووضعت أساس إسلام الأندلس وعرويتها ، وبدأت في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية صفحة « الأندلس » ذات الخصلة الزاهرة والشخصية الفريدة في بابها بين صفحات التاريخ . تحدثنا عن العرب والبربر والموالي ، وقصرنا الكلام عليهم على فترة التأسيس التي تعيننا في هذا الكتاب . وبقي الآن أن نتكلم عن الجزء الأكبر من عناصر سكان الأندلس : المولدين وأهل اللغة من نصاري ويهود .

١٥٣ . بابها وسنرى في سياق كلامنا على هذين العنصرين أن الإسلام في الشطآن الغربي والعروية قد أثرا فيها تأثيراً لا نكاد نجد له مثيلاً في غير قبل دخول الأندلس مما دخل في رحاب الإسلام ، فهذا الشعب الإيبيري لعرب الذي دخل عليه المسلمون كان قبل دخولهم شعباً أوروبياً نصرانياً في غاليتيه العظمى ، يضم مجموعات قليلة من اليهود ، وكان داخلها في نطاق الغرب الأوروبي الذي نشرت فيه روما حضارتها ولغتها ، وكان متجهياً بإيمانه نحو روما عاصمة المسيحية الغربية ، وكان يدين بالولاء للكنيسة الكاثوليكية^(١) ، ويتحدث لغة رومانية إيبيرية يقبل عليها الطابع الروماني ،

(١) انظر :

MANUEL TORRES y RAMON PRIETO BANCES : *La Igitria en la España Visigoda* (en *Historia de España dirigida por RAMON MENENDEZ PIDAL*)
tomo III. pp. 265 - 299 .

سماها العرب لأول سماهم إياها بالعجمية أو عجمية أهل الأندلس ، وعندما زادت معرفتهم بها سموها اللطينية^(١) . وكان هذا الشعب - نتيجة لذلك كله - يدور في فلك الحضارة الغالية على غرب أوروبا إذ ذلك ، وهي حضارة لانيبية متأثرة بما حملته جماعات التبريرين إلى غرب أوروبا من ثروة لغوية حرمالية تختلف من قبيل لقبيل ، ونظم سياسية حرمالية بدائية كان لها أبعاد الأثر في تكوين النظم السياسية وقواعد القانون التي جرت عليها ممالك الجرمان جميعاً في غرب أوروبا فيما بعد^(٢) .

١٨٤ - طيبة ثم دخل المسلمون هذه البلاد : لم يدخلوها كما دخل القوط
 حركة سادة حكماً بياهدون بين أنفسهم وبين عامة الناس حداً على
 الأستداد سلامة عنصرهم أو صيانة طيبة سلطاتهم ، بل دخلوها أثناء
 الإسلامي حركة الأستداد الديني الفكري البشري التي بعثها الإسلام في
 عالم القرن السابع الميلادي . وإنه لمن مخالفة الواقع مخالفة مقصودة أن يقال إن
 استناد الإسلام كان حركة فتح أو عزوات ، أو إنه كان إنشاء لأمبراطورية
 سياسية يسودها جنس بعينه ، وإنما كان في الواقع حركة استيقاظ لشعب من شعب
 لشعب كأنها أمواج يدفع بعضها بعضاً ، فلا يكاد الإسلام يقبل على بلد حتى
 يستيقظ أهله ويصير ليحملوا رايته بأيديهم . فقد فتح عرب الجزيرة الشام
 والعراق ومصر ، ثم انتقلت الراية - فيما يتصل بنا هنا - إلى الشام ، ففتح الشام
 المغرب ، ثم فتح المغرب الأندلس . وكان العرب يقومون في تلك الحركة كلها

(١) النظر : RAMON MENENDEZ PIDAL : *Orígenes del Español* (3a ed. Madrid , 1950) .

متقدمة الكتاب ، حيث يقول إن اللغة التي كان يتكلمها أهل إسبانيا قبل القرن الحادي عشر
 الميلادي لا يمكن ترميزها إلا على وجه التخمين ، نظراً لقلّة الأسمول التي يعتمد عليها . ولكن
 ما يمكن قوله إياها كانت نظم لغاتاً قليلة من لغة القوط . أما بقية كلمات لمجانب مختلفة من
 اللاتينية العلة *Vulgar-Latin* . ولا زالت التوامات مستمرة لتعرف هذه اللغة . النظر .

ISIDRO DE LAS CASAS , *Los Mozarabes* (Madrid , 1947) p. 58 - 59 y nota 42
 p. 73 .

(٢) سندرس هذه المسألة فيما بعد .

يدور الدافع الأول أو للحرك الأول ، فلا نزاع هذه الشعوب تنظر إليهم وتلتفت بقلوبها نحوهم ، لا على اعتبار أنهم شعب بعينه ، بل على اعتبار أنهم رمز الحركة كلها ، فصاحب الدعوى وروسها عربي ، وكتاب الدعوى ومدسورها - وهو القرآن - عربي ، والمثل الأخلاقية التي أدت إلى النصر عربية .

ومهما كان حكمنا اليوم على المثل الأخلاقية الجاهلية ، فلا نزاع في أنها بدت لأهل هذه الأعرس شيئاً عظيماً شديد الجاذبية ، ولا نزاع كذلك في أن العربي الذي حمل عبء الفتح الأول ، وشارك في بقية الفتح ، وهاجر إلى البلاد المفتوحة ، كان - مهما حكمنا على تصرفاته الشخصية في تلك البلاد - شخصاً ممتازاً جذباً بأن يفقد ، فقد كان على الجبهة شجاعاً لا يهاب شيئاً ، ذروباً لا يمل السعي ، كرمياً لا يفسن بذات يده ، عتقاً - إذا استشرت عواطفه - عتقاً جاهلياً كان أهل تلك الأيام يرون فيه صورة جميلة من صور الرجولة . وكان إلى جانب ذلك رفيقاً تفهون نفسه إلى كل ما هو رقيق جميل ، حتى لقد يجره بيت من الشعر إلى ما لا يجره إليه الخطر الداهم^(١) ، وكان التوفيق بسيطاً لا يستقر إلى جانب قوم حتى يأخذ منهم ويعطي ، ويصاهرهم ، وفتنرج دماؤهم بدعائه ويشركهم في أصله وحسبه . وكان رغم أصله البدوي القاسي يجب اللين والترنم ويستطرف الجمال في شئ صوره ، ويستطيب الحياة الناضرة ، ومن ثم

(١) مثال ذلك أن أبا الخطار كتب إلى هشام بن عبد الملك بليات جعلته يدير سياسته نحو البعثة ، كما كان له أحد الأثر في ترويج الأتلس في هذه الفترة . وهذه الآيات هي :

أنتم مني مروان قيساً دماؤنا	وأي الله - إن لم ننصفوا - حكم عدل
كأنكم لم تذهبوا سرج راعط	وإن تعلموا سن كان ثم له الفضل
وليسناكم حمر السوفى بصفورتنا	وليست لكم حبل نعد ولا رطل
قلنا رأيتكم والله الحزب قد ضيأ	وطب لكم منها الشلوب والأكل
تغاضبتم معنا فكأن لم يكن لنا	بلاء ؛ ولستم - ما علمت - لنا حقل

..... إلى آخره .

قال ابن القزويني : « ولا وردت الآيات منه ولي حقلقة بن صفوان الكلابي على إربيلية ، وأمره أن يربي ابن عمه أبا الخطار الأتلسي »
ابن القزويني : اقتراح ، ص ٦٨ - ٦٩ .

فإننا نجد هذا العربي الذي أشعل الأندلس نارا ، كما رأينا ، لم يهرب ما نزل به من مدائن ، وما مر به من منشآت ، فعل المرغم كما رأينا ، من احتراب حرب الأندلس بعضهم مع بعض ، وإسرافهم في الخسومة على هذا النحو الذي رأيناه ، ظلت المدن التي نزلوها قائمة عامرة تدور الحرب بطواهرها أو بعيداً عنها وهي آمنة ، بل هم اعتبروا هذا الصراع لمرأ خصاصاً بهم لا شأن لأهل البلاد به ، فلم يؤذوهم أو يسبوا إليهم .

ومن أعجب ما يقرأ الانسان في حوليات هذه الأيام أن الصميل من حاتم ، هذا الهندي الجاني ، على ما رأينا من عنفه وحماسته وقسوته على خصومه من العرب ، ذهب إلى أرتطاس كبير عجم الأندلس على أيامه في رفقة عشرة من رؤساء حرب الأندلس ومواليهم ليطلب إليهم أن يمنحهم شيئاً من الأرض وأخذ حاوره أرتطاس معلومة ند لند ، بل أخذ يقرعه ويقول له : « يا أبا جوشن ، إن أهل ديارك يجهلوننا إن أديهم لم يعطك ، ولو أعطك لم تنكر على بر من برت ا » ثم مضى يلقي عليه حوساً في الإيمان فقال : « إنكم بؤكراسكم [من أكرم] الله ، إنما تكرمونه عز وجل . وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكرم الله من عباده ، وجبت كرامته على جميع خلقه » . ثم يعلق ابن القزطية على ذلك بقوله : فكانما أقمه حجراً ا ثم « وهبهم » مائة ضيعة ، صار لكل واحد منهم عشر ضياع ^(١) .

فهذه صورة من العلاقات بين العرب « الفاتحين » وأهل البلاد ، وإذا كان هذا هو موقف الصميل ، على عنوه وجبروته ، فمن باب أولى يكون التعامل بين عامة العرب وعامة الناس أبطأ وأقرب إلى التعامل بين نفس لا يختلف أحد منهم عن أحد بشيء . ويوهننا على ذلك أن نفس الخبير يقص أن واحداً من كبار صالحى العرب ، وهو ميمون العابد ، أن ليطلب من أرتطاس أن يعطيه ضيعة من ضياعه يحترها بيده ويؤتي إليه الحق عنها ويأخذ الحق ، فقال له أرتطاس : « لا والله ما أرضى أن أعطيك ضيعة مناصفة » ودعا بوكيل له فقال

(١) ابن القزطية : الفتح ، ص ٤٠ .

له : « ادفع إليه المجرى الذي حل واتي شوش وما فيه من الختم والفسر والعبد
وادفع اليه القلعة بجهان ، وهي المعروفة بقلعة حزم ، فملكها . . . » (١) .

١٤٥٥ - العرب وأهل البلاد وإذا فلم يستقر العرب في الأندلس ساعة مشرفعين ، وإنما
تزلوها ناساً يطلبون العيش في سلام إلى جانب أهل البلاد .

وربما كان هذا السلوك العربي أثراً من آثار البيئة الأندلسية
فيمن تزها من العرب والبربر ، فقد كان الإيبيريون الرومان شعباً مسالماً محباً
حسن العشرة ، لم يلبث أن أتس إلى العرب وأنسوا إليه . ولدينا صورة طريقة
جداً عن الحياة العائلية في بيوت العرب بعد أن اتغلغوا النساء من أهل البلاد ،
قال صاحب « الأخبار المجموعة » في أخبار عبد العزيز بن موسى : « ثم إن ابنه
عبد العزيز تزوج امرأة للفرقي يقال لها أم حاصم ، فهم بها ، فقالت له : إن
الفلوك إذا لم يتزوجوا فلا ملك لهم ، فهل لك أن أحمل لك مما بقي عندي من
الجواهر والذهب تاجاً ؟ فقال لها : ليس هذا في ديننا ! فقالت له : من أين
يعرف أهل دينك ما أنت عليه في خلوتك ؟ .. فلم تزل به حتى فعل . فيينا هو
يوماً جالس معها ، والتاج عليه ، إذ دخلت امرأة كان قد تزوجها زياد بن
الناطقة التميمي ، من بنات ملوكهم ، فراكه والتاج على رأسه ، فقالت لزياد :
ألا أحمل لك تاجاً ؟ فقال : ليس في ديننا استحلال لباسه ، فقالت : فزودني
السمح إنه لعل إمامكم ! فأعلمهم بذلك زياد حبيب بن أبي عبيدة بن عتبة بن
نافع ، ثم تحدثا به حتى علمه خييار الجند ، فلم تكن له حمة إلا كشف ذلك
حتى رآه عياناً ، ورآه أهله صدقاً ، فقالوا : تنصر ! ثم هجموا عليه
فقتلوه . . . » (٢) . وربما تكون يد القصاص قد فعلت فعلها في هذا الخبر ، ولكن
مغزاه في جلته عظيم القيمة ، فهو يدل على روح المودة العائلية التي كانت تسود
بيوت العرب بعد استقراهم في الأندلس واتخاذهم النساء من أهل البلاد ، وهو
كما رأينا جو عائلي فيه ثقة وفيه محبة وفيه دعابة ذات معاني عظيمة بالنسبة إلى من

(١) نفس المصدر ، ص ٢٩ .

(٢) أخبار بصيرة ، ص ٢٠ .

يؤرخ لذلك المجتمع العربي الإيبيري ، أو الأندلسي بتعبير أصح ، الذي نشأ
عن الفتح الإسلامي للبلاد^(١) .

١٤٦ - التزواج لقد اتجه اهتمام خليان ريبيرا ، عندما أراد دراسة موضوع
بين العرب التزواج بين المسلمين وأهل البلاد ، إلى الجوّاري ، ومضى
وأهل البلاد يلتبس في مجموعات الوثائق المتعلقة - كمجموعة أبي جعفر
أحمد بن محمد بن مغيث - نصوصاً تحت إقبال العرب على شراء الجوّاري
الخليقيات والتطلّونيات ومن إليهن^(٢) ، ولكن فإله أن التزواج بالجوّاري كان
قليلاً بالأندلس ، فقد كن غاليات الثمن في تلك البلاد . قال الأصبخري :
« والذي يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان والخدم البيض من
الأندلس والجوّاري الثمنيات ، تأخذ الجارية والخدم من غير صناعة على
وجوهها ألف دينار وأكثر^(٣) . ولم يكن يستطيع دفع هذا الثمن إلا القليل ،
أما بقية العرب والبربر فكانوا يصاهرون أهل البلاد مصاهرة عادية كالذي رواه
ابن القزويني عن زواج سارة القوطية ابنة المُدِّ بن قبيصة ، من تزويج هشام بن
عبد الملك إيّاها من عيسى بن مزاحم ، تقدم معها الأندلس وبيض ضياعها ،
وهو جد ابن القزويني ، وولد له منها ولدان : إبراهيم وإسحاق ، ثم توفي عنها
في العام الذي دخل فيه عبد الرحمن بن معاوية الأندلس ، فتنافسها خنّو بن
سلاص المدحجي وعمير بن سعيد اللخمي ، فعني ثعلبة بن عبيد الجذامي
بعمر بن سعيد عند عبد الرحمن بن معاوية ، فأنكحه إيّاها ، وولدت له حبيب
ابن عمير جد بني سعيد وبني حجاج وبني سلمة وبني حنجر الجُرّز ، وهؤلاء
أشراف ولد عمير بأشبيلية ، إذ كان له أولاد من غيرها ، ولم يشرقوا شرف
هؤلاء ، وهذا الخبر في كتاب عبد الملك بن حبيب في فتح الأندلس في أرجوزة

(١) JULIAN RIBERA Y TARRAGO, *Diccionario y Opuscular* (Madrid 1928) (1)
tomo I, p. 122

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥ وما بعدها .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد القاسمي المعروف بالأصبخري ، مالك المالک ، طبعه في
تونس ، ليد ١٩٢٧ .

تمام بن علفمة الوزير لو أكثره و(١١) .

وإذا فقد لوطبط الكثيرون من العرب والبربر بعلاقات المصاهرة مع أهل البلاد وعاشوا معهم متجاورين متساوين ، ومن طريق هذا التجاود انتشر الإسلام بين أهل الجزيرة . ومن الواضح أن المسلمين لم يحاولوا إرضاء الناس على دخول الإسلام ، لا عن عدم اهتمام بنشر الإسلام ، أو عن كراهة لانتشار الإسلام بسبب إضراره ببيت المال كما يقول ليفي بروفنسال^(١٢) ، بل لأن هذا كان أسلوب العرب الذين جروا عليه في نشر الإسلام في كل بلد دخلوه : كانوا على الأغلب - يدعون الناس حتى يتبينوا فضائل الإسلام بأنفسهم ويدخل منهم من يريد ، بل ليس صحيحاً أن الجيوش الفاتحة لم تكن تعني بالهدوة إلى الإسلام ، لأن الحقيقة أنها كانت تضم دهلة للدين ، بل كان الفاتحون أنفسهم يحرصون على إدخال الناس في الإسلام ، ومثال ذلك : « إن الناس فحطوا بإفريقية عاماً فخرج [موسى بن نصير] فاستسلمي ، فأمر رجلاً فخلص على الناس ورفقهم ، فجعل يذکر . . . »(١٣)

وذكر أن عقبة بن الحجاج السلوي كان « صاحب جهاد ورباط وذا نجدة وبأس ورغبة في تكملة المشركين ، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حيناً ويرغبه فيه ويشره بفضله ، ويبين له عيوب دينه الذي هو عليه ، فيذكر أنه أسلم على يده بذلك القتل ألف رجل »(١٤) .

ولا شك من الخصوص ما يمكننا من تتبع إنتشار الإسلام في الأندلس ،

(١) ابن القوطية : الفتاح ، ص ٦ .

ولقب من حجر الزاوية هنا : الجُرْز ، بقلب اله لفظ عجمي : El gordo ، أي السمين وهو سيد الوارث مقرهم في النص يمكن أن تكون صفة اسمهم بنو سعد .

(٢) LEVI - PROVENÇAL, Hist. de l'Espagne Musulmane (2e. éd. Paris, 1950) tome I, p. 74.

وقد قال ذلك أيضاً في كتابه عن « إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر » ص ٣٢ - ٣٣ .

انظر الفطحة التي أوردتها خيلان ديبرا بتاريخ الفتاح الأندلس لآين القوطية ، وقلت أنها مقسمة

من « الإمامة والسياسة » ، ص ١٨٤ .

(٣) القرطبي : فتح الطب ، طبعة محي الدين ، ج ٤ ، ص ١٨ .

ولكن ابن القوطية وابن عسارى يؤكدان إنتشار الإسلام وقوته في الأندلس في أول ولاية السج بن مالك (١٠٠ هـ / ٧١٩ م) ، قال ابن القوطية : « كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله قد عهد إلى السج بإخلاء الأندلس من الإسلام ، إشفاقاً ودخيل عليهم (كذا) إذ غشي تغلب العدو عليهم ، فكتب إليه السج بن مالك يعرفه بقوة الإسلام وكثرة مفاييمه وشرف معاقلمهم ، فوجه حينئذ جابراً ليخمس الأندلس . . »^(١) . أما ابن عسارى فيقول إن السج كتب إلى عمر بن عبد العزيز يقول : « إن الناس قد كثروا بها وانتشروا في أقطارها ، فأصرب عن ذلك »^(٢) ، والمراد بالناس هنا المسلمون . ثم إن الأندلس يبدو لنا ، عند دخول عبد الرحمن الداخل ، بلداً إسلامياً استبحر الدين واستقرت قواعده فيه . وتلك ظاهرة فريدة في بابها ، فإن الفتح الإسلامي للأندلس لم يكن قد مر به نصف قرن ، ومع ذلك فهي حقيقة واقعة لا مناص من قبولها وانتظار ما عسى أن تعثر عليه من نصوص تفسرها وتقدم لنا تفاصيلها .

١٨٧ - صم وقد كان المسلمون يطلقون على أهل الأندلس جميعاً اسم الأندلس العجم أو عجم الأندلس ، وربما أطلق اسم السروم ومفرده رومي ، وإن كانت هذه التسمية ناتجة الاستعمال . فلما تمكن سلطان المسلمين أصبحوا يسمون عجم الذمة أو الذمة أو أهل الذمة ، فمن كان لهم عهد منهم سموا المعاهدين ومفرده المعاهد ، وربما قالوا المعاهدة من النصراري أو النصراري المعاهدون : أما اليهود فكانوا يسمون اليهود قطط أو الذميين^(٣) .

فلما بدأ أهل البلاد يدخلون في الإسلام أطلق على من أسلموا منهم المسألة - مفردة مُسالم - أو الأسماء - مفردة أسلمي - ثم أطلق على أولادهم الذين نشأوا

(١) ابن القوطية : المفتح ، ص ١٢ .

والسيرة التي كتبت إلى جوارها (كذا) يمكن ترويضها هكذا : إشفاقاً [ما] دخل عليهم . . .

(٢) ابن عسارى : البيان المغرب (الطبعة الثانية ، لايدز ١٩٤٨) ، ص ٦٦ .

(٣) النظر اليك الذي أورده سيمونيت .

FRANCISCO LA VIERA SIMONET, *Historia de los Morabes de España* (Madrid, 1897 - 1899) pp. VII - IX del Prologo.

على الإسلام إسم المؤلفين - مفردة مؤنث - واستمرت هذه التسمية تُطلق عليهم حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ثم تلاشت بسبب اختلاط الناس وتقول أهل المملكة الإسلامية في الأندلس إلى أندلسيون دون تمييز⁽¹⁾ .

١٨٨٠ - ١٩٨٨ هـ
 أما لفظ « مستعرب » ، وجمعه مستعربون ، فلم يظهر في
 تاريخهم
 بالخصوص أو الكتابات الرسمية إلا في زمن متأخر على خلاف
 ما يظن ، وربما كان اللفظ جارياً على الألسن في اللغة الدارجة ، كما تقول نحن
 « إفرنجي » ، فإذا كتبنا قلنا فرنسي أو إنجليزي أو أوروبي أو أمريكي . ودليلنا
 على ذلك أن اللفظ لا يظهر فيها لدينا من كتب المؤرخين والجغرافيين والفقهائ
 وأهل الأدب ومن إليهم ، ولكنه ظهر في وثائق العقود الجارية بين النبلس ابتداء
 من القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم في كتابات نصاري الأندلس سواء
 باللاتينية أو الإسبانية القديمة (عجمية الأندلس) ابتداء من القرن الحادي عشر
 أيضاً . ففي الوثائق اللاتينية كانوا يقولون : Castellanos, Mozarabes atque
 Francos ، وذلك تمييزاً للنصارى الأندلسيين من أهل النواحي التي استولى
 عليها ملوك إسبانيا النصرانية عن القشتاليين والفرنجية وهم المهاجرون إلى إسبانيا
 النصرانية من أهل خالصة ، ممن أقبل للاشتراك معهم في حرب المسلمين ، ثم
 استقر في النواحي التي استغلها النصارى وأصبح من أهلها . وكان ملوك
 النصارى يميزون رعاياهم من القشتاليين وحلفاءهم من الفرنجية عن نصاري
 الأندلس الإسلامي الذين دخلوا في طاعتهم . فقد كان أولئك الأخيرون
 مستعربين ثقافاً ولساناً وأسلوب حياة ، وكانت لهم طقوسهم الدينية الخاصة بهم
 المسماة EL Rito Mozarabe ، وكان لهم رجال دين محاسبون بهم يقيمون
 صلواتهم على أسلوبهم الخاص وبلغت خاصة هي عجمية أهل الأندلس ، وهي
 خليط من الإيبيرية الرومانية القديمة واللاتينية الدارجة والنوطية والعربية ، ثم
 ألفت هذه الطقوس لها بعد ، وفرضت الطقوس الكاثوليكية واللغة الكاثوليكية
 على نصاري إسبانيا جميعاً .

(1) انظر : ميجويت : نفس المصدر ، ص ٦٦ من المقدمة .

LEVI - PROVENÇAL, *His. de l'Espagne Mozarabe* (2e. éd.) t. pp. 74 - 75.

ويبدو أن هذه التسمية كانت شائعة على السن نصارى الأندلس فقط ، وأن استعمالها في إسبانيا النصرانية لم يبدأ إلا عندما استولى ملوك النصارى على بلاد فيها إسبان نصارى مستعربون ، لأن إحدى الوثائق التي صدرت عن الإمبراطور الفونسيو السابع حوالي سنة ١١١٨ تقول : *quos vocabunt Mozarabes* (= الذين يسمون مستعربين) ، وفي خطاب وجهه البابا بوجيون الثالث إلى أهل طليطلة سنة ١١٤٦ م (سقطت طليطلة في أيدي النصارى سنة ١٠٨٥ م) يقول : *quidam Muzarabes Nuncupantur* (= أولئك الذين يسمون مستعربين) ، وجاء في تاريخ حياة القديس تيوتوليوس *Teodosius* التي كتبت في نفس العصر : *quandam christianorum gentem quos vulgo mozarabes vocant* (= وأولئك الفر من المسيحيين الذين يسمون في اللغة الدارجة مستعربين) وفي منشور صدر عن الإمبراطور الفونسيو السابع إلى أهل وادي الحجارة سنة ١١٢٢ يقول :

ad vos totos christianos Muzarabis quos ego traxi cum dei auxilio de potestate arracemoram

(= إليكم يا جميع النصارى المستعربين الذين استخلصتهم بفضل الله من سلطان العرب) . وتصوص ذلك العصر كله لفرق بينهم وبين نصارى قشتالة والمترجمة نظرياً وانحفاً كما رأينا ، بل كانت التصوص تؤكد اختلافهم عن بقية النصارى في طقوس العبادة ، بسبب اختلاطهم بالعرب واستعراجم ، فقد جاء في كتاب عن الراهب شيمينيوس أسقف طليطلة : *Ergo ejusmodi homines quod arabibus permixti viverent Mizarabes appelati sunt et illorum ecclesiasticus ritus officium Mizarabum* (= وطفاً يسمى الناس السطين عاثلوا مع العرب مستعربين ، وطقوسهم الكنسية تسمى السطقوس المستعربية) (١) .

(١) أورد هذه التصوص كلها سيموت في مرجعه الذي أشرنا إليه (ص ٨٠ وما يليها من المقدمة) وقد جرت عادة المؤرخين المحدثين على تسمية العن التمة من النصارى الذين عاثلوا في خلال الحكم الإسلامي بالمستعربين ، وهي تسمية خاطئة كما رأينا . وأول من وقع في ذلك الخطأ هو :

وعلاّما القرن الثاني عشر ظهرت الكلمة في وثائق النصارى الأندلسيين في البلاد التي استولى عليها النصارى ، وكانوا يكتبون هذه الوثائق بالعربية ، فكانوا يقولون مثلاً : « دون يوان مستعرب » (= السيد خوان - أيام العرب كان يسمى يحيى - المستعرب) . وفي بعض الأحيان كانت الكلمة تكتب بصيغتها العجمية ، مما يدل على أن اللفظ لم يكن يكتب قبل ذلك بالعربية ، فقد جاء في إحدى الوثائق « دون يوان - مستعرب » . ولكن الأغلب أن ترد الكلمة في هذه الوثائق في صورتها العربية الصحيحة : « دون بقرّه بن مرتين مستعرب » و « دون لب بن بيطرة مستعرب » و « . . من كبار مدينة طليطلة من المدرجين والمستعربين والنشّاتنين » و « دون دُينته (Domingo) ابن بيطرة الذي كان أميناً للحصارين » . بل كانوا يستعملون اللفظ في صيغته الإسبانية : « . . بقرية عين الديك المسماة بيال دي مستعربش في تيشلة مدينة طليطلة » ، أي أن قرية عين الديك كانت تسمى Val de Mozarabes (وادي المستعربين) في ناحية طليطلة⁴¹ .

وإذاً فلفظ مستعرب لم يستعمل عند حرب الأندلس بصورة رسمية ، وإنما كان الجاري قوامه : « العجم » أو « النصارى » أو « نصارى التّمة » ، تفرغاً لهم عن أصلهم منهم حديثاً (الأسمالة والمسالة) أو أبناء هؤلاء (المولدين) .

⁴¹ سيمونيت نفسه ، فإنه لم يعن بقراءة تاريخ هذا اللفظ ، وإن كان هو صاحب الفصل في اكتشاف أصله العربي ، فقد كان التمس قبله في حوزة من هذا الأصل ، وجمعه بعضهم محرراً عن Mozarabes أي المختلطين بالنسب . ونلاحظ أننا نقرا اللفظ « مستعرب » بكسر المراء وصحة غنما ، لأن أهل الأندلس كانوا يقولون « موزاراب » لا « موزاروب » . وقد جرى عمل من الخطأ نفس الأندلس الإسلامي مستعربين ليحيى برونشال ورويندورو دي لاس كايخاس وفيه مؤرخي إسبانيا الإسلامية من الأوروبيين . وقد عينا نحن هنا بالبحث عن هذا اللفظ في كتب المسلمين فلم نجده ، فراجع لدينا أنه كان لفظاً تاريخياً جرى على لسان الناس في الأندلس للدلالة على الذين سكنوا مستعربوا مسلماً وأسلوب حياة ، وأنه لم يظهر في الكتابات إلا من الفترة التي عشر الفلاحية أو اواخر الخدي عشر على الأكثر ، ظهر في الكتابات اللاتينية أولاً ثم انتقل إلى كتب الإسبان أنفسهم كما هو وارد في النص .

F. J. SIMONET, *Op. cit.* pp. XIV - XV.

(٤١)

فاين حيان يقول : « حصون المسألة والنصارى » و « تحزبت المسألة مع المولدين » ، وابن الأبار يقول : « نصب عل المولدين والمعجم منه » .

ويبدو أن الاستعراب كان يسبق الإسلام في معظم الحالات ، فقد اختلط « المعجم » بالمسلمين وأخذوا لغتهم وأسلوبهم في الحياة ، ثم كان يسلم منهم من يسلم شيئاً فشيئاً ، بل كان بعض أولئك المعجم ما يكادون يسلمون حتى ظهروا تسويماً في العربية ، بل منهم من تفوق في الفقه ، فقد جاء في « تاريخ علماء الأندلس » لابن القزويني في ترجمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، من أهل أشبيلية أنه كان « من مسألة النعمة ، فعلاً أشبيلية علماً وبلاغته ولساناً ، حتى شرفت به العرب ، فلما حدثت النائرة بينها وبين الروالي قتل يومئذ ، وذلك سنة ٢٧٦هـ (١) .

وكان هذان الفريقان : أهل النعمة والمسألة ، ثم ابتازهم من المولدين ، يكتسبون معظم سكان الأندلس ، ابتداء من نهاية الفترة التي نتحدث عنها . وكان عدد أهل النعمة أكثر بكثير من المسألة والمولدين أول الأمر ، ثم لم يزل عدد هؤلاء الآخرين يزيد حتى أصبحوا معظم سكان الأندلس .

١٨٩ - المسألة
والمولدون
فأما عن المسألة والمولدين فتواضع من التصور أنه لم يكن هناك فرق ما بين وضعهم العام ووضع العرب والبربر المسلمين أصلاً ، فقد كان التمي إذا أسلم انتقل إلى وضع المسلمين دون تفرق أو تمييز ، وهذه ظاهرة أخرى يختلف فيها الأندلس عن سائر نواحي الدولة الإسلامية ، بل ليس لدينا دليل واحد على أن الأندلس عرفت التمييز بين الصلح والعترة . نعم شرع بعض الولاة في إحصاء نواحي الأندلس وتعرف ما فتح منها صلحاً وما فتح عترة ، كما سنرى ، ولكن هذه العمليات لم تتم ، وبقي الحال في الأندلس ميبهاً في هذه الناحية ، فأصبح غير المسلمين كلهم نعمة دون تمييز ، ومن أسلم منهم دخل المجموعة الإسلامية ، وتلاشى كل شيء يتصل بأصله تماماً . وربما كان السبب في ذلك هذه الغلظة التي سادت عصر الولاة كله ، فلم

(١) ابن القزويني : علماء الأندلس ، ترجمة ٦٤٧ .

يشع وقت الولاية لتنظيم شيء أو لتحديد وضع ، فسارت الأمور على عوارها ، وسرى مصابيق ذلك في كلامنا عن الإدارة والمال في الفصل التالي ، وستبين أن ذلك كان من حسن حظ الأندلس ، ورب خسارة نافعة ! فلو أن جهيلة ، الولاية والمصال عملت في هذا البلد عملها الذي عملته في غير الأندلس من بلاد الإسلام لما أسلم أهله واستعربوا بهذه السرعة ، ولما كانت لأهله هذه الصفحة المشرفة في تاريخ الإسلام .

وربما كانت الجماعات الأولى من أولئك الذين أسلموا من العيد ورفيق الأرض ، فقد رأينا أن إسبانيا القوطية ضمت من الأولين آفاقاً كثيرة ، ثم إن حالة رقيق الأرض كانت من سوء بحيث بدأ الإسلام لأولئك الناس وكثأته خلاص من القناب والشفاء . وسرى أن الجلبات في الأندلس كانت أخف بكثير من مثيلاتها في الأمصار الأخرى ، وأن أهل الأرياف كانوا أحراراً ، سواء أسلموا أم لم يسلموا ، وأنهم تمتعوا في ظل هذا العهد الجليل الذي طلع عليهم بأمان ورفاهية لم تعرفها أوروبا إلى أواخر القرن العاشر الميلادي على الأقل .

١٩٠ - داي كان أولئك المسألة والوردون إذاً من طبقات اجتماعية شتى بروفسان قبل إسلامهم ، كان منهم العميد ورفيق الأرض والزرايع وأهل المدن بشي صنوفهم : الأشراف والأوساط وأهل الأسواق ، وكان فيهم موال وغير موال ، فتسلطوا جميعاً في رحاب الإسلام . وجدير بنا أن نلاحظ أن الأندلس لم يعرف التشدد والتعصب حتى إمارة الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، عندما قامت دولة الفقهاء وتسلطوا على العامة وتصيبوا أنفسهم حكاماً إلى جانب الأمراء . ويؤيد الأستاذ ليني بروفسان ما ذهبنا إليه من إقبال أهل الجزيرة على الإسلام ويقول : « وقد أصبح نصر من أبناء أولئك المسلمين الجدد من مياسير أهل الطبقة الوسطى ، بل منهم من أصبحوا سادة أفتياء عن طريق التجارة أو الزراعة ، وقد مضوا في هذا المضمار حتى غاب عنهم أن أجدادهم كانوا مستقرين في إسبانيا قبل الإسلام بزمن طويل ، وذهب بعضهم إلى ادعاء نسب عربي - دفعوا في تلبفقه ملاً كثيراً - يسمح لهم بالتزهب بأبهم من أصول عربية ، واحتفظ بعضهم بعد إسلامهم بأسمائهم القديمة ، وظلوا يعرفون بها

مثل بني أنجيلينو Angelino وبني شيرينج Savarico الأشيبيلين ، ولما بعد ذلك بزمن طويل ، بني لنتج Longo وبني القبطرنة Kabauno وآخرين كثيرين . ولقد فخر أحد مؤرخي إسبانيا الإسلامية ، وهو ابن القوطية ، الذي عاش في القرن العاشر الميلادي ، بأصله الذي يرجع به إلى بيت الملك غيشتة ، وهذا هو السبب في تلقبه بابن القوطية . ولكن الذي كان يحدث في غالب الأحيان أن التزاوج بين المولدين والمسلمين الداخلين كان يقضي عند بيوت هؤلاء المولدين على ذكريات أصولهم الإسبانية البعيدة . وقد حدثت على عجل حركة اختلاط بشرية واسعة المدى بين عناصر سكان أهل الجزيرة الأندلسية ، وأصبح من العسير شيئاً فشيئاً تمييز أهل البلاد الأصليين من الداخلين عليهم .

« ومنها يكن من أمر فاته - حتى في حالة أولئك الإسبان الذين تخلوا عن دين آبائهم واتخذوا أسلوب حياة المسلمين الداخلين ، واندرجوا في نطاق نظامهم الاجتماعي - لم يفقد المولدون أبداً شخصيتهم الخاصة بهم . وإنه يرجع إلى وجود أولئك المولدين في ذلك البلد - ووضعه منطرف وجزري منزول بالنسبة إلى بقية بلاد الإسلام - أن تميز الأندلس في فواجر كثيرة بأنه قطعة فريدة في بابها في عالم الإسلام ، سواء أكان ذلك التفرّد في صور حياته السياسية أو كان في مثله الأصل الحضاري والثقافي . ومن المهم ألا ننسى أنه ابتداء من القرن الثامن (الميلادي) أو التاسع على الأكثر ، حتى القرن الخامس عشر ، لم تكن اللغة العربية قط هي اللغة الوحيدة المستعملة في الأندلس ، وأنه كانت هناك عناصر كثيرة من سكانه تتحدث بلهجات دارجة عجمية مشوبة بالإيبيرية والعربية ولكنها مشتقة قتل كل شيء من اللاتينية ، وليس هناك ما يجمع من القول بأنه لى عصر متأخر من عصور التاريخ الأندلسي ، غلبت على ألسنة أهل الأندلس وطائفة عامة إسبانية^(١) في كليل مكان تقريبا ، ولتحدث بها الناس أكثر مما كانوا يتحدثون بالعربية ، ومن الطبيعي أن يكون ذلك الظهور في الأرياف منه في

(١) استعمل المؤلف هنا لفظ *romance* اللاتيني . والتعريف كانت لغة دارجة مستعملة في البلاد التي عمل سرائر - البحر الأبيض كلها ، وكانت جارية على ألسن التجار واللاحين في نواحي هذا البحر كلها .

المدن ، وقد غلبت هذه الرطانة بصورة أوضح على المنهجية البربرية^(١٦) .

١٩١ - لره في وفي موضع آخر من « تاريخ إسبانيا الإسلامية » يقول ليفي
أجناس سكان بروقتسال: « ونعطينا عبارة لم تشر بعد لمؤلف أندلسي تجهل
الأندلس اسمه ، أوردنا في سياق رسالة قديمة عن كبار بيوت أهل
فلس^(١٧) بياناً بالغ الغرابة عن التكوين البشري للمجتمع الأندلسي وعن
الخصائص كل عنصر من العناصر التي كان يتألف منها السكان المسلمون في
الجزء الذي ساءه الإسلام من شبه الجزيرة في نهاية الخلافة شيء من الأعمال
الزراعية أو الصناعية البدوية : ويمكن تقسيم هؤلاء السكان بناء على ما ذكره

(١٦) LEVI - PROVENÇAL, *Hist. de l'Espagne Musulmane* (2e. éd (Paris, 1950)
Vol I, pp. 76 - 77.

وقد خلق المؤلف على هذه العبارة في الغمض بالاكسارية إلى ما سبق أن ذكرناه من قول ابن حزم
أن عرب دارين شمالي قرطبة كانوا إلى حصره لا يتكلمون « اللطينية » (المجلد ١١٥) كما يدل
على أن ذلك العربي من العرب كان فيضاً نادراً .

(١٧) اسم هذا الكتاب « ذكر مشاهير أهل فلس في القديم » ، وقد ألف في القرن الخامس عشر .
انظر :

LEVI - PROVENÇAL : *Islam d'Occident* 1, p. 39 note 45.

وتوجد نسخة من هذا المخطوط في المكتبة الشريفة في رباط (وتم ١٣٩٤) والنص المشار إليه
في الورقة ٢١ .

وإليك نص التعليق الذي يثير إليه بروقتسال في هذا الرجوع : ورد هذا المخطوط من مكتبة
البحر العلمية المتدعة في مراكش ، وهو موجود في المكتبة الشريفة في رباط تحت رقم ١٣٩٤
(D. 1394) وقد نسب هذا المؤلف الصغير إما إلى عبد القاهر القاسمي الثوري سنة ١٠٩٠ هـ /
١٦٨٠ م - انظر عنه كتابي (كتاب بروقتسال) تاريخ الشرفاء . *Historiens des Chérifs*, pp. 265 -
266 أو إلى أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر مؤلف كتاب « روضة السنين » الثوري في فلس
عام ٨٠٧ / ١٤٠٤ - ١٤٠٥ . ويبدو أن نسبة الكتاب إلى المؤلف الثاني أقرب إلى المعقول ،
يشروط أن يفهم أن الأسماء المتعلقة بحواضن حواضن وقعت بعد وفاة ابن الأحمر قد أصبحت قريبا بعد ،
وهي إشارات كثيرة تتعلق بحواضن القرن التاسع الهجري . انظر :
عبد الحفي الكفاي : *فهرس القهارس* ، فلس سنة ١٣١٦ للهجرة ، ج ١ ، ص ١٠١ .

Actes du VIIIe. Congrès de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, dans Hespéris,
t. XIX, 1934 p. 196.

ولد انطلاقا على هذا المخطوط والتقرة المشار إليها ولقدينا أزمانا فيها في القرن .

ذلك المؤلف المجهول إلى أربعة أجناس : البربر الذين دخلوا الأندلس من المغرب أو إفريقية ، وأهل البلاد من النصارى الذين دخلوا الإسلام ، واليهود الذين أسلموا ، ثم - بطبيعة الحال وفي المكان الأول - العرب ، ويقسمون الماشعرون وبقية العرب اللذين هاجروا إلى الأندلس من جزيرتهم بكل جزائريتهم (- أصولهم) . وقد انضفت لكل من هذه الأجناس جماعات من التوابع .^(١)

و استناداً إلى المعلومات التي يوردها هذا المؤلف ، كان العرب اللذين دخلوا إسبانيا من الحجاز أو اليمن أو الشام أو مصر أو ليبيا أو إفريقية وحتى من السوس الأقصى ، يتجمعون في المدن الكبيرة ، حيث كانوا يتحننون قسراً المستطاع الاشتغال بالحرف البسيطة ويحتلون أعلى الوظائف في عددة الدولة أو القضاء ، واشتغل بعضهم بالتجارة أو عتوا باستثمار أراضيهم . وليس في هذه العبارة - أي عبارة المؤلف الأندلسي - شيء جديد لم تكن نعلمه . ويكفي أن نلقي نظرة على خريطة توزيع السكان في الأندلس في القرن التاسع ، لكي تبين أن المهاجرين العرب لم يعتقدوا صفة عاصمة عندما استقروا في الأندلس في المناطق الأوفر غنى أو الأكثر خصباً أو التي حينها الطبيعة بخيراتها من الجزء الساحلي والذي يليه إلى الداخل في جنوبي الجزيرة أو شرقها . لقد كانوا يختصون أنفسهم في هذه التواصي بأحسن الأراضي ، ويضمنون لأنفسهم بذلك دخولاً تسمح لهم بالعيش عن سعة سواء في ممتلكاتهم ، أو - وكان هذا هو الأغلب - في عواصم التواصي أو في كبل المدن ، وخاصة أشبيلية وبلنسية وسرقسطة ، وحتى في العاصمة (قرطبة) في القرن العاشر ، إذ اجتذبهم إليها لطائف الحياة الترفهة التي كان يجامها أشرف قرطبة حول بلاط الخليفة^(٢)

وقد عاد بروئنسال ففسر كلام ذلك المؤلف الأندلسي وذهب إلى أن سكان الأندلس ينقسمون ، بناء على ذلك الكلام ، كما يلي :

LEVI - PROVENCAL, Op. cit III pp. 172 - 173.

(١)

(أ) أبناء الإيبان الذين دخلوا في طاعة المسلمين صلحاً ودخلوا في الإسلام وأقاموا في مواسمهم التي كانوا فيها .

(ب) أبناء الإيبان الذين دخلوا في طاعة المسلمين عنوة ، فأصبحوا بحكم الفتح أسرى ثم أسلموا وأقاموا في مواسمهم .

(ج) أبناء المستعربين الذين أسلموا بعد الفتح ، وأبناء أسرى التنصاري الذين أنت بهم الفتح والغزوات ، ثم اعتنقوا الإسلام واستقروا نهائياً في الأندلس^(١) .

ثم قال : « إن هذا التقييم يبدو مطابقاً للواقع إذا عرفنا أن دخول الإسلام لا يستوعب من تلقاء نفسه المساواة في الحقوق الكاملة بين من أسلموا صلحاً ومن أسلموا عنوة . وعلى أي الأحوال ، فقد انحصر أولئك المسلمون الجدد - الذين كانوا يعرفون كبا وأبنا بصورة عامة بالمولدين والمسألة (أو الأسئلة) ، وبحسب هذا النص - على تربية الماشية والزراعة في الأرياف وعلى صيد السمك والأعمال البحرية على الساحل . أما في المدن فقد زاولوا ، هم ومواليهم حرفاً وأشغالاً يدوية واشتغلوا كذلك بالتجارة الصغيرة ، وذلك كله على وجه التقريب . وهذه الملاحظات ، مهما بدا لنا من قلة أمثلتها لا تخلو من قيمة . فهي تؤكد الدور العظيم الذي قام به المولدون - الذين كانوا يؤلفون أكثر أهل الأندلس من ناحية العدد والأهمية - في الحياة الاقتصادية في البلاد ، فقد كانوا في هذه الناحية أوفر العناصر نشاطاً وأكثرها تلازماً مع ظروف الحياة في شبه الجزيرة ، مثلهم في ذلك مثل المستعربين ثم البربر إلى حد معين . وقد عد الأيوبيون (الأندلسيون) على أحسن صور الحكمة السياسية عندما شجعوا هذه العناصر على النهوض ، وذلك بإطلاق الحرية للكثيرين منهم في أن يتصلوا ويندرجوا أكثر في الجماعة الإسلامية ، حيث كان العنصر الفاتح يكرّم أرسطراطية قليلة العدد جداً . وكذلك دل الذين سبقهم إلى حكم الأندلس في القرن الثامن على مقدرة سياسية عندما احتضنوا المولدين ، فحلوا - على الصورة

LEVI - PROVENÇAL, Op. cit. III p. 180.

(١)

الوحيد المعقولة - تلك المشكلة التي واجهتهم كما واجهت غيرهم من حكام المسلمين في كل البلاد التي استقر فيها أمر الإسلام ، وذلك الخلل هو السيطرة - بمساعدة سادة البلاد القدماء أنفسهم - على بلاد واسعة لم يكن الفاتحون وحدهم يملكونها من قوى الاحتلال ما يكفي للمحافظة عليها ولتواجهة موقف المنداء الذي تقدمه أهل البلاد الذين كانوا ينتظرون أول فرصة ليتحرروا من سلطان كانوا يرون أنه يجاوز حد الاحتمال^(١٦) .

١٩٢ - هنا هذه الأحكام العامة كلها لا تخلو من أخطاء : فأما عبارة ذلك
 هذه الأراء والأحكام
 المواقف الجهور فواضح أنه لم يعتمد فيها على معرفة صحيحة بأحوال الأندلس خلال تلك العصور الأولى ، فلم يكن سكان الأندلس يتألفون من العناصر الأربعة التي ذكرها أولاً وهي : العرب والبربر والتصاري واليهود الذين أسلموا ، أو من العناصر الثلاثة التي ذكرها ثانياً وهي : الإسبان الذين فتحت نواحيهم صلحاً ثم أسلموا ، والذين فتحت نواحيهم عنوة ثم أسلموا ، ثم أبناء المستعربين الذين أسلموا بعد الفتح ، ويضاف إليهم أولاد أسرى الغزوات والفتوح الذين استقروا في الأندلس .

فأما تقسيمه الأول فواضح منه أنه أسقط التصاري الذين ظلوا على دينهم ، وكانوا كما سنرى يمثلون نسبة عالية من سكان البلاد ، وأما تقسيمه الثاني فظاهر أنه مضطرب غير مستقيم - ثم إن تفرقه بين من فتحت نواحيهم صلحاً ومن فتحت نواحيهم عنوة لا محل له هنا ، فإن مسلمي الأندلس لم يستطيعوا أبداً تمييز أرض صلح من أرض عنوة في هذه البلاد ، وانتهى بهم الأمر إلى اعتبار من أسلم منهم جميعاً مسلمين ينتصون بنفس الحقوق ، ومن لم يسلم منهم أهل ذمة ، ويطبقوا عليهم أشراف الشريعة في أبسط صورها . ويتخي أن نلاحظ أن صدر الإسلام لم يعرف ما عرفته العصور المتأخرة من مضايقات أهل الذمة ، كاختصاصهم بملاص خاصة وتمريم ركوب بعض الدواب عليهم وما إلى ذلك ، إنما كان الإسلام إذ ذلك سمحاً طلقاً يشرك الناس

وشأنهم ما أتوا الأموال المقرضة عليهم ، وهذه الساحة هي التي حيت الناس فيه وجعلتهم يلبون عليه ، وكأننا اجتلبهم إليه عدم إصرار المسلمين الأول على إدخالهم في الدين ، فلما أقبل الفقهاء وأخذوا يقتنون ويشرعون ويخرجون ويستعينون بالعوام على إقامة جهه ثم لا يقل عن جهه الدولة - إن لم يزد عليه - ظهرت هذه المضايقات التي ازدادت ثقلًا كلما بعد العهد بساحة الإسلام الأولى وبساطة من حملوا لواءه . وكلما زاد الفقهاء أثقالاً على من بقوا على دينهم من أهل البلاد ازدادوا تمسكاً به ونفوراً من الدخول في الإسلام ، لأن المسألة لم تصبح مسألة دعوة سحرية وإنما تمهداً وتهديداً ، والتعدي من جانب بيعت تمهداً في الجانب الآخر كما يقول أرتولد تونزي في حراسته الجليلية للتاريخ .

وأغلب الظن أن أحكام هذا المؤلف مستقلة من بعض افتراضات المؤرخين المتأخرين ممن كانوا يشظرون في كتب الفروع والأحكام والفتاوى ويستخرجون منها أحكاماً يظنونها على الماضي ، ظناً منهم أن الإسلام كان هكذا دائماً ، أو رغبة منهم في توجيه سياسة أهل الحكم في أيامهم حيال الذميين وجهة خاصة بالترحم بأن ذلك كان الحال أيام « السلف الصالح » .

١٩٣ - هل كان العرب أرسطراطية
مرفضة عن غيرهما
في الأندلس ؟

ولقد تابع بروقتسال هذه الآراء فقال بأنه كان هناك في الأندلس تمييز بين أهل الصلح وأهل العنوة ، وسرى أن شيئاً من هذا لم يكن في الأندلس ، ثم اعتبر اليهود جنساً قائماً بذاته ، ولم يكونوا إلا فئة اندرج معظمها في عداد المسلمين . ثم ذهب يقول من عنده إن العرب كانوا يكتنون أرسطراطية خاصة ، والواقع أنهم لم يكونوا كذلك ، وإنما كانت الأرسطراطية الحثيضية في بيوت الموالي ولم يكونوا عرباً على ما رأيتنا في الفصل السابق ، وقد غلب الجلاء والسلطان في هذه البيوت إلى آخر أيام الخلافة الأموية ، أما العرب فقد اندرج منهم في أهل البلاد من اندرج ، وبقي منهم في العواصم نفر يظلمون العيش كثيرهم ، وبقيت منهم في الأرياف جماعات معضطة بأراضيها كما احتفظ غيرهم من غير العرب بأراضيهم ، فيها عدا حرب الكور الجندة ، وكان هؤلاء وضع خاص كما سنرى ، إذ كانوا

نواة القوة العسكرية للدولة أول الأمر ، وكان لهم من الاعتبار والاعتزاز بأنفسهم ما كان لأتباعهم من العسكريين في كل مكان في تلك العصور . وعندما استبدل أمراء بني أمية جند الصفالية بجند العرب وجعلوا أولئك الصفالية نواة جيشهم انحدر جند العرب إلى المكان التالي ، فأحفظهم ذلك ، وكان من أكبر أسباب الفتنة الكبيرة التي أشعلت العرب نارها من لوائيل حكم الأمير عماد إلى لوائيل عهد الناصر . ويلاحظ بصفة خاصة أن ثورة العرب هذه وخطبهم على الأمراء ، الذين أحلوا غيرهم مكانهم في الجيش واعتمدوا على الموالي في شؤون الدولة ، كانتا السبب الأول في اتجاه العرب إلى أدنى المولدين والعجم ، وهذا الأدنى بطوره هو الذي روج هؤلاء واستنصهم إلى المقاومة ، فكان ذلك عصب ثورة عمر بن حفصون وغيره ممن قادوا ثورات المولدين ومن انضم إليهم من نصارى الذمة ، ولم يكن سبب ثورتهم سوء المعاملة أو قتل الجبايات ، ولم يكتفوا بتظرون أول فرصة لتحرر من نير كانوا يرون أن احتماله يمازج الطائفة كما قال بروفنسال .



١٩١ - لعل
الذمة
من الطبيعي أن يكون أهل الذمة معظم أهل الأندلس الإسلامي خلال السنوات الأولى التي أعقبت الفتح ، وأن يظل عددهم شيئاً فشيئاً ، كلما قدم عهد الإسلام في البلاد حتى يصبحوا أقلية بالنسبة إلى العرب والبربر والمسألة والمولدين . ولقد بينا فيما سبق كيف أنهم كانوا يعيشون على اتصال مباشر بالمسلمين ، ما بين عرب وبربر في الريف والمدن ، وأشرنا كذلك إلى أن التمييز الواضح بينهم وبين المسلمين في الوضع والمعاملة ، لم يظهر إلا في عصر متأخر ، عندما تمكن أمر الفقهاء ووضعوا ما شاعوا من القيود لا على الذميين فحسب ، بل على المسلمين أيضاً .

ولقد أعطى كثير من الباحثين الذين تعرضوا لدراسة أحوال الذميين في الأندلس وغيره من بلاد الإسلام ، عندما التمسوا الحدود والقواعد التي وضعت لهم من كتب الفقه والظلم الإسلامية ، وفاتهم أن هذه الكتب كلها وضعت في

زمن متأخر عن عصر صدر الإسلام ، فهي لا تمثل الوضع في صدر الإسلام ، بل هي لا تمثل الوضع في العصور التي كتبت فيها ، فالكثير مما تحويه من قواعد وأحكام إنما تمثل « أماني » مؤلفيها ، وما كانوا يرون أن يكون عليه أهل السلطة بحسب ما انتهى إليه تصورهم وتفسيرهم للآيات والأحاديث وأراء كبار الأئمة . ونحن إذا قرأنا اليوم كتاب « الحراج » لأبي يوسف أو كتاب « الأموال » لأبي عبيد أو « الأحكام السلطانية » للماوردي إنما ندرك أن ما في كتبهم إنما هو « لقتل الأهل » للنظام الإسلامية كما ارتأه أولئك الفقهاء ، وليس هناك مؤرخ عاقل يقول بأن هذا هو النظام الذي كان جارياً بالفعل : إذ الواقع أن أحوال المسلمين كانت أسوأ بكثير ، وأحوال الذميين أحسن بكثير مما في هذه الكتب ، وكان هدف الفقهاء من هذه المبالغة هو طلب الرفق بالمسلمين والتشديد على الذميين ، حساباً منهم أن هذا يسرع بإسلامهم ؛ ولم يتحقق شيء مما وجوه : لا للمسلمون نعمت أحوالهم ، ولا للذميين أسرع إسلامهم .

١٩٥ - وضع ولقد رأينا فيها سبق كيف كان لون العلاقات بين كبار عرب
الذميين
في التصحیح
الأندلسي
صداقة بين الجانيين لا سيادة جانب على جانب ، وأن ميمون
علاء هذه الفترة العابد ، وكان قطعاً من أقطاب الإسلام الأندلسي في ذلك
العصر ، ذهب يطلب إلى هذا الذمي قطعة أرض ليزرعها على أساس المزارعة ،
أي اقتسام الثمر بينه وبين صاحبها ، ولو أن العرب كانوا خاصيين مستبدين -
كما زعم عافير سيمونيت وإيزيدورو دي لاس كاليجاس - لما احتاج هذا الرجل
إلى أن يطلب أرضاً من أرطياس على هذه الصورة .

ولا نزاع في أن العرب لم يمسوا التصاري الذين صالحوا على أنفسهم
يسوء ، فقد روى صاحب « فتح الأندلس » أن موسى بن نصير رأى النبي صل
الله عليه وسلم أثناء هجروه إلى الأندلس فنصحه « بالرفق بالشركيين »^(١) ، وهي
رواية أسطورية في الغالب ، ولكنها على أي حال تدل على اتجاه المسلمين حيال

(١) فتح الأندلس ، ص ٥ .

غير المسلمين أثناء الفتح وبعده بقليل . وما يزيد ذلك عبارة الرازي بقولها في سياق الحديث عن لم عاصم (إيلونا) زوج للمريق : « وكانت قد صالحت عن نفسها وأمواها وقت الفتح ، وصامت بالجزية ، واتممت على غيرها في ظل نعمتها ، إلى أن تكلمها الأمير عبد العزيز فحفظت عنده ، ويقال إنه سكن بها في كنيسة بأشيلية»^(١) : مما يدل على أن من كان يصالح على نفسه من النصراري ويقبل دفع الجزية كان يضمن حرية دينه والبقاء « في ظل نعمته » . وسرى أن ذلك كان صحيحاً في جلته وتفصيله ، وأن كل ناحية من نواحي الأندلس صالحت على نفسها بمعاهدة خاصة ، وأن هذه المعاهدات اختلفت فيما بين بعضها وبعض ، من حيث الصيغ والتفاصيل واتفتت في الروح والأساس . بل إننا نلاحظ أن الفاتحين كانوا يتصرفون تصرفاً واسعاً فيما يحتفلونه من عهد مع أهل النواحي ، بل ذهب بعضهم إلى حد « الابتكار » الذي يعجز ما تبيحه السوابق والقواعد ، ومن أمثلة هذا ما يرويه صاحب فتح الأندلس من أنه « عندما وصل موسى إلى الفتح المنسوب إليه انقطع إليه ذلك الموضع ، فأنقروهم على حالهم ، فسماوا موسى»^(٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما حكاه الرازي عن فتح طارق لأستجة ، قال : « ثم نازل أهل أستجة ، وهم في قوة ومعهم قتل عسكر لطريق ، لقاتلوا قتالاً شديداً ، حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ، ثم إن الله تعالى أظهر المسلمين عليهم ، فانكسروا ، ولم يلق المسلمون بعد ذلك حرباً مثلها ، واناموا على الامتناع إلى أن ظهر طارق بالملج صاحبها ، وكان مغتراً من التندبير ، فخرج إلى النهر ليحضر حاجاته وحده ، فصادف طارقاً هناك قد أن لمل ذلك ، وطارق لا يعرفه ، فوثب عليه طارق في الماء ، فأخذ وجاء به إلى العسكر ، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة ، فصالحه طارق على ما أحب ، وضرب عليه الجزية وخل سبيله ، فوفى بما عاهد عليه .. »^(٣) . وقد كان المسلمون يحرصون على

(١) رواد القرري في فتح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٢) فتح الأندلس ، ص ١٤ .

(٣) القرري : فتح ، ج ٢ ، ص ٢١٣ - ٢١٤ .

الوفاء بمهودهم ، حتى في الحالات التي يبدو لهم أنهم خدعوا فيها ، كحالة تدمير الذي احتال على جند المسلمين بحيلة بارعة فصلنا أمرها في كلامنا عن الفتح ، وقد وفق المسلمون رغم ذلك لتدمير ، قال الرازي : « فمضوا على الوفاء له ، وكان الوفاء عادتهم »^(١) .

١٩٦- عهد . وقد ضاعت نصوص معظم المعاهدات التي عقدتها المسلمون للمسلمين للتواصي مع ما فتحوه من التواصي ، ولكن بقي لنا النص الكامل لمعاهدة عبد العزيز بن موسى مع تدمير وقطعة عامة من عهد موسى بن نصير لأهل ماردة أوردها الرازي في القطعة الباقية من ناريخه في ترجمتها الإسبانية ونصها : « ... فذهبوا (يريد أهل ماردة) إليه ، وقالوا إنهم يتركون له كل ما كان لمن مات منهم ومن جرح (في القتال بينه وبينهم) وممتلكات الكنائس وما فيها ، وكذلك ما تحويه من الأحجار الكريمة وغيرها من الأشياء الطيبة وكل ممتلكات رجال الدين . وبعد أن تم التوقيع على ذلك في عهد صحيحه (مؤكدة) فتحوا له الأبواب ودخلوه البلد وأسلموه إياها . ولم يمس المسلمون من أقاليم في البلد من الصاري بلقي ، وأما من أراد ترك البلد منهم فتركوه بمضي دون أنفي . . . »^(٢) . وأما نص الأمان الذي أعطاه عبد العزيز بن موسى لصاحب تدمير فقد أورده الطبري في « البداية » ، ووردت ترجمته الإسبانية في قطعة الرازي المشار إليها ، وقد أوردها نصه في كلامنا عن فتح الأندلس

(١) نفس المصدر ، ص ٢١٧ .

(٢) النص :

.. El fuéronse para él, et plicitaron que le dicesen todo el aver de los muertos, et de los ferdos, et de las agleñas, et de lo que en ellas estava, así como piedras preciosas et otras nobles cosas, et todo el aver de los clrigos. Et despues que esto fue firmado por buenas cartas abrenronse las puertas, et acogieronlo dentro, et entregaronlo de ella. Et aquellos christianos que la moravan non les facían mal, et los que iose querían fuerosse, et non los facían mal...

PASCUAL DE GAYANGOS, *Memoria sobre la autenticidad de la Cronica devotada del Moro Rasis*, p. 78.

وسنعرض له في الفصل التالي عن الإدارة ، وبعثنا في هذا المقام أن نلخص على ما فيه من الضمانات التي منحها للذميين .

وقد اعتمد نفر من الباحثين الإسيان في دراسة أحوال أهل الذمة في الأندلس على وثيقة تسمى « عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنصارى » . وهي وثيقة ظاهرة الوضع ، إذ إنها تشير إلى إلزام النصارى بملايين خاصة منها « الفلنسة » و « العمامة » وهي ملايين لم يعرفها المسلمون في أيام عمر رضي الله عنه ، وتحرم عليهم كذلك ركوب الخيل وما إلى ذلك ، ولم يعرف عن عمر أنه ضى النصارى عن ذلك . والحقيقة أن هذا « العهد » من وضع لقباه العصور المتأخرة ، ولا يجوز الخلاء أساساً لدراسة أحوال أهل الذمة في عصر صدر الإسلام^(١) .

١٧٧- تطور ويبدو أن مؤرخي الإسلام جميعاً ، ما بين قدامى ومحدثين ، اتعم الإسلام مسلمين وغير مسلمين ، يوجب عنهم أن النظم التي جرى المسلمون عليها في حكم الأقاليم والمعاملة التي اقتصوا بها أهل الذمة لم توضع كاملة من أول الأمر ، وإنما تكاملت شيئاً فشيئاً مع الزمن ، وانخفضت في كل مكان للظروف المحلية . ومن أمثلة ذلك أن أبا يوسف يذهب في كتاب « الخراج » إلى أن تقدير الجبايات تقديراً إجمالياً ودفيع الخراج جملة واحدة غير جائزين ، في حين أن الوثائق البيرونية التي عثرنا عليها تدل على أن حكم المسلمين جرى على ذلك أول الأمر : ففي مصر مثلاً انفق عمرو بن العاص مع مثل القبط على أن يؤدوا ما عليهم جملة واحدة تشمل الجزية والخراج جميعاً ، وقد جرى الأمر على ذلك أيام عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي السرح ، ثم

(١) نشر هذا النص المنشور في بيان في مجلة الأسيوية الفرنسية . انظر :

BELIN, *Études relatives à la condition des dissidents, et particulièrement des chrétiens, en pays musulmans, dans l'ouest. Ann. tome XVIII de la IV^e série*, pp. 126 sqq et 138 sqq .

وترجمه سيمبوليت في كتابه الألف الذكر . ملحق ٢ ، ص ٨٠٦ وما يليها .

كسائر التقسيم والتفتين بعد ذلك^(١) . بل إن تحديد معنى الجزية والمخراج غير واضح ، فتنسب الجزية في بعض الأحيان «خراج الرؤوس» ويسمى المخراج «جزية الأرض» . ذلك أن الفين عقدوا العهود مع أهل البلاد المفتوحة هم القاتلون ، وهم رجال عسكريون عمليون ، كل ما كان يعينهم إقرار الأمن وضمان طاعة البلاد للفتوح وإشعار أهلها بسماحة الإسلام وعدل الدولة الإسلامية ، ثم ضمان حق الدولة في الجبايات ، وهم غداً كانوا لا يدققون في طريقة الجباية ولا يتدخلون في شؤون أهل البلاد إلا بالقدر الذي يضمن حقوق الدولة . ولم ينتقل الأمر إلى أيدي الفقهاء والمفتين إلا فيما بعد ، وقد بدأ الفقهاء عملهم على أسلوب علمي : يسألون عن الصلح والعقود ، ويتنصسون الأحكام من القرآن الكريم والسنة ، ويتصرفون فيها بصدره من أحكام تصرفاً واسعاً ذكياً يدل على إبداع وسعة فهم ، كما ترى في موطن مالك وما استند عليه مثل سدونة سحنون : ثم مضى عهد كبار الفقهاء وأئمة الشرع في منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً ، وبدأ عهد «الفقهاء السياسيين» أي الفقهاء الذين طمحووا إلى السلطان عن طريق التقرب من الحكام حيناً أو الاستعانة بالعموم حيناً آخر لإقامة جاه يستندون إليه . ولا نجد هذه الظاهرة على صورتها الواضحة ، التي يمكننا تأريخها ، إلا في المغرب والأندلس ، وفي هذا البلد الأخير بصورة خاصة ، حيث نجد دولة الفقهاء رجباً لوجه أمام دولة الأمراء ، ونجد دولة الفقهاء تهيئ جاهها على إيمان العموم ، وتشرع بما يرضيهم ويستشير مواطنهم ، ومن هنا كانت مناداتهم بكل ما يرضي مشاعر الجماهير ، ومن ذلك التشدد مع اللعين ، وتحريض الأمراء عليهم وتحريض العامة على الأمراء إذا

(١) انظر مناقشة ذلك في .

C. H. BECKER, *Beiträge zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam* II, p. 83 sqq. 124 sqq.

- Die Einführung von Dir und Kharagland in Ägypten in *Zeitschrift der Ägyptologie*, XVIII (1904 - 1905) 300 - 319.

- *Papiri Scheit Brinkhardt*, I (Heidelberg, 1906) S. 37 sqq.

هم قريبا رجالاً منهم^(١) . وكان الفقهاء حريصين على أن يؤيدوا مذاهبيهم بتفسيرات خاصة لأحكام الشرع ، وربما ابتكروا وثائق وتسيوها إلى رجال الدولة الإسلامية الأولى ، كما رأينا في الوثيقة المنسوبة إلى عمر بن الخطاب وكما نرى في الوثيقة المنسوبة إلى عبد الرحمن الداخل وغير ذلك كثير^(٢) .

والحقيقة أن المسلمين الأولين كانوا يجرون على تسامح كريم صانعوا عن إبرك فطري أن هذه هي السياسة المثلى لاجتذاب الناس إلى الإسلام وإقناعهم بعدالة الدولة الإسلامية . وذلك أمر لا ينبغي أن ينهب عما عند التاريخ لتنظيم الإسلامية : ينبغي أن نلف عند ما لدينا من الوثائق الأصلية وشواهد المؤرخين الوثائق فيهم دون محاولة إكمال الفجوات من أحكام أبي يوسف وقدامة بن جعفر ويحيى بن آدم وأبو عبيد بن سلام .



١٩٨- المسلمون ضمن المسلمون للنصارى واليهود من أهل البلاد حريتهم ،
يدعون أهل وأدخلوهم في ذمتهم مقابل الجزية والخراج على ما تقضي به
أئمة العراق الشريعة الإسلامية . ومسترى في الفصل التالي أن المسلمين في
الأندلس لم يفرقوا كثيراً بين الصلح والعتوة ، فقال كل المسيحيين تقريباً نفس

(١) انظر مثلاً تحريض الفقهاء للعلماء على الحكم الرضي لأنه أحقق به وبيع القوس متولي المعاضدي
سألاندلس عن النصارى في المعاون والمقادير على المسلمين وأعدال الأعدال ، لأن الخطاب ،
طبعة بيروت بعتوان : أسبانيا الإسبانية ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ١٥ . وتحريض عثمان بن عبد
العزيز للأمر عند علي قوس بن ألكان سبب توليته إياه الكتابة (من الوثائق : افتتاح ، ص
٨٢-٨٣) .

(٢) ثورة سيونك عن هذه الوثيقة الموضوعة المنسوبة إلى عبد الرحمن الداخل ، وهو : باسم الله
الرحمن الرحيم كتاب أمثال الملك العظيم عبد الرحمن للبطريرك والرحمان والأيمان والنصارى
الأندلسيين أهل لشقعة ومن تبعهم من سائر البلدان ، كتبه أسانوسلام ، وشهد على نفسه أن
عهده لا يسخ ما ألقوا على ثمانية عشرة ألفاً من الذهب وعشرة آلاف رطل من الفضة
وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل ومثلها من الخيل مع ألف درج وألف بضة ومثلها من الرماح
في كل عام إلى خمس سنين . كتبه بعلبة قرطبة ، ثلاث من صفر عام الثين وأربعين وبداية ٥ .

الحقوق ، ولم يمس المسلمون من الممتلكات إلا ما كان ملكاً لبني لقرين وأقربائه أو للذين نزلوا في الحرب مع المسلمين ، وكذلك أملاك الكنيسة ، فاعتبرت هذه كلها غنيمية أخرج حرسها فجعل ملكاً للدولة ، وترك الباقي بيد من كانوا يزعمونه يؤدون عنه خراجة فيثأ للجماعة الإسلامية كلها . ولما كانت أملاك الكنيسة والبيت المالك كثيرة جداً ، فإن الدولة لم تستطع إحصاءها كلها ، بسبب إشتغال الأمراء بالحروب والفتن ، فوضع الكثير من أفراد الجيوش الغازية أيديهم على لوائح كثيرة واستقروا فيها على أن يؤدوا للدولة ما لها من مال . بل إن المسلمين أطفأوا أسرى النصراني في لوائح الخمس ليعمروها ، فكأنهم اعتبروهم مزارعين كثيرهم من استسلم وباد بالجزية والأمان .

١٩٩ - نصارى وقد ترك المسلمون نصارى الأندلس أحراراً يتقنون أمورهم على
بهاجرة
شأنهم
الأموال ، فظلوا يتصلون في أنفسهم وفقاً للقانون القوطي
القديم^(١) ، وظلت علاقاتهم بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت عليه قبل
الفتح . وكان يدير أمور الجماعات المسيحية الكبيرة في المدن والأرياف رجال من
نصارى عجم الأندلس يسمون بالقماسة ، وواحدهم قومن Cosmes ، وهو
لفظ كبير كان مقصوداً قبل ذلك على القوط ، فلما أزال العرب أمر القوط صار
القماسة من أهل البلاد ، فكان الفتح الإسلامي رد إليهم اعتبارهم من هذه
التاحية^(٢) .

٢٠٠ - الجماعات وقد ترك العرب للجماعات النصرانية نظامها اللذي الذي
النصرانية
نظم لها
كانت جارية عليه أيام القوط ، وهو نظام مدني وإداري أيضاً ،
أي أن القائمين بأمره كانوا مسؤولين عن كل ما يتصل بأمر
وعاياهم فيما بين أنفسهم ، كانوا يجمعون ضرائبهم ويؤدونها إلى بيت المال نيابة

(١) المعروف باسم Forum Judicium وفي الإسبانية Puro Juzgo ويعرف باسم Lex Gothorum أو Lex Judicium .

SIMONET, op. cit. pp. 106 - 107.

(٢)

عظيم ، وكانوا يعينون قم القضاة الذين يفضلون في منازلهم يحسب القائلون القوطي ، وكانوا يشرفون على كتابتهم ويتولون أمور قساوستها ، أي أنه وجد من أول الأمر نظامان إداريان جنباً إلى جنب : واحد للمسلمين وواحد للنصارى . أما في القضايا التي تقع بين المسلمين وغير المسلمين ، فكان ينظر فيها قضاة المسلمين ويحكمون فيها بشريعة الإسلام ، ولهذا جاء في أحد كتب الفقه الأندلسية : « ويستحب للفقاهي الجلوس للحكم في رحاب المسجد الخارجة عنه من غير تضييق عليه في جلوسه في غيرها ، ليصل إليه اليهودي والنصراني والضعيف وهو أقرب الواضع »^(١) .

٢٠١- التشريع الإسلامي والقانون القوطي
وسنرى في الفصل التالي أن مسلمي الأندلس في ذلك العصر كانوا يجهلون فيما يتصل بالتشريع والتنظيم على مذهب الأوزاعي ، وهو مذهب أهل الشام في ذلك العصر ، يعتمد على القرآن والسنة ، ويقص بحال الرأي ، فيعتبر ما فعله الصالحون من خلفاء بني أمية من الآثار الصالحة التي يمكن القياس عليها ، وقد كان العصر الأموي كله عصر فتوح وحروب وتوسع كتبت فيه المشاكل والمسائل الناجمة عن الحروب والفتوح ودخول أمم جديدة في الإسلام ، وكان لا بد من القضاء فيها برأي سريع حازم عملي ، ولهذا قيل إن فقه الأوزاعي فقه عسكري ، وكان معظم امتداد الإسلام إذ ذاك في بلاد جرى أهلها على التشريع البيزنطي أو الروماني ، فدخل تشريع خلفاء بني أمية ورجالهم الكثير من أصول الفسوزين البيزنطية والرومانية ، ولهذا قيل إن فقه الأوزاعي تأثر بالتشريع الروماني^(٢) ، وقد رفض الكثيرون من المفكرين المحدثين هذا الرأي اعتزازاً منهم بأصالة التشريع الإسلامي^(٣) .

ونظن أن الوضع في الأندلس يعطينا رأياً نافعاً في هذا الموضوع ، فيها

SIMONET, *op. cit.* p. 99.

(١)

(٢) النظر

JOSEPH SCHACHT, *The Origin of Mohammedan Jurisprudence*; 72, 288 - 289

(٣) أحمد أمين : فجر الإسلام ، الطبعة الخامسة ، ص ٢٤٨ .

نحن أمام حالة فريدة في بابها : تشريعان، ساريان جنباً إلى جنب تقرر الإدارة الإسلامية ما يصدر عنهما : تشريع إسلامي يطبق على المسلمين ، وغير المسلمين في حالات خاصة ، وتشريع قوطي وروماني نصراي يطبق على النصاري . والتشريعان سيران جنباً إلى جنب. فلذا ذكرنا أن معظم أهل الأندلس في الفترة الأولى بعد الفتح كانوا نصراي ، أي يطبق عليهم القانون القوطي ، وأن القاضي المسلم كان إذا جلس للحكم ، جلس في موضوع يصل إليه فيه النصاري واليهود ، وأنه كان يستمع إلى متخصصين قد يكون بعضهم مسلمين وبعضهم نصراي ، ويبتعد في أن يصدر حكماً يرضاه المتخصصون ويكون في نفس الوقت منسجماً مع أحكام الشريعة الإسلامية ويكون قابلاً للتنفيذ في نفس الوقت. أليس من المفقود في هذه الحالة أن يستمع القاضي وهو في مجلسه إلى ما يقوله النصراي معتمداً فيه على ما جرى عليه العمل من القانون القوطي ، ولم يكن كله متعارفاً أو بعيداً عما يقول به الشرع الإسلامي ؟ لقد كان القاضي المسلم في ذلك الحين قاضي المسلمين ، وكان يسمى لقاً « قاضي الجند » لأن المسلمين جميعاً كانوا إذ ذاك معتبرين جنداً ، ولم يسم به « قاضي الجماعة » إلا في زمن متأخر^(١)، عندما صارت الجماعة الأندلسية كلها جماعة إسلامية ، وتضاءل نفوذ « قاضي العجم » حتى انحصر على الأقلية المسيحية . وكان « قاضي الجند » هذا مضطراً إلى الاستماع إلى حجج المتخصصين ، والكثيرون منهم نصراي أو مسالمة ، ومنهم من يطالبون بحقوق أقرها لهم القانون القوطي ، فهل يستبعد والحالة هذه أن يبتعد القاضي في العثور على رأي يضمن للناس حقوقهم ويربطه بطريقة ما بأصول التشريع الإسلامي^(٢) ؟ لقد جاء في وصية عقبة بن الحجاج السلوي إلى قاضيه مهدي بن مسلم - وهي دستور القضاة في الأندلس إذ ذاك ، وكان مهدي بن مسلم من أبناء المسالمة ، أي من المولدين ، أي نشأ في بيت يتحدث أهله بالعجمية ويحبرون على ما جرى عليه قلوبهم من قوانين

(١) السامي - تاريخ فضاء الأندلس ، ص ٢٦ .

(٢) راجع ما يقره جوزيف شاميت عن فقه الأوزاعي . وحركة إبطال بعض قواعد التشريع التي وضعها المسلمون في البلاد الفتحية في اللغة الإسلامي :

JOSEPH SCHLACHT, op. cit. pp. 288 - 289.

القوط : ه . . . وأمره أن يساوي بين الخصوم ينظره واستنهاه ولطفه وخطه ، وأن يفهم من كل أحد حججه وما يبذل به ، ويستأنى بكل شيء اللسان ناقص البيان ، فإن استقصاه الحجة ما يكون به لحن الله تعالى قاضياً والمواجب فيه راعياً ، فقد يكون بعض الخصوم الختم بحججه وأبلغ في منطقته وأسرع في بلاغ الطلب ، وألطف حيلة في اللطع والذكي ذكاء وأحضر جواباً من بعض ، وإن كان غير الصواب مرصداً . . . ه (١) . والإشارة هنا - كما يغلب على الظن - إلى أولئك الذين لا يحسنون الإبانة عما في نفوسهم بالعربية ، إذ هم حديثو عهد بها ، فإذا ذكرنا أن مهدي بن مسلم هو الذي كتب عهده بنفسه عن الأمير عتبة ابن الحجاج فأكد في تفرسنا هذا المعنى (٢) .

ولدينا أمثلة قليلة جداً من قبول فصاة الأندلس لأشياء مما جرى به العرف أو القانون الجرازي في تلك البلاد بين أهل البلاد . قال الخشني : « ومن ذلك أن أحمد بن أبي خالد سمع محمد بن عمر بن ليابة يقول : حضرت وقد خصم إليه رجل في قرن بناء صاحبه فأضر الدخان به وبالجيران ، وهذه المسألة يقول [فيها] ابن قاسم إن ذلك من الضرر الذي يجب قطعه ، ولا يباح التخاضع ، قضى سليمان بن أسود بغير ذلك : أن يجعل أتوباً في أهل القرن ، فيخرج الدخان من أهله فلا يضر ذلك من جاوره ، فكان محمد بن عمر [بن ليابة] يفتي بهذا ويعمل الناس عليه فيها أخيراً أحمد بن خالد ه (٣) . وهناك مثل آخر يحكيه الخشني في ترجمة القاضي الحبيب بن أحمد بن زياد اللخمي ، فقد ذكر أن جماعة حدثت في أيام الأمير محمد ، فكثر التطاول من المنسدين ، « ففرق السوق حينئذ إبراهيم بن حسين بن عاصم ، وأمره بالاجتهاد ، وعهد إليه بالتحفظ وأذن [له] بالتنفيذ في القطع والصلب بلا مؤامرة منه ولا استئذان ، فكان إبراهيم يجلس في مجلس نظره في السوق ، فإذا أولى بالقياس المدح قال له :

(١) الخشني - فصاة الأندلس ، ص ٢٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٧ .

اكتب وصيته ا ودعا له بشيوخ فاشهدهم على ما يوصي به ، ثم صلبه ونحره ؛ فكان بين يديه من المصلوبين عدد عظيم . فأنابه قوم بقصر من حيرتهم فشكروا إليه تطاولاً على ما يكون من أشرار الأحداث ، وهم لا يشكرون أنه سبجزره الزجر القوي ، وإن أفرط في عقابه فالتجن ، فقال لشيخ منهم : ما يستحق عندك ؟ فقال - على وجه المثال - : ما استحق هؤلاء ! وأشار إلى المصلبين ، فقال إبراهيم بن حسين [له] ولأصحابه : تصرفوا ، فاتصرفوا . ثم قال للفتى : أكتب وصيتك ! فقال له : أتق الله فيّ ، فإنه لم يبلغ ذنبي أن استحق القتل والصلب . فقال له : بذلك شهد عليك الشهود ، ففتنه وصلبه . فلما بلغ الشهود ذلك أتوه فقالوا له : لم تشهد عندك على الفتى بذنب يجب فيه القتل ! فقال : أو لم يقل قائلكم إنه يستحق ما يستحق هؤلاء ؟ فقالوا له : « على مثل ا ، » قال : فإنم ذلك في رقابكم ، إذ لم تحسوا الإبانة من أنفسكم »^(١) .

وظاهر أن هذين الحكيمين مستقيان من جاري العرف والقانون القوطي ، فوضع المدانين أمر لم يكن معروفاً في المشرق ، والحكم به يعتبر تعديماً مقبلاً من البيعة الأندلسية ، وقتل الخلدت للذنب البسيط غير جائز في الشريعة الإسلامية ، ولكنه جائز في شريعة القوط . بل إن القضاة أنفسهم كانوا يميزون لأنفسهم ما لا يميزه أهل التقى والورع في المشرق ، فقد عسب زياد بن عبد الرحمن - الذي أصبح قاضياً فيها بعد - ابنة القاضي معاوية بن صالح ، وأحب رؤيها قبل البناء بها « على ما يفعله بعض الناس ، فتصل النساء عليه في ذلك وأتبن به عند العشاء الأخيرة ، فصار في الأسطون ، ففتوت دابة معاوية منه واشتد قلقها من أجله ، حتى خرج معاوية إلى الصلاة فسمع حس الدابة فراه ذلك ، فدعا بالمصباح ، فوجد زياداً في مذود الدابة في بعض زوايا الأسطون ، فيها زاد على أن قال له : استوحسوا [بحرمتنا المسلمين يستوحسوا الله] بكم خيراً ، ثم خرج إلى الصلاة »^(٢) . وأمر كهذا ما كان يميزه عرف أهل التقى

(١) الخشي : قصة الأندلس ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ .

والعلم في المشرق؛ ولو فعله رجل لما ولي القضاء أبداً، ولكن زياد بن عبد الرحمن
ولي القضاء بعد ذلك وصار من كبار أهل العلم والقضاة، وهذا أثر من
آثار البيئة الأندلسية في تصرفات شيوخ الأندلس وحكمهم على الأشياء .

وروى الخشي أن القاضي محمد بن زياد اللخمي كان يتساهل مع
السكران ويتغافل عنهم ، حتى لقد أتوه برجل « يتعاهد سكرأ » فامر القاضي
بأخذه ليقيم عليه الحد ، وكان يراقر القاضي صديق له فقيه هو محمد بن عيسى
الأعشى ، فلما كان في موضع ضيق . « تقدم القاضي وشأخر الأعشى ، فني
تأخره عن القاضي التفت إلى الذي كان يمك السكران فقال : يقول لك
القاضي : أطلقه ! فأطلقه ، ثم انفرقا جميعاً . ونزل القاضي ودعا بالسكران ،
فقبل له : أمرنا عنك أبو عبد الله الفقيه أن نطلقه ، فقال : وفعل ؟ قال :
نعم ! قال : أحسن ! » . وقد علق الخشي على ذلك متهجياً ، وقال : « وما أرى
عن القضاة في هذا المعنى خاصة من الإغضاء عن السكران والتغافل لهم والرفقة
عليهم ، فلا أعرف لذلك وجهاً من الوجوه يتسع لهم فيه القول ويقوم لهم فيه
العذر ، إلا وجهاً واحداً ، وهو أن حد السكر من بين الحدود كلها لم ينصه
الكتاب المنزل ، ولا أرى فيه حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
إلى آخره »^(١) . وقد طاعت الخشي ، وهو من قضاة القرن الرابع الهجري ، أن
قضاة الأندلس أيام محمد بن زياد ، أي منتصف القرن الهجري الثاني ، لم
يكونوا يحكمون بالنصوص قطع ، بل كانوا يجهدون ويراعون البيئة المحلية ،
ويتأثرون بما حولهم ، وأن القانون كائن حي يتغذى بما حوله ويتشو ويتطور ،
وإذا كان تاريخ أي جماعة يتجلى بأصدق صورة في تاريخ تشريعها ، فلا شك أن
التشريع الإسلامي والشرع الإسلامي لا يشدان عن هذه القاعدة ، وأن التشريع
في صدر الإسلام كان حياً متطوراً متقبلاً لكل جديد ، مثله في ذلك مثل
الجماعة الإسلامية في ذلك العصر ، فلما جمدت هذه الجماعة جمدهم الآخر ولم
يعد يتطور .

(١) الخشي : قضاة ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

وقد جسد التشريع الإسلامي ووقف عن التطور عندما تحول إلى علم ثابت الأصول والقروع على أيدي الفقهاء ، ولا يبدو ذلك في صورة هي أوضح مما ظهر به في الأندلس والمغرب ، فقد كان التشريع في هذين البلدين أول الأمر سهلاً مرناً يأخذ من البيئة المحلية كثيراً ويطوع ما يأخذه لأصول الإسلام ، بل اشترك نفر من أهل المغرب والأندلس مع مالك بن أنس في تكوين مذهبه ، فأهل الأندلس يلعبون إلى أن مالكا روى عن قاضيه معاوية بن صالح^(١) ، وأهل المغرب يقولون إن سحنوناً كان صاحباً لابن القاسم بحالسه وشاورة^(٢) ، واستمر ذلك حتى اكتمل مذهب مالك وأقبل إلى المغرب والأندلس تلاميذ مالك ونشروا مذهبه وحملوا الناس عليه وكرهوا كل تجديد أو ابتكار . هنا جسد التشريع ولم يعد له سبيل إلى التطور ، وأخذ باب الرأي يضيق شيئاً فشيئاً حتى أصبح « رأي مالك » فقط وأصبح الفقهاء هم أهل الحديث ، وتلاشى مذهب الأوزاعي وقامت دولة المالكية وفقهاتها .

ومن المحقق أن تشريع قضاة الأندلس الأول قد ضاع معظمه ، قال الخشني : « وذكر محمد بن وضاح قال : قال لي يحيى بن معين : جمعتم حديث معاوية بن صالح ؟ قلت : لا ! قال : وما سئلكم من ذلك ؟ قلت : قدم بلداً لم يكن أهله يسمون أهل علم ! قال : أنعمتم والله علماً عظيماً ! »^(٣) . وقال محمد بن عبد الملك بن أيمن إنه بحث عن كتب معاوية بن صالح فلم يجدها ، قال : « فلما انصرفت إلى الأندلس طلبت أمهاته وكتبه ، فوجدتها قد ضاعت بسقوطهم أهلها »^(٤) . ويؤكد الخشني أن أحد قضاة ذلك العصر الأول في الأندلس ، وهو المصعب بن عمران ، لم يكن « بالكسح في علم السنن ولا في رواية الأخبار » فبماذا كان يحكم ؟ ثم يقول بعد ذلك إن « زياد بن عبد الرحمن أول من دخل الأندلس بالفقه والحلال والحرام »^(٥) مما يفهم منه أن أحكام

(١) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

(٢) الماتقي ، رياض القوس (قام على نشره حسين مؤنس سنة ١٩٥١) ص ٢٠٠ ، ص ٢٥٠ وما يليها .

(٣) الخشني : قصة الأندلس ، ص ٣١ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

الأندلس لم تكن تجري قبل ذلك على لغة ثابتة معروفة ، بل على الاجتهاد والرأي والفلس . وربما كان المراد هنا أن زيادة أول من دخل الأندلس بثقته مالك ، وهو أمر لا يغير من الوضع كثيراً ، ولدينا براهين تزيد ذلك ، فمن ذلك ما يحكيه ابن القوطية من أن عيسى بن مزاحم عندما تزوج سارة القوطية قدم معها إلى الأندلس « وقبض خبايعها »^(١) ، والزواج في الشريعة الإسلامية لا يقبض أملاك زوجها إلا بشروط ، ولكن القانون القوطي يقره مبدأ عاماً . ويؤيد ما نقله البهامي في حديثه عن المصعب بن عمران القاضي ، قال : « وكان يسري عن الأوزاعي وغيره ، وكان لا يملك مذهباً ، ويقضي بما يراه صواباً »^(٢) . ومن الثابت أن قضاة الأندلس في ذلك العصر لم يكونوا يرون بأساً بمخالفة ما ينص عليه الأئمة ، ومن ذلك أن القاضي محمد بن بشر كان لا يميز الشهادة على الخط في غير الأحباس ، ولا يرى القضاء باليمين مع الشاهد ، ، وقد علق على ذلك محمد بن عمر بن أبابة بقوله : « قد علم القاضي - حفظه الله - إختلاف أهل العلم ، وما ذهب إليه مالك وأصحابه من اليمين مع الشاهد ، وما ذهب إليه قضاة بلدنا منذ دخلت المغرب ، من أنهم لا يرون اليمين مع الشاهد ولا يقضون به . . »^(٣) مما يدل على أن قضاة الأندلس كانت لهم آراء خاصة يهرون عليها .

٢٠٢ - عمل ومن الثابت أيضاً أنه كان لقضاة قرطبة لغة خاصة يهرون عليه قرطبة وينكروه غيرهم من قضاة المغرب والمشرق ، وهذا الغيب القرطبي يسمى بتسمية خاصة تدل على أنه مستقى من جزئي العرف وأعمال الناس بحكم العادة ، فكان يسمى « عمل قرطبة » ، وللمفرد رواية طويلة في هذا الباب لا بأس من إيرادها على قولها لأهميتها . قال المفرد : « وأعلم أنه أعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب ، حتى أنهم يقولون في الأحكام : هذا مما جرى به عمل قرطبة . وفي هذه المسألة نزاع كبير ، ولا بأس أن نذكر ما

(١) ابن القوطية : تلخيص مباحث الأندلس ، ص ٦ .

(٢) البهامي - حفظه الأندلس ، ص ٤٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

لا بد منه من ذلك . قال الإمام ابن عرفة رحمه الله تعالى : في اشتراط الإمام
 على القاضي الحكم بمذهب معين . وإن خالف معتقد المشرق اجتهداً وتقليداً .
 ثلاثة أقوال : الصحة للباقي ، ولعمل أهل قرطبة ، ولظاهر شرط سحنون على
 مذهب من ولاة الحكم بمذهب أهل المدينة ، قال المازري : مع احتمال كون
 الرجل مجتهداً . الثاني : البطلان للطروشني ، إذ قال : في شرط أهل قرطبة
 هذا جهل عظيم . الثالث : تصح التولية ويحل الشرط ، فترجيحاً على أحد
 الأقوال في الشرط الفاسد في البيع للمازري عن بعض الناس ، انتهى مختصراً .
 قال ابن غازي : إن ابن عرفة نسب للطروشني البطلان مطلقاً ، وابن شاس
 إنما نسب له التفصيل ، انتهى . . . ولما ذكر مولاي الجند الإمام قاضي القضاة
 بطاس سيدي أبو عبد الله المقرئ التلمساني في كتابه القواعد شرط أهل قرطبة
 المذكور ، قال بعده ما نصه : وحل هذا الشرط ترتب عمل القضاة بالأندلس ،
 ثم انتقل إلى المغرب ، فبينما نحن متنازع الناس في « عمل المدينة » ونصيح بأهل
 الكوفة مع كثرة من تزل بها من علماء الأمة كعلي وابن مسعود ومن كان معها :
 ليس التكحل في العينين كاللجمل ، سبح لنا بطن الجسد ومعدن التقليد !
 الله أغر مدني فصاعرت حتى رأيت من الزمان عجائباً

يا لله والمسلمين ! ذهبت قرطبة وأهلها ولم يرح من الناس جهلها ! ما
 ذاك إلا لأن الشيطان يسمى في نحو الحق فينسيه ، والباطل لا زال يلقته ويلقيه .
 ألا ترى اتصال الجاهلية - كالتياحة والتخامر والتكائر والظمن والتفضيل والكهانة
 والنجوم والحظ والتشاؤم وما أشبه ذلك - وأسماؤها - كالعتمة ويثرب - وكذلك
 التناز بالانقلاب وغيره مما هي عنه وحذرته كيف لم تزل من أهلها (يريد أهل
 قرطبة) وانتقلت إلى غيرهم مع تيسر أمرها ، حتى كأنهم لا يعرفون بالدين
 رأساً ، بل يعملون العادات القديمة أسأ ، وكذلك عجة الشعر والظمن والنسيب
 وما انحرف في ذلك السلك ثابتة الموضع من القلوب ، والشرع فيها منذ سيعمارة
 سنة وسبع وستين لا نحفظه إلا قولاً ، ولا نحمله إلا كلاماً ؟ . . . انتهى (١) .

(١) المقرئ الشيخ الطيب ، طبعة عيسى الدين ، ج ٢ ، ص ٩٣ - ٩٤ .

وهذه عبارة لا تحتاج إلى تعليق ، فهي تحمل كل ما قلناه من تأثير التشريع في الأندلس بالية المحلية ، وجرى النضبة في قضائهم « على العادات القديمة » واختيارهم ما يصلون من أحكام « عملاً » خاصاً بهم يلتزمونه ولو اشترط الأمر الذي يولاهم أن يحكموا بمذهب معين . وذلك هو الأمر الطبيعي العفوي ، لأن القانون جزء من الحياة العامة يتأثر بما فيها ويحياها ولا منفرد للقضاة من إفساح المجال لما جرى عليه الناس ، ما دام لا يتعارض مع الأصول ، وما دام صائب قد اعتبر عمل أهل المدينة أساساً من أمس تشريعه ، وأبو حنيفة قد خضع للبيئة العراقية وصاغ في حدودها مذهب ، فقد كان من الطبيعي أن يكون لقضاة الأندلس فلسفة خاصة في أحكامهم ، فلسفة قائمة على قبول جاري العرف والقانون والتقليد ، وإن وصف الفقهاء ذلك بأنه « جهل عظيم » .

٢٠٣ - اعلان
نظم القضاء
في الأندلس
من قبلها
في الشرق

وإذا استطرفنا هذا الاستطراء لأن منطق التاريخ - إلى جانب ما أوردناه من البراهين - يؤيد ما ذهبنا إليه من التشريع في الأندلس بالتشريع القسري الذي كان العمل جارياً به في الأندلس قبل أيام السليمان : وإذا كان هناك قاض للمعجم يحكم به « سنة الصاوي » ، وقاض للمسلمين يحكم بسنة الإسلام ، جنباً إلى جنب ، وكلما انقضى حين دخل نقر من الصاوي في الإسلام وصار منهم قضاة وفقهاء ، فإن تسرب أشياء من « قضاء المعجم » إلى قضاء المسلمين أمر طبيعي . بل بلغ من ذلك التكرار أن أخذ تنظيم القضاء العام في الأندلس صورة يختلف فيها عن نظم القضاء في الشرق جملة وتفصيلاً ، فظهر نظام القضاء المشاورين وتألفت منهم هيئة تسمى « المشورة » وهي صورة « الكوريا » Curia القضائية في نظام القضاء الروماني ، وهذه « المشورة » أو الكوريا هي التي تصبغ القواعد الفقهية وتحدد المبادئ ، في حين التصر أمر القضاة على التطبيق ، مما لا يسع المجال لدراسته في العصر الذي تؤرخ له^(١٦) .

(١٦) أنيس هذا مقال الكلام عن وجود اختلاف نظم القضاء في الأندلس عن مثيلاتها في الشرق وقد أشار إلى ذلك خلدون ديسرا في مقدمته لتاريخ القضاة للبحرث من أسد الحنفي ، واعتمد على كلامه ليحي بروفسال =

٢٠٤ - العرب
 وقد وجد العرب في الأندلس مدناً كبيرة كثيرة منظمة أسورها تنظيمياً طيباً ، وصادقوا لأول مرة نظم البلديات وحكومات المدن ، ووجدوا كل مدينة وحشة قائمة بذاتها ولها زمام حولها تبعها . وقد كانت أحوال المدن الرومانية في غرب أوروبا قد اضطرت واضمحلت بسبب تغيرات الحرمان وما أحدثته من القوضى والاضطراب والفقر ، ولكن هيكل التنظيم المدني كان باقياً ما يزال^(١) . وقد احترم العرب

في الأندلس من مدن طيبة من القضاء في الأندلس في الجزء الثالث من « تاريخ إسبانيا الإسلامية » . وقد قدمت مادة طيبة من الموضوع في بحثي عن « سقوط خلافة قرطبة » (بالقرنية) وحتى أن أشير هنا إلى بعض التراجع الهامه لدراسة هذا الموضوع لم يشر إليها أحد من المتعلق به ، وهي :
 JOSE LOPEZ ORTIZ : *La recepción de la Escuela Malpica en España.*
 - *La Coria Mozabiteña.*

SANCHEZ ALBORNOZ : *Los Arabes y los orígenes del feudalismo.*

LACARRA : *Fueros navarros del siglo XIII.*

GONZÁLEZ PALENCIA : *El Fuero Latino de Albaracín.*

SALVADOR VILA : *El capítulo del matrimonio del formulario notarial de Alben Mogat*

وكلمها ظهرت في حوليات تاريخ القانون الإسباني :

Anuario de Historia del Derecho Español

ابتداء من المجلد السابع سنة ١٩٣٠ وما يليه .

وفي كتاب « أعيان المغرب والجفيع المغرب من فتاوى أهل القرنية والأندلس والمغرب » لأبي العباس أحمد بن يحيى التلمساني الوشيشي (أو الوشيشي) طبع حبر ، غلب ١٣٦٤ و ١٣٦٥ ، مادة طيبة وبالغناء ابتداء من الجزء الخامس .

(١) لم يدرس أحد إلى الآن تطور أحوال المدن الإسبانية خلال العصور الوسطى ، وكل ما لدينا معلومات عامة مستخلصة من تطور أحوال المدن في ألمانيا وإيطاليا . والرائي الضالبي هو أن الاستصلاح العام الذي شمل المدن الرومانية جميعاً خلال العصر الروماني المتأخر أدى إلى تدهور المدن ، واحتضن بعضها وتحويل الباقي إلى قرى . وأصبح التقسيم الإداري زراعياً حائلاً بشيخ جيل وحدات ضرابية تعرف الواحدة منها باسم *torriones* وإن ظل الناس يطلقون لفظ المدينة على التيررتوريا ويوضع المدينة القديمة وزيمنها *urbs* . انظر

MANUEL TORRES y RAMON PRIETO BANCES en *Historia de España* dirigida por D. Ramon Menéndez Pidal Vol III (Madrid, 1940) p. 239.

والأراء التي يبدية المؤلفان حائلة بالأخطار . وقد أتى الخطأ من أن حشيت الباحثين الإسبانين فلا يقولون مؤرخين لك ، وهم يسمون حشيين أن مثل ذلك قد حدثت في إسبانيا ، وظانها أن الصحيح الإسلامي أوقف استصلاح المدن في إسبانيا كما سترى فيما يلي .

هذا التنظيم على اعتبار أنه جزء من احترامهم لعهودهم مع أهل البصرة ، وكانوا أول الأمر معظم أهل المدن . وقد أفاد العرب من احتفاظهم بهذا النظام فيها بعد ، إذ إنه عندما أسلم معظم أهل المدن وتعمروا اتسعت حدود هذا النظام لتشمل المسلمين أيضاً من أهل المدن ، وحُرب وأصبح جزءاً من النظام العام للأندلس .

٢٠٥ - فوس : أقام العرب على أهل البصرة والنصارى رئيساً منهم ولبقوه الأندلس : بقومس الأندلس أو زعيم نصارى البصرة ، وجعلوه مسؤولاً أمامهم عن كل ما يتصل برعايتهم من النصارى ، وأحاطوه بما يليق به من الاحترام . وكان أول القياس هو لوطيس ، واستحدثت عنه بعد قليل . حقيقة إن هذا اللقب لم يظهر في النصوص إلا أيام عبد الرحمن الداخل ، ولكن صورة الخير الذي يتضمن هذا اللقب عند ابن القوطية تدل على أن الوظيفة كانت قديمة والجديد هو اللقب^(١) . واستمر الوظيفة بهذا اللقب بعد ذلك .

٢٠٦ - العرب يزعمون ويدكر الراعي الذي كتب مسدودة البقرة Chronicon لأهل البصرة : Albeldense أن العرب تركوا لأهل البلاد من النصارى حق حرية اختيار رؤسائهم اختيار حكائهم ومنظمي أمورهم :

.. Et unusquisque ex illorum origine de semit epsos comites eligerent, qui per omnes habitantes terrae illorum pacto Regis congregarentur (٢) .

ورود هذا اللفظ بصيغة الجمع في هذا النص يفهم منه أنه كان هناك أكثر من فوس ، والأغرب إلى المعتقد أنه كان على رأس النصارى في كل ناحية فوس ، لأن كل ناحية في إسبانيا كان لها فوس على أيام الرومان ثم القوط من

(١) انظر من لقب فوس Comes في إسبانيا القوطية :

MANUEL TORRES y RAMÓN PRIETO BANCES, *op. cit.* p. 221.

SIMONET, *op. cit.* p. 106.

(٢)

يعدهم ، فآثر العرب هذا الوضع^(١٦) ، واشترطوا - كما هو واضح في النص - أن تتخيه الجماعة النصرانية بنفسها ، على خلاف ما كان الحال عليه أيام القوط ، إذ إن المعنى الأصلي للنظ Comae هو رفيق أو صاحب . وهذا التعبير في طريقة تعيين القمامة طبيعي ، لأن ملك القوط قد زال ، فانتقل حق اختيار الحكام إلى الجماعة النصرانية ، واكتفى العرب باختيار القومس الأهل وهو الملقب بقومس الأندلس ، ولم يروا أن يتركوا له حق تعيين قمامة النواحي ، لأن ذلك كان يعطيه سلطاناً واسعاً خطراً ، إذ إن الغالبية العظمى من أهل البلاد كانت نصارى . وسنرى بعد قليل كيف أن قومس الأندلس أماء التصرف مع إخوانه في الدين ، حتى في الحدود التي وضعها العرب لسلطانه .

ويذهب سيمونت إلى أن سلطان قمامة المدن كان لا يقتصر على المدن التي يتخيم أهلها ، بل يمتد إلى كل الناحية الداخلة في زمامها ، ويقول : « ولا شك أنه كان يعاون القمامة موظفون آخرون أصغر منهم ، كانوا يعملون تحت إدارتهم خاصتين لسلطانهم في المدن ، ويتربون عندهم في القرى الداخلة في زمام ناحيتهم ، وكانوا يتولون الأعمال المختلفة من إدارية ومالية وقضائية^(١٧) .

(١٦) يبدو أن هناك شيئاً من الالتباس في قول ماثويل توريس في الوضع الذي أشرنا إليه في المبحث قبل السابق أن القومس في أيام القوط كانت له سلطات عسكرية ومالية وقضائية ، وهذا كان يُسمى *Comae civitatis* (قومس المدينة) أو *Comae territorii* (قومس الناحية) أو *Comae provinciae* (قومس المقضية) أو *Comae enconces* (قومس الخيول) إذ يجب على طلبة أنه كان هناك أكثر من قومس ، لكل منهم اختصاص ، ولقوى هؤلاء جميعاً كان القومس *Comae* أي القائد أو الحاكم الأهل ، وهو هو الذي كانت له الاختصاصات المتعددة . ويبدو أن القمامة كانوا قد أصبحوا في أواخر أيام القوط مجرد موظفين ، كل منهم يوكل بناحية من نواحي الإدارة ، وصغر شأنهم تبعاً لذلك ، لأننا لا نجد القمامة يصعدون للعرب مطلقاً عن نواحيهم - حقيقة إنهم كانوا جميعاً قوطاً ، وقد عربوا بعد واقعة رانس لكلا ، ولكن يمكن أن يقال أيضاً إن البرهم كان قد ضعف ، فلم تعد لهم القيادة ، ولهذا لم نذكرهم المتخصصين .

SIMONNET, *op. cit.* p. 108.

(١٧)

٢٠٧ - الوظيفة
القنصلية
تدخل في
النظام العربي
العام

وكان أصحاب وظائف أهل البلدة يلقبون أول الأمر بالقاضي
اللاتينية التي عرفت بها أيام الرومان والقوط ، ثم عربياً الناس
عندما غلبت العربية على غيرها في شبه الجزيرة ، ثم أخذت
اللفظة العربية على ألسنة الناس صورة إسبانية عندما حرت في
الاستعمال الدارج ، وقد صحب هذا التطور اللفظي تطور في معنى الوظيفة
واختصاصها في بعض الأحيان .

٢٠٨ - قاضي
المعجم

كان القاضي يسمى أولاً « *Judex* » ، ثم حلت محلها
لفظة « القاضي » العربية ، ثم صارت هذه اللفظة على ألسنة
الناس الكالكيد *Alcalde* ، وهذه الصورة دخلت اللغة القشتالية وقلت لبها إلى
اليوم ، وتطور معنى الكالكيد أيضاً مع الزمن فنصار إلى ما يشبه « العمدة » عندنا
(في المدن الصغيرة والقري) ، والأغلب أن هذا التطور حدث عندما أسلم
معظم الناس وتضاهل بذلك اختصاص قاضي المعجم في الفصل في القضايا ،
وأصبح أشبه برئيس شرفي لتتخذه الجماعة الصرائية من غير اختصاص واضح ،
كما هي حالة العمدة في المدن الصغيرة . وقد حدث تطور شبيه بذلك أيام القوط
في اختصاصات القضاة : فقد كان للقوط قضاة من أنفسهم يسمون في اللاتينية
Millenarii وفي الدارجة *Theofaxi* إلى جانب قاضي الأهالي من الإيبيريين
الرومان الذي كان يسمى *Judex* ، ثم غلب اختصاص هذا الأخير حتى أصبح
قاضي الإيبيريين الرومان والقوط جميعاً وتحول قاضي القوط (الميليتاريوس أو
الثيوفالديوس) إلى موظف عسكري (١) .

(١) يستعمل لفظ *Judex* = قاضي في التشريعات القوطية استعمالاً واسعاً ، ويطلق على
القاضي وعلى الموظف بصورة عامة ، وربما أطلق لفظ *Judex* على حاكم الناحية بدلاً من *Comes* ،
ومن ثم فإن ما يذكره القانون القوطي *Liber Judicum* من وجود *Judex* أو *Judex Provinciae* أو *Judex*
Civitates ليس معناه قاضي القوية أو قاضي الناحية بل يراد به الحاكم . وكان هؤلاء القضاة
Judices نواب في القضاة . كان يشترط في *Judex* أن يكون من القوط في حين كان النواب
Vicarii من أهل البلاد . ويلاحظ أن هذا الاضطراب في استعمال لفظ *Judex* لم يقتصر على اللفظ
بل شمل الاختصاصات أيضاً ، فأصبح حاكماً أو موظفاً كإدارياً . وقد اشغل هذا إلى قصة المعجم في ..

٢٠٩. صاحب - وإلى جانب القوس ، وهو حاكم المدينة وزمانها ، وهو ما للمدينة
عرف في النظام الإسلامي بالكورة ، كان يوجد في النظام
الروماني ثم القوطي حاكم خاص للمدينة Defensor Civitatis أي حامي المدينة
أو حارسها ، بقيت هذه الوظيفة وعبرت إلى « صاحب المدينة » ، وعبرت في
عجبية أهل الأندلس Zahalmedina أو Zafalmedina أو Zalmedina ،
ومتداخل هذه الوظيفة في النظم الإسلامية الأندلسية ، وسينولاهها مسلمون فيما
بعد^(١) .

٢١٠. الخرف - وكان هناك موظف يوكل بشؤون المال في الناحية ، يعرف قبل
العرب باسم Praedectus acriarii فعربها العرب إلى
« المشرف » وانتقل هذا اللفظ إلى عجبية أهل الأندلس في صور شتى :
alamosérife و almosarir و almoserife و almozarife ، وبهذه الصورة
الأخيرة بقي اللفظ في اللغة القشتالية .

٢١١. مستخرج - أما قوس الخزانة Comes thesaurorum فقد حل محله
المستخرج « مستخرج الخراج » أو مستخرج عراج النعمة ، إلى جانب

الأندلس الإسلامي ، فهم يسمون في بعض الأحيان « الوزير القاسي » والفظ وزير خاليس محمد لفظ
تشريف ، بل يدل على أن قاسي العجم كان يتمتع بسطات تفيد إلى جانب وظيفته القضائية . ولا
بعد قصة مسلمين باليونان بالوزير القاسي إلا في الأزمنة المتأخرة عندما انحط معنى لفظ وزير ،
وأصبح محمد لقب تشريف .

الظر و MANUEL TORRES و RAMON PRIETO BANCES : *ibidem* .
PEDRO AGUADO BLEYE, *Manual de Historia de España*, tomo I (Madrid, 1947)
p. 368.

(١) لعب سيمون في كتابه المعروف *Historia de los Mozarabes* (من ١٠٨ - ١٠٩) إلى أن تعرب
هذه الوظائف كما كتبني :

judex = القاضي

praetor urbanus = صاحب القريه

praefectus acriarii = المشرف

وقد خالفني في ذلك كما يرى في النص .

وقد خلط بين المحاسب والأمين والمعرف ، وصورتها ذلك في كلامنا .

عامل الحراج المعروف في التنظيم الإسلامية ، وقد تضاعفت أهمية مستخرج الحراج ، مع الزمن .

٢١٢- صاحب وكان هناك موظف مكلف بالأمن في المدينة يعرف باسم الشرطة Practor urbanos فحل محله « صاحب الشرطة » ، وقد انتقل هذا اللفظ إلى عجمية أهل الأندلس في صور مختلفة مثل Sahba Secorta و Sachuscorta ، ودخلت الوظيفة في النظام الإسلامي كما هو معروف . ومن الطريف أن العرب أخذوا نظام الشرطة ولقبتها في الشرق من البيزنطيين (شرطة = Securitas) ثم حلوا الوظيفة بلفظها إلى الأندلس حيث أخذ اللفظ صورة عربية في العجمية الأندلسية .

٢١٣- الأمين وكان العمال في المدن منظمين منذ العصر الروماني على صورة هيئات تشبه النقابات تعرف كل منها بالكلية Collegia^(١) ، وكان لكل منها رئيس مسؤول عن أهل الحرفة وضرائهم أمام الدولة ، وقد اضطرب نظام هذه النقابات على أيام القوط ، فلما أقبل العرب أخذوا تنظيم هذه النقابات ، وجعلوا على رأس كل منها رئيساً من أهلها يسمى « الأمين » ، وقد انتقل هذا اللفظ إلى عجمية الأندلس ، فكان يقال el alamin .

٢١٤- العريف وكان لهذا التنظيم أثره في استقرار أحوال المدن وأهلها ، وكان معظمهم كما قلنا من أهل القمة . وقد ظهرت نتائج هذا الاستقرار بصورة خاصة بين الصانع ، إذ تحسنت أحوالهم بصورة لم تكن قبل أيام المسلمين ، وظهر من بينهم أساتذة مهرة في صناعاتهم عرف الواحد منهم بالعريف والخبص عرفاء ، وقد انتقل لفظ عريف إلى عجمية أهل الأندلس في صورة alharif (وتعرف إلى alhariz) ومنها إلى الفشتالية el alarife واقتصرت بعد ذلك على رؤساء البتائين ، ولا زال اللفظ باقياً في الإسبانية إلى اليوم .

وقد تطورت هذه المصطلحات بعد ذلك تطوراً أوقع الكثير من الباحثين

AGUADO BLEVE, Op. cit. p. 348.

(١)

في الخطأ ، فخلط بعضهم بين الأمين والمحاسب ، وستحدث عن هذا الأخير في كلامنا على التنظيم الإسلامي العام للأندلس ، وعللوا بين القاضي والوزير ، لأن لفظ الوزير أخذ معاني خاصة في الأندلس ، منها معنى الأستاذية أو التمكن من صناعة ما ، بل أصبح لفظاً من ألفاظ التشريف ، فيقال : الوزير القاضي فلان ، أو الوزير المشرف فلان ، أو الوزير الكاتب وما إلى ذلك . ويبدو أن هذا الترخيص في استعمال لفظ الوزير ، والقاضي كذلك ، بدأ أولاً بين جماعات أهل اللغة ، فكانوا يخاطبون قاضيهم بقولهم : « الوزير القاضي الأفضل دون ملته بين لئيطار رحمه الله » أو « الوزير القاضي دُيْتَقَه أَنْتَيْن » ، ومن الشريب أن لفظ القاضي في الإسبانية وهو *Juez* نفي أيضاً مثل ذلك الانتحار ، فقد جاء في قاموس بطرس القلعي (*Pedro de Alcalá*) في تعريف لفظ *Juez albanir* (= قاضي بناء ، يريد معلم بناء) ، و *Juez de edificios* (= قاضي مبان ، يريد معلم مبان)⁽¹⁾ .

٢١٠ - الزراع وستحدث في الفصل التالي عن تنظيم العرب للسكان عموماً ، ولكن ما دنا بصدد الكلام عن أهل اللغة ، فنقل شيئاً عن الزراع ، وكان معظمهم أول الأمر من أهل الذمة . لقد أزال العرب النظام الذي كان سائداً أيام الفسطاط والقي كان يجعل الزراع جميعاً إما رقيق أرض *Sevvi* ، أو عمال أرض أحراراً أقرب إلى الرقيق *ingenui inferiores* ، أو عبيداً *esclavi* فأزال العرب ذلك كله ، فلم يبق إلا الأحرار والعبيد أو الأرقاء ، فإذا أسلم الرقيق صار حراً له ما للأحرار من حقوق ، أما رقيق المسلمين الأندلسيين فحكمتهم حكم الرقيق كله في العالم الإسلامي ، وهو معروف . وقد احتفظ العرب بالتنظيم العام للزراع في قرى أو ضواحي *aldeas* .

٢١١ - المسلمون بحلول بعض المؤرخين أن يصوروا ما أصاب الكنيسة الإسبانية والكنيسة من الأذى على أيدي المسلمين ، ويطيل بعضهم - مثل سيمونت ولاس كاتيجيلاس - الحديث بالتفصيل عن الكنائس التي تهدمت

CF SIMONNET, *op cit* p. 109.

(1)

والشعب التي لقبها بعض النصارى على أيدي المسلمين ، ولا يسع القارىء وهو يتتبع ما يقولونه إلا أن يأسف إذ يجد مؤرخين محدثين لا زالوا يجهلون في مضممار عصب الدين في حديثهم عن أشياء وقعت قبل قرون متطاولة ، خاصة وقد عادت إسبانيا نصرانية ، وأصبح كل ما يتصل بإسبانيا الإسلامية تاريخاً صالحاً ، وأصبحت المبالغة في العصبية الدينية أو العنصرية مجرد تشويه للتاريخ .

ومن الغريب أن هذه العصبية تشعل عصور ما قبل الإسلام ، ففي كل ما لدينا من التواريخ التي كتبت حديثاً إسبانياً يحاول المؤرخون أن يثبتوا أن إسبانيا كانت على الأقل منذ المجمع الديني المظلي الثالث الذي عقد في سنة ٥٨٩ بلبداً كاثوليكيةً عاصماً لا شبهة فيه للذهب مسيحي آخر ، ولا صوت يعارض قواعد هذه العقيدة كما قررها ذلك المجمع ، بل إننا لنجد مفكراً طائر الصيت مثل مارثيلينو منتدداً أي بلايو يتصدى لنقد المذهب الأريوسي في حماس البشر الذي يخشى خطر أقوال أريوس المصري على العقيدة الكاثوليكية الراضة ، هذا وقد ذهب أريوس وذهبت أيامه منذ تيف وشلاثة عشر قرناً (توفي أريوس سنة ٣٣٦ م) ولم يكن الرجل إلا مفكراً مسيحياً حاول جهده أن يصل إلى الحق بحسب ما انتهى إليه فهيه لتصوص الكتاب للقدس ، والمؤرخون المنصفون ينظرون إليه بإجلال ، لا تقديرأ لرأيه ، بل لأنه كان أحد الباحثين عن حقيقة العقيدة المسيحية في عصر كان اليأس والاساقفة وغيرهم من رجال المسيحية يحاولون فهمها وتوضيح قواعدها . وإذا ذكرنا أن أريوس ولد سنة ٢٨٥ وأتبع وأخذ بتصرف عقيدته المسيحية حوالي سنة ٣٠٠ وأن المسيحيين جميعاً كانوا إذذاك يطلبون النجاة في باطن الأرض ، ويتيمنون كتابتهم في السموات والقدور ، إذا ذكرنا ذلك فدننا جهده كمفكر وكمؤمن مسيحي ، لأن المسيحية لم يعترف بها دهانة كغيرها من ديانات الأباطورية الرومانية إلا بعد صدور منشور ميلان في سنة ٣١٢ ، ثم إن الذي دحض آراء أريوس وقطعه بالحجة كان مفكراً مصرياً آخر هو أثناسيوس المعروف باسم الأنبا طنائس ، فقد تولى بطريركية الإسكندرية بعد الأنبا إسكندر ، ونحن عندما نؤرخ للكنيسة المصرية إنما ننظر لأريوس - رغم إنكار الكنيسة المصرية له - على أنه مفكر جدير بالتقدير ، وشخصية لها

قيمتها في تاريخ الفكر المسيحي والإنسان عامة دون أن نملكنا الحروف من أن نعود آراؤه فنشرب عقائد الكنيسة القبطية المصرية .

ولكن منشد بلاتيو وأجوانو بلاتي من مؤرخي إسبانيا المحضين يميلان عليه حملة عنيفة ، ويرددان كلام القديس إيزيدور الأشبيلي في حماس كأننا لا زلنا اليوم في معركة الأريوسية والكاثوليكية^(١) .

وهذه الروح نفسها هي التي تسود ما لدينا اليوم عن أحوال ٢١٧- المسيحية في الكنيسة أيام القوط ، فلم تكن المسيحية الإسبانية أيام القوط إسبانيا القوطية ككتلة واحدة : كانت هناك نزعات وآراء معارضة ينادي بها جماعات من الناس ، ولم تكن كلها راحة وسلاماً ، فقد كانت هناك اضطرابات ومهاجمات وكان هناك ضحايا ، ولكن هذا كله يبدل عليه ستر كثيف ، فلا ننظر إلا بإشارات عابرة عنه ، والهدف من ذلك فيما يبدو هو تصوير هذه الكنيسة على أنها كانت رمزاً لوحدة الوطن الإسباني وسلامه ، مما يجسم بطبيعة الحال ما أصاب إسبانيا بدخول الإسلام ليها ودخولها في الإسلام ، ويعظم بالتالي قيمة عودها إلى المسيحية .

٢١٨- الكنيسة بل إن أجوانو بلاتي ، وهو مؤرخ معاصر له مكانة ، يحاول أن والدولة ينفي عن الكنيسة القوطية خضوعها للدولة ، وهي حقيقة أيام القوط بسيطة يسلم بها المؤرخون المتصفون لا تفسر الكنيسة الكاثوليكية في شيء ، وإليك مثلاً من حديثه :

«إن الاتحاد الوثيق بين الكنيسة والدولة ، ابتداء من المجمع الطليلي الثالث ، لا يسمح بالقول بأن الكنيسة القوطية كانت كنيسة قسرية (يريد أنها كانت كاثوليكية أي عالمية) ، ذلك لأن الملك كان لا يروجها ولا يحكمها ، ولا

MARCELINO MENENDEZ y PELAYO, *Historia de los Hebreos Españoles*, (١) tomo I (Madrid, 1946) pp. 306-309

AGUADO BLEYE, *op. cit.* p. 363

ونظر عن ٢١٧ حيث يقرر بلاتي أنه غير أسف على اسراقه كتب الأريوسيين وغيرهم من الملحدين وسخر من اسرار الفكر اللتين بأسفون على شياعها !

يجوز كذلك أن نسمي الدولة القوطية حكومة تيوقراطية ، لأن الكنيسة لم تكن تسود الدولة . حقيقة كان الملك يتدخل في الشؤون الكنسية ، ولكن هذا التدخل يرجع في أصوله إلى أيام الإمبراطورية وأيام الأيوسية . كان ملوك القوط يدعون الجامع الدينية للاعتماد ، كما كان يفعل ذلك قبلهم الإمبراطوران مسنتيون وثيودوسيوس . بل إن ملوك القوط لم يكونوا يدعون إلى عهد الجامع فقط ، بل كانوا يحضرون جلسة الافتتاح للمجمع الطليطلي بحيط يوم نغر من الحاشية الملكية *vota regia* ، وكانوا يقرؤون الكتاب الملكي *tomus regio* وهو برنامج الموضوعات التي سيبحثها المجمع . وكانت قرارات المجمع توقع بإمضاءات من حضر من رجال الحاشية إلى جانب إمضاءات الأساقفة والقساوسة ورعاة الكنائس .

« ولم يكن لمجمع طليطلة سلطة تشريعية فيما يتصل بالشؤون المدنية ، بل في الشؤون العقيدية فحسب . ولم يكن للقرارات المتصلة بالعقيدة أثر في الشؤون المدنية إلا إذا أقرت ذلك القوانين التي يصدرها الملوك . كانت القرارات في هذه الحالة تعتبر قوانين ، لا يحض صدورها عن الجامع ، وإنما بإقرار الملوك إياها . كان الأساقفة بعضهم من كبار أهل الدولة يعتبرون جزءاً من الحاشية الملكية ، وكانوا تبعاً لذلك جزءاً من المحكمة التي تنتظر في الجرائم السياسية والمخالفات التي يرتكبها أهل الطبقة العليا . وقد شاعت هذه الصور من تدخل الملوك في شؤون الكنيسة بعد ذلك بقليل في كل الدول الأوروبية في العصر الوسيط . إن تأثير الكنيسة في قرارات الملوك لم يكن ناشئاً عن أن القانون يفر ذلك ، ولم يكن قائماً على أساس من النظام العام ، بل كان سببه الامتياز الفكري الذي تمتع به رجال الدين ، ولم يقتصر هذا الامتياز على إسبانيا ، بل كان شائعاً في كل بلاد غرب أوروبا . »

ثم يقول بعد ذلك : « . . . إن مجمع طليطلة ، بعد انعقاده الرابع في سنة ٦٣٣ ، وسبب اعتبار لجنة الكنيسة مبدأ سياسياً ، أصبح محكمة عليا ، ضمناً للملك ورعاياه ، وكانت هذه المحكمة تفرض على الناس احترام شخص الملك ، وأقامت من نفسها سلطناً معديلاً لسلطان الملك ، ولوجدت نوعاً خاصاً

من الجرائم ضد الوطن يعاقب يعقوبين : عطوة مدنية ولعنة الكنيسة . وقد قال مستدّ بيدال : إن هذه الملكية الكاثوليكية التي كان للأخوين ليساندر وإيزيدور عليها أثر عظيم لا يمكن أن تكون ليبرالية . لم يكن رجل الدين يحكم بل يوجه ، وكان يفتح المحاكم كما يفتح المحكوم : إن التدخل والتشابك بين الكنيسة والدولة كانا أقوى في إسبانيا منها في أي بلد آخر معاصر ، لأنها كانا من صنع الجامع^(١) .

وهذا الكلام - الذي اجتهد المؤلفان الجليلان في صياغته على هذا النحو الذي يبدو وكأنه « تملّات » أكثر مما هو حقائق تاريخية - يحاول الرد على حقيقة تجمع عليها كتب التاريخ غير الإسبانية ، وقد أوجزها جيبسون في عبارة بسيطة عندما قال إن إسبانيا القوطية كانت : « a priest ridden state » دولة يركبها القساوسة ، « وربما كانت خلاصة ما أراد أجوادو بلاي الرد عليه في عبارته الألفه الذكر .

لقد عرفت الكنيسة كيف تستغل نصرها بتحويل ريكارديو إلى الكاثوليكية وفرض سلطتها على الدولة ، فاستولت على أراضين وعقارات بلغت خمس الأرض الخصبة في إسبانيا كلها ، وقامت سيافاً مسلطاً على رؤوس الناس ، كما ستصبح المالكية فيما بعد ، فحرقت كتب المذاهب المخالفة ، وفي مقدمتها المذهب الأريوسي ، وعرقب المعارضون بالقتل والنفي والتشريد والتزاع أبنائهم منهم وما إلى ذلك من العقوبات^(٢) .

٢١٩- رأي ولسنا نريد أن نجاري المؤرخ رابهارت دوزي في مبالغته في رابهارت دوزي تصوير سوء حالة الكنيسة وما جر إليه اتحادها مع الدولة في ذلك العصر ، فقد كان دوزي ملحداً يحسب أن حرية الفكر منها مهاجمة

MENENDEZ PIDAL, *Historia de España*, tomo III (Madrid, 1940) Introduc- (١)
cion, p. XLI. AGUADO BLEYE, op. cit p. 366.

MENENDEZ PELAYO, op. cit I p. 352. (٢)

وهذا الفكر الخليل يرد ذلك كله ويذمعه عنه

رجال الدين أيضاً كانوا ، ولقد قسا في « تاريخ إسبانيا الإسلامية » على رجال الدين جميعاً نصارى ومسلمين . ولكننا نكتفي من كلامه بعبارة تعني عن كلام كثير ، فقد قال بعد أن سخر ما شاء له أسلوبه اللاذع من رجال الدين عندما صاروا إلى القوة والسلطان : « . . . ومن الآن فصاعداً ، وبعد أن أصبحوا ملاكاً للأرض نسيحة ثمرها أعداد غفيرة من رقيق الأرض ، وأصحاباً لتصور فائحة تعج بالعبيد ، تبين الفلسفة أنهم أسرفوا في المسير ، وأن زمان تحرير الرقيق لم يكن ، وأنه لن يكون إلا بعد انتظار قرون لا أعري عدداً . لقد دعش القديس إيزيدور القرمي^(١) وهو متأيد في صحارى الصعيد ، من أن مسيحياً يستطيع أن يملك عبداً ، في حين أن قديساً آخر يجعل اسم إيزيدور أيضاً ، هو أسقف أثيناية المشهور ، الذي كان خلال زمن طوميل روح همام طليطة الدينية و « فخر الكنيسة الكاثوليكية » كما قال الآباء الذين اجتمعوا في المجمع الثامن ، لا يردد عندما يتحدث عن الرق آراء سمييه وإنما آراء حكماء العصر القديمة ، أراء أرسطو وشيخرون . لقد قال الفيلسوف الإغريقي : « إن الطبيعة خلقت بعض الناس ليحكموا وبعضهم الآخر ليطيعوا » ، وقال الفيلسوف الروماني : « ليس هناك ظلم في أن يقوم بالخدمة أولئك الذين لا يعرفون كيف يحكمون أنفسهم » ، وإيزيدور الأشبيل يقول نفس الشيء :

aequus Deus ideo discrevit hominibus vitam, alios servos constituens, alios domanos, ut licentia male agendi servorum potestate dominantium restringatur.

(. . . =) ولهذا السبب أيضاً ميز الله مصائر الناس بعضهم على بعض : نصار بعضهم عبداً ، وصار بعضهم سادة ، وذلك حتى يكون سلطان السادة مانعاً لسريان الشر الذي يصدر عن العبيد .

ولكنه يتأقض نفسه ، لأنه يقرر أن كل الناس مساوية أمام الله وأن

(١) هو القديس Sanctus Hieronymus Polemi نسبة إلى بلوريوم وهي القرية . ولهذا صيغته القرمي .

خطية الإنسان الأول ، وهو يعتبرها أصل العبودية ، قد زالت بالخلاص (مدخول السبحة) . «وإننا لنعلمون كل البعد عن الرغبة في نوم رجال الدين إلا لم يحقوا العبد ، وعن الرغبة في مجادلة رأي أولئك الذين يؤكدون أن العبد غير قادر على عبء الحرية . نحن لا نجادل ، وإنما نكتفي بأن نقرر حقيقة كان لها نتائج هامة ، وهي أن رجال الدين بسبب تناقضهم ، لم يحققوا آمال الرقيق . وقد ساء حال أولئك المساكين بدلاً من أن يتحسن ، لقد اتخذهم الجرمانيون مثلهم في ذلك مثل غيرهم من الشعوب الجرمانية في ولايات السلالة الرومانية الأخرى . عندما تنحصر لهم وفرضوا عليهم السخرة . وجددير بنا الإشارة إلى عُرف جيد ولم يكن معروفاً أيام الرومان فيما يبدو ، وهو أن تُقَرَّم أسرة من الرقيق بأداء خدمة معينة إلى السيد بصورة وراثية ، فتقوم أسرة معينة بزراعة الأرض للسيد ، ويخلفه الآباء الأبناء في ذلك ، ويقوم أسرة أخرى على نفس المنوال بالصيد ، وثالثة بحراسة قطعان الماشية ، ورابعة بأعمال التجارة وخاصة بالحدادة وهكذا»^(١) .

«ولم يكن الرقيق لو العبد يستطيع الزواج بدون موافقة سيده ، لذا فإن تزوج دون أن يحصل على هذه الموافقة اعتبر زواجه كأن لم يكن ، ويفصل بينه وبين زوجته بالقوة ، وإذا تزوج رجل من طبقة الرقيق امرأة في ملك سيد آخر تدعى السيدان الأولاد مناصفة . وإذا فقد كان قانون القوط في هذه الحالات أقل إنسانية من قوانين الإمبراطورية الرومانية ، لأن الإمبراطور قسطنطين حرم التفريق بين النساء وأزواجهن وبين الآباء وأبنائهم والأخوة وإخوتهم»^(٢) . وصل العموم لا يمكن الشك في أن حالة طبقة الرقيق لم تكن بالغة القسوة تحت سلطان القوط ، [وحين ذلك] عندما تأمل القوانين العديدة القاسية التي أصدرها القوط ضد الرقيق والعبيد الأبقين ، وعندما نرى رقيقاً أشتريس . وكانت أحوالهم فيها قد بقيت على ما كانت عليه في إسبانيا كلها دون تغيير . يقومون

MUNOZ, *Paros*, p. 123 - 125.

(١) النظر :

MUNOZ, *Del Estado de las personas en los reinos de Asturias y León*.

(٢) النظر :

بشورة عامة ضد ملوكهم»^(١) .

ثم يستطرد هوزي قائلاً : «وإنما كان القساوسة لم يحسنوا بصورة ما أحوال الرقيق ، فزاهم لم يفعلوا شيئاً أيضاً للطبقة الوسطى ، ظل أهل هذه الطبقة (الكورياليس Cariales) على ما كانوا عليه : تابعين للأرض التي يعيشون عليها . وعلاوة على ذلك ، لم يمد من حق أي مواطن أن يبيع ممتلكاته . لقد انتقل الحرص على جيلية أموال الدولة من إباطرة الرومان إلى ملوك القوط ، ضمن ما انتقل إليهم من تقاليد الرومان ، بل إنه يبدو أن التلاميذ (وهم القوط) لم يلبثوا أن فاقوا أساتذتهم (وهم الرومان) في هذا المضمار . ظلت الطبقة الوسطى إذأ في شفاها وسره أحوالها ، ولا تنكر قراراتها مما جمع طليطلة ذلك .»

«وقيت كل الجروح التي كان الناس يشنون منها في العصور الرومانية : ظلت الملكية محصورة في أيدي قليلة (في صورة إقطاعيات ضخمة) ، ويهي الرق بصورة عامة ، ونتيجة لذلك ظل العمل في الأرض نصيب الزراع وملك الأراضي نصيب الملاك»^(٢) .

٢٢٠ . الفقه
العامة
بعد الفتح
الكتيبة والدولة

والمواقع أن اتحاد الدولة والكتيبة ، بعد تحول ريكاريديو إلى الكاثوليكية لم يجلب معه السلام واتحاد الشعب كماً يتصور بعض المؤرخين ، ولم يأت وصول رجال الدين إلى السلطان إلا بالنتائج الطبيعية التي نتجت عن مثل هذه الظاهرة على طول التاريخ : اضطهاد المخالفين والقسوة عليهم والمحاكمات الدينية وإتراء رجال الدين وتحول الدين إلى أداة للحكم ، وتعرض لكل ما تتعرض له أدوات الحكم

(١) Forum Judicum, V, 4, 19, : De non alienandis privatorum et curiales rebus.

ومعد التعليقات الثلاثة الأخيرة الواردة عليها على هامش كلام هوزي الذي تابعه

Cf. R. DOZY, Histoire des Musulmans d'Espagne (3e éd. dirigée par LEV - PROVENÇAL - Leyde, 1932) vol. I, p. 265 - 266.

DOZY, *ibidem*

(٢)

كلها من نزوح إلى الأستبداد ، وأخطاه في السياسة ، وتعرض رجال الدين للتفقد والمخاضات وتقوم الناس . وقد حدث مثل ذلك في الإسلام ، عندما وصل المعتزلة إلى السلطان أيام المأمون ، وعندما قامت المالكية في الأندلس ابتداء من أيام عبد الرحمن الأرسط .

ومع ذلك ، فإن الاتجاه الغالب على التاريخ الإسباني للمصر القوطي ينكر هذه الحقيقة ، ويتصدى لدحضها بالحماس والبالغة والقسوة في الحكم على المخالفين ، لا يحقائق التاريخ . ويبدو هذا الاتجاه في أظهر صورة في كلام كاتب إسبانيا الأكبر في المصور الحديثة منتدأ بـ *هلابور* ، والتيك مثلاً من كلامه الذي يذكرنا بنصف أبي محمد علي بن حزم في مجادلته مع خصومه : « يقولون إن الجامع الدينية المختصت اختصاصات ليست من حضا . من الذي يستطيع تأكيد هذا السخف ؟ في أي ناحية كان العلم وفي أيها كان الجهل ؟ لمن كانت الكنيسة تنازل عن وظيفة تعليم أبنائها وتوجيههم ؟ أكانت تنزل عنه لأتباع و *ويريك* (*Los Witericos*) و *ووشندش* *Los Chindasvintos* أو *اليرتيج* *Los Ervigios* الذين وصلوا إلى الحكم عن طريق قتل الملك السابق أو بواسطة حيلة خفية محرمة من التاج ؟ لقد كانت الإنسانية تستطيع أن تحقق تقدماً واسعاً في حكم أمثال أولئك الأمراء ! إن وصاية المجامع على الدولة لم تفرض فرضاً ولم تتزع انتزاعاً ، وإنما ساقها القانون الإلهي وسعى إليها ملوك القوط أنفسهم . »

« لم يوافق كل الشعب الأرسوبي على الانفضاض عن عقيدته ، وذلك لسوء حفظ وحط الملكية القوطية ، فبالإضافة إلى بعض الدخلاء من الأساقفة ، كان هناك عنصر مغلوب معاد (للكاثوليكية) ولا يمكن التضام معه ، عنصر لم ينسجم مع الحضارة الإسبانية الرومانية ، التي لم يستطع إدراك كنهها ، ولم يستمع إلى تعاليم الكنيسة ، بل تصدى لاضطهادها قدر ما استطاع عن طريق مؤامرات أو ثورات ضد الملوك القيين كانوا يؤيدونها . هذه المعارضة العسكرية الكافرة تثبتت أولاً في صورة *ويريك* *Witerico* وثالثت ظاهرة إلى حد ما في الغتصاب ونشفت *Chindasvinto* للعرش ، وفي الحرب التي شنها *هيلديريك*

ويولس (Hildérico y Paulo) على الملك « ولسيا » ، وتمثلت قبل كل شيء في موقف غيطشة وأولاده ، أو أولئك الخونة - أياً كانوا - الذين فتحوا للعرب أبواب الرقاق . وقد وصلوا دون شك إلى إدراك ما طلبوا من الانتظام الموضوع ، وزالوا من الوجود كمشعب جزاء وفقاً لهم على ما كان من شرهم وعيبهم . إن الشعب الذي نهض لاسترداد أرض الوطن شيراً شيراً كان شعباً إسبانياً رومانياً ، إذ اندمج فيه القوط الطيبون اندماجاً تاماً ، أما عصية الهللاه الذين باعوا وطنهم فقد أغرق الله ذكركم في بحر التاريخ »^(١) .

٢٢٦ - الملامح
 الدينية
 والفتح الاسلامي

وهذا الكلام يفتح لنا باباً في تفسير سرعة انتشار الإسلام في شبه الجزيرة الأندلس ، فهو - على ما فيه من مخالفة « لسياسة العلم ، كما يقول أصحابنا الأندلسيون في تقديم لابن حزم - يربط بين تصرف غيطشة وأولاده والثغور الذي ساد بعض جماعات من أهل إسبانيا القوطية من استبداد الكنيسة واستعانتها بسلطان الملوك . وعلى ضوء هذه الإشارات نفهم أن عداة غيطشة لإبنيها كان من بعض نواحيه نفوراً من سلطان الكنيسة واتجاهها إلى فرض مذهبها بالقوة . وإذا نحن ذهبنا لتعمق الأمر لربنا لنا أن الأمر في إسبانيا قبيل الإسلام كان يشبه إلى حد بعيد الموقف في مصر قبيل الفتح ، فقد كانت منازعات المذاهب في مصر على أشدها ، وكانت مصر ابتداء من القرن الثالث المسيحي في صراع متصل مع الدولة البيزنطية ، وكان المصريون - قبل أن تتدخل الدولة البيزنطية في نزاع العقائد - يسوون مشاكلهم بأيديهم ، كما حدث في الصراع بين الأرثوذكسية والكناسيوية ، إذ انتصرت الأخيرة وللاثنى مذهب أريوس . وتصرف الباقون من المناكرين به ، ومنهم أوريجانوس ، الذي ذهب إلى أنطاكية حيث تكونت حوله مدرسة كان لها في تاريخ المسيحية الشرقية تاريخ طويل ، واتخذ المصريون مع أهل الإسكندرية في عارية كل بدعة تناقض المذهب الأرثوذكسي كما تقر في مجمي نيقية وأفسس الأولى ، فلما تدخلت الدولة وانصدمت لحماية الأرثوذكسية ، وأخذت تفرض على

MENENDEZ PELAYO, *Historia de los reinos godos* . . L. p. 347 - 348.

(١)

الناس مذاهب معينة ، كما حدث في مجمع أليسوس الثاني ، بدأ المصريون وأنصارهم يتحدون موقفاً معارضاً للدولة ، بدافع التحدي لسلطانها في صورة معارضة لسلطانها السياسي ، وظهر هذا بصورة واضحة في مجمع خلقيدونية الذي تصورت كنيسة القسطنطينية أنها قضت فيه على مناقشتها كنيسة الإسكندرية فخاب ظنها ، لأن النزاع تحول بعد ذلك إلى نزاع قومي ، وصمد المصريون وتحولوا شيئاً فشيئاً نحو المونوفيزية وابتوا عليها رغم اضطهاد قيس ، ثم انضم قيس إلى قباط مصر ، ولم يجد مخرجاً من أيّ الدولة إلا بالالتحاق مع العرب ، إذ رجا أن يجد في حكمهم خلاصاً من اضطهاد الدولة وتدخّلها الدائم في شؤون العقيدة .

وقد درجا في دراستنا لتاريخ مصر على أن ننظر إلى الخلافات المذهبية التي كانت متواجدة بين مصر والدولة البيزنطية على أنها من أكند الأسباب في تسيير فتح مصر على العرب أولاً ، وفي دخول المصريين في الإسلام بعد ذلك . فأما عن أثر هذه الخلافات في تسيير الفتح فأمر ظاهر لا يحتاج إلى شرح طويل ، وأما من تسييرها دخول المصريين في الإسلام فنقول فيه إن مناقشات رجال الدين في موضوع طبيعة المسيح واجتهاد كل صاحب مذهب في اجتذاب الناس إلى رأيه وتغيير الناس من مذاهب الآخرين ، ثم تدخل الدولة وحرصها على فرض آراء معينة في ذلك الموضوع ، كل ذلك أوقع الناس في حيرة كبرى من أمر دينهم ، وتضاربت الآراء في أذهانهم ، فلم يعرفوا أيها الصحيح ، ولم يعرفوا كذلك بأيها يأخذون ليؤمنوا سلامة عقيدتهم من ناحية وسلامة أبدانهم من أيّ الحكام من ناحية أخرى . إذًا هم في ذلك إذ دخل عليهم العرب بالإسلام ببساطة وسر أصوله ، فبدأ هم وكأنهم خرج من ذلك المخرج كله ، ووجدوه يقرر نسوة عيسى عليه السلام ويلقي مسألة الطبيعتين باستنكاره بنوة المسيح له وتقريره أنه نبي كغيره من الأنبياء ، وتأكيده ذلك بتفيه مسألة صلب المسيح مما ينقض نظرية الخلاص نقضاً مبرماً . وكان القول « بالخلاص » عيناً تليلاً على نفوس الناس ، إذ لم يتصوروا كيف يخلق الواحد منهم محملاً بآثم خطيئة الإنسان الأول ، وكيف ينبغي عليه أن يسعى في خلاص ووجه بالإيمان بالصلب أولاً ثم بشرائه نصيبه

من الخطيئة بالوفاء من الحرمان والعذاب من بيتنا تلقي الشهادة ثانياً .

ويغني أن نذكر ذلك كله عند دراستنا لفتح المسلمين للأندلس ودخول أهل في الإسلام ؛ فلما عن أثر الأحوال في إسبانيا في تيسير الفتح فقد فسرهنا عندما قلنا إن القوط كانوا طبقة حاكمة متعالية منفصلة عن الناس ، وكان حكمهم ثقيلاً على الناس ، فلما كسر العرب القوط دانت لهم البلاد ، كما دانت لهم مصر بزعامة البيزنطيين . ولا عبرة بالقول بأن القوط غيروا سياستهم حينما الناس بعد قرارات مجمع طليطلة الثالث في سنة ٥٨٩ وبعد إلغاء الملك رَحَشَفِيتُو للقانون الذي يحرم زواج القوط بأهل البلاد بعد ذلك بسنوات قليلة ، فإن سلوك الناس لا يتغير بالقوانين بل بفعل الزمن ، وكان ما بين هذه التشريعات الطليطلية ودخول الإسلام زمناً قصيراً لا يسمح بحدوث هذا التغيير الحاسم الذي يتغنى به مننذ بلايو^(١) ، فقد ظل القوط حكاماً معترزين بالسلطان وإن أشركوا معهم رجال الدين فيه ، ولو أن أيام القوط طالت لكان من الطبيعي أن يحدث التمازج الذي افترضه مننذ بلايو ، ولكن العرب دخلوا الأندلس والقوط على ما هم عليه من الانفراد بالسلطان ، فكانت المعركة بينهم وبين القوط لا بينهم وبين الإيبيريين الرومان ، ولهذا كانت قصيرة المدى ، وساعد على تقصير مداها ما كان من ضعف القوط واختلافهم فيما بين بعضهم وبعض . ويغرد ذلك مننذ بلايو بقوله : « لقد كان لحرمين نبلاء القوط على الانتقام (بعضهم من بعض) ثمراته الطبيعية . وربما لم يكن أولئك النبلاء يحسبون أن عملهم هذا سيؤدي إلى هذه النتائج البعيدة ، فقد توجت العنابة العربية التي قام بها طارق وعموس بنصر سريع عجيب ، وذلك بفضل العناصر المعادية التي كانت تغلي في إسبانيا ، وفتحت المدن والحصون عنوة أو صلحاً ، واستسلمت في أوربولة المقاومة الضعيفة التي حاولوا تدمير ، وهو القوطي الوحيد الذي حاول أن يرفع رأسه وسط الدمار العام ، وقامت الحمايات العربية واليهودية في أشيلية وقرطبة وطلطلة وبادجة . . . »^(٢) .

MENENDEZ PELAYO, op. cit. p. I. 345.

(١)

MENENDEZ PELAYO, op. cit. II, p. 7 - 8.

(٢)

وإنما فقد كان للخلافت الدينية أثر بعيد في تيسير الفتح الإسلامي للأندلس ، كما كان لها نفس الأثر في فتح مصر . والمؤرخون الإسميان يستكبرون هذه الخلافت ويعملون حيلة

بخالفة عمل ما خالفت العقيدة الكاثوليكية منها ، ويصفون أصحابها بالحياة والإجرام والمروق وما إلى ذلك ، ولكنهم لو أمعنوا النظر لبدأ لهم الأمر أهون من ذلك بكثير . فإن المسيحية نفسها كانت إلى ذلك الحين موضوع مناقشات ، وكانت أصولها غير واضحة أو محدودة ، وكانت المجمع الدينية في الشرق والغرب لمجتهد في تحديد أركان العقيدة ، وكل مجمع ينشر عمل الناس رأياً بقرر أنه الصحيح ويعملون أن يجعل الناس على الأخذ به ، وكان الخلاف بين ما تصوره هذه المجمع يبدو في بعض الأحيان وكان كلاً منها يتنادي بدين يختلف عما يتنادي به الآخر .

كانت الكنيسة الشرقية تعتبر مذهبها هو المذهب القويم (أورثوذكس) ، والكنيسة الغربية تعتبر مذهبها عالياً (كاثوليكي) ، وكانت كل منها تكفر الأخرى ، بل كان في داخل كل منها أكثر من مذهب ، ففي الشرق كانت عشرات المذاهب أظهرها النسطورية والمونوفيزية والخلقيدونية ، وفي الغرب كانت الحرب القهية بين الأسقفيات بعضها وبعض ، وبينها وبين البابوية ، وقد كانت هذه الأخيرة لا تعني عقيدة فقط وإنما عقيدة ودولة ، فقد كان بابوات روما يرون إذ ذلك أنهم وروثة الرسول بطرس من ناحية وروثة أباطرة الرومان من ناحية أخرى ، ولم يكن ذلك خافياً على أحد ، فكان الملوك يؤيدون بابوات روما أو يناهضونهم تبعاً لمصالح عروشهم ، فقد أبدعهم الفرنجة وحاربهم اللومبارد ، وكانت علاقاتهم بكنيسة طليطلة علاقة ولاء يشوبه الحذر ، وبين الحين والحين ، كانت الخلافات تقع بين البابوات ومطارنة طليطلة ، فقد كتب يوليانيوس مطران طليطلة إلى البابا في سنة ٦٥٣ يصفه « بجهل غجبل » وكانت الخلافات على أشدها في مسائل العقيدة داخل الكنيسة الإسبانية : حول مسألة الرؤيا Apocalipsis أو مركز كنيسة روما (كنيسة الرسول بطرس) أو قداسة التعميد de sacramento babbismatis وما إلى ذلك ، وكانت المناقشات بين الأساقفة

حول هذه الموضوعات تطول وتشتد ، وتنتهي عادة بقرار من مجمع طليطلة يفرض على الناس فرضاً .

فإذا كان هذا حال البياوت والمطازرة والأساقفة من الخيرة في مسائل العقيدة فيما بالنّا بنير رجال الدين من عامة الناس ، وكانت غالبيتهم المعظم لا تقرأ ولا تكتب ولا تفهم من اللاتينية حرفاً ؟ كيف نتظر أن تكون أمور العقيدة مقررة في أذهانهم بهذه الصورة التي يفترضها مؤرخو إسبانيا ؟ إنما الطبيعي أن تكون أذهانهم مبليطة كما كانت حال غيرهم من عامة السّحين في ذلك العصر ، وليس أدل على ذلك من انتشار السحر والكهانة والشعبلة في إسبانيا وغالة ، وهي ظواهر لا نعم إلا في أزمّة الاضطراب السياسي وانتشار المخاوف وضعف الإيمان وهبوط مستوى العقائد . ولم يقبل عليها عامة الناس لفظ بل الملوك والنبلاء وبعض رجال السفين ، وابتداء من المجمع الطليطلي الثالث لا تحلوا قرارات مجمع منها من بضع مولا تحرم السحر والكهانة والتوسل بالأشجار والأحجار وما إليها لكف أدنى الأرواح الشريرة ، بل إن المجمع الخامس اعتبر من يمارس السحر أو يلبجأ إلى الكهان ملعوناً من الكنيسة محروماً من رحمة الله ، وإنما للسمح في بعض قرارات المجمع ضد السحر أن بعض الناس كانوا يلجأون إليه ليخلصوا من الحكام ، وأن معظمهم الأخر كان يقدم القرابين للشياطين ، بل اتحدوا الناس إلى الوثنية الصريحة حتى اضطر المجمع الطليطلي الثاني عشر عام ٦٨١ لى حفزهم القساوسة على القضاء على عبادة الأصنام ، ولم ينحسم الأمر مع ذلك فوجد المجمع السادس عشر محرم من رحمة الله عبدة الأوثان والأحجار وعيون الماء والأشجار والصرافين والسحرة ، وقرر المجمع الحادي والعشرون طرد القساوسة الذين يصنعون الأصبجة والرقى^(١) .

لم تكن النصرانية في إسبانيا القوطية إذأ بالشعول الذي تصوره ، ولم تكن العقيدة المسيحية واضحة محددة المعالم لعامة الناس ، وإنما كانت القلوب في حيرة والعقول تتلمس طريقها لتفهم ما يلقى إليها ، وكانت الحلاتات المذهبية

MENENDEZ PELAYO, op. cit. I, p. 422 - 428.

(١)

كثيرة متضاربة ، وقد قامت جماع طليطلة بجهد عظيم في سبيل تحديد أصول العقيدة ، وقامت تفرض وأنها بالقوة والعض ، فكان لذلك أثره الطبيعي : هجر الكثيرون منها وأخذوا يعارضونها ، ولا كان الملوك يؤيدون الكنيسة ويأمنون بأمرها ، فقد أصبحت المعارضة الدينية معارضة سياسية أيضاً . ولا شك أن الخلاف بين بيتي غيطة وأحيكا كان له وجهه الديني ، والأسقف لذريق الطليطلي يزيد ذلك فيقول : « إن غيطة لم يكن طاغية بغضاً قحسب ، بل كان ملكاً منساقاً على الكنيسة وثامراً ، يؤيد اليهود ويهابهم ، ويجمع مجلساً في طليطلة ، ويصدر قرارات منكرة ، ويرد على تحفيزات البابا بفصل مملكته عن البايوية ، ويصدر قراراً يحرم به على رعاياه الاعتراف بسلطان البابا ويشترط على الكنيسة تعيين قريه لويه Oppos مطراتاً لطيطة ، فقد حشره في هذه الوظيفة حشراً روع الناس ، وكان يحتل كرمي المطرية قبل ذلك سندره (الذي عاد إليه عندما احتل لذريق العرش) وقتل فامله Favilla ذوق كتيرية وسعل عني ثيودوفريدو Theodofredo وهدم أسوار المدن وأحرق السلاح ، لا حياً في السلام ، كما زعم بعض المؤرخين بالتناقضات ، ولكن ليحول دون قيام الثورات على سلطانه المتبد ⁽¹⁾ .

٢٢٢ - الإسلام
 ولقد أفضي أصحاب هذه المذاهب والآراء من اضطهاد الكنيسة
 مع حدا
 للاضطهاد
 النبوية المسيحية
 في الأندلس
 والدولة عندما صار الأمر للمسلمين ، فقد دخلت الغالبية
 المعظية من أهل البلاد في الإسلام ، إذ وجدت فيه حلاً
 سعيداً مريحاً للمشكلة العتيبة . وتلك ظاهرة واسعة المدى لا
 ينبغي أن تغيب عن نظر أحد من يدرسون تاريخ انتشار
 الإسلام : كانت المشكلة الدينية عمداً ناصباً للكثيرين جداً من المسيحيين في تلك
 العصر . ذأما العوام والبسطاء فقد أراحوا أنفسهم من العناء ولم يحموا أنفسهم
 في مسائل الطبيعة والظيحتين وما يترتب عليهما ، ونجوا بأجسامهم كذلك من
 سلطان الحكاميين الذين كانوا يخرجون كل يوم برأي جديد في قالب الوثنية

opad MHNENDEZ-PILAYO, op. cit. p. 367 - 368.

(1)

الفدية . وأما الأقلية المتكبرة فكانت بلاؤها عظيماً ، إذ كانت تصر على أن تفهم ديناً في حين أسر رجال الدين على أن يفهموه نيابة عنهم وما عليهم إلا التصديق والترديد . . وهذا الكلام ينطبق على كل بلاد المسيحية في ذلك العصر .

ثم جاء الإسلام يقدم لهم حلاً يطمئن إليه معظم الناس وينجو به معظم الفلقين ، بل جاء يعرض حيلة لمن أراد أن يقول لولاً لا ترضى عنه الكنيسة ، فأمنت البقية الباقية من النساطرة في العراق وبعض نواحي الشام ، وأمن المونوفيزيون في مصر والشام ، وأمن أصحاب الأسمال المختلفة في إسبانيا . وفي خلال الخلفاء قال يوحنا الدمشقي ما شاء له القول ، وتقلصت اسبيرانتوس في الأندلس ما شامت له الفلسفة ، دون أن يخشى أحد منهم أن يحدث له ما حدث لجرميوريوس حاكم قرطاجنة افرقية البيزنطي سنة ٦٤٦ ميلادية ، فقد كان رجلاً متديناً وأرثوذكسياً مخلصاً ، وكان يعارض كل رأي يعارض المذهب الأرثوذكسي كما لقرته الدولة أيام قسطنطين الثالث ، ثم قتل قسطنطين هذا فجاءه في مايو سنة ٦٤٦ وتولى العرش هرقلوناس وقامت بالوصاية عليه أمه ماريته ، فأصدرت أمرها بالارتداد إلى مذهب هرقل ، وكان مونوثلياً ، ووصل الخبر إلى جرميوريوس فأنكره ، حاسباً أنه إشاعة ، « وقام في الناس يؤكد لهم أن الأوامر بمطاردة الأرثوذكسية إن هي إلا وسيلة تُراد بها النيل من الأسباطورية المؤمنة الطاهرة الذليل ، وأراد أن يؤكد للناس مفادته ، فحضهم على الاجتهاد في تتبع المونوثيليين واضطهادهم ، غير عالم أن اليوم يومهم ، فلم تكن الأعباء بانواعها تصل إلى القسطنطينية ، حتى دُعي إلى هناك ليحاسب أسير الخسب على ما اقترف من جرم ، فرحل الرجل إلى القسطنطينية ، وهو - من حيرته - لا يكاد يعرف نفسه مصيراً ^(١) .

وربما بدأ غريباً أن يقال إن دخول المسلمين هذه البلاد كلها قد وضع حداً للاضطهادات التيبتية فيها ، ولكن هذا هو الواقع . فإن المسلمين تركوا المسيحيين الذين أرادوا أن يظلوا على دينهم أحراراً ينعلمون ما يشاؤون ، ولم تهد

(١) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ١٩٤٧ ، ص ٤٥ .

البابوية ولا رجال الدين وسيلة لأذى المخالفين ، ففتحت بالشيء الوحيد المقبول : المجادلة والأخذ بالرد ، فبينما كانت اللغة الأبدية والقتل والسجن والتشريد نصيب من يخالف الرأي الرسمي للبابوية والمجتمع أيام القوط ، نجد البابا ورجاله يكتفون بخطابات يدحضون بها آراء ألياندوس Elipandus مطران طليطلة الذي قال بعد الفتح العربي بقليل إن المسيح ، من الناحية البشرية ، كان ابناً لله بالشيء فحسب :

« (Christus) Unigenitus autem vocatur secundum divinitatis excellentiam, quia sine fratribus. Primogenitus secundum susceptionem hominis, in qua per adoptionem gratiae fratres habere dignatus est, de quibus esset primogenitus » .

وهي مقالة لم تنطق بها أحد في أيام القوط لكان جزاءه القتل ، ولكن البابا هديرمان الأول ورجاله لم يستطيعوا إلا حطس المخلصين لهم من رجال الدين على مطاردة هذا الرأي الذي انتشر حتى آمن به نفر من نصارى أثنريس وكثيرة ممن كانوا خارجين عن طاعة المسلمين ، وكتب إيثريوس Heterius كتاباً في الرد عليه :

Liber Etherii adversus Elipandum, sive de adoptione Christi filii dei.

وقد استمرت هذه الآراء تظهر وتختفي خلال العصور الإسلامية ، ولم يكن لأحدها من الصدى أكثر مما يكون لرأي يطرح للناس ، فبزيده من يبريد وينصرف عنه من يبريد ، ولا يبقى أصم الأمر إلا الرأي الذي يقبله العقل ويؤمنن إليه القلب ، ولو كانت هناك المجامع وسلطان الدولة لأصبح لكل رأي منها فرقة كما كان الأمر أيام الدولة البيزنطية ، إذ إنه لا يبيح الآراء ويضوي المقامع شيء كما لا يضطهاد . وقد وقعت الدولة الإسلامية في الأندلس موقف الحيات الكامل ، ولم تفعل فعل الدولة العباسية مثلاً عندما تناصرت النساطرة على من سواهم . وقد بلغ من عدم حفل الدولة الإسلامية في الأندلس فقه المذاهب ،

والأراء نصارى الأندلس مجلة ، أن ضاق فرح المظهرين من رجال الدين بهذه الدولة التي تغري المسيحيين بتساعها على دخول الإسلام ، ولا يقرأ أحد من أهلها شيئاً مما كان رجال الدين هؤلاء يكتبونه في نقد الإسلام ويملاونه بالطعن الخارج ١

لقد شكنا الراهب ألبر القراطي من أن أحداً من إخوانه النصاري لا يقرأ اللاتينية لو يلقى بدلاً إلى الكتب المقدسة المكتوبة بها ، لأن الناس في الأندلس كانوا في شغل من ذلك بالعربية ودراستها ومحاولة التمكن منها ، فلما لم يستمع أحد لشكائنا أخذ يحرص المسيحيون على التحرش بالإسلام والقرآن والرسول صل الله عليه وسلم ، فجعل نفر من النصاري يفعلون ذلك ويعرضون أنفسهم للآفة ، فكانت عمة نصاري قرطبة أولاً ثم طليطلة ثانياً ، وهي الفتنة الوحيدة من نوعها في التاريخ ، لأن الغالب أن تضطهد الاكثية الاقلية ، أما هنا فقد شاء طموح رجال الدين إلا أن تضطهد الاغلبية الحاكمة بالطعن في مقدساتها ، ولم يدفع هذا النفر من رجال الدين المسيحيين إلى تحريض الناس عليها إلا هذا التسامح الذي جرى عليه أمراء بني أمية في الأندلس . وهو تسامح بلغ حد الإهمال ، حتى شعر رجال الدين أن أمرهم قد ضاع فلا هم يجهذون سبيلاً إلى الحكم ، ولا هم يملكون الوسيلة إلى السيطرة على عضد الجماهير بالظهار براعتهم في مسائل الدين ، فلم يجهذوا طريقاً للخروج من ذلك الخسوف إلا بركوب هذا المركب الوعر .

٢٢٤ - أثر
الإسلام
في نصرتنا
الأندلس

ولقد ذهب صيمونت ومن تبعه إلى القول بأن ما ظهر بين نصاري الأندلس خلال العصور الإسلامية من الأراء المخالفة لرأي كنيسة روما إنما كان أثراً من آثار الإسلام من نصاري الأندلس ، وليس ذلك من الضروري ، لأن المسيحية نفسها ضمت كل لون من المذاهب والأراء قبل ظهور الإسلام ، مثال ذلك أن مذهب الهينادوس - الذي نشرونا إليه - اقرب ما يكون إلى قول النسطورية ، وقد عرفت إسبانيا النسطورية

قبل عي. الإسلام⁽¹⁾ ، ومثال ذلك أيضاً أن القس أسبيرابندوس Spirasindos وكان من شيوخ الكنيسة الإسبانية في أوائل القرن التاسع الميلادي (أي في أيام الأمير الحكيم بن هشام المعروف بالبرضي) ، كتب رسالة صغيرة ، ضد بعض المذاهب المنحرفة التي ظهرت في هذه الفترة النعيسة ، يقول أصحابها بإنكار سلطان أنبياء الكنيسة وعلمائها ، وجرؤوا على أن يسموا ألوهية المسيح مزمع الشك ، وعلى إنكار عقيدة الثالوث ، إذ أصلتهم الأراء الإسلامية ، كما يقول سيمونت في أسلوبه المقلد الجاهلي ، وعنوان رسالة أسبيرابندوس :

Spirasindos Abbas contra haereticos quosdam negantes triunitatem personarum in unitate substantiae atque divinitatem in Christo (2)

ولا نستطيع القطع بأن هذه المذاهب كانت أئراً من أئار الإسلام ، لأن هذه الأراء نفسها ظهرت في المسيحية في المشرق والمغرب قبل ظهور الإسلام ، ولا يستبعد أن يكون وجود الإسلام في الأندلس قد أعطى أصحابها حججاً وآراءً وقوى مركزهم .



٢٢٥ - المسلمون وإقاً فلم تكن المسيحية في إسبانيا قبل دخول الإسلام ثابتة والكنيسة الأركان ولا موحدة الكلمة ولا متمكنة في قلوب الناس جميعاً الإسبانية
 عمل التحو الذي يسمونه المؤرخون عادة ، بل لم يكن كل التصاري بأعين عمل أنفسهم ولا واخسين عن الوضع الذي كانت عليه . ومن هنا فإنه يبدو لنا أن ما سرف فيه بعض المؤرخين من الكلام عما أصاب المسيحية على أيدي المسلمين مبالغ فيه إن لم يكن مناقضاً للحقيقة والواقع . حقيقة إن المسلمين اعتبروا أملاك الكنائس التي تركها أسلافها وتسلستها وقرروا ملكاً للدولة ، وتصروا نفوذ رجال الدين على الدين ، وذلك لا يعني أئى المسيحية

(1) انظر عن التطورة في إسبانيا :

MENENDEZ PELAYO, op. cit. I p. 313 sqq.

SIMONET, Mozarabes, p. 341 - 342.

(2)

والمسيحيين ، فقد كانت الكنيسة كما رأينا تلك نحو خمس الأرض المعاصرة ، وكان رجال الدين يتولون الحكم باسم الملوك ، ويتعرضون لكل ما يتعرض له أصحاب الحكم من أخطاء وهدايات ، وليس ذلك من صالح الدين في شيء . بل من الغريب أن أولئك الذين يتهمون العرب بأنهم خربوا عشرين أو ثلاثين كنيسة يفعلون ذلك باسم حرية الفكر وحرية العقيدة ، ونحن نحدهم بأن نسألهم : كم مسجداً بقي في إسبانيا بعد أن أصبحت السياحة فيها للنصرانية ؟

كان في إسبانيا على أيام الفوط ست كنائس جامعة على رأس كل منها مطران ، وكانت هذه الكنائس الست تقوم في قواعد الأقسام الإدارية الكبرى كما كانت على أيام الرومان ، وهي : طركونة وماربدة وأشبيلية وأفراغة وقرطاجنة وطليلة ، ويبدو أن مجمع طليطلة الثاني عشر قد اعتبر مطرانية طليطلة رأس المطرانيات جميعاً .

ثم نل ذلك الأسقفيات وبعدها إحدى وعشرون في إسبانيا الفرطاجنة ، ومن المفيد أن نذكرها هنا ، لأن معظمها سيكون لواحد كور في التنظيم الإداري الإسلامي ، وسنذكرها بأسمائها اللاتينية ولنبيج كل اسم بمقابلته العربي إن وجد ثم القشتالي الذي أخذ عن الصيغة العربية في بعض الحالات ، ونبيج إلى اليوم :

Guadix	واخي أش
Arcabica	أركبيقة
Baeza	بياسة
Baza	باسة
Bigastro	(في مرسية)
Cartagena	قرطاجنة
Cazlona	قسطلونة
	Bisaya أو Beacio
	Beasti
	Bigastra
	Cartago
	Castulo

(عاصمة إقليم
كونكة البوناتي)

Alcala de Henares	مدينة المائدة	Compluto
Denia	دانية	Dania
Elche	إلشي	Illici
La Guardia, Jaen	متينة	Menissa
Granatola, Ciudad Real	أوريط	Oreto
Osona	أوسونا	Oxuma
Palencia	-	Palentia
Jatija	شاطبة	Setabis
Segovia	شغوية	Segobia
Segorbe	-	Segobriga
Sogoenza	-	Segontia
Valencia	بلنسية	Valentia
en Cuenca	(في قونطة)	Valeria
Villaricos	عل مطرية من	Urcl

وفي ولاية بيضي عشر أمشيات هي :

Sevilla	أشبيلية	Hispalis
Medina Sidonia	شيدونا	Asidonia
Ecija	أستجة أو إنجة	Antigi
Cordoba	قرطبة	Corduba
Cabra	قبرة	Egabro
Niebla	بلبة	Elepla
Elvira	إلبيرة	Elberis أو Iliberri
Italica	طالقة	Italica

Malaga

مالقة Malaca

Martos

- Tacci

رقب لشبانية (Lusitania) - وهي البرتغال الحالية - ثلاث عشرة أسقفية هي :

Mérida وهي القاعدة

Emerita ماردة

Avila

Abela أبلة

Visco

Besoo بيزو

- (Ciudad Rodrigo من Calabria)

Coria

Cauria قورية

Coimbra

Conimbrã قلمبرية

Evora

Ebora إبارة

Idania la Vieja

- Egítania

Lamego

- Lameco

Lisboa

Olisipona الألبونة

Ossonoba (Faro)

Ossonoba أكشونية

Beja

Pax Julia باجة

Salamanca

Salamanca شلمنقة

رقب جليقية تسع أسقفيات هي :

القاعدة

Braga

- Braga

Astorga

Asturica أستورقة

Orense

- Astriense

Santa Maria de Breto

- Britonia

(Cerca de Mondenoba)

Dumio قرب Braga

Padron (Coruna)

- Iria

Lugo	لُوكْ Lucas
Meinelo o Oporto	بورتغال Portucale أو Magneto
Tuy	تودة Tude

وفي إسبانيا الطركونية (الشرق) ١٥ أسقفية هي :

القاعدة Tarragona	طاركونة Tarracona
Oca	أوكا Auca
- Osona	أوشونة Ausona
(في مقاطعة فيش Vich)	
Barcelona	- Barcino
Zaragoza	سرقسطة Caesaraugusta
Calahorra	قلهرة Calagurris
Tortosa	طرطوشة Dertosa
Tarrasa	Egara
Ampurias	أمبريانش Empurias
Gerona	جرندة Gerunda
Lerida	لاردة Berda
Huesca	وشقة Osca
Pamplona	بمبلونة Pampilona
Tarazona	طرسونة Tirassona
Urgel	- Urgello

وفي المقاطعة النربونية ثمان أسقفيات هي :

القاعدة Narbonne	أربونة Narbona
Agde	أجدة Agatha
Beziers	- Beterres

Carcassonne	قرقشونة
Elna - Perpignan	- Elna
Ludève	- Ludeba
Magallon	مجلونة
Montpellier	Neumaso
Nîmes	نيمة

تمسحوج الطرانيات والأسقفيات على هذه كان ٧٧ ، منها ٨ خارج شبه الجزيرة و ٦٩ في شبه الجزيرة^(١) . ومن هذا العدد الكبير يذهب أصحاب المذونات النصرانية ، ويتابعهم المؤرخون المحدثون ، إلى أن العرب هربوا عدداً يبلغ الأربعين ، وهذا القول مبالغه تعرفها من أولئك الرهبان ، لأن العروف أن المسلمين لم يهربوا في الشام أو مصر كنيسة واحدة ، فلا يعقل والحالة هذه أن يهربوا في إسبانيا تحو نصف الكنائس والواقع يدحض هذا الزعم ، وأبسط الدلائل على ذلك أن المسلمين لم يهربوا كنيسة قرطبة ، مع أنهم استولوا على البلد عشوة ، بل اكتسوا بمشاركة المسيحيين إياها ، وعندما انتشر الإسلام في البلد ، وقساق نصف الكنيسة بالمصلين اشترى عيد الرحمن الداخل النصف الآخر من التصاري ، وأذن لهم في بناء كنيسة أخرى بدل القديمة التي أصبحت كلها مسجد قرطبة الجامع .

يبد أننا لا نستبعد أن يكون بعض الأتى قد أصاب الكنائس الواقعة في الأقاليم التي ظلت خلال الفترة التي نتحدث عنها دار حرب ، وهي كنائس أقاليم جليقية والولاية السريونية والجزء الشمالي من إسبانيا الطركونية وولاية لشذانية . فقد ظلت النواحي ميدان صراع يتآل التخريب كل ما فيها : كنائس وغير كنائس ، وهي لم تتخرب لأن المسلمين أوردوا تخريبها ، بل لأن هذا فعل الحرب في كل زمان ومكان .

AGUADO BLEYE, op. cit. p. 364 - 365.

(١)

وربما كان الذي أوقع أولئك الرهبان من أصحاب المدونات النصرانية في الخطأ هو أن الكثيرين من الأساقفة تركوا أسقفياتهم وهربوا أمام الجيوش الإسلامية ، طغياً منهم أن المسلمين سينتكون بهم ، ويقادوا إلى بلاد الشمال القضي ، فظن الرهبان أن هروب الأسقف والقسومة معناه تحريب كنيتهم . وقد عاد الكثيرون منهم إلى كنائسهم بعد أن رأوا أن المسلمين لا يعتقدون على الكنائس أو رجال الدين ، ويؤيد ذلك القول سيمونيت كبير الخاملين على الإسلام والمسلمين بين المؤرخين الإسبان المحدثين⁽¹⁾ .

وعلى أي الأحوال ، فإن المراجع النصرانية نفسها تذكر أن الأسقفيات والكنائس الآتية بقيت ومحاش أهلها في سلام مع المسلمين :

مطرانبات طليطلة وماردة، وأشبيلية ،

وأسقفيات وادي آش - أركييفة (في ولاية قونقة) - شلونة - استجة - برشلونة - بسطة - بياسة - بجاستر (نقلت فيها بعد إلى قرطاجنة) - قلتهرة - قورية - سرفسطة - مدينة المائدة (Compluto - Alcala de Henares) - قلقرية - قرطبة - قبرة - ليلة - ألبيرة (غرناطة) - جرنندة - إشب - مالقة - أرجلور (Urgel) - أوسمة - بيجية (Exca - Segla) - سيجونيا (Sigüenza) - توكي (Martos) - أرشي (Urci) ، على مقربة من المرية) - طابغة - بلنسية .

والمجموع إحدى وثلاثون مطرانية وأسقفية .

لذا ذكرنا أن عدد هذه الكراسي الكنسية داخل شبه الجزيرة كان أيام القوط تسعة وستين ، منها تسعة لم من كراسي الولاية الطركونية الخمسة عشر ، وخمسة من كراسي ولاية إسبانيا القرطاجنية - إذا استبعدنا هذه الكراسي التي كانت واقعة في نواحي خارجة عن دار الإسلام وعددها خمسة وعشرون كرسياً ، كان الباقي الذي دخل في ديار المسلمين من قواعد الكراسي الكنسية

SIMONET, op. cit. 122 - 123.

(1)

أربعاً وأربعين . وقد ذكرنا أن المراجع النصرانية نفسها تؤكد وجود واحد وثلاثين ، أي أن الذي انضى من الكرسي الكنسية أحد عشر .

نقول « انضى » ولا نقول « زيل أو عي » ، لأن هناك ظاهرة هامة لا ينبغي أن نلجأ إليها في ذلك الحساب ، وهي أن قيام دولة الإسلام في الأندلس اقتضى تغييرات إدارية استدعتها وضع الدولة الجديدة : أعيد تنظيم بعض الأقسام الإدارية الضوطة عند تحويلها إلى كور ، فأخرجت من بعضها بلاد ضمت إلى أقسام أخرى ، ونقلت قواعد بعض أقسام إلى مدن أخرى أكثر مناسبة للمطالب الإدارية الإسلامية وهكذا ، فكانت النتيجة أن حل بعض المدن فلم يعد يستحق أن يقوم فيه كرسي كنسي . ولم يقتصر هذا الأمر على الأندلس الإسلامي بل حدث مثله في إسبارة أشتريس التي أصبحت مملكة ليون فيما بعد ، فقد ضم مثلاً كرسي أفراسة (Braga - Bracara) إلى كرسي لوك (Lugo - Lucus) ونتيجة لذلك قل عدد الكرسي الكنسية في الأندلس الإسلامي . وعندما كانت تمر ناحية وتتمدد قاعدتها - أي تصبح مدينة - كان المسلمون لا يمانعون في إنشاء كرسي كنسي فيها ، ومثال ذلك ما حدث لبظليوس عندما عمرت وكبرت وأصبحت قاعدة كورة : أنشأ المسيحيون فيها كرسيًا كرسياً رغم قربها من قسورة وسارفة . وكان في كل منها كرسي ، بل كانت الأخيرة مطرانية^(١) .

٣٦٦ - هناك وربما كان أهم تغيير في النظام العام النصرانية في الأندلس هو
مركز السحبة انتقال مركز النقل من طليطلة إلى قرطبة . ثم نقل المسلمون
الأندلسية كرسي المطرانية الكبرى من طليطلة إلى قرطبة ، بل تركوه كما
إلى قرطبة كان مراعاة للشاعر النصراني ، ثم حرصوا على أن يكون
المطران قريباً منهم في العاصمة ، بل عقدت مجامع طليطلة في قرطبة^(٢) ، وذلك

SIMONNET, *op. cit.* p. 122 - 123.

(١)

SIMONNET, *op. cit.* p. 123 - 124.

(٢)

إجراء بسيط. لم يؤثر في أحوال التصاري ولم يمس نظام الكنيسة ، بل استدعاه الصالح العام ، وربما يكون رجال الدين أنفسهم هم الذين حرصوا على أن يكونوا على مقربة من الأمراء والحلفاء ، ولكن مؤرخي إسبانيا النصرانية يتقدون ذلك ويعتبرونه عدواناً على كنيستهم وتمصياً على النصرانية ، وهذا أقرب ما يمكن سماعه من قوم لم يبقوا في الأندلس كله - عندما صلا الأمر إليهم - على مسجد واحد أو مسلم واحد ، ومهما يتأمل الإنسان في منطق أولئك المؤرخين لا يسه إلا أن يأسف أن يكون هذا مبلغ نظر من أهل الديانة والفكر والعلم في عصرنا هذا من الإحساس الإنساني .

٢٢٧ - كنيسة
الأندلسية
النطاق الشرقي

حلل أمراء قرطبة محل ملوك القوط ، فانتقل إليهم بذلك الإشراف الأعلى على شؤون الكنيسة في بلادهم ، وجعلوا قرطبة المركز الفعلي للنصرانية الأندلسية ، واحتفظوا لأنفسهم بالحق في تعيين المطران - أو إقرار انتخابه بقول أصح - وفي الموافقة على الدعوة لعقد المجامع الدينية . وكان هذا في ذاته تغييراً حاسماً في تاريخ الكنيسة الإسبانية . لأن مطرانية طليطلة كانت معترة قبل الفتح تابعة لكنيسة روما روحياً وأدبياً ومالياً أيضاً من بعض الوجوه ، فقطع العرب هذه العلاقة وجعلوا للنصرانية الإسبانية كياناً مستقلاً ، فلم يعد التصاري المقيمون في النواحي الخاضعة للمسلمين يرسلون شيئاً من أسرارهم إلى روما ، وانقطع بحريء القساوسة والرهبان ورسائل البيبوية من غالة وإيطاليا بصفة رسمية ، أي أن هؤلاء التصاري انفصلوا تماماً عن إخوانهم التصاري في إيطاليا وغالة وبقية أوروبا ، وتغير اتجاه أولئك التصاري من الغرب إلى الشرق ، واندرجت النصرانية الأندلسية في عداد النصرانية الشرقية وإن كانت كاثوليكية ، وأخذت تتأثر تبعاً لذلك بمؤثرات نصرانية - إسلامية - آتية من الشرق . ومن هنا فقد أخذت تفرس هذه الكنيسة الأندلسية تختلف عن الطقوس التي سلوت الكنيسة الكاثوليكية عامة . وقد أتى هذا الاختلاف نتيجة لتحويل الكنيسة الأندلسية في النطاق الشرقي ، ونتيجة لثبات هذه الطقوس على ما كانت عليه أيام دخول

المسلمين ، في حين ظلت بقية الكنائس الكاثوليكية التي كانت على اتصال دائم مباشر مع البابوية خاضعة لكل ما تقرره البابوية من تعديلات وتعديلات تصدر بها أوامر من المجمع الكنيسي العام أو مجمع الكرادلة في روما .

٢٢٨ - الطقوس ويذهب مؤرخو الكنيسة الإسبانية إلى أن أول من أدخل هذه القوطية الطقوس إلى إسبانيا كان القديس الرسولي سان توركوواتوس الكنيسة Sanctus Torcuatus مؤسس كنيسة إيزيدور ، آسن ، ثم حدد أصولها وشعارها القديسان لساندروس وأخوه إيزيدور ، ولهذا سميها الأسقف رودريجو خيمينيث شعار إيزيدور وإلياندروس Officium Isidori et Leandri ، وسميها بعضهم الإيزيدورية فحسب Isidoriano . ثم شاعت وجرى بها العمل أيام القوط ، ومن هنا أطلق عليها اسم الطقوس القوطية - Oficio Gote - Totodano لأن مجمع طليطلة الرابع قرر تعميلها في كنائس إسبانيا وغالاة النوبونية كلها . وقد جرى بها العمل في الكنائس في الأندلس الإسلامي دون أن يتعرض لها المسلمون بشيء ، وعندما بدأ ملوك ليون يتطلبون على بلاد المسلمين ، أطلق الليونيون على من كان في هذه البلاد اسم المستعربون كما قلنا ، وأطلق هذا الوصف أيضاً على شعائرهم فسيت بالشعائر الشعرية Oficio Mozarabe .

٢٢٩ - البابوية وما كانت البابوية تقف على أقدامها في حماية الدولة والطقوس القوطية الكارولنجية الفرنجية حتى أخذت تلقى الشكوك في قيمة هذه الطقوس وكاثوليكيته ، فدأت بإرسال حبريين أيام البابا يوحنا العاشر لينظرا في أمر هذه الطقوس ويعرضوا عليه رأيا فيها ، فذهب الحيران إلى كنائس ماللك إسبانيا النصرانية وعادا ليقررا أنها شعائر كاثوليكية سليمة . ولكن البابوية أصرت رغم ذلك على إلغاء هذه الشعائر وإحلال الشعائر الرومانية (نسبة إلى روما) محلها ، وما زال البابا جرمجوريس السابع حتى حمل شانجة ملك نبرة وألفونسو السادس ملك قشتالة وليون على الامتجابه لا يريد ، فألغيت الشعائر

المستعربة في نيرة وقتشالة وليون فيها بين سنتي ١٠٧٧ و ١٠٧٨ رغم معلومة شديدة من تصاري هاتين الملكتين^(١) .

ثم جاء دور تصاري الأنغلس الإسلامي عندما بدأوا يدخلون في طاعة ملوك إسبانيا النصرانية بعد استغلاب بلانهم . لقد ظلوا آمنين على شعائرهم ما داموا في حرم المسلمين ، فلما صاروا إلى حلبة ملوك النصرانية بدأت متابعهم وعادوا إلى ما كانوا فيه في العصر القوطي ١ وقد تحول الأمر إلى صراع دموي اشترك فيه أنصار الشعائر المستعربة مع أنصار الشعائر الرومانية ، ولو أن أمراً كهذا حدث أيام المسلمين لما وسعت الكلمات غضب المتحاملين على الحكم الإسلامي ، ولكن ما أشد اختلاف معايير القيم في أيدي أولئك الناس ١ لقد جمع الامبراطور القونرو السادس جمعاً في برغش عام ١٠٨٥ ، ولقى الشعائر المستعربة التي حافظ عليها المسلمون وأحل محلها شعائر فرضت على الناس فرضاً سلطان الرهبان الكلونيون ، وهم أجنب عن إسبانيا، كانوا يدخلونها إذ ذاك سادة لأهلها وقساوتها أيضاً .

ولم يرضن الشعب عن ذلك ، وسرت في صفوفه روح المقاومة ، وقال قائلمهم : « نموت أو نعيد هذا الملك بملك آخر قبل أن تقبل هذا التغيير » . ووقف الملك وحيداً أمام وجهته كلها . وتدخل نصر من الوسطاء في الأمر ، واستقر الرأي أخيراً على تحكيم القدرة الإلهية جرياً على شريعة العصور الوسطى : اتفق الطرفان على أن يوقدوا ناراً ثم يلقى فيها يكتب صلوات وفق الطقوس المستعربة ، وكتاب صلوات آخر وفق الطقوس الكاثوليكية ، وما يحترق منها فهو الباطل . ويقص رديجو الطليطل هذا الخبر ويؤكد أن النار

(١) يخرج مسبريت على موقف البابوية من الطقوس القوطية ، ولكن احتجاجه ولين لطيف لا يناس بعبارة القضاة على المسلمين، ولو أن المسلمين مساوا طقوس الكنيسة لما وجد في نقاط الضعف . بل الهداء . ما يكتبه وقد رأيت الإنكار على ذلك ليد روح الشعب الشديدة التي كتبه به هذا المؤرخ ومن داهه ، وهو تعصب يشوه الصورة التاريخية للأنغلس الإسلامي تشويهاً تاماً .

CI SIMONET, op cit. p. 695.

أكلت كتاب الشعائر الرومانية في حين بقي كتاب الشعائر القوطية سليماً لم يس ! ويؤكد صاحبنا سبحانه هذا الخبر ، ويروي رواية أخرى يتهم أصحابها بأنهم عاثرون للبابا ، إذ إنهم يقولون إن كتاب الصلوات الرومان عندما طرح لم يقع في النار ، أما القوطي فوقع فيها ولم يصب بلأذى وهكذا ثبت أن الآتين على حق (١) .

ويتسولون إن الطقوس المستعربية سلمت من الأذى نتيجة لهذا الحكم الإلهي ، ولكن ذلك لم يقعها طويلاً ، فما زال الالهوات يؤيدهم الملوك يلحون عليها حتى تلاشت آثارها خلال القرن السابع عشر .

وإنما استطرفنا مع تاريخ هذه الطقوس لكي نؤكد ما قلناه ، وهو أنها كجزء من التقاليد الإسبانية القومية عاشت في سلام طالما كان الأمر للمسلمين ، فلما انقضت أيامهم زالت واحتضت في ليل التواريخ مع ما ذهب من آثار المسلمين ..



٢٣٠- وظائف الكتابة
 يعني نظام الكتابة بعد الفتح سلباً دون تغيير ، كل ما حدث هو أن أسماء الوظائف تغيرت تبعاً لاستعراب السنة الناس ، وظهرت لها أسماء هي مزاج من أسمائها الأولى وألفاظ عربية ، وإليك بياناً بأهم هذه الوظائف كما وردت في كتابات نصارى الأندلس ، نوردتها على سبيل المثال :

Metropolitānus مطران أو *ميتروبوليتان* (Metropol) .

Episcopus أسقف أو أسقف .

Archi - Presbiter أريج *أرشيبيتر* ، وربما سموه بالاسمية الإسبانية

Arcipreste فقالبوا *أرشيبيترست* أو *أرسيبرست* . وقد

يضعون له اسماً مركباً Archi اليونانية الإغريقية « وقس »
العربية ، فقالوا : أُرُج قس .

Archidiaconus أوجدياقن أو أربندياقن (إسبانية : Arcidiacono أو
Arcecliano) .

وقد أبقى المسلمون على كل المؤسسات ذات الصبغة الدينية دون أن
يسرها بلذّي ، ككثيرة الرجال والنساء والبيع الصغيرة والمصليات العامة والخاصة
Capellas ، واحتفظ رجال الدين بملايهم وأزيائهم^(١) ، ثم غيروها شيئاً فشيئاً
من ثلغاء أنفسهم عندما أخذهم نيار الحضارة الشرقية واستعربوا لسناً وأسلوب
حياة ، بل الكثيرون منهم أخذوا أسماء عربية يعرفون بها بين الناس وإن كان
لكل منهم اسمه الكنسي اللاتيني أو الإسباني الأصل .

٢٣٦ - للمسلمون وقد وضع المسلمون أيديهم على جزء كبير من أملاك الكنيسة
وأملاك الكنيسة الواسعة ، واستولوا كذلك ، أيام الفتح فقط ، على الكثير من
ذخائر الكنائس وخاصة تلك التي تركها رجالها وسدنتها وهربوا . وعندما استقر
الأمر لم يعودوا يمسون ذخائر الكنائس . وقد اعتبر المسلمون ما وقع في أيديهم
من ذلك غنائم يجري عليها حكم الخمس ، فأما خمس أراضي الكنيسة فقد
اعتبر ملكاً للدولة ووزع الباقي بين الفاتحين ، وكان الجند في الغالب يتركون
الأرض بيد زراعها يؤدون إليهم عنه مالياً ، ويدفعون عنه ما يشاؤون
لكنائسهم ، فكان الأمر لم يتغير كثيراً بالنسبة إلى هذه الأرضين . وأما الذخائر
فأخذت الدولة حياضها وتوزع الجند الفاتح الباقي . وكانت الأديرة النصرانية طوال
العهود الإسلامية آمنة لا يروع أصحابها شيء ، وقد خرج المسلمون على التردد
عليها لانتعاش النيل الطيب على عادة نجان المشرق في هذا الباب ، وقد بلغ من
تسامح المسلمين مع نصارى الثلثة أن أفنوا لهم في قرع الترافيس .

SIMONET, op. cit. p. 127.

ISIDORO DE LAS CAGIGAS, los Mozarabes, I. p. 65.

(١)

وطلت الجماعات النصرانية في المدن والأرياف ملطخة حول أسانقتها
وقسبها ورعائها ، لم يتدخل المسلمون في شيء من علاقاتها بهم ، فطلت
الكنائس تزدى وطاقنها الاجتماعية إلى جانب وطاقنها الدينية ، فكانت القنطرة
يعقدون الزيجات ويعقدون الواليد ويتحارون لهم الأسماء ، وسجلون الميادعات
والعقود بين الناس . وليس يصحح أن المسلمين خصصوا للنصارى أحياء
خاصة يقيمون فيها كما يذهب بعض المؤرخين ، فليس لدينا دليل واحد على
ذلك ، ثم هو ليس بمعقول ، وقد كانت عملية دخول النصارى في الإسلام
عمل قدم ومناق .

والآن وقد ألمنا بأحوال أهل القعة من النصارى ، فلنمر مراراً بتاريخ
جالياتهم خلال عصر الولاة .

٢٢٢ - سياتي
أبناء المسلمين
عهد أهل القعة

كان عهد عبد العزيز بن موسى - ثاني عمال الأندلس
المسلمين - عهد أمن وخير للنصارى الإيبان ، فقد كان الرجل
سحاً لئلا لا يميل إلى الشدة إلا في حيث لا يجد نفسه محصاً

عنها ، وقد تزوج أهلية Egilona زوج القويق (فيها يثاق) وسماها أم حاصم ،
وكان بينه وبينها ود كريم كانت نتيجته وبالأعلى عليه ، لأنه أسرف في الانقياد لها
وأصل أن يرضيها بأثالث سمات ملوك القوط ، فأذكر العرب عليه ذلك
وقتلوه^(١) . ولم يتفرد عبد العزيز بن موسى بهذا الزواج بل فعلت ذلك غيره من
كبار العرب ، وقد ذكر لنا الرواة منهم زياد بن النابغة الصمعي ، مما يدل على أن
حركة الامتزاج بين العرب والبربر والإيبان بدأت من زمن مبكر جداً ، وهذا
طبيعي ، لأن المسلمين حينما دخلوا هذا البلد دخلوه وجلاً بغير نساء ، فلا بد
أنهم اتخذوا نساءهم من أهل البلد ، أي أن الجليل الثقل من مسلمي إسبانيا
كان هجيناً ، ولما كان ورود العرب إلى الأندلس قليلاً جداً نظراً لبعد المسافة ،

(١) ابن عبد الحكم ، ٢١٢ .

الأخبار الجيدة ، ص ٢٠ .

فإن الدم العربي الصريح تلامي في هذا القطر على عجل ، وإن نحد عند قيام الإمارة الأموية عربياً صريحاً إلا في النادر ، حتى عهد الرحمن المدخل نفسه كان هجيتاً^(١) ، إذ كانت أمه بربرية من نفزة ، وهذا في ذاته من غرائب المقادير : أن تكون أمه من المغرب ، وأن تقسم له المخطوط سيادة الأسديس حيث كان الكثيرون من دعاياه هجته من نفس الجنس . وقد آمن نصارى الإسبان في عهد عبد العزيز وبدلوا بطلتون إلى حكمهم الجدد ، وبالع بعض مؤرخي الإسبان في التعليق على سياسة عبد العزيز ، فيذهبون إلى أنه مال إلى النصرانية وأنه كان يفضل الإسبان على العرب ، ولكن هذه عبارات لا يؤيدها نص ولا منطق ، وكل ما في الأمر أن دواعي الشدة قد انقضت وهدأت البلاد فلم يبق إلا اللون والمحاسنة ، وقد فعل ذلك غير عبد العزيز من قائمي المسلمين كمسروين العاصم في مصر^(٢) .

ولم يصادر المسلمون في ذلك العهد اليكسر من كنائس أنشيلية - وكانت عاصمتهم إذ ذاك - إلا واحدة هي كنيسة القديسة رفينا Santa Rufina وتسميها بعض المراجع كنيسة زينة ، ولم يأخذوها كلها بل جزءاً منها جعلوه مسجداً ، بقيت بعد ذلك كنائس كثيرة مثل « كنيسة الماء » وغيرها ، مما يدل على أن المسلمين لم يمسوا عقيدة الإسبان في كثير^(٣) .

٢٣٣ - يوت بها وفي ذلك العهد اليكسر وجدت أسر مختلطة فيها مسلمون مسلمين ونصاري كبنى المنذ أخي غبطنة ، فقد كان حليفاً للمسلمين ونصاري وتوفي عن ولدين وبنات ، فلما الولدان فيها إليه (أو عباس) الذي قتل في واقعة كوفلادونجا وأصبح الثاني مطراناً لأنشيلية ، وأما سارة فقد اختلقت مع عمها أرطباس فذهبت تشكوه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ،

(١) انظر عن ذلك

JULIAN RIBERA, *Disertaciones y Opusculos* I, p. 4 - 15.

SIMONNET, *op. cit.* p. 152

(٢)

SIMONNET, *op. cit.* p. 151.

(٣)

فأنصلها من عمها ورد عليها ضياعها وزوجها عربياً هو عيسى بن مزاحم ، قدم معها الأندلس وقبض ضياعها ، وهو جد ابن القوطية (المؤرخ) وولد له منها ولدان : إبراهيم وإسحاق ، ثم توفي عنها في العام الذي دخل فيه عبد الرحمن ابن معاوية الأندلس ، فتناقصها حيوة بن ملامس الملحجي وعمير بن سعيد اللخمي ، فَعَيَّ لعلية بن عبد الجذامي بعمر بن سعيد عند عبد الرحمن بن معاوية ، فأنكحه إياها وولدت له حبيب بن عمير جد بني سيد (لعل صحتها سعيد) وبني حجاج وبني سلعة وبني حجر المرز . . . أي أن إسحاق وإبراهيم أبي عيسى بن مزاحم^(١) المسلمون كان لها حال نصراني هو مطران أشبيلية . ولا نزاع في أن مثل هذا حدث في أسر كثيرة ، ونحن إذ نشير إلى هذا إنما نضع أصبعنا على بدء حركة « ذويان » العنصر العربي في العصر الأيبيري ، هذا الذويان الذي شج عنه شعب إسبانيا الإسلامية حاملاً خصائص العرب والبربر والإسبان .

٣٣٤ - خلفه
عبد العزيز
ابن موسى
وأهل البيت

وتذهب المراجع النصرانية إلى أن خلفه عبد العزيز وهم أيوب ابن حبيب اللخمي وآخرين يوسف والسمح بن مالك كانوا معادين لنصارى الأندلس حاملين على النصرانية ، وليس ذلك صحيحاً ، لأن ثلاثهم أنفقوا غير ألبانهم في الجهاد فيها وراء البرفت ، وربما يكونون قد صفوا نصارى التواصي التي ذهبوا لفتحها ، فحسب الرهبان المؤرخون أهم فعلوا بالإسبان مثل ذلك^(٢) ، وليس ذلك صحيحاً ولا يملك نصاً واحداً يشير إليه ولو عن طريق غير مباشر . بل الثابت أن كبار القساوسة كانوا نشيطين في ذلك العهد في تجديد الكنائس ، ويذكر إيزيدور الباجي أن فرسيدوارموس أسقف وادي آش *Freduaris, Accitanas sedis* Episcopus. وأريانس أسقف طليطلة *Urdanus, Toletanas sedis urbis Re-* gine cathedrales في ذلك الحين واشتهر أمرها والتجفل

(١) ابن القوطية : الفتاح ، ص ٥ - ٦ .

(٢)

الناس إليها دون أن يتعرض المسلمون لهم في ذلك شيء ، ويذكر سيمونيت - رغم تعصبه - أمثلة كثيرة تدل على أن النصرانية الإيسائية انتعشت بعد الفتح الإسلامي - كما حدث لنصرانية مصر - انتعاشاً طامراً^(١) بعد دخولها في طاعة المسلمين أيضاً .

وكان ستيفانو Sindrodo مطران طليطلة قبل أيام الفتح قد هجرها وفر حينها لقبل المسلمين^(٢) ، وصالح نصارى البلد على أنفسهم بشروط خاصة احتفظوا فيها ببلدهم شبه مستقل : احتفظوا بحكومة محلية يقيمونها بأنفسهم ، واحتفظوا بمعظم كنائسهم وبرجال الدين الذين بقوا فيها بعد فرار المطران وبعض رجاله . نزل هذا البلد عامراً بالكنائس الكبيرة - أعظمها كنيسة « جميع القديسين » Omnium Sanctorum ، وظلت الأديرة التي في أرياض البلد قائمة لم يمسه المسلمون بأذى كبير ، وإن كانوا قد استولوا على الكثير من ذخائرها كمنسج كنيسة طليطلة الكبيرة المشهور في النصوص العربية بمائدة سليمان .

أما الكنيسة الجامعة السابقة ، وهي كنيسة القديسة مريم (سانتا ماريا) التي كانت معتبرة قبل ذلك قاعدة المسيحية الكبرى في إسبانيا فقد حوّلها المسلمون إلى مسجد جامع ، وانتقل مركز المطرانية إلى كنيسة أخرى كبيرة تسمى كنيسة القديسة ماريا دي ألفيئين Santa Maria de Alficea ، وقد نقل النصارى إلى هذه الكنيسة أوراقتهم وديانتهم وكل ما كان في الكنيسة القديمة من الذخائر ، وظلت على ذلك طوال العصور العربية^(٣) .

وكان العرب قد أقاموا حليفهم أبه (عباس)^(٤) مطراناً لليبلا خلفاً

SIMONET, *op. cit.* p. 260 - 262.

(١)

(٢) التاريخ المنسوب لإيزيدور قبايحي ،قرة ٣٥ .

SIMONET, *op. cit.* p. 263.

(٣)

SIMONET, *op. cit.* p. 266

(٤) هكذا كتب ابن القزويني اسمه ، انظر ص ٤ .

لستديرو ، ولكن أهل البلاد لم يرضوا به وتركوه في مطرانيه ، وأتاسوا لأنفسهم مطرانا آخر يسمى أوربانو Urbano وكان قبل ذلك مرتلاً في الكنيسة ، ولم يعترض المسلمون على ذلك .

١٢٥ - ثورة
أكويلا
وإسبانيا

وكان المسلمون بعد أن فرغوا من تثبيت أمرهم في البلاد وإضعاف مراكز المقاومة فيها ، قد مضوا في احتلال بقية التواحي التي كانت قد تركت على حالها لانعدام المقاومة فيها .

مثال ذلك أن طركوتة وإقليمها تم احتلالها على يد الحسين يوسف ، وكانت طركوتة عاصمة ولاية إسبانيا الطركوتية ، وكانت فيها كنيسة جامعة على رأسها مطران ، وكان يقيم فيها أحد أبناء غيطشة المسمى أكويلا Aquella ، فحسب أن العرب يتركون هذه الناحية له كما ظن غيره من آل غيطشة أن العرب يتركون البلاد لهم ، فلما استبان أن العرب مقيمون في البلاد وأنه لن يصل إلى العرش على أيديهم حاول الوثوب بهم في طركوتة ، فسار إليه السمج وأخضع البلد وأزول به شيئاً من التطريب . فلما قُتل السمج بعد ذلك في وقعة طولوشة حاول أكويلا الثورة من جديد . ولكن عنية بن سحيم قضى على حركته ونهب البلاد نهباً ذريعاً ، واستسلم أكويلا وانتقل إلى طليطلة فأقام فيها ، ولم يحاول الثورة بعد ذلك ، وقد استعرب أبناءه من بعده وحفظت لنا التصويص اسم أحد أحفاده وهو حفص بن ألبير Alvaro قاضي المعجم^(١).

١٢٦ - نصارى
الأنديس
بمجرد آل
بيت القدس

ومن طريف ما يلاحظ أن نصارى الإسبان انتهزوا فرصة دخولهم في طاعة الدولة الإسلامية لكي يذهبوا إلى بيت المقدس للحج ، ويذكر لنا الرواة النصارى قصة فس يسمى القديس فيليبانو San Willibaldo ذهب للحج إلى الأراضي المقدسة ، ووصل إلى أرضها ليؤود كنيسة القديس توماس فيها ، لماشبه عامل البلد العربي في أمره وسجنه ، ثم أطلق سراحه حينما استبان أنه من أهل السنة في

(١) من القرطبة : الفتح ، ص ٥ .

سجوديت ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

الأندلس ، ويبدو أن هذا الحادث اختلف فيلبيالدو فلم يعد إلى بلده وإنما إلى دير موت كاسينو في إيطاليا ، ومنها انتقل إلى روما سنة ٧٤١ حيث أقامه رجال الكنيسة أسقفاً لمدينة أيجنتات في ألمانيا^(١). ولكن يبدو أن عهد هؤلاء الخجاج المصاري لم يكن كبيراً .

٢٣٧ -
عبد الرحمن
الغافقي
وعمل السعدي

وتجمع المراجع النصرانية على أن نصاري الأندلس لقواذى كثيراً على يد عبد الرحمن الغافقي وعبد الملك بن قطن ، ولا شك من التصوص العربية ما يؤيد هذا أو ينفيه وإن كانت الدلائل كلها تدل على أن عبد الرحمن ائتمد مع نصاري الركن الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة بسبب احتواء مونتومة بهم ، وكان يطعمه رجالاً عسكرياً عنيفاً ومسلماً مضافاً لا يكاد يجمل لغير الإسلام والمسلمين . ويؤكد إيزيدور الباجي أن عبد الملك بن قطن صف نصاري عمفاً شديداً في ولايته الأولى^(٢) .

٢٣٨ -
موتف
عبد الملك
ابن قطن
بن لعل السعدي

وقد أراد عبد الملك أن يعتدي على تدبير صاحب ناحية مرسية الذي عقد العرب معه الصلح المعروف على يد عبد العزيز بن موسى ، ووضع ابن قطن يده على بعض أراضيه ، فلم يسع تدمير إلا الرحيل إلى المشرق حيث لقي هشام بن عبد الملك وشكاً إليه حامداً عبد الملك بن قطن ، فأحسن هشام لقائه وأكد له شروط الصلح الذي عقده عبد العزيز بن موسى وأقره أخوه سليمان بن عبد الملك ، وانتهز تدمير الفرصة واتصل بنصاري الشام حيث لقي منهم إكراماً عظيماً ، ثم عاد إلى بلاده حيث أقام في إقليمه أسناً حتى توفي سنة ٧٤٣ م^(٣) .

SIMONEY, op. cit. I, 175.

(١) الأخبار الجسورة ، ص ١٤٩ .
سجوييت ، ص ١٨٢ .
(٢) الأخبار الجسورة ، ص ١٤٩ .
سجوييت ، ص ١٨٢ .

١٢٩ - المسلمون
ونصارى
قلمرية

وكان المسلمون حينها فتحوا نواحي الغرب قد قبلوا من أهل قلمرية Comimbrina صلحهم وألغوا على حاله ، وأقام عبد العزيز بن موسى عليه حاكماً عربياً تسميه وثيقة لاثنية *Alboacem ibn Mahamat Alhamar ibn Tarif* وربما كانت صحة الاسم العربي أبا عاصم بن محمد الأحمر بن طريف . في سنة ٧١٦ م . وكانت المدينة إذ ذاك عامرة وبها كنيسة كبيرة ، فأقام أبو عاصم على عجم البلد قوساً يسمى آيدولفو *Audolfo* ، فلما مات خلفه ابنه ألتانجيلدو *Atanagildo* وأعطاه ابنه تيودوس *Theodus* ، وأقام على الأسقفية قساً يسمى لوريان *Lorban* . واستمر أمر البلد على هذا الحال من الاستقلال تحت السيادة الإسلامية العليا حتى سقطت في يد النصارى سنة ١٠٥٨ ميلادية ، وبحول هذا البلد تكونت فيما بعد إمارة البرتغال وحلت محل ولاية لشدانية (لوزيتانيا) الرومانية ، وإنما أشرنا إلى ذلك لنضع أهديتنا على أوائل احتلال المسلمين للبرتغال وحكمهم إياها . وقد أحسن أبو عاصم معاملة نصارى ناحيته وارتبط مع أهلها بأقاصير الود وصار يخرج للصيد . وكان مولعاً به . معهم ، وكان يوقر الرهبان ويقرهم ، وتذهب الوثيقة التي أشرنا إليها إلى أنه ألزم نصارى قلمرية بأن يدفعوا جزية مقدارها ضعف ما كان يدفعه المسلمون النازلون فيها ، وجعل على كل كنيسة جزية قدرها خمسة وعشرون مثقالاً *Pesante* من الفضة ، وعلى كل أسقفية مائة مثقال وعلى كل دير خمسين مثقالاً ، واستثنى من ذلك دير لوريان فقد أعفاه من كل شيء ، لأن رئيسه كان حليفاً للمسلمين^(١) ، وترك رهبانه أحراراً . وتذكر المراجع حاكماً مسلماً آخر لقلمرية في هذه الفترة يسمى مروان بن موسى ، حكمها بعد أبي عاصم وسار على طريقته في التوجه إلى الأهلين والإحسان إليهم والولع بالصيد .

٢٤٠ - حنة
ابن الخجاج
وأهل القنة

وتختلف المراجع فيما بينها على مولف حنة بن الخجاج السلوي من النصارى وحالم في أيامه ، فأما القطعة الإسبانية التي بين أهديتنا من تاريخ الرازي فتقول في حوادث سنة ٧٢٤ م : وقد

SIMONET, op. cit. p. 182.

(١)

وطبع عقبة هذا امرره كلها في أيدي النصارى ، فراحوه وأعانوه ، وكانوا معه بالليل والنهار^(١) . وأما إيزيدور الباسي فيقول عنه إنه «راك البلاد روكماً جديداً وأحصى كل ما فيها ، وطلب النصارى بأن يؤدوا ما عليهم بأشد الزمان العف ، ولم يقبلوا أي وسيلة تمكنه من ملء خزانة الدولة بالمال من أي طريق^(٢) . ولكنه يقرر في نفس الوقت أن عقبة لم يختص النصارى وحدهم بهذه الشدة ، بل عامل بها المسلمين كذلك ، أي أنه اشتد على الناس أجمعين . والواقع أن عقبة كان رجلاً حازماً شديداً الحرص على حقوق الدولة ، دائم المواظبة على القيام بواجباته . وقد روينا لخير اجتهاده في محاربة النصارى في الشمال وفي طائفة ، وكان لئل ذلك مولى بعيداً عن نزعة العصبية العربية ، فلا يعد أن يكون قد قرب أهل البلاد وسوى بينهم وبين العرب في المعاملة ، وبهذا تصدق الروايات وتضيفان شيئاً جديداً هاماً عن عقبة بن الحجاج وحكمه في الأندلس .

ونذكر الروايات النصرانية أن الراعيين الأخضرين فوتو Yoto وفيلكس Felix أنشأ في عهد عقبة دير سان خوان دي لاينايا San Juan de la Pena في لطف جبل أروويل Oruel في أقصى الشمال ، وقد ازدهر هذا الدير فيما بعد وكان له أثر بعيد في التاريخ الأندلسي بعد ذلك بثلاثة قرون : إذ اتخذه أنيجو خمينيث Inigo Jiménez المعروف باسم أريستا Arista وكراً وعاصمة لإمارة بنبلونة التي أنشأها وكان لها دور عظيم فيما بعد في حركة الاسترداد ، وقد أصبح اسم هذه الإمارة حينها اتسعت بعض الشيء مملكة شُيْرَب El Reino de Sobrarbe ودخلت بعد ذلك في مملكة نبرة . وكان الأخوان فوتو وفيلكس من أغنياء النصارى في مرسقطة ، فلما رأوا تكاثر المسلمين في هذه الناحية وانتشار الإسلام بين أهلها باعوا ممتلكاتها وقرضاها على الفقراء ومضوا إلى جبل أروويل حيث أنشأ دير هينيا هذا ، مما يدلنا على أن المسلمين حينما نزلوا هذه الناحية لم

SIMONET, op. cit. p. 184 - 185.

(١)

(٢) إيزيدور ، ص ٦٩ .

يستولوا على ما يبد أهلها التصاري من الأملاك ، بل تركوهم على حالهم ، وكانت سرقسطة قد صالحت عن نفسها بشروط طيبة ضمنت لأهلها الحرية في كل شيء ، وقصة هذين الأخوين ترمزنا كيف كانت عناصر المقاومة الصخرانية تتكون في بدء منذ أوائل أيام الحكم الإسلامي ، وذلك كذلك على أن المسلمين تركوا التصاري من أهل البلاد أحرارا في إنشاء ما يريدون من الأديرة^(١) .

فلما وقعت الثورة البربرية أثناء ولاية عبد الملك بن فطن واشتدت الحاجة في الأندلس ، أخذ بعض التصاري الإسبان مهاجرون إلى نواحي الشمال القاصية : إلى لشبونة وكنتبرية ، ويدعو أن أعداد هؤلاء المهاجرين لم تكن كثيرة ، لأن مراجعتنا العربية لا تشير إليها^(٢) .

وقد عرفنا فيما سبق أن أبا الخطار فرقة الشاميون وأنزلهم في بعض كور الأندلس ، وكان أنزلهم على أموال أهل الذمة من العجم^(٣) ، وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة طعمة . وقد حاول سيمونيت أن يفسر هاتين العبارتين بأن أبا الخطار فرض على التصاري الإسبان الذين أنزل العرب في كورهم ضريبة جديدة مقدارها ثلث أموالهم ، وهو تفسير خاطيء ، إذ لم يزد على أهل الذمة شيء جديد ، وإنما أخذ الشاميون ثلث الجباية ، ومن هنا لا محل لما يذهب إليه سيمونيت من القول بأن حال أهل الذمة ساء في أيام أبي الخطار بسبب هذه الزيادة المزعومة .

يبد أن أبا الخطار أخطأ في إنزال بعض الشاميون في نواحي تدعير التي ضمن العرب سلامتها لصالح أوربولة الذي عقدته تدعير مع عبد العزيز بن موسى ثم

SIMONET, op. cit. p. 190 - 191.

(١)

SIMONET, op. cit. p. 191.

(٢)

أوربولة فقرة ٦٤ - ٦٦ .

(٣) ابن القزويني ، ص ٢٠ .

ابن خلدون - البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

فتح الأندلس ، ص ٣٦ - ٣٧ .

عماد هشام بن عبد الملك فأكدته . وكان صاحب تدمير إذ ذلك أتانا جيلندو Atanagildo الذي خلف أباه تدمير سنة ٧٤٣ م ، ظم يكذ يسمع بتصرف أبي الخطار حتى اعترض عليه وأعلن أن ذلك يخالف نصوص معاهدة أوريولة ، وكانت العلاقات بين أتانا جيلندو والنزلين في أرضه من البلديين طيبة ، فتهضوا يتصحون أبا الخطار بالعدل عن ذلك ، فنضب أبو الخطار ، وأراد عقاب أتانا جيلندو ، ففرض عليه غرامة قدرها سبعة وعشرون ألف قطعة من الذهب ، وبه وأهانه ، فمضى أتانا جيلندو وتجنب إلى جند مصر من الشاميين الذين كانوا بأرضه ، واجتذهم بإحسانه ، فتوسطوا له عند أبي الخطار ، وما زالوا به حتى أسقط الغرامة ورد على الرجل اعتباره واحترام حقوقه^(١) . وإنما ذكرنا هذه الحكاية لكي نستدل منها على علاقتنا من الورد كانت قد تأصلت بين العرب النزلين في الأرياف وأهلها من النصارى الإسيان ، فهذا أتانا جيلندو يماوتة البلديون والشاميون على رفع الظلم عنه ، وسنرى في تاريخ كبير نصراني آخر - هو أوطياس - أمثلة أخرى كثيرة تزيد ذلك .

ويذهب الأصمخري إلى أن المسلمين وضعوا يدهم على نصف كنيسة قرطبة الجامعة (١٣١ هـ / ٧٤٨ م) أي في هذه الفترة التي نتحدث عنها . ذلك أنهم كانوا قد صادوا أهل قرطبة على أول الفتح بأن يدعوا لهم هذه الكنيسة الجامعة المعروفة بكنيسة القديس بخت أوسنت (Sanctus Vicen) San Vicente) وأقاموا لأنفسهم مساجد صغيرة . فلما نقلوا مركز الدولة إلى قرطبة وكثر المسلمون فيها وبلى أرباضها ، ضاقت بهم هذه المساجد الصغيرة واحتاجوا إلى مسجد جامع ، فقامسوا النصارى كنيتهم الجامعة كما فعلوا في دمشق والرها ، فشاظر المسلمون أحاجم قرطبة في كنيتهم العظمى التي كانت بداخلها ، وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجداً جامعاً ، وبقي الشطر الثاني بأيدي الروم وهدمت عليهم سائر الكنائس^(٢) . ويذهب مؤرخونا إلى أن ذلك

SIMONET, op. cit. p. 199 - 200.

(١)

(٢) ابن عسار ، مقال ، ج ١ ص ١٤٤ .

تم على أول زمان الفتح ، والواقع غير ذلك ، لأن الثابت من صلح فرطية مع المسلمين أن هؤلاء تركوا النصراني كنيسة سان يجنت الجامعة ، وألطينا نص من الأخبار المجموعة يدل على أنها كانت لا تزال كنيسة في سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م^(١) ، والبرازي رواية تدل على أن ذلك حدث في ولاية أبي الخطاب ، وبعد سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م على الأغلب^(٢) .

٢١١- أوطاس وفي هذه الفترة تظهر شخصية أوطاس Ardabast زعيم عجم الذمة وابن عيطشة إلى جانب كبار الشخصيات العربية في أيام أبي الخطاب ومن جاء بعده . ويدعون أوطاس رجلاً مهذباً حسن التصرف واسع الخيلة ، ينصح عمال الأندلس في شؤون سياسة بلاده ويعامل زعماء العرب بكمياسة تدعو إلى الإعجاب . ومن أمثلة ذلك رواية ابن القوطية التي ألتنا بطرف منها ، وهي رواية تدل على حسن تصرفه وتلقي غيره على أسلوب حياة العرب والإسبان والنصارى في ذلك العصر ، وقد ذكرنا فيها سبق فقرة منها ولا بأس من إيرادها على قولها هنا ، يقول : « وحكى الشيخ ابن لبابة رحمه الله عن أمركه من الشيوخ أن أوطاس كان من عتلاء الرجال في أمر دنياه ، وأنه دخل عليه عشرة من الشأميين فيهم أبو عثمان وعبد الله بن خالد وأبو عبدة ويوسف بن بخت والصميل بن حاتم ، فسلموا وجلسوا على الكرسي المحيطة بكرسيه . فلما أخذوا مقاعدهم ، وحيا بعضهم بعضاً ، دخل ميمون العابد جد بني حزم البريين ، وهو أحد الموالى الشأميين ، فلما رآه أوطاس داخلأ قام إليه والتزمه وجعل يقوده إلى كرسيه الذي قام منه ، وكان مصمداً بالذهب والفضة ، فأبى الرجل الصالح من الجلوس عليه ، وقال له : لا يجلي في هذا ، فجلس على الأرض وجلس معه ، ثم قال له : ما جاء بمنلك إلى مثل ؟ فقال ميمون : قدعنا

١ ابن بطوطة . رحلة ، ص ١٩٨ .
 ابن جبير : رحلة ، ص ٣١٢ .
 (١) الأخبار المجموعة : ص ٦١ .
 (٢) لغزي : فتح ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .

إلى هذا البلد ووطننا أن ثواناً لا يطول فيه ، ولم نستعد للمقام ، فحدث من الاضطراب على موالينا بالشرق ، ما توهم به أننا لا نعود إلى موضعنا معه ، وقد وسع الله عليك ، فأريد أن تعطيني ضيعة من ضياعتك أعترها بيدي ، وأؤتي إليك الحق منها وأخذ الحق . فقال له أرتباس : لا والله ما أرضى أن أعطيك ضيعة متاسفة ، ودعا بوكيل له فقال له : ادفع إليه الجسر الذي على وادي شوس وما فيه من الغنم والبقر والعيذ ، وادفع إليه القلعة بجيان ، وهي القلعة المعروفة بقلعة حزم ، ملكها [بيانس] فشكر وقام ، وعاد أرتباس إلى مقعده ، فقال له الصميل . يا أرتباس ! ما يعجزك من سلطان إليك إلا نفاق الطيبة ! أدخل عليك ، وأنا سيد العرب بالأندلس ، ويدخل أصحابي هؤلاء معي ، وهم سادات الموالى بالأندلس ، فلا تزيدنا من الكرامة على القعود على العبدان ! ويدخل هذا السؤال ، فتصبر من إكرامه إلى حيث صرت ! فقال له أرتباس : يا أبا جوشن ! أهل هياتك يغيروننا أن أديهم لم يأخذك ! ولو أخذك لم تنكر على بر من بردت ، وكان الصميل أيضاً لا يفسراً ولا يكتب : إنكم أكرمكم الله ، [وأنتم] إنما تكرمونه عز وجل [إذا أكرمتم الصالحين] . وقد روينا عن المسيح صل الله عليه وسلم أنه قال : من أكرم الله من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه ، فكأنما ألقه حجراً . فقال له القوم : دح هذا وانظر فيما قصدنا له ، حاجتنا وحاجة الرجل الذي تصدك وأكرمته واحدة ، فقال : أنتم ملوك ، وليس يرضيكم إلا الكثير ، فوهبهم مائة ضيعة ، صار منها لكل منهم عشر ضياع ، منها حُرُوش أبي عثمان ، والفتين لعبد الله بن خالد ، وعقدة الزيتون بالمندور للصميل بن حاتم ، وهي حكاية حافلة بكل ما يعيننا على تصور العلاقات بين العرب ونصارى الإيبان في ذلك العصر^(١) .

ولم يكن أرتباس رجلاً كريماً كيباً في كل حال ، بل ذكر المؤرخون ما يدل على جشعه وطمعه ، فقد انتهز فرصة وفاة أخيه اللئذ وتركه ابنة واحدة هي سارة

(١) ابن الفوطية : اقتراح ، ص ٤٠ .

وفد حرف سيموليت هذه العمارة عند زحفها ، انظر ص ٢٠٥ .

والبين صخريين ووضع يده على أملاكهم وكانت ألف ضيعة ، فذهبت سارة إلى المشرق ، وعادت منه وقد حنك لها هشام باسترداد ضياعها ، وزوجها عيسى بن مزاحم^(١) . وكان أوطباس يتخذ هيئة الأمراء فيجلس على كرسي مصعد بالذهب والفضة كما رأينا في القفزة السابقة ، ويضرب نفسه قبة عظيمة إذا خرج مع الأمير ، وحوفاً من الهدايا غير قليل ، إذ كانت الهدايا تملأه في كل رحلة من ضياعه . نفس عليه الأمير [عبد الرحمن بن معلوة]^(٢) .

٢٤٢ - الطران وتدل الدلائل كلها على أن النصارى لم يصيبهم شيء من الأذى سلباً أثناء الحروب العنيفة التي دارت بين العرب ، بين أبي الخطاب والصميل ، فقد ازدهر أمر مطرانية طليطلة ورأسها حبر جليل فطليح له صيت في الحوليات النصرانية وهو سشيليا Cixilia ، كان دائم الحرص على سلامة العيشة النصرانية ، حتى لقد كان يشتد مع أصحاب المذاهب الخارجة على الكاثوليكية ، وكان يعمر ما يبني من الكنائس ، وكتب النصارى في امتداحه الفوائد اللابينة^(٣) .

ومن دلائل الحرية التي كان النصارى يتمتعون بها في هذه الفترة لمكانهم من نقل الكثير من الأشياء للقدسة التي انتشرت من الكنائس التي مهدت إلى كنيسة أبط الجماعة ، حتى لقد عمرت هذه الكنيسة لهذا العهد وانتقلت من بيعة صغيرة إلى كنيسة كبيرة عامرة ، ولم يتعرض المسلمون للنصارى في شيء من ذلك ، مما يدل على أنهم تمتصوا بحرية كاملة في كل ما يتصل بأسودهم الدينية^(٤) .

ويذكر ابن حبان في عداد الثوار الذين خرجوا على يوسف الفهري رجلاً

(١) ابن القزفة : اقتراح ، ص ١ - ٥ .

(٢) ابن القزفة : اقتراح ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) SIMONET, op. cit. p. 207.

وكتب اسمه في النصوص بصور مختلفة : Zixilianus, Cixilianus, Cixilia .

(٤) SIMONET, op. cit. p. 211 - 212.

يسمى عروة بن الوليد ، ناز في مدينة باجة في أهل الذمة وغيرهم فملك أشيوليا وكثر جمعه ، إلى أن خرج عليه يوسف فقتله ^(١٦) ولم يذكر لنا ابن حبان شيئا نتعرف من شخصية الوليد هذا ، ولكن الغالب أنه لم يكن نصرانياً مستعرباً ، وإنما عربياً جمع نعرأ من العرب وأهل الذمة وتلزمهم في هذه الناحية .

وربما كان دافع هؤلاء التصاري إلى الاستجابة لدعوة رجل كالوليد هو الزيادة التي فرضها يوسف على أهل الذمة ، ذلك أن الجباية نقصت بسبب هلاك الكثيرين من التصاري أو فرارهم من أرضهم نتيجة للحروب العنيفة التي دارت بين العرب أيام يوسف ، فعطال يوسف الباقين منهم بأداء المبالغ التي كانت قد تفرقت عليهم في اتفاقات الصلح ، فقتل ذلك على أفرادهم وتوددت شكواهم منها ^(١٧) .

٢٨٢ - التصاري وحينما ازدادت الحروب بين العرب خلفه ، وضربت المجاعة
يمسرون بعض البلاد الخالية
بجيرانها على الأندلس بين سنتي ١٣٣ و ١٣٨ هـ / ٧٥٠ -
٧٥٥ م ، وعادت جماعات البربر التي كانت تعمّر النواحي
الشمالية الغربية من شبه الجزيرة واستولى أذقونش الأول على الكثير منها ، كثرت
هجرة التصاري من البلاد التي كانت خاضعة لحكم المسلمين إلى هذه النواحي
الخالية الفاصلة بين دار الإسلام وبلاد مملكة ليون ، فيما بين نهري تاجة ودويره
لتعميرها ، فعمرت لك وليون وسلمنقة وأبله وأوكا وشقوبية وأملبا ، وقد كان
المهاجرون إلى هذه النواحي من كل طبقات التصاري : أشرافاً وغير أشراف
Tam nobiles quam ignobilis . وعمرت لك بالتصاري وقام على تعمير
كنيستها حبر كبير هو أدواربوس (Odoario في النصوص الإسبانية) وكان قد فر
منها حينما دخلها العرب ، فعاد إليها مع أذقونش الأول واستقر فيها ومضى يقوم
شعائر النصرانية فيها من جديد وجعلها أسقفية عامرة ، واتخذ لقب مطران .

(١٦) القرني : فتح ، ج ٢ ، ص ١٢ .

SIMONET, *op. cit.* p. 217.

(١٧)

٢٤٤ - تعبير
 لشوية

وكذلك عسرت شقوية بعد أن كان الكثيرون من أهلها قد تركوها وهربوا إلى الجبال على لوائل أيام الفتح ، ولكن معظم الهاربين عادوا بعد أن صالح الباقون منهم على أنفسهم بصلح طيب ضمن لهم حرية تامة في كل شيء لقاء دفع جزية مقررة ، وكانت المدينة قبل الفتح عامرة بالكنائس الكبيرة ، مثل سانتا ماريا ديلوس هويرترس Santa Maria de los Huertos وسان فيسنت San Vicente ولا ترينيداد La Trinidad وسان خيل San Gil وسان أنطون San Anton وكلها قدسية ترجع إلى ما قبل عصر ريكاردينو^(١) . وقد اطمأن النصارى في بلدتهم هذا بعد أن تأكدوا أن العرب لن يصيبوهم بقسر ، فعضوا بفتحون كنائس جديدة أهمها سان ماركوس San Marcos وسان بلاس San Blas وشتت يانث Santiago . وكان العرب يتزلون كثيراً بهذه المدينة في غزواتهم نحو الشمال ، ثم تخوفوا من كثرة النصارى فيها ، فأخرجوا الكثير منهم إلى الأودية المحيطة بها لكي يجعلوا البلد خفياً . ويبدو أن مذاهم بها لم يطل ، لأنهم لم يخلقوا فيها إلا أنساً قليلاً جداً ، ولم يرد لها ذكر كثير في التاريخ الإسلامية ، وقد احتفظت لنا الروايات النصرانية بأسماء ثلاثة من أعيان هذا البلد لقبوا بالثلاثة Los tres santos mozarabes كانوا على جانب عظيم من الزهد والصلاح ، حتى لقد فرقوا أسلاكهم في الفسراء وخرجوا إلى بادية عند مصب نهر الدوراتون El Rio Duraton وخفوا إليهم الناس وعمرت بهم هذه الناحية الفسحة من برديل Bardulia ، وهكذا نلاحظ أن الفتح الإسلامي أتى - بطريق غير مباشر - إلى تعمير الكثير من نواحي الأندلس الحالية ، وكانت هذه الناحية من أعسر نواحي برديل حينما تكونت فيها إمارة قشتالة خلال القرن التاسع الميلادي^(٢) .

وعندما اشتد ساعد الإسلام وانتظمت أموره في خلال الدولة الأموية استعاد المسلمون المنطقة الواقعة بين نهرى التاجة ودويرة ، ووضعوا أيديهم على

SIMONNET, *op. cit.* p. 223.

(١)

IBID., p. 226.

(٢)

كبار مدانها مثل أبله وشقوية . وقد ثبت حدود الإسلام فيها بعد عند خط في منتصف المسافة بين النديرة وتاجة ، فهنا كانت أبله وشقوية من بلادهم نجد شلمنقة خارجة عنها . ولم يحاول المسلمون الوصول إلى نهر النديرة والنبات عنده بصورة دائمة .

٢٤٥ - ميلاد إمارات شرب وأرغون ونبيرة
وفي خلال السنوات الأخيرة من فترة الولاة تخلص سلطان المسلمين عن كثير من نواحي الشمال الشرقي القاصية في جهة البشكنس Vasconia كما تخلص ظلمهم من ناحية الشمال الغربي على ساروغنا ، وإلى هذه الفترة يرجع ميلاد إمارات شرب Sobearbe وأرغون Aragon ونبيرة Navarra في ناحية البشكنس وجبال البيرت ، وكانت هذه الناحية قبيل دخول العرب البلاد مقسمة إلى ثلاث مقاطعات صغيرة هي Calagurri (قلهرة) في الجنوب و Exa de los la bal (Segia) Leroc في الشمال الشرقي و Pamplona (بنبولونة) في الشمال^(١) . وكلها واقعة في سهل ريوخة Rioja . وكانت قلهرة مركز أسقفية هامرة ، فلما اقتتحمها العرب هرب كبار رجال الدين فيها إلى غالة أو إلى جليقية ، وأقام بعضهم في أويهدو (Oviedo) .

وفي هذه السنوات أيضاً عاش ذلك الراهب الذي كتب الحواريات التي نسبت زماناً طويلاً إلى إيزيدور الباسي Isidorus Pacensus ، إذ حسب الناس أنه كان أسقفاً لباجة (Pax - Julia) في البرتغال الخالية . وقد ثبت بعد أبحاث طويلة أن هذه الحواريات لم تكتب في باجة وإنما في طليطلة ، ولم يكتبها إيزيدور ولكن راهب غير معروف . وهذه الحواريات تاريخ طيب جداً لأحداث الأندلس في هذه الفترة ، ولأحداث الخلافة الأموية الشرقية كذلك . مما يدل على أن نصارى تلك الأيام كانوا يعرفون الكثير عن أحوال المسلمين عامة وتاريخهم كذلك^(٢) .

IBID, p. 227.

(١)

SIMONNET, op. cit. p. 231.

(٢)

٢٤٦ - اليهود في
إسبانيا
قبل الفتح

أشرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب إلى سياسة القوط حيال اليهود ، وبيننا كيف كانت هذه السياسة بعيدة الأثر في موقفهم من الدولة القوطية جملة ، وفي موقفهم من العرب الفاتحين .

وعليها الآن أن ندرس موقف المسلمين منهم بعد الفتح ، وأن نرى كيف كان دخول المسلمين خيراً عليهم ، وسيرى في غضون الكلام كيف كان موقف المسلمين حاسماً في تاريخ اليهود جملة ، وأن المسلمين لو وصلوا سياسة القوط والكنيسة الطيبانية من اليهود لما كان لهم اليوم شأن في الوجود .

كان موقف الدولة الرومانية من اليهود سوقف عداً واضطهاد ، وما زال ذلك العداً يشتد حتى قضى الرومان على دولة اليهود في فلسطين وخربوا بيت المقدس وهدموا معبد سليمان سنة ٧٠ ميلادية ، فطرد اليهود في نواحي الأرض . وبلغ من كراهة الرومان لليهود أنهم حسبوا أول الأمر أن النصراني يهود ، وإلى هذا الظن الخاطئ يرجع السبب في الاضطهادات الأولى التي لقيتها النصرانية من الرومان .

وقد ورثت الكنيسة المسيحية عن الدولة الرومانية هذه الكراهة وفي تلك العصور الأولى من تاريخ المسيحية كانت جرائم اليهود حيال المسيح وأصحابه ماثلة أمام المسيحيين جميعاً ، فحرص المسيحيون على تتبع اليهود طلباً للشر . وقد كان هذا التتبع هادئاً غير ملحوظ في المشرق ، وأما في الغرب ، فقد تزايدت كراهة روما على تتبع اليهود وتشريدهم ، فهربوا إلى النواحي التي كان سلطان هذه الكنيسة فيها ضعيفاً ، هربوا إلى إسبانيا والشمال الإفريقي وبلاد الشرق ، وربما أوغل نفر منهم في بلاد الجرمان حتى أدركوا سواحل البلطيق ، وفي بلاد الصقلية حتى القوقاز وشواطئ البحر الأسود .

٢٤٧ - اضطهاد
القوط لليهود

وقد كثرت جماعاتهم في إسبانيا حتى أننا لنجد مدناً كاملة يعمرها اليهود في أواخر العصر القوطي ، ومن تلك المدن أليسانة

Lucena والبيرة Beberis من مدن الجنوب . وعندما وصل رجال الدين إلى السلطان على عهد ريكاردو ، بدأت الجامعة الطليطلية تضيق الخناق عليهم ، فأصدر المجمع الطليطلي الثالث قراراً بضرورة تعميد الأولاد الذين يولدون من زيجات يهودية نصرانية ، ثم أصدر شبوتو سنة ٦١٣ قراراً بغير اليهوديين التصرف أو الهجرة من البلاد . وقد عارض القديس إيزيدورو هذا القرار ، وأيد مجمع طليطلة الرابع قرار شبوتو فاضطر الكثيرون من اليهود إلى الهجرة وتظاهر بعضهم الآخر باعتناق المسيحية ، وهؤلاء هم الذين يسمون باليهود المستترين Judizantes . وقد ضاق القوط بهم فزاعاً فقرر المجمع الطليطلي الثامن ضرورة تعميدهم من جديد ، وامتحان نصرانيتهم بتقديم لحم الخنزير إليهم ليأكلوا منه . ثم حرمت إقامة الشعائر الدينية اليهودية ، وصودر ربع أملاك من ظفوا على اليهودية ، وصبت لعنة الكنيسة على المسيحيين الذين يعاونون اليهود على إقامة شعائرهم ، وقد تبع القوط اليهود حتى طردوهم من أربونة .

ويبلغ هذا التعقب مداه على أيام الملك إرفيج حيث قرر المجمع الطليطلي الثامن عشر إرغام اليهود جميعاً على التصرف أو مباحة البلاد في مدى عام ، فكانت النتيجة أن زاد عدد اليهود المستترين . وبدأ اليهود يتحركون سراً للقضاء على الدولة القوطية ، وأحسن القوط بما كانوا يديرون ، فقرر المجمع الطليطلي السادس على أيام أليخا اعتبار اليهود جميعاً رقيقاً وتوزيهم على المسيحيين ، وحرّم على هؤلاء الأخيرين عتقهم ، وقرر فصل أولادهم عنهم ، وتصغير الأولاد وتربيتهم تربية مسيحية ، واستثنى من ذلك يهود سبتالية^(١).

وقد حاول أليخا أن يخفف الوطأة عن اليهود ، فأزال عنهم بعض ما كانوا يلقبونه من إرهاب ، ولم يكف اليهود يتفضون الصعداء حتى بدأوا يكيدون للقوط ، ونمي إلى أليخا أنهم يتصلون بأبناء عمومتهم في المغرب ومجاورتها إغراء العرب ينتح إسبانيا ، فانقلب عليهم ، وأصدر المجمع الطليطلي السابع عشر

(١) MANUEL TORRES y PEDETO PRIETO BANCES, op cit. III, p 180 - 183 .

قراراً في سنة ٦٩٤ بالعودة إلى الاضطهاد السابق . وليس لدينا - من مراجعتنا العربية - دليل على اتصال اليهود بالعرب وتحريضهم إياهم على السير إلى إسبانيا ، وإن كنا لا نستعده ، لأننا نجد اليهود إلى جانب العرب أثناء الفتح وبعده (١٦).

٢١٨ - المسلمون وقد رأينا كيف وقف اليهود إلى جانب المسلمين أثناء الفتح ، وكيف كانوا يدلوهم على عورات البلاد وللمت الأسوار وما إلى ذلك ، وكان من الطبيعي أن يكافئهم المسلمون على ذلك ، فاتخذوا منهم حرساً لما يفتحونه من البلاد إلى جانب الحرس الإسلامي . وقد بقي اليهود بعد ذلك شامخاً مطلقاً من العرب ، سواء خلال عصر الولاة أو ما بعده ، فكانت لهم بيعة ورجال دينهم يمارسون شعائرهم ما أحبوا ، ولا نسبح خلال العصور الإسلامية باضطهاد اليهود إلا ابتداء من القرن الحادي عشر ، أي بعد سقوط الخلافة واختراق الكلمة وتبشيع الفوضى . ولقد كانت الأندلس جنة اليهود خلال العصور الوسطى كلها : بلغ بعضهم مبلغ الوزارة ، ونظر إليهم المسلمون نظرتهم إلى إعراب ، حتى أصبح الأندلس موطن اليهود ، بل إن حركة بعث اللغة العربية والأدب العربي بدأت في إسبانيا ، نشأت وفت بين أظهر المسلمين ونمت أمتهم ، بل كان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على إنشاء نحو لغتهم . ولقد استعرب اليهود منذ زمن مبكر ، فأخذوا لغة العرب وملايسهم والتوجوا في خيلهم (١٧) .

٢١٩ - نظم و ليست لدينا مراجع عربية أو عبرية عن أحوال جماعات اليهود جماعات اليهود في الأندلس الإسلامي ، ولكن القسوانين والمنشورات التي أصدرها ملوك إسبانيا النصرانية عندما سقطت بلاد الأندلس الإسلامي في أيديهم واحدة بعد أخرى ، تعطينا فكرة عن تنظيم هذه الجماعات في ظلل الإسلام . وندبر باللاحظة أن أمراء المسلمين وعلماءهم لم يصدروا تشريعات

IBIDEM, III, 132

(١٦)

LEVI - PROVENÇAL, *Histoire...*, I, p. 80 - 81.

(١٧)

خاصة باليهود ، مما يفهم منه أنهم كانوا متساوين مع بقية السكان ، فلم تكن هناك حاجة إلى تشريعات خاصة لهم ، يعكس ما حدث عندما سيطرت النصرانية على البلاد ، إذ أُلغى اليهود بمعاملة خاصة ، ومضايقات انتهت بالقضاء عليهم في إسبانيا كلها . وهذا وحده يكفي للدلالة على فضل المسلمين على يهود إسبانيا ، وهو فضل لم يعن مؤرخ يهودي واحد بالإشارة إليه : لقد أظلم الإسلام واستفذهم من أئى القوط والكنيسة ، وسط عليهم أسراء المسلمين أمانهم ، فلما زال أمر المسلمين من إسبانيا كان ذلك إيذاناً بيزوال أمر اليهود أيضاً .

وتبدو لنا جهامات اليهود ، في الوثائق الإسبانية ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي ، منظمة تنظيمياً دقيقاً . وليس من المعقول أن جهامات اليهود كانت على هذا التنظيم من أول الأمر ، ولكن الطبيعي أن يكون قد بدأ في صورة بدائية ، ثم تكامل مع الزمن ، وقد أتاح له الحكم الإسلامي فرصة هذا التكامل ، بما ضمن من حقوق الذميين ، ومنهم اليهود .

وأينا في كلانا عن المنح كيف أن السلمين كانوا إذا وجدوا في بلد يهوداً جعلوهم في جملة حرم المدينة ، و « ضمومهم إلى القصبه » أي أنهم أوسعوا لهم مكاناً في الجزء المحصن من البلد ، وهو القصبه . ومن الطبيعي أن يتجمع اليهود في جزء معين من القصبه ، وهذا الجزء هو الذي أصبح مع الزمن حي اليهود أو حارة اليهود ، وحارة هنا تعني حياً أو نساً من المدينة ، كما هو الحال في المغرب إلى اليوم ، إذ تنقسم المدينة إلى حارات ، وهذا الحي أو الحارة هو الذي عرف فيها بعد باسم اليهودية أو اليهودية Juderia في مصطلح إسبانيا النصرانية .

٢٥٠ - حكومة
الجماعات
اليهودية
وتسمى جيواي اليهود في النصوص الإسبانية باسم عربي :
aljama (الجماعة) ، ويغلب أن يطلق هذا الاسم على جماعة
اليهود في النواحي الداخلة في دولة الإسلام ، أو في نواحي
قتالة وإيون التي تكثر بالحضارة العربية بصورة ظاهرة ، أما النواحي التي لم

ثائر بالخضارة الإسلامية إلا قليلاً ، مثل قسطنطينية ، فالغالب أن تسمى باسم غيري : كاحمال Kahal . وكان يرأس كل جماعة نفر من القضاة من بينهم يسمى الواحد منهم « البرور » ، وكان لهذا النفر مجلس يسمى « البروريم » (البرورين) وقد يسمى البرور مقدماً (الجمع في العبرية مقدميم = مقدمون) أو نعمان (والجمع نعمانيم Ne'emanim) . وكان لكل جماعة نفر من المستشارين يعرفون عادة باليوهاظيم (الواعظين) ، ويطلب أن لفظ مقدم غلب في جماعات اليهود التي أقامت في البلاد الإسلامية ، وقد ترجم هذا اللفظ إلى الإسبانية عندما زال أمر الإسلام ، فأصبح المقدمون في المدن التي استغلها التصاري يعرفون باسم adelantados (أو Adenatados) .

وكان البرورون والمقدمون والنعمانون ينتخبون أول الأمر ، ثم أصبح السابقون منهم يعينون من خلفهم ، وكانت مدة ولايتهم عاماً ، وقد اختلف عددهم من مدينة لأخرى بحسب حجم الجماعة اليهودية وأهميتها . وكانوا مسؤولين أمام الحكومة الإسلامية عن كل ما يتصل بالجماعة من ضرائب والتزامات أخرى .

وكما كانت للتصاري قوانينهم ، فكذلك كانت لليهود قوانينهم وقضاتهم ، وكانت الإدارة الإسلامية لا تتدخل في شؤونهم ، بل كان للجماعة اليهودية الحق في تطبيق ما تصدره محاكمها من عقوبات . وفي الحالات التي كان الخلاف فيها يقع بين مسلمين ويهود ، كان الأمر يرفع لقاضي المسلمين .

وكانت لليهود بهموم التي تقام فيها صلواتهم ، وكانوا أحراراً في ذلك لا يعرض لهم المسلمون في شيء ، وليس لدينا دليل على أن حي اليهود كان يحاط بأسوار في البلاد الإسلامية ، بخلاف الجوزيات في البلاد النصرانية ، فقد كانت لها أسوار عالية . وكذلك كان الحال في بقية بلاد النصرانية ، فقد عرفت في بولندا وألمانيا باسم الجتو Ghetto . وكانت العلاقات بين المسلمين واليهود متصلة مطلقة من كل قيد ، مما جعل اليهود يسرعون بالاندماج في الجماعة الإسلامية ، فاستعربت ألسنتهم وأخذوا لباس المسلمين ، وأسلمت منهم

جماعات كثيرة مع الزمن^(١) .

وبعد ، فهل أجدى ذلك على الإسلام والمسلمين شيئاً ؟

كانت النتيجة أن وقف اليهود إلى جانب الصليبي عندما بدأ الصراع بين الجانبين على مصر إسبانيا ، ووضعوا أنفسهم في خدمة الغزاة يقومون لهم بنفس المهمة التي قاموا بها للمسلمين . وإذا نحن فسرنا موقف اليهود من الدولة القوطية بما كانوا يثرون منها من العنت ، فما تفسير حياتهم للمسلمين ولم يلقوا منهم إلا غيراً ؟ لقد أحسن المسلمون في القرن الحادي عشر بخطأ أجدادهم فيما جروا عليه من تسامح وإكرام مع اليهود ، ولكن الوقت كان قد فات ا بيد أن الإسبان أنفسهم تكلفوا بسداد الدين لليهود ، فما كاد الأمر يستتب لهم حتى بدأوا يطاردون اليهود قبل أن يطاردهم المسلمون ، وما زالوا يلحون عليهم حتى استأصلوا شأنهم من البلد الذي تحنونه أكثر من مرة . وفر من نجا بحياته منهم إلى الغرب ونواحي البحر الأبيض وهم اليهود السفارديون ، وهم نصف يهود العالم اليوم . والنصف الآخر هم الأشكنازيون ، وهم سلائق أولئك الذين ذكرنا أنهم طردوا أمام اضطهاد الرومان والكنيسة الكاثوليكية إلى بلاد الجرمان والصقلية ، تكاثروا هناك وانضمت إليهم جماعات من الفارين من التقييدات والعداوة التي كانت تشور في بلاد أوروبا الغربية ، وفي ألمانيا وبولندا ونواحي

(١) أخذنا في جمع هذه المعلومات على ما كتبه اليهود عن تاريخهم في إسبانيا ، ومن القريب أن نقرأ منهم يستظهر من أعمال اليهود في الأندلس الإسلامي كتابهم يهزمون من الاعتراف بفصل المسلمين ، وهرق آخر مهم ينكر الواقع ، ويتدخل على المسلمين . وجدير بالاستفا أن كثيراً جداً من هذه المؤلفات كتب قبل اعتناء اليهود الحلل على العرب واعتصامهم للقطعة من فلسطين لإنشاء دولة فيها ، مما يبدل على أن اليهود - حتى علماءهم - كانوا يمسرون العداوة والكيد للمسلمين منذ زمن طويل . انظر .

ABRAHAM A. NEUMAN, *The Jews in Spain*. (Philadelphia. The Jewish Publication Society of America) 2 Volumes. 1948.

FRITZ BOER, *Die Juden in Christlichen Spanien*

JACOB, *Sources of Spanish - Jewish History* (New York 1894).

J. PERLES, *Kobbi Seforno ibn Abraham Ben Aderah*. (Bressan 1863).

روسيا ، عاشوا في مخايم وأحياء مغلقة تسمى الجُتُو ، ولم يزارحوها إلا مع
المصور الخديفة . ثم تجمع اليهود جميعاً على ألبانيا وتموا ما أُلُف إليهم الناس
جميعاً من كثرى ، ولم يصبح لهم هدف في الحياة إلا القصاص على العرب
والمسلمين ، وما أحسن إليهم في التاريخ أحد يمثل ما أحسن العرب
والمسلمون .

الفصل الحادي عشر
الإدارة والمسائل

١٥١ - لغة
المراجع
عن شؤون
الإدارة والشأن

لم تصمت مراجعنا العربية - الأندلسية وغير الأندلسية - عن ناحية من نواحي التاريخ كما صمتت عن نواحي الإدارة وشؤون المال . فعلى طول التاريخ الإسلامي وعرضه ، ليس لدينا بيان رسمي واحد عنيت دولة من الدول الإسلامية بوضعه ، تورد فيه النواحي الداخلة تحت سلطانها وحدودها ، وما يتبع كلاً منها من المدن والقرى بوصفها وحدودها ، وما ينبغي على أهلها من مال ، وما كان هؤلاء الناس من حقوق مختلفة الأوضاع القانونية على الأرض وما فيها ، كما هو الحال فيما يتصل بنظم الدولة الرومانية . واعتماداً فيما يتصل بالشرق على بضعة بيانات تغلفها بعض المؤرخين والجغرافيين ، عن أوراق وقعت بين أيديهم بطريق المصادفة ، تحدد دخل جزء من الدولة أو تفقته في فترة معينة ؛ ومثال ذلك البيان الذي أورده ابن خلدون في « المقدمة » ، نقلًا عن خط رجل يسميه أحمد ابن محمد بن عبد الحميد ، بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي ، نقله من جراب الدولة^(١) . وهو بيان ناقص لا يبين إلا دخل جزء من أجزاء الدولة ، وهو بعد ذلك حافل بالمشاكل ، سواء فيما يتصل بأسباب النواحي وتقسيمها ، أو معاني المصطلحات التي يستعملها . ومثال ذلك أيضاً البيان الذي أورده قدامة بن جعفر في جزء من « كتاب الخراج » نشره دي خويه

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ط - بولاق ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

في لندن سنة ١٨٨٩ ، عن دخل الدولة العباسية أيام المنصم^(١) ، وهو بيان مضطرب في حاجة إلى دراسة طويلة . وهناك بيان ثالث وصل إلينا عن طريق المصادفة البحتة ، فقد أراد الوزير علي بن عيسى بعد عزله أن يقدم للمخليفة القنطرة ، حساباً ، عما وصل إليه من أموال الجباية وما أنفق منها ، وقد عثر البارون ألفريد فون كريمر على ذلك الحساب ونشره ، وهو بيان خاص لا نستطيع الاعتماد على ما فيه اعتماداً تلمحاً ، نظراً لأنه صادر عن وزير في موقف الدفاع عن نفسه^(٢) .

وهذه البيانات كلها لا تعيننا على رسم صورة كاملة لتقسيم الدولة الإداري وشؤونها المالية ، حتى إذا استعنا في فهمها بالشروح التي أوردها الخوارزمي في كتابه القيم « مفاتيح العلوم »^(٣) للمصطلحات المالية ، وبالتفصيل المطب للمصطلحات الجغرافية والإدارية الذي أورده ياقوت في مقدمة « تقويم البلدان » . وربما كانت مصر أوفر البلاد الإسلامية حظاً من هذه الناحية ، نظراً لما لدينا من الوثائق البردية ذات القيمة العظيمة ، ونظراً لاهتمام بعض مؤرخي مصر ، كالمقريزي في « عخطه » والتفليشندي في « صحیح الأعمى » ، والتويري في « نهاية الأوب » ، بالكتابة في مسائل الإدارة والتقسيم الإداري وشؤون المال .



٥٥٢ - انضم ولكننا لا نملك ، فيما يتصل بالاندلس ، شيئاً يشبه ذلك .
الإداري وبين هذا الحشد الخاقل من المؤلفات الاندلسية في كل فن ، لا نجد مؤلفاً عني ينالني كالتالي عني بما المقريزي والتفليشندي والتويري ، حتى ابن حيان ، أمير مؤرخي الأندلس ، لم يجد عليه الزمان بنسخة

(١) أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي - نزل من كتاب الخراج وصحة الكتابة ، لايدن

١٨٨٩ ، من ٢٢٧ - ٢٤٠

(٢) ALFRED VON KREMER, Einnahmebudget der Abbasiden Reiches. (٣)

(٣) الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب - كتاب مفاتيح العلوم (صنف سنة ٣٦٦ هـ) القاهرة ١٣٤٤ هـ ، ولايدن ١٨٩٥ .

كساسة من تاريخه ، وليس في القسطنطينية التي بين أيدينا منه شيء يتناول التقسيم أو التنظيم الإداري ، بل لم يورد لنا شيئاً شافياً عن نواحي الدولة وأموالها ، مع أنه وإياه كتابا من كتاب الدولة ورجالها الفلويين ، ومع أنه كان ينقل عن أحمد بن محمد الرازي وابنه عيسى بن أحمد ، وكان كلاهما من عمال الدولة وخواص الأمراء .

ولا يحفل هذا الصمت إلا بفرض أن التقسيم الإداري للأندلس والجنابيات التي تقورت على النواحي لم تكن ، بالنسبة إلى الأمراء أو كتابهم ، مسألة تستوقف الاهتمام والنظر ، كأن العرب حينما دخلوا البلد وجدوا فيه نظاماً إدارياً جارياً ثابتاً صالحاً لجزوا عليه ، دون الحاجة إلى إعادة التخطيط والتنظيم ، وكان الظروف العامة في الأندلس ، إلى سقوط الخلافة الأموية على رأس المائة الخامسة للهجرة ، كانت مستقرة بصفة عامة ، وكان مفاهيم الجباية كانت والحرة طوال هذه الفترة ، فلم تقع الدولة في أزمات مالية وإدارية كالتى تعرضت لها دولة العباسيين ، أزمات جعلت الناحية المالية هي المشكلة الرئيسية للخلافة العباسية من أواخر القرن المجري الثالث ، ولم يتسورط الأمراء والخلفاء الأندلسيون في تلك الأخطاه القادحة التي زهزت الأسس العامة التي قامت عليها دول الشرق ، قاضطرت إلى إعادة التنظيم والبروك ، وزيادة الجبايات وإبتكار الجديد منها ، وما إلى ذلك .

وهذا - على الأقل - هو ما يقولنا بما بين أيدينا من تلويح

١٥٣ - كتاب الأندلس وتقسيمه الإداري
 الأندلس . فعل الرغم مما يحفل به هذا التاريخ من أخبار الفتن والثورات ، فإن الحال كان دائماً رعيماً والناس في سعة وبيت المال عسراً بل يدخل والمسدخر ، حتى في أيام فتنة العرب وأهل

الذمة التي شغلت الأندلس من أواخر إمارة محمد إلى منتصف عصر عبد الرحمن الثالث ، لا نسمع عن إفلاس بيت المال أو مصاصرات العمالك والوزراء والتجار التي يحفل بها تاريخ دول الشرق ، وهذا أمر لا يمكن أن ينتج إلا عن رعياء شامل جعل عامة السكان بنجوة من الفقر المدقع الذي يؤدي إلى الثورة ، ولا يمكن أن يكون إلا إذا كانت هناك موارد مستمرة منتظمة لثروة الأفراد والدولة ،

عما لا يمكن أن يتحقق إلا مع الفرض وجود نظام إداري سليم وتنظيم مالي صالح ، هذا بالإضافة إلى الحكمة الإدارية التي اتصف بها الأمراء والخلفاء ، والنزاهة - النسيب - في شؤون المال والحكم التي اتصف بها الوزراء والعمال ورجال الدولة في العاصمة والتواحي .

وهذا الاستقرار الإداري والاقتصادي ، هو السلي صرف المؤرخين والجغرافيين عن الموضوع ، لأن مؤرخ التاريخ الإسلامي إنما يؤرخ عادة للحوادث الجسيمة والثورات والفن والاضطرابات ، فإذا لم يجد من فلك شيئاً ملاً فراغ صفحاته بأخبار الشعراء والكتّاب والنفهاء ومن إليهم . وإن الناظر إلى تاريخ دول الشرق في موجز تاريخي جامع ، مثل « الكامل » لابن الأثير ، ليجد أن المشكلة الرئيسية التي دار عليها تاريخ الشرق حتى نهاية العصر العباسي الأول هي مشكلة الحكم : من يحكم ومن لا يحكم ؟ من يهتد الخلافة ومن لا يهتد ؟ وابتداء من خلافة الواثق تخفي مشكلة الحكم لتحل محلها المشكلة المالية ، فقد كانت الدولة في حالة إفلاس حقيقي من عهد المشوك ، وعلى صخرة الأزمة المالية تهاوى الخلفاء والوزراء والكتّاب ، وهجز الجميع عن أن يجهدوا لها حلاً ، وانتهى الأمر بيزوال الدولة كلها جملة . وواضح أن المشكلة المالية بدأت من أول يوم قامت فيه دولة بني العباس ، فقد تربع خلفاؤها على امبراطورية واسعة تضم ولايات فسحة ، لكل منها طبيعة وأحوال خاصة ، فكان لا بد من وضع نظام إداري وآخر مالي ، ولم يوضع هذا ولا ذلك . ومضت الأيام والخليفة لا يعرف ما عنده وما ليس عنده ، والرعبة لا تعرف ما عليها ، ولم ينته إلى الأمر أحد ظلماً كانت الدولة في سعورها والجيابة والفرقة ، ولكن الإنفاق كان دائماً أكثر من الوارد ، وقد أحس بذلك هارون الرشيد فطلب للملأى يوسف القاضي أن يضع له دستوراً إدارياً مالياً ، فوضع له مبحثاً فقهياً لم ينتفع به الرشيد لو من جاء بعده . وجاء يوم وجد الخليفة قبه بيت المال خالياً ، فبدأ في مصادرة أموال الناس ، ونظر الوزراء والكتّاب إلى المكوس والمغرم والمساكين يقتضونها من الناس قسراً ، فقبضت الهشم وأحفقت الثروة القومية ثلاثين ، ونزح الوارد إلى بيت المال شيئاً فشيئاً ، حتى وصلت الدولة إلى

الإفلاس ، وبدأت مأساة تصفية الدولة العباسية من القرن الرابع الهجري .

أما في الأندلس فلم يحدث من ذلك شيء ، وهذا ما يهدونا إلى القول بأنه لا بد أنه كان هناك نظام إداري مالي ثابت سليم ، لأن الثروة الطبيعية للبلاد لا تنفي شيئاً إذا كان النظام فاسداً . فقد كان « لوفضاع » الأهرارز مثلاً مضرب المثل ، ولكن سوء النظام وفساد فعم العمال هيما بها إلى حضيض الفقر البالغ . ومصر كذلك كانت من أغنى بلاد دولة الإسلام في المشرق ، ولكنها أفلتت تماماً في منتصف العصر الفاطمي بسبب سوء الإدارة وفساد النظام المالي ، وثورات عليها المجاعات والعلوات والمحن التي يفصلها ويشرح أسبابها المغربي في كتابه الفريد في باب « إغاثة الأمة وكشف الغمة » . وألسنا نجد في الأندلس شيئاً يشبه ذلك : لا نجد أميراً أو خليفة يحس أراضي الدولة أو يحدد تحديد الأقسام الإدارية ، لا نجد كوراً يجمع بعضها إلى بعض أو تقسم تقسيماً جيداً لمواجهة ظروف إدارية طرقة ، ولا نجد جيوش ثقيلة تفرض على الناس فيشكون منها . وهذه ظاهرة لا تفسر إلا بما قلناه : وجد العرب تقسيماً إدارياً مسطراً صالحاً ، فأخذوه كما هو ، ووضع العرب من أول الأمر نظاماً صالحاً لم يحتاجوا بعد ذلك إلى تغييره ، ومضى العمل به على ما هو عليه ، ولم يتعرض واحد من النظامين لشيء من التغيير الحاسم يستوقف انتهاء المؤرخين .

ثم إننا نجد أن كليل التفاصيل التي لدينا عن تقسيم الأندلس إلى كور وأقاليم تتفق فيها بينها اتفاقاً واضحاً مع اختلاف العصور التي كتبت فيها ، وحتى مع افتراض أن كل ما كتب بعد الرازي أخذ عنه ، فلا يعقل أن ينقل عنه أحد ابن عمر بن أنس العلوي الشرفي سنة ٤٧٨ / ١٠٨٥ ، وأبو عبيد البكري المتوفي سنة ٤٨٧ / ١٠٩٤ ، ومحمد بن أيوب بن غالب المرناطي المتوفي في أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، وأبو الحسن علي بن سعيد المتوفي سنة ٦٨٥ / ١٢٨٦ ، ومحمد بن عبد المعتم الصنهاجي الحميري الذي كتب في سنة ٨٨٦ / ١٤٨١ ، وغيرهم كثيرون ، دون أن يشير واحد منهم إلى تعديل أو تغيير أصاب نظام الكور وحدودها وما يتبعها من المدن رغم اختلاف

الأعصر التي كتبوا فيها . ولقد زار الأندلس رحالة كبارن حوقلي ، وكتب عنه جغرافيون كباين الفقيه وابن رسته والأصطخري والمقدسي ، وهم جمعاً ممن يسمون بالتقسيمات الإدارية وتنظم المال ، فلم يبين أحد منهم حقيقة ذلك التقسيم أو التعديلات التي أدخلت عليه ، بل وقف بإقوت طويلاً عند مصطلحات الأندلسيين الإدارية ، وبين الفروق بينها وبين ما يستعمله أهل المشرق ، دون أن يشير إلى أصول هذه المصطلحات وما يمكن أن يكون قد نالها من التغير والتعديل . وكل ذلك يلقي في الروح أن الرازي ، عندما كتب « صفة الأندلس » ، إنما كان يكتب عن نظام مقرر ثابت لم يتكلف العرب في وضعه مشقة . وليس في ما بين أيدينا من كتب التاريخ إشارة إلى وضع هذا النظام أو من وضعه أو في أي وقت كان وضعه ، مما ينتهي بنا إلى القول بأن العرب وجدوا في الأندلس عند دخولهم تقسيماً إدارياً ثابتاً للبلاد ، فساروا عليه مع بضعة تعديلات شكلية اقتضتها الأحوال الجديدة - وسنشير إليها - واستبدلوا ما وجدوا من التسميات والمصطلحات بما حلوه معهم من المشرق ، وثبت الأمر على ذلك .

لماذا صح هذا الرأي ، فما هو هذا التقسيم ؟ هل هو تقسيم إسبانيا الإداري على عهد القوط ؟ ثم ، ما هو هذا التقسيم الفوطي ؟ ما أصله وما حدوده ، وما هي درجة التطبيق على ما بين أيدينا من تقسيم الأندلس الإسلامي إلى كورد وأقاليم ؟ .. أم هل هو التقسيم الكنسي إلى مطرانيات وديونيات ؟

من الثابت أن القوط لم يضعوا لإسبانيا تقسيماً إدارياً ، وأنهم تحروا بالتقسيم الروماني الذي وجدوه في البلاد عند دخولهم ، فلنرجع إلى العصر الروماني لتتبع هذا التقسيم من أوله .

٢٥٤ - أصول
التقسيم الإداري
الإسلامي
في الأندلس

كانت للرومان عناية خاصة بالتنظيم الإداري ، فلا تكاد ناحية من النواحي تدخل تحت سلطانهم حتى يخصصوها للمنظام الإداري لذلكهم ، ويحددوا وضعها السياسي داخل الدولة أو علاقتها بها إذا كانت محالفة

أو صديفة ، وكان مجلس الشيوخ لا يتفك بعيد النظر في النظم ويصدفها أو يعيد وضعها بما يتفق مع الظروف القائمة . فلما اخضعت الجمهورية وجاء عصر الامبراطورية تابع الأباطرة هذا الاهتمام ، ومن هنا كان لكل ولاية من ولاياتهم تاريخ إداري حافل بالتطورات . وفيما يتصل بإسبانيا سار هذا التطور جنباً إلى جنب مع امتداد سلطان الرومان على الجزيرة ولكن قبضتهم منها ، وتناثر إلى جانب ذلك عما قام في البلاد من ثورات أو حركات معادية للرومان . وبينما من هذه التقسيمات كلها التقسيم الأول الذي وضع سنة ٢٠٦ قبل الميلاد ، والتقسيم الأخير الذي تم في عهد دقلديانوس ، والذي يسمى عادة تقسيم قسطنطين أو « قسمة قسطنطين » كما يقول كتابنا الإسلاميون .

٢٠٥ - تقسيم قسطنطين
 دقلديانوس المعروف
 بقسمة قسطنطين

فأما التقسيم الأول فهو الذي يجعل إسبانيا قسمين إداريين كبيرين ، يحكم كلًّا منهما موظف كبير بلقب بروكنسل Proconsul أولاً ثم بلقب پراپتور Praetor فيما بعد ؛ هذان القسمان هما إسبانيا الدنيا Hispania Citerior وإسبانيا القصوى Hispania Ulterior . وقد كان هذا التقسيم أساساً لكل تقسيم جاء بعده في الفترة الرومانية ، فانقسمت إسبانيا القصوى في عهد الأباطرة أجريبا سنة ٢٧ قبل الميلاد إلى ولايتي بيطي Bética ولشذانية Lusitania . وفي أيام كاراكالا ظهرت ولاية إسبانيا الدنيا الجديدة الأنطونية Hispania Nova Citerior وتضم إقليمي جليقية وأشتريس ، وفي عهد دقلديانوس ظهرت ولايتا إسبانيا الطركونية Hispania Tarraconensis وإسبانيا القرطاجنية Hispania Carthagenensis^(١) . وهذا يصل بنا إلى تقسيم دقلديانوس الأخير الذي ينسب إلى قسطنطين ، ويقتضاه أصبحت إسبانيا ديقونية Diocesis - أي عملاً كبيراً بالمصطلح العربي - تابعة لمديرية الغالتين Praefectura Galliarum داخلية في القسم الغربي من الدولة الرومانية ، وهو التقسيم الذي وصل إلينا في وثيقة

(١) MANUEL TORRES, *La Península Hispánica, Provincia Romana. En Historia de España dirigida por R. MENÉNDEZ PIDAL*, II, Madrid, 1935, p. 371 - 372.

رسمية إسمها : بيان بالوظائف الجليلة في الدولة وغير ذلك - *Notitia dignita tum utriusque Imperii* ⁽¹⁾ . ولضم إسبانيا بحسب هذا البيان ست ولايات *Provinciae* ، هي : بإحاطة *Betica* ، وإشداية *Lusitania* ، وجليقية . أشترس *Calicia Asturica* ، والولاية الطركونية ، والولاية القرطاجنية ، ثم أضفت إليها مرطانية الطنجية *Mauretania Tingitana* والجزائر الشرقية *Provincia Balearica* .

وقد ذكر كتابنا العرب هذه التضمينات مع تحريفات ظاهرة ستحدث عنها فيها بعد ، فقال أحمد بن عمر بن أس العنزي : « . . . ثم ذكر الأندلس الأول على قسمة قسطنطين ، وهو الذي جزأها على ستة أجزاء : أحصاف الثلاثة فسمها بالأندلس الأدنى ، وذلك من قرطاجنة الخلفاء ، وهي لورقة ، وجعل معها مدينة بلنسية ومدينة شاطبة ، إلى أقصى الغرب ، وأحصاف الثلاثة أيضاً فسمها بالأندلس الأعلى ، وذلك من أوربولة إلى سرقسطة وما أزاها . وسمها غير قسطنطين بالأندلس الغربي والأندلس الشرقي ، وذلك بجري الأناضول مما جرى منها إلى الغرب سماه الغربي ، وما جرى أنهاره إلى الشرق سماه بالشرقي . والقسمة من تدمير ، ونهرها جار إلى الشرق » ⁽²⁾ . وإذا نحن نظرنا إلى التقسيم الروماني الأول إلى إسبانيا الدنيا وإسبانيا القصوى نبتنا أنه ينطبق تماماً مع كلام العنزي ، فبما عدا المدن التي يذكرها ، فإن الحد الفاصل بحسب التقسيم الروماني هو نهر تدمير بالفعل ، أما قوله إن بعضهم يسمي

(1) نشر هذا الوثيقة العامة Scott سنة 1876 ، وانظرها أيضاً :

TH. MOMMSEN, *Vergleich der römischen Provinzen dargestellt im 297. Abhandlung - Langen der Berliner Akad. d. Wiss. Phil. Hist. Kl. 1862*, S. 489 - 518. *Gesammelte Schriften*, vol. V, 1908, S.S. 363 - 388.

C. JULIAN, *De la réforme provinciale attribuée à Dioclétien*. *Rev. Hist.* XIX, 1882, p. 331 - 374.

(2) أحمد بن عمر بن أس العنزي : نظام المرحان في المسالك والممالك (مخطوط بعد نشر الدكتور عبد العزيز الأحرابي) ورقة 17 -

القسمين الأندلس الشرقي والأندلس الغربي فيضره تصور الجغرافيين المسلمين للهيئة العامة لشبه الجزيرة الأيبيرية ، وهو تصور يجعل الساحل الشرقي لشبه الجزيرة كله ساحلاً جنوبياً تقريباً .

٢٥٦ - لغة
سقطون كما
يرمزها البكري
ولابن حديد البكري نص أكثر تفصيلاً وأهمية ، لا بالنسبة إلى التقسيم الإداري أيام الرومان ، بل أيام المسلمين كما سترى ، قال :

« وحدت الأقاليم بعبارة مختلفة . وحدها لسقطين حدوداً ستة : جعل الجزء الأول من حدودها من مدينة نربونة ، وهو حد ما بين غالوش (Gallos = الغاليون) وبين الأندلس (إسبانيا) وأضاف إليها سبع مدن مما حوالها وهي بَطْرُش (Betteris = بيزيه) ، وعَلْبِرْشَة (Tolosa = تولوز) ومَقْلُونَة (Magallona = Maguelonne) ونومشو (Nimes - Nemaus) ونمرشونة . وفي نمرشونة هذه الكنيسة العظمى عندهم ، تسمى سُنَّتْ مريمَة غرائبة (Sainte Marie de Grâce) وفيها سبع سوار من لغة ، ولما يوم عيد ترفه المعجم من الأفاق ، وبينها وبين برشلونة ٢٥ يوماً .

ويجعل الجزء الثاني من مدينة براقره (Braga = Bracara) ، وهو حوز جلفية وشلطيانة (Celtiana) وهو بلد ابن غومس^(١) ، وجعل لها اثني عشرة مدينة مما حوالها ، منها : مدينة برطقال (Portus Gallensis = برتر) ، ومدينة تُودي (Tuy = Tude) ومدينة أُوريَة (Sedes Auriensis =

(١) في القرن الحادي عشر كان الأقاليم الواقع في طرفي الشمالي الغربي من إسبانيا فيها ابن شنت باغ والبحر يسمى بلاد الكلت Celticos .
ابن ابن غومس ، فلقد به على الأندلس غومس بن فرناندو الأول ملكه خليفة في أيام البكري (ملك من ١٠٦٥ إلى ١٠٦٦) .

Cf : LEVI - PROVENÇAL, *La Provence Béotique*, p. 247, n. 3 - 4

(Lugo - Luco - Lucas asturicum) ومدينة لسكة (orensē = auria) ومدينة سرطانية (Sante Maria de Bretona = Britonia) ، ومدينة أشرفة (Astorga = Asturica) ، ومدينة شنت ياقو (Santiago) ، ومدينة كنيسة الذهب^(١١) ، ولها يوم يرد فيه من الفرنجة ومن رومة ومن جميع نواحيهم كلها . ومدينة إيربة (Iria = Iria Flavia) وتسمى اليوم Padron) ، ومدينة بطلة ، ومدينة سارّة (Sarría) .

وجعل الجزء الثالث من مدينة طركونة (Tarragona - Tarracón) وأضاف إليها مدينة سرتسطة وأثفة (Huesca = Osca) وتسمى أيضاً وثفة) ولاردة وطرطوشة وتغيلة ، وأعمال بلدان ابن شانجور كلها^(١٢)، وبلد بليارش (Pillars) ، وورشلونة وجرسندة (Gerona) ، ومدينة أنبورش (Ampurias) ، ومدينة بيلوننة ومدينة أوقة (Oca = Auca) ومدينة قلهرة (Calagurris = Calaborra) ، ومدينة طرسونة (Tarazona) ، ومدينة أماية (Amaya) وتكتب أيضاً أمايا) .

وجعل الجزء الرابع عشرين مدينة ، فأحدثها مدينة طليطلة ، وأضاف إليها مدينة أوريط (Oreto = Oretum) ، ومدينة شقوبية (Segovia) ، ومدينة أوكيفقة (Ercavica) ، ومدينة وادي (الحجازة) ، ومدينة شغونسة (Siguenza) ، ومدينة أكشوما (Osma = Oxama) ، ومدينة بتسية ، ومدينة بلازيا (Palencia = Palentia) ؟) ، ومدينة أوربولة ، ومدينة ألس (Elche) ، ومدينة شاطبة مدينة دائية، ومدينة بياسة (Baeza) ، ومدينة قسطلونة (Castlona = Castulona) ، ومدينة متيشة (Montesa) ، ومدينة وادي أفس (Guadix) ، ومدينة بسطة (Baza) ومدينة أورش (Úrvi) وهي بجانية

(١١) اهدوا لك الحظراً في سياق الكلام . وقد يستقيم المعنى إذا قلنا : [و] هي [مدينة كسة الذهب] .

(١٢) الترادف هنا شأنه الرابع ملكة ليرة ، وقد حكم بين سنتي 1٠٥2 و 1٠٧6 .

cf. LEVI - PROVENÇAL, *Les Provinces Bédouines*, p. 248, n. 1.

وجعل الجزء الخامس قاعدته مدينة سارثة ، وأضاف إليها اثني عشرة مدينة ، وهي : بياجة (Beja) ، مدينة أكثونية (Ossonoba) ، وبابرة (Evora) وشنترة (Cintra) ، وشنترين (Santarém) ، والأثسونة وقلمرية (Coimbra) ، وغورية (Coria = Caurium) ، وشلمطة (Salamanca = Salamantica) ، وصمورة (Zamora) وهي محلاة برأ إلى ثنت ياقوب .

وجعل الجزء السادس قاعدته مدينة أثيلية ، وأضاف إليها ليلة (Niebla) ولرطبة وقرمونة وسورور (Moron) ومرشانة والجنسرة (Algeciras) وشاكرنا ورية وأثسونة (Osona) وأستجة (Astigi = Ectja) وليرة وأعماها إلى بجانة ، واليرة وجيان ومثيه (؟) وساكترنة (؟) وألبدة (Ubeda) وبياجة (Baeza)⁽²⁾ .

وخلاصة كلام أبي عبيد البكري أن تقسيم قسطنطين يجعل إسبانيا ستة أقسام كبرى يسميها أجزاء ، وكل قسم يتبعه عدد من المدن كما يلي :

- ١ - قسم نوبونة : ويتبعه ٧ مدن لم يذكر البكري منها إلا خباً ، هي : بطرش - طليوثة - منقلوثة - نومشو - لرقشونة
- ٢ - قسم براقرة : وهو حوز جليقية وبلاد الكلت ، ويتبعه ١٢ مدينة لم يذكر البكري منها إلا ١١ هي : برطفال - نوفي - أوربة - لكنة - برطانية - أشترقة - ثانت ياقو - مدينة كتبة الذهب (كذا) - إيرة - بطة - شارة .

(١) يلاحظ أن الإقليم الجائر للسرية وبجاعة كان يسمى أرض البين ، وقد ذهب ابن عبد الحميد الحميري في مادة سجالة إلى أن الأرض وهو العظية أي التحنة ، أي أن أرض البين معناه الإقليم الذي منح للمسيحيين ، وهذا غير صحيح ، وأصل أرض هنا لفظ Ustā القديم ، وهو موقع نديم في تلك الناحية .

انظر الترجمة الفرنسية لمرويس المططر ، ص ١٧ - عاشر ٣ .

(٢) أبو عبيد البكري - قطع من حضارة البكري نشرها بروكسال نبلاً على ترجمة الفرنسية لـ « الروض المططر » .

LEVI - PROVENÇAL, *La Péninsule Iberique*, pp. 286 - 289.

٣ - قسم طركونة : ويتبعه ١٤ مدينة هي : سرسطة - أشقة - لاردة - طرطوشة - تغيلة - بلياروش - برشلونة - جرنلة - أنبوروش - بيللونة - أوقه - فاهرة - طرسونة - أماية .

وأدخل في ذلك الجزء « أعمال بلد ابن شاتجة كلها » أي نيرة « ناغار » .

٤ - قسم طليطلة : ويتبعه ٢٠ مدينة ذكر منها ١٨ هي : أوريط - شقوية - أركيشة - وادي الحجارة - شغونوسة - أكشومة - بلنسية - بلازيا - أوربولة - ألش - شاطبة - دانية - يامسة - فسطلونة - متيشة - وادي آش - بسطة - أرش (بجانة) .

٥ - قسم ملرقة : ويتبعه ١٢ مدينة ذكر منها ١٠ هي : باجة - أكشونية - يابرة - شكرة - شترين - الأشبونة - قلمرية - قورمية - شلمنتقة - صمورة .

٦ - قسم أشبيلية : ويتبعه ١٧ مدينة هي : ليلة - قرطبة - قرمونة - مورور - مرشانة - الجزيرة الخضراء - تاكرنا - ويه - أشونة - استجة - قيرة (وأعمالها) - البيرة - جيان - متينة (٩) - باكرنة (٩) أبلدة - يامسة .

ونلاحظ ما يلي :

١ - إن البكري لا يعطي الأجزاء أسماء واضحة ، ولا يضع لها حدوداً بل يكتفي بالقول : « جعل الجزء الأول من حدودها من مدينة نربونة » ، و « جعل الجزء الثالث من مدينة طركونة » ، والمراد بهذا عل الألب : « من حد مدينة نربونة » ، و « من حد مدينة طركونة » ، ويراد بذلك الزمام الذي يتبع المدينة بحسب النظام الروماني كما سئرى .

٢ - إنه لم يذكر قواعد الأجزاء إلا في ثلاث حالات : الرابع والسابع والسادس ، والخاص وقاعدته ملرقة ، والخاص وقاعدته أشبيلية .

٣ - المفهوم ضمناً أن لكل مدينة مما يذكر أعمالاً تابعة لها ، فهو يفرد مثلاً : « قيرة وأعمالها إلى بجانة » ، ويقول مرة أخرى : « وصمورة وهي محدثة برأ إلى شنت بالقرب » ، وهي عبارة جعلها ليفي بروفسنال في ترجمته الفرنسية :

Zamora (Samura) Ville de fondation moderne, dédiée à Saint Jacques.

أي أنه قرأ برأ بكسر الباء ، وفسر « إلى شنت ياقب » بقوله : « بشت باليوب » . ونفضل نحن أن نقرأ العبارة : «وصمورة» ، وهي عديمة ، [وأعمالها] برأ [إلى شنت ياقوت] قياساً على « وقيرة وأعمالها إلى بجانة » .

٤ - وقد سميت الأجزاء إما باسم القاعدة، كما هو الحال في الأجزاء الرابع والخامس والسادس ، أو بالنسبة إلى المدينة الرئيسية فيه ، التي يميزها بقوله مثلاً : « جعل الجزء الأول من حدودها من مدينة ترسونة » ، أو « وجعل الجزء الثاني من مدينة براهرة » ، ويريد أن الجزء يُحكّم من المدينة التي يذكرها .



٢٤٧- التضميم وإذا نظرنا إلى هذا التضميم وجدناه ينطبق تماماً من حيث الكسبي الأجزاء على التضميم الكنسي لإسبانيا أيام القوط ، فقد كانت هناك ست مطرانيات تقابل تماماً أجزاء قسطنطين بحسب رواية البيكسري ، وينطبق كذلك على تضميم دقلديانوس الذي وصل إلينا في وثيقة سنة ٢٩٧ م التي أشرنا إليها ، وإليك جدولاً مقارناً يوضح هذه الحقيقة :

قواعد الأجزاء	التضميم الكنسي مطرانيات	تضميم قسطنطين أجزاء	تضميم دقلديانوس بروقنيات (ولايات)
تَرْبُونَة	أَرْبُونَة	ما بين جاليوش والأندلس .	جلبية أشتريس
بِرَّالْتَرَة	جلبية	حوز جلبية	طركونة
طَرْكُونَة	طركونة	طركونة	فرطاجنة
طَلْبَلَة	فرطاجنة	طلبلطة	أشدانية
ماردة	أشدانية	ماردة	ياطقة
أشبيلية	ياطقة	أشبيلية	

ويلاحظ أن تقسيم دقلديانوس لا يجعل ولاية نربونة داخلة في ديقونية إسبانيا وإنما في ديقونية غالة ، وكانت الاثنان تكثران مديرية الغالين Praefec-tura Galliarum كما قلنا .

وقد أضيفت إلى ديقونية إسبانيا في نفس عهد دقلديانوس ولاية مرطانية الطنجية (Mauretania Tingiana) ، وهي إقليم طنجة أو ما عرف فيما بعد باسم العدو الاقريقية . وفيها بين 370 و 400 ميلادية أضيفت إلى إسبانيا ولاية الجزائر الشرقية (Provincia Balearica) .

وستقف عند هذا التقسيم قليلاً ، لأنه فيما نعتقد الأساس الذي قام عليه كل تقسيم إداري آخر لشبه الجزيرة ، بما في ذلك التقسيم العربي . لأن شبه الجزيرة الإيبيرية مقسم طبيعياً إلى أقسام تصلح ببيتها الجغرافية لأن تكون أقساماً إدارية ، وخاصة بالنسبة إلى الأقسام الصغيرة ، وإذا كان تقسيم إسبانيا إلى عمالات كبيرة ، ثم تقسيم هذه العمالات إلى مديريات قد مر في أحوار مختلفة ، حتى انتهى إلى الصورة التي ثبت عندها في تقسيم دقلديانوس سنة 297 ميلادية ، فإن تقسيم هذه المديريات إلى أقسام إدارية أصغر لم يكلف الرومان أي عناء ، بل يبدو أن الرومان وجدوا هذه الأقسام الصغيرة قائمة ، فلم يكن عليهم إلا أن يشيخوا حدودها الجغرافية وضمعوها في الوضع القانوني الذي ينجم مع نظمهم الخاصة بالمدن والأقاليم . وهذه التقسيمات نفسها هي التي أخذتها الكنيسة وجمعتها أساساً لتقسيم المطرانيات إلى ديقونيات ، مع بعض تغييرات طفيفة اقتضتها مطالب التنظيم الكنسي⁽¹⁾ ، وأخذها العرب بعد ذلك مع إدخال تغييرات هائلة في الغالب اقتضتها طبيعة النظام الإسلامي العام ، وستحدث عن ذلك في حينه .



(1) MANUEL TORRES y RAMON PRIETO BANCIS, en *Hist. de España, dirigi-*
da por R. MENENDEZ PIDAL, III, Madrid 1940, pp. 276 - 279.

ومن الواضح أن هناك تشابهاً بين الأسس العامة التي سار عليها كل من الرومان والعرب في تقسيماتهم الإدارية . فقد كانت « المدينة » هي الأساس الذي قام عليه التنظيم الإداري السياسي الروماني^(١) ، وكانت المدن هي الفواقر التي اعتمد عليها العرب أيضاً في الحكم والإدارة . ولقد انضغ العرب باهتمام الرومان بالمدن وتنظيمهم إياها وعنايتهم بإتقان بنائها وتزويدهم إياها بما استطاعوا تزويدها به من وسائل العمران المدني ، ولا يبدو ذلك بصورة هي أوضح مما يبدو بها في الشام والأندلس . ففي الشام تعلق العرب بالمدن وتجمعوا فيها وجعلوها مراكز عسكرية ، وأحفظوا بكل ما جاتياً من الريف اعتبروه حوزاً للمدينة أو زمناً ، وهذا هو ما عرفه بالأجناد . أما في الأندلس ، فكان شأن المدن أهم ، وكان الرومان عندما دخلوا البلاد ، قد وجدوا فيها مراكز ومواضع عامرة بالناس ، بعضها يلف حول مدن كبيرة (Civitas - Civitates) وبعضها يلف حول مدن بدائية أقرب إلى القرى (Gens - Gentes) .

وكان مفهوم المدينة عند الرومان مفهوماً سياسياً واجتماعياً خاصاً ، اتخذوه عن الإغريق وأضافوا إليه وعدلوه بما يتناسب الطبيعة العسكرية السياسية الخاصة بدولتهم . وأصبحت المدينة مرادفاً لنظام سياسي يتضمن حريات وحقوقاً وواجبات معينة يعتبر الحصول عليها حصولاً على حق المواطنة الرومانية . فبالا دخل الرومان بلداً قسموه أقساماً بحسب طريقة دعسوك نواحيه مع حوزتهم : عنوة أو صلحاً أو بمخالفة أو ما إلى ذلك . وقد يرفع الرومان مستوى بعض التواحي بعد زمن ويمنحوها حق المدينة أي حق المواطنة . ولم تكن المدينة عندهم مجرد مدينة ، بل كان لها زمام محيط بها (Orts - is) تابع لها حكمه كحكمها ومساكنه مواطنون فيها ، لهم ما لأهلها من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات . وإذا كان هذا الزمام واسعاً قسم إلى أقسام ، لكل قسم اسم ينسب إلى قرية كبيرة أو إلى زراعة غالبية عليه أو إلى ظاهرة معينة تميزه كسند جبل أو

MANUEL TORRES, en *Historia de España*, Dirigida por R. MENENDEZ PID- (١) AL., II Madrid 1935, p. 279.

جبل أو ساحل أو سهل أو ما إلى ذلك . فلم تكن هناك نواح لا تتبع مدينة ما ، وإذا فكرت مدينة لقصد في نفس الوقت ما يتبعها من النواحي . وقد ثبت الرومان زعامات المدن وفضلوا أمرها فيما أصدره من وثائق خاصة بها⁽¹⁾ .

وعندما ظهر نظام الولايات (Provinciae) في نهاية أيام الجمهورية الرومانية نشأت المديرية عن مجموعات من المدن وزعاماتها ، وحددت مساحة كل منها بمعرفة لجنة خاصة من عشرة رجال ، وأصدر بمديرية كل ناحية من أملاك الرومان قانون خاص يحدد ما يتبع كلاً منها من المدن وأحوازها ، وبها يتصل بإسبانيا لدينا قانون أو قائمة ولايات إسبانيا (Lex o Formula Privia Hispánica) الذي يحدد ما يتبع كل مديرية من المدن والنواحي . وإذا كانت المديرية قد تكونت من زعامات ما أدخل في حوزها من مدن ، فإن الأساس الثابت للتقسيم الإداري في إسبانيا كان المدينة وحوزها ، فقد تغيرت حدود المديرية من عصر لعصر ، أما زعامات المدن فقد ظلت ثابتة وظلت هي الأساس ، ومضى الأمر على ذلك بقية أيام الرومان وأيام القوط أيضاً .

وقد تحددت أحواز المدن بالوثائق التي كان يصدرها الرومان ، فقد كانوا أهل تنظيم وترتيب ، وعناية بتسجيل كل شيء . وقد كانوا إذا فتحوا بلداً اجتهدوا في ترتيب أرضه وأهله : فلما الأرض التي وجدوها أو أدخلوها في حوزة مدينة فاحتفظ أهلها بالحقوق التي منحها الرومان للمدينة ، واعتبرت هذه الأرض (Municipia) من الناحية القانونية ، وأما الأرض التي استصغروها أو أوجدوها طلقاً لا تتبع أحداً فقد أنشأوا فيها المستعمرات (Coloniae) وجلبوا إليها المعمرين (Coloni) لتصيرها قضاء ضريبة يؤدونها على أساس ما يشكله كل معمر من أرض . أما المدن نفسها فقد اختلف وضعها بحسب علاقتها بالرومان ، فهناك مدن دخلت في طاعة الرومان صلحاً ، وهناك مدن دخلت في طاعتهم عنوة . وكانت للرومان أسس قانونية خاصة بهذه المدن ، فبها ما

صالح الرومان بعقد صلح يجعلها حليفة لهم (Foedera) ، ومنها ما منح
 الرومان وضع الخليفة (Deditio) ، ومنها ما كان يمنح حق إنشاء مجلس بلدي
 له حق التصويت في المسائل الخاصة ، ومنها ما لم يكن له هذا الحق (Sine
 Suffragio) ، ومنها ما كان يدفع للرومان جزية معينة (Scedendum) أو
 (Tributum) ، ومنها ما كان مفضى منها . وكان للوضع الخاص بكل مدينة أثر
 عظيم في تاريخها خلال العصرين الروماني والقوطي ، سواء فيما يتصل بمركز
 البلد في الإقليم الذي يقوم فيه أو بطريقة حكمته لنفسه والحسرة التابع له أو
 بعلاقته بالدولة المركزية : الرومانية أولاً ثم القوطية بعد ذلك .

والمهم لدينا أن هذا كله كان عظيم الأثر بالنسبة إلى وضع هذه البلاد
 ونواحيها في الدولة الإسلامية . نتلاحظ مثلاً أن معظم نواحي إسبانيا لم تقاوم
 الفاتحين المسلمين ، لأنهم عقدوا مع أهلها محالفات محمية تشبه تلك التي كانت
 قائمة بينهم وبين الرومان ، فلم يتغير عليهم شيء بدخول المسلمين ، ومن ثم
 فلم يكن هناك ما يدعو إلى المقاومة ، واستقر معظم هذه النواحي داخل الدولة
 الإسلامية استقراراً سليماً قائماً على تعاقد مكتوب ، عقد حفظ لها حقوقها وحدد
 التزاماتها حيال الدولة الإسلامية . وقد احترم العرب هذه المعهود ، حتى في أيام
 الفتن التي فصلنا أمرها حرص العرب على ألا يمسوا المدن وأهلها ، وتبعت المدن
 نواحيها ، فكان ذلك من أوكذ أسباب الاستقرار والرخاء في الأندلس الإسلامي
 فيها بعد .

ومن المعروف أن أوضاع المدن قد تقارب بعضها من بعض خلال القرون
 الرومانية المتأخرة ، وأن أوضاع الناس قد تشابت كذلك ، فلم يعد هناك إلا
 الأحرار والعبيد ، فأما الأحرار فكان منهم أهل المدن الأصلاء (Cives) وأهل
 النواحي السامعون لبلديتها (Municeps) والمعمرون (Coloni) والأزراع
 (Incolae) . وكانوا كذلك إما مدنيين تابعين لمشيخة البلد (Curia) أو أهل
 قبائل جرمانية لم يستقروا بعد تابعين لمشيخة القبيلة ، وكانت تكون من
 المشيختين هيئة تسمى (Comitia Tributa) أو (Comitia Ornata) تقوم

بحكم البلد والحوز التابع له ، يتفاسم رجال المشيختين الوظائف فيها^(١) .



٢٤٩ - القوط والتقسيم الروماني

ولم يدخل القوط تغييراً إذا بل على هذه الأوضاع ، فقد حلوا في البلاد محل الرومان^(٢) ، وكانوا من الناحية القانونية معتبرين بمجرد تنازلين في البلاد بمقتضى العرف الروماني للسمى

(Hospitalitas) وهو لفظ عسير الترجمة ، فمن الناحية اللغوية معناه « الضيافة » ، أما في الواقع فأخذ معنى الاستيلاء على نسبة معينة من الأرض والعقار ، أي أن الموميسيلشاس كانت أول الأمر إذناً للقوطي في أن ينزل وعائلته « ضيفاً » على مزارع روماني مع إعطائه حق الملكية على ما يتنازل له عنه المزارع الروماني وينزله فيه من بيت أو أرض . ثم أصبحت هذه المضيافة حقاً مقرباً للجرماني ، يستولي بمقتضاه على أرض وعقارات . وربما أقطعت الدولة لحفظاتها من الجرمان ناحية بأكملها ينزلون مزارعين مع أهلها ويكون لهم في الواقع حق ملكيتها ، ومنها كانت الصورة التي نزل بها القوط أرض الدولة ، فإن الأمر انتهى بتملك القوط لما نزلوا به من التواصي على صورة تعبير عنها إحدى اللغات بقولها فيما يتصل بإنزال الدولة الرومانية للقوط في أقطانية : « إن أقطانية سلمت للقوط Aquitania Ghotia tradita » .

وكانت القاعدة في مثل هذه الحالة أن القوط كانوا يشربون على ثلثي الأرض ، ويتركون للمزارع الروماني أو اللاتيني أو الإيبيري الروماني الثلث فحسب ، أي أن كل قرية أو ناحية كانت تسلم ثلثي أرضها للتنازلين بها من القوط ، وكانت القسمة تحدد تحديداً دقيقاً في حالة نزول الجرمان إلى الأرض واشتغاله بالزراعة بيده أو بواسطة عبيده ، أما في حالة عدم اشتغال الجرمان بالزراعة ، فكانت القاعدة أن يفلح الناس الأرض ويسلموا ثلثي الغلة للقوط ،

MANUEL TORRES, op. cit., p. 384

(١)

ANTONIO BALLESTEROS y HEREDIA, *Historia de España y su influencia* (٢) en la Historia universal, tomo I (2a. ed. Madrid, 1934 p. 508

وكانت حصص القوط تسمى الأنصبة ، واحدها نصيب (Sors, Sortes) ، أما الباقي بيد أهل البلاد فكان يسمى بالأثلاث (Tercias)^(١) . ولم تكن النسبة تقتصر على الأرض ، بل كانت تشمل ما عليها من الدور والشاية والرفيق أيضاً . وخرجت من النسبة أراضي الغابات (Compascus) وأراضي المراعي ، فقد تركت مشاعاً . أما الأراضي التي كانت لتلكها الدولة فقد وضع ملوك القوط أيديهم عليها ، في حين دخلت الضياع الكبيرة (Latifundias) في النسبة أيضاً ، وانتقلت ملكيتها لتكبار القوط^(٢) .

وقد دخل القوط عمالة وإسبانيا قبائل ، يرتبط أفراد كل قبيلة منها برابطة تقابل العصبية العربية تسمى (Sippe) وتسمى في المصطلح الروماني (Centena) ، لأن الغالب أن كل قبيلة كان عليها أن تقدم للجيش القوطي مائة من المقاتلين . وقد اتحدت روابط العصبية القبلية القوطية بنظام عهدهم في البلاد ، وخاصة فيما يتصل بالزراعيين منهم .

٢٦٠ - استحلل وقد أصاب المدن في الدولة الرومانية كلها انتمحلال عام ،
المدن عملاً حتى ليذهب بعض الباحثين إلى أنها انحلت لتلاشي ابتداء من
العصر القوطي القرن الرابع الميلادي ، نتيجة لغارات الجرمان واضطراب أمور
الدولة وضياع الأمن ، وقد تحول بعضها إلى قرى أو حصون ، وانخفض بعضها الآخر تماماً ، وتحول غرب أوروبا كله إلى عالم زراعي قروي ، وانحطت فيه كل الظواهر المتصلة بالمدن كالتجارة والصناعة للمنظمات ، وتحول المجتمع الأوربي إلى مجتمع زراعي ، وهي الصفة الغالبة التي يوصف بها المجتمع الأوربي في العصور الوسطى المبكرة .

ولما كان العرب قد دخلوا إسبانيا أوائل القرن الثامن الميلادي ، أي في الوقت الذي كانت المدن لتلاشي فيه في بقية غرب أوروبا ، فقد وجدوا فيها كثيراً من المدن باقية في حالة انتمحلال شديد . وذكرها قليل في النصوص على أي

MANUEL TORRES y RAMON PRIETO BANCES, op. cit. III, p. 151. (١)

ANTONIO BALLESTEROS, op. cit. I, p. 913. (٢)

حال ، وتذكرها التصوص أيام القوط بالتسميات الثلاث التي كان الرومان يستعملونها : (Civitas, Civitates - Oppidum, Oppida - Urbs, Urbis) دون تفرق بين أنواعها أو أهميتها ؛ والثابت أنهم كانوا يطلقون هذه التسمية على كل موضع مأهول مسور ، وكان لها نظام خاص لحكومتها هو نظام المشيخة (الكوريا) الذي أشرنا إليه . وتذكر التصوص أيضاً قرى كبيرة غير مسورة وتسميها (Vicos) ، وتذكر القلاع (Castillos) ، ولم تكن مجرد قلاع بل كان يعيش الناس فيها وحولها ، وتذكر الباجي (Pagi) - مفرداً باجوس - ويراد بها الدوار الريفي ، أما المدينة المحصنة القائمة على مرتفع من الأرض فتسمى (Castrum) ، وتذكر المراجع البرج (Burgos) وهي معسكرات القوط التي تحولت إلى مدن أو قرى كبيرة ، وأيضاً (Villa) وهي الدوار يتبعه المالك الكبير وسط أرضه ، ثم يتحول إلى قرية وربما مدينة وربما سور وحصن . وهذه المواضع كلها سميها العرب مدناً فون تميز أول الأمر، ثم يميزون بعضها عن بعض بمرور الزمن .

٢٦١ - كنييسة
تقسيم
بالنظام
الروماني

وإذا كانت أحوال الدولة الرومانية في عصورها المتأخرة قد أدت إلى اضمحلال المدن وانحطاطها شيئاً فشيئاً ، فإن الكنييسة احتضنت بالمهيكل العام للتنظيم الروماني القديم ، فجعلت المديرية على تقسيم دقلديانوس وقسطنطين مديريات كنييسة (Provinciae Ecclesiarum) تمتد سلطان مطران كل منها على جميع النواحي التي كانت داخلة فيها في التقسيم الروماني ، وجعلت المدن الكبيرة الواقعة في الولاية ديقونيات (Diocesi) يتولى كل منها أسقف (Episcopus) ، وجعلت الأقاليم التابعة لكل مدينة من هذه أبرشيات (Parochiae) يتولى كلاً منها برشيطر (Presbiterus) يعينه الأسقف ويناوله كتاب الصلوات (Liber Officialis) وهو شارة التعيين . وقد أحكمت الكنييسة هذا التنظيم واحتفظت به قائماً ، وإن تعرض مع الواقع^(١) ، فقد تضاعفت مدن كانت كبيرة في العصر

ANTONIO BALLESTEROS, op. cit. I p. 900.

(١)

الروماني ولم تصح غير قرى ، ومع ذلك ظل لأهلها الحق في أن يكون لهم أسقف ، وتلاشت مدن أبرشية تماماً ، ومع ذلك كان لها برشطر يمثلها وتحدث باسمها ، وأصبح هذا التقسيم النظري هو التقسيم الإداري في نظر الناس . ولم يحدث هذا في إسبانيا وحدها بل في كافة بلاد الإمبراطورية الغربية ، التي دخلت شيئاً فشيئاً تحت سلطان كنيسة روما . وظل هذا الوضع قائماً حتى أقبل العرب وقضوا على الفوط واتصلوا بالناس رأساً ليستعينوا بهم على تنظيم البلاد ، وأخذوا عنهم هذا النظام وأعطوه صفة إدارية مع تعديلات انضمتها ظروف الدولة العربية الإسلامية .

وهذه الظروف تتلخص في أن مركز الثقل في الأندلس الإسلامي كان في الجنوب ، في حوض الوادي الكبير وجنوبه بصورة خاصة وما يوازي هذا النهر في شرقي الأندلس وغربه ، فتزاحم الناس هناك وتزايد العمران وأزهرت المدن القائمة ، ولدت قرى وتقدمت وأصبحت مدناً بما اقتضى إنشاء كور جديدة صغيرة حول المدن التي كبرت وعظم شأنها . فبينما كان مركز الثقل أيام الرومان في الشمال الشرقي حول طركونة وثربونة (ولم تنشأ ولايات باطقة وجليقية ولشديانية وما إليها إلا فيما بعد) ، وبينما كان مركز الثقل أيام الفوط هو الوسط حول طليطلة ، نجد أن اهتمام العرب انصرف معظمه إلى الجنوب .

٢١٤ - الاتجاه الإداري في الأندلس الإسلامي يعيل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة تيسيراً لضبط الأمن وربط المال ، بل يبدو أن ذلك هو الاتجاه في الإدارة الإسلامية أعمدة

العربي
في التقسيم
الإداري

لمحرض الدجلة والفرات مثلاً كان يضم ما لا يقل عن خمس عشرة كورة ، ولا يشذ عن ذلك إلا الشام ، فقد قسم إلى مناطق عسكرية كبيرة تسمى « الأجناد » كما قلنا .

ثم إن النظم الإدارية الإسلامية كانت لا يعيل على تجزئة الوحدات الإدارية إلى أجزاء والأجزاء إلى أجزاء أصغر كما رأينا في النظام الروماني والنظام الكنسي الذي قام على أسامه . فانكفى المسلمون بالكور ، كل كورة تتبعها مدن وكل

مدينة تبعتها أقاليمها أو زماماتها ، وقد أدى ذلك إلى تسيط السلم الإداري ، فالإدارة المركزية يتبعها عمال الكور ، وعمال الكور يتبعهم عمال المدن وهم المسؤولون عن زمامات المدن أو أقاليمها ، وجزت العادة أن يعين عامل المدينة عاملاً خاصاً بالمدينة نفسها يسمى صاحب المدينة . ومن هنا فقد كان عدد الموظفين في الإدارة الإسلامية لا يبلغ خمس عدهم في الإدارة الرومانية ، وخاصة مثل أهام دقلديانوس الذي زعم الإدارات بالموظفين وجعلهم طبقات بعضها فوق بعض ، فنقل عيوضهم على الجزارة من ناحية واتسع المجال لأكل أموال الدولة من ناحية أخرى .

٢٦٣ - الأحاد . وقد عرف الأندلس الإسلامي نظام الأجناد أو الكور المجتدة . وقد أخذ العرب هذا النظام عن البيزنطيين ، والفراديا وإلايات عسكرية يتزلفا « جند » والجند خمس فرق من المحاربين ، وهي تقابل (Tema) في التنظيم البيزنطي ، ويسمى العرب البند والجميع بنود ، وهي تقابل الثغور ويحكمها قائد عسكري . وكان الجند أول الأمر تنزله قبيلة واحدة أو عدة قبائل متحالفة ، ويكون لها خراج الناحية في مقابل تقديمها جند كامل أي خمس فرق من المحاربين . ولم يعرف نظام الأجناد إلا في الشام ، إذ سمها المسلمون إلى أجناد خمسة هي : فلسطين والأردن ومشرق وحمص وقسرين (وتبعها أول الأمر بلاد الجزيرة) . وقد كان نظام الأجناد من أوكسد أسباب قوة الدولة الأموية ، إذ ضمن لها المحاربين^(١) . ومن الشام انتقل نظام الأجناد إلى الأندلس على أهام أبي الخطاب الحسام بن ضرار سنة ١٢٥ / ٧٤٣ مع اختلاف واحد ، هو أن الجند في الشام كان يضم كوراً كثيرة أما في الأندلس فكان يقابل كورة واحدة . ومن هنا يغلب على الظن أن أجناد الأندلس كان عليها أن تقدم أعداداً من الجند أقل من خمسة فرق . وقد ظلت هذه الأجناد عصباً من أعصاب القوة العسكرية الأندلسية إلى منتصف حكومة عبد الرحمن الناصر على الأقل .

(١) ياقوت - معجم البلدان ، طبعه الخليلي ، ج ١ ، ص ٢٨ .

ولدينا من عهد الأمير محمد بيان بأعداد من كانت بعض التواصي تقدمه من
الفرسان إلى جيش الدولة . وإذا نظرنا إلى هذا البيان تبيننا أهمية نظام الأجناد
بالنسبة للقوة العسكرية للإمارة الأموية الأندلسية :

كورة البيرة	٢٩٠٠ فارس	جيان	٢٢٠٠ فارس
كورة قبرة	١٢٠٠ فارس	باخفة	٩٠٠ فارس
كورة تاكرنا	٢٩٩ فارس	الجزيرة	٢٩٠ فارس
كورة أستجة	١٢٠٠ فارس	فرمونة	١٨٥ فارس
كورة شلونة	٦٧٩٠ فارس	ريفة	٢٦٠٠ فارس
كورة فحص	٤٠٠ فارس	مورور	١٤٠٠ فارس
البلوط			
كورة تلمير	١٥٦ فارس	ريفة	١٠٦ فارس
قلعة رباح			
وأوريط	٣٨٧ فارس ^(١)		

وهذا البيان ناقص ، والكور المخطوط تحتها هي من الكور المجددة ،
ويلاحظ بوضوح أن أربعاً من الكور المجددة كانت تقدم من الفرسان أصحاب ما
تقدمه عشر كور غير مجددة . وذلك يعطينا فكرة عن الأهمية العسكرية لنظام
الأجناد . ولم يبين لنا أحد من المؤرخين النظام المالي الخاص بالأجناد في الشام
والأندلس ، ولكننا نستنتج ذلك من البيان المقارن الذي أوردهناه ، إذ لا يفسر أن
كورة شلونة تقدم أصحاب ما تقدمه كورة أكبر منها وهي تلمير إلا بأن هذه
الكور كانت تقدم فرساناً بدلاً من الضراب ، ويؤيد ذلك قول المؤرخين إن
الشاميين الذين تزلوا هذه الكور ، كان التزامهم على أسواق العجم من حجير
ويعم^(٢) ، أي في مقابل لتلكهم لجسزه معين من أسلاك العجم ويعمهم ،

(١) ابن حبان ، بردية ابن حذارى - البيان الغرب ، طبعة بروكسال وكولان ، (لايدن ١٩٥٦) ص ٢٠٠ .

ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) ابن حذارى ، البيان الغرب (نفس الطبعة) ص ٢٢ . وقد نقل لنا ابن الخطيب كلام ابن حبان .

ويؤيده أيضاً أن حرب الكور المجتدة بالذات هم الذين قاموا بالثورة الكبيرة التي شغلت عصري محمد وعبد الله وجزءاً من عصر الناصر ، وأسبابها ترجع إلى تسك العرب النازلين بهذه النواحي بما كان لهم من حق التملك والاستقلال بنواحيهم ثم ميلهم إلى عسف من كان يسكنها من أهل البلاد ، ونفور هؤلاء لمحاربتهم ، ورفض أولئك العرب لبطانة الإمارة القرطبية ، اعتزازاً منهم بما كانوا فيه من استقلال بنواحيهم وما اجتمع لهم من الثروة نتيجة لذلك الاستقلال . ومن طريف ما يلاحظ أن ثورات العرب ووثباتهم بالدولة في الأندلس وغيره كانت تقع في كثير من الأحيان نتيجة للرغاء والثروة وشعور العرب بنفوسهم ، ونزوحهم إلى التخلص من السلطان . وهذا سبب من أسباب الثورات مما بيكوف أن يذكره ضمن ما ذكره من أسباب الثورات .

ولسنا نجد فيها بين أهدنا من نصوص التلويح إشارة واحدة إلى قيام واحد من الولاة أو الأمراء أو الخلفاء بتكوير الأندلس ، أو تقسيمه إلى أقسام إدارية ، حتى أحمد بن محمد الرزازي صاحب أول وأوفى تاريخ للأندلس لم يشر إلى ذلك . ونحن نجد الأندلس في كلامه مقسماً تقسيماً إدارياً ثابتاً منذ زمن طويل فهو يذكر ما يذكر من الكور على اعتبار أنها أشياء معروفة . أما في جغرافيته فهو

في هذه الناحية ، فقال إن التي أشار على أي الخطار بذلك كان لوطيان ، أشار عليه بتصريف القبائل الشامية النازلين على البلد من دار الإمارة قرطبية ، إذ كانت لا تحصلهم ، وإنزاهم بالكور ، على مثل منازلهم التي كانت في كور شامهم ، ففعل ذلك عن اختيار منهم ، فأقول جند دمشق كورة إلبيرة ، وجند الأردن كورة جيبان ، وجند مصر كورة ساحلة ، وبعضهم بكورة لدمير ، وهذه منازل العرب الشاميين ، ويجعل لهم ثلاث أسوار أهل البلدة من العجم طعمنة ، وهي العرب والبلديون والبربرة شركائهم - الأحاطة ، طعمنة محمد عبد الله حنان (القاهرة ١٩٥٦) ج ١ ، ص ١٠٩ .

ويلاحظ أن هذه هي أول مرة تزل الدولة الإسلامية فيها عرباً على أسوار الصوم من رعابها وبعضهم الحق في تلك تلك هؤلاء الأعميرين . وفي السنين الخطورتين اللتين نشر عنها الاستاذ حنان ذلك أسوار أهل القامة ، وقد استبعد النشر هذه الصورة وأثبت « لث » من هذه ، ونظن أن اللتين أصبح لآنها تقابل تعسبة القوط من الأرمس (Soci - Sorites) على ما ذكرناه ، ثم إن صاحب الرأي في إزال هؤلاء الشاميين على أسوار العجم قرطبي هو قرطبان . وسنعود للتكلام على هذه الناحية عند التسمية التالية .

يعطينا بياناً كاملاً لا يضم إشارة واحدة إلى تغيير أو تعديل . والاستنتاج البسيط من ذلك هو أن أحداً من المسلمين لم يضع هذا النظام وإنما وجدوا تقيماً قاتماً فأخذه .

٢٦٤ - القديس
والتنظيم
الإغاري
للأندلس

ولم يتحدث من الجغرافيين المشرقيين عن تقسيم الأندلس إلى كور إلا القديس في « أحسن التباسيم » ، أما الأخطري وابن حوقل فتكلامهما عام غير دقيق ولا يمكن التوصل عليه في هذا المطلب . فإذا نظرنا في كلام القديس بشيء من التدقيق وجدناه حائلاً بالمشاكل ، وخاصة إذا قرأناه بكلام الرازي ، والمصطلح الذي يستعمله مضطرب ، ولا غرابة في ذلك ، فهو رجل مشرقى على علم تام بأقاليم المشرق ، وخاصة خراسان وهبط ، وهو يحاول أن يطين على الأندلس ما وجد من الفوائد هناك ، فشب كلامه ليس شديد . ولكننا لا نستطيع إلا أن نضعه موضع الاعتبار ، نظراً لقله ما لدينا من المعلومات عن هذا الموضوع .

يجعل القديس قرطبة كورة كبيرة ، ويسمي أقاليمها الرساتين ، ويقول في رواية المعلومات التي أصلها عن « بعض الأندلسيين » : « قلت : هل بقي لقرطبة غير هذه الرساتين والمدن ؟ قال : لا ، قلت : لأشبيلية وجةنة ، وذكرت عدة من البلدان ، قال : هذه نواح لها أقاليم ، كما تقول : الفيروان وشاهرت ومجلمامة ، وهم يسون الرستاق إقليماً ، فعلمت أنها كور على قياسنا ، وأما إن لم تكن أجل من كور هبط ، فليست بأقل منها ، فيحصل القول وأثبت الدلائل على أن مثل المغرب كمثل المشرق ، كمثل واحد منهما جانيان ، فكما أن المشرق خراسان وهبط يفصل بينهما جيحون ، فكذلك المغرب والأندلس يفصل بينهما بحر الروم . غير أننا نعجز عن تكرير الأندلس ، فتركناها على الجملة ، ووصفنا كورة قرطبة لما كثر المخبرون عنها واتضح عندنا أمرها . وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم ، فقال : على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثمان عشرة كورة ، فعُد : بجةنة - مالقة - بلنسية - تدمير - سرقوسة (كذا وصحها سرقسطة) - يابسة (كذا ، وربما كانت صحها

بياسة (- وادي الحجارة - طليطة - وشقة - مدينة سالم - طليطلة - أشتيلية - طليوث - باجة - قرطبة - الجزيرة الخضراء . وسالت آخر ، فقال : صدق ، وزاد البيرة - عُثْبِيَّة . ويحوز أن يكون بعض هذه البلدان نواحي قياساً على إيلان وكش والصفغانيان ، والله أعلم بالصواب)^(١) .

ولو عدنا الكور التي يذكرها لوجدناها ١٧ لا ١٨ ، فلذا أضفنا إليها الاثنتين اللتين يذكرهما بعد ذلك كان الحاصل ١٩ كورة ، ثم إنه يذكر كورا مثل سرقوسة وبياسة ، ليست من كور الأندلس ، ونظن أنه ينبغي تصحيح الأولى إلى سرقطة والثانية إلى بياسة . ومعلوماته كلها في هذا الصدد غير دقيقة ، وعذره واضح . ولكن له عبارة نستوقف النظر لعظيم دلالتها ، وذلك حيث يقول : « وأما الأندلس ، فنظيرها هبطل من جانب المشرق ، غير أننا لا نقف على نواحيها فتكورها ، ولم ندخلها فتضمها ، ويقال إنها ألف ميل »^(٢) ، وموضع الغرابة في هذه العبارة أن الأصبهري كتبها بينما كان كتاب الرازي في جغرافية الأندلس ذاتها بين الناس منذ أمد طويل . ومن عجب أن مثل الأصبهري - على تدقيقه وسعة اطلاعه - لا يستأنس بمثل هذا المرجع . وهذا القول يصدق كذلك على ابن حوقل ، وإذا كنا نستنج من ذلك شيئا ، فهو أن كتاب الرازي لم يكن متداولاً بالصورة التي تصورها إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، أما بعد ذلك فقد كان المرجع الأول لمن كتب في صفة الأندلس .

ويذهب القديسي إلى أن الكورة في الأندلس تعادل الرساتيق والإقليم في المشرق ، وهما به هنا مضطربة لا نستطيع الاعتماد عليها ، فهو يقول : « وهم يسمون الرساتيق إقليماً ، فعلمت أنها كور على قياسنا » ، ثم إنه يقول : « قلت : وهل بقي لقرطبة غير هذه الرساتيق والمدن ؟ قال : لا » ، ونخلص من ذلك بأن القديسي يرى أن الأندلس تنقسم إلى كور ، والكور تنقسم إلى

(١) شمس الدين المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (طبعة دي غره) لايدن ١٩٠٦ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ .

رسائيق ، أي أقاليم ، وهذا ينطبق على تعريف ياقوت الحموي للكورة والمرساق^(١) .

والغالب على الجغرافيين المسلمين فيها يتصل بالأندلس أن يكتفوا بذكر المدن كناية عن الكور التي هي قواعدها ، فيقولون مثلاً : جيان وماردة ويريدون كورتي جيان وماردة . وقد وقعوا بسبب ذلك في إعطاه واضحة ، لأن الكورة في الأندلس كانت تضم أكثر من مدينة كبيرة ، وليست كل مدينة كورة ، وإنما جاء الخطأ من أن المدن في الأندلس كانت لها أحواز تابعة لها ، وهي التي سميت أقاليم ، فظن الجغرافيون فوجدوا مدناً لها أقاليم ، فحسبوا أن كل مدينة كورة .

٢١٥ - غروص
جملة
وبين أهدينا الآن ثلاثة نصوص جديدة غاية في الأهمية بالنسبة إلى موضوعنا: الأول أصل كامل للترجمة البرتغالية لجغرافية إسبانيا للرازي ، والثاني مختصر لجغرافية الرازي وضعه ابن غالب وضمت كتابه « فرحة الأنس » ، والثالث قطعة صالحة من جغرافية أحمد بن عمر بن أسن العذري للأندلس .

٢١٦ - ترجمة
كاملة
جغرافية الرازي
فأما الترجمة البرتغالية لنص جغرافية أحمد بن محمد الرازي فهي أكمل ما لدينا من النصوص المترجمة لهذه الجغرافية التي ضاع أصلها العربي ، وقد عثر عليها الأستاذ البرتغالي لويس لندلي سترا ضمن نسخة كاملة من ترجمة برتغالية كاملة لتاريخ إسبانيا العام الذي صنعه الملك العام ألفونسو العاشر ، وترجم القطعة الجغرافية إلى الفرنسية الأستاذ لفي برونسال ونشرها في مجلة الأندلس ، وقدم لها مقدمة قال فيها إن هذه النسخة أكمل من كل ما لدينا من ترجمات جغرافية الرازي ، وذكر كيف أن هذه الجغرافية - في صورتها العربية - هي الأصل الذي نقله عدد عظيم من الجغرافيين وأولهم في المغرب أبو عبيد البكري وابن عبد اللحيم الحميري ، وفي المشرق القزويني . وقال إن هذا النص يدل على أن السائقين عن الرازي قد

(١) ياقوت أصحح البلدان ، (طبعة الخليلي) ، ج ١ ، ص ٢٦ - ٢٨ .

أندسوا هيكل جغرافيته بما أدخلوه من معلومات جغرافية ، فنوا أنها تصنيف
شبهاً ، واستقرادات تاريخية ضمنت الكثير من نظام الأصل وتناصفه^(١) .

٢١٧ - تالين
مطفي
من
« فرحة الأندس »
لاين غالب
وأما قطعة محمد بن أيوب بن غالب فقد نشرها الدكتور لطفي
عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات العربية ، وهي ليست
نص ابن غالب بل « تعليفاً مطفي » منه كما يدعى على ذلك
العنوان . ولكننا ما نكاد نطالعها حتى نتبين أن ابن غالب قد
نقل جغرافية الرازي نقلاً حرفياً في معظم المواضع ، وأفسد هذا النقل هنا
وهناك باختصاصات أعلت بالسباق وإضافات من عنده . غير أننا نستطيع
بمقابلة النص للترجم لجغرافية الرازي بهذا النص أن نستخرج جغرافية الرازي
كاملة مع الاستعانة بالفتوحات التي نقلها عنه البكري وابن سعيد والمقري وابن
الحطيط وغيرهم . وقد كوننا نحن هذا النص الكامل للاستعانة به في هذا
الفصل عن تقسيم الأندلس الإداري . وسنرى في الفصل التالي أن الرازي
اعتمد في تصنيف جغرافيته على صفة للأندلس صنعها المؤرخ الملائكي الإسباني
باولوس أوروزيوس المعروف عند العرب بـ « برويش »^(٢) .

٢١٨ - قطعة من
جغرافية
المندري
والتقطعة الثالثة نص قريد في بابها لأحمد بن أنس العلوي في
جغرافية الأندلس ، عثر عليه الدكتور عبد العزيز الأهواني
وتفضل فلقد لنا في الاستفادة منه . ومن أسف أن النص
ناقص ، فهو لا يتناول إلا بضع نواح من الأندلس ، ولكنه

(١) LEVI - PROVENCAL, *La description de l'Espagne d'Ahmad al - Razi al -* (١)
Andalus, vol. xviii 1953, fasc. I pp. 51 sqq.

وهي ترجمة فرنسية للنص الذي نشره لويس أنشلي سترا .

Cronica Geral de Espanha de 1344, edição crítica do texto português por LUIS E.
LINDLEY CINTRA, II, Lisboa 1952 (Academia Portuguesa de Historia).

ونص جغرافية الرازي يقع في صفحات ٣٩ - ٧٥ من هذه القطعة .

(٢) الدكتور لطفي عبد البديع : نص الأندلس الجديد : قطعة من كتاب « فرحة الأندس » لابن غالب
عن كور الأندلس وبداها بعد الأريستة . وعنوان القطعة : تالين مطفي من « فرحة » الأندس .

تناولها تناولاً شاملاً شاملاً عظيم القيمة بالنسبة إلى موضوعنا^(١) .

وإذا نحن درسنا المعلومات التي تتضمنها هذه الأصول الثلاثة على ضوء البيانات القيمة التي يقدمها لنا باقوت في مقدمة « معجم البلدان » وفي تضاعيف مواده الخاصة بالأندلس نخرجنا بتنتاج إيجابية فنكتنا من تصور التنظيم الإداري للأندلس الإسلامي تصوراً لا يبعد عن الحقيقة كثيراً . وأول ما يستوقف نظرنا أن الأندلس كان له من أول الأمر نظام خاص يختلف كثيراً عن النظم التي جرى عليها العمل في الدولة الإسلامية . وإذا كان المسلمون قد جرىوا في التنظيم عمل أساس الكورة والمرتاق في بلاد الجزيرة وما يلبها شرقاً ، ونظام الكورة لفظ فيما يتصل بمصر ، ونظام الاجناد فيما يتصل بالشام ، فإن الأندلس لم يعرف هذه التنظيمات الشرقية إلا في صورة معدلة تتفق مع ظروفه الخاصة ، بل هو لم يعرف نظام الرساتيق أصلاً ، وكان تطبيق نظام الاجناد فيه تطبيقاً محدوداً من حيث المساحة التي طبق عليها ومن حيث طبيعته ذاتها كما رأينا .

ونبدأ فنلاحظ أن التريجات التي لدينا لجغرافية الرازي تقسمها إلى أقسام تسميها (Districts) أو (Districts) وهي لفظة يجعلها ليفي بيرولتسال معادلة للفظ كورة . فلذا نارتنا ذلك بنص ابن غالب ، لاحظنا أن هذا الأخير يذكر نوعين من الأقسام الإدارية : الكورة والمدينة ، ولكي نستطيع تبيين المراد بـ«تين المصطلحين والفرق بينهما نذكر ما يورده من الكور والمدن :

الكور : قرنة - البيرة - جيان - تدمير - بلنسية - ماردة - بجاجة - ليلة -

- في تاريخ الأندلس ، للمحقق محمد بن ايوب بن غالب الأندلسي ، هذه سعيد الخطوط العربية جلد ١ ، جزء ٢ (القاهرة نوفمبر ١٩٥٥) ، ص ٢٧٢ وما بعدها .

(١) عرفت على ترجمة العنزي واسم كتابه عند باقوت ، فقد ذكر في صفة القرية . « ويصنف فيها أمير العباس أحمد بن عمر بن حمس العنزي ، ويعرف بالذليلي الرازي . وحل إلى مكة وسمع من أبي العباس أحمد بن الحسين الرازي وطبقته ، ويصغر جماعة أخرى . وهو متكلم ، سمع منه الحميري وابن عبد البر وأبو محمد بن حزم ، وكذا شيخه ، سمع منها ، وكان قديماً كلما رجع من المشرق سمعنا منه . وله تأليف حسان ، منها « كتاب أحلام التوبة » و« كتابه الفسح » ونظام التريجات في المسالك والممالك » . وورده في ذي القعدة سنة ٣٩٢ وتوفي سنة ٤٧٦ وقيل ٧٨ بالنسبة ،

باقوت : معجم البلدان ، طبعة الخليلي ، ج ٨ ، ص ٤٢ .

ترمونة - أنشيلية - مورور - شلونة - الجزيرة الخضراء - روية - أستجة .

المدن : طرطوشة - طركونة - لارعة - برطانية - أشقة - تطيلة - سرقطة -
مدينة سالم - شنتبرية - طلبطلة - قلعة رباح - أويرط - فريش - شسترون -
أشونة . أكشونة - قرطمة - حصن بيشر .

وهذا بخلاف قرطبة ، وكان لها وضع خاص ستحدث عنه .

ونلاحظ أن صاحب « التعليق للثني » من « فرحة الأنس » قد وقع في
أخطاء في عملية التلخيص ، فقد ذكر مثلاً « ليلة » تحت اسم حصون ليلة ،
والحقيقة كما يتبين من « باقوت » أن ليلة كورة ، وكذلك جعل « قرطمة » مدينة
قائمة بذاتها مع أنها عند الرازي وبقوت مدينة من مدن كورة روية . ويلاحظ
أيضاً أن « الانتشاء » من « فرحة الأنس » عمد إلى اختصار هزل في بعض
الأحيان ، فقد روى باقوت عن ابن غالب نفسه قطعاً كبيرة هامة ساقطة من
التعلين الذي بين أيدينا . وسنشير في بعض تعليقاتنا إلى أخطاء أخرى وقع فيها
صاحب التعلين .

أما النص المترجم لـجغرافية الرازي ، فواضح أن المترجمين أدخلوا يدهم
فيه ، فأضافوا أشياء جديدة لا يمكن أن تكون عند الرازي ، وفي بعض الأحيان
تكون الإضافة غنية بعسر تبيها ، وفي أحيان أخرى تكون واضحة بلحظها
القارىء وهو يتصفح ، ومن ذلك إضافة كورة باسم أشتانيا (Extania) بين
قلربة وألشونة ، وجعله بظفوس كورة ، وكذلك باروشة وراقويل (Racupel)
وسرنة (Zorita) . وواضح أن اللذين قاموا بالترجمة لألفونسو العاشر حاولوا
تعديل تقسيم إسبانيا على الصورة التي كانت عليها أيام هذا الملك . ومن هنا
فإن ذلك النص قد يفيد اللذين يدرسون نظم إسبانيا النصرانية في القرن الثاني
عشر الميلادي فائدة لا يجدها في أصل آخر . ويظهر هذه الإضافات كلها في
جغرافية الإدريسي ، مما يدل على أن هذه الترجمة المحرفة كانت بين يديه وهو
يؤلف كتابه .



٢٦٩ - انقسام
 لمدن
 وكور

وبعد ذلك نسأل : ما السر في التوسيم إلى مدن وكور ؟ إذا نظرنا إلى « لندن » وجدناها تشبه الكور إلى حد بعيد ، فلكل مدينة منها حوز واسع فيه الأقاليم ومدن أخرى وقري ، فمدينة طرطوشة « لها حصون كثيرة وأقاليم واسعة »^(١) ، ومدينة لأردة « لها حصون كثيرة »^(٢) ، ومدينة بريطانية لها أحواز ومدن ، « فمن مدنها يشتر وهي من أمهات مدن الشجر » ، « ولها حصون كثيرة »^(٣) ، وكذلك مدينة وشقة ، ومدينة نعلبة لها مدائن كبيرة مثل طرسونة وأرنيط وقارة وساجرة^(٤) ، ومدينة فريش « لها من الأقاليم إقليم لواتة وإقليم المرج وإقليم السند وإقليم قسطنطينة وإقليم موالى موسى »^(٥) ، وهكذا . بل إن « باقوت » يتحدث عن لأردة كما لو كانت كورة ، فيقول : « ينسب إلى كورتها عدة مدن وحصون ، تذكر في مواضعها »^(٦) ، ويقول إن فريش « لها رستاق يكون فيه قري »^(٧) ، وهو يتحدث عن شلون ويقول : « ناحية بالأندلس من نواحي سرقسطة عبرها يسقي أربعون ميلاً طولاً »^(٨) ، والناحية هنا هي الإقليم ، لأنه يقول إن أهل الأندلس « يسمون الناحية إقليمياً » ، أي أن ناحية واحدة من نواحي مدينة سرقسطة تبلغ ٤٠ ميلاً طولاً ، وهو يذكر أرقائنية (Ocaña) ويقول : « جبل من أعمال طليطلة بالأندلس من ناحية القاسم فيه قري وحصون »^(٩) ، ويذكر أشقة ويقول :

(١) ابن خالط : فرجة الأندلس ، ص ٢٨٦ .

(٢) نفس المصدر والمصنفة .

(٣) نفس المصدر والمصنفة .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٧ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٦) باقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

(٧) باقوت ، ج ٦ ، ص ٣٧٦ .

(٨) باقوت ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ .

(٩) باقوت ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ .

« مدينة بالأندلس متصلة الأعمال بأعمال بریطانية »^(١) . وعندما يتحدث عن طرطوشة يقول : « مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية ، ولها ولاية واسعة كثيرة وبلاد في جبلتها »^(٢) . ويقول عن مدينة قلعة أيوب : « مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس بالغر . . من أعمال سرقسطة ، ولها عدة حصون »^(٣) ، ويقول عن قلتهرة : « مدينة من أعمال تطيلة في شرق الأندلس » ، أي أن مدينة تطيلة تتسمها مدينة أخرى هي قلتهرة^(٤) . ويقول عن بقيرة (Viguera) : « مدينة في شرق الأندلس معطوية من أعمال تطيلة ، بينها أحد عشر فرسخاً »^(٥) .

ويفهم من ذلك كله أن هناك أقساماً إدارية تسمى مدن أو تنسب إلى مدن ، أقسام واسعة لها أحواز مسيحة فيها مدن كبيرة وقرى وحصون . وهذا شيء لا شبه له في المشرق . فإن المدينة هناك مدينة ولا زيادة ، لها عطلتها وأرباضها ، وهي بدورها تتبع الكورة التي تقع فيها . أي أن نظام المدن كأقسام إدارية لم يعرف إلا في الأندلس .

لذا نظرتنا إلى هذا النوع من المدن وجدناه كله في الشؤون الشمالية والخرية . كلها تقع في حوض نهر إبرة ، وما بين إبرة وناجة ، وفي حوض ناجة ، ثم بين المجرى الأدنى للوادي آنة وساحل المحيط ، فيها هذا فريش ، وستحدث عنها فيما بعد ، أي أنها كانت النواحي الغربية ، السياج الذي يحمي الأندلس الإسباني . وهذا السياج يبدأ عند طرطوشة في الشرق ثم طركونة فلارنا - بریطانية ، وشقة ، تطيلة - سرقسطة - مدينة سالم - شنترية - طيلة وقلعة رباج - أشبونة - أكشونة .

وهناك ثلاث من هذه المدن تستوقف انتباهنا بصورة خاصة ، هي قرطبة

(١) بالغوث ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

(٢) بالغوث ، ج ٦ ، ص ٤٢ .

(٣) بالغوث ، ج ٧ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٤) بالغوث ، ج ٧ ، ص ١٥٤ .

(٥) بالغوث ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

وطليطلة وسرقسطة . فأما قرطبة فلا تذكر النصوص أنها كورة ، بل مدينة تتبعها أقاليم ومدن أخرى ، بل إن ابن عبد النعم الحميري يقول عن قرطبة : « وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضاً ، وبين المدينة والمدنية سور حاجز ، وفي كل مدينة ما يكتفيها من الأسواق والقنادق والحمامات وسائر الصناعات »^(١) ، وليس في تخطيط قرطبة كما نعرفه ما يؤيد أنها كانت تحيط بها حصة أسوار ، وإنما الذي يفهم من ذلك أنها كانت مدينة ذات حوز واسع فيه خمس مدن تتبعها ، ويفسر ذلك قول القديسي في « أحسن التقاسيم » : « وسألت بعض العقلاء منهم عن الرساتيق المحيطة بقرطبة والنسوية إليها والمدن ، فقال : إننا نسمي الرساتيق إقليمياً ، فالأقاليم المحيطة بقرطبة ثلاثة عشر مع مدنها ، فذكر أرورجونة ، لسطلة ، شوهر ، ملرتش ، قناتش ، فج ابن لقيط . الخ »^(٢) ، أي أن المراد بمدن قرطبة أقاليمها ، ويستمر إلى هذه العبارة بعد قليل . بل يبدو أن ابن عبد النعم الحميري اختلط عليه أمر أبواب قرطبة فحسبها أسواراً ، فقد ذكر القديسي أن « للمدينة خمسة أبواب : باب الحديد ، باب العطلرين ، باب القنطرة ، باب اليهود ، باب عامر » . وليس لدينا من أي مرجع ذكر لكورة تسمى كورة قرطبة ، مما يفهم منه أنها كانت « مدينة » على النظام الأندلسي الذي ذكرناه .

وينطبق ذلك أيضاً على سرقسطة وطليطلة ، فيها أما تذكيران دون صفة معينة ، أو يقال « مدينة » . ومع ذلك فقد كانت كل منها ذات « ولاية واسعة » تتبعها مدناً وحصون وقرى ، فسرقسطة « لها مدن ومعاقل ، منها مدينة قلعة أبواب ، عظيمة جلييلة القدر ، وها من الأقاليم عدة »^(٣) . وكذلك طليطلة فهي « من أجل المدن قدراً وأعظمها خطراً وأشدها حصانة . . وها من الأقاليم إقليم شقرة وفيه حصون عدة ، ثم إقليم ششلة ، ومدينة وفتش ، ثم إقليم الأشيرة وإقليم القاسم وغير ذلك »^(٤) . وابن عبد النعم الحميري يذكر طليطلة على أنها

(١) ابن عبد النعم الحميري : الروض المطار ، ص ١٥٣ .

(٢) القديسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٢ .

(٣) ابن غالب : فرحة الأندلس ، ص ٢٨٨ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

مدينة ، ويقول : « ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع متينة ، وكل بعد منها في جهة الشمال الجبل المعروف بالشلوات »^(١) ، ويقولون يقول : « طليطلة مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس ، وهي غربي قصر الروم وبين الجسوف والشرق »^(٢) .

وأما فريش ، فهي درع قرطبة ، فهي بأقاليمها الواسعة تنتم إلى الشمال الغربي من العاصمة ، وتمتد أقاليمها شمالها وشمال شرقها ، وهذه الأقاليم كثيرة يذكر منها ابن غالب خمسة ، هي إقليم لوانة وإقليم المرج وإقليم السند وإقليم قسطانية وإقليم موالى موسى^(٣) ، فهي إنأ في عداد الثغور ، ولهذا ظل حكمها حكم الثغور ، واعتبرت مدينة .

وإذا تذكرنا قسمة قسطنطين التي حُدَّت الأندلس حدوداً سنة هي : تروينة وجليقية وطركونة وطليلطة وماردة وأشبيلية ، والتي قام على أساسها التقسيم الكنسي إلى ست مطرانيات هي : جليقية وقاعدتها برانقة ، ولشذانية وقاعدتها ملردة ، وباطقة وقاعدتها أشبيلية ، وقرطاجنة وقاعدتها طليطلة ، وطركونة وقاعدتها طركونة ، وأريونة وقاعدتها أريونة ، لاحظنا أن اثنين من هذه الأقسام خرجا من أول الأمر عن نطاق الأندلس الإسلامي هما جليقية وأريونة ، فالباقية هي لشذانية وباطقة وقرطاجنة وطركونة ، وإذا ذكرنا ما يساعدها قلنا ماردة أشبيلية وطليلطة وطركونة ، وقد استبدل المسلمون أشبيلية بقرطبة وطركونة بسرقسطة ، أي أن الباقية على هذا الأساس هي أقسام ملردة وقرطبة وطليلطة وسرقسطة . وهذا يفسر لنا بقاء الثلاث الأخيرات من هذه مدنأ ، فقد كانت كل منها على أيام الرومان فالقوط قاعدة قسم إداري كبير يعادل سدس البلاد ، أو قاعدة ولاية كبيرة تضم عدداً من الديقونيات على النظام الروماني

(١) ابن عبد التميم الحسبي : الروض للمطار ، ص ١٢٢

(٢) يقولون ، ص ٦ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) ابن غالب : فرحة الأندلس ، ص ٢٩٠ .

حسب تقسيم دقلديانوس ، والقيونية ليست ولاية ، وإنما هي مدينة لها حوز
أو زمام ، وقد أصبحت هذه المدن تسمى دوليات أو كونيات على أيام القوط ،
وعل هذه الهيئة دخلت في التنظيم الإسلامي ، فبقيت مدناً لها أحواز^(١) .



٢٧٠ - المدينة والخلاصة أنه كانت هناك كور ومدن ذات أحواز واسعة حتى
اشتهت بالكور . وقد عبر عن ذلك ابن حوقل بقوله :
القسم
الغاري
« وفيها - أي في الأندلس - مدن يزيد بعضها على بعض في
المحل والجباية والارتفاع والولاية والفضة والمخلفين على رفع الأبحار ، ويحال
لأحدهم مخلف ، وليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فيصح إلى كورة ،
فيها ضياع عدداً وأكثر وسعة ومانئمة وسائمة وعدة وعناد وكراخ^(٢) ، وإذا
فليس في الأندلس - على قول ابن حوقل - إلا مدينة ذات رستاق فيصح أو
كورة ، وهذا هو الذي قلناه .

وهذا هو الذي حير الجغرافيين المشاركة في أمر تقسيم الأندلس ،
فالأصطخري يقول : « والأندلس بلدان عريضة كثيرة المدن غصبة واسعة ،
ومدينتها العظمى تسمى قرطبة^(٣) ، ثم يضي في وصف الأندلس قلاً يذكر
غير المدن ويقول مثلاً : « ثم إلى بلاد مرسية على مدينة لقت ، إلى بلاد
بنسية^(٤) ، ثم يقول : « وهذه المدن التي ذكرناها على الشط كلها مدن كبار
عامرة ، ثم « ومن مشاهير مدن الأندلس جيان وطليطلة ونفزة ومرقسطة
ولارده ووادي الحجارة وقرجالة وقروية وسارده وباجة وغانق وليلة وقرمونة
ومورور وأستجة وربة ، وكلها مدن عظام^(٥) ، ثم « ووادي الحجارة مدينة ،

(١) LEVI - PROVENÇAL, *Hist. de l'Espagne Mérovingienne*, tome III (Paris, 1953) p. 48.

(٢) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، الطعة الثانية ، لابن ١٩٣٨ ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٣) الأصطخري : مسالك الممالك ، ص ٤١ .

تقسيم المصدر ، ص ٤١ - ٤٢ .

وهي وما حوالها من المدن والقري تعرف بمدن بني سالم . وهو لا يذكر « الكورة » في الأندلس إلا في ثلاث حالات : « وروية كورة عظيمة حصينة ومدنتها أوجيدونة ، ومنها كان عمر بن حفصون ، الذي خرج على بني أمية بها ، ولمحص البلوط كورة حصية واسعة ، ومدنتها طالق ، وقورة مدينة كانت كبيرة إلا أنها حُرقت بحصية وقعت بينهم . . . وعلمنا من أعظم مدن الأندلس وكذلك طليطلة . . . وستتبرين كورة عظيمة ومدنتها قلنرية . . . »^(١) ، أي أن الأمر يحتلط عليه ، فمعظم الأندلس عنده مدن لها بلاد ، فيها عدا ثلاث يجعلها كوراً مع خلط واضح . هذا مع علمنا باهتمام الأسطخري بالتقسيمات الإدارية ، وذكره الكور والريساتين بالتحديد في كل ناحية يتحدث عنها^(٢) .

وموقف القنسي ، وهو لا يقل عن الأسطخري اهتماماً بالتقسيمات الإدارية ، لا يختلف عن موقف الأسطخري ، فهو يقول : « وأما الأندلس فنظيرها مخطط من جانب المشرق ، غير أنا لا نقف على توابعها فنكورها ، ولم ندخلها فنقسمها ، ويقال إنها ألف ميل ، وقال ابن خرداذبة : الأندلس أربعمون مدينة ، يعني المشهور منها ، لأن أحداً لم يسبقنا إلى تفصيل الكور ووضع القصبات ، فبعض المدن التي ذكر قصبات على قياس ما رأينا . وسألت بعض العقلاء منهم على الرساتيق المحيطة بقرطبة ، والمنسوبة إليها ، والمدن ، فقال : إنا نسمي الرساتيق إقليمياً ، فالأقاليم المحيطة بقرطبة ثلاثة عشر مع مدنها ، فذكر أرجونة ، فسفلة ، شوطر ، ملرتش ، قناتش ، نج ابن لقيط ، بلاط مروان ، حصن بلكونة ، الشنيدة (السند ؟) ، واني محمد الله ، فرمش ، المائدة ، جيان ، وعلى ما دل آخر الاسم ، هي ناحية مدنها : الجمز ، يفسوا ، ملرتش ، لمانت (يريد لغت) ، غردانة ، متيشة ، بياسة ، وسائر مدن الأندلس المذكورة : قرطوشة ، بلنسية ، مرسية ، بجانة ، مالقة ، جزيرة جبل طارق ، شلونة ، أشبيلية ، ألخسبة ، مرسية ، شتتيرين ، باجة ، لبله ، قمرسونة ،

(١) القس الصدر ، ص ١٤ .

(٢) لاحظ مثلاً دقته في الكلام عن فارس وعلمه التفصيلية بتقسيماتها الإدارية ، ص ١٠٠ وما

مسورور ، استجة^(١٦) ، وهذا كلام مختلط بعض الشيء ولكننا نخرج منه بما يلي :

- ١ - إن ابن خردادبة يقول إن الأندلس أربعون مدينة .
- ٢ - إن أحمداً من الجغرافيين والكتّاب لم يسبق القسيمي إلى ذكر كون الأندلس ونصبات هذه الكور .
- ٣ - إن أهل الأندلس يسمون الرستاق القلياً .
- ٤ - إن أقاليم قرطبة ١٣ .
- ٥ - سائر مدن الأندلس للذكورة ١٦ ذكرها بأسمائها ، وجعلها كلها مدناً ليس فيها كورة واحدة .

وللأصطخري نص آخر طويل ملخصه ما يلي :

- ١ - إن لقرطبة ١٣ رستاقاً هي :
أرجونة على ١٥ ميلاً .
لسطلة على ١٣ ميلاً من أرجونة .
شوفر على ١٨ ميلاً من قرطبة .
مارتش على ١٥ ميلاً من قرطبة .
قنيانش على ١٥ ميلاً من قرطبة بموضع يقال له قنيانية .
مرج ابن القبط على ٢٥ ميلاً من قرطبة .
بلاط مروان على ٣٠ ميلاً من قرطبة .
بريانية .

(١٦) القسيمي : أحسن التباسيم ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

حصن بلكورة على ٤٠ ميلاً من قرطبة .

الشنيدة (السند) على يومين من قرطبة ، المنزل فج ابن لقيط .

وادي عبد الله على ٤٠ ميلاً من قرطبة ، المنزل وادي الرمان .

فريش على ٦٠ ميلاً من قرطبة .

جيان على ٥٠ ميلاً من قرطبة ، إسم الرستاق لولاية .

٢ - يعتبر الأصبغري جيان كورة ، ويقول إن « بكوربا حر هو في عداد نواحيها » . ومن رأينا أن « حر » ينفي أن تقرأ : جزء .

ومدنها ، أي مدن جيان :

الجزع على ١٠ أميال من جيان .

بيغوا .

مارنش في قنينة .

متيلة .

غمرناطة ، على واد به مئة طوله ١٣ ميلاً فيه للسلطان كل عجيبة .
يباسة .

٣ - ويقول : قلت : هل بقي لقرطبة غير هذه الرستاق والمدن ؟ ، قال : لا ، قلت : فأشبيلية وبيجانة ، وذكرت عدة من البلدان ، قال : هذه نواحي لها أماليهم ، كما تقول : القيروان وشاهرت وسجلماسة . وهم يسمون الرستاق إقلياً ، فعلمت أنها كور على قياسنا .

٤ - عرض القسيمي كلامه على شيخ من مشايخهم ، فقال : هل هذا القياس يوجب أن تكون الأندلس ١٨ كورة ، فعد : بيجانة - مالقة - بلنسية - تدمير - سرقسطة - يباية - ٢ - وادي الحجارة - تطيلة - وشقة - مدينة سالم -

طليطلة - أشبيلية - بطليوث - باجة - قرطبة - سلونة - الجزيرة الخضراء .

وزاد آخر : [اليرة - عشبة] (١) .

وغريب أن يخلط المقدسي هذا الخلط مع أنه كتب كتابه بعد الرازي بنحو قرن ، لأن جغرافية الرازي كتبت حوالي سنة ٨٩٠ م في حين أن المقدسي كتب كتابه سنة ٩٨٥ . ومن الواضح أنه لم ينظر فيه واكتفى بالاعتناء على معلومات أخذها عن بعض الأندلسيين مشافهة ، وربما كانت لمعلوماته لهذا السبب أهمية خاصة .

والهم لدينا أن أولئك الأندلسيين قالوا إن بلادهم أقاليهم ، وإيهم يسمون الرستاق إقليمياً ، والمعروف أن الرستاق جزء من الكورة ، وعندما أولفوا أن يطبقوا تقاسيم المشرق على الأندلس قالوا إن الأندلس يجب أن تكون على ذلك ١٣ كورة . وبعثنا في كلامه ما نقله عن ابن خردادبة أن الأندلس ٤٠ مدينة ، وحظيفة قال ابن خردادبة ذلك ، وقد ألف ابن خردادبة كتابه بين سنتي ٢٣٠ و ٢٣٤ / ٨٤٤ - ٨٤٨ ، وقال ذلك أيضاً اليعقوبي الذي كتب بعد ذلك بخمس عشرة سنة ، والحمداني وقد كتب بعد اليعقوبي بثلاثين سنة . أما معاصره ابن رosta فحدثه عن الأندلس قليل القيمة (٢) .

فيذا كان لرائل الجغرافيين - من أمثال ابن خردادبة واليعقوبي والحمداني وابن رosta - لا يشيرون صراحة إلى أن الأندلس كان مقسماً إلى كور ، وإنما هو عندهم مقسم إلى مدن ، ولا يذكرون « الكورة » إلا نادراً وعلى سبيل التجوز لا التحديد ، وإذا كان متأخروهم - كالأصطخري وابن حوقل والمقدسي - ينصون على « المدن » نصاً صريحاً ، فلا تذكر الكورة عندهم إلا على سبيل الشرح والتوضيح ، كما رأينا في حالة المقدسي ، لأن ذلك يدل على أن الأساس الأول

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٤ - ٢٣٦ .

(٢) CT : JOSE ALEMANY BOLUFER, *La geografía de la Península Ibérica en los escritores árabes* (Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino) tomo IX 1919 n. 3 - 4 pp. 119 sqq.

التي اتخذ لتقسيم الأندلس كان الأساس الروماني والقوطي من بعده ، وهو نظام المدن ذات الخور . فإذا قالوا مدينة تطيلة مثلاً أرادوا بذلك « ولاية » واسعة منسوبة إلى تطيلة . ولم نأت بلفظ « الولاية » هنا من عندنا ، بل إنه مصطلح يستعمله الجغرافيون كقول ياقوت : « طرطوشة ، مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها »^(١) . وقوله : « كركي ، اسم حصن من أعمال أوريث بالأندلس له ولاية وكري »^(٢) . و « ولاية » هي الترجمة الإسطلاحية للفظ (Provincia) ، وقد سميت المدينة الرومانية ولايات دوقية (Provincia Ducado) ودوقية كونتية (Provincia Condado)^(٣) بحسب رتبة القائد الذي كان يتولاها ، لأن الأقسام الإدارية كلها أصبحت وحدات عسكرية ، فقد كان القوط شعباً محارباً . وحل محلهم العرب ، وكانوا شعباً محارباً أيضاً ، فمضوا على هذا النظام ، واعتبروا الأندلس كله مدناً لا كوراً .



١٧١ - ظهور
مصطلح
الكورة
أما مصطلح الكورة فلم يظهر إلا بعد سنوات ، وظهر على سبيل التجوز لا على أنه مصطلح إداري . وأول ما نسمع به في سنة ١٣٥ / ٧٥٢ في خبر تفريق أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي للشامية على ست كور مذكورة بأسمائها وهي : إلييرة ورية وشذوة وأشيلية وحيان وياجة^(٤) . وتذكر أيضاً تدمير ولكنها لم تكن إذ ذاك كورة ، وإنما كانت ناحية معاودة بيد صاحبها تدمير ، ولم تصبح كورة إلا في عهد عبد الرحمن الداخل .

وتلاحظ أن هذه الكور كلها في الجنوب والجنوب الغربي ، وأنها كانت

(١) ياقوت ، ج ٦ ، ص ٤٣ .

(٢) ياقوت ، ج ٧ ، ص ٦٤١ .

LEVI - PROVENÇAL, op. cit. III, p. 48.

(٣)

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٣ .

كوراً جديدة على نظام أجناد الشام الخمسة ، ولم تكن أجناد الشام « كوراً » ككور مصر مثلاً ، بل كانت مناطق عسكرية كبا قلاً . على أن لفظ الكورة يستعمل بعد ذلك ، فقد ذكر صاحب الأخبار المجموعة « أن الصميل بن حاتم ويوسف القهري ومن معها « اجتمعوا على يوسف بأن تركوا كورة ربة ليحيى بن حريث »^(١) .

ويبدو أن نظام الكور فيها يتصل بتواحي الجنوب عموماً من أيام عبد الرحمن الداخل ، أما تواحي الثغور التي ذكرناها فقد ظلت منذاً ذات أحوال حتى نهاية أيام الخلافة .

هكذا يكون العرب قد أخذوا ريفياً يتصل بالتقسيم الإداري - بالنظام الروماني اللطفي الذي وجدوه ، ثم عدلوه بعض الشيء بحسب ما اقتبسوه من نظم المشرق ومؤثراته ، ولكنهم تركوا تواحي الحدود والثغور كما هي : منذاً عسكرية ذات أحوال^(٢) .

(١) الأخبار المجموعة ، ص ٥٧ .

(٢) نلاحظ أن مصطلح الكورة لم يكن في بلاد الإسلام عند المعنى بالشكل الذي نصوره ، عندئذ تعرب بالوقت للكورة ، وهو لقب ما لدينا : « ذكر حمزة الأصفهاني أن الكورة اسم فارسي صحت (كما) يقع على قسم من أقسام الأستان . وقد استعربها العرب وجعلها اسماً للأستان ، كما استعربت الإقليم من اليونانيون، فصارت اسماً للكشغر . فالكورة والأستان واحد . . . ظلت كما : الكورة كل صقع يشمل على عدة قرى ، ولا بد لذلك القرى من قصبة أو عدينة أو غيرهما يجمع اسمها ملك اسم الكورة ، كقولهم : « دارا مجرد مدينة بغارس لما عمل واسع يسمى ذلك العمل بخصته تورة دارا مجرد ، ويحمر غير الملك ، فلهذا يرمي صطيم مخرج من القرات ، ويصحب في دولة ، عليه نحو ٣٠٠ قرية ، ويقال كذلك جميع غير الملك ، وكذلك ما أشبه ذلك . » (بالوقت ، ج ١ ، ص ٣٦) .

وهذا كلام غير متعلق لا يخرج الإنسان منه بتفهم واضح للكورة . وربما كان سبب ذلك الغرض أن « الكورة » كمصطلح إداري لم تستعمل بصورة منتظمة إلا في مصر ، أما في العراق وما يليه شرقاً فكان المصطلح يستعمل تهوراً ، وقد استعمله الجغرافيون من أمثال القاسمي والأصطحي للتسهيل . وهذا يفسد بين الكورة والرياق والزم وما في ذلك من المصطلحات الإدارية . أما في الأندلس ، فلم يستعمل لفظ « كورة » استعمالاً دقيقاً ، وأظهر هناك لذلك استعمال في الفروض العطار . مثلاً : « آفريش : . . . وهي قاعة كور شهبورية » (ص ٢٨) .

والكثير لم يتابعوا المشرق في التضيقات القرية للكور والمدن .
فهم لم يسموا الكورة والمدنية إلى رساتيق أو ما يشبهها . لأن
الرساتيق - كالكورة - قسم زراعي يشمل على مساحة مزروعة
فيها قرى . ولم تكن المساحات الأخرية هي أساس التضييق في
الأندلس ، بل كانت المدن وما يتصل بها من أحواز . وإذا كانت المدينة تابعة
للكورة في المشرق ، فإن الكورة هي التي تتبع المدينة في الأندلس . ولهذا فقد
سمت الكورة أو المدينة في الأندلس إلى مدن أو نواح ، لكل مدينة أو ناحية
حوز يسمى إقليم . قال ياقوت في تعريف الرساتيق : « قلت : التي عرفناه
وشاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرساتيق كل موضع فيه مزارع
ولمرى . ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد ، فهو عند الفرس بمنزلة السواد
(أي أرض زراعية) عند أهل بغداد ، وهو أخص من الكورة والأستان » (١) .

وقال في تعريف الإقليم عند الأندلسيين : « الاصطلاح الثاني لأهل
الأندلس خاصة ، فإنهم يسمون كل قرية كبيرة جماعةً إقليماً . وربما لا يعرف
هذا الاصطلاح إلا خواصهم ، وهذا قريب مما قدمناه من حوزة الأصفهاني ،
لأننا قال الأندلسي : أنا من إقليم كذا ، فإنما يعني بلدة أو رستاقاً بعينه » (٢) .
وهذا تعريف واضح يدل على أن الأندلسيين يعنون بالإقليم القرية الكبيرة أو
البلدة وحوزها المتصل بها طبعاً . فإذن ذلك بمعنى الإقليم عند المشرك : « كل
ناحية مشتملة على عدة مدن ولقرى إقليم ، نحو الصين وعمراسان والعراق
والشام ومصر والخرقة ونحو ذلك » (٣) فالإقليم في الأندلس بلدة تتبعها أرض ،

١ - القس : ... من كور تدمير (ص ٣٩) - قلعة : ... مدينة من كور بلسية - أوروبا :
... حصن بالأندلس ، وهو من كور تدمير (ص ٣٩) - ومثل هذا كثير جداً . وقد ذهب
ليني بروقتال إلى أن كور هنا معناها كورة ، أي أن الجمع يستعمل في معنى الفرد .
LEVI - PROVENCAL, *Man. de l'Ép. Mex.* III, 48.

ولكننا نرجح أنه يستعمل الكورة هنا بمعنى الإقليم .

(١) ياقوت : معجم ، ج ١ ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) ياقوت : معجم ، ج ١ ص ٣٩ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

وفي المشرق أرض تتبعها بلاد ، والفرق واضح لا يحتاج إلى بيان . في الشرق أخذ العرب الأساس الفارسي وهو الأرض ، وفي الأندلس أخذوا الأساس الروماني وهو المدينة . ولا عجب والحالة هذه أن كانت مدن الشرق جميعها ترقى كبيرة في اضمحلال متصل ، ومدن الأندلس مبدأً حقيقية ذات نظام وتخطيط وحيث ، وكانت في صعود دائم . ولا غرابة في أن بقاخر القري الشرقية بمدن الأندلس ، ويقول إننا نجد في الأندلس المدينة الكبيرة إلى جانب المدينة الكبيرة . ولا غرابة أيضاً في أن نجد فكرة أمراء الأندلس في إنشاء المدن أقرب إلى المفهوم الصحيح للمدن ، وما من ناحية انحطوها هناك إلا بقيت إلى يومنا هذا ، وأماننا مرسية والمرية وتطيلة ومدينة سالم وقلعة أيوب وما إليها ، نستطيع أن نقارنها بالحصرة والكوفة وواسط الأنبار والفسطاط والمهدية وما إليها مما دثر وذهب أمره ، لأنها إما كانت معسكرات أو مراكز زراعية .

وقد أوردنا فيما سبق أمثلة من الأقاليم التي تنضم إليها الكور والمدن ذات الأحواز ، ولكن العلوي يقدم لنا نصوصاً تزيد معنى الإقليم الأندلسي وضوحاً ، وهما بصفة خاصة حديثة عن أقاليم قرطبة ، قال :

عدد أقاليم قرطبة ، وهي خمسة عشر إقليماً :

إقليم المدور :

عدد قرى في المغارم^(١) تسعون قرية ، منها في العشور ثلث [. . .]

الضلع : ٨٥ مديناً و٤ أقرنة .

الناص^(٢) : ٣٩٨٠ مقللاً .

(١) المقوم : تسمية عامة تطلق على الصرايب غير الشرعية ، والمجمع معلوم .

(٢) كانت الصرايب على العقوبات في الأندلس تسمى قشداً أو عيناً ، فلذا بيعت نقداً سميت الناص ،

ولا بيعت عيناً سميت وظيفاً ، وكان الناص يشار في الأندلس بصورة خاصة بالجيش ولهذا

يسمى أحياناً الناص للجنود .

الطيب^(١٩) للعام : ٤١٤٠ ديناراً .
الصدقة والبيزرة : ٤١٢ ديناراً و ٤ دراهم .
إقليم القصب :

القرى في الوظائف ٨٧ ، منها في العشور ٥٦ قرية .

القمح : ١٤٢ مدياً .
الشعير : ١١١ مدياً .
الطيب للعام : ٢٧٠٠ ديناراً و ٤ دراهم .
الناض للمشد : ٤٧٧٢ مثقالاً .
الصدقة والبيزرة : ٢٠٣ ديناراً و ٤ دراهم .
إقليم نُورَة :

القرى : ٦٤ قرية .. منها للعشور ...
القمح : ١٧٣ مدياً و ١٠ أقترة .
الشعير : ٣٠٠ ... و ... قفيز .
الناض للمشد : ٢٤٧٢ مثقالاً .
إقليم الصدف :

القرى : ٢٨ قرية ، منها للعشور ...
القمح : ٨٩ مدياً و ١١ قفيزاً ...
الشعير : ١٩٣ مدياً ...
[الناض] : [...] ٤٧٥ مثقالاً .
الصدقة : [...] .
الطيب للعام : [...] ٥٥ [...] و $\frac{٧}{٧}$.

(١٩) الطيب ضريبة شخصية ، كان الناس يؤدونها حيناً ، وتعتبر مبرونة حالة الفشل في مقابل الخدمة من الإقطاع العسكرية .

إقليم بني مرة :

القرى :

١٧ قرية .

الفتح :

١١٧ مدياً [. . .] أنقرة .

الشعير :

٢٥٤ مدياً و٣ أنقرة .

إقليم مَبَانَة :

القرى :

٢٦ قرية .

الفتح :

١٢١ مدياً [. . .] قنبرا .

الشعير :

٢٢٨ مدياً و٦ أنقرة .

الناض للمحشد :

٧٠٠ مدياً .

إقليم مُحْرَس :

القرى :

٦٠ قرية ، منها للمحشور ٣٠ قرية .

الفتح :

٢٢٠ مدياً [. . .] أنقرة .

الشعير :

١١٦ مدياً و٦ أنقرة .

الناض للمحشد :

٧٣٠ مدياً .

الطيب المعام :

١٧٨٢ ديناراً و٤ دراهم .

الصفة والبيزبة :

٤٩ ديناراً و٤ دراهم .

وهكذا بالتفصيل في بقية الأقاليم ، وهذه هي أسماءها مع عدد قراها :

إقليم القُتُل : ٤٨ قرية .

إقليم الهزهاز : ٧٣ قرية .

إقليم وابه الملاحة : ٨٤ قرية .

إقليم وابه الشعراء : ٩٤ قرية .

إقليم أولية السهلة : ١٠٢ قرية .

والى هنا ينتهي بيان الأقاليم كما يورده العسري ، أي أنه يذكر أن عدد الأقاليم ١٥ ولا يذكر إلا ١٢ (١) .

ونخرج من هذا البيان القيم بأن الأقاليم كانت معدة تحديداً دقيقاً بما حل كل منها أن تؤدبه من الجبايات ، وهذا التحديد لا يذكر ما حل بكل قرية أن تؤدبه بل تذكر جملة ما ينبغي أن يؤدبه كل إقليم في مجموعته من أصناف الضرائب . أي أن الإقليم كان وحدة مالية في نظر الدولة ، وهذه هي الحقيقة الأولى التي سمنا ملاحظتها هنا .

ثم نعود فنتساءل : ما هو الأساس الذي عمل عليه هذا التقسيم ؟ لو أن المسلمين هم الذين وضعوه للاعتناء بين الأقاليم لولاً من التناسب في عدد القرى حل الأقل ، فلا نجد إقليمياً ١٧ قرية وإقليمياً ١٠٢ ، ثم إن أسماء معظمها ليس عربياً بما يدل على أن الإقليم بحدوده واسمه كان موجوداً قبلهم ، كما حدث في مصر ، عندما أخذ العرب الباجركيات البيزنطية (Pagarchoi) وسموها كوراً ، وتلك هي الحقيقة الثانية التي سمنا النصر عليها .

وإذاً فالأقاليم وحدات إدارية وجددها العرب بحدودها عند دخولهم ، ففتشوا هذه الحدود وحددوا ما عليها من المال . كل إقليم يضم عدداً من القرى ، فهناك قرى تدفع المشور ، وهي بطبيعة الحال قرى الخيول ، والزراعات ، وقرى تؤدى جبايات تحدد بحسب طبيعة إنتاجها ، وهي نواحي الشعار والأشجار والزيتون والعابيات والصيد والمعادن وما إليها . والقرية في ذاتها ليست وحدة ، بل الإقليم هو الوحدة .

(١) قال أبو عبد البكري : « وطريقة أقاليم كثيرة وكثيرة جليلية ، وكانت جباية هذه الأقاليم في أيام الحكم بن هشام :

الحشد وتمام الطبل والبيزرة للعام ١١٢٠٠٠

ومن وثيقة التسع ، عدداً ٥٣٠٠٠

ومن الشعير ٧٣٠٠٠

أوردنا من جغرافية البكري جمعاً الذي يروى فيقال شيئاً على ترجمة الفرنسية للرواق للطائر :

LEVI - PROVENÇAL, *La Provence Ibérique*, p. 250 — 251.

والعذري نص آخر يذكر الأقاليم بحدودها الجغرافية ، وإذا ضمنا هذا النص إلى النص السابق لزداد معنى الإقليم عندنا وضوحاً . يقول العذري :

أقاليم سرقسطة :

إقليم المدينة : وهو من باب سرقسطة ، قبلتها إلى عقبة مليقة .

إقليم قصر عباد : وهو متصل بإقليم المدينة . وقصر عباد مجاور لطرطوشة ، وهو في هذا العصر منصرف إلى طرطوشة .

إقليم قنشة : وهي على ستين ميلاً من مدينة سرقسطة . وفي هذا الإقليم يخرج نهر بلطش (Pleitos) من فج يعرف بفج بلدرة (? Pedro) .

إقليم زيلون : وهو مجاور لطرطوشة ، ومجاور لبطنية ، ومجاور لتدمير ، ومجاور لشتت بربه . وفي هذا الإقليم من ناحية مدينة غلوازة يتفجر نهر شليقة (Jalico) ثم يمضي حتى يواقع نهر شلون (Jalon) .

إقليم بلطش (Pleitos) : ونهره يسقي من قرية مواله (Muela del Ebro) إلى مدينة سرقسطة ، طوله ٢٠ ميلاً ، غرب عن عين بلطش .

إقليم قنتش : وله عين ، يسقي من ناحية بلدة نوية (Villa Nueva) إلى أن يصب مائتها في نهر إسرة ما طوله ٢٠ ميلاً .

إقليم شلون : وهو غربي من سرقسطة ، ونهره يسقي من قرية قبانس (Cabanas de ebro) وركلة (Rielo) . وحكى بعض من يعرف نهر شلون أنه يعم بالسفيا نحو ثعابين قرية .

إلى آخر هذه الأقاليم ، وواضح أن هذه التحديدات كلها زراعية ، تدعى بالري والأنهار والعيون وما سقيه . والتقسيم الزراعي في أسماه عالي ، لأن السدين يرسمونه ينظرون إلى ما يطله كل قسم وما يؤديه من جباية . ثم إن التحديدات الجغرافية لتحديدات ثابتة لا تتغير بتغير العصر ، أي أن حدود الأقاليم كما أتمها المسلمون كانت موجودة قبلهم ، فأخذوها كما هي ، بأسمائها في معظم الحالات ، وترجموها أو أعطوها أسماء عربية في أحوال قليلة .

وليس معنى ذلك أن كل الأقاليم أخذها العرب كلها هي ، بل الحكم هنا على الأمر الغالب ، لأن استقرار قبائل العرب والبربر في بعض النواحي أوجد أقاليم جديدة تنسب إلى من سكنها ، كإقليم القاسم أو بني القاسم الداخل في حوز مدينة سلم ، فقد كان إقليمياً واسعاً تنسب إلى أولئك القوم ، وهو الذي ذكره الإدريسي باسم إقليم القواصم وصحتها القواصم ، وإقليم بني مرة في حوز قرطبة وإقليم زنتة وإقليم كنانة في حوز بلنسية ، وما إلى ذلك .

٢٧٣ - الجزء . ويذكر العدوي إلى جانب الأقاليم أقاليماً إدارية أخرى تسمى الأجزاء ، مفردة « جزء » . وهو يورد هذه الأجزاء بعد الأقاليم مباشرة ، مثال ذلك في كلامه عن بلنسية يقول :

أقاليم بلنسية :

إقليم البنية (Almenara) ، وإقليم أندا (Onda) ، إقليم شُرب ؟ ، إقليم زنتة (Zaneta) ، وإقليم كنانة (Benicanena) ، إقليم شلينة ، إقليم أوغيل (Ollivera) ، إقليم لباية ، وله رتبة أولية ، إقليم صح ؟ ، إقليم شارقة (Jorica) .

ثم قل ذلك الأجزاء دون أي تفصيل :

جزء الساحل ، جزء قلبيرة (Calavera) وجزء الجزيرة ، جزء البيضاء (Albayda) وغلشتر ، جزء الأسد ، جزء فحص شاطية ، جزء براكانة ، جزء مدينة التراب ، جزء مصمودة ، جزء بني غنبل ، جزء قسطنية ، جزء فقيرة (Viguera) ، جزء مسل ، جزء مريطر .

ونلاحظ أولاً أن عشرة على الأقل من هذه الأجزاء منسوبة إلى مدن من كوردية بلنسية ، وأن اثنين منسوبتان إلى القوام : مصمودة ، بنو غنبل ، واثنين منسوبتان إلى معالم جغرافية : الساحل ، الأسد .

وليس هناك ما يدل على أن هذه الأجزاء كان فيها قرى . وقد وقع في ظني أنها قد تكون أجزاء من الأقاليم ، فلم يصح ذلك ، ولم يصح أيضاً أن تكون أجزاء أو أسماء من مدينة بلنسية نفسها .

وقد وجدت عند ياقوت - وهو كثر الجغرافية الإسلامية ، ولم يدرس بعد دراسة كاتبة - تعريفاً للجزء في الأندلس يعيننا بعض الشيء على فهم معناه ، فقد قال في كلامه عن مدينة رباح : « ولها عدة قرى ونواحي ، ويسمونها الأجزاء ، يقوم مقام الإقليم ، كما ذكرنا في اصطلاحهم في لفظة الإقليم في أول الكتاب ، منها جزء البكريين ، وجزء اللخمين وغير ذلك »^(١) . وقال تحت لفظ « جزء » : « رمل الجزء بين الشحر وبيرون ، طوله مسيرة شهرين ، تنزله أنشاء القبائل من اليمن ومعد ، وعاصمتهم من بني خويلد بن عقبل ، قيل إنه يسمى بذلك ، لأن الإبل تجزأ فيه بالكلا أيام الرياح فلا ترد الماء »^(٢) . وهذا التعريف ينطبق على ما ذكر آنفاً من الأجزاء : « جزء البكريين وجزء اللخمين وغير ذلك » . ثم لاحظت أن الأجزاء لا توجد إلا في النواحي التي تكثر فيها أراضي المراعي مما لزمه بطون العرب بكثرة : أشيلية وبلنسية وقلعة أيوب وما يشابهها ، ولا توجد في النواحي المحروثة المزروعة من قديم الزمان ، فلذا أضفت إلى ذلك ما لاحظته من أن معظم الأجزاء ينسب إلى مدن ، خرجنا من ذلك بأن الأجزاء قد تكون مساحات من الأرض خصصت للإبل والماشية ، وينطبق عليها حكم أرض العشب والكلا في التشريع الإسلامي ، فلا تكون مملوكة لأحد ، وإنما مشاعاً للجساعة كلها ، ولا يهني عنها مال . وقد كانت في شبه الجزيرة أراضي كثيرة يجري عليها هذا الحكم من قديم الزمان ، وهي أراضي المراعي المشاع (Comspascuus) التي ذكرناها آنفاً .

هذا يكون قد اجتمعت لنا فكرة واضحة إلى حد ما عن الأساس الذي اتخذته العرب لتقسيم الأندلس نفسياً إدارياً : ساروا على ما وجدوه قائلاً في البلاد مع تكيفه على نحو يتفق مع ظروفهم في شبه الجزيرة دون أن يغيروا روحه : ظلت المدينة هي الأساس تبعها الأرض ، وحينما حولوا بعض المدن إلى كتور ظلت المدينة أساس الكورة ، ولم تكن الكورة هي الأساس تبعها المدينة . ولم تكن المدينة في الأندلس بمعناها في المشرق : مجموعة من الأبنية يحدها سورها ،

(١) ياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ .

(٢) ياقوت ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

بل بالمعنى الروماني : نواة لإقليم أو أقاليم كل أهلها يعتبرون من أهل المدينة . وقد اقتضى الأمر اعتبار الكثير من مدن الجنوب وحدات مستقلة ، فجمعوها كوراً ، لأن مركز الثقل في الأندلس الإسلامي كان في الجنوب ، وهذا صغرت مساحات الكور في الجنوب بينما اتسعت في الشرق والغرب . أما الوسط ونواحي الشمال فقد ظلت مدمناً بالمعنى الروماني القديم ، صدمت لها أحواز وفي أحوازها تقع مدن أخرى ذات أحواز .

٢٧٤ . نسبة الأم . وقد جرت العادة بأن تسمى المدينة الرئيسية بالأم والجمع أمهات ، والمدن الصغرى بالبنات مفردة بنت ، وقد تحول الأم إلى بنت إذا زادت عليها في العمارة إحدى بناتها . قال ابن عبد المنعم الحميري في كلامه عن طرسوة : « كانت مستقر العمال والقواد بالتقور . وكان أبو عثمان عبيد الله بن عثمان ، المعروف بصاحب الأرض ، اختارها محلاً وأثرها على مدن التقور متراً . وكانت ترد عليها حُثُر مدينة أريوة وبردشونة ، ثم جادت طرسوة من بنات تظلية ، عند تكاثر الناس بتظلية وإقارهم إياها لتفضل بقعتها واتساع خطتها » (١) . وكذلك حدث لأبيرة ، فقد كبرت بنتها غرناطة وأصبحت الأم وهدمت البيرة من بناتها . ومثل ذلك حدث ليجانة ، إذ احتضت وهدمت واتسعت حتى صارت أم ، « ثم خرجت وانتقل أهلها إلى القرية وهدمت القرية أم » . وتسمى المساحة التي تشغلها المدينة نفسها بخطبة المدينة ، ولقد تكون الأم أكبر مدن الناحية وأهمها تكون أن تكون القاعدة أو القصبة ، لأن القاعدة أو القصبة يشترط فيها الحصانة والمنعة ، وخاصة في نواحي التقور . فلم تكن قبيرة مثلاً قصبة الكورة النسوية إليها ، بل كانت القصبة بيانة ، لأنها - كما يقول بالقوت - « كبيرة حصينة على ربوة يكتنفها أشجار

(١) البروجي القطار ، ص ١٢٢ .

وقد يستعمل لفظ « الأم » للدلالة على أكبر مدن الناحية ، قال صاحب « الروض » في الكلام عن أودية السهولة (ص ٢٤) : « بالأندلس ، قرية من قرطبة ، تعرف بالقرطة ، وهي أم الأقاليم ، كثيرة الأهل واسعة الخطى ، مشرفة الأرضين ، بها عمار العجم مقلدة البناء . . . » .

وأهلها^(١) . وكذلك الحال مع قلب - وهي Calpe القديمة - فقد كانت أول
الامر قاعدة كورة مورور^(٢) . وعندما انتط الأمير محمد مدينة هيريط جعلها
قاعدة « مدينة » وادي الحجارة . وكذلك عندما انتط عبد الرحمن الأوسط
مدينة مرسية ، نقل إليها قاعدة كورة تدعير ، وكانت قبل ذلك في أوربول^(٣) .
وتسمى الضواحي بالأرياض ، مفرداً وجمعاً ، إذا كانت صغيرة متصلة بعمارة
المدينة ، فإذا كانت كبيرة منقطعة عن عمارة البلد سميت بالخاضر ، مثال ذلك
أن طرانة كانت « حاضراً من حواضر أشبيلية »^(٤) .

٢٧٥ - الحصون وكما تتبع المدينة مدن ، فكذلك تتبعها حصون ومعامل .
والمعقل ويغلب على الظن أن هناك فرقاً بين الحصن والمعقل . فالحصن
موضع محصن مأهول يشبه أن يكون مدينة ، وقد تتبعه حصون
أخرى ، وقد يكون له حوز . مثال ذلك حصن بيطرة فقد عرفه ياقوت بقوله :
« بلدة وحصن من أعمال سرقسطة »^(٥) ، وقال عن كركي : « اسم حصن من
أعمال أوريط بالأندلس له ولاية وتسمى »^(٦) ، ويقال ابن عبد التعم عن
قيشاعة : « حصن بالأندلس كالمدينة ، بينه وبين شوفر اثنا عشر ميلاً ، وفي
قيشاعة أسواق وريش عامر وحمام وفنادق »^(٧) . أما إذا اتسع الحصن عن ذلك
ليصبح « قلعة مدينة » أي حصناً كبيراً ومدينة كبيرة أيضاً ، ومثال ذلك قلعة
أيوب وقلعة رباح . في حين أن المعقل لا يزيد عن أن يكون موضعاً محصناً يلجأ
إليه المزارعون إذا دامهم خطر ، أي أنه مجرد كوال (Kwal) . وقد كانت

(١) الروض المطار ، ص ١٦٢ والفرجة القرنية ، ص ١٩٤ وتعلق ٣ .

(٢) ياقوت ، ج ٨ ، ص ٣٩٤ .

(٣) ياقوت ، ج ٨ ، ص ٦٤ .

(٤) ياقوت ، ج ٦ ، ص ٤٧ .

(٥) ياقوت ، ج ٤ ، ص ٣٣٩ .

(٦) ياقوت ، ج ٧ ، ص ٢٤١ .

(٧) الروض المطار ، ص ١٦٥ .

وراجع أيضاً كلامه عن حصن « جنجالية » (ص ١٧) وحصن الفنج (ص ١٠٨) وحصن

الكوس (ص ١٦٦ - ١٦٧) .

المعاقل كثيرة جداً في الأندلس ، لا يشذ عن ذلك إلا معقل « رندة » فقد تحول إلى بلد .

ومن غير اليسور الآن تقدير حوز كل كورة ومدينة ، أو رسم خريطة للأندلس الإسلامي وتقسيماته الإدارية ، لأن البيهقيين اللذين يقدمهما نص جغرافية الرازي المترجم « و التعليل المتقى » من « فرحة الأندلس » وما لدينا من جغرافية الملبدي وأوراق جغرافية البكري ، كل هذه لا تقدم إحصاء بأقاليم كل كورة ومدينة وحدود هذه الأقاليم ، ولعل جغرافية العذري لو كانت كاملة لأعانتنا على إدراك هذا المطلب ، ولكنها كما قلنا ناقصة ، فلم يبق لدينا إلا الاكتفاء بمعرفة الأسس العامة للتقسيم وإحصاء الكور والمدن على ما بيناه ، وربما أعانتنا الحظ في المستقبل على إكمال الصورة . وقد ذهب لبقي برونفيسال إلى أنه من الممكن رسم صورة كاملة للتقسيم الإداري للأندلس بالاستعانة بكتب التاريخ ، وهذا صحيح ، ولكن ما بين أيدينا من أصول تاريخ الأندلس متبور في مواضع شتى ، كما هو الحال مع جغرافية العذري . وقد أحصى برونفيسال سبعاً وعشرين كورة غير الثغور . وهذه الكور هي : قرطبة - قنص البلوط - ليرة - أستجة - أشبيلية - قرمونة - لبة - أكشونية (شلب) - باجة - مورور - شذونة (قلانة) - الجزيرة الخضراء - تاكلونا (رندة) - ربة أو مالفقة - ألبيرة - جيان - بجانة - تدوير (مرسة) - شاطبة - بلنسية - طليطلة - طليبرة (أكلش) - ماردة - بطليوس - شترين - لشبونة - قلمسة^(١) .

وقد تكون هذه هي كور الأندلس في القرن العاشر الميلادي ، ولا نستطيع الآن أن نتاقت هذه القائمة ، لأننا لا نملك إحصاء كاملاً لها في كتب التاريخ من معلومات .



وقد تبع اعتبار المدن وأصولها وحدات إدارية بضع صور إدارية لا نجد لها شبيهاً في الشرق ، كالتتابع الأنهار أو أجزاء منها للمدن التي تقع عليها أو الأقاليم التي تقع فيها ، مثال ذلك قول العنزي في كلامه عن إقليم جلق من أقاليم سرقسطة : « وبه يسمى ما وازى قنطرة سرقسطة عشرون ميلاً . وخرج نهر جلق (El Gallego) من جبال السيرطانيين ، ثم يخرج إلى ناحية وشقة إلى سرقسطة ، ويقع في أبرة ، والجزء الأهل من نهر جلق يروي من الصخرة إلى منزل حسان إلى قنطرة سرقسطة عشرون ميلاً »^(٤) . فهنا ترى بوضوح أن النهر تابع للإقليم ، بل إن الأجزاء التي يروى تحديداً تحديداً تماماً ، كما تحدد النواحي التي تروى المراع والقنوات في نظم الري الخالية . وتسمية النهر باسم الإقليم هنا ليست تسمية جزائية بل لها معنى التبعية الإدارية . ومثال ذلك أيضاً قوله في الكلام عن إقليم شلون (El - Jalon) : « وهو ضروي من سرقسطة ، وبه يسمى من قرية قياتش وركلة إلى باب سرقسطة ٤٠ ميلاً ، وحكى بعض من يعرف نهر شلون أنه يعم بالسقا نحو ٧٠ ميلاً »^(٥) . ومعنى ذلك أن أربعين ميلاً من بحري شلون تبع لإقليم شلون ، والباقي خارج عن هذه التبعية . وحمل هذا الأسس قالوا نهر مرسية ونهر بلنسية وما إلى ذلك ، فقد كانت لهذه الأنهار أسماءها الجغرافية وكان العرب يعرفونها ، ولكن نسبة النهر هنا تحمل معنى التبعية ، أي أن نهر مرسية داخل في حوز مرسية وأقاليمها ، ونهر بلنسية كذلك . بل إن بحاري الأنهار الطويلة كانت تقسم ، فيدخل كل قسم منها في حوز مدينة ، ومثال ذلك نهر السوافي الكبير ، فهو في زمام أنشيلية نهر أنشيلية ، والجزء الداخل من بحراء في حوز قرطبة يسمى نهر قرطبة ، وفي حوز جيان يسمى نهر جيان ، وقس على ذلك بقية كبار الأنهار .

(٤) العنزي - نظام المرحان ، ورقة ١٦١ .

(٥) نفس المصدر والعنفة .

٢٧٧- الرمي . وكانت لسلمي الأندلس من أول الأمر عناية بالموثق ، نظراً لأهمية الصلات مع العسوة الأفريقية . وكانوا يسمون الميناء مرمى ، وهي تسمية لها معناها بالنسبة إلى طبيعة الموانئ الإسلامية في المغرب الإسلامي في هذه العصور الأولى . ويلاحظ أن أهل المغرب والأندلس دون غيرهم من أهل الدولة الإسلامية ، توسعوا في استعمال لفظ المرمى مقابلاً للميناء وخاصة فيما يتصل بما أنشأه المسلمون منها ، فهم يقولون « مرمى تونس » و « مرمى الحضر » و « مرمى الدجاج » و « مرمى المرية » و « مرمى بجانة » وما إلى ذلك ، وهذه كلها موانئ جديدة نشأت بعد الفتح الإسلامية ، أي أن الميناء كان يبدأ عادة بأن يكون مرمى للمسلمين ثم يتطور بعد ذلك كما تطورت تونس والمرية وبجانة ، فأصبحت مديناً ومرامى في نفس الوقت . ويفهم من كلام صاحب « الروض الماطر » أن الميناء قد يبدأ في أول أمره رباطاً بحرياً ، ثم ينشأ عنده مرمى ، ثم يتحول إلى مدينة ، كما حدث في المرية^(١) ، وقد يبدأ إقطاعاً بحرياً لقبيل من العرب في مقابل حفظ الساحل ، فنشأ فيه مرمى ثم ميناء كما كان الحال مع بجانة . وفي حادثة هذه الأخيرة نضع أيدينا على « ميلاد » مدينة . قال صاحب « الروض » : « ويقرب بجانة كان جامع الإقليم الأعظم ، إلا أنها كانت حارات متفرقة ، حتى نزحها البحرىيون ونقلوا عمل ما كان فيها من العرب ، وصار الأمر لهم ، فجمعوها ونشوا سورها »^(٢) . وقد كانت بجانة - كما هو واضح هنا - قرية صغيرة (هي التي تعرف باسم Pochina) ، وكان حولها أحياء كثيرة أهلة متفرقة هي المسماة هنا بالخرات . وكان لأهل هذه الخرات مسجد جامع كبير يقرب بجانة ، فقام أولئك البحرىيون بجمع الخرات بعضها إلى بعض ، وأقاموا سوراً حولها وحول بجانة والمسجد الكبير ، فنشأت المدينة .

٢٧٨- الضياع . وتظهر « الضياع » في الأندلس الإسلامي من أول الأمر ، فقد ذكر ابن القوطية أن أبناء غبسطة حالقوا طازق بن زياد على

(١) الروض الماطر ، ص ٣٧ .

(٢) الروض الماطر ، ص ٣٧ .

« أن يهني لهم ضياع أبيهم وكانت ٣٠٠٠ ضيعة سميت بعد ذلك صفايا المذوك » ، وقد أجازهم طروق إلى ذلك ، وقد خصص أرطبانس منها ألف ضيعة كان يفرق منها على العرب . والضيعة الواحدة هي مقابل الفيلا (Villa) في النظم الرومانية ، والضياع الكثيرة المتجاورة تقابل اللاتيفونديوم (Latifundium) . وإذا كانت النصوص تدل على أن نظام الضياع استمر في الأندلس واتسع مداه ، كما كان الحال في المشرق أيضاً ، إلا أننا لا نملك ما يدل على بقاء نظام الملكيات الشاسعة (Latifundia) وربما لاحظنا تشابهاً بين الفيلا ، وهي القصر الريفي تحيط به ضيعة أو ضياع واسعة يملكها صاحب القصر ، ومصطلح « الحية » الذي كان شائعاً في الأندلس . فتعريف الحية عندهم قريب من تعريف الفيلا ، ولكن هناك فرقاً واضحاً بين الضياع والنبات ، فالضياع قرى نصير إلى ملك مالك كبير وربما أقام فيها ، في حين أن الحية ضيعة نشأت حول قصر ريفي ينشئه المالك الكبير ، ولكن كليهما من حيث الهيئة والوضع يقابل الفيلات الرومانية ، ومعروف أن هذه الفيلات أيضاً كانت تختلف فيما بينها ، ففيها ما يشبه الضياع وفيها ما يشبه النبات .

٢٧٩ - القصب . وهناك مصطلح آخر تحسن الإشارة إليه فيما ذكرنا من مصطلحات جغرافية إدارية ، وهو مصطلح « القحص » وهو كثير الاستعمال في المغرب أيضاً حتى يبدو لنا أن أصله مغربي ، وقد وضع باقوت تعريفاً للقحص ، قال : « وسألت بعض أهل الأندلس : ما تعنون به ؟ فقال : كل موضع يُسكن - سهلاً كان أو جبلاً ، بشرط أن يزرع - تسميه قحصاً ، ثم صار علماً لعدة مواضع »^(١) وكانت القحوص في الأندلس كثيرة ، ومعظمها أقاليم في كور ومدن ، فيقال إقليم القحص من أعمال طليطلة أو من أعمال أشتورية أو أشبيلية . وأكبرها قحص اليلوط الذي أصبح كورة فيما بعد .



(١) باقوت ، ملحة قحص .

وقد يكون بعض الحقائق التي ذكرناها قد وقع فيها بعد ، ولكننا كما ذكرنا نؤرخ لنظام بدون تاريخ ، لم يذكر واحد من مراجعنا متى وضع أو متى عدل ، فلم يبق إلا أن نذكر ما لدينا من المعلومات مطلقة حتى تعيننا أصول جديدة على مزيد من التوضيح ، وإذا كان الرأي الذي ذهبتا إليه ، فيما يتصل بأصول هذه الأنظمة ، أن العرب أخذوها مما وجدوه جزئياً لدى دخولهم ، فليس هناك ما يمنع من القول بأن معظم ما أبتناه من النظم حدث أثناء فترة الولاة التي نتحدث عنها ، ثم دخله الضغط والترتيب والتفصيل والتدقيق فيما بعد .

٢٨٠ - الشيخة
والكورة الإسلامي كله ، ومن الطبيعي أن يتحجب هذا الحكم على ما بُني عليها ، فلذا قلنا إن دخول العرب أسرى المدن التي كانت تتلاشى رويداً رويداً في الأندلس قبلهم ، وإن ذلك الإحياء استبح انتعاش مشيخات البلاد أو الكوريات الرومانية المدنية القديمة ، فقد انتهى على ذلك تعميم فكرة المشيخات أو المجالس على كثير من النظم الإسلامية في الأندلس ، مما أدى إلى ظهور هيئات خاصة بالأندلس كهيئة « الفقهاء المشاورين » وجماعة الوزراء وما إلى ذلك مما جدد بعد الفترة التي نؤرخ لها من النظم .

ذلك أن لفظ مشيخة كان له معنى خاص في الأندلس ، فالشيخة في الشرق هي الرئاسة أو هي الوظيفة أو الامتياز ، فيقولون مثلاً إن فلاناً « تولى مشيخة دار الحديث » أو « مشيخة الحديث » بشرية أم صالح ومشيخة الرباط الناصري ومشيخة المالكية « أو « ولي مشيخة المدرسة بالقدس ومشيخة الرباط الناصري بالمجبل » أو « برع في النحو وانتهت إليه المشيخة » ، أما في الغرب الإسلامي فكان له معنى المجلس أو الجماعة . قال ابن خلدون : « واستبدت مشيخة كل بلد بأمه » أو « كانت مشيختها في القديم في بني ورمان من أهلها مما كاثروا ساكنها وملكوا عامة ضياعها ، وكان مشيخة قابس لذلك العهد في بورتات من أهلها » . والمعنى في هذه النصوص واضح ، فهو الجماعة من أمهات الناس يتولون أمر البلد . ويفسر دوزي معنى المشيخة هنا بأنه « الحق الذي كان لعدد

من الأمر الكبيرة في أن تؤلف مجلساً بلدياً لحكم البلد أو مجلساً جمهورياً ، بل إن الكلمة وردت بمعنى المجلس البلدي أو أعضائه ، وذكر بطرس الكلاعي (Pedro de Alcalá في قاموسه أن الشيخ هو العضو في مجلس البلد (Jurado en la Ciudad) والمشيغة هي الطائفة^(١) . وهذه كلها معان لم تعرف إلا في المغرب والأندلس ، وفي هذا الأخير خاصة ، وثابت على أي حال أن العرب عندما قفسوا على سلطان القوط عقدوا مع أهل كل بلد اسلم لهم عقداً أو معاهدة ، وكان التعاقد يتم مع الكوربا القديمة ، وترجعها العرب إلى المشيخة ، وكانت هذه المعاهدات سبباً في إحياء مشيخات البلاد ، فأصبح في كل بلد مشيخة من أهله هي التي تتخاطب مع العرب وتضمن لهم الأمن والأموال ، نشطت المشيخات وانتظم أمرها ، وعندما أسلم أهل البلاد احتفظوا بمجالسهم وهي مشيخاتهم ، ومن هنا كان للمدن في الأندلس نظام بلدي يرمي شؤونها وشؤون أهلها . وثبت صلاحية هذا النظام فامتد حتى شمل الحرف ، فأصبح لأهل كل حرفة مشيخة أو مجلس ، ونشأت مشيخة الفقهاء ، وهي جماعة من الفقهاء يتخذهم الأمراء والحلفاء مستشارين وسما « الفقهاء المشاورين » ، ووزعت اختصاصات الوزير بين نفر من الوزراء كان لهم مجلس .

٢٨١ - اتصال وقطاهر من التصور أن أهل البلاد من النصارى واليهود العرب من أهل عاشر أول الأمر منفصلين عن العرب ، مستقلين بحكومة البلاد أول الأمر أنفسهم ، وكان لهم رئيس أهل يسميه ابن حيان « قورس الأندلس وزعيم عجم القعة ويستخرج خراجهم للأمراء المسلمين »^(٢) . أي أنه هو الذي كان يتصل بأهل القعة ويستخرج ما عليهم من الأموال ويؤديها للحكومة المركزية . وكان تعامله مع مشيخات البلاد ، أي أن كل مشيخة كانت

(١) انظر دوزي (ملحق القواميس ، مادة شيخ ، ج ١ ، ص ٨٠٩ .

(٢) ابن الخطيب : الإساطة في أخبار غرناطة (طبعة محمد عبد الله حبان) الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٠٩ .

تجمع ضرائب بلدها وتؤديها إلى القومس . وقد أشرنا فيما سبق إلى حكومة البلد وذكرنا بعض ما عثرنا عليه من الغاب موظفيها . وقد أقام العرب لكل ناحية حاكماً من المسلمين ، فأما حاكم الكورة فكان يسمى العاضل أو الوالي ، وأما حاكم المدينة فأت الحوز فكان يسمى القائد ، لأنه كان يختار من العسكريين لأن هذه المدن كانت كلها ثغوراً أو مناطق عسكرية على ما قلناه ، وكان حوز الكورة أو المدينة يسمى المعمل أو النظر أو الولاية أو الحوز .

أما العرب فقد عاشوا أول الأمر مستظليين بأنفسهم ، سواء من نزل منهم المدن أو من عاش منهم في الريف ، وقد احتفظ لنا ابن الخطيب في الإحاطة بنص رواه عن ابن حبان والرازي بوضع أحوال المسلمين من عرب وبربر تمام التوضيح ، ونحن نورده هنا بنصه مع تقسيمه إلى فقرات زيادة في البيان :

١ - قال أبو مروان (بن حبان) : أشار على أبي الخطاب أرتباس قوس الأندلس وزعيم الذمة ومستخرج عراجهم لأمرء المسلمين - وكان هذا شهر العلم والدهاء - لأول الأمر ، بتفريق القبائل الشمالية الغالية^(١) على البلد ، من دار قرطبة ، إذ كانت لا تحملهم ، وإنزاهم بالكور على شبه مشارطهم التي كانت في كور شامهم .

٢ - ففعل ذلك عن اختيار منهم ، فأنزل جند دمشق كورة البيرة ، وجند الأردن كورة حبان ، وجند مصر كورة بساجة ، وبعضهم بكورة تدمير ، المهدي منازل العرب الشمالية^(٢) .

(١) قرأها محمد عبد الله حبان : العليين ، وشرحها في الغمش وأما سنة إلى علم مكان بالشام ، ولا محل لذلك التكتف لأن صاحبها العاليين كما قلناه .

(٢) النص هنا ناقص وغير مثبوت ، وصحته ما أورده ابن حبان ، إذ قال إن أما الخطار منزل أهل دمشق بالبيرة وأهل الأردن بيرة وأهل فلسطين بشدوة وأهل حمص وبشيلة وأهل قنسرين بحبان وأهل مصر بساجة وبعضهم بتدمير .

نظر ابن حبان : البيان ، طبعه البيه بروكسل وكولان ، لندن ١٩٥٦ ، ص ٣٣ .

٣ - وجعل لهم ثلث أسواق أهل اللمة من العجم طعمة .

٤ - وبقي العرب البلديون والبرابرة وشركاؤهم ، وسكنوا واغتبطوا وكثروا وتولوا ، إلا من كان قد نزل منهم لأول قدومه في القنوج على غنائمهم^(١) لم يعرض لهم في شيء منها .

٥ - فلما وأوا (يعني العرب الشاميين) بلداناً شبه بلادهم بالشام نزلوا وسكنوا واغتبطوا ، وكثروا وتولوا ، إلا من كان قد نزل منهم لأول قدومه موضعاً رصيناً فإنه لم يرتحل عنه ، وسكن به مع البلديين ، فإذا كان المعطاء أو حضر الغزو لحق^(٢) بجنده ، وهم الذين كانوا سموا الشاة^(٣) حينئذ .

٦ - قال أحمد بن موسى [الرزي]^(٤) : وكان الخليفة يعقد [للشاميين] لواءين : لواء غازياً ولواء متقياً .

وكان رزق الغازي بلوائه (أي صاحب اللواء) ٢٠٠ دينار وبقي القيم (أي صاحب اللواء القيم) بلا رزق ثلاثة أشهر ثم يبدل (صاحب اللواء) بتغيره من أهله أو غيرهم .

٧ - وكان الغزاة من الشاميين ، مثل أخوة المعهود له (أي صاحب لوائهم) أو بنه أو بني عمه يرزقون عند انتضاء غزاته ١٠ دنانير .

(١) أنبأنا محمد عبد الله بن علي : عن أبيه ، وهي فرقة لا يستقيم بها المعنى ، والصحيح ما أنبأناه وسفصل فيما يلي كيف اعير جند الأتراك الأرض غنية بخلاف ما يلقى به لتسريح عسكر من الخطاب وهي الله عنه .

(٢) أنبأنا عثمان : ولحق بجنده ، والواو زائدة .

(٣) أنبأنا عثمان : فاشاة بالبدال ، وهو خطأ - راجع دوري : ملحق التوابع ، مادة شاة ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٤) أيضاً ما بين المتأخرين من علماء ، لأن لواء أحمد بن محمد بن موسى الرزي لا أحمد بن موسى العدوي الذي ذكره عثمان في المعتمد تقياً عن كشف الظنون .

٨ - وكان يعقد المعقود له (أي صاحب اللواء) مع القائد (أي قائد الجيش المركزي ، ومعنى يعقد له أن يتعهد له) يتكشف عن غمزا ويستحق العطاء ، يعطى على توليه تكريمة له .

٩ - وكانت خدمتهم (أي خدمة الشاميين) في المعسكر (أي الجيش العام للدولة) واعتراضهم إليه (أي أن قيادة الجيش هي التي كانت تستعرضهم قبل الخروج) .

١٠ - ومن كان من الشاميين غازياً من غير بيوتات العقد (أي من غير بيوتات أصحاب الأتوية) ارتزق حصة دنائير عند انقضاء الغزو .

١١ - ولم يكن يعطى أحد من البلديين شيئاً غير المعقود له .

١٢ - وكان البلديون أيضاً يعقد لهم لواءان : لواء غاز ولواء مقبم .

١٣ - وكان يرتزق الغلازي [بملواته مائة دينار وازنة . وكان يعقد لغيره إلى ستة أشهر ، ثم يدال ينظيره من غيرهم .

١٤ - ولم يكن الذبوان والكتبة إلا في الشاميين خاصة .

١٥ - وكانوا أحراراً من العُشر ، معدين للغزو .

١٦ - ولا يلزمهم إلا المقاطعة على أموال الروم التي كانت بأيديهم .

١٧ - وكان العرب من البلديين يؤدون العشر مع سائر أهل البلد (= أهل البلاد) .

١٨ - وكان أهل بيوتات منهم (أي من أهل البلاد) يفترون كتبها يفترو الشاميون ، بلا عطاء ، فيسير بهم إلى ما تقدم ذكره ، وإنما كان يكتب أهل البلد في الغزو .

١٩ - وكان الخليفة يخرج عسكريين إلى تلمحين .

٢٠ - فيستخرجهم (أي يستعين بالمقيدين من أهل البلاد في الغزو ليحمي بهم أثناء غياب العسكريين الرسميين في الغزو) .

٢١ - وكانت طائفة ثالثة يسمون « النظراء » من الشاميين والبلديين ، كانوا يغزون كما يغزو أهل البلد من القرينين (١) .

وهذا نص واضح منفصل يثني ضوياً على أسلوب حياة العرب ووليفتهم في المجتمع الأندلسي . وأهم ما يعتنقنا منه هو أن جماعات العرب انتشرت في البلاد ونزلت النواحي وملكت الأرض ، وكثرت وتولدت . وغالبية هؤلاء من البلديين ، أما الشاميون فقد كانت لهم الصدارة ، كانوا عماد الجيوش وأصحاب الديوان والكتابة فيه ، وكان عليهم أن يقدموا للجيش المركزي لواءين ، لواء يخرج للغزو ولواء يقيم على الأهبة ، واللواء الغازي لا يقيم في الغزو إلا ثلاثة أشهر ثم يعود ويخرج الثاني ، وكان لكل لواء أمير يرزق ٢٠٠ دينار عن كل غزوة ، أما الجند وأقارب صاحب اللواء فكان الواحد منهم يرزق عشرة دنانير في نهاية كل غزوة . وكانوا في مقابل هذه الخدمة الحربية المستمرة يعفون من أداء العشر ، ويستولون على ثلث أموال من نزلوا بأرضهم من أهل البلاد . أي أن الدولة منحهم حق ملكية ثلث هذه الأموال . فإذا ذكرنا أن القوط أيضاً كانوا يستولون على ثلث الأموال في مقابل الخدمة العسكرية ، تبيننا أن أولئك الشاميين حلوا في الواقع محل القوط في وضعهم وحقوقهم . وانقطاع المحاربين الثلث عرف غير إسلامي ، وإنما هو استمرار لتقاليد القوط مع خلاف واضح استتبعه العداقة الإسلامية ، فإن القوطي كان يستولي على الثلثين (sors- sortes) ويترك لأهل البلد الثلث (Torcia) ، أما العرب فلم يسمحوا للمحارب منهم بخير الثلث وتركوا الثلثين لأهل البلاد .

(١) ابن الخطيب - الأمانة ، ص ١٠٩ - ١١١ .

لما العرب البليثيون - وهم القدامى من البعثيين والشاميين ، ومعظمهم من البعثيين - فقد احتفظوا بأهل البلاد وزرعوا وحصدوا وسقط عنهم التكليف العسكري ، غير أنهم كانوا يستطيعون الانخراط في ألوية خاصة بهم ، ولا يقدر عطاء إلا لرؤسائهم أصحاب الكويتهم ، أما الضباطون منهم فلم يكونوا يحطون شيئاً ، وحسبهم ما كانوا يحصلون عليه من غنمة ، وكانوا يدفعون العشر كغيرهم من زراع أهل البلاد ، في حين كان الشاميون معينين من العشور ، كما كان القنوط معينين من الضرائب .

٦٨٢ - لشرك
أهل البلاد
في الجيوش

والإشارة إلى أهل البلاد هنا جديرة بالملاحظة ، والمراد بهم كما قلنا أهل البلاد الأصليون بهؤلاء لم يكونوا ملزمين بالقنوط بل كان يتطوع منهم من يريد ، ويعقد اسمه في سجلات المعسكر ولكنهم كانوا لا يرزقون ، شأنهم في ذلك شأن البربر والعرب البلديين ، وكانت تؤلف منهم قوات احتياطية يستعين بها الحاكم إذا خرجت جيوشه للغزو .

٦٨٣ - التقليد
الشامي

والخلاصة أن الشاميين الذين أتوا مع بلج أصبح لهم مركز محترم ، فهم رجال الأجناد وأهل الديوان ، وهم لا يدفعون العشور ، أي أن الدولة الإسلامية الأندلسية صارت شامية بعد هيء طالعة بلج : أصبح أهل الشام أصحابها وضوي المكاة العليا فيها ، وهذا ما يعرف في تاريخ الأندلس بالتقليد الشامي ، وقد أيد أمره بني أمية هذه الشامية على طول تاريخهم ، حتى أن الأمير عمداً رفع الشاميين فوق غيرهم ، وقرر لهم ذلك الامتياز الذي سيحافظون عليه حتى منتصف إمارة عبد الرحمن الناصر على الأقل .



٦٨٤ - الأندلس
المركزة

لا تكاد المراجع التي بأيدينا تقدم لنا شيئاً يعتنا على تكوين صورة تقريبية عن النظام الذي أدار العرب به شؤون الأندلس خلال الأربعين سنة التي سبقت قيام الدولة الأموية ، وقد كان

من اليسور أن نقول إن الأندلس أثير على النحو الذي أتت به مصر مثلاً خلال القرن الأول الذي تلا الفتح ، لو كانت لدينا بضع معلومات وليسبة تؤيد القول بأن الأمر في الأندلس كان كما كان في غيره من البلاد التي فتحها المسلمون ، ولكن هذه المعلومات الرئيسية ليست بين أيدينا مع الأسف ، حتى الحراج والجزية - وكلنا موضع اهتمام مؤرخي الفتح - لا نجد لها ذكراً والمحصلاً في تواريخ الأندلس التي بين أيدينا ، بل ليس فيها ذكر القدر الحراج أو نظامه ولو مرة واحدة نستطيع القياس عليها ، ولو أننا قلنا إن الأندلس لم يرسل إلى دار الخلافة عراجة مرة واحدة لما بالغنا ، ويبدو من مجموع ما لدينا من المعلومات أن عرب الأندلس الذين فتحوه أداروه على غير نظام ثابت معروف كما سنرى (١) .

وستورد فيما يلي ما لدينا من البيانات عن الإدارة المركزية .



٢٨٥ - نظام
الولاية

ويبدو اضطراب هذا النظام في صورة واضحة جداً في طريقة تولي ولاية الأندلس مناصبهم ، فقد فتح الأندلس على يد عامل القرطبية موسى بن نصير : بعث موسى من مواليه المرير هو أبو زرعة طريف فاستظلمها له ، ثم بعث موسى آخر بربرياً هو طارق بن زياد لفتحها ، ثم عبر هو بنفسه فأنتم هذا الفتح وأصبح أول ولايتها ، واعتبرت

(١) انظر صاحب « فتح الأندلس » في بيان سياسة المسلمين قوله إن موسى بعث عنه أثناء العير لهذا الأندلس و « رأى موسى الذي صلى الله عليه وسلم غيره بالفتح ، وأمر بالرفق بالمسلمين والوفاء بالمهد للمشركون . . . » وهذا هو كل ما تجده في هذا الكتاب عن حكومة المسلمين في الأندلس في عهد الولاة :

انظر : « فتح الأندلس » ، ص ٥ .

وقد اكتفى نفس المؤلف في الكلام عن تصرف طارق في الخاتم قوله : « وضع طارق الخاتم وأخرج عنها ، وقسم ما فيها ، ونون أن يشتر لنا ماذا فعل طارق هذا الختم » (فتح الأندلس : ص ٧) . ثم أكد بعد ذلك أمر تقسيم الخاتم بين القاتلين وقيل تلك الخاتم بأنها كتبت سبياً وثماناً وأرضين ورباعاً (أي بيوتاً) - نفس المصدر - ص ١٢ . ويبلغ من اضطراب أخبار مصر حس الدولة من الخاتم أن ذهب نفس المؤلف إلى أن هشام بن عبد الملك وهما لقبه عبد الرحمن (كما) فأرسل هذا من لفته كتاباً عنه ليجمعها له . وذلك أسطورة من غير ريب ، يطلب أنها ظهرت بعد قيام الدولة الأموية الأندلسية - (فتح ، ص ١٥) .

الأندلس جزءاً من المغرب يولي عليها عامل المغرب من يريد من رجاله ، كما
اعتبرت إفريقية ولاية تابعة لوالي مصر في أول أمرها ، ولهذا ترك موسى عليها
ابنه عبد العزيز بن موسى حينما رحل إلى المشرق في أواخر سنة ٩٥ هـ . ولم
يثبت الخليفة سليمان بن عبد الملك في الولاية ، فظل والياً مستمداً على وصائه
أيه له بالحكم .

فلما قتل عبد العزيز بن موسى انفرد جند الأندلس بإقامة واليهم ، فأقاموا
أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير : لم يولّه والي إفريقية ولا
الخليفة سليمان بن عبد الملك أيضاً ، ويقوم من النصوص أن البربر كانوا
أصحاب اليد الطولى في قيامه بالولاية .

وأراد سليمان بن عبد الملك أن يصحح هذا الوضع الشاذ ، فقرر أن
يعيد هذا الحق إلى والي إفريقية ، فلما ولي على إفريقية محمد بن يزيد عجل هذا
تبعث إليها الحر بن عبد الرحمن ، ويسدوان الحر أحسن أن عروب الأندلس
سيماهمون في ولايته وسيداهمون عن هذا الحق السلي كسبه لأنفسهم ،
فاستصحب معه أربعين من وجوه إفريقية ليؤدوه ، وقد قبله أهل الأندلس
دون مقاومة ، ولم يكفد المقام يضطر به حتى عجل ينقل دار الإمارة من أشبيلية
إلى قرطبة ، وربما كان دافعه إلى هذا رغبته في الابتعاد عن جماعات العرب التي
استقرت في أشبيلية وكثرت فيها ، ورغبته في أن يكون بموضع أقرب إلى الجزيرة
الخشراء والمغرب من أشبيلية ، ولم يكن دافعه مجرد الرغبة في جعل دار الإمارة
بمكان يتوسط شبه الجزيرة كما تقول المراجع ، لأن قرطبة ليست في وسط الجزيرة
على أي حال .

ولم تطل ولاية الحر على الأندلس أكثر من سنتين وثمانية أشهر (شوال الحجة
٩٧ - رمضان ١٠٠ هـ / أغسطس ٧١٦ - مارس - أبريل ٧١٩ م) لم يستطع
خلالها أن يقوم بمرضي بال .

لأنها كانت خلافة عمر بن عبد العزيز وجدنا أنفسنا أمام أمر غريب لم نسمع بمثله في بلد آخر مما فتح المسلمون وهو رغبة الخلافة في إخلاء الأندلس واسترجاع العرب منها ، ولو ورد لنا هذا في مرجع واحد لما علقنا عليه أهمية كبيرة ، ولكن إجماع المراجع على ذكره يجعلنا نفكر في البواضت التي حدثت بعمر بن عبد العزيز إلى التفكير فيه ، وهو الحماس للإسلام الراجب في بسط رواقه وإدخال الناس كلهم في رحابه . ولا شك في أن دافعه إلى ذلك كان إحساسه بأن أحوال المسلمين في الأندلس ليست على ما يرام ، وأن مستقبل الإسلام في هذا البلد القضي لا يتهيأ بخير كثير ، ويبدو أن غرض عمر بن عبد العزيز الأول من إرسال السمح كان استطلاع أمر البلاد ، عما يدلتنا على أن أعباء الأندلس كانت طوال الفترة الماضية منقطعة تماماً عن مركز الخلافة ، وأن عمر بن عبد العزيز لم يكن يعرف عنها شيئاً ، ولم يكن يصل إليه شيء من أمورها ، ولهذا « أمره أن يجعل الناس على طريق الحق ، ولا يعدل بهم عن مباح الرقيق ، وأن يحمس ما غلب عليه من أرضها وعقارها ، ويكتب إليه بصفة الأندلس وأخبارها ، وكان رأيه نقل المسلمين منها ونقلهم عنها ، لانتظامهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار ، فليل له إن الناس قد كثروا بها وانتشروا في أقطارها ، فأضرب عن ذلك»^(١) .

بيد أن ارتباط فكرة إخلاء الأندلس بمجيء السمح وأمره بتخسيس ما غلب عليه من أرضها يلقي على الموضوع شعاعاً من النور ، ويفهمنا أن الأندلس لم يكن قد تم تخميسه إلى ذلك الحين ، ولم يكن قد بعث إلى دمشق شيء من أمورها ، فلا عجب أن وفر في أذهان الخلفاء أنه بلد لا خير للمسلمين فيه وليس لهم بين رحابه بقاء فأرادوا إخلاءه . ثم إن أمر المسلمين لم يستقر فيه خلال الولايات الثلاثة الماضية على نحو يبعث على الأمل في صلاح مستقبله . فقد حاول عبد العزيز بن موسى الموثوب بالخلافة ، ووقع بينه وبين عرب

(١) ابن عسكرو : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

الأندلس خلاف شديد ، فلما قتل قدم البربر على أنفسهم أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير ، فكان في توليته على هذا النحو ما أثار مخاوف الخلافة ، ثم علقه الحمرين عبد الرحمن النخعي ، ولم يولد سلطان وإنما ولاء محمد بن يزيد عامل إفريقية لسليمان ، فلم يظهر كفاءة خاصة ، وكانت البلاد في حاجة إلى من يرتب أسورها وينضج أسس الإدارة العربية فيها ، ووجدت الخلافة نفسها بين أمرين في شأن الأندلس : إما إخلائه أو تنظيمه ، فلما استبانت صعوبة الأمر الأول لم يبق إلا الثاني . واستحدث عن أحمد بن عمر بن عبد العزيز الإدارية في فترة تالية ، وإنما يكفي أن نذكر هنا في حديثنا عن نظام الولاية ، أن السماح كان أول والٍ تقيمه الخلافة على الأندلس ، وإن عمر بن عبد العزيز حين استقر رأيه على الخفي في تعيين الأندلس ، لم يعهد إلى واليه السماح بن مالك في روك البلد وإحصاء أراضيه وتنظيم أموره على أسس الشريعة ، بل نذب لذلك مولى من مواليه تسميه المراجع « جابرا » نستطيع القول إن الخلافة اعتبرته عامل خراج للأندلس ، وفصلت بذلك شؤون الخراج عن الولاية العامة ، ولم يتح لجبابر هذا أن يستمر في مهمته ، فقد رفع يده عن التخصيص بمجرد أن وصله نيا موت عمر بن عبد العزيز ، ولم تلبث ولاية السماح نفسه أن انتهت ، إذ قُتل على ما رويناؤه وعادت الأندلس إلى التبعية لإفريقية ، وقد حاول جند الأندلس النزاع هذا الحق من عمال إفريقية ، فقاموا عبد الرحمن الخافي والياً ، وكانت تلك هي ولايته الأولى ولكنها لم تدم إذ إن بشر بن صفوان عامل المغرب ولي أحمد رجالة - وهو حنيفة بن سحيم - على الأندلس .

ولم يجر الأمر على التبعية المطلقة للمغرب بعد ذلك ، لأن حرب الأندلس لم يدعوا فرصة تمكنهم من استعادة هذا الحق إلا انتهزوها ، فحينما مات حنيفة (شعبان ١٠٧ / فبراير - مارس ٧٢٦ م) عجلوا بإقامة أحمد رجالم وهو حنيفة ابن عبد الله الفهري ، ولم تدم ولايته أكثر من شهرين ، لأن بشر بن صفوان عامل إفريقية عجل بإرساله يحيى بن سلامة عاملاً على الأندلس في شعبان من نفس السنة ، ولم تزد ولاية يحيى بن سلامة على سنتين وستة أشهر على أوسع

الفرع ، إذ عزله والي المغرب الجديد عبيدة بن عبد الرحمن واستبدل به أحد رجاله وهو حليفه بن الأحوص الفسي (ربيع الأول ١١٠ / يونيو- يوليو ٧٢٨ م) (١).

ولم تطل ولاية حليفة إلا شهراً ، إذ خلفه عثمان بن أبي نعدة الختمي (في شعبان ١١٠ / نوفمبر- ديسمبر ٧٢٨ م) وكذلك وقع للوالين اللتين خلفاه وهما المهتم بن عبيد الكلابي وعبد بن عبد الله الأشجعي ، فلم تطل ولاية هؤلاء الأربعة من ستة وخمسة أشهر (شعبان ١١٠ - صفر ١١٢ / نوفمبر- ديسمبر ٧٢٨ - مارس- أبريل ٧٣٠) . وقد ولاهم جميعاً عمال إفريقية ، حتى عبد الرحمن الضافقي الذي أتى بعدهم فقد كان لا يد أن يقر عبيدة بن عبد الرحمن ولايته رغم ما كان بينها من خلاف (٢).

وحيثما استشهد عبد الرحمن الضافقي (رمضان ١١٤ / أكتوبر ٧٣٢ م) ولى جند الأندلس على أنفسهم عبد الملك بن قطن الفهري ، وقد أقر عمال إفريقيا هذا الاختيار ، ولكن عبيد الله بن الحبحاب لم يلبث أن عزله بعيد ولايته على المغرب ، وولى مكانه عقبة بن المحجج السلولي . ولا نزاع في أن حرب الأندلس - واليمن منهم بوجوه خاص - لم يرضوا عن ذلك الإجراء ، فلم يزالوا يربون الفرصة حتى إذا سنحت لهم باشتغال عبيد الله بن الحبحاب بثورة البربر في إفريقية عجلوا قوتها بعقبة (٣) ، ونال إن عقبة أوصى لعبد الملك بن قطن قبل موته ، ومنها يكن من الأمر فقد تولى عبد الملك بن قطن للمرة الثانية بإرادة جند الأندلس .

ولم يتدخل عمال إفريقيا ولا الحلفاء في تولية عمال الأندلس من ذلك الحين بل قدوم أبي الخطار ، فقد وثب بلجج بن بشر بعيد الملك بن قطن ، وزعم إن هشام بن عبد الملك أوصى له بالولاية وهو زعم لا غلظك ما يزيد ، وخلفه

(١) انظر ثبت الولاية التي تولى به الأندلسي في كتابنا درجته الإسيانية للأخبار الميسرة ، ص

(٢) ابن عبد الحكم ، فتح مصر والمغرب والأندلس ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٣) أس القوطية ، الفتح ، ص ١٤ .

تلبية من سلامة بعودة القيسين ، ولم يعد الأمر إلى عهد إفرنجية إلا في رجب سنة ١٢٧ هـ / أبريل ٧٤٥ م حينما أُلجِحَ لحظظة بين صفوان عامل إفرنجية أن يوتي على الأندلس لها الخطار المسلم بن ضرار الكلبي (رجب ١٢٥ هـ / مايو ٧٤٣ م) .

ولا نزاع في أن أبا الخطار كان يتوقع معارضة القيسين في ولايته ولهذا سار إلى الأندلس شبه مستخف ، وكان معه ثلاثون رجلاً من الشاميين ليراد أن يستعمل بهم على بني عمومتهم ، وكان لواءه في بين داخل عيبه ، فلما نزل على وادي شوشى أصليح من شأنه وركب السن باللواء في القنطرة ، ثم تقدم ، فلما أشرف من فج المائدة ، والحرب قائمة بين الشاميين والأمويين وبين البليديين والبربر ، ونظر الفريخان إلى اللواء حلوا الحرب وأسرع كل واحد من الفريخان إليه فقال لهم : « تسمعون وتطيعون ؟ فقالوا : نعم . . »^(١) . وقد سمعوا بالفعل وأطاعوا أبا الخطار الذي أتاهاهم بسجل حظظة بين صفوان بعهد أمير المؤمنين هشام إليه ، ولكن طاعتهم لم تطل إلا وثما استبانتوا في أي الخطار بعض الميل إلى البيئية فاتقلبوا عليه وقتلوه ، وصار الأمر إلى يوسف الفهري والضميل ، ولا زالوا فيه حتى انتزعه منها عبد الرحمن الداخل .

لم تسر الولاية في الأندلس إذأ على قاعدة واحدة ، بل كانت في بدء الخلافة المركزية حيناً ، وبيد عمك المضرب حيناً آخر ، بيد مسلمي الأندلس أنفسهم في معظم الأحيان ، وكان هذا مظهراً من مظاهر الاضطراب الإداري الذي ساد الأندلس خلال هذه الفترة .

ولسا نستطيع أن نتعرف مدى السلطان الذي تمتع به كل واحد من هؤلاء الولاة ، فمن الثابت أن قيادة اللجنة كانت بأيديهم ، وأنهم كانوا يولون القضاة كذلك ، ولكن سلطتهم على مسائل الخراج موضع شك كبير ، وكل ما يمكننا أن نقوله هو أننا لم نسمع عن عامل خاص بالخراج والجهاية إلا في حالتين : حالة

(١) ابن الفوطي : القطيع ، ص ١٩ .

جابر الذي تحدثنا عنه ، وحالة رجل يُسمى أبا عثمان بن عبد الله ، صاحب لزعة الأرض والخراج^(١٤) ، وربما جاز أن نقول إن شؤون الخراج كانت بيد عمال الأندلس فكانوا يولونه من يشاؤون ، وسنرى أن شؤون المال كانت توزع تحت علم شديد .

ولما كنا لم نسمع عن إرسال خراج من الأندلس إلى إفريقية أو إلى المشرق ، فالغالب أن عامل الأندلس كان يتفق بعضه على أجهده ويحفظ باقيه لنفسه ؛ أما ليتفق منه على الحملات والمرافق العامة أو لشؤونه الخاصة .

ولم يرد في النصوص ذكر بيت المال ، أو صاحب بيت المال ، وحتى في الحسابات التي كان الولا يفرج فيها بعض المال لشؤون الجند ، نجد يخرج من عند نفسه لا من بيت المال ، مما يدل على أن عمال الأندلس لم يخلوا بإنشاء إدارة خاصة لشؤون الخراج .

ولم يمتد سلطان الولا على حرب الأندلس أجمعين إلا في النادر ، وكانت هناك دائماً جماعات كبيرة خارجة عن سلطانه بنواحيها ، ولم يزد سلطانه في أيام يوسف الفهري على إقليم قرطبة ، وقد أدى ذلك إلى قلة ما لديه من المال ، فهبط سلطان السواقي على البلاد خلال السنوات العشر التي سبقت قدوم عبد الرحمن الداخل هبوطاً بالغا .

وكان جهد الولا الأول - قبل اندلاع نيران الثورة اليربرية واشتداد منازعات العصية - متصرفاً إلى إتمام الفتح ، ومواصلة الغزوات فيما وراء البرانس ، وكان هذا هو عمل الولا الأول حتى نهاية ولاية عقبه بن الحجاج السلولي^(١٥) ، ثم انصرف حرب الأندلس عن ذلك انصرافاً تاماً تقريباً ، ولم يعد أمراء الأندلس إلى الغزو إلا بعد أن قامت الإمارة الأموية على يدي عبد الرحمن الداخل .

(١٤) فتح الأندلس ، ص ٥٤ .

LEVI - PROVENCAL., *Hist. de l'Espagne Musulmane*, t. p. 28.

(١٥)

أما اهتمام الولاة بشؤون المرافق العامة فلم تسمح عنه إلا في مناسبة واحدة ، وذلك أثناء ولاية السمع بن مالك القصيرة ، فقد ابنتى قنطرة قرطبة على الوادي الكبير بناء حسناً أورد خيره صاحب « فتح الأندلس » بتفصيل لا بأس من إيراد ، فقال : « وقال ابن مفرج في تاريخه : أصاب المسلمون إذ فتحوا الأندلس بمدينة قرطبة آثار قنطرة رفيعة الفخر معشودة فوق نهرها الجاري على عدة حشايا وشاق الأركان من تأسيس الأمم الماضية الدائرة ، لم يبق منها إلا رسوم ، ولا يصل الناس إلى قرطبة إلا في السفن ، فيلقون في ركوبها مشقة عظيمة ، فأمر عمر بن عبد العزيز السمع بن مالك ببنائها ، فصنعت على أتم وأعظم ما عقد عليه جسر في معمور الأرض من حجارة سور المدينة ، وكانت القنطرة القديمة موصولة الرقية بباب المدينة القل المدعو بها^(١) ، وهذا هو المرفق الوحيد الذي حرص ولاة هذه الفترة على الاهتمام به ، إذا استثنينا جباة قرطبة التي أنشئت في زمن السمع بن مالك أيضاً^(٢) .

٢٨٧ - ليت ونختم كلامنا عن عصر الولاة بثبت بولاية الأندلس من لندن
 بولاة
 الأندلس الفتح إلى قيام دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل :

١ - طارق بن زياد .

من رجب ٩٢ / أبريل - مايو ٧١١ إلى رمضان ٩٣ / يونيو ٧١٢ .

٢ - موسى بن نصير .

من رمضان ٩٣ / يونيو ٧١٢ إلى صفر ٩٥ / أكتوبر - نوفمبر ٧١٣ .

٣ - عبد العزيز بن موسى

من صفر ٩٥ / أكتوبر - نوفمبر ٧١٣ إلى رجب ٩٧ / مارس ٧١٦

(١) فتح الأندلس ، ص ٢٥

والأخبار الجديدة ، ص ٢٤ .

(٢) ابن عذاري : ألبان الغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥

- ٤ - أيوب بن حبيب اللخمي
بعد شهر من مقتل عبد العزيز إلى ذي الحجة ٩٧ / أغسطس ٧١٦ .
- ٥ - الحر بن عبد الرحمن الثقفي
من ذي الحجة ٩٧ / أغسطس ٧١٦ إلى رمضان ١٠٠ / مارس - أبريل
. ٧١٩ .
- ٦ - السمح بن مالك الخولاني
من رمضان ١٠٠ / مارس - أبريل ٧١٩ إلى ذي الحجة ١٠٢ / يونيو
. ٧٢١ .
- ٧ - عبد الرحمن بن عبد الله العاقبي : المرة الأولى .
من ذي الحجة ١٠٢ / يونيو ٧٢١ - صفر ١٠٣ / أغسطس ٧٢١ .
- ٨ - عتبة بن محمّد الكلبي
من صفر ١٠٣ / أغسطس ٧٢١ إلى شعبان ١٠٧ / يناير ٧٢٦ .
- ٩ - مخلد بن عبد الله الفهري
من شعبان ١٠٧ / يناير ٧٢٦ إلى شوال ١٠٧ / فبراير - مارس ٧٢٦ .
- ١٠ - يحيى بن سلامة العاملي الكلبي
من شوال ١٠٧ / فبراير - مارس ٧٢٦ إلى ربيع الأول ١١٠ / يونيو -
يوليو ٧٢٨ .
- ١١ - حليفة بن الأحوص القيسي
من ربيع الأول ١١٠ / يونيو - يوليو ٧٢٨ إلى شعبان ١١٠ / نوفمبر -
ديسمبر ٧٢٨ .

- ١٢ - عثمان بن أبي نسة الخثعمي
من شعبان ١١٠ / نوفمبر - ديسمبر ٧٢٨ إلى المحرم ١١١ / أبريل
٧٢٩ .
- ١٣ - الهيثم بن عبيد الكلابي
من المحرم ١١١ / أبريل ٧٢٩ إلى ذي القعدة ١١١ / يناير - فبراير
٧٣٠ .
- ١٤ - محمد بن عبد الله الأشجعي
من ذي القعدة ١١١ / يناير - فبراير ٧٣٠ إلى صفر ١١٢ / مارس -
أبريل ٧٣٠ .
- ١٥ - عبد الرحمن بن عبد الله العائضي : (المرة الثانية) .
صفر ١١٢ / مارس - أبريل ٧٣٠ إلى رمضان ١١٤ / أكتوبر ٧٣٢ .
- ١٦ - عبد الملك بن قطن القهري : (المرة الأولى) .
من رمضان ١١٤ / أكتوبر ٧٣٢ - شوال ١١٦ / نوفمبر ٧٣٤ .
- ١٧ - عقبه بن الحجاج السلولي
من شوال ١١٦ / نوفمبر ٧٣٤ / صفر ١٢٣ إلى يناير ٧٤١ .
- ١٨ - عبد الملك بن قطن القهري : (المرة الثانية) .
من صفر ١٢٣ / يناير ٧٤١ إلى ذي القعدة ١٢٣ / سبتمبر ٧٤١ .
- ١٩ - بلج بن بشر القشيري
من ذي القعدة ١٢٣ / سبتمبر ٧٤١ إلى شوال ١٢٤ / أغسطس ٧٤٢ .
- ٢٠ - ثعلبة بن سلامة العاملي

من شوال ١٢٤ / أغسطس ٧٤٢ إلى رجب ١٢٥ / مايو ٧٤٣ .

٢١ - أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي

من رجب ١٢٥ / مايو ٧٤٣ إلى رجب ١٢٧ / أبريل ٧٤٥ .

٢٢ - ثوابة بن سلامة الجندابي :

من رجب ١٢٧ / أبريل ٧٤٥ إلى المحرم ١٢٩ / سبتمبر - أكتوبر

. ٧٤٦ .

أعقبت موته أربعة أشهر من الاضطراب تولى الأمر خلالها عبد الرحمن بن كثير المخزومي دون ولاية .

٢٣ - يوسف بن عبد الرحمن القهري

(بالاشتراك مع الصميل بن حاتم) .

من ربيع الثاني ١٢٩ / ديسمبر ٧٤٦ ونهاه ٧٤٧ إلى ١٠ ذي الحجة

. ٧٣٨ / ١٤ مايو ٧٥٦ .

وهو تاريخ بدء إمارة عبد الرحمن بن معاوية الداخل .



٦٨٨ - الناحية
الناحية

يبدو أن عقدة العقدة في تاريخ عصر الولاية هي ناحية الخراج وتوزيع الأرض ، وبين المراجع مختلف شديد حول هذا الموضوع ، والواقع الذي نستطيع استخلاصه من بحري الحوادث هو أن هذه الناحية كانت مضطربة في الأندلس اضطراباً شديداً ، وأن ولاء الأندلس لم يستطيعوا أن يخضعوا أرض شبه الجزيرة وعقلوها للقواعد التي تقرها الشريعة للأرضين والعقارات في البلاد المفتوحة ، هذا عل الرغم من أن موسى بن نصير قد حاول ذلك عل أول الفتح لم حاد عن النظم التي وضعها وأساء التصرف في الأموال ، وكان هذا من أسباب نكبه ، وكان كذلك من

أسباب الهلاك في الأندلس فيها بعد . لأنها لم ترزق بعد ذلك بوال أتاحته له مواهبه وظروفه إعادة الأمور إلى نصابها الذي كان ينبغي أن تكون عليه ، حتى قامت الدولة الأموية .

٢٨٩ . إسبانيا - أسس النظام الثاني في الأندلس مروان بن محمد بن مروان

والملك أسس النظام الثاني كما تقررهما موسى بن نصير بين يدي الفتح ، قال محمد [بن مزين] : وحين تم افتتاح المسلمين [الأندلس] قسمها موسى بن نصير الكعبي الشامي بين الجيوش الذين دخلوها كما قسم بينهم سببها وسائر ممتلكاتها ، وأخرج من أراضيها ورباعها الخمس كما أخرج من سببها وممتلكاتها ، واختار من خيار السبي وصغارها مائة ألف وحملهم إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، وترك سائر الخمس من كبل والنسي (وكذا ، ولعل صحتها كيار النسي) ووجع الرقيق في الخمس من الأراضين بعصرونا لثلاث مائة المسلمين ، وهم أهل البساط ، وكانوا يعرفون بالأخلس ، وأرلادهم بنو الأخلس . قال : وأما سائر الناس النصراني الذين كانوا في المعقل المنيرة والخيال الشاهقة ، فآقرهم موسى بن نصير على أموالهم وديتهم بأداء الجزية ، وهم الذين بقوا على ما حيز من أموالهم بأرض الشمال ، لأنهم صالحوا على جزء منها مع أداء الجزية ، في أرض الثمر وأرض الزرع على ما فعله خبير من القدي به صلى الله عليه وسلم يهود خبير في تحيلهم وأرضيهم . . . (١) .

وهي عبارة يفهم منها أن موسى بن نصير اعتبر الأندلس ، ما عدا نواحي الشمال ، قد فتحت عنوة ، فأخذ خمسها ليبت المال ووزع الباقي بين الفاتحين ، وأخذ جزءاً من خمس النسي فبعث به إلى الوليد بن عبد الملك وأطلق الباقي في

(١) راجع نص محمد بن مزين الذي نشره فوزي كحلان لمأته .

DOZY, Recherches, I, Appendix pp III - VI

ويلاحظ أن هذه القطعة مأخوذة من الرسالة الشرعية ، وهي قطعة من « رحلة الوزير لأفانك الأسير » للقسطنطين ، كما سنرى بعد قليل .
وأظهر عن محمد بن مروان :

DOZY, Script. Ar. Louvre Abbad II, 123

أرض الخمس ليزرعوه وليتلك مال المسلمون ، وهي عبارة غامضة لا يفهم المراد منها بالضبط : هل تركهم على أن يزرعوا ثلث المحصول أو ثلثيه للمسلمين ؟ ولم يعين لنا النص أرض الخمس هذه ، وربما استطعنا تحديدها على وجه تقريبي مستعنين بما استورد من التصوص القليلة التي عثرنا عليها .

وأما إشارته إلى الأراضي التي تركت بين يدي أهلها على شرط أداء الجزية عنها وإشارة لا تكاد نخفي ، لأنه يقرر أنها أرض « سائر التصاري الذين كانوا في المعاقل المتبعة ، والجبال الشاغرة .. بأرض الشمال » ، فأي أرض شمال^(١) ؟ وهل لم تكن في غير الشمال بلاد ففتح صلحاً على الإطلاق ؟

ثم يعود محمد بن مزين فيوضح ما قاله بعض الشيء ويقول : « قلم يتق بالأتانلس بلغة دخلها المسلمون بأسماهم وتصورت ملكاً لهم إلا لسم موسى بن نصير يدهم أراضيها إلا ثلاثة بلاد هي شترين وقلنبرية في الغرب وشية (Xea) في الشرق ، وسائر البلاد قسمت ويحضر التابعين الذين كانوا مع موسى

(١) وردت هذه العبارة مقصورة بعض التفسير في الرسالة الشريفة كما يلي - « قال محمد بن مزين : وجدت في خزنة بالقسية سنة إحدى وسبعين وأربعمائة أيام القرامس بن المعتد سقراً صغيراً من تأليف محمد بن موسى الرازي سماه مكتاب الترايات . . . وأما سائر التصاري الذين كانوا في المعاقل المتبعة والجبال الشاغرة فأتروهم موسى بن نصير على المواضع وتبعهم بأداء الجزية ، وهم الذين ظفروا على ما حيز من مواضع الأرض الشمال ، لأهم صلحوا على أجزاء منها مع أداء الجزية في أرض الشيرة وأرض الزوج ، على ما عهدت غير من القدي به صل الله عليه وسلم يعود حيزير في أهلهم وأرضهم . . . - الرسالة الشريفة ص ١٩٩ .

و « الرسالة الشريفة » مخطوط صغير عثر عليه خيطان ريبيرا وبشره فضلاً على « تاريخ اقتراح الأندلس لابن القوطية » (مطبوع ١٩٥٦) ، ص ١٥٩ وما يليها تحت عنوان « نبذة من أخبار فتح الأندلس » ، وهي مأخوذة من الرسالة الشريفة إلى الأقطاب الأندلسية ، « ثم تبين فيما بعد أن هذه الرسالة هي الكتاب المعروف باسم « رحلة الروبر لانكوك الأمير » ل محمد بن عبد الوهاب القسستاني (زهير مولاي إسماخيل وصغيره) له كتاب في كشف الأمير » ل محمد بن عبد الوهاب ١٩٩٠ - ١٩٩١ م . تنوّق في زفة السرحل من دلس القرويين عام ١١٦٩ - ١٢٠٥ . نشرها القويد المستاني في تطوان سنة ١٩٥٦ . وتعرف هذه أيضاً بالرسالة الشريفة ، والجزء الذي ندره ريبيرا منها يبدأ في ص ١٠٧ من طبعة القويد البستاني .

ابن نصير ، أي أن هذا التخصيم لم ينطبق إلا على النواحي التي فتحت بالسيف (عدا النواحي الثلاث المذكورة) . أما ما فتح صلحاً فقد تركه بيد أصحابه على أن يؤدوا الجزية ، ويعود قبائض نفسه ويقول : « فقال بعض علماء السلف بأرض الأندلس إن أكثرها إما فتح صلحاً إلا الأكل من مواضع معروفة ، وإنه لما هزم لادريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلد إلا أخذوا إلى الصلح ، وكذلك بقي الروم فيها على أرضهم وأموالهم يبيعون ويأج منهم » أي أن الذي فتح عنوة وحس وقسم باقيه بين الفاتحين كان قليلاً جداً ، وأما بقية المفتوح من أرض الأندلس فقد ترك لأصحابه من أهل البلاد يفعلون به ما يشاؤون على أن يؤدوا عنه الخراج ، وكذلك كان حال بعض أرض الشمال التي صالح عليها أهلها .

ثم يذكر بعد ذلك أن النواحي التي فتحت صلحاً وتركت بيد أهلها توارثها أصحابها ، وأن المسلمين صالحوهم على أرضهم وشجرهم فقط لا سائر أموالهم ، فهذه لم يمسا المسلمون بشيء .

ويقول محمد بن مزين بعد ذلك : « ولما وصل خبر فتحها إلى أمير المؤمنين الوليد ووفد عليه موسى وجماعة من المستفتحين للأندلس معه يستأذنونه في إخراجها والرحيل عنها إلى أوطانهم ، قريم وأنسهم وأنظمتهم الإقطاعات فيها ، وأكرمهم على [بياض بالأصل ^(١)] ولم يجعل لهم سبيلاً إلى الخروج منها ، ولا أوسعهم حلاً في إخراجها وودعهم إليها وإلى جيرانهم ^(٢) بجوابه » . وطبعي أن هؤلاء الذين عادوا إلى المشرق وأرادوا ترك الأندلس كانوا من العرب ، زهدوا في البلاد لبعدها عن أوطانهم ، فاستألفهم الوليد إلى البقاء بإقطاعاتهم الإقطاعات ، وطبعي كذلك أن هذه الإقطاعات الجديدة كانت من أرض الخمس التي تحبس بيت المال .

فما كانت أيام سليمان بن عبد الملك ، وواليه على الأندلس الحر بن

(١) بياض في النسخ الثلاث ، ولكنها تعني من بقية الصلح إن الكلمة الناقصة هي : أرضهم

(٢) هذه الكلمة تطلق هنا ، وقد وردت على هذه الصورة في النسخ المطبوعة الثلاث . وربما كانت صيغة قرانيا : جيرانهم ، أي ما حلوه من أرض .

عبد الرحمن، أقبلت معه جماعة من العرب من وجه إفريقية ، ولم يكن عددهم عظيماً لأن المراجع تعددهم بأربعمائة فقط ، « فأراد (أي جند السمع) النزول معهم في أموالهم ومشاركتهم فيما بأيديهم ، فوفد لهم وفد على أمير المؤمنين عمر وشكروا إليه ذلك ، ورغبوا إليه في الرجوع إلى بلادهم وبلادهم بمن ورد مع السمع ، فسمعتهم من ذلك وأنسهم وعقد لهم ، وأشهد في عقدهم على إقرارهم في أموالهم ، وأقطع الواردين مع السمع إقطاعات غيرها ، وقال : هذه الثغور الهندية لولا إقطاعات عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجند فيها لم يسدها ، فكيف بتلك الناحية ؟ فلما تستخبر الله في إجلاء المسلمين عنها . ثم إنه لم يتخذ ذلك ليبلغ الكتاب أجله »^(١) .

ونستخرج من هذه العبارة ما يلي :

١ - أن حرب الأندلس التي كانوا قد استقروا بها قبل سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م كانوا أحرمص ما يكونون على ما أصابوا من أرض ، وإن مجرد تفكير السمع في إشراك أربعمائة فقط من العرب الجند معهم في إقطاعاتهم كان كافياً لدفعهم إلى تقرير العروة إلى بلادهم وترك الأندلس جلة ، وهذه ملاحظة هامة تلقي ضوءاً على طبيعة حرب الأندلس في ذلك الحين ، ومقدار حرصهم على هذا البلد الكبير .

٢ - أن تفكير عمر بن عبد العزيز في إخلاء الأندلس كان واجعاً إلى شكوى هؤلاء العرب وعهدتهم بتركها .

٣ - وأن هؤلاء العرب كانوا قد استقروا فيما استقروا فيه من أرض على اعتبار أنها إقطاعات لهم ، ويسترح فيما بعد طبيعة هذه الإقطاعات الأندلسية .

٤ - وأن عمر بن عبد العزيز اضطر إلى إرضاء العرب الجند بمنحهم إقطاعات جديدة من أرض الخمس .

(١) عوزي ، نفس المصدر ، ص ٥ .

ورحلة التوزير لعبد من عبد الوهاف المسلي ، ص ١١٣ - ١١٤ .

٥ - وأن هذا الإجراء كان كفيلاً بإقناع العرب بالقبضه في البلاد . أي أن أرض الخمس أخذت تتناقص شيئاً فشيئاً وتتحول إلى إقطاعات للعرب ، وسنرى أنها ستلاشي تماماً .

وبنهم من بقية حليف محمد بن مزين أن موسى كان قد بدأ بتخمين أرض الأندلس ، « وأهبطه حركته منها وإرسال أمير المؤمنين الوليد إليه عن استيفاء ذلك » . وكان قد قسم الأخص التي استطاع تحديدها بين من أقل معه من العرب ، وكتب لهم سجلات هذه الإقطاعات وأقر الوليد ذلك ، فلما أراد السجح بن مالك أن ينزل من معه من العرب « مع الأولين والمشاركة معهم في رباعهم وأموالهم ، فتلخصت منهم طائفة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وأخبروه بما صنع موسى بن نصير من قسم الأرض بعد إخراج الخمس ، والفرار الوليد لهم على ذلك ، واستظهروا بسجلاته التي سجلها لهم ، فأقرهم أمير المؤمنين رضي الله عنه على ما أقرهم عليه الوليد بن عبد الملك ، وعلى ما قسمه بينهم موسى بن نصير ، وأمضى لهم ذلك من أمره وسجل لهم بئله ، وكتب لهم إلى السجح بن مالك بالوقوف عند عهده وإمضاء ما أمر به ، وانصرفوا إلى ما تملقوه مسرورين ومبشرين بما لقوه من فضله وعده . وكتب إلى السجح أن يدخل الجند الذين دخلوا معه من الأخص » (١) .

وربما كان هذا هو الدافع لعمر بن عبد العزيز وواليه إلى النهوض لإتمام ما كان موسى بن نصير قد بدأ به من تنظيم أرض الأندلس وتخصيصها ، لكي يجد لبيت المال أرضاً غير التي استغذتها إقطاعات العرب ، ولكي يجد أرضاً ينظمها للذين يقبلون منهم .

واستطاع السجح بن مالك أن يقوم بجزء من ذلك العمل ، وبدأ بإقليم قرطبة فأخرج خمسة فجعل جزءاً منه جباية للمسلمين ، ولا تعرف إن كان قد أقطع الباقي للعرب أو تركه ملكاً لبيت المال . ولم يفعل السجح أكثر من ذلك ، لأن

(١) محمد بن مزين ، أبحاث دوري ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، ص ٦ ، ورحلة الوزير للخصاي ص

مدته لم تغل ، وهكذا ظلت أرض الأندلس وأموالها دون تحديد أو تنظيم ، ولم يفعل أحد بعد ذلك شيئاً حتى قيام الدولة الأموية .

٢٩٠- رأي وتخرج من ذلك كله بأن أرض الأندلس لم تخضع في تقسيمها
٢٣٠ لما خضعت له بقية بلاد الدولة الإسلامية من تحديد أرض
الصلح والعنوة وتقرير حكم كل منها من ناحية الوضع القانوني أو الجبايات ،
ويؤيد ذلك نص لابن حزم على أعظم جانب من الأهمية لموضوعنا ، سورده فيها
يلي مقسماً إلى قطرات زيادة في البيان .

١ - « هذا مع ما لم نزل نسمعه سماح استفاضة موجب للعلم الضروري
أن الأندلس لم تخمس وتقسّم كما فعل رسول الله فيها فتح ، ولا استطبت أنفس
المستضعفين وأقرت لجميع المسلمين كما فعل عمر رضي الله عنه فيها فتح ، بل
نقل الحكم بأن لكل يد ما أخذت .

٢ - ووقعت فيها غلبة بعد غلبة : البربر والأفارقة والمصريون ، تغلبوا على
كثير من القرى دون قسمة .

٣ - ثم دخل الشاميون في طاعة بلج بن بشر بن عبيد بن عثمان القشيري ،
فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلطيين عما كان بأيديهم ، كما ترون الآن
من فعل البربر ، ولا فرق ، وقد نشأ في الموائج ما ترون من الغارات وفي نصار
الزبيون ما تشهدون من استيلاء البربر والمتغلبين على ما بأيديهم إلا القليل
الثاقه . . ظلم يظلم ^(١) .

وكلام ابن حزم هذا يقطع كل شك ، ويؤيد ما نراه في لنا في التصوص
التي سبق إيرادها ، فقد غلب الفاطميون الأول على ما وقع لهم من أرض ، سواء

(١) MIGUEL ASIN PALACIOS, *Un codicil andalusí del Cordobés I bn Hazm* (١)
Al - Andalus, vol II, 1934 fasc 1, pp. 1 - 56.

والخطوط المشار إليه هو رقم ٢٧٠٤ مكتبة جامع طنجج - الأستانة ، وقد نشر أمين ملاحوس
تحليلاً ودراسة له مع قطع من ذلك الخطوط ، والنص الذي أورده في ص ٣٦ من الكتاب
المتكبر .

أكتافوا عربياً أو بربراً أو الفارقة (أي من أهل السواحل الإفريقية) ثم جاء حرب المطالعة الثانية وغلبيوا البلديين ، وانزحوا عنهم ما قدروا على انتزاعه من الأرض ، وقامت الفتنة بسبب ذلك حتى جاء أبو الخطاب ونصحهم أن يهربوا من طريق حرب المطالعة الثانية على نواح معينة ، وإنزاحهم على أرض أصحابها من أهل البلاد على أن يكون لهم ثلثها طعمة ، أي ملكاً ، في مقابل الخدمة العسكرية كما بنا أنفاً .

أما ما يقوله محمد بن مزين من التخميس فأمر لم يصح ، ومن الطبيعي أن يكون موسى بن نصير قد شرع بعد الفتح في إخضاع أرض الأندلس لشروط الشرع ، أو بدأ في التخميس ، ولكن الظروف لم تسمح له بالاستمرار ، ومضى إلى المشرق ، وحاول نفي الأمر بعض من أتوا بعده فلم يوقفوا ، وقلت الأرض في أيدي من غلبوا عليها ومضى الأمر على ذلك .

٢٩١- رأي وقد اعتبر العرب الفاتحون ما وقع لهم من الأرض غنيمة ، ابن الخطيب وهذا واضح من قول ابن الخطيب في العبارة التي رواها عن ابن حبان والرازي : « وفي المغرب البلديون والبربر شركائهم ، وسكنوا واخبطوا وكثروا وتولوا ، إلا من كان قد نزل منهم لأول قدمه في الفتح على غنائمهم لم يعرض لهم في شيء منها » (١) .

أما السبب في ترك الفاتحين يستولون على ما استقروا فيه من أرض كأنه غنيمة ، فيفسره قول محمد بن مزين « فلما ولي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) الخلافة زاد احتيازه بها ، وأزاحها (كلاً ، وربما كانت صحتها : وأزاحها) عن عمال إفريقية ، وأقردها عملاً ، فبعث إليها السبع بن مالك عملاً ، فوردتها في جند سوى جندها الأول ، فأرادوا النزول معهم في أموالهم ومشاركتهم فيما بين أيديهم ، فوفد لهم وفد على أمير المؤمنين عمر وشكروا إليه ذلك ، ورجعوا إليه الرجوع إلى بلادهم ، وإدانتهم بين ورد معه (أي مع

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

السمح) ، فمنعهم من ذلك وأسهم وعقد لهم ، وأشهد في عقدهم عمل إقرارهم في أموالهم ، وأقطع الواردين مع [السمع] إقطاعات غيرها ، وقال : هذه الثغور المنتهية لولا إقطاعات عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجند فيها لم يسدها ، فكيف بذلك التاحية ؟ قلنا نستخير الله في إجلاء المسلمين عنها ، ثم إنه لم يتخذ ذلك ليبلغ الكتاب أجله (١) .



٢٩٢ - الخلافة
عمر الأندلس
تقرأ
وإذا فقد اعتبر عمر بن عبد العزيز أرض الأندلس تقرأ مثل
الثغور المنتهية التي أقطع عمر بن الخطاب أرضها بجندها ،
وبناء على ذلك فقد أعطى العرب الأول سجلات بما وقعوا
بأيديهم عليه من أرض على أنها إقطاعات ، بل أقطع جند السمع إقطاعات
أخرى ، وأصبحت هذه قاعدة مقرونة . وهذا يفسر لنا ما يقوله محمد بن مزين
من أنه « حين تم اقتناح المسلمين [الأندلس] قسمها موسى بن نصير البكري
التابعي بين الجيوش الذين دخلوها كما قسم بينهم سببها ومتاعها وسائر مغانها
وأخرج من أرضها ورباعها الخمس ، كما أخرج من سببها ومتاعها ، واعتار من
خير السبي وصغارها مائة ألف وحملهم إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ،
وترك سائر الخمس من كبل (صحنها كبل) السبي ووخش السرقين في الخمس
من الأرضين يعمرونها ليثلك مال المسلمين ، وهم أهل البساط ، وكانوا يعرفون
بالأخماس وأولادهم بنو الأخماس (٢) .

٢٩٣ - اعتبار
أراضي الجنوب
إقطاعات لم
استدروا عليها
وواضح أن موسى لم يخصص إلا جزءاً قليلاً من أرض
الأندلس ، وهو أرض البساط في الجنوب ، وبما جنوبي الوادي
الكبير ، فاستولى المسلمون الفاتحون على أربعة أخماسه
واعتبروها غنمة واعتبرها الدولة إقطاعات ، وفي الخمس

(١) دولة محمد بن عبد الوهاب السدي في « رحلة الوزير » طبعه المصريد السدي ، طابون ١٩٥١ ، ص ١١٣ . وقد نشر نفس النص سليمان ربيرا عما نشر من ذلك الكتاب تحت عنوان « الرسالة الشرعية » بدلاً على تاريخ اقتناح الأندلس لأمير القوطية ، ص ٢٠١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

ملكاً للدولة فأخلفت فيه السبي بزرعونه للدولة ، ويؤدون من أمواله الثلث (لثالث مال المسلمين) وقد اعتبر هؤلاء زراع أرض الدولة وأطلق عليهم اسم الأخماس ، وأولادهم ، بنو الأخماس .

ويطلق هذا الذي قلناه مع واقع الأحداث التاريخية ، فإن الجنوب بالتفعل هو الذي فتحه المسلمون عنوة ، فقد قاتلوا في أقصى الجنوب (واقعة وادي لكة) وفتحوا أمتعة وقرطبة عنوة ، فاعتبروا كل ما يقع جنوب الوادي الكبير أرض عنوة وقسموه على النحو الذي قلناه . ولما كان المسلمون قد فتحوا ناحية ماردة عنوة فقد انسحب هذا الحكم على ما يقع بين الوادي الكبير ووادي أنة ، وما بين هذا النهر والمحيط ، فيما عدا -شترين وقلنبيرة فقد استسلم أهلها وهدد المسلمون معهم عهداً فاستثنوا من ذلك الحكم . وكذلك مدينة صغيرة في الجنوب الشرقي تسمى شبة (Xeta) فقد صالح أهلها . ولم يجر على إقليمها حكم العتوة .

وقد اعتبرت أراضي الجنوب والغرب التي تقاسمها العرب انتطاعات ملكاً لأصحابها يتوارثها الأبناء عن الآباء :

٢٩٤ - مليا وأما بقية أرض الأندلس فقد اعتبرت أرض صالح عليها أرض الأندلس أهلها ، قال محمد بن مزين : « وأما سائر النصارى الذين كانوا في العاقل المنبهة والجبال الشائقة فأقرهم موسى بن نصير على أموالهم ودينهم بأداء الجزية ، وهم الذين بقوا على ما حيز من أموالهم بأرض الشمال ، لأنهم صالحوا على جزء منها (أي على أداء جزء من غلتها) مع أداء الجزية في أرض الثمرة وأرض الزرع ، على ما فعله خير من القندي به صلى الله عليه وسلم يهود خير في نجيلهم وأرضهم » (١٦) .

وقد رجحنا أن المراد بأرض الشمال هنا ، ما يقع شمالي الوادي الكبير من شبه الجزيرة ، وهذا معقول ، فقد فتحت تلك التواصي كلها صلحاً ، وأخذ

(١٦) نفس المصدر والصفحة

أهل كل ناحية لأنفسهم عهداً ، وهذا العهد يقرر ما عليهم من مال للدولة ، ووضح أن نصوص هذه المعاهدات لم تكن عليها واحدة فقد اختلفت بحسب الظروف ، قال محمد بن مزين : « فلما أكمل السمرقند ما أراد (أي إكمال تخميس لرض الجنوب) خاطب أمير المؤمنين بما عمله في لرض العنوة وأرض الشمال وهي التي فتحت صلحاً ، فإن أهلها صرخوا على الجزية مع أجزاء من الأرض (أي من غلة الأرض) مثالثة ومربعة كيفما كان طيب الأرض وغلتها ، حسبما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر »^(١) .

وظاهر إن ما يقوله محمد بن مزين من أن أهل بلاد الشمال « صرخوا على الجزية مع أجزاء من الأرض مثالثة ومربعة . . . حسبما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر » إنما هو اجتهاد منه ، فإن الرسول لم يترك أرض خيبر لليهود على أن يؤدوا الثلث أو الربع بل النصف^(٢) ، وقد وجد الفقهاء أنفسهم أمام اتفاقات أقرها حكام المسلمين وخطافوهم نصح لأهل بعض نواحي الأندلس التي فتحت صلحاً أن يؤدوا الثلث أو الربع ، فحاولوا إعطاء ذلك صبغة شرعية ، فقال بعضهم إن الذي جرى فيها كان قهراً على ما صنع بخيبر وفدك بعد ذلك وأنكره آخرون إنكاراً تاماً ، فقالوا إن أرض الأندلس لم يصر عليها

(١) نفس المصدر ، ص ١١٩ .

(٢) قال الطبري في كلامه عن غزوة خيبر : « فلما نزل أهل خيبر على ذلك سلكوا رسول الله أما بمأثمهم بالأموال على النصف ، وقالوا : نحن أحلم بما منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، حل لنا إذا نشأنا يخرجكم أخرجناكم ، وصالحه أهل نكك على مثل ذلك . . . تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ١١٣٩ ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

ولان أبو يوسف (كتاب الخراج ، القاهرة ١٣٥٢ ، ص ٥٠) : « حدثنا مسلم الخزازي (أبو الخزاز أو الخزازي) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع خيبر إلى اليهود مساكاً بالنصف ، وهو المحتاج من أوطاة عن سابق عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع خيبر إلى أهل خيبر بالنصف ، ويقول في ص ٨٥ : « لولا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتزع خيبر عمية ، ولم يجعل عليها خراجاً ودفعها إلى اليهود مساكاً بالنصف ؟ » بل إنه ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كره للزواجة على الثلث والربع ، قال أبو يوسف ، وكانوا يتبعون أيضاً في الزواجة بالثلث والربع يحدث جابر عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للزواجة بالثلث والربع - كتاب الخراج ص ٨٩ .

حكّم المشرع كما رأينا في كلام ابن حزم الذي أثبتنا به ، وكما قال عليه آخره هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي فقد قال : « وأما أرض الأندلس فقد طعن فيها بعض الناس ، وزعم أنها أو أكثرها فتحت عنوة ، وإنما لم الخمس ولم تقسم ، غير أن كل قوم وثب على طائفة منها من غير انقطاع من الإمام »^(١) .

وإذاً فقد اعتبرت أراضي الجنوب أرض عنوة ، واعتبرها من فتحوها غنيمة وتقسّموها بعد إخراج الخمس منها ، وأبطلت الدولة ذلك ، فسجل الوليد ابن عبد الملك لمن استولى عليها من المسلمين وأعطاهم سجلات بذلك ، ثم جاء عمر بن عبد العزيز فأبطل ذلك الحكم واعتبر ما استولى عليه المسلمون من الأراضين إقطاعات ، وسأوى بينها وبين ما فتح المسلمون من أرض الخند ، فاعتبرها لغراً يجوز للإمام أن يقطع أرضها لمن فتحوها ومن يقومون على حمايتها ، فإذا كانت في الشرق تغور هندية ، وفي الغرب تغور أندلسية . أما أرض الشمال مما فتح صلحاً فقد اعتبرت أرض صلح ، تجري عليها أحكام الصلح التي عقدها المسلمون مع أهلها . وهذا الذي حدث في الأندلس يشبه تماماً ما حدث في المشرق ، فقد اعتبر المسلمون أرض السواد أرض عنوة ، ولما تقاسمها ، فحال عمر بينهم وبين ذلك ، ولم يسمح لهم باعتبار الأرض غنيمة لهم ، بل غنيمة لجماعة المسلمين ، وتركها لأهلها على أن يؤدوا للمسلمين جزءاً من غلتها ، أي صارت أرض فيء . أما ما يلي ذلك شرقاً ، فقد اعتبر أرض صلح ، إذ لم يفتحها المسلمون بحد السيف . وقد روى يحيى بن آدم خيراً بصور ذلك أحسن تصوير فقال : « أخبرنا اسماعيل ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا يحيى ، قال : سمعت حسن بن صالح يقول : كنا نسمع أن ماعون الجبل من سوادنا فهو فيء ، وما وراء الجبل فهو صلح ، قال حسن : فمن كان منهم صلحاً فعلهم الذي صلحوا عليه ، فيخزل بينهم وبين أرضهم ، ولا يوضع عليها شيء ما أقاموا بصلحهم يؤدونه للمسلمين »^(٢) .

(١) دواء سميوت في تاريخ الشعريين ، ص ٦٨ نقلاً عن مخطوطة الإسكندرية رقم ١١٦٠ .

(٢) يحيى بن آدم القسري : كتاب الفرائج (بنظر أحمد عبد شامر) المطبوعة ١٣١٧ ، ص ٢١ .

٢٩٥ - نزول
العرب
في بعض
نواحي الشمال
لما من استنصر من العرب في ريف بعض نواحي الشمال ،
فالأغلب أنهم نزلوا مواضع لم تكن مأهولة أو في أرض الصواقي
التي حدها أبو يوسف فيها يحصل بسواد العراق بقوله :

« أصفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أهل السواد عشرة أصناف : أرض
من قتل في الحرب ، وأرض من هرب ، وكل أرض كانت لكسرى ، وكل
أرض كانت لأحد من أهله ، وكل مبيض ماء ، وكل دير يريد »^(١) أي أنه ذكر
سنة وترك أربعة ، وأضاف إليها في رواية أخرى أرض الأجم ، ونضيف نحن
فيها يتصل بالاندلس أملاك الملوك وأهل بيهم وأملاك الكنائس ، وكان الوجود
في الأندلس من كل صنف من أصناف هذه الأرض كثيراً فتصح فيها من شاء
الاستقرار في الأرض من العرب ، ووجدت لهذا جماعات منهم في كل ناحية
تقريباً . وكانت هذه الأرضون كلها بمنزلة القطائع ، يؤخذ عليها العشر في
الغالب ، ومنها في المشرق ما كان يؤدي عشرين ، وللإمام أن يصيرها أرض
خراج إذا كانت تسقى من أنهار الخراج^(٢) . ولما كنا لا نعرف ما كانت تؤديه في
الاندلس ، فأسلم الأراء أن يقال إنها كانت تؤدي الحد الأدنى وهو العشر ،
خاصة وأن العشر كان هو القاعدة السارية على من تملك الأرض من البلديين
والبربر^(٣) ، وأما عرب الشام فقد ذكرنا حكم ما كان في أهديم ، ومن البديهي
أن يكون زواج أهل البلد قد خضعت أراضيهم لأحكام الخراج عامة .

بهذا تقرر الأسس العامة التي جرت عليها شؤون الأموال في الأندلس على

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) جاء في كتاب الخراج ليعين بن آدم (ص ٨٠ - ٨١) : « أخبرنا إسماعيل ، قال : حدثنا
الحسن ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا قيس بن برد أبي الغلاء عن مكحول ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجعل رزق هذه الأمة في سبيلك خيلها وأرضها (تصل)
رأسها ما لم يزرعوا ، فمما يزرعوا كتوا من الناس » .

وكانت القاعدة العامة ألا تترك أرض من أن يصيرها أحد ، قال أبو يوسف : « ولا يرى أن يترك
[الإمام] أرضاً لا ملك لأحد فيها ولا عبارة حتى يتسلمها الإمام . فإن ذلك أصعب للأرض وأكثر
للخراج » ، ص ٦١ .

لحو مفهوم . ولا تعيننا المراجع التي بين أيدينا على التدقيق أكثر من ذلك ، ولهذا فإننا نحجم عن محاولة تقدير أموال الأندلس في هذه الفترة ، خاصة وأن الاضطرابات الكثيرة التي وقعت بين العرب والبربر من ناحية ، وبين البيعة والشامية من ناحية أخرى ، جعلت الوصول إلى بيت المال دائماً قليلاً . وقد أشرنا من قبل إلى ما ذكره صاحب « الأخبار المجموعة » من نقصان الخراج أثناء الفترة الكبيرة التي وقعت بين العرب والبربر^(١) ، ولم يتحسن الحال عندما انتصر العرب بفضل جند طالعة بلج فقد قطع البلديون الخراج ، وكان معظمهم من البيعون ، إذ عز عليهم أن يؤدوا الضريبة للشاميين الغائبين ، وزاد الأمر سوءاً طوال سنوات التخط ، ودام ذلك حتى دخول عبد الرحمن بن معاوية ، فلم تنجح في أيام الصميل بن حاتم ويوسف الفهري سنة رخاء إلا في الشام ، فلا عجب أن كان بيت المال خاوياً أو يكاد خلال هذه السنوات .



٢٩٦ - تصرف ومهما كان المال الذي يصل إلى العمال في قرطبة ، فلا بد أن نسأل : ماذا كانوا يفعلون به ؟ هل كانوا ينفقونه في الرجوع لمران الجبلة التي تقررت له من عمارة البلاد والقيام بشؤونها وأداء الرواتب لأصحابها ثم إرسال الباقي إلى دمشق ؟ هنا نجد أنفسنا أمام حالة فريدة في بابها في أخبار تلك الأيام : ليس لدينا نص واحد صريح يدل على أن شيئاً من مال الأندلس كان يرسل إلى المغرب أو المشرق ، وليس لدينا من أخبار التعمير إلا ما ذكرناه من إعادة بناء قطرة قرطبة وإنشاء جبانة للمسلمين . بل ليس لدينا نص يشير إلى مطالبة عمال المغرب أو الخلفاء بأموال الأندلس كما كان الحال مع مصر مثلاً ، إذ كان خراج مصر موضوعاً عاماً تسهب المراجع في تفاصيله وذكروا مقاديره ، بل تذكر المكاتبات التي دارت بين عمر بن الخطاب وعمر بن العاص بشأنه ، وكيف أن الخراج كان السبب في عزل ابن العاص واستبدال عبد الله ابن سعد بن أبي السرح به . وصحت المراجع عن هذه الناحية صحتاً تاماً يبدو

(١) الطر . و الأخبار المجموعة ، ص ٦٢ .

في نظرها أمراً غريباً ، خاصة وأن الذين أرغوا هذه القسرة - كصاحب و الأعبار
المجموعة ، وابن القوطية وأحمد بن محمد البرازي وابن حبان - ومن نقل عن
هؤلاء جميعاً من متأخري المؤرخين ، كانوا جميعاً ذوي عناية بشؤون المال
والخراج ، ومنهم من كان من كتاب الدولة . ولا يغل هذا العصب إلا بأن ولاية
الأندلس لم يكونوا يرسلون إلى إفريقية أو إلى المشرق شيئاً من المال ، وأن الخلافة
كانت يانسة من أمر الأندلس لا تنتظر منه مالاً ، حتى فكر عمر بن عبد العزيز
في استرجاع العرب منه وتركه جملة . والراجح أن معظم ما كان يصل إلى عمال
الأندلس كان يضيع بين أرزاق الجند وأعطياتهم ونفقات الجهاد فيها وراء جبال
أبيرت واستكمال فتح شبه الجزيرة نفسها . ثم إن الأندلس لم يبل أموره خلال
هذه الفترة كلها إلا لحسة ولاية من الطراز الذي يرجي منه أن يقرر شؤون
الأندلس الخارجية على وجه الأحكام والضيظ ، وهم : موسى بن نصير وابنه
عبد العزيز بن موسى ، والسمح بن مالك الخولاني ، وعبد الرحمن الضافقي ،
وعقبه بن الحجاج السلوي^(١) . أما الباقيون فكانت أشخاصهم من الضعف أو
البعد عن التنظيم والميل إلى الفوضى بحيث نستبعد أن يكونوا قد استطاعوا أو
اهتموا بأن يضمروا البلاد دهباً مالياً منتظماً . ومن الغريب أن هؤلاء الخمسة قد
عالتهم ظروفهم عن أن يقوموا بشيء إيجابي في هذه الناحية ، لأن موسى أهمله
الوليد عن أن يفعل شيئاً ثم حاسبه بعد ذلك حساباً صعباً جداً ، وعبد العزيز
كان في شبه خروج على الدولة طوال مدة ولايته ، وقد رأينا ما فعل السجح في
هذه الناحية ، وأما عبد الرحمن الضافقي وعقبه بن الحجاج فكانت لهما حروب
طويلة تستنفد كل ما عسى أن يكونا جمعا . ثم إن أمر الأندلس كان خلال
معظم هذه الفترة إلى عمال إفريقية ، ولم يكونوا هم الآخرون منتظمين ممتازين ،
ولم تكن نعم الكثير منهم بعيدة عن التهم ، وشغلتهم إلى جانب هذا كله حروب
مع البربر استنفدت مالاً كثيراً جداً ، ففعل ولاية الأندلس كانوا يهتمون بأسرارهم
إلى عمال إفريقية ، ولم يمن هؤلاء بفصلها عن أموال ولايتهم ، فلم يستطع

(١) ومن هؤلاء الخمسة لم يخل تصرفاتهم من إعطاء وغشاشات كثرت غضب الخلفاء الطرا حجاج

الرواة العتور على شيء يجمعها لهم ، ومن هنا كان إغفالهم الإشارة إليها^(١) .

وبين أيدينا نصوص كثيرة تؤيد القول بأن شؤون الأندلس المالية خلال هذه الفترة لم تظبط على الأسس الشرعية التي جرى العمل بها في الولايات الإسلامية، إذ ذلك ، فقد اتهم موسى بن نصير صراحة بأنه لم يكن يفرج الحسن مما وقع في يده من الغنائم ، وكان هذا سبباً من أسباب نكته^(٢) ، بل إن سليمان بن عبد الملك « أخذ موسى ومن كان معه من عمال المغرب لما بلغه من إقطاعهم الأخطاس ففرموا ، وفرم موسى مائة ألف »^(٣) ، وهي رواية تشد على أن موسى بن نصير نفسه مد يده إلى أخطاس الغنائم ، وقد رأينا كيف تفرقت أرض الأندلس في قبائل العرب إقطاعات ، أما ما كان يرد من أموال الخراج فقد كان جانب منه يؤدي إلى جند العرب كما رأينا ، والباقى - وكان قليلاً - كان يتصرف فيه العمال .



٢٩٧ - ثروت
العرب الأول
في الأندلس
والدلائل كثيرة على أن العمال وكبار العرب كانوا على غنى
عريض ، فقد كان الصميل بن حاتم يمتلك داراً كبيرة ، يعلوه
النهر بشلي قرطبة ، ، وحلف داره كانت عسدة السزبون
المشهوره ، وكانت كلها له ، وكانت مائة صنف في كل صنف ألف وسقي
عظيم من عين هناك^(٤) ، أي أن هذا الشيخ البدي كان يملك غابة واسعة

(١) ولم تكن أحوال القرظية من هذه الناحية بأحسن من أحوال الأندلس ، قال ابن القزويني مشيراً إلى
هجرة كثيرون من عيالى القشيري لعام اليرير في موقعة الأشراف : « علما بلغ هشام بن عبد الملك
الحكمة القائلة على كثرتهم وما اتصل بذلك من غلبه القرظية والأندلس شاور العباس بن الوليد
أباه ، وكان أمته في القشيري على أقمه سلسلة بعد في هذا الأمر ، فقال له : يا أمير المؤمنين ،
ليس يصلح هذا الأمر إلا ما يصلح به أوله . فأصروا تطرق وحسن رأيتك إلى هذه
الخطأية . . . »

ابن القزويني : الفتح ، ص ١٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب والأندلس ، ص ٢١١ .

(٣) فتح الأندلس ، ص ٢٠ .

(٤) فتح الأندلس ، ص ٣٨ .

من أشجار الزيتون فيها مائة ألف شجرة ، وكانت خزائنه عامرة بالمال ، حتى لقد وجد في بيته ثاويث وقبه عشرة آلاف دينار دراهم^(١) . وكان عامر بن عدي من أشرف بني عبد الغار بالأندلس يملك مئة واسعة بغربي مدينة قرطبة ، وكانت تسمى «قناة عامر» وقد بلغ من سعته أنه حينما استشعر الحيف من يوسف الفهري وأراد التحرزمته وأطلق خلقة عظيمة هم أن يجعلها مدينة ، وأراد أن يبتني بها بيتاً ينضم إليه ويغاور يوسف حتى يأتيه أمداد اليمن^(٢) .

وأطلقت جماعة من بني حنظل قرية كاملة بشرف أشبيلية نسبت إليهم بعد ذلك ، وهي مرناة الغافقين ، ومنهم كان عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي استشهد في بلاط الشهداء .

وكان الكثيرون من رؤساء حرب الأندلس في هذه الفترة يملكون ضياعاً واسعة فيها قصور كبيرة ، وكانوا يسمون القصر والضيعة المحيطة به «البلاط» من (Palatum) اللاتينية حتى إنهم سموا قرطبة كلها «بلاط للربيع»^(٣) لأنها كانت ملكاً له ، ومن أمثلة هذه البلاطات «بلاط الحر» بن عبد الرحمن^(٤) و «بلاط مغيث» الرومي ، وكانت داراً شريفة ذات سفي وزيتون وثمار يقال لها «البيانة» كانت للملك الذي أسره (مغيث) وكان له فيها بلاط منيف شريف ، فهي تسمى بالأندلس (بلاط مغيث)^(٥) ، وكان عبد الله بن خالد من كبار موالى بني أمية يملك معظم قرية القنين ، حتى يقول ابن القوطية إنها كانت «منزل عبد الله بن خالد»^(٦) ، وكذلك كان أبو عثمان شيخ موالى بني أمية يملك قطعاً كبيراً بقرية طرش من كنورة قرطبة^(٧) ، بل كان يحدث أن ترك

(١) ابن القوطية : الفتح ، ص ٢٩ .

(٢) أخبار الحميرية ، ص ٦٤ .

(٣) الفري ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٤) الفري ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٥) أخبار الحميرية ، ص ٦١ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٧) نفس المرجع والصفحة .

كورة كاملة لرجل واحد ، كما ترك يوسف النهري كورة ربة لثلاثة يجرى بن
 حريث ليسكت عنه^(١) ، بل كانت قبائل عربية تملك كوراً كاملة ، فقد ذكر
 صاحب الأخبار المجموعة أن « الشتر كان لليمن^(٢) » والمراد هنا شتر سرقسطة ،
 وكان رجال مثل الصميل ينفقون عن سعة تدل على مال عريض ، قال صاحب
 الأخبار المجموعة يتحدث عن الصميل عندما سار إلى سرقسطة : « فأتى في
 مائتي رجل من قرينش ومن كان معه من غلمانه وحشمه ومواليه ، قال ياملكناً
 وعنى ، وولد عليه نحو سبع الناس ، فأعطاهم الأموال والرفيق ، ولم يأنه صديق
 ولا عدو فحرمه ، فأزادوا مؤثراً^(٣) . وقد روينا بحر دخول نفر من كبار العرب
 والموالي على لوطياس وأعطاه إياهم الصياح ، قال ابن القوطية : « فوهبهم مائة
 ضبعة صار لكل واحد منهم عشر ضباع ، منها طرش لأبي عثمان ، والفتين لعبدالله
 ابن محالد وعلقة الزبيون بالدور للصميل بن حاتم^(٤) . وقد روينا في نفس
 الخبر كيف إن لوطياس وهب مبعوثا العابد « المجسر الذي على وادي شوش وما
 فيه من القير والغنم والعيذ والقلعة (أي ضبعة الفلعة) بجبان وهي المعروفة
 بقلعة حزم فملكها . .^(٥) . أما الرجال الذين غفل أبي الصياح الحيصبي
 وحيوة بن ملامس - وكانا يوصفان بأنها « سيدا الغرب » - فقد كانوا على ثراء
 واسع^(٦) .

وهذه أمثلة قليلة تعيننا على تصور عروب الأندلس في ذلك الحين ، فقد
 كانوا جميعاً بين مقطعين يملكون أرضاً كثيرة أو قليلة ، أو غزلين في نواح ياحلزون
 نسبة عالية من غلتها ، وكانت غنم إلى ذلك الأعطيات والأرزاق ، وقد أوجد
 فيهم ذلك الرخاء الذي كانوا فيه نوعاً من الأناية جعلهم يتصورون أن الأندلس

(١) نفس المصدر ، ص ٢٧ .
 (٢) نفس المصدر ، ص ٦٢ .
 (٣) نفس المصدر ، ص ٦٣ .
 (٤) ابن القوطية : افتتاح ، ص ٤٠ .
 (٥) نفس المصدر ، ص ٢٩ .
 (٦) ابن القوطية : افتتاح ، ص ٦٥ .

كلها طعمة لهم أو غنيمة وقعت في أيديهم لا يملك أحد أن يشاركهم فيها ، فقد أبوا على عرب الطائفة الثانية نزول بلادهم وتركوهم محصورين في ناحية ستة حتى كساد يهلكهم الجوع ، وكثاتوا يقولون : « إن بلدنا لا يحملنا وإياهم » . نعم ، شبه الخزيرة الإيبيرية كله لا يتسع لبطنة آلاف من العرب ! وعندما وفد نحو ٤٠٠ عربي مع السمح بن مالك وطلبوا إلى عرب الأندلس أن يوسعوا لهم في جانبهم ضاعفوا بهم وبلغ بهم الأمر أن ذهبوا يشكون إلى الخليفة في دمشق .



٢٩٨ - الفيل
 فنكذ إقطاعها
 منقأ جاماً

وإذا استئذنا بعض كبار الرؤساء الذين كانوا يملكون ضياعاً أو بلاطات لهم خاصة ، فلظاهر من التصور أن حقوق العرب على التواحي التي نزلوا فيها كانت حقوقاً جماعية ، أي أن « الإقطاعات » كانت بيد رؤساء القبائل ، وهم الذين يتولون توزيع الحصص على أفرادها . وبغير هذا لا نستطيع تفسير قول المؤرخين إن « الثغر كان لليمن » ، أو أن أبا الصباح وحيوة بن ملامس كانا « سيدي الغرب »^(١) ، بل لا يمكننا تفسير نزول الأجناس الشامية بالكور : كل جند بكورة يكون ثم ثلث أموالها إلا أهل هذا الأساس ، أي أن « الجند » بأسره كان ينزل الكورة ويعتبر رئيسه صاحب الأمر فيها ، وقد كان الأساس أول الأمر أن ينزل الجند في الكورة دون أن يدعي أفرادهم من الحق أكثر من ثلث المحصول ، ولكن اضطراب الأحوال في أواخر أيام الولاة جعل الأجناس ملاكاً للتواحي وأصحاب الأمر فيها . وحيث أننا لا نسمع ولو مرة واحدة عن عمال لكور الأندلس في هذه الفترة ، فنأقرب الأمور إلى الصحة هو القول بأن العرب التازلين فيها - مقطعين أو مقيمين فقط - كانوا بالفعل أصحاب الأمر فيها . وقد أصبح الأمران سواء مع الزمن كما رأينا ، فيقوم بالأمر رئيس القبيلة أو شيخ مجموع القبائل أو صاحب لواء الجند ، فيجمع الأموال بمعاونة رؤسائها من أهل القدمة ، ويقطع ثلثها ويؤذي الثلثين لبيت المال إن كان رئيس جند نازل أو يؤذي عشرينها فقط إن كان مقطعاً ، وعليه

(١) ابن القوطي : اقتطاع ، ص ٢٥ .

لقداء ذلك أن يكون مستعداً برجال قبيلته للخروج إلى الحرب عندما يدعوه العامل حسب النظام الذي أوردناه . أي أن أرض الجنوب قسمت بين قائمها والمقبلين إليها من العرب والبربر ، لكل قبيلة ناحية هي صاحبة الأمر فيها ، لا يربطها بالحكومة المركزية إلا لئلاء ما ينفي عليها من المال والاشترراك في الحرب لئلاء الرزق والمطاء . وكان لكل قبيلة أو جماعة من القبائل « سجل » من حامل الأندلس أو من الخليفة نفسه ، تؤيد به حلها في ناحيتها . أي أن نواحي الأندلس الجنوبية كانت معتبرة لغوراً أو ولايات حليفة تقيم فيها « أجناد » تتصرف بجزء كبير من محصولها نظير ما تقوم به من خدمة عسكرية دائمة .

على هذا الأساس نستطيع أن نفر قدرة حرب الأندلس وسريرها الأولين على القتال واستمرارهم فيه : مع النصاري الإسيان في الشمال ، ومع نصاري طالة في أول الأمر ، ثم فيما بينهم وبين أنفسهم بعد ذلك ، لأنهم كانوا جميعاً جنوداً لا عمل لهم إلا القتال ، ولو كانوا توزعوا الأرض قطعاً صغيرة فيما بينهم واشتغلوا بالزراعة لأصبح من الصعب اقتلاعهم منها وإرسالهم للحرب كما حدث للكثير من حرب مصر ، مثلاً ، ممن زرعوا والتدرجوا في حصار الناس ، أما عرب الأندلس فلم يكن أحد منهم ليملك لوغساً نفسه ، وإنما الأرض ملك القبيلة كلها ورئيسها يوزعها على أفرادها كما يرى ، فإذا ناداهم إلى الحرب لم يسمهم إلا التلية ، وإلا ضاع حلهم في المطاء في آخر الغزاة . وبهذا نستطيع أن نفر سهولة تداعبهم للحرب وخروج قبائلهم لها ، فإذا أمين شيخ قبيلة خرجت القبيلة للحرب ، وإذا استنجد رئيس عدد من القبائل بلى عسومته عفت قبائل بأسرها لعونه ، لأن رؤساء القبائل وأصحاب الألوية المفقود لهم كانوا يوجهون الأفراد كما شاموا ، وكان ذلك من أشد ما أتى حرب الأندلس وعجل بزوال السلطة من أيديهم وانتقالها إلى عبد الرحمن الأموي .

والنتيجة الطبيعية لهذا النظام هو فقر الإدارة المركزية وعجزها عن إدارة البلاد كلها إنارة موحدة ، وهبوط أمر ولاء الأندلس واجتراء أجناد العرب في النواحي عليهم . فلم تكن الأندلس في واقع الأمر ولاية واحدة بل عدة ولايات

تفرد بالأمر في كل منها قبيلة أو عدة قبائل يجمعها لواء واحد ، ولم يرزق الله الأندلس خلال هذه الفترة بوال واحد تيمرد من نزعات العصبية وطالت مدت حتى يقرر الأمور فيها على قاعدة تؤكد وحدة الولاية وتنتزع من قلوب العرب ميول العصبية ونزعات الأنانية التي غلبت عليهم ، ثم إن الخلافة كانت أبعد من أن تستطيع القبض على شؤون الأندلس وإخضاعها للنظام الإدارية الإسلامية المقررة ، فتركوها لعمال إفريقية ، ولم يكن هؤلاء من طراز التنظيم ذوي الشخصيات القوية المتنازة ، وشغلهم إلى جانب ذلك شؤون المغرب ، وما كان أكثرها ، فسارت الأمور في الأندلس خلال هذه الفترة سيراً ارتجالياً لا يكاد يخضع لنظام مقرر أو قاعدة ثابتة ، فاستبد بكل ناحية أصحابها ، وثارَت بينهم المنازعات .

ولعل أغرب ظواهر هذا الاضطراب هو أننا لا نجد ذكراً في مراجعنا لخراج هذا القطر الفسح ، كأنه كان لا يغل شيئاً : لا نملك نصاً واحداً يلمحمر أن خراج الأندلس أرسل إلى إفريقية أو إلى المشرق ، بل لا نجد شيئاً يدل على أن الولاة كانوا يجمعون خراجاً منتظماً مقررأ ، اللهم إلا إشارات متناثرة كقولهم إن عقبه بن الحجاج « عدل في الخراج » أو إن الخراج « ضحف » في أوائل ولاية يوسف المهدي ، وهي إشارات لا نستطيع الاعتماد عليها في تكوين فكرة صحيحة عن هذه الناحية الهامة .



٢٩٩ - بعض
الوظائف
العلمية

وإذا كان الأمر كذلك فإننا لا نستطيع تصوير الإدارة الإسلامية في الأندلس خلال هذه الفترة : لا نعرف أي الإدارات وجد وأين لم يوجد ، وكل ما لدينا أسماء بعض أشخاص يتولون وظائف إدارية وردت من غير تحديد اختصاص ، كأي عثمان بن عبد الله صاحب أزمة الأرض والخراج^(١) ، وعامر بن أبي عدي قائد الصوائف^(٢) ،

(١) فتح الأندلس ، ص ٤٤

(٢) الأهل المعروفة ، ص ٦٣ .

ويحيى بن يحيى النخعي قاضي هشام بن عبد الملك حل الشاميين^(١) ، وجد يحيى سليمان القرطبي وكان صاحب الصلاة^(٢) ، ويحيى بن أبي زيد النخعي قاضي الجند^(٣) ، وعيسى بن عبد الله الطويل وكان حل المصانم^(٤) وهذا هو كل ما لدينا ، وهو لا يعتنا على تكوين فكرة عن الإدارة العامة في هذا العهد ، وربما كان الأحصي أن ندع بحث هذه الناحية حتى تتجمع لدينا معلومات أوفى .

يبد أن هناك وظيفة كبيرة لدينا عنها من المعلومات ما يمكننا من الكلام عنها في إمان ، هي وظيفة القضاء في الأندلس ، وكان لها في عصر تولد أهمية كبرى .

٢٠٠- القضاء كانت للقضاء أهمية خاصة في الأندلس ، وربما لم يبلغ القضاء في بلد من بلاد الإسلام ما بلغه من علو الكساة ورفعة السلطان وبعد الجاه في الأندلس والمغرب ، ولدينا لتاريخ القضاء في الأندلس كتابان أحدهما لمحمد بن الحارث بن أسد الحشبي^(٥) ، والثاني لأبي الحسن النباهي^(٦) ، وأورد ابن سعيد في « المغرب » تاريخاً لقضاء الأندلس يكاد يكون كاملاً ، ومعظم من نجد أسماهم في تراجم علماء الأندلس إنما كانوا قضاة أو لهم بالقضاء صلة كالحسبة والمشاورة وما إلى ذلك ، وأورد المقرئ في كتابه « فتح الطب » و« أزهار الرياض » فصلاً وتراجم ضالفة للقضاة ، واختص ابن حبان مشاهيرهم بتراجم مطولة ، أي أن المادة عن قضاء الأندلس وقضاة وفيرة لمن يشاء أن يدرس . وكان قاضي الجماعة في قرطبة شخصية لها أهميتها في مجالات العلم والسياسة في الأندلس ، بحيث لا يمكن التأريخ للأندلس تاريخاً صحيحاً إلا إذا لم

(١) ابن الخوط : احتاج ، ص ٣٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨ .

(٣) فتح الأندلس ، ص ٤٣ . مرجح أن صحة الاسم « يحيى بن يزيد » .

(٤) ابن عبد الحكم ، هجج ، ص ٢١١ .

(٥) كتاب الفصولا قرطبة ، للمحقق العالم أبي عبد الله محمد بن حارث الحشبي القرطبي ، نشره الخليل بربور ، مدريد ١٩١٤ .

(٦) تاريخ قصة الأندلس المسلمة ، كتاب المرآة العليا بين يستحق القضاء والفتيا ، لأبي الحسين بن عبد الله بن الحسن البجلي القرطبي الأندلسي ، نشره في ليدن بروكسلا ، القاهرة ١٩٤٨ .

بمحمد بن الحارث بن أسد الخثمي الذي يسند الكثير من أخباره إلى رجال لا يوثق في صحة نقلهم^(١) مثل ابن منبيل هذا ومحمد بن وليد^(٢) وعلي بن شيبه^(٣) وحماد بن محمد^(٤)، وهؤلاء أخذوا بدورهم عن أصول مشرقية، فإن منبيل مثلاً في حديثه عن مهدي بن مسلم يروي عن رجل يسمى أبا العباس أحمد بن عيسى بن محمد المغربي، وأن هذا الرجل قد حدثه بحديث مهدي في مدينة تنيس (بالغرب)، ويعد أن يورد نص عهد الوالي عتبة بن الحجاج إلى مهدي ابن مسلم بولاية القضاء (وسعرض له بعد قليل) يقول: «قال محمد بن الحارث بن أسد الخثمي» قال أحمد بن فرج، فقلت لأحمد بن عيسى: لقد عظمت همك إذ حفظت مثل هذا وشبهه من الأخبار القديمة، فقال: حفظت هذا زمن الصبا عن جدي في حشر نحو عمري، وكان من أحفظ الناس لأخبار المغرب والفتاحه وأخبار بني أمية عندكم، ولقد كان عندي من كتبه أخبار حسان قرية، فذهبت بحريق كان في منزلي، ولقد بلغني أن بعض من عندكم من بني الأغلب أو غيرهم من الشيعة ادعى هذا العهد، وكتب به نصاً إلى بعض ولاة القضاء، وما هو إلا لمهدي بن مسلم هذا عندي [كنت] قديماً أحفظه زمن الصبا عن جدي، فهل عندكم له ذكر؟ فقلت له: ما سمعت به عندنا ولا باسم مهدي هذا. فقال: قد سألت غيرك من أهل بلدك، فلم يكن يعرفه، فياصعبي^(٥) كيف فهم غيرهم عندكم؟ لكني أخشاه لم يعقب، فاضمحل خبره بالفتن التي دارت في بلدكم^(٦)، وهو خبر طويل مفصل يلقي

(١) DOZY, *Études sur la conquête de l'Espagne par les Arabes dans Recherches* (3e. (١) éd 1881) I, p. I sqq.

والفترة الخاصة بمحمد بن الحارث بن أسد الخثمي في ص ٣٤ - ٣٦ .

(٢) انظر ترجمة عبد ابن الفرصي، ترجمة ١١٧٨ .

(٣) ابن الفرصي، ترجمة ٩١٨ .

(٤) ابن الفرصي، ترجمة ٩٠٠ .

(٥) وردت في النص الطبري: « يا عيسى » وربما تصويها هكذا .

(٦) الخثمي: قصداً، ص ٢٢ - ٢٤ .

شكراً على ولاية مهدي بن مسلم ، ولكنه يدل على تدقيق أحمد بن فرج بن متيل .

وعندما يروي الحشني أخبار القاضي الثاني عشرة بن فلاح يبدؤه بقوله :
« حدثني أحمد بن فرج بن متيل ، قال : حدثني أبو محمد مسلمة بن زرعة بن
روح بالعرش بالشام ، وكان شيخاً كبيراً قد نيف على المائة فيها ذكر لي ،
وأترك حرمة صاحب الشافعي ، وحدثني عنه وعن أمثاله ، وذكر لي أنه من
سوالي بني أمية ، وكان ذا علم بأخبارهم القديمة والحديثة عما هم متشعباً
فيهم »^(١) .

وما يورده الحشني من أخبار القاضي الثالث مهاجر بن نوفل القرشي
منسوب أيضاً إلى أحمد بن فرج بن متيل عن أبي محمد مسلمة بن زرعة هذا .
أي أن أخبار القضاة الثلاثة مصدرها أحمد بن فرج عن رابعتين أحدهما مرفي
من تبس والثاني مشرفي من العرش ، ولهذا فقد رفض فوزي أخبار هؤلاء
القضاة الثلاثة ووصف الحشني بقلة التدقيق وإيراد الأخبار دون التحصيل^(٢) .

وتتأول آسبن بلاثيوس هذا الموضوع واتجه به اتجاهاً آخر ، فني بحثه عن
محمد بن مسرة ومدرسته قال أن أحمد بن فرج بن متيل قد اخترع أخبار هؤلاء
القضاة اختراعاً ليؤيد بذلك مذهبه ومذهب أستاذه محمد بن مسرة ، وهذا
المذهب إذ نظر آسبن لم يكن مذهباً فلسفياً بقدر ما كان اتجاهاً دينياً سياسياً يرمي
إلى مناهضة الفقهاء وسلطانهم المطلق في الأندلس يؤيدهم البيت الأموي وما
يسميه بالأرستراطية العربية ، وهو يصف السويين بأنهم إسبان قوميون^(٣) .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) فوزي ، نفس المصدر ، ص ٣٤ - ٣٦ .

MIGUEL ASIN PALACIOS, *Aben Masarra y su Escuela, Orígenes de la Filosofía* (٣)
Hispano/Musulmana (1914).

وبلاحظ أنه ترجم الأسماء على أنها رموز ، فسترة عند رمز على رجل شجاع ، وضرعها لفظ
inteligido ، ويوقل رمز لها بمعنى المسية colomidad ، وقد قرأ عشرة بن فلاح ، عشرة بن
فلاح وترجمها labrador .

ومضى يحمل أسماء القضاة الثلاثة فقال أن الأول ، مهدي بن مسلم ، لا بد أن يكون لإسباني نصراني اعتنق الإسلام ، وترجمه هكذا : un mesías hijo de un converso orenegado ، وهو في رأيه ليس علياً على شخص بل رمزاً لاتحاد ، أراد به أحمد بن فرج بن متيل أن يقول إن الإسيان تولوا القضاء في الأندلس من أقدم العصور ، وفعل آسبن بالثلاثي كما فعل بالأول وترجم اسمه un intrépido uno de la tribu de coraix : hijo de un labrador de los que salieron de la Meca hijo de una calamidad أيضاً مؤلفان كاسم الأول ، وقد وضعها المرزيون رمزاً حل معان عندهم . وقد أيد خليان وبيبراً هذا القول في مقدمته لتاريخ قضاة قرطبة للحشني ، ولكنه عارض دوزي فيما ذهب إليه من أن الحشني لا يوثق فيه ، وأنه أحاطب ليل لا يدقق فيما ينقل^(١) ، غير أنه أسرف في التفسير والاستنتاج حتى خرج بالموضوع إلى مجال التصورات والأوهام .

وعندما نشر ليقي برونتسال تاريخ قضاة الأندلس للنباهي وجد أن هذا الأخير يذكر أسماء القضاة الثمانية في أمرهم ، فذهب إلى أن لتجار القضاة الثلاثة صحيحة ، وأغلب الظن أنه لم يقل ذلك استناداً إلى صحيح جديدة ، بل لجرده أن النباهي أيد الحشني في هذا الموضوع . ومن الطريف أن كل ناشر يريد أن يؤكد أصالة النص الذي ينشره ، فربما يتهم أحمد بن فرج بن متيل بالكذب ، ولكنه يؤكد دقة الحشني وأصالة كلامه ، ويرونتسال يتبنى كتاب النباهي ويُدحض رأي دوزي ومن تابعه ، وهذه حلة لم يسلم منها إلا القليلون من الناشرين .

وأياً كان نصيب أخبار أولئك القضاة الثلاثة من الصحة ، فمن الثابت أنه كان للأندلس على عهد الولاة قضاة ، وسواء أكانت أسماؤهم هي تلك التي ذكر بعضها الحشني أم لم تكن ، فقد نام في الأندلس قضاة . قال الحشني : « سمعت من أهل العلم سماعاً فاشياً أن عبد الرحمن بن معاوية الإمام دخل

(١) اللغة الإسبانية لمرجة كتاب القضاة للحشني ، ص ١٢ وما يليها

لرطبها وقيام بالامامة والقاضي يومئذ يحيى بن يزيد التجيبي ، فأثبت على القضاء ولم يعزله ، وكان من قبل ذلك يقال له وللفضة قبله « فلان قاضي الجند » ، فلما امتنع الفهري « يريد يوسف الفهري » بفرطاة واضطروه الأمير عبد الرحمن رحمه الله إلى النزول ، واشترط (أن يكون التنازل) بحضور القاضي يحيى ، لحضر وكتب في كتاب المناظرة : « وذلك بحضور يحيى بن يزيد قاضي الجماعة » (١) .

وإذا فقد كان القضاء في الأندلس يسمون قضاة الجند حتى أن قاضي الجند قاضي الجماعة ، فأصبح القاضي يحيى قاضي الجماعة ، وكان أول قاضي للجماعة يحيى بن يزيد هذا ، ثم تلاء معاوية بن صالح ، وكان يلقب رسمياً بقاضي الجماعة . وهذا التطور معقول ، ففي فترة الولاة كان المسلمون هم الجند ، وهذا كان القاضي قاضيهم ، فلما قامت الدولة الأسورية واجتمع حولها الناس ، وكان الإسلام قد انتشر ، أصبح القاضي يحيى قاضي الجماعة . وهذا التطور شبيه بما حدث في بلاد إسلامية أخرى ، مثل مصر . غير أننا ينبغي أن نفرق بين قاضي الجند وقاضي العسكر ، فإن وظيفة قاضي العسكر نشأت بعد تسمية قاضي الجند بقاضي الجماعة ، واضطراره إلى الاستمرار في العاصمة ، ومقت الحاجة إلى إقامة قاضي خاص بالعسكر ، يخرج مع الجيش ويعود معه . وفيها يتصل بالأندلس لدينا مرحلة انتقالية ، فقد كان يحيى بن يزيد قاضياً للجند ثم صار قاضياً للجماعة مع احتفاظه بقضاة الجند ، فكان يخرج مع الأمير في الغزوات ، واستمر ذلك أثناء قضاء معاوية بن صالح ، ثم اختص قاضي الجماعة بالخاصة ، وأصبح أشبه بقاضي القضاة ، وأتاب عنه قاضياً آخر للعسكر .

وما دعنا لم ننته إلى رأي في موضوع القضاة الثلاثة الأول ، فلا بأس من أن نلم بذكرهم معتمدين على ما أورده الخشنى والبياهي من أخبارهم .

(١) الخشنى : قضاة ، ص ٦٨ - ٦٩ .

يبدو أن حق تولية قاضي الأندلس لم يتقرر على وجه محدد في فترة الولاة ، فقد كان عامل الأندلس يولى أحياناً كماً ولى عقبة ابن الحجاج السلولي القاضي مهدي بن مسلم ، وهو أول قاضي نسمع به في تاريخ الأندلس ، ويبدو أن العامل كان يقوم بالقضاء بين الجند بنفسه قبل ذلك ، يفهم هذا من قول الخشني : « وكان - أي عقبة بن الحجاج - قد أخذ بالأندلس مقراً مدينة يقال لها أريوة ، وكان قد عرف مهدي بن مسلم بالعلم والدين والورع ، فكان قد استخلفه على قرطبة وأمسه بالقضاء بين أهلها ، أي أنه تركه قاضياً في قرطبة وخرج بالجند ليقوم بقضائهم بنفسه ، وهذا أمر لا يستبعد على عقبة بن الحجاج ، فقد كان رجلاً دينياً فاضلاً عاقلاً ، ذكر الخشني - رواية عن أحمد بن لرج بن منتل - أنه كان « صاحب جهاد ورباط وذا نجدة وبأس وريفة في تكاليف المشركين ، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حيناً ويرقبه فيه ويصره بنفسه ويبين له محبوب دينه الذي هو عليه ، فيذكر أنه أسلم على يديه بذلك الفعل ألفاً رجلاً » (١) .

ويذكر الخشني والنباهي أن عقبة بن الحجاج أمر مهدي بن مسلم أن يكتب عنه « عهداً لنفسه » أي أمر تعين ، وقد أجاد مهدي كتابة ذلك العهد ، حتى أصبح أقرب إلى دستور للقضاة ، وقد رأينا فيما سبق كيف أن أحد ولاة إفريقية نقل نصه وأصدره أمراً بتولية أحد قضائته ، مما يدل على مكانة هذا العهد وأحكامه ، وقد وصفه النباهي نقلاً عن الخشني بأنه : « أصل من الأصول في العهد بالقضاء » (٢) .

ويقول الخشني : « وكان [عقبة] قد عرف مع ذلك بالبلاغة والبيان ، فلما أراد توليته قال له : اكتب عهدك عن نفسك ، فكتب مهدي بن مسلم الكتاب على أنه صلتر عن عقبة بن الحجاج إلى القاضي (٣) ، فبدأ بتصحيحها بما

(١) الخشني : قصة قرطبة ، ص ١٩ .

(٢) النباهي : الطريقة العليا ، ص ٤٢ وانظر : ليجات جوزي ، ص ١ ، ص ٣١ - ٢٥ .

(٣) الخشني : تاريخ قصة الأندلس ، ص ١٩ وما بعدها .

هو معروف من ضرورة الظهارة والنقاء واتباع الكتاب والسنة والتزب إلى الله
« بإجراء الحدود بحارها عل من وجبت عليه وإعطاء الحقوق من وجبت له . . .
وأن يحاسب نفسه في يومه وخطه فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملها الباعظجزها ،
فإنه يحاسب وموعده وموعده » ، ثم يقرر بعد ذلك القواعد القضائية الآتية :

١ - التلطف مع الخصوم والامتناع لكل ما يقولون والانتباه له والصبر
عمل على اللسان ناقص البيان ، وملاحظة أن بعض الخصوم « ألحن بحجته
وأبلغ في منطقه وأسرع في بلوغ المطلب وألطف حيلة في اللعب وإن كان غير
الصواب مرماه » .

٢ - أن يتخير القاضي وزوجه وأهل مشورته والمعين له من أهل العلم
والأمانة . ولم تشر إلى هذه الطوائف الثلاث من يستعين بهم القاضي استعانة
خاصة في أداء عمله إلا لأنها ستطور إلى وظائف ثابتة فيما بعد هي وظائف الفتيا
والمشورة وأمران القاضي ، وينص الكتاب نصاً خاصاً على مسألة الشورى في
الأحكام .

٣ - يجعل الكتاب القاضي مسؤولاً عن حجابه وأمراته وكل ما يفعلونه ،
« فإن أعاهم منسوبة إليه ومتروكة يديه ، فإذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب ولم
يعلن به ريب » .

٤ - وأن « يديم » الجلوس للناس بالمسجد والتمرد للمتقاضين لا يسأم ولا
يضم ، وأن يكون صبوراً عطوفاً على « الضعيف عن التردد والزمن الثقيل » وأن
يكون عتقاً مع أهل « التلدد والتضم في ملتبسات الأمور » .

٥ - ويشير الكتاب إلى طائفتين أخريين من المساويين للقاضي على أداء
مهمته ، وهما طائفتا الشهود والمزكين . فأما الشهود فمهمتهم معروفة ، وأما
المزكون فيوضح الكتاب مهمتهم بأنهم كانوا يزكون صحيح الخصوم ويساتهم ،
وقد أصبح الشهود فيما بعد هيئة ثابتة معروفة للقاضي وهو مسؤول عنهم ، في
حين كان المزكون غير ثابتين : لكل خصم الحق في أن يأتي معه بمن يزكي
حججه ويؤيده فيما يدعيه .

٦ - وفي الكتاب أمر للقاضي بأن يستشير القاضي إبراهيم بن حرب في كل ما أشكل عليه من المسائل ، « ليرد عليه ما يعمل به ويظله ويقتصر عليه ويصير إليه » . ويست لدينا أي معلومات عن إبراهيم بن حرب ، ولكن هذا النص يدلنا على أنه كان معتبراً كصاحب الفتيا قبا بعد ، وهو لهذا يضع إصبعنا على منشا وظيفة كبيرة سيكون لها في تطور نظام الحكم في الأندلس أثر عظيم (١) .

والكتاب مصوغ في أسلوب رصين بليغ ، يدلنا على أن مهدياً كان عالماً فاضلاً بليغاً ، ووصفه الحشني بقوله إنه كان من « أبناء المسألة من أهل الدين والعلم والورع » ، ولنا نعرف بالضبط ما عناه بقوله « المسألة » : لقد حكم عتبة بن الحجاج بين سنتي ١١٦ و ١٢٢ هـ / ٧٣٤ و ٧٤١ م أي أن مهدي بن مسلم كان رجلاً ناضجاً من يهدد إليهم في القضاء بعد نزول العرب الأندلس بنحو ثلاثين سنة ، ولا يعقل أن يكون أبوه قد أسلم وأنجبه وبلغ هو مبلغ الشيخ وسن القضاء في هذه الفترة ، فلا بد أن يكون مهدي من أبناء مسألة إفريقية .

ولا نزاع في أن مهدي بن مسلم صار على القواعد التي قررها هو بنفسه في كتاب عهده ، أي أن نظام القضاء قد تطور على أصول منظمة من أول الأمر ، ولم تدخل فيه بعد ذلك إلا تعديلات طفيفة ، وهذه الحقيقة تقرر لنا ناحية إيجابية جديرة بالإعجاب لعهد الولاة في الأندلس ، ففي ذلك العهد كان قضاء إفريقية يجرى في أعمالهم على وجه مرتجل غير منظم .

٣٠٤ - حنة وربما كان هذا البدء الحسن هو السبب فيما تشعب به قضاء أمر فلاح الأندلس بعد ذلك من عظيم المكانة . فقد كان القاضي الذي أتى بعد مهدي - وهو حنة بن فلاح - حريصاً على مصالح الناس لا يقتصر عن الظلمة في سبيلهم : حدث أن أصاب الناس حمل ، فقام يعطب مستحقاً ،

(١) انظر نص الكتاب عند الحشني ، ص ١٩ - ٢٢ ، وربما كانت بعض عبارات قد أضيفت إلى الكتاب فيما بعد ، ولكننا لا نستطيع القطع بذلك .

قدام إليه رجلى وقال : « أيها القاضي الواعظ ، قد حسن ظاهرك فحسن الله
باطلك . . . » .

- آمين لنا أجمعين ، فهل أضمرت شيئاً يا ابن أمي ؟

- نعم ، بتفريغ أهراتك يكمل المستفوك . .

- اللهم إني أشهدك أن جميع ما حواه ملكي من المأكول صدقة

لوجهك . .

وقد كان ، ووزع القاضي ما في أهراته على الناس ، ويصور لنا هذا
الحديث جانباً من طبائع الأندلسيين الصريحة التي لا تنرد في مهابة الحكام
وطلب الحق منهم ، وفيه كذلك تعريض لاذع بالقاضي⁽¹⁾ . وكان الأندلسيون
من أقدر خلق الله على التعريض اللاذع الذي لا يخلو من عمق . . .

وكان عثرة لا يحسن الارتجال ، حتى ليغال إنه كان إذا فام خطيباً أسدل
على وجهه نقاباً ويقول : « متى لحظت الناس لم أصل كلاماً » ، ولكن سخيرة
الأندلسيون أبت إلا أن تزعم « أن خطبته كانت مكتوبة في صحيفة مشبكة في
الثوب المسدول على وجهه . . . » .

305- مهاجر ابن توفل القرني
وكان ثالث قضاة الأندلس مهاجر بن نوفل القرني رجلاً ورعاً
تقياً لا أكثر ، إذا تخاصم الناس أمامه لم يزل يعظهم ويضوفهم
ويتحسر على نفسه ويكي حتى ينصرفوا من عنده « يباكين وقد
تعاطوا الحقوق بينهم »⁽²⁾ .

306- ابن زيد النجيب
وكان آخر قضاة هذه الفترة يحيى بن يزيد النجيب ، وهو أول
من تسمى بقاضي الجماعة كذا قلنا ، وحينما دخل عبد الرحمن
ابن معاوية قرطبة ثبته في مكانه . ولم يكن قيام يحيى بالقضاء

(1) الخشي : قصة ، ص 25 - 26 .

(2) نفس المصدر ، ص 27 .

من لدن أحد عمال الأندلس بل كان الذي أقامه قاضياً حنظلة بن صلوان عامل
الريفية وبعث إليها مع أبي الحظار ، وكان قوي الشخصية لا يكاد يهاب أحداً ،
فقد حدث أن يوسف الفهري فجأ قرطبة في غياب عبد الرحمن الداخل وظهر
بجارتين لعبد الرحمن فعرض له القاضي وقال له : « يا نعيم ! عبد الرحمن ظفر
ببناتك وكرامتك ، فظوم عليهم حتى نقلن إلى دارك ، وأنت ظفرت بجارتين له
لم يستحقا منه حرمة قاعدتها ! » فتذم الفهري وقال : « والله ما رأيت لواحدة
منها وجهاً ! فأنقضها » ويرى بها إليه . وحينها دخل عبد الرحمن الأندلس
وقامت الحرب بينه وبين الفهري وانصاره اعتزل يحيى الجند ولم يغمس يده في
الدعاء ، فلما قامت البيعة لعبد الرحمن أجاب إليها طامعاً^(١) .

٣٠٧- معاوية وكان يحيى بن يزيد مشاركاً في السياسة، فقد اتخذ جانب
أبي صالح عبد الرحمن بن معاوية الداخل وتصدى ليوسف القهري ،
الخضرمي وكذلك كان القاضي الذي جاء بعده وهو معاوية بن صالح
الخضرمي ، ولم يكن من نضاة عصر الولاة ، ولكنه دخل الأندلس إذ ذاك ،
قال الحشي : « وكان من جملة أهل العلم ورواة الحديث ، شرك مالك بن أنس
في بعض رجاله : يحيى بن سعيد وغيره ، وروى عن معاوية بن صالح جملة من
أئمة أهل العلم ، منهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث [بن سعد]
وذكر أن مالك بن أنس روى عنه حديثاً واحداً ، وذكر أنه أتاه يوماً إلى داره ،
فانصرف عنه دون أن يصل إليه . قال محمد [بن حارث بن أسد الحشي] وذكر
محمد بن وضاح قال : قال لي يحيى بن معين : جمعتم حديث معاوية بن
صالح ؟ قلت : لا ! قال : وما منعكم من ذلك ؟ قلت : قدم بلداً لم يكن أهله
يرمض أهل علم . . قال : أتعلمم والله علماً عظيماً^(٢) » وذكر الحشي بعد ذلك
مكانة معاوية بن صالح بين محدثي ذلك العصر في المشرق وقال : « قال لي محمد
ابن أبي خيثمة : لوددت أن أدخل الأندلس حتى أفتش عن أصول كتب معاوية

(١) الحشي - نضاة ، ص ٢٨ .

(٢) الحشي - نضاة ، ص ٣٠-٣١ .

ابن صالح ! قال ابن أبي عمير : فلما انصرفت إلى الأندلس طلبت أمهاته وكتبته ، فوجدتها قد ضاعت بسقوط هم أصحابها (١) .

وكان معاوية بن صالح من أهل الشام من موضع قرب حمص يسمى غنفاة عيس ، وقد دخل الأندلس قبل دخول عبد الرحمن الداخل فزل أشيبلية ، وقد ظهر قدره عندما ابن عبد الرحمن فاستغضاه ، واتخذ من رجال وأهله وثقته ، وندبه إلى المشرق ليكني بأخته أم الأصبح ، فرحل إلى المشرق ولم يوافق في مهمته لأن أم الأصبح كانت قد كبرت سناً ولم تشأ الرحلة إلى الأندلس . وفي هذه الرحلة سمع من العلماء وسمعوا عنه ، وعاد إلى الأندلس وقد علا صيته وثبت قدمه ، وهو من غير شك أول هذه السلسلة الطويلة الجليلة من فقهاء الأندلس (٢) .



٣٠٨ - الهام
الأندلس نحو
مذهب مالك

وظاهر أن معاوية بن صالح كان من السابقين في طريق مالك ابن أنس ، ولكنه لم يكن مالكياً ، لأن المدرسة المالكية لم تكن قد تكونت وانتظم أمرها بعد ، صحيح أن مالكاً وضع مذهبه كاملاً ، وصاحفه على أسلوب يдал على أنه كان واعياً إلى أنه يشيء تشريعاً كاملاً ، بخلاف أبي حنيفة الذي لم يكتمل مذهبه إلا على أيدي تلميذه محمد ابن عبد الرحمن الشيباني وأبي يوسف الفاضل ، وبخلاف الشافعي الذي يبدو أنه لم يكن واعياً لول الأمر إلى أنه يضع تشريعاً ، بدليل أن أصول مذهبه كتبها وضعها في الحجاز تختلف عن أصوله كتبها تحدت في مسورها النهائية في مصر . ولكن تكون المذهب لا يعني قيام المدرسة ، لأن هذه تقوم بالأبتاع والتلاميذ ، وقد كان مالك أكثر أصحاب المذاهب الفقهية الكبرى تبيهاً إلى أهمية تكوين المدرسة ، فكان شديد العناية بتلاميذه وأصحابه ، بل إننا نلمح في علاقته بأولئك أنه كان حريصاً على أن يكون له في كل قطر جماعة منهم ، وهذا ظاهر

(١) نفس المصدر ، ص ٣١ . وانظر أيضاً الشافعي : تاريخ فقه الأندلس ، ص ١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٣ .

جداً فيها يتصل بالمغرب والأندلس ، وقد ذكر المالكي في «رياض القوس» عدداً عظيماً من أهل المغرب وقال انهم من تلاميذ مالك وأصحابه ، وحرص أهل الأندلس على أن يزبلوا في عدد تلاميذ مالك المباشرين من أهل بلدهم ، ولكن البحث الصحيح أثبت أن جانباً عظيماً من هذه المعلومات مخترع في عصور متأخرة ، وقد دفعت إلى الاختراع الرغبة في تعظيم أمر المالكية في الأندلس^(١) .

وكل ما نستطيع أن نقوله فيما يتصل بمعاوية بن صالح ومعاصره أنه من الممكن أن يكونوا قد تنقلوا لمالك فعلاً ، وأخذوا عنه وأخذ عنهم ، ولكنهم كانوا جميعاً محدثين ، ولم ينتهوا إلا إلى ناحية الحديث عند مالك : سمعوا منه ونقلوا عنه على أنه نقيه محدث ، ودخلوا الأندلس فقهاء محدثين ، وهذه هي الصفة الحقيقية لمعاوية بن صالح ومن عاصره أو تقدم عليه أو تأخر عنه قليلاً ، من أمثال سعيد بن أبي هند ومحمد بن يحيى السبئي ودواود بن جعفر ومحمد بن إبراهيم بن مزين وشبطون بن عبد الله الطليطلي ومحمد بن بشير القاضي وعبد الرحمن بن موسى الموراني^(٢) ، فهؤلاء جميعاً كانوا فقهاء محدثين وهم الذين وضعوا أسس الدراسات الفقهية في الأندلس ، ولكنهم لم يكونوا من مؤسسي المالكية الأندلسية .

٣٠٩ - نقطة البدء ولكن حياة معاوية بن صالح تضع أهديتنا على نقطة البدء للمالكية الأندلسية ، فقد أصهر إليه أحد تلاميذه وهو زيد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون ، وهو واحد من ثلاثة من الثابت أنهم مؤسسو المذهب في الأندلس ، وهم الذين أدخلوا الموطأ ونشروه بين الناس ، وعلى أيديهم أصبحت المالكية المذهب الغالب ، بل الرسمي لأهل

(١) بحث هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً الدكتور محمود علي منكي في بحثه الذي وضعه بالإسبانية وهو *Estudio sobre las aportaciones decisivas en la España musulmana y su importancia en la formación de la cultura hispano - musulmana* وهو دراسة عظيمة القيمة ترجم إن ترجم إلى العربية ونطبع فيقيد منها الدكتور . والطراز الخامس مواضعه ، ص ١٣٣ وما يليها ، وقد اعتمدنا عليه في هذا الجزء من كتابنا .
(٢) نوره تراجمهم جميعاً من المغرب في تاريخ علماء الأندلس ، انظر القوس .

الأندلس ، أولهم الغلزي بن قيس وثانيهم زياد بن عبد الرحمن هذا وثالثهم يحيى بن يحيى اللبني .

وقد كان من الممكن أن تتبع الكلام عن الفضاة بالكلام عن التقه والعلم في الأندلس خلال هذه الفترة ، ولكننا رأينا أن بحث هذا الموضوع في هذه الفترة لا يعدو أن يكون مقدمة لما سيظهر في عصور تالية ، ثم إن الأمر يتطلب دراسة الثقافة المحلية التي وجدها المسلمون في الأندلس وأخذوا عنها وتأثروا بها ، أي الرجوع بالموضوع إلى أصوله البعيدة أيام الرومان والفرط ، فقد كانت اسبانيا بلد علم وعلماء على أيام هؤلاء ، وكانت لمؤلفاتهم وأرائهم آثار بعيدة في تكوين العلم الأندلسي في شتى فروعها ، ثم إننا إذا قدمنا هذه المقدمة الطويلة لم نستطع الوثوق بالبحث عند حدود الفترة التي نتحدث عنها ، لأن الثمرات كلها لم تظهر إلا بعدها ، في عصور تالية ؛ ولهذا فقد رأينا أن تكفي هذه الإساراء ، حتى إذا أتاحت لنا الظروف دراسة العصر التالي عرضنا الموضوع كاملاً بمقدماته ونتائج .

الفصل الثاني عشر
قيام الدولة الأموية

انتهى عصر الولاة على يد عبد الرحمن بن معاوية الداعيل بوقامته الدولة الاموية الأندلسية ، وكان من الممكن أن ندع الكلام على قيام هذه الدولة ليبحث خاص عن العصر الذي تلا عصر الولاة ، ولكن عبد الرحمن دخل الأندلس على أيام يوسف الفهري والصحيل بن حاتم ، ودارت بينه وبينها وحى صراع طويل انتهى بانتصاره عليهما ووزال أمرهما ووزال للعالم التي ميزت الفترة التي ندرسها ، فلم يكن هناك يد من الإلزام بسيرة عبد الرحمن ودخوله الأندلس وإقامته دولته فيه ، حتى تصل بعصر الولاة إلى نهايته ، ولهذا فإن حديثنا عنه يعتبر ختاماً لتاريخ عصر الولاة وبدءاً لتاريخ الإمارة الاموية القرطبية ، ولم نبدأ من ذلك ، حتى نتجمع أطراف البحث ، وحتى تكون أمامنا صورة كاملة لعصر عظيم الأهمية كما رأينا ، وإن كان قصيراً في عدد سنواته . فلذا نقرر هذا فلا بد أن ندرس سيرة عبد الرحمن من أولها .



ولدت الدولة العباسية في الكوفة في ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ / يونيو ٧٤٩ م في اليوم الذي بويغ فيه لأبي العباس عبد الله بن محمد بعد دخول قائده أبو سلمة الخلال الكوفة قبل ذلك بأسابيع ، ولم تنقض أشهر حتى رفرت رايات العباسيين على دمشق ، وفر مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بمن معه من الجند ، وحق بهم عبد الله بن علي عم السفاح وأوقع بهم هزيمة كبيرة على نهر

الزب أحد فروع دجلة ، وفر مروان وطارده عبد الله بن علي حتى قتله في قرية بوسير بصر ، وبذلك زالت السيادة الأموية في المشرق من الوجود ، وأعقبت ذلك مذبحة كبرى ألزها العباسيون بالأمويين حتى لم يفلتوا منهم رجلاً عثروا له على أثر ، واستمرت المذابح بعد ذلك سنوات حتى لم ينج من بني أمية إلا أفراد شردوا في الأفاق .

٣١٠ - فرار
عبد الرحمن
إلى القرب

وكان بيت معاوية بن هشام بن عبد الملك من أحفل بيوت بني أمية بالصبية ، فقد خلف معاوية هذا عبثاً والمرأ يذكر المؤرخون منهم أربعة ذكور وبنتين ، أما أولمهم فهو أيمان ، وقد وقع في يد العباسيين فقتلوا يده ورجله وطأوا به في قرى الشام على ظهر حمار ومن خلفه مناد يهتف ، واستمر على هذه المحنة حتى هلك . ولما أعلن أبو العباس أمانه المشهور واحتال به على الإيقاع بأكثر من سبعين أموياً في دير الجصاجم ، كان من ضحاياها هذا الأمان ابن ثمان لمعاوية هو يحيى ، ولم يفلت أخوه عبد الرحمن إلا بالمعجزة ، إذ كان قد خرج في صيد له فلم يتجاه جنود العباسيين ، ولم يكند يعلم بما جرى لأخيه حتى استتر بالليل وفر إلى قرية كانت تقام فيها أخته أم الاصبغ وأمة الرحمن وابن صغير له وأخ صبي له في الثالثة عشرة من عمره ، ولم يكند عبد الرحمن يستقر في القرية ويشعر بشيء من الأطمئنان حتى رمدت عيناه ، فأقام حبيسا في حجرة خروفاً من رجال العباسيين وطليبا لشفاه عينيه .

لماذا كان في حجرته تلك يوماً فقد فاجأه العباسيون بقوا كبيرة وأقبلوا بمحاصرون القرية ، وشملت القناشير أن ينجو مرة أخرى ، لأن ابناً صغيراً له روته تمل العباسيين وزيابهم السود فدخل عليه معولاً ، فكان هذا تدبير الخطر ، ونهض عبد الرحمن معجلاً ، فأخذ ما استطاع أخذه من المال وودع أخيه وابته ، وطلب إليهما أن تبعنا إليه مولاه بدلاً في مكان عينه لما في غابة قرية من القرية ، ثم استصحب أخاه الصبي ومضى لا يلوي على شيء بعد السلامة . وانتظر عبد الرحمن وأخوه في مكان مجهول للقرية حتى وافياها بئذ مولاه

بشيء من المال ، فمضوا حتى أتوا موضعاً على الفرات ، فطلب عبد الرحمن رجلاً يعرفه وأعطاه مائةً ليشترى له خيلاً وطعاماً ، ومضى الرجل يصحبه بدر مولى عبد الرحمن الأمين ، وكان من سوء حظ عبد الرحمن وأخيه أن عبداً لهذا الرجل علم بالخبر فأسرع به إلى عمال العباسيين ، فأسرعوا إلى الغيبة وحاصروها ، وبيع الأخوان فأسرعوا يمدون حتى اختبأ في حديقة على ضفاف الفرات . وأقبل العباسيون يحاصرونها وضيقوا عليها حتى كادوا يقنعان في أيديهم ، ولم يبق أمامهما إلا أن يلقيا بنفسهما في عباب النهر ويسبحا إلى الضفة الأخرى ، وقد فعلا ، فإذا قطعاً من الشوط جاتياً فقد نعب الصبي ونراس إلى سبعة نداء رجال العباسيين يعلونه بالأمان إذا عاد ، فانقلب الصبي واجعاً ، ولم يكند يظلو على الشط حتى تقاسمته السيوف وأخوه يراه بعينه ليشهد في سياحته . ووصل إلى بر الأمان سالماً ، ثم مضى يهب الأرض حتى أتى مكاناً من فلسطين كان قد ذكره لأخيه ، وهناك أتى مولاة بدر وسالم مولى أخته بمال وجوهر ليستعين بها في محته . ومضى الثلاثة معجلين فعبروا بمصر والمضوا إلى إفريقية حيث كان الخال مضطرباً ثيراً ، فأمسوا برهة في وديان المغرب وشعباه وبين قبائله وأهله الذين فرقتهم الثورات وصرتهم عن الالتفات إلى دعوة العباسيين^(١) .

كانت سنة عشرين سنة^(٢) حينما أقبل إلى إفريقية ، ولم يكن يؤمل إذ ذاك إلا في النجاة من رجال العباسيين الذين كانوا يتبعون كل أموي يعثرون له على

(١) انظر : الأخبار المصنوعة ، ص ٤٦ - ٥٦ ، و ٦٩ - ٧٥ .

ابن حنبل : البيان ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

ابن الأثير : الخلة السوداء ، ص ٣٣ .

القرني : تلح الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

عبد الواحد الزركشي : المعجب ، ص ١١ .

الكويتي : نهاية الأرب ، ص ١٥٤ .

(٢) ولد عبد الرحمن سنة ١١٣ هـ (٧٣١ م) في دير حسيبة أو دير حنينة على مقربة من دمشق .

انظر ابن حنبل : البيان ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

ابن الأثير : الخلة السوداء ، ص ٣٣ .

أثر ، ولم تكن الظروف في إفريقية لتعطي فيه أي أمل في تحسين الحال ، لأن بربر إفريقية كانوا قد كرهوا العرب كرهة عميقة بعد الذي كان من عسفهم بالبربر وثورة هؤلاء عليهم هذه الثورة العنيفة التي تحدثنا عنها ، وكان دعاء الخارحية وأعداء بني أمية المظريون قد ملأوا نفوس أهل البلاد كراهة للأمويين وسخطاً عليهم ، فلم يكن للذي حل ذلك بعد السلامة مطمح .

٣١١ - المغرب وكانت أمور إفريقية قد انتهت على ما ذكرنا إلى عهد الرحمن بن
 في ثورة الأندلس حبيب بن عتبة بن نافع الفهري ، وكان فهرياً من عرب
 من الأمويين إفريقية ، وكان واسع الطامع عظيم النشاط حارب البربر في
 ابن العباس جيش كلثوم بن عياض . فلما انهزم كلثوم وفر ابن أخيه بليغ
 ابن بشر في نفر من القيسيين إلى سبتة ، تركهم عبد الرحمن ومضى إلى الأندلس
 ليلقي قريبه عبد الملك بن نطن الفهري ، وجعل يخرجه على القيسيين ، ثم
 سارت الأمور في الأندلس على عكس ما رجا وصالو الأمر إلى بليغ ثم إلى ثوانة
 ففر عبد الرحمن بن حبيب عائداً إلى إفريقية ، حيث جمع نفراً من عرب إفريقية
 البعيتين واستطاع أن يطرد حنظلة بن صفوان وجنده من البلاد ويستقر في
 القيروان حاكماً بأمره^(١) .

ولكن باله لم يبدأ رغم استقرار الأمر له وورغم اضطراب الأمر على بني أمية في المشرق ، لأن جنده كان قليلاً ، ولأن قلوب البربر من أهل البلاد لم تكن معه ، لأنه كان في واقع الأمر مغامراً كثير القلب لا يكاد يقصد إلا الخير نفسه وحدها ، واضطربت البلاد عليه وتنازعتها الأوثان ، ثم تار عليه عمرة بن الزبير الصديقي واستولى على تونس ، ثم تار عليه حرب الساحل ، وقام عليه ابن عطف الأزد حتى نزل بيطينس ، وتنازلت البربر من الجبال ، ونار ثابت الصنهاجي يابحة فأخذها ، وخرج يتاحية طرابلس وجلان يُقاتل لأحدهما عبد الرحمن والأخر الحارث ، وهما من البربر على مذهب الخوارج ، فقتل عبد الرحمن

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

الثوري ١ نهاية الأرب ، ج ١ ، ص ٣٨ وما بعدها .

ابن حبيب كل من خرج عليه طائفة بعد أخرى ، حتى دوح المغرب كله ، وأذل من به من القبائل ، ولم يهزم له عسكر ولا ردت له راية ، وعاقبه جميع أهل المغرب (٢١) . ولما أراد أن يؤيد سلطانه ، فكتب إلى مروان بن محمد الجعفي آخر خلفاء بني أمية ، وحصل منه عمل ولاية المغرب والأندلس جميعاً . ثم قامت الدولة العباسية ، فجعل عبد الرحمن بالكتابة إلى أبي العباس بطاعته ، ثم كتب إلى المنصور كذلك وأمدى إليه شيئاً رجاء أن يثبته في البلاد ، وعشى أن يرفقه المنصور بالمطالب ، فكتب يؤكد له أن إفريقية أصبحت إسلاماً كلها ، وأنه لن يستطيع إرسال سيابها إليه ، فاحتضب كتابه المنصور ، ووقعت القصة بينهما ، فخلع طاعة المنصور وأحرق الخلع التي كان هذا قد أرسلها إليه ، وأمر كاتبه خالد بن ربيعة أن يكتب بخلمه ويقراً على المنابر في سائر بلاد المغرب ، ويصفاً شرح هذا الرجل عن طاعة الدولة وإزدهاد مركزه في البلاد حرجاً (٢٢) .

وطبعي بعد ذلك أن يظل مترصباً يتخوف على سلطانه من كل أحد ومن كل طاريء ، وتذهب الروايات الإسلامية إلى أن يهودياً أخذ علم النجوم عن سلمسة بن عبد الملك حذره من أموي اسمه عبد الرحمن يقيم ملكاً في الأندلس ، وطبعي أن هذه أسطورة ابتدعها مؤرخو الأمويين في الأندلس مبالغاً منهم في تصوير حياة عبد الرحمن مثيرة دولتهم ، والواقع أن عبد الرحمن بن حبيب كان متخوفاً متربصاً لكل أمير أموي هارب يوصل إلى بلاده سواء أكان اسمه عبد الرحمن أم لم يكن . وكان نفر من بني أمية هؤلاء قد وقعدوا عليه لاجشون ، فتزوج هو وأخوه إلياس من حريمهم ، ثم بدا له بعد ذلك أنهم يدبسون عليه فقتل منهم اثنين ، وكانت لها نحت تزوجها إلياس أمو عبد الرحمن بن حبيب فلم تنزل تغريمه بأخيه حتى دفعته إلى قتله ، ولم يصف إلياس الأمر بعد قتله أخاه ، لأن حبيب بن عبد الرحمن ثاره ووقعت بينهما فتنة طويلة .



(٢١) الفريدي : نهاية الأرب ، ص ٣٩ .

(٢٢) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

٣١٩- عد الرحمن وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى إفريقية أيام عبد الرحمن بن
 حبيب ، ومن الطبيعي أن يتخوفه على نفسه ، ولو قد كان هذا
 الأمر الشارح محاسن النص قسواً للمجا إلى عبد الرحمن بن
 حبيب وعاش في ظله عيشة عمو لا تخلو من الاستماع كما كان غيره من أمراء
 بني أمية يفعلون ، ولكنه كان مغامراً بطبعه جرىء القلب ، ففضل أن يعيش
 بين البربر حياة قلق واضطراب .

ولمحدثنا المراجع أنه تطلب في نواحي إفريقية كلها دون أن يعادر منها ناحية
 لم يجرب فيها حظه : أقام ببرقة حيناً ، ثم مضى إلى تاهرت حيث استظل برعاية
 بني رستم حيناً . . ثم احتضن في قبائل مكناسة ، ثم قضى ردهاً في صيرة ،
 وانتهى به الأمر بعد خمس سنوات من الحرب والتجوال والمغامرة إلى قبائل نفزة
 على مقربة من طنجة . وكانت أمه من سيهم ، والظاهر أنه استطاع كسب
 ودعهم لأن كثيراً منهم عطف عليه وقام برعايته ، والظاهر كذلك أنه لم يفسح
 بحياة الحمول فجعل يدبر على عبد الرحمن بن حبيب ، واتصل أمره بهذا
 الأخير ، فبحث من يبحث عنه ، وكان الطلب عليه شديداً حتى أن امرأة أحد
 شيوخ نفزة اضطرت إلى إخفاكه تحت ثيابها حتى لا يقع في أيدي عمال
 عبد الرحمن بن حبيب ، وكان يرافقه في هذه المغامرات كلها مولاه بدر ومولى
 أخته سالم ، وكان عبد الرحمن عفيفاً على مولاه هذين لئلا يلبس إلى الاستبداد كان
 فيه ، فأما سالم فقد غضب مرة وقارقه بعد أن احتمل شدته وحياة الشقاء معه
 زمناً طويلاً ، وأما بدر فقد أقام معه مخلصاً له ، وقد قدر له أن يكون مخلص
 معاويته في بناء مجده .

أقام عبد الرحمن عند قبائل مغيلة من ساحل طنجة في كتف شيخها أبي
 قرة ، ولا شك أن شيئاً كثيراً من أخبار الأندلس وما كانت فيه من الاضطراب
 قد اتصل به ، ويغلب أن استقراره عند مغيلة هؤلاء كان حوالي سنة ١٣٦ هـ
 (٧٥٣ م) لأن المراجع تحدثنا بأن أمر الأندلس إذ ذلك كان قد استتب ليوسف
 الفهري والعميل بن حاتم ، وكان سالم مولى أخته قد حدثه بشيء عن غير

(١) الأخبار المجموعة ، ص ٥٥ (وهو يذكر أن كتبه سالم كانت لها شعاع) .

الأندلس إذ كان قد قدمها مع موسى بن نصير ، فتطلعت نفس هذا الفيل المغامر
إلى هذا البلد الواسع الغني الذي أفسد الاضطراب أمره^(١) .

٣١٣- تنكير ولستنا نعلم كيف نشأت الاطماع في ولاية الأندلس في نفس
عبد الرحمن عبد الرحمن ، والثابت على كل حال أنه لم يحاول أن يبنى لنفسه
في أمر الأندلس ملكاً في أي مكان من إفريقية ، وأن الطمع في الإمارة نشأ في
نفسه وهو منهم بين مهيبة عند طنجة ، وربما نشأت في نفسه هذه الاطماع حينما
علم أن في الأندلس جماعة لا بأس بها من الأموية تعيش في ناحيتي البيرة وجيان
مشطورة بين جندي دمشق وقنسرين ، ولم تكن أحوالهم بالأمسة ولا المستورة لأن
أكثرية عرب الأندلس من البيهون كانت تنفس عليهم مكانهم ولزومهم ، وكانت
كذلك لا ترضى عن تأييدهم ليوسف القهري وصاحبه الصميل ، ولا بد كذلك
أنه تسمع بأن هؤلاء الأمويين في حاجة إلى شخصية قوية لجميع أمرهم وتقوي
صقولهم ، لا بد أنه تسمع بذلك وإلا لما بعث إليهم هؤلاء بداراً برسالة خطيرة
يعرض عليهم فيها رياسته ، وهو لم يفعل ذلك في إفريقية أبداً ، مع أن إفريقية
لم تقل من جماعات من موالي بني أمية وأنصارهم ، وكان مستطعياً لتهريب حفظه
معهم ، لو كانت المسألة مجرد تهريب حفظ ، بل قد كان أولى به أن يحاول في
إفريقية لأن عرب نواحيها لم يكن فيهم من يقارب الصميل أو يوسف القهري أو
غيرهما من كبار العرب الذين تحدثنا عنهم .

ثم إن بداراً وموالي بني أمية لم يكافؤوا بعرضون الأمر على الصميل حتى
قبل ، مع علمه بأن هذا القول يعني ضياع سلطانه ، بل إننا نتساءل : لماذا
تصدوا الصميل ولم يتصدوا يوسف وهو أضعف من الصميل وأكثر ليئاً ؟

هناك حلقة مفقودة تجعل السياق كله ظلالاً غير منسجم . وليس لدينا في
ذلك الصدد إلا أربع أو خمس روايات لا تكاد إحداها تزيد على الأخرى شيئاً

(١) ابن عسكاري : البيان ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

ابن الأثير : التكميل ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ .

التنكري : وصف إفريقية (طبعة دي سلون - الجزائر ١٩١١) ، ص ١٢٣ .

دا بال . وربما أصلنا على استجلاء هذا الأمر أن نقرر أنه كان هناك تقاضم واتفاق بين الصميل بن حاتم وجماعة موالي بني أمية وزعمائهم من أمثال أبي عثمان عبد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد ويوسف بن بخت . ولنا نظري كيف تم هذا الثروب على الرغم مما تؤكدته المراجع من أن موالي بني أمية كانوا معترين موالي يوسف الفهري من يوم زالت الدولة الأموية في المشرق ، فقد اعتبر هذا الرجل نفسه وارث كل ما كان للأمويين في الأندلس ، بما في ذلك الموالي^(١) ، وربما يكون هذا قد ساء هؤلاء الموالي فسموا إلى الانضمام إلى الصميل بن حاتم للتخلص من سلطان يوسف . وسلاحظ أن هذا الأخير لم يسطن إلى ذلك ومضى يعتبر موالي بني أمية مواليه وأخصاه ، وكان ذلك من أخطائه الكبرى . ولا يعد أن يكون الصميل قد فربهم إلى نفسه ليفيد منهم وقت الحاجة .

ولم تكن العلاقات بين الصميل ويوسف طيبة على كل حال ، فقد كان يوسف منكراً للسيطرة التي يفرضها عليه الصميل ، وقد رأيناه يسعى للتخلص منه فيبعث إلى سرسطة وكان كل أهلها يمنون لا يطيقون هذا الفضي الجاني ، وقد ثاروا عليه وكان يهلك على أيديهم كما رأينا ، ثم لم يكد الصميل ينجو حتى هاد يوسف يسكر في بعث إلى الثغر ، وسيكون ذلك دافعاً بالصميل إلى إلقاء يده إلى عبد الرحمن والدعوك في دعوته . وسلاحظ كذلك أن موالي بني أمية في الأندلس لم يكونوا قليلين ، فقد كانوا موزعين بين جندين ، ولم يكن عندهم أربعمئة أو خمسمئة كما يظن^(٢) ، بل كانوا أكثر من ذلك بكثير ، ولم يكن يربطهم إلى يوسف الفهري والمفسين إلا الصميل ، فلما نخل عنهم الصميل تخلوا عن القيسية ومالوا إلى البنية . على أساس هذه الملاحظات نستطيع أن نحضي في رواية الأحداث التي انتهت بإنشاء الإمارة الأموية الأندلسية على يد عبد الرحمن .

من الواضح أن عبد الرحمن حينما أرسل مولاه بديراً ليبدأ العمل في

(١) انظر الأخبار المجموعة ، ص ٧١ سطر ٥ وبقية السطر .

(٢) انظر المراجع إلى عندهم كان حوالي ١٠٠

انظر الأخبار المجموعة ، ص ٧١ و٧٢

الأنطلس في ربيع سنة ١٣٦ هـ كان قد كون لنفسه فكرة واضحة عن الأحوال في البلاد ورسم ليدرس خطة العدل ، وولينا على ذلك أنه أعطاه خطاباً مكتوباً يعرض فيه على مولاي بني أمية أمره ويسألهم تأييده ، ولا شك في أنه عرض عليهم ترشيح نفسه أمراً على الأنطلس مكان يوسف والصحيح لكي يستطيع أن يضع حداً للقوضى الضاربة أطنابها ولكي يفهم أمر بني أمية في البلاد من جديد ، وقد توجه عبد الرحمن بكتابه إلى جماعتي مولاي بني أمية في البرية وجيان . ونقول إنه حدثهم في أمر ترشيحه لولاية الأنطلس ، لأننا سنرى من اجتهادهم في الأمر وإلحاحهم في إتفاده ان المسألة لم تكن مجرد طلب أمان ، ولو كان قد سألهم إيواءه فقط لما احتاج الأمر إلى هذا العناية كله . ولم يضع يدركه سدى ، بل اتجه إلى رؤساء مولاي بني أمية الثلاثة الذين ذكرناهم وأسلم إليهم خطاب مولاه ، واجتهد في إقناعهم ، ولم يلق صعوبة في ذلك ، لأنهم كانوا رغم اطمئنانهم إلى الصيقل لا يكادون يظنثون إلى بقية القيسيين . فلم يكد أبو عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد ويوسف بن بخت بسترثون من أمر بدر وسيدته حتى نهضوا يخطاطبون فيه الصميل ، ولو لم يكونوا أخصاءه وأصدقاءه لما خاطروا بمثل ذلك ، ولكنهم ذهبوا وهم والقون من أن الرجل موغر الصدر من يوسف ، وأهم لا يكادون يعرضون عليه الأمر حتى يجيبهم إليه ، واجياً لنفسه من ورائه غيراً كثيراً . وكان مولاي بني أمية يعرفون الصميل وما به من نزوع إلى السلطان ، فتلطف ومولاهم في عرض الأمر عليه ، « وذكرناه بأهلي بني أمية عنده وعند سلفه ، وقال له : إن عبد الرحمن بن معاوية نجا إلى بلد البربر وهو مستتر فيه خائف على نفسه ، وأنتا وهيتنه يسأل الأمان في نفسه ، ويترسل إليك بما قد علمته ، وأنت ذاكر له ، فقال : نعم وكرامة ! وتضم يوسف هذا إلى أن يزوجه ابنته ويشركه في سلطانه ، وإلا فسرتنا صلته بالسيف » مما يدل على أن مولاي بني أمية عرضاً عليه الأمر كأنه طلب أمان فقط ، ولو كانتا حدثاه في أن يصبح عبد الرحمن صاحب الأنطلس لما قال إنه مستعد لإرغام يوسف على إشراكه معه في الأمر فقط^(١) .

(١) ابن القوطية : اقتطاع ، ص ٣٣ .

ونلاحظ كذلك إن الأمويين افرو الصميل في حلقة كانت نفسه متفتحة
 فيها لقبوله ، فقد كانت نفسه راضية عن خلاصه مما كان اليمانيون يريدونه به ،
 وكان لفرط سروره يفرق الأموال في الناس من غير حساب ، ولما كان موالي بني
 أمية من أكبر الناس فضلاً في خلاصه فقد كانت نفسه متفتحة لقبول أي رأي
 يسوجهون إليه به . وكانت الأحوال العامة قد تحسنت ، إذ اتجهت المحاذاة
 « وأربع الناس وحلت الأرض »^(١) ، ولم ينتظروا حتى يستقر الرجل في قرطبة بل
 كلموه في الأمر وهو في طريق العودة من سرسطة . عرضوا عليه أمر عبد الرحمن
 وما يطلب من القدوم إلى الأندلس والاستعانة بأهلها ، ويبدو أن عبد الرحمن
 تلمظ في خطابه فلم يتحدث عن إمارة أو ملك وإنما عرض سوء حال لكي
 يعطف القلوب على نفسه ، ولا نزاع في أن الصميل حبه شاكياً مسكيناً لا يطمع
 في أكثر من أن يكون من رجال الصميل وأنصاره ولي أن يشتد به ساعد القيسيين
 لا تنسبه إلى بيت أمية ، على هذا الأساس وحده نستطيع تفسير قبول الصميل
 للدعوة وعدم نفوره منها على الأقل ، فسأل الرسولين قسرة يروي فيها أمره ،
 فعجلاً وجماعاً يدر . فاستقبله الرجل استقبالاً طيباً وأعطاه عشرة دنانير وشقة
 خبز^(٢) .

واستقر الصميل في قرطبة فلم يظمن يوسف إلى ذلك ، فبدأ يلح عليه في
 العودة إلى النغر ، لأن اليمانيين انتهزوا فرصة عودة الصميل إلى قرطبة وانقضوا
 على سرسطة يقودهم زعمائهم عامر وابنه وهب والحباب ولحصنوا بها وأعلنوا
 خروجهم على يوسف ، وتطلب الأمر القضاء عليهم . وأخذ يوسف يلح على
 الصميل والصميل يسوف ، علماً منه أن يوسف لا يرمي إلا إلى إبعاده عن قرطبة
 والتخلص من سلطانه .

وكان يوسف القهري قد اعتبر موالي بني أمية مواليه هو بعد زوال أمر
 مواليهم بني أمية في المشرق كما قلنا ، فلما يش من الصميل بحث إلى رؤسائهم

(١) الأخبار الجوهرة ٦٠ ص ٣٠ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

وأمرهم بأن يجمعوا رجالهم ويسيروا بهم نحو مسرقة ، ولم يكونوا بالطبع
 والمهين في هذا السير ، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون رفض الأمر ، فجعل
 رؤسائهم يتعلون بأن رجالهم لا يستطيعون النهوض إذاً « كل من كان فيه
 منهض قد نهض إلى أي جوشن » ففتطمعوا وأهلكهم الشتاء والسكر مع ما نال
 الناس من الجهد ، تصدقهم الرجل وأعطاهم الف دينار ليقضوا بها عمل
 النهوض ، فانهزوا فرصة خفكت وحاولوا أن يكسبوا مه أكثر من ذلك ، وقالوا :
 « هم خمائة مدون ، وأين تبلغ هذه منهم ؟ » فلم يزد . فانصرفوا من عند
 وقد قرروا فيما بين أنفسهم أن يستخدموا هذا المال في تحقيق ما كانوا يهيمونه مع
 بدر الصميل^(١) .

ولقد يوسف الرحيل بنفسه بعد أن اطمأن إلى أن موالى بني أمية موافقوه ،
 فرحل في ذي قعدة سنة ١٣٧ ، وخرج معه الصميل بثلثاً ، فلما بلغ جبان نزل
 « بمخاضة التبع » على مضربة منها حيث أبل عليه بعض جنده ، فطرق فيهم
 الأعطيات ، وجعل ينتظر موالى بني أمية ، فلما أبطأوا عليه استدعى أبا عثمان
 عبيد الله بن عثمان ، وسأله عنهم ، فتعلل مرة أخرى ، وأكد له أنهم لا يحضرون
 به قبل أن يدرك طبلطة ، وإنما هم منتظرون حتى يجمعوا شعيرهم ليستقروا
 به . فلم يشك الرجل في كلامه ، وأمره بالمودة إليهم والضغط عليهم في
 السير .

ولكن عبيد الله لم يسر إلى البيرة ، بل خرج على الصميل في مؤخرة
 العسكر ، فلما خلا به ذكره بأمر عبد الرحمن وسأله عما استقر عليه أمره ، وبيد
 أن الصميل لم يكن فكر ولا روي وإنما ناجاه عبيد الله بذلك وهو على شرايه وقد
 رضيت نفسه ، فقال له : « أما إني ما أنفقت ذلك ، ولقد رويت فيه واستخرت
 الله وكنتم الأمر فما شاورت فيه قريباً ولا بعيداً ، وفاة مما جعلته لكها من
 سنه ، وقد رأيت أنه حقيق بنصري حقيق بالأمر ، فاكثرت إليه على بركة الله ،
 فإن [أي] هذا الأصلاح (يريد يوسف) على أن يتخلى لي عن هذا الأمر ،

(١) الأخبار المبرجة ، ص ٧٠ . ويلاحظ أن عدد ٥٠٠ هو عدد اللذين منهم لفظ « لا شك أنه كان
 هناك عدد كبير من غير اللذين .

وأزوجه من أم موسى (يريد ابنة أم موسى ، وكانت قد أرسلت تلك الأوامر من زوجها لظن من عبد الملك) على أن يكون واحداً منا ، فإن فعل قبلنا منه وعرفنا حقه وسنة وسيد ، وإن كرهه هناك علينا أن نضرح صلته بسببنا !^(١) وصرح الأميرون من عنده وقد ملأ البشر والتفاضل نفوسهم .

ولم يكادوا يخرجون من حضرة ويطلقون باليسرى إلى قومهم حتى بدأ الصميل يفكر في الأمر ويأخذه مأخذ الجذ ، وهنا فقط أدرك خطورة الأمر وأحس أن إقبال عبد الرحمن قد يعني ضياع أمره ، فعجل بيزمات رسول يستوقف وسل موالى بني أمية في الطريق ، ثم لحق بهم على ظهر فرسه « الكوكب » مما بينهم منه أن الأمر روجه ، وقال لها في أسلوبه الطريف في الكلام : « إني منذ أتيتك بمرسول ابن معاوية وكتابته لم أزل في إدارة ، فاستحسنت ما دعوتنا إليه ، ثم كان مني إليك ما كان ، فلما فارقتكما رويت فيه ، فوجدته من قوم لوبان أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله . وهذا (يعني يوسف) رجل قد حكمتنا عليه مع ما له في اعتنا . والله لو بلغنا سيرتكما ، ثم رأينا هذا لظقت ألا أنصر حتى أرجع إليك لثلاث أغركما ، وإنما أحلمتكم أن أول سيف يُسل عليه سيدي ! فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما^(٢) . فأسقط في أيديها وعليها أن الرجل حاد فيها يقول ، وأن لا رجاء لها فيه بعد ذلك . وهكذا اتجه هذا الرجل لأمر نفسه في أمر حقة ، وعاد إلى بيته وهو لا يشك في أن أمر ابن معاوية هذا قد انتهى ، وكان قد أحب استرضاء أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد فأكد لها أنه يعطف على مولاها ، وأنه على استعداد ليعطف قلب يوسف عليه فيزوجه من بيته ويكرمه إذا نقل عن طلب السلطان .

أراد الصميل شيئاً وأراد الله شيئاً آخر . أراد أن يقضي على أمال

(١) الأخبار المصنوعة ، ص ٦٣ .

ابن القوطية . الاقتراح ، ص ٦٣ .

(٢) الأخبار المصنوعة ، ص ٦٣ .

عبد الرحمن وموالي بني أمية في السلطان في الأندلس ، فكانت إرادته تلك فتحاً لياب الأمل أمام وجوههم . فقد فكروا بعد ما سبهم من المضربين المعديين في الاستعانة بالكلبيين البغين ، فجمعوا في طريق عودتهم إلى البيرة لا يكثرون يبرون بمنزل بمية إلا حدثوا أشياخها في الأمر ، وكانوا في ذلك أسعد حظاً من يوم توجهوا بأنفسهم إلى الصملى والمضربة ، لأن البغين كانوا منذ هزيمة شقنقة وعند قتل ثورهم في سرقسطة ينتظرون بفارغ الصبر فرصة يتصرفون لأنفسهم فيها من أعدائهم المضربين ، فجمعوا بنضمون إلى دعوة عبد الرحمن جماعة بعد جماعة ، ولم يصل زعماء بني أمية إلى البيرة حتى كانوا قد ملأوا أيديهم من أطباء اليمن ، ولجروا الإسراع باستدعاء عبد الرحمن والبدء في العمل قبل أن يفرغ يوسف والصملى من أمر سرقسطة ويعود إلى قرطبة .

عجل موالى بني أمية فندبوا أحد عشر رجلاً منهم فيهم تمام بن حلقمة الشظفي الذي شارك في الفتح وكان له فيه جهد مشكور ، وشاكر مولى هشام ، وأعطوا ثماناً خمسمائة دينار للنفقة منها ولافتداء عبد الرحمن من بربر مغيلة الدين كان يعيش عند شيخهم أبي قرة المغزلي . وكانت هذه الخمسمائة دينار هي كل ما كان قد بقي لهم من الألف دينار التي أخذوها من يوسف الفهري ليفرقوها فيها بينهم استعداداً للسير معه ، كانوا قد أعطوا كل جندي أسوي عشرة دنانير . . . أما الباقي فقد أراد الله أن يكون من نصيب عبد الرحمن هذا الذي سيكون على يديه زوال أمر يوسف والصملى معاً .

واشترى تمام وشاكر وبشر من المال مراكياً وعبيراً وتبعة آخرون للقائد عبد الرحمن الذي كان ينتظرهم بفارغ الصبر^(١) .



(١) الأخبار للصبوغة ، ص ٧٤ .

أين القرطبة : الفتح ، ص ٢٤ .

٣١٤ - وصول

وبعد موالي

بني أمية والمسلمين

إلى عبد الرحمن

اقتراب رسل موالي بني أمية بمركبهم من شاطئ إفريقية في
أحدى أعين ربيع الآخر سنة ١٣٨ (سبتمبر ٧٥٥) وكان
عبد الرحمن قائماً بصلي المغرب ، فلما أبصرهم أسرع إليهم وففر
بذل إلى الماء لكي يسرع إلى مولاه بالبشرى ، ولم تكن الوجوه
تتلاقى بعد طول انتظار حتى انفضى إليه بجملة الأمر وأنبأه بتوقيفه مع موالي بني
أمية واليمنيين ، وبأن جماعات قوية من هؤلاء تنتظر لتسير في ركابه مؤيدة ، ثم
أقبل تمام بن علقمة ، فلم يكف عبد الرحمن يسأله عن اسمه وكنيته (أبو غالب)
حتى استبشر به وحوّل على الإمبراع في الرحيل . وأقبل برابر مقبلة يحملون معه
من الرحيل إلا إذا اقتدى نفسه منهم ، فصرق عليهم تمام من المال الذي كان
معه ، ولم يخلص عبد الرحمن مع ذلك منهم إلا بصحوية ، واستوى هذا الفتي
الموقوف في القارب فانطلق به نحو الأندلس بعد ساعات قليلة من وصول البشرى
إليه ، ووطئت قدمه شاطئ الأندلس عند المنكب في الحريات وبيع الثاني سنة
١٣٨ . نزل الأندلس لا تكاد تصاحبه غير أماله ، وتريد المقادير أن تكون ساعة
نزوله تلك بدءاً لعصر جديد في تاريخ الأندلس بل في تاريخ الإسلام عامة .

٣١٥ - دعوى

عبد الرحمن

الأندلسي

لم فرح عبد الرحمن في المنكب ، بل سار منها رأساً إلى طرّاش
حيث أراح في دار أبي الحجاج يوسف بن بخت (شيخ جند
قتارين) واحد كبير موالي بني أمية على ما ذكرنا ، « وهناك
جاءته الأموية كلها وجملة جدها (كذا والأرجح جدار) بن عمرو المدحجي من
أهل ربة الذي كان بعد ذلك قاضيه في العسكر ، وجاءه عاصم بن مسلم
التفلي وأبو عبدة حسنة قستوزره ، وجاء أبو بكر بن الطفيل ، واختلف الثامر
إليه . وهكذا أخذ معسكر عبد الرحمن يثنى بالثقيدين والأندلس وبدأت طلائع
النصر تهب عليه ، فحرض منذ اللحظة الأولى على تنظيم أتباعه هؤلاء
وإعدادهم للصراع في سبيل الأمر العظيم الذي يطلبه ، وتناقل أهل الأندلس
كلهم خيرة^(٦) .

(٦) الأخبار للصرمجة ، ص ٧٦ - ٧٧ .

في هذه الأثناء كان يوسف والصميل قد وصلا سرسطة وحاصروا اليمثين والقرشيين الذين كانوا قد دخلوها وأعلنتوا الثورة فيها بقودهم عامر بن عمرو القرشي وابنه وهب والخباب بن ربيعة بن عبد الله الزهري الكلابي ، وكان يوسف ينتظر مجيء أبي عثمان عبيد الله وابن خالد بنفراخ الصير على ما وعده ، ولم يكن ينتظر له على بال ما أحكما تديبه من الأمر أو ما كانت تقبه له صروف الأيام .

وفي أثناء هذا الانتظار استطاع الصميل أن يرغم اليمثيين الثائرين على التسليم ، فزولوا له عن سرسطة على أمان ، واستسلم قوادهم عامر وابنه وهب والخباب وأقاموا عند الصميل كرهائن ، ولو كان الأمر كله في ذلك ليوسف والصميل لقتلهم ، ولكن تقرأ من القرشيين في معسكرهما على رأسهم سليمان ابن شهاب والحصين بن الدجن حالوا بينها وبين ذلك . فلما فرغ يوسف من أمر سرسطة فكر في وسيلة يتخلص بها من سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن وغيرهما من زعماء القرشية ، فانتهاز فرصة انتفاض البشكنس فجمع جمعاً صغيراً من جنده ورواهم به وجعل على رأسه سليمان بن شهاب والحصين وأصحابها خيار القرشية « ويمنهم في صحف ولم يكره عطيمهم »^(١) . فلم يكادوا يفضون إلى دار الحرب ويلقون البشكنس حتى انقض عليهم هؤلاء ومزقوهم وقتلوا معظمهم ولجهم ابن شهاب ، وأسرع الحصين بنفهم إلى سرسطة وقلبه موغر على يوسف والصميل اللذين أرسلوا نومه إلى المهلكة ، وأقام عند أبي زيد عبد الرحمن بن يوسف ، وكان يوسف قد خلفه وراه عاملاً على سرسطة .

في هذه اللحظة تحركت في نفس الصميل عوامل القنوة التي عرفناها تبه في مناسبات كثيرة ، فمال إلى قتل رهائن القرشيين الثلاثة بعد أن قتل حاميهم سليمان بن شهاب وهلك معظم أنصارهم في بعث البشكنس ، وجعل يزين الأمر ليوسف ويؤكد له أنه إن فعل هذا خلصت الأندلس له ولولده ، وكان يوسف متقياً إذ ذلك يمكنه يقال له وادي شربة ، فاستجاب له يوسف وشرى

(١) الأخبار المصروفة ، ص ٧٧ .

أعناق عامر بن عمرو القرشي وابنه وهب والحباب بن رواحة على رغبة ،
 واطمان الصملي بعد أن شفى أحفاد نفسه من هؤلاء اليمينيين والقرشيين الذين
 كانوا يهلكونه أثناء حصارهم إياه بسرقطة ، اطمانت نفسه واستراح باله ،
 فنضى إلى حبياته . وكان فيه ابتداء . ليقول ، فلم يكذبته يوماً حتى طرقت
 سمعته خطوات رسول يوسف يحمل إليه نبأ عبد الرحمن واجتماع الناس إليه
 بطرش ، فكان المفاهيم لرايت أن لا يبدأ له بالخطبة بعد هذه الجرعة البسطة
 التي ارتكبها منذ خطفت (١) .

٣١٦- بدء الصراع لم يكذب يوسف يقرأ الخطاب حتى بعث يستدعي الصملي ،
 بن عبد الرحمن واتبه الصملي لخطورة الأمر وأشرك على يوسف بأن يجعل
 يوسف العبوي بالصملي بالسير إلى عبد الرحمن بين معه قبل أن يجتمع إليه الناس ويشهد
 أمره ، فلم يكذب يوسف يتحدث إلى الجند في هذا حتى صار
 فيه أكثرهم ، وكانوا متعيين من أثر هذه الحملة المشؤومة التي قاموا بها في بلاد
 البشكنس ، ثم إن الكثيرين منهم كانوا ساحطين على الصملي ويوسف بسبب ما
 فعلوا بأخوانهم القرشيين ، إذ ألقى بعضهم إلى الملكة وغدر بالباقيين ، لهذا لم
 يجه منهم إلا نحو عشرة كانوا هم حملة ألوية القبائل ، ولو أمكنهم التضايف
 لتضاموا ، أما الباقيون فقد طالت الشوق بهم إلى بيوتهم فتسللوا إلى أهلهم
 وتركوا يوسف والصملي وحدهما ، واستحال عليهما الذعاب ، وانقضى الوقت
 وأقبل الشتاء وهطلت الأمطار وحلت الأنهار ، فلم يجد الرجلان بداً من السير
 بمن معهم إلى قرظة . وجعل الناس يهزنون أمر عبد الرحمن على يوسف ، وقال
 بعضهم إنه لا يطلب ملكاً وإنما يطلب العيش الرغد ، فإن كساه يوسف ذلك
 وزوجه من بينه رضي وقنع وزال غطره ، واطمان الرجل إلى ذلك طيلة الشتاء
 كارها .

في ذلك الحين كان عبد الرحمن جلياً في توثيق أمره في طرش في دار أبي
 عثمان عبيد الله بن عثمان ، كانت جماعات موالي بني أمية قد توأمت عليه حتى
 اكتمل عقدها تحت لوائه ، وتصارح إليه اليمينيون لا يشكون في أنه متصرف لهم

(١) الأخبار المجموعة ، ص ٧٧-٧٨ .

من القيسيين وقائدهم العائين ، بل انضم إليه نفرٌ من القيسيين أنفسهم
 بترغيبهم جابر بن العلاء بن شهاب وأبو بكرين خلال العيدي والحسين بن
 المدحج ، وكانت قلوبهم موفرة على الصميل لما فعل بأصحابهم في حملة
 البشكنس والضربة رقاب من نجا منهم بعد ذلك ، وانضم إليه من ثقب ثلاثه
 نفر سيكون لهم في مجرى الحوادث أثر عظيم ، هم : تمام بن علفمة الشامي
 الذي ذكرناه وعاصم العريان وأخوه عمران ، وانضم إليه كذلك كثير من البربر
 لم تعطنا المراجع عنهم أي تفصيل ، ولكن معظم البربر كانوا على أي حال
 يأمنون اليمنيين وينضمون إليهم ، وكان هؤلاء قد تقربوا إليهم بعد هزيمة
 شقطة . هكذا تروى معسكر عبد الرحمن ، فأخذ ينظم صفوف أنصاره استعداداً
 للصراع الحاسم إذا انقضت الشتاء .

فلما أبلل الريح بدأت بطون مضر تتوافد إلى الصميل ويوسف حتى
 اكتمل جمعهم عندهما في لوطبة ، ويبدو أن عدد من اجتمع من القيسيين كان
 عظيماً ، لأن الأمويين واليمنيين المتجمعين إلى عبد الرحمن لم يلبثوا أن استبانوا
 قلة أعدادهم ونصحوا عبد الرحمن بالمرور على بقية منازل اليمنية في نواحيها لكي
 يصطحب منهم من يستطيع فسه ، وهذا يدلنا على أن اليمنيين رغم كثرة
 عددهم في الأندلس كان معظمهم منصرفاً إلى شؤون العيش في النواحي التي
 نزلوا بها ، فلم يكن ينجز منهم للقتال إلا أعداداً قليلة ، وربما كان هذا هو
 سبب تفوق القيسيين عليهم في ميادين الحرب ، فقد كان معظم القيسيين جنداً
 على البلاد أقبلوا مع بلج ، لم تثبت بعد أقدامهم في النواحي التي كان أبو الخطاب
 قد فرقهم فيها ، فكماتوا إذا دعا داعي الحرب ليس معظمهم وأسرعوا إلى
 الميدان ، ومن دلائل ذلك أن يوسف والصميل لم يكتادا يدهوان الجند بعد
 انقضاء الشتاء حتى توافد عليها معظم القيسية ، في حين كان لا بد أن يمر
 عيد الرحمن على اليمنيين في منازلهم ليحشد أكبر عدد منهم للصراع القليل .
 وجعل نفر من رجال يوسف يومه بأن عبد الرحمن لم يأت تلك ، وإنما
 يكفيه شيء من الخير وحسن الكفاية عند يوسف كما قلنا ، ففكر هذا في أن يعث
 إليه بشيء من الهدايا مع وفد من أنصاره يعرضون عليه الصلح والمصاهرة ، وتغير

يوسف ثلاثة من خيرة أنصاره هم عبيد الله بن علي شيخ قيس وخالد بن زيد كاتبه الأثير عنده وعيسى بن عبد الرحمن وكان من موالى بني أمية ، ولكنه نبت إلى جانب يوسف ، لأنه كان على أرزاق الجند وحشم يوسف ، وبعث معهم بكتاب يبلغ كتبه خالد بن زيد وأرسل كذلك كسي وفرسين وبنين ووصيفين وألف دينار ، فسار الرسل حتى بلغوا أرض من كورة رية ، فبدأ لعيسى بن عبد الرحمن أن يفتي هو بالهدايا في هذا الموضع ، ويذهب زميلاه بالكتاب ليريا إن كان عبد الرحمن يقبل الصلح أو لا يقبله ، فلما وصلوا إلى معسكر عبد الرحمن وجداه عامراً بالناس تتوارد عليه الوفود من أجناد دمشق والأردن وقتسرين وفدا بعد وفد ، وحديثه بالذي يعرضه يوسف من الصلح والمصاهرة والسلم ، ومالت قلوب نفر من أنصار عبد الرحمن إلى قبول ذلك ، ثم أخرج خالد بن زيد الكتاب وتاوله لعبد الرحمن ، فتاوله هذا لصاحبه أبي عثمان عبيد الله بن عثمان ليرد عليه بما يشاء ، وهم أبو عثمان بإملاء الجواب ، فملك الزهر خالداً وقال : « يا أبا عبد الرحمن ، لتعرفن أبطك قبل أن نجد فيه جواباً ! » قتلت هذه العبارة الجارية من نفس أبي عثمان ، وكان - كغيره من كبار عرب الأندلس - يكره خالداً ولا يرتاح إليه ، إذ كان خالد مولى أندلسياً اصطغته يوسف وصعد بمكاته ، وكان فيه هذا الغرور الذي سترقه في الكثيرين من الأندلسيين ، فأثار بقروره نفوس العرب حتى كرهوه وحسدوه على هذه المكاتة التي أصابها من نفس سيدهم ، وهو بعد مولى أندلسي أو « حليج » كما كانوا يسمونه . أصابت هذه العبارة نفس أبي عثمان فاستطاره الغضب فضرب بالكتاب وجه خالد وبسبه سباً فيحماً وأمر به فكبل بالحديد ، وحاول عبيد الله بن علي أن يتدخل لإنقاذ فلم يفلح . وهكذا فشلت هذه المفارقة بسبب هذه العبارة التافهة التي صدرت عن هذا المولى الأندلسي دون أن يقدر موضعها ، وعاد عبيد الله خائب السعي إلى أرض لبيد صاحبه عيسى بن عبد الرحمن فدأسرع عائداً بالهدايا التي معه . وقد انضم عيسى فيما بعد إلى عبد الرحمن ، وصنح عنه هذا وجعله من مواليه ، إلا أنه لم ينس له فعلته هذه أبداً^(١) .

(١) الأبحار المتجمعة ، ص ٨٠ - ٨١ .

سار عيد الرحمن بمن معه إلى شلونة حيث كان جند الأردن ، فانضم إلى جيشه كل من كان بها من اليمانيين وقضاة وقليل من جند الأردن أنفسهم ، وتحمس لعبد الرحمن شيخ عرب الأردن جدار بن عمر القيسي جند بني عقيل ، وصادف دعوتك عيد الرحمن شلونة يوم القطر سنة ١٢٨ (٨ مارس ٧٥٦) فأمر جدار خطيب المسجد بأن يسقط الخطبة ليوسف ويعلنها لعبد الرحمن^(١) ، فكانت هذه أول خطبة لعبد الرحمن على منابر الأندلس ، وصاحفه القضاة فانضم إليه قبيل من البربر يعرفون ببني الخليل كانوا يقيمون بناحية تاكرنا وكانوا موالي يزيد بن عبد الملك ، فأصبحوا في ولاء عيد الرحمن واشتد بهم ساعده ، وهذا كان مقام عبد الرحمن بشلونة مقاماً سميئاً على قصره : كتب فيه بضع مئات من الأنصار وسرع بغيه أول خطيب يدعو له . ثم نزل بمنارل جند فلسطين عند طرف شلونة فانضم إليه سراة القوم وجماعة الجند إلا بني كنانة ، فرح عيد الرحمن حرمة هذا الشيخ ولم يمس أبنائه أو حرمة بصره ، ثم سار إلى أشبيلية حيث جند حمص ، فخرج إليه خيارهم من اليمن شامياً وبلدياً . وهذا توي جمع عيد الرحمن بمن انضم إليه من هذه الأجناد الثلاثة ، وزاد حماسة وحماس من معه حتى نظر أحد رؤساء الجند فافأ جند الأردن سائرهم بلواتهم وجند فلسطين بلواتهم وجند حمص بلواتهم وعبد الرحمن في مواليه من غير سواء ، فقال : سبحان الله ، ما أشد خلافت أمرنا ! نحن بكورة وصاحبنا بلا سواء ، فأقبل أبو الصباح بن فلان الحمصي بفئة وعمامة ، والقنلة والعمامة لرجل من حضرموت لا أسمة ، ثم دعوا رجلاً من الأنصار لا أسمة تقاملوا باسمه ونسبه ، فعقد له بقرية قليبية من إقليم طشانة من كورة إشبيلية ، فأراد الله أن يكون هذا اللواء المتواضع المرحل لواء النصر لجند المسلمين في الأندلس حتى إمارة عيد الرحمن الأوسط ، وظل يرفرف على هامات المسلمين حتى حلق وبلي ، وألقى به عيد الرحمن ابن غاتم قائد الأمير عيد الرحمن بن محمد واستبدل به غيره فنشام بذلك جهور الفاند وبحث عن اللواء الخلق فلم يجدوه ، وانحصر من ذلك التاريخ

(١) ابن القوطية : احتجاج ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

٣١٧ - موقعة وتعجل يوسف والصميل السير من المنور شمالي قرطبة
 المصارة واتحدرا بن معها إلى ناحية مقابلة لبطشانة Tocina على
 الشاطئ الغربي للوادي الكبير ، وكان الوقت شتاء والوادي الكبير فياض
 بالماء ، فاستنعى على العسكرين أن يعبر أحدهما إلى الآخر ، ولبتا على ذلك حيناً ،
 ثم أراد عبد الرحمن أن يلتصق غرة من يوسف ويخزي بعسكره إلى قبالة قرطبة
 ثم يعبر إليها فيدخلها ، فأوقد نار معسكره بليل ، ثم ترك النار موقدة ومضى
 بعسكره ، وكانت تنجح الحيلة ، لولا أن تنبه لما يوسف وصاحبه فأسرعا
 عائدين إلى قرطبة ، فكانتا مع جيش عبد الرحمن في سباق ، ووقف الجيشان مرة
 أخرى ينظر أحدهما إلى الآخر عند المصارة على مقربة من قرطبة ، وكانت كفة
 يوسف أرجح ، لأنه كان مغطياً مع قومه في ناحية زرع وسخير ، في حين كان مقام
 عبد الرحمن في غابات لا مزارع فيها ، فأقام جنده في محل لا يلتفتون إلا ببعض
 الفصول الأخضر أصابوه مما حولهم ، وكانوا يرجون أن يدخل بهم صاحبهم
 ليقيموا أنفسهم بما فيها من الخير ، ولكنهم لم يستطيعوا^(٢).

ثم أقبل يوم الخميس التاسع من ذي الحجة سنة ١٣٨ (١٣ مايو ٧٥٦)
 فاستنصر به عبد الرحمن لأنه يقابل اليوم الذي وقعت في قده معركة مرج راهط
 وانتصر فيها أموي آخر هو مروان بن الحكم على فهري آخر هو الضحاك بن
 قيس ، فقرر أن يخوض المعركة الحاسمة مع يوسف الفهري يوم الجمعة التالي ،
 ومن ثم أمر جنده أن يستعدوا ليوم الفصل^(٣) .

وفي صباح يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨ (١٤ مايو ٧٥٦)

(١) الأخبار المصنوعة ، ص ٨٤ . . .

(٢) ابن القوطية : افتتاح ، ص ٢٦ .

(٣) الأخبار المصنوعة ، ص ٨٦ .

(٤) ابن القوطية : افتتاح ، ص ٢٦ - ٢٧ .

ابن عدي : البيان ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

صف عيد الرحمن جيوشه في ترتيب وإحكام ، ولم يكونوا ليزيدوا في العدد عن
 خصومهم ولكنهم كانوا أشد تلهفاً على القتال ، ولم يكن معظمهم متحمساً
 لفضية عيد الرحمن بقدر ما كان رغباً في إيذاء ثأره من القيسيين وشيوخهم
 الصميل ويوسف ، وكان عيد الرحمن يعرف هذا ويشعر به ، فمضى يدبر الأمر
 في حرص وحذر وحكمة : ظل يتظاهر بأن الأمر كله لأبي عثمان عبيد الله بن
 عثمان شيخ الموالي ، فلا يبرم أمراً بدون رأيه ، ولكنه كان يعرف كيف يسيطر
 على هذا الرجل ويسيره في الطريق الذي يريد في كياسة وحكمة ، ومن دلائل
 ذلك أنه أحب قبل المعركة أن يشحذ همم اليمينين فسألم في شيء من الذكاء :
 « إنا لم نجيء للمقام ، وقد دعانا هذا الرجل إلى ما علمتم ، وعرض ما
 سمعتم ، ورأى سرايكم تبع ، فإن كان عندكم صبر وجلد وحب للمكافأة
 فأعلموني ، وإن كان فيكم جنوح إلى السلم والصلح فأعلموني » (١) . قال هذا
 الكلام وهو يعلم أنه في نفوسهم ، فلم يكذب بفرغ منه حتى أصفوا على القتال
 جميعاً وزاد حماسهم ، فمضى يعين القواد : فأقام عيد الرحمن بن نعيم الكندي
 على أهل الشام ، وأقام على وجمالة بني أمية وجماعة البربر عاصم العريان ، وكان
 من كبار الأموية ، وقد بلغ من حماسه لعيد الرحمن أن خلع سراويله قبل المعركة
 ليكون ذلك أمون له على القتال فسمي العريان ، وجعل على حبل بني أمية
 حبيب بن عبد الملك القرشي ، وجعل على حبل البربر إبراهيم بن شجرة الأودي
 وكان من كبارهم ، وأعطى لواء جيشه كله لأبي عثمان عبيد الله بن عثمان ،
 ووقف هو وسط حبل بني أمية على فرس أشقر ممسكاً بقوسه ، وعلى هذا النقام
 غير الزاني الكبير والنضى إلى الضفة القليلة دون أن يعرض له يوسف أو أحد
 من رجاله ، ويدعو أنه كان يؤمل في الصلح ما يزال ، وعلى ذلك كان كثير من
 أنصاره ، لم يتوضوا المعركة إلا بعد أن وضعهم عيد الرحمن أمام الأمر الواقع ،
 فلم يحدوا عن القتال مندوحة .

(١) أخبار المجموعة ، ص ٦٢ .

ابن الفوطي ، ص ٢٨ .

ورتب يوسف جيشه : فجعل على خيل الشام ومصر كلها عبيد الله بن علي ، وعلى الرجاله كنانة بن كنانة وجوشن بن الصميل وعبد الله بن يوسف الفهري ، وجعل على خيل غلمانه وصنائه من البربر غلامه خالداً سودي .

وأخذت جماعات من مسلمي قرطبة تنضم إلى عبد الرحمن قبيل المعركة ، لأن عدداً عظيماً من موالي خلفاء بني أمية وهمالهم كانوا قد سكنوها منذ زمن طويل ، فصار جيشه بهذا أكثر عدداً وإن كان جيش خصمه أكثر انسجاماً ، وقد لاحظ عبد الرحمن أن نضراً من أنصاره اليمانيين يتحدثون عن فرسه الأشقر ، ويخشون أن يكون قد تمهره خاصة ليهرب به إذا دارت الدائرة عليه ، بل كلمه جماعة منهم في ذلك صراحة ، فلم يكن منه إلا أن رجا أبا عثمان عبيد الله أن يعطيه بملكه ، محتجاً بأن فرسه الأشقر لا يثبت تحت ، وهو إنما يريد مركباً تابعاً ليستطيع أن يرمي بقوسه على ظهره ، فقبل أبو عثمان وطابت نفس اليمن ، وهذا يدلنا على أن اليمانيين كانوا يخشون القيسية بعد ما لقوا من الهزائم على أيدي وجالها ، ولو لم يكن فيهم هذا القبي عبد الرحمن لدارت الدائرة عليهم ، بل لما همضوا للقتال أصلاً^(١) .

دارت المعركة على مقربة من المضارة من الرياض قرطبة ، وقد بدأ القتال بهجوم عنيف قامت به خيل عبد الرحمن على قلب جيش يوسف والصميل ، فلم ينجس إلا قليلاً حتى قتل عبد الله بن يوسف وجوشن بن الصميل ، فلم يعسر الرجلان على القتال بعد ذلك ووليا الفرار بين معهما ، وثبتت خيل قيس يقودها عبد الله بن علي القرظي ، فلم يزل عبد الرحمن بن تميم ومهاجم الغريمان ومن معهما من الفرسان يشتدون في الهجوم حتى قتلوا عبيد الله بن علي وقرأ من كبار القيسية ، فانفرط عقد من بقي وولوا مدبرين ، وكسب عبد الرحمن ذلك اليوم الحاسم الذي كتب فيه للأندلس بل للغرب الإسلامي كله تاريخ جديد ، وسار عبد الرحمن ودخل قصر قرطبة ، وكان من غرائب المقادير أنه ورجاله أكلوا من

(١) الأناضل المجموعة ، ص ٨٩ .

نفس الطعام الذي كان يوسف قد أعدّه لنفسه ولأصحابه إذا فرغوا من المائدة^(١).
 فلما انتصرت البيعة وقعوا فيها كانوا يتعمون فيه قلب كل نصر حاروه في تاريخهم : ملكهم الجشع في المغنم وكادوا يضيعون ثروة النصر بسوء التصرف وقلة الكياسة ، ذلك أن جماعة منهم غرهم هذا النصر فحسبوا أنهم يحسنون صنعا إذا انقلوا حل عبد الرحمن وموالي بني أمية لكي يصبح النصر خالصاً لليمن ، لأن عبد الرحمن ومواليه كانوا من مضر أيضاً ، وقد دعا إلى ذلك رجال من جلام وتحاطبوا فيه قضاة ، فابت قضاة ، واختلف الحيان فلم يفلح التدبير ونجا عبد الرحمن ومواليه ، وقد علم عبد الرحمن بهذا الأمر إذ أنها إليه جذامي يسمى ثعلبة بن عبيد فاحترس لنفسه وضم مواليه ، واحترس من أبي الصباح الداعي إلى هذا الأمر الخطير ، وأنشأ نفسه شرطة جعل عليها عبد الرحمن بن تميم ، وهذا أول منصب رسمي ينشأ حل عهد هذه الدولة الجديدة^(٢) .

وتسمرت البيعة بما عرف عنها من الجشع في المغنم والإسراف في ذلك ، وأسرع رجلاان من طيء فاتحيا دار الصميل بين حاتم بشتندة ، والرجل ينظر إليها من قمة تل مجاور كان قد هرب إليه حل طريق جبان مشرف حل قرية شيلار ، فعلا نفسه الأم وتقتل قاتلاً :

ألا إن سأل عند طيء وديعة ولا بد يوماً أن ترد السودائع
 وكان فيما انتهت صندوق فيه عشرة آلاف دينار دراهم ، مما يلدنا حل
 عظم الثروة التي كان هذا الصميل يحتجها ويخص بها نفسه . ولم يستطع

(١) ابن القزعة : اقتطاع ، ص ٢٨ .

الأخبار المصنوعة ، ص ٨٩ - ٩٠ .

ابن عساري : البيان للفرج ، ج ٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

فتح الأندلس ، ص ٥٥ - ٥٦ .

DOZY, *Man. d'Esp.* I, pp. 222 - 223.

LEVI - PROVENÇAL, *Man. de l'Esp.* Man. I, p. 23 - 24.

(٢) ابن القزعة : اقتطاع ، ص ٣٠ .

الأخبار المصنوعة ، ص ٩٠ .

عبد الرحمن أن يكفب اليمينيون عن النهب إلا في مشقة ، وقد أبدى من النبل كرمًا عظيمًا ، إذ تعفف عن حريم يوسف وضم زوجته وابنته إلى أهله ، وأهدت إليه زوج يوسف الحارثية ، حفلى ، التي ستكون أم ولده وولي عهده هشام . وأقر صاحب صلاة يوسف الفهري على عمله ، وكان فهرياً ، وسيدرك عقبة في خلال الدولة الأموية نباحة وذكراً ، وكذلك أقر يحيى بن يزيد قاضي يوسف على عمله .

ولم يرض اليمينيون من عبد الرحمن هذا التعفف لو ذلك الكرم ، ويبدو أنهم لم يكونوا ليحبسوا إلا أنه سيكون دائماً طوع بينهم فيصرفون الأمر كما يشاؤون ، فاجأهم عبد الرحمن بعد انتصاره بوضع يده على الأمر كله ، فبدأت تقوسهم تغيير عليه ، ومن ذلك الحين تبدأ مؤامراتهم وثوراتهم عليه^(١).

٣١٨ - قيام
الدولة الأموية
الأندلسية
ثم دخل عبد الرحمن للمسجد الجامع وصل بالناس وخطبهم من منبر قرطبة لأول مرة ، فوعدهم بالعدل والإحسان ، ونسب طبع أن تقول إن الدولة الأموية الأندلسية قد قامت فعلاً من هذا اليوم ، وبدأ في تاريخ الأندلس عصر جديد^(٢) ، وكان ذلك يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ ١٤ مايو ٧٥٦ .

٣١٩ - مصر
يوسف الفهري
والصميل
ابن حاتم
وحاول يوسف الفهري والصميل بن حاتم أن يستعيدا ما ضاع من أمرهما على غير طائل : ذهب يوسف إلى طليطلة ليجمع نفراً من أنصاره ، وذهب الصميل إلى جيان ليستنصر من فيها

من معد ، ثم التقيا واستوليا على جيان وطردا المحضين بن السديج عاملها لعبد الرحمن ، ثم مشيا إلى البيرة ففر عاملها جابر بن العلاء بن شهاب ، ووجد عبد الرحمن أن لا مندوحة له عن السير نحوهما ، فلم يكف بغادر قرطبة حتى فاجأها أبو يزيد أحد أبناء يوسف الفهري بفر من أنصاره أتبعوا معه من ماردة ،

(١) الأخبار المصنوعة ، ص ٩٠ .

(٢) ابن القوطية : الفتوح ، ص ٢٩ .

ابن عسار : البيان ، ص ٢٠ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

فعاد عبد الرحمن إليها ، ووجد أن لا مقر من أن يلجئ على حراستها رجلاً ينقذ فيه فعمد في ذلك إلى عامر بن علي جد بني قهر الرصافيين ، واستوثق من أمره ثم مضى نحو خصمه . ولم يكذب عبد الرحمن يرضى بن معه من الجند إلى البصرة حتى أحسن التصحيل ويوسف أنها لن يستطيعا له حرباً ، ففرضوا الصلح على أن يدع لها عبد الرحمن ما كان لها من الأموال والأموال ، وأجابها عبد الرحمن إلى ذلك على أن يستودعه يوسف الفهري ابنه أبا زيد عبد الرحمن وأبا الأسود محمد ، واتفق يوسف وعبد الرحمن كذلك على تبادل الأسرى ، فكان من عرائب المفادير أن عبد الرحمن رد إلى يوسف خالد بن زيد كاتبه القوي الإسماعيلي في نظير أبي عثمان عبيد الله بن عثمان ، وكان عبيد الله هو الذي ضرب وجه خالد وأسر بتكليفه يوم تحدها خالد أن يكتب رداً لخطابه على ما رواه^(١) .

وعاد عبد الرحمن إلى قرطبة وقد دانت له الأندلس جميعها ، عاد ولي ركاية يوسف والتصحيل ، فمن لطيف ما يمكن أن عبث عبد الرحمن استبان امتياز التصحيل ، ولا غرامة فالرجل من الأرومة العربية في أعلى مكان ، قال عبد الرحمن : « لله بلاهه . لقد صحني من البصرة إلى قرطبة ما مست ركبته وكنتي ولا تقدم رأس يخله رأس يغل ، ولا استهمني في حديث ، ولا اتضح حديثاً بغير أن أسأله عنه » ، ثم يقول صاحب « الأخبار المجموعة » بعد ذلك : « ولا يذكر - أي عبد الرحمن - مثل ذلك عن يوسف . . . »^(٢) ، وهي ملاحظة لها معناها ، واستقر الرجلان على كرامة وتوسعة . وأقبل كثير من الناس يطالبها بحقوق لهم عندهما من أيام ولايتها ، فأحاطهم عبد الرحمن إلى القاضي يحيى بن يزيد التجيبي ، وكان الناس يسيرون أن القاضي ينتهز هذه الفرصة ليثني نفسه من هذين الرجلين اللذين أحلقا بقوم اليمن شر الأذى ، ولكن القاضي امتلك نفسه ، فلم يقض في أمرهما إلا بالحق ، وظل الرجلان على ما أقرها عبد الرحمن عليه من الأكرام^(٣) .

(١) الأخبار المجموعة ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٩٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٩٤ - ٩٥ .

يد أن يوسف لم يطمئن إلى أمان عيد الرحمن ، وظلت المخاوف تساوره من ناحية ، فلم يزال يتحين الفرصة حتى فر من قرطبة ، وحاول أن يستميل الصيقل والشامية إلى جانبه فلم يوفق ، فمضى إلى جماعات من البلديين في لقتت وماردة وطليطلة ، وما زال يجم حتى أغراهم بالانضمام إليه ، فثاروا بعيد الرحمن في هذه النواحي ، وأسبغ عيد الرحمن أن يكون يوسف قد قام بهذا العمل من تلقاء نفسه ، واتهم الصيقل بالتدبير عليه ، وبعث حاور الرجل تبرة نفسه ، وانتهى أمره بأن ألقى به في السجن . وسجن معه ابني يوسف وكانا عنده رهنين .

واستطاع يوسف أن يضم جماعات من البلديين ، فسار بهم من لقتت إلى أشبيلية ، ومن غريب الأمر أن معظم البلديين - بل والشاميين - في هذه الناحية انضموا إليه ، مما يدل على أن حرب الأندلس كانوا إلى ذلك الحين أميل إلى الفوضى والاضطراب ، وأبعد عن فهم قيمة استقرار الأمور وعودة السلام . جمع يوسف نحو عشرين ألف عسري حاصر بهم عامل أشبيلية لعيد الرحمن ، وكان مروانياً يسمى عمر بن مروان قدم على عيد الرحمن منذ قليل في صحبة نفر من الأمويين تذكروهم جزئي بن عبد العزيز بن مروان بعد أن استمرت قدم عيد الرحمن في الأندلس ، ولم يكن لدى عيد الملك إلا نفر قليل من الفيسيين . ويدا اليوسف أن يعجل بالسير إلى قرطبة قبل أن يستطيع عيد الرحمن جمع قواته والسير إليه ، ولكن الحظ لم يساعفه ، إذ إن عيد الرحمن استطاع أن يجمع جمعاً من أنصاره وسير بهم نحو أشبيلية ، ولم يكفد يوسف يتحرك نحو قرطبة حتى جمع عامل مورور لعيد الرحمن - وهو عيد الملك بن عبد الله - من كان عنده من القيسية ثم انضمت إليه جماعة أخرى وسار بهم خلف يوسف وبعثوا يريدون مهاجمة عسكر يوسف من خلف . فتخوف يوسف أن يقع بين الفريقين ، فعاد نحو أشبيلية يريد أن يعجل بالقتضاء على عيد الملك. ومن معه تهل وصول عيد الرحمن ، واشتبك القتال بين الجيشين وانهمز يوسف هزيمة قاسمة . ومضى يوسف نحو طليطلة ليلجأ إلى صديق له يسمى أبا عروة لا يصاحبه غير مولى

فارسي يسمى سابقاً ووصيف واحد ، فلما صار على عشرة أميال من طليطلة مر بعبد الله بن عمر الأنصاري ، وهو بقربة من قري طليطلة - « فقبل له : هذا يوسف مهزماً ! فقال لأصحابه : ويحكم ! انخرج بنا فقتله ونسرح الدنيا منه ونريجه من الدنيا ونسرح النعام من شره ، فقد صار رجلاً تاجشاً للحرب ، فخرج حتى لحقه وليس بينه وبين مدينة طليطلة إلا أربعة أميال ، وليس معه إلا سابق الفارسي مولى لبني تميم ومن يجهله يقول مولى يوسف ، وبقية بسرفطة ، ووصيف واحد فقط وقد ماتوا من شدة الركض ، وليس معهم متعة ولا مدفع ، قتل عبد الله يوسف القهري ، وقتل سابق وهرب الغلام حتى دخل قرطبة ، وأقبل عبد الله على عبد الرحمن الداخل يرأس يوسف فعجل هذا بقتل أبي زيد ابن يوسف وأبلى على أخيه أبي الأسود نصفر منه ، ولما أقبل الليل بعث إلى الصميل من عتقه ليستريح من أمره جملة^(١) .



٣٢٠-٣٤٠ هـ
عصر الولاة
هكنا صفا الجول لعبد الرحمن وصار له أمر الأندلس كله غير منازع ، وانتهى على يده العصر الأول من عصر الأندلس الإسلامية وهو عصر الولاة . انخض من الميدان آخر وجلين كانا يمثلان هذا العصر « الجاهلي » في تاريخ الأندلس ، انخضا حاملين معها شارات العصبة وأوضاع القبيلة ، وخلفا الأندلس لتقوم فيه دولة إسلامية واحدة تقيم شأن الأندلس الإسلامي بعد أن كاد ينهار . وكان من حظ الأندلس أن انخض هذا العصر المضطرب ، ولو لم تفلأ قدم عبد الرحمن لرض هذه البلاد لصار تاريخ الإسلام فيها إلى ما سيصير إليه تاريخ الإسلام في صقلية بعد ذلك بنيف وثلاثة ثرون : اختلاف وتفريق وحروب بين المسلمين ، ثم بكتسحهم أعدائهم وينتهي أمر الإسلام في الجزيرة .

(١) ابن القوطية : افتتاح ، ص ٣٠ .

الأخبار المصنوعة ، ص ١٠٠-١٠١ .

ابن خلدون : البيان ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٠١-٢٠٢ .

مَرَاجِعُ الْكِتَابِ

١- مَرَاجِعُ عَرَبِيَّة

- ابن الأثير، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاةي : الحلقة السوداء، طبعة دوزي،
ابن الأثير الجزري : أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة ١٣٨٠ هـ .
- الكامل في التاريخ : طبعة نورنبرج، لايدن ١٨٦٧-٧٦، وطبعة القاهرة
١٩٤٩ .
ابن حزم القرطبي : جوهرة أنساب العرب، طبعة ليفي پروتستان، القاهرة
١٩٤٨ .
ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلبي : صورة الأرض، الطبعة الثانية
بإشرافه كراوز، لايدن ١٩٣٨ .
ابن حيان . حيان بن خلف : المختصر في تاريخ رجال الأندلس، طبعة أنتونيا،
باريس ١٩٣٧ .
ابن الخطيب، إسماعيل الدين : الإحاطة في أخبار غرناطة، طبعة محمد عبدالله
عنان، الجزء الأول، القاهرة ١٩٥٦ .
- أهوال الأعلام فيمن بوج قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يحسر ذلك من
شجون الكلام، نشره ليفي پروتستان، الرباط ١٩٣٤، ثم أعاد طبعه في بيروت ونشره
بعنوان «تاريخ إسبانيا الإسلامية» سنة ١٩٥٦ .
ابن خلدون، عبد الرحمن : المقدمة، طبعة لويس شيخو، بيروت ١٩٠٨ . وترجمة
فرنسية بقلم البارون دي سلاله، باريس ١٨٦٨ .

- كتاب العمير، بولاق ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م (٧ أجزاء) .

- أخبار البربر ومواليهم من زكاة وذكر أوليهم وأبيائهم، وما كان بتدبير المغرب خاصة من الملوك والدول، وهو الكتاب الثالث من العمير ويؤيد المبدأ والخبر وقد نشره دي سلان وطبعه في الجزائر ١٢٦٧/ ١٨٥١ بعنوان تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، ثم أعيد ترجمته إلى الفرنسية ونشر الترجمة باسم «تاريخ البربر» سنة ١٨٦٠، وأعيد نشره حديثاً بإشراف المستشرق كلانوقا في باريس سنتي ١٩٢٨ - ١٩٤٠ .

ابن عبد الحكيم، عبد الرحمن: فتح مصر والمغرب والأندلس، طبعة شارل توري، مطبعة جامعة بيل ١٩٢٢ .

ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، طبعة دوزي الجزان ١٧١، لايدن ١٨٤٨ - ١٨٥١، والجزء الثالث نشره ليلي برونتسال في باريس سنة ١٩٢٠. ثم أعاد برونتسال وكولان نشر الجزءين الأول والثاني في لايدن سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ .

ابن القزويني: تاريخ علماء الأندلس، طبعة كويمبرا، مدريد ١٨٩٠ - ١٨٩٢ .

ابن تينة: الإمامة والسياسة، القاهرة ١٩٠٤ .

ابن الفوطي، أبو بكر: تاريخ افتتاح الأندلس، أعده للنشر جاباتيوس ونشره خيلان ريبيرا ١٩٢٩ .

أبو زكريا: تاريخ أبي زكريا، ترجمه وعلق عليه Emile Masqueray الجزائر ١٨٧٨ .

أبو الحسن، جمال الدين يوسف بن تفرج بردي: التجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، صدرت ١١ جزءاً ابتداء من سنة ١٩٢٨ .

أبو يوسف: كتاب المراج، القاهرة ١٣٥٢ هـ .

أخبار مجموعة في تاريخ الأندلس: نشره وترجمه وعلق عليه لافونتي إي الكنترا، مدريد ١٨٦٧ .

الإدرسي، الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. نشر الجزء الخامس بالأندلس والمغرب دوزي ودي سويه في لايدن تحت عنوان:

Description de l'Afrique et de l'Espagne

الإسطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: مسالك الممالك، طبعة دي
نخريه لايدن ١٨٩٦-١٨٧٠ ثم أعيد طبعه سنة ١٩٢٧.

البغدادي، عبد القادر بن طاهر: الفرق بين الفرق، القاهرة ١٩١٠.

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز: حكمة إفريقيا، مستخرجة من كتاب
المسالك والممالك، نشرها البارون في سلان في الجزائر ١٩١٠، ثم ترجمها إلى الفرنسية
ونشرها في الجزائر ١٩١٣.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فوح البلدان، القاهرة ١٣١٨.

جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، القاهرة (طبعة ١٩٥٧، واجدها وعلم
عليها حسين مؤنس).

الحديدي، ابن عبد النعم: الروض المطار في غير الأقطار، نشره مع ترجمة
فرنسية وتعليقات أبي بروفانسال في لايدن ١٩٣٦.

الحشي، محمد بن الحارث بن أسد: تاريخ فضاة قرطبة، نُشر مع ترجمة إسبانية
الرييرا، مدريد ١٩١٤.

الحوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب: كتاب طبائع العلوم،
لايدن ١٨٩٥ والقاهرة ١٣٤٤هـ.

الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الأنصاري: معالم الإيمان (٤ أجزاء)
تونس ١٣٢٠/١٩٠٢.

الدينوري، أبو حنيفة: الأعيان الطوائف، القاهرة ١٣٣٠/١٩١١.

السلابي، أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،
القاهرة ١٣١٠ - ١٣١٢.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين: تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين
القائمين بأمر الأمة، القاهرة ١٣٥١.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، طبعة و
كيورتون، لندن ١٨٤٢، والقاهرة ١٣١٧.

الضي: بغية الملخص في تاريخ رجال أهل الأندلس، طبعة ورييرا، مدريد
١٨٨٤ - ١٨٨٥.

الطري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، طبعة دي حويه، لايدن ١٨٨٦ وما بعدها، وطبعة القاهرة: ١٩٣٩.

الغازي، أحمد بن عمر بن أنس: نظام المرجان في المسالك والممالك والبلدان (مخطوط يعده لكتشر الدكتور عبد العزيز الأحرابي).

عنان، محمد عياد: عولة الإسلام في الأندلس - المصرد الأول، القاهرة: ١٩٤٣.
الغساني، محمد بن عبد الوهاب: رحلة الوزير في التفكك الأسير، طبعة الفريد البستاني، العراق: ١٩٤٠.

لدانة بن جعفر، أبو الفرج: كتاب الحجاج وصناعة الكتابة، لايدن ١٨٨٩.
القرشي، يحيى بن آدم: كتاب الحجاج، بتحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: ١٣٤٧.

الكتاني، عبد الحفي: فهرس الفهارس، فاس ١٣٤٦.
المالكي، أبو بكر: رياض القوس (الجزء الأول) نشر وتحقيق حسين مؤنس، القاهرة: ١٩٥٩.

المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، طبعة دوزي، لايدن ١٨٨٦ وطبعة محمد سعيد العربي، القاهرة: ١٩٤٨.

المسعودي: مروج الذهب، طبعة باريه دي سينر وباليه دي كورل، باريس ١٨٧٦-١٨٧٦.

القديمي، شمس الدين: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة دي حويه، لايدن ١٩٠٦.

المري، أبو العباس أحمد: فتح الطيب من حصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، طبعة دوزي ودوجا وكريميل ورايت، لايدن ١٨٥٥-١٦١.
وطبعة الشيخ محي الدين عبد الحميد، القاهرة: ١٩٤٩.

- تاريخ الدول الإسلامية في إسبانيا، ترجمة إنكليزية جزئية لفتح الطيب مع تعليقات بقلم ب. دجايانجوس، لندن ١٨٤٠-١٨٤٣.

القريري، تقي الدين أحمد بن علي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، طبعة مستغلة لمت عنوان:

-: المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعه القاهرة ١٩٠٦-١٩٠٨ .

مؤنس، حسين: فتح العرب للمغرب، القاهرة ١٩٤٧ .

البياهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن: تلويح قصة الأندلس المسماة الرقبة
العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشره ليقي بروانسال، القاهرة ١٩٤٨ .

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب،
طبعه دار الكتب المصرية، وطبعة جيهان ومجربو (الجزءان ٢٢ و ٢٣) الحاصلان بالمغرب
والأندلس، مدريد ١٩١٧ .

ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي الرومي: معجم البلدان، طبعه
السامي، القاهرة ١٩٠٦ .

اليقوي: كتاب البلدان، طبعه دي غريه، لايدن ١٨٩٢ .

ب - مَراجِع غير عَرَبِيَّة

- Aguado Heye.** *Manual de Historia de España*, 2 vols Madrid, 1947- 1950.
- Asín Palacios, miguel.** *Abenmarrú y su escuela, orígenes de la filosofía hispánico musulmana*. Madrid 1914.
- Baer, Fritz.** *Die Juden in christlichen Spanien*, VI Teil, Urkunden und Register. Berlin, 1928.
- Bullietros Rafael.** *Histoire d'Espagne des origines à nos jours*. Paris, 1938.
- Barrau- Dihiga, L.** *Recherches sur l'histoire politique du Royaume Asturien*, dans *Revue Hispanique* LII, 1921.
- Becker, C. H.** *Beiträge zur Geschichte Aegyptens unter dem Islam*, 2 Hefte.
- *Die Entstehung von Uq̄r und Iharagland in Aegypten* in *Zeitschrift der Assyriologie*, XVIII (1904- 1905)
- *Papyri Schott Reinhardt*, 1 Heidelberg, 1906.
- Belufer, José Abenmany.** *La geografía de la Península Ibérica en los escritores árabes*, (*Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino*) tomo IX, 1919
- Cirat, G.** *Étude sur l'historiographie espagnole*. Bordeaux 1904.
- Codera, F.** *Estudios críticos de historia árabe española*. Madrid, 1917.
- Conde, José, Antonio.** *Historia de los Arabes en España*. Madrid, 1820.
- Condeminas, Francisco y Luis Vissintin.** *Atlas Histórico de España*

Cronica Mozárabe de 754. (Atribuida a Isidoro Pacense por el P. Florez. Publicada por Mommsen bajo el título de *Continuatio Hispana* en 1885).

De Lagoy, M. *Description de quelques Médailles inédites de Marseille*, Aix, 1834.

Dauy, Reinhardt Peter-Ann. *Etudes sur la conquête de l'Espagne par les Arabes, dans Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen-âge*. Lyde, 1881.

- *Histoire des Musulmans d'Espagne* (2e, édition revisée par Lévi-Provençal) Leyde, 1932.

- *Script. Ar. Locale Abbas.* Lyde, 1846-1863.

Dubler, César E. *Sobre la Cronica Arabigo-Bizantina de 741 y la Influencia Bizantina en la Península Iberica (Al-Andalus, Vol. XI fasc. 2, Madrid-Granada, 1956).*

- *Ueber Berberiedlungen auf der iberischen Halbinsel*, in *Festschrift J. Jud.* Zurich, 1943.

Elias Torres. *Linajes Arabes en Al-Andalus, segun la "Jamhara" de Ibn Hasm*, Al-Andalus, Vol. XXII fasc. 1-2

Fernández y González, Francisco. *Estado social y político de los Mudéjares de Castilla*. Madrid, 1866.

Florencia de leyendas heroicas españolas. Rodrigo, el último godo. Compil. por Ramon Menéndez Pidal. Madrid, 1925.

Fournel, Henri. *Les Berbères; étude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes*, 2 Vols. Paris, 1875.

Gautier, E.F. *Le pays de l'Afrique du Nord*. Paris, 1937.

Gayangos, Pascual. *The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, 2 Vols. London, 1840-1843.

- *Memoria sobre la Asistencia de la crónica denominada del Moro Raris*. Memorias de la Real Academia de la Historia. Madrid, 1852.

Goerra, A. Fernandez. *Caida y Ruina del Imperio Virigético-español* Madrid, 1883.

Herculano, Alejandro. *Historia de Portugal*. Lisboa, 1863.

Huici Miranda Ambrosio. *Las Crónicas Latinas de la Reconquista*. Valencia, 1913. 2 Vols.

Vol. I. Crónicas burgalesa, complutense, compostelana, del cerretense, de Don Juan Manuel, albedense, de Sebastian de Sampedro, de Polayo y de Cardoña, y Anales complutenses, compostelanos y toledanos

Vol. II. Crónica del Silense y Crónica de Alfonso el Emperador.

Irving, Washington. *Legends of the Conquest of Spain*

Isidoro de las Casillas. *Los Mozárabes*. Madrid, 1947- 1949.

- *Los Mudejares*, 2Vols. Madrid, 1948.

Isidoro Hispalense (San Isidoro Arzobispo de Sevilla). *Divi Isidori... Historia de Regibus... Suevozum*. Esp. Sagr. III,IV.

Isidoro Pacensis. *Vasee Gronca*.

وقد رجعت إلى النسخة التي نشرها لأخوتي الكاترا ذلاً على ترجمته الإسبانية للأخبار
المجموعة.

Jacob. *Sources of Spanish Jewish History*. New-York, 1894.

Lafuente y Alcántara/Ajbar Machma. Madrid, 1867.

- *Cronología de los gobernadores de España*. Apendice III de Ajbar Machma.

Lafuente y Zamalloa, Modesto. *Historia general de España desde los tiempos primitivos hasta nuestros días*. 30 Vols. Madrid, 1850-1867.

Lammens, H. *Essai sur le règne du calife omeyyade Mu'awiya Ier*. Beyrouth, 1908

- *Le Califat de Yazid Ier*. Beyrouth, 1921)

- *Etudes sur le siècle des Omeyyades*. Beyrouth, 1930.

Legendre, Maurice. *Nouvelle histoire d'Espagne*. Paris, 1938.

Lembke. *Geschichte von Spanien*. Gotha, 1833.

Levi-Provençal, E... *Historia de l'Espagne Musulmane*. Paris, 1951.

- *L'Espagne Musulmane au Xc. Siècle*. Paris, 1932.

- *La Péninsule Ibérique*. Leyde, 1938.
- *Islam d'occident* (Études d'histoire médiévale). Paris, 1948.
- Llanos, Estanislao Remolinos. *Historia de la villa de Gijón desde tiempos más remotos hasta nuestros días*. Gijón, 1867.
- Lot, Ferdinand. *La fin du monde antique et le début du moyen-âge*. Paris, 1927.
- Lucas de Tuy. *Cronica Mondí*, Vol. IV de Hisp. Ilustrada dirigida por Mariani. PP. 1-116.
- Madeu, J.F. *Historia Crítica de España*. Madrid, 1805.
- Menéndez Pidal, Ramón. *Historia de España*. Madrid, 1940.
- *La España del Cid*. Madrid, 1929.
- *Origenes del Español*. Madrid, 1959.
- Menéndez y Pelayo, Marcellino. *Historia de los Heterodoxos Españoles*. Madrid, 1946.
- Miguel de la Luna. *Historia Verdadera del Rey Rodrigo*.
- Mommsen, Theodor. *Auctorum Antiquissimorum*, toms XI, Cronica Minora (Secc IV, V, VI, VII). Berolini. 1893.
- Moncaut, Genat. *Histoire des peuples et des États péninsulaires* (2e. éd. 1873).
- Monés, Hussein. *Essai sur la chute du Califat Omeyyade de Cordoue*. Le Caire, 1947.
- Neuman, Abraham, A. *The Jewish Spain* (Philadelphia The Jewish Publication Society of America) 2 volumes, 1948.
- Perles, J. *Rabbi Salomo ibn Abraham ibn Aderah*. Breslau, 1863.
- Primera Cronica General de España (ed. Menéndez Pidal) Madrid, 1906)
- Ribera, Julian y Tarrago. *Disertaciones y Opusculos*. Madrid, 1928.
- Rodericus Toletanus (Jiménez de Rada, Rodrigo, arzobispo de Toledo) *Reveru in Hispania gestarum chronicon* en Hisp. Ilustr II.PP.25- 191.
- Saavedra, Eduardo. *Estudio sobre la invasión de los Arabes en España*

Madrid, 1882.

- Polayo, *Conferencia histórica*. Madrid, 1906.

Saint-Saud, Le Conte, *Monographie des Pècos de Europe, Etudes et Voyages*. Paris, 1923.

Sala, Julio Saneaz Garcia, *Gijón en la historia general de Asturias*.

Sánchez-Albornoz. *Fuentes de la historia hispánico-musulmana del siglo VIII*. Mendoza, 1942.

Schacht, Joseph. *The Origin of muhammedan Jurisprudence*. Oxford, 1953.

Schevenkow, Rudolf. *Kritische Betrachtungen ueber die Latein-gerochenen Quellen zur Geschichte der Eroberung Spaniens durch die Araber*, 1894.

Simonet, Francisco Javier, *Historia de los Mozárabes de España*. Madrid, 1897-1903.

Thomas, W. Arnold. *The Preaching of Islam*. London 1935.

Viardot, Louis. *Histoire des Arabes et des Mores d'Espagne*. Paris, 1833.

Von Krumer, Alfred. *Einnahmebudget des Abbassiden Reiches*.

Weil, G. *Geschichte der Islamischen Völker*. Stuttgart, 1866.

Wellhausen Julius. *Das Arabische Reich und Sein Sturz*.

ترجمه إلى العربية الدكتور محمد عبد القادي أبو رييدة بعنوان تاريخ الدولة العربية إلى نهاية العصر الأموي، ونُشر في القاهرة سنة ١٩٥٨.

Wustenfeld. *Die Statthalter von Aegypten zur Zeit der Chalifen*. Goeetingen, 1875

Yves, George. *Euric, roi des Visigoths, dans Etudes d'histoire du moyen-âge dédiées à Gabriel Monod*. Paris, 1896.

(ج) المولود العربية لتاريخ المغرب والأندلس

عند البحث عن اسم يبدأ بلفظي ابن أو أبي أو أداة التعريف «انه» اترك هذه الثلاثة وابحث عن الاسم في أول الحروف بعد ذلك، فإن لم تحصل يوجد تحت حرف الخاء وهكذا.

- ابن الأيثار ٤، أبو عبدالله القضاة: «المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي»، القاهرة (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣ م).

«الرحلة السمرقانية»: تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة (١٩٦٣).

- ابن الأثير الجفري (محمد الدين): «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، تحقيق (عبد القادر الأرناؤوط)، طبعة دمشق (١٣٨٩ - ١٣٩٢هـ) ١٩٦٩ - ١٩٧٢.

- الإبرسي: «نزعة المشتاق في اشتراق الألفاق»، (روما ١٩٩٢).

- أديب مفول (نصص): «الإسلام في الشرق الأقصى»، ترجمة (د. نيل صبحي) بيروت (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م).

- الحميدي الأزدي (الحافظ أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله): «اجتوبة المختص في فكر ولاية الأندلس»، القاهرة (١٩٦٦).

- قلبي (ابن سعيد): «المغرب في حلق المغرب»، تحقيق (د. شوقي ضيف)، القاهرة (١٩٦٤).

- أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك المرابطي الأوسي الأندلسي: «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة».

السفر الأول (القسم الأول والثاني) تحقيق د. محمد بن شريفة بيروت.

بقية السفر الرابع تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٤ م.

السفر الخامس (القسم الأول والثاني) بيروت ، ١٩٦٥ م .

السفر السادس . بيروت ، ١٩٧٣ .

وبقية الأجزاء قلم بصحيفتها ونشرها في بيروت الدكتور محمد بن شريف.

- الباجي (سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب أبي الوليد): «نص الأندلس»،
ترجمة ودراسة بالإنكليزية (د. مطلوب).

- الباجي (أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم): «المن
بالإمامة حل المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الورثين»، تحقيق د. عبد
المعطي الشاذلي، بيروت (١٣٨٣هـ/١٩٦٤ م).

- بالثيا (أنخل جنثال): «تاريخ الفكر الأندلسي»، ترجمة عن الإسبانية (د.
حسن مؤنس)، القاهرة (١٩٥٥).

- برونسكال (بيلجي): «الإسلام في المغرب والأندلس»، ترجمة د. السيد محمود
عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين علمي القاهرة (١٩٥٦).

- البكري: أبو عبيد: «وصف إفريقية والمغرب» من كتاب المسالك والممالك
لبكري. بتحقيق البارون ماك جوكين دي سلان، الجزائر ١٩٤٠.

- البشتي، المحافظ محمد الدين أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن
حية الكلابي الأندلسي: «المغرب من أشعار أهل المغرب»، تحقيق إبراهيم الأبياري
ود. حامد عبد الحميد ود. أحمد أحمد بلوي) القاهرة (١٩٥٤).

- توشي، أرنولد: «الإسلام والغرب والمستقبل»، ترجمة د. نيبيل صبحي،
بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩ م.

- الحري، محمد أبو راس: «مؤنس الأحياء في أخبار جربة»، تحقيق محمد المرزوقي،
تونس (١٩٦٠).

- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: «التلخيص لوجوه
التلخيص»، تحقيق د. إحسان عيسى، القاهرة (١٣٨٠هـ/١٩٦٠ م).

«تلط العروس» تحقيق د. شوقي ضيف، جامعة القاهرة (١٩٥١).

«طوق الحمامة في الألفة والألف»، تحقيق حسن كامل الصيرفي القاهرة ١٩٥٩ .

- د. حسين مؤنس «رحلة الأندلس»، القاهرة (١٩٦٣).
- محمّد تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة ١٩٨٠.
- «السيد القديطور وعلاقته بالمسلمين» القاهرة (١٩٥٠).
- «المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية»، القاهرة (١٩٥١).
- «ابن حيان، أبو مروان حيان بن مخلف بن حسين بن حيان بن محمد: والتقيس في أخبار بلد الأندلس».
- الجزء الثاني، تحقيق د. محمود علي مكي، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م.
- قطعة من الجزء الثاني نشرها ليقي بروقتسال، ١٩٥٠.
- الجزء (الفرن) الخامس، مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقم ٨٧ قام بتحقيقه ونشره د. بلدرو شالينا ومحمد صبيح. مدريد ١٩٨٢.
- جزء مختص بخمس سنوات من خلافة الحكم المستنصر تحقيق عبد الرحمن علي الحجري، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م.
- «ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبيد الله محمد بن عبيد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السبائي: «الإحاطة في أخبار غرناطة»، تحقيق (محمد عبيد الله عنان) القاهرة (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤).
- «تقاضة الجراب في خلافة الاغتراب»، تحقيق د. أحمد مختار العبادي القاهرة.
- «كناسة الدكان بعد انتقال السكان»، تحقيق د. محمد جمال شبانة، القاهرة.
- «رواية الشريف بالمغرب الشريف»، تحقيق محمد الكتاني، بيروت.
- «أعمال الاعلام». ثلاثة أجزاء:
- الأول: لا يزال مخطوطاً.
- الثاني: نشره ليقي بروقتسال تحت عنوان «تاريخ إسبانيا الإسلامية».
- الثالث: نُشر بعنوان «تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط»، تحقيق د. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني المغرب (١٩٦٤).

- ابن خاقان النسخ، وفلائد العتيق من هلسن الأعيان، تونس (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

- ابن خلدون، «العبر» بيروت (١٩٥٨-١٩٦٠).

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: «دوليات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، تحقيق د. إحسان عيسى، بيروت (١٩٦٨).

- القبايع، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي: «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان»، تحقيق إبراهيم شيوخ، القاهرة، (١٣٨٨هـ-١٩٦٨).

- العذري ابن الدلاقي، أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري: «نصوص عن الأندلس»، تحقيق د. عبد العزيز الأعرابي، مدريد (١٩٦٥).

- ابن أبي دينار القيرواني، أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني: «المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس»، تحقيق محمد شيام، تونس (١٩٦٧).

- ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم: «صلة الصلوة» تحقيق نيفي بروكسال، الرباط (١٩٣٧).

- ابن زيري، عبدالله بن بلقون بن ياديس بن حيوس: «التبيان»، تحقيق نيفي بروكسال، القاهرة (١٩٥٠).

- سالمه السيد عبد العزيز: «قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس»، بيروت ١٩٧٦.

- السلمي، أبي مروان عبد الملك بن حبيب: نص «تشر ودراسة بالإمباتية»، د. محمود علي مكي، مدريد (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).

- شيانة، محمد كمال: «يومئذ الأول ابن الأحرر سلطان غرناطة»، القاهرة (١٩٦٩).

- ابن مصاعد، أبو القاسم الأندلسي الطليطلي بن أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد: «طبقات الأمم»، القاهرة.

- طرخان، إبراهيم علي: «المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى»، القاهرة (١٩٦٦).

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» تحقيق علي محمد الجبوري.. القاهرة (١٣٨٠هـ/١٩٦١م).

- ابن عميرة الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد: «بيعة القنص في تاريخ رجال أهل الأندلس»، القاهرة (١٩٦٧).

- عائد، محمد عبدالله: «هياة الأندلس وتاريخ العرب المتصرين»، القاهرة (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

- الأثر الأنغليسي الباقية في إسبانيا والبرتغال، القاهرة (١٣٨١هـ-١٩٦١م).

- لسان الدين بن الخطيب، القاهرة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

- ابن عياض، القاضي عياض بن موسى: «تريب المداوك وتضريب المسالك لمعرفة أصلام مذهب مالك»، تحقيق د. أحمد بكسر محمود، بيروت (١٣٨١هـ/١٩٦٥م).

٦ - الغريزي، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله: «هوان الترابية فيمن عرف من العلماء في اللغة السابقة ببجاية»، تحقيق عادل تويطس بيروت (١٩٦٩).

- الغرناطي، محمد أيوب ابن غالب: «فرحة الأندلس في أخبار الأندلس»، تحقيق د. لطفي عبد الوديع، القاهرة (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).

- الفسلي، محمد بن عبد الوهاب: «رحلة الوزير في المنكك الأسير والغرب» (١٩٤١).

- الفاسي، علي بن أبي زرع: «السخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية»، الرباط (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد: «الديباج الطهيب في معرفة أعيان علماء المغرب»، القاهرة (١٣٢٩هـ).

- ابن القرضي، الحافظ أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي: «تاريخ علماء الأندلس» القاهرة (١٩٦٦).

- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد الكتاني: «هرة الحجيل في أسماء الرجال»، تحقيق محمد الأحدي أبو النور، القاهرة- تونس (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

- ابن الخطّاب، أبو علي الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى: «نظم الجياد» تحقيق د. محمود علي مكّي، الرياض.

- الفريزي، زكريا: «آثار البلاد وأخبار العباد»، بيروت (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

- ابن الفريزي، أبو بكر محمد: «تاريخ الفتح الأندلس»، تحقيق د. عبدالله أبيس الطباع، بيروت (١٩٥٧).

- الفيرواني، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم: «طبقات علماء إفريقية وتونس»، تحقيق علي الشاذلي وتميم حسن البجلي، تونس (١٩٦٨).

- الفيرواني الحشفي، أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد: «قصص فرطية»، القاهرة (١٩٦٦).

- ابن الكردوس التوزري، أبو مروان عبد الملك: «الاكتفاء في أخبار الخلفاء»، نشر تحت عنوان: «تاريخ الأندلس لابن الكردوس ووصفه لابن الشباطة»، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، مدريد (١٩٧١).

- الكتاني، أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر: «كتاب أحكام السوق»، تحقيق د. محمود علي مكّي، مدريد (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

- كتون، عبدالله: «أبو اليقظ الزندي»، طبعة مدريد (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).

- المالكي، أبو بكر عبدالله: «رياض النفوس»، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة (١٩٥٤).

- المدني، أحمد لوفيق: «المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا»، تونس (١٣٦٥هـ).

- المراكشي بن عناري، أبو عبدالله محمد: «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب».

الأجزاء:

الأول والثاني: تحقيق كولان وإيلي برونتسال، باريس (١٩٤٨).

الثالث: تحقيق ليفي برونتسال، باريس (١٩٢٩).

- الراجح: جمع وتعليق د. إحسان عباس، بيروت (١٩٦٧).
- القسم الثالث: نشرأ مبرهي هويهي موراندا وصاحبة محمد بن لأويت ومحمد ابراهيم الكتلان: تطوان (١٩٦٠).
- المراكشي، يحيى الدين عبد الواحد بن علي: «المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
- المقرئ النمساوي، شهاب الدين أحمد بن محمد: «أزهار الرياض في أخبار عياض»، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شفي، القاهرة (١٣٣٩ - ١٣٤١هـ/١٩٣٩ - ١٩٤٢م).
- «فتح الطيب من حصن الأندلس الرطب» و«أكثر وزيرها لسان السنين بن الخطيب» تحقيق د. إحسان عباس، بيروت (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
- سكي، محمود علي: «وثائق تاريخية جديدة» مدريد (١٩٥٩ - ١٩٦٠).
- «مدريد العربية» القاهرة.
- المنلوي، الخالط: «مختصر صحيح مسلم» تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبعه الكويت (١٣٨٨هـ/١٩٦٩م).
- مؤلف مجهول: «أخبار مجموعة»، مدريد (١٨٦٧).
- «نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر» تحقيق التريد البستاني، المغرب (١٩٤٠).
- نشره (ألفي بروكسال وغرسه خموس) مدريد (١٩٥٠).
- الناصري السلاوي، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد: «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»، تحقيق ولدي المؤلف جملر ومحمد، الدار البيضاء (١٩٥٤م).
- الشامي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن: «المرتبة العليا ليعن يستحق القضاء والقضاء» نشر ليفي بروكسال، القاهرة (١٩٤٨).
- «وثائق عربية قرطابية»، تحقيق لويس ميكوندي لوليتا، مدريد (١٣٨٠هـ/١٩٦١م).

(2) مولود غير عربية

Amador de los Rios y Villalto.

Inscripciones Arabes de Cordoba, La Mezquita Aljama Madrid, 1879-1880.

Asin Palacios, Miguel.

La Eccatologia Musulmana en la Divina Comedia, 2a ed. 1962. A. Bell.

La Religion Musulmana en Berbérie, Vol. 1, 1938. C.H. Bouquet, Alger, 2ème édition, 1946.

M. Caudel, l'Afrique du Nord, Les Byzantins et les Barbers avant les invasions, 1900.

E. Fagnan.

Extraits inédits relatifs au Maghreb, Alger, 1924.

Brett, Michael.

Problems in the Interpretation of the History of the Maghreb in the light of some recent publications. Journal of African History. XIII, 3 (1972).

Conde, Antonio José .

Historia de Espana Musulmana, Madrid, 1848

b. Coni Gastambide

La Historia de la Bula de Cruzada, Vitoria 1958.

Dozy, Reinhardt Peter-Ann.

Histoire des Musulmans d'Espagne. Nouvelle Edition par Levi Provençal Leyde, 1931.

Recherches sur l'Histoire de la Littérature des Arabes d'Espagne pendant le Moyen- Âge, 3 éme ed.1881.

H. Fournel.

Les Berbers, 2 vol. Paris 1875-1880.

E. C. Gautier.

- Les Siècles Obscurs de l'Histoire du Maghreb, 2ème éd. Paris 1938.
- Hady Roger Idris,
 Introduction à la Tunisie. Paris 1950.
- Huici Miranda, Ambrosio,
 - Las Grandes Batallas de la Reconquista, Madrid, 1936.
 - Historia política del Imperio Almohade, 3 vols. Valencia 1956.
- José Antonio Maravall,
 El Concepto de España en la Edad-Media, Madrid, 1954.
- Julien, Charles-André.
 Histoire de l'Afrique du Nord de la Conquête Arabe à 1830 2ème
 Edition par Roger Le Tourneau, Paris 1966.
- Justo, Perez de arbel.
 Historia del Condado de Castilla, Madrid, 1945.
- Lacarra, José Maria.
 Historia de la Edad Media, Barcelona 1960.
- Levi Provençal.
 - L'Espagne Musulmane au X^e Siècle, Paris 1932.
 - Histoire de L'Espagne Musulmane, 3 Volumes, 2^e éd. Paris 1948.
 - Les Historiens de Charf, Paris- Larose 1922.
- F. Lot. Ch. Pflizer et F.L. Ganshof
 Les Destinées de l'Empire d'Occident, de 395 à 888. (Histoire du Moyen-
 Âge de Glaxa) tome 1, Paris 1940, p. 233- 253.
- Luís Gonzalez de Azevedo
 Histoire de Portugal. Lisboa, 1942- 1944.
- Marcus, George.
 L'architecture Musulmane d'Occident, Paris 1954.

أبو زكريا، كتاب السير وأخبار الأئمة (الأباضية في المغرب) نشر قطعة منه مع
ترجمة فرنسية ماسكرواي بعنوان:

Masqueray, Chronique d'Abou Zekaria (Livre de Beni Moz) Alger,
1878.

Mérier Ernest,

Histoire de l'Afrique Septentrionale, Paris 1981.

J. E. Martínez Ferrando,

Jaime II de Aragón- Su vida Familiar, Barcelona 1949.

Mérendez Fidal, Ramon.

La España del Cid, 2 vols Madrid, 1940.

Moreno, Manuel Gomez.

- Arte Árabe Español hasta los Almorávides.

- Arte Mozarabe. Volúmenes III y IV de Historia Universal del Arte
Hispanico, Madrid, 1951- 1954.

Pellegrin A' Histoire de la Tunisie, Tunis 1948.

W. Piskorski,

Las Cortes de Castilla en el periodo de transito de la Edad Media à la
Moderna (1188- 1520) Barcelona 1933.

E. Saavedra,

Estudio sobre la invasion de los Arabes en España, Madrid, 1892.

C Sanchez Albornoz

Espana un enigma Historica, Buenos Aires,1926.

Torres Balbas, Leopoldo,

Arte Califal (Historia de España dirigida por R. menéndez Fidal) Tomo
V, 2a ed. 1956.

Ft. Simonet,

Historia de los Mozarabes de España, Madrid, 1904.

M. Torres, *El Estado Visigótico*.

Algunos datos sobre su formación y principios fundamentales de su organización en *Anuario Hist. Der. Español III*, 1926 y p. 307- 457.

Wansbrough, John.

On recomposing the Islamic History of North Africa.

Journal of the Royal Asiatic Society.

أما التواريخ العامة لإسبانيا فكثيرة. أشرت إليها في المدخل الجيولوجرافي لتاريخ الأندلس من كتاب معالم تاريخ المغرب والأندلس (الطبعة: 1980) (ص 209 وما بعدها من ذلك الكتاب) ومعظم هذه الكتب تحمل عنوان:

Historia de Espana

Historia General de Espana.

Ambrosio de Morales, Estéban de Garibay, F. Juan de Mariana.

Alejandro Herculano, Antonio Alcalá Galiano, Modesto Lafuente.

Rafael Altamira, Ramon Menéndez Pidal.

وانظر كذلك كتاب:

Antonio Ubieto, Juan Regla, José María Jover.

Introducción a la Historia de Espana, Barcelona 1963.

وهو على إيجازه من أحسن ما أتته الإسبان في تاريخ إسبانيا العلم. ومؤلفوه ثلاثة من أساتذة جامعة بلنسية.

الفوائد العامة

الأعلام

- أ -

- أرنولد ثومبي : ٤٧٤
أريوس المصري : ٤٣٤ .
أسون بلاكيوس : ٦٤٥ - ٦٤٧ - ٦٤٨ .
أيدولفو (لوس قلمرية) : ٥٣٢ .
ابن الأبار : ٤٦٤ .
أبان بن معاوية بن هشام : ٦٩٢ .
إسراهم بن الأظلم بن سالم بن هشام :
٢٤٥ .
إسراهم بن حبيب : ٦٥٢ .
إسراهم بن حسين بن حاصم : ٤٨٢ -
٤٨٣ .
إسراهم السرقيني : ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ -
٨٢ .
إسراهميون شجرة الأوزي : ٤٢٢ - ٦٨١ .
إسراهم بن عيسى بن مزاحم : ٤٥٨ -
٥٢٨ .
إسراهم بن القاسم المعروف بـ (السوق)
القيرواني أبو إسحاق : ٧٧ - ٩٩ .
- الأبرش : ٤٤١ .
آبه (عيسى) : ٤٧ - ١٣٤ - ١٩٠ - ٣٧٤ -
٣٧٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ .
أنتاجيلفو (لوس قلمرية) : ٥٣١ .
أنتاجيلفو (ابن قلمير) : ٥٣٥ .
أنتاسيوس المعروف بـ (الاباطشاش) :
٤٤٦ .
ابن الأثير : ٧٧ - ١١٧ - ٥٥٣ .
أبيمة (هريشة) ، قائد الجيش الفرنسي
المتقدم نحو أريونة : ٣٣٧ .
أجنتاس بيرلنتسيهر : ٦٧٨ .
أجوانو بلاي : ٤٩٧ - ٤٩٩ .
أحد بن أبي طالب : ٤٨٢ .
أحد بن سعيد بن أبي القياض الأسدي ، أبو
بكر : ٨٠ .
أحد بن عمر بن أسد الطبري : ٧٦ - ٥٥٥ .
٥٥٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٩٢ - ٥٩٩ .
٥٩٧ - ٦٠٢ - ٦٠٣ .

- أحمد بن عيسى بن محمد القسري ، أبو
العبيد : ١٤٨ - ١٥٦ - ١٦٩ - ٣٦٦ -
٣٦٨ - ٣٧٠ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ -
٤١٠ - ٤١٧ - ٤٢٠ - ٤٨٦ - ٤٨٧ -
٥٧٨ - ٦٤٤ - ٦٤٦ .
- أحمد بن فرج بن مشبل : ٦٤٤ - ٦٤٥ -
٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٩ .
- أحمد بن محمد البرزلي : ٦٩ - ٧٠ - ٧١ -
٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٦ - ٨٠ - ١٠٣ -
١٣٢ - ١٣٦ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ -
١٥٠ - ١٥١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٨٦ -
١٨٨ - ١٩٢ - ١٩٢ - ٢٦٢ - ٢٥٣ - ٥٧٤ -
٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ -
٥٨٠ - ٥٨١ - ٦٠٢ - ٦٠٨ - ٦٠٩ -
٦٣٠ - ٦٣٧ .
- أحمد بن محمد بن عبد الحميد : ٥٥١ .
- أحمد بن محمد بن ميثم ، أبو جعفر :
٤٥٨ .
- أحمد بن نصر الداودي ، أبو جعفر : ٦٢٢ -
أحيكا (أحيكا ، إحيكا) : ٢٤ - ٣٦٨ -
٣٨٠ - ٥٠٤ - ٥٠٩ - ٤٢٣ .
- أخيلا (أخيل ، رُمْلَه ، رومولوس) : ٢٧ -
٢٨ - ٢٩ - ١٢٧ - ١٤٥ - ١٦٠ .
- الإدريسي : ٥٨٠ - ٥٩٨ .
- إدوارد جيون : ٣٥٦ .
- إدواردو سالينزا : ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ -
٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ١١٦ - ١١٧ -
١٢٤ - ١٢٧ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -
١٧٢ - ٣٧٧ .
- إدوارديوس (مطران) : ٥٣٩ .
- إدواكر : ١٧ .
- ألفونس (ألفونسو) بن بطرقة الليب
(بن الأول) : ٢٦١ - ٢٦١ - ٢٦٩ -
٢٧٥ - ٢٨٥ - ٢٩٠ - ٢٩٢ - ٢٩٣ -
٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٥٣٩ .
- أريانس (أريف طليطلة) : ٥٢٨ .
- أرسطو : ٥٠٠ .
- أرطياس (أرطيان ، أرطافالوس ، أريفست)
أين خيطشة : ٢٨ - ٩٤٤ - ١٦٠ - ٢٨٧ -
٤٠٣ - ٤٢٧ - ٤٥٦ - ٤٧٣ - ٤٩٠ -
٥٢٧ - ٥٣٥ - ٥٣٩ - ٥٣٧ - ٥٣٨ -
٦٠٥ - ٦٠٨ - ٦٣٠ - ٦٤٠ .
- أرمينتا : ٣٨٩ .
- أسورياتوس : ٥١٠ - ٥١٣ .
- إسحق بن عيسى بن مزاحم : ٤٥٨ -
٥٢٨ .
- أسد بن عياد القسري : ٢٠٤ .
- أسلم بن عبد العزيز بن هاشم : ٤٤٣ .
- إسماعيل بن بشر بن إسماعيل بن زياد :
٤٤٣ .
- إسماعيل بن خلف العروبة (بن ابن الحجازة) :
٤٤٣ .
- إسماعيل بن زياد الأمازيقي : ٦٦٦ -
٦٦٧ .
- إسماعيل بن عياد : ١٩٥ - ٢٠٣ - ٢١٧ -
٦١٨ .
- إسماعيل بن عياد بن الحجاب : ٢٢٢ -
٢٢٦ - ٢٢٧ .
- إسماعيل بن القاسم بن عبدون : ٤٤٣ .
- أم الأصبح ، أم الأصبح (أخت عبد الرحمن
الداخل) : ٦٥٦ - ٦٦٢ .
- الإسطري : ٤٥٨ - ٥٣٥ - ٥٥٦ - ٥٧٥ .

- ٥٧٦ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨
 - ٥٨٩
 الطارونف : ١٩ - ١٧ .
 الأغلبي بن مسلم بن عثمان بن خضاعة
 القيسي : ٢٤٠ - ٢٤٣ - ٢٤٥ .
 أنور بن غبطة : ٥٣٠ .
 الأريك (ملك) : ١٥ - ٢٣ .
 أبو القزعي (راصب) : ٥١٢ .
 أبو (الفاروق) بن أميلا : ١٦٠ .
 أنور بن كزيم : ٥٥٢ .
 أنور الأول : أبو القزعي بن بطر .
 أنور السابع : ٤٦٢ .
 أنور البصي : ٥٢٢ - ٥٢٣ .
 أنور العاصر : ٦٩ - ٧٠ - ٦٦٨ - ٣٧٨ .
 ٣٨٠ - ٥٧٧ - ٥٨٠ .
 أنور الكبير (الثالث) : ٦٨ - ٦٩ - ١٥٩ .
 أنور بن غبطة : ٢٧ - ١٤٤ - ١٦٠ - ٤٥٩ .
 ٥٢٧ - ٥٣٧ .
 إلياس بن حبيب (أخو عبد الرحمن
 الداخل) : ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٦٦٥ .
 إلياس بن أبي القاسم صفوان بن واصل :
 ٢٦٨ .
 إيان : ٧٩ - ٨٦ - ٨٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ .
 ١٠٩ - ١١٠ .
 إليانوس (مطران طيطلة) : ٥١١ -
 ٥١٢ .
 إليع بن أبي القاسم صفوان بن واصل :
 ٢٦٨ .
 إليع بن يزيد الأسود : ٢٤٦ .
 إميلو غرمية طومس : ٦٦ .
 أمة الرحمن (تحت معلوية بن عبد الرحمن

- الداخل) : ٦٦٦ .
 أمية بن عبد الملك بن قطن : ٢٨١ - ٢٨٦ .
 ٢٤١ - ٤٠١ - ٤٣٣ - ٤٣٨ .
 أمية بن يزيد : ٤٢٩ .
 أنانديوس (أسقف) : ٣١١ .
 الأنا سكندر : ١٩٦ .
 أنسونس : ٣٤٢ .
 أنجو غيميث المعروف باسم (أريستا) :
 ٥٢٣ .
 أودو (دوق) : ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ .
 ٣١٩ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٢٥ .
 ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٢٩ - ٣٢٨ .
 ٣٢٨ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ .
 أوريليو (مطران) : ١٦١ - ٥٣٠ .
 أوريجانس : ٥٠٤ .
 الأوزاعي : ٤٨٠ - ٤٨٥ - ٤٨٦ .
 أوغستين (قديس) : ٤١ - ٤٢ .
 إيون (أسقف) : ٣٠٧ .
 إتيوس : ٥١١ .
 إرفيج : ٥٠٣ - ٥٤٣ .
 إيزيدور (شقيق القديس لباتريوس) :
 قديس : ٤٩٩ - ٥٢٢ - ٥٤٣ .
 إيزيدور الإسباني (قديس) : ٣٨ - ٤٠ .
 ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٩٧ - ٥٠٠ .
 إيزيدور الياجي : ١٢٤ - ١٢٥ - ١٥٥ .
 ٢٥١ - ٢٥٤ - ٣٠٥ - ٣١٠ - ٣١١ .
 ٣٢٠ - ٣٢٤ - ٣٢٩ - ٣٣٧ - ٥٢٨ .
 ٥٣١ - ٥٣٣ - ٥٤١ .
 إيزيدور الشيباني (الصمدي) : ٣٨ .
 إيزيدور دي لاس كاسيخاس (مؤرخ) :
 ٤٧٣ .

- ث -

- تايلان : ٢٥٠ .
 تدمير بن سفيوس : ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ .
 ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ٣٠٤ - ٤٧٥ .
 ٥٠٦ - ٥٣٦ - ٥٨٩ .
 تميم بن علقمة : ٤٣٩ - ٤٥٩ - ٦٧٣ .
 ٦٧٤ - ٦٧٧ .
 توماس (القدس) : ٥٣٠ .
 ثورثيوس (قديس) : ٤٦٦ .
 ثيوفريستو (توق قرطبة) : ٢٦ - ٢٩ .
 ٥٠٩ .
 ثيوفيس (قوسن قلبرية) : ٥٣٢ .
 ثيوفوسوس (أمبراطور) : ١٥ - ١٩٨ .

- ث -

- ثابت الصبياني : ٢٣٦ - ٢٦٦ - ٢٦٢ .
 ثعلبة بن سلامة العاصلي : ٢٨٣ - ٢٨٩ .
 ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٤٠٣ - ٤٠٤ .
 ٤١٤ - ٤٢٧ - ٤٣٨ - ٦١٨ - ٦٢٢ .
 ثعلبة بن عبد الجلامي : ٤٥٨ - ٥٢٨ .
 ٦٨٣ .
 ثوابة بن سلامة اللطمي العاملي الجلامي :
 ٢٦٠ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٣٧٤ - ٣٨٠ .
 ٣٩٢ - ٤١٦ - ٦٦٢ .
 أبو ثور بن قسي : ٤٤٢ .
 ثورريك (ملك القوط الشرقيين) : ٢١ .

- ج -

- جابر (سولي عمر بن عبد العزيز) : ١٩٩ .
 ٤٦٠ - ٦١٨ .
 جابر بن علاء بن شهاب : ٦٧٧ - ٦٨٤ .
 جاثونيوسا (زوجة بلاي) : ٣٦٨ - ٣٨٨ .
 جاثانجوس (مؤرخ) : ١٦٦ .
 جبريل : ٣١٠ .
 جنداء (بنار) بن عمرو الدخمي القيسي :
 ٦٧٤ - ٦٧٩ .
 جرجوريوس (حاكم قرطاجنة) : ٥١٠ .
 جرجوريوس الساج (الابا) : ٥٢٢ .
 جري بن عبد العزيز بن مروان : ٦٨٦ .
 جستيان (الامبراطور) : ٢١ - ٦٠٠ .
 أبو جعفر الصور : ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٢٤٥ .
 ٢٩٨ - ٦٦٥ .
 جميل بن كريبه - أبو كريبه : ٢٤٣ .
 جهيز (القائد) : ٦٧٩ .
 حنينة : ٤٧ - ٥٧ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٩ .
 ٢٥٠ .
 أبو حوشن - أبو الصملي .
 حوشن بن الصملي : ٦٨٢ .
 حيون : ٤٩٩ .
 حيسرك : ١٧ .

أبو حنيفة : ٤٨٨ - ٦٥٥ .
 ابن حوقل : ٥٥٦ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٨٥ -
 ٥٨٩ .
 ابن حبان ، أبو مروان () : ٨٠ - ١٤٥ - ١٤٧ -
 ١٥٦ - ٢٠٦ - ٢٢٩ - ٢٦٩ - ٢٧٢ -
 ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨٥ - ٢٦٤ -
 ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٥٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ -
 ٦٢٠ - ٦٢٧ - ٦٤٤ .
 خبوة بن ملاس الطحفي : ٤٥٨ - ٥٧٨ -
 ٦٤٠ - ٦٤١ .

حسن بن الحر (البرقي) : ١٦٠ - ٥٢٠ .
 الحكيم بن هشام بن عبد الرحمن المفاضل
 المعروف بـ (البرقي) : ٤٠٩ - ٤٢٢ -
 ٥١٢ .
 حلق (الحارثي) : ٦٨٤ .
 حوزة الأصمعي : ٦٠٠ .
 حش بن عبيد الله السبلي الصمعي : ٩٢ -
 ١٦٢ - ١٧٠ .
 حنظلة بن صفوان : ٢٢٠ - ٢٢٦ - ٢٢٧ -
 ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٤٠٢ -
 ٦١٨ - ٦٥٤ - ٦٦٤ .

- خ -

أبو الخطاب (شيخ بربر نقومة) : ٦٤٤ .
 أبو الخطاب بن صفوان الكلبي : ٢٠٤ .
 ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب .
 ابن عسلون : ١٠٢ - ١٧٠ - ٢٢٤ - ٢٤٨ -
 ٢٥٠ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ -
 ٢٧٩ - ٢٨٨ - ٢٩٥ - ٤٢١ -
 ٥٥١ - ٦٠٦ .
 إلهيان ربيعاً : ٤٥٨ - ٦٤٥ - ٦٤٨ .
 الخوارزمي : ٥٥٢ .
 خواكين وچناتل : ٦٦ .
 خوان منتدل بيدان : ٧٠ .

أبو خالد = عبدالله بن خالد .
 خالد بن حبيب النهدي : ٢٢٦ - ٢٢٧ .
 خالد بن عبد الزناني : ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٣٠ -
 ٢٣٢ - ٢٣٤ - ٤٢١ .
 خالد بن ربيعة : ٦٦٥ .
 خالد بن عبدالله القسري : ٢٠٤ .
 خالد بن يزيد (خالد بن يزيد) : ٦٩٤ -
 ٦٧٨ - ٦٨٥ .
 ابن خرداذبة : ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٩ .
 الحشفي = الحارث بن أسد الحشفي أو محمد بن
 الحارث الحشفي .

- ذ -

داوود بن جعفر : ٦٥٥ .
 دقلديانوس : ٥٥٦ - ٥٦٢ - ٥٧١ .
 دوزي : ٢٥ - ٢٧ - ٦٧ - ١١٦ - ٤١٧ -
 ١٢٥ - ٢٥٥ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨٨ -
 ٢٧٩ - ٢٩٤ - ٤٩٩ - ٥٠٢ .

داتوس (داوود) : ٢١٥٠ .
 دانس بن عوسجة : ٤٢٢ .
 داعية بنت ماثية بن ثوبان : أنظر الكعابة .
 داوود المعروف بـ (السندي) : أنظر
 الرندي .

٦٠٦ - ٦٤٥ - ٦٤٧ - ٦٤٨ .

دريجات (أسقف) : ٢٤٧ .

درون وامرون سنگت پيدال : ٧٠ .

دي نعيه : ٥٥٦ .

ديوار ، اير لاهجر : ٥٠ - ٥٣ - ٩٢ .

- ج -

دو الغريين : ٩٤ .

- د -

الرازي = احمد بن محمد الرازي وعيسى بن احمد الرازي .

رايهيات بيتو - آن دولي = انظر دوزي .

رختفتو (ملك) : ٥٠٦ .

رختفتو (ملك) : ٢٦ - ٦٨ - ٦٩ - ٣٠ - ٤٢ .

رديسو عيشت (اسقف ومؤرخ) : ٢٥ -

٥٢٢ .

ابن رسته : ٥٥٦ - ٥٨٩ .

الرفندي (دارود) : ٦٦٥ .

رودريسو (رودريك ، رودريكو) : انظر القرون .

رودريسو السطري (اسقف) : ٣٠٥ -

٥٢٣ .

رولان : ٣١٩ - ٣٢٢ - ٣٣٨ - ٣٣٩ .

رويوا = خلياڻ رويوا .

ريكلوفو (ملك) : ٢٦ - ٢٢ - ٣٥ - ٤٩٩ -

٥٠٢ - ٥٤٥ - ٥٤٣ .

ريستو (مؤرخ) : ٣٦٠ - ٣١٤ - ٣١٦ -

٣١٧ - ٣١٨ - ٣٥٠ - ٣٥٢ .

- ز -

ابن الزبير = عبدالله بن الزبير .

الزبير بن لآوة بن عمرو الجبار : ٩٥ .

زرهه بن ابر مسرك : ٥٩ - ١٠٤ - ١٠٥ -

١٠٨ - ١٢٩ .

زغرتو (زعيم بربري) : ٢٥٦ .

زكريا بن يحيى بن عابد بن كيسان : ٤٢٣ .

زهير بن قيس البلوي : ٥٤ - ٥٥ .

زياد (والد طارق) : ١٢٩ .

زيد بن عبد الرحمن العروبي = (شبطون) :

٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ -

٦٥٧ .

زيد بن عمرو البلوي : ١٨٨ - ١٩٢ .

زيد بن الشاهبة الصيمي : ١٨٨ - ١٨٩ -

١٩٠ - ١٩٢ - ٤٥٧ - ٥٢٦ .

ابن زياد (قائد بربري) : ٣٨١ -

زيد بن حسن : ٢٦٠ .

زيوتو (اميراطور بيزنطي) : ١٧ -

- ص -

٤٨٦ - ٥٢٧ - ٥٣٧ - ٥٣٨ .

ساقورا = انظر ايدوارغو ساقورا .

سابق (مولى فارسي) : ٦٨٥ .

سارو بنت ائند القوطية : ١٦٠ - ٤٥٨ -

سليم (مولد أخت عبد الرحمن الداخل) :

٦٦٦ - ٦٦٣ .

سليمان : ٣٩٠ .

سان ثوركوترس (قدس) : ٥٢٢ .

سانثيت الورتوت : ٧١ - ٧٢ - ٧٣ .

سيدينا السلفي : ١٢٥ - ١٢٧ - ٣٦٧ .

٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٦ - ٣٧٧ .

٣٧٨ - ٣٨٨ .

ستيفر (قائد روماني) : ٦٥ .

سختون : ٤٨٥ - ٤٨٧ .

سعدان بن ابراهيم بن زيد : ٤٤٢ .

سعد بن جراس : ٢٨٨ .

ابن سعيد (مؤرخ) : ٣٨٩ - ٤١١ - ٤١٢ .

٤١٧ - ٥٧٨ - ٦٤٤ .

ابو سعيد بن ارقطاس (فارس قرطبية) :

٦٦٠ .

سعيد بن بحرة الغساني : ٦٣٠ - ٦٦٥ .

سعيد بن حميد بن عبد الرحمن : ٤٤٣ .

سعيد بن العاصي : ٤٤٣ .

سعيد بن عثمان بن سليمان النجدي : ٤٤٣ .

سعيد بن أبي عبد : ٦٥٨ .

سليمان الثوري : ٦٥٤ .

سليمان بن عينة : ٦٥٤ .

أبو سلامة بن لبي : ٤٤٢ .

سليمان المرسي : ٣٨ .

أبو سلمة الخليل : ٦٦١ .

سليمان (قائد من قواد عبد الرحمن

الداخل) : ٣٤٢ .

سليمان بن أسود : ٤٨٢ .

سليمان بن داود : ٩١ - ٩٣ - ١٣٩ .

سليمان بن شهاب : ٦٧٩ - ٦٧٥ .

سليمان بن عبد الرحمن بن يزيد : ٤٤٢ .

سليمان بن عبد الملك : ٩٨ - ١٢٩ - ١٣٧ .

١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٨ - ١٤٠ - ١٤١ .

١٤٢ - ١٤٥ - ٢٠٣ - ٥٣١ .

٦٦٤ - ٦٦٦ - ٦٦٨ .

سليمان بن أبي الهيثم : ٩٠ - ١٠٨ .

السمح بن مالك الخليلي : ١٩٤ - ١٩٥ .

١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٣ .

٢١٤ - ٢١٥ - ٢٠٦ - ٢٠٩ .

٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٢٦ - ٢٢٨ .

٢٥٥ - ٢٦١ - ٢٦٠ - ٥٢٨ - ٥٣٠ .

٦١٥ - ٦١٦ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٧ .

٦٢٨ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٧ .

٦٤١ .

سمنون (سكنو) بن واسو بن اسلان بن

أبي ازول الكندي ، أبو القاسم : ٢٤٥ .

٢٤٦ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ .

سندرة ، سندريسر (مطران طليطلة) :

١٣٩ - ٥٠٩ - ٥٢٩ - ٥٣٠ .

سهل بن ابراهيم بن روح : ٤٤٤ .

سوزو فولر : ٤٢٢ - ٤٢٦ .

سيشيا (مطران طليطلة) : ٥٣٨ .

سيمونت (الاس كاتيجلسي) : ٤٩١ - ٤٩٥ .

٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٩ - ٥٢٤ - ٥٢٩ .

٥٣٤ .

- ش -

- شاذان : ٣١٩ - ٣٢١ - ٣٢٩ - ٣٤٤
 ملك : ٣٣ - ٣٤ - ٣٤٤ - ٣٤٦
 ابن شام : ٤٨٧
 الشافعي : ٦٤٧ - ٦٥٥
 شاذر (بول هشام) : ٦٧٢
 شاذة (ملك نيرة) : ٥٢٢ - ٥٦٠
 شطون بن عباد الطليطي : ٦٥٦
 شبرت (سبرينو ، سبرة ، سبري) :
 شيبو : ٤٤٢
 شيب بن حيان : ٦٦٧
 شيراز : ٣٣٦ - ٣٤٠
 شعر بن غير : ٤٤٢
 شنداقتر (ملك) : ٣٢ - ٣٩ - ٣١٩
 شيرون : ٥٠٠
 شيبوس (أمقف طابطة) : ٤٧٢

- ص -

- صالح بن طريف بن شعون بن يعقوب بن
 إسحاق : ٢٢٥
 صالح بن منصور الهيمي اللقب بـ (العبد
 الصالح) : ٢٦٥ - ٢٧٠
 أبو الصباح الحنفي : ٤٢٩ - ٦٤٠ - ٦٤١
 ٦٧٩ - ٦٨٣
 صفوان بن أبي مالك : ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٦٥
 الصميل بن حاتم بن شمر اللقب بـ (ذي
 الجوشن) : ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١
 ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦
 ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩
 ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٤١
 ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤
 ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨
 ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢
 ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧
 ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢
 ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧
 ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢
 ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧
 ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢
 ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧
 ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢
 ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧
 ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢
 ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧
 ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢
 ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧
 ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢
 ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧
 ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢
 ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧
 ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢
 ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧
 ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢
 ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧
 ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢
 ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧
 ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢
 ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧
 ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢
 ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧
 ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢
 ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧
 ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢
 ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧
 ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢
 ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧
 ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢
 ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧
 ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢
 ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧
 ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢
 ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧
 ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢
 ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧
 ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢
 ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧
 ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢
 ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧
 ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢
 ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧
 ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢
 ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧
 ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢
 ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧
 ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢
 ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧
 ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢
 ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧
 ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢
 ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧
 ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢
 ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧
 ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢
 ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧
 ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢
 ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧
 ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢
 ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧
 ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢
 ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧
 ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢
 ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧
 ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢
 ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧
 ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢
 ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧
 ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢
 ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧
 ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢
 ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧
 ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢
 ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧
 ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢
 ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧
 ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢
 ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧
 ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢
 ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧
 ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢
 ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧
 ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢
 ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧
 ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢
 ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧
 ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢
 ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧
 ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢
 ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧
 ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢
 ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧
 ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢
 ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧
 ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢
 ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧
 ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢
 ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧
 ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢
 ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧
 ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢
 ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧
 ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢
 ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧
 ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢
 ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧
 ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢
 ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧
 ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢
 ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧
 ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢
 ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧
 ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢
 ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧
 ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢
 ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧
 ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢
 ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧
 ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢
 ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧
 ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢
 ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧
 ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢
 ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧
 ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢
 ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧
 ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢
 ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧
 ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢
 ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧
 ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢
 ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧
 ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢
 ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧
 ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢
 ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧
 ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢
 ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧
 ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢
 ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧
 ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢
 ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧
 ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢
 ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧
 ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢
 ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧
 ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢
 ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧
 ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢
 ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧
 ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢
 ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧
 ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢
 ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧
 ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢
 ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧
 ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢
 ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧
 ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢
 ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧
 ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢
 ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧
 ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢
 ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧
 ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢
 ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧
 ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢
 ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧
 ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢
 ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧
 ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢
 ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧
 ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢
 ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧
 ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢
 ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧
 ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢
 ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧
 ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢
 ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧
 ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢
 ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧
 ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢
 ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧
 ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢
 ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧
 ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢
 ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧
 ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢
 ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧
 ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢
 ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧
 ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢
 ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧
 ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢
 ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧
 ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢
 ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧
 ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢
 ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧
 ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢
 ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧
 ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢
 ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧
 ١٤٨٨ - ١٤٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩١ - ١٤٩٢
 ١٤٩٣ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ - ١٤٩٦ - ١٤٩٧
 ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٠ - ١٥٠١ - ١٥٠٢
 ١٥٠٣ - ١٥٠٤ - ١٥٠٥ - ١٥٠٦ - ١٥٠٧
 ١٥٠٨ - ١٥٠٩ - ١٥١٠ - ١٥١١ - ١٥١٢
 ١٥١٣ - ١٥١٤ - ١٥١٥ - ١٥١٦ - ١٥١٧
 ١٥١٨ - ١٥١٩ - ١٥٢٠ - ١٥٢١ - ١٥٢٢
 ١٥٢٣ - ١٥٢٤ - ١٥٢٥ - ١٥٢٦ - ١٥٢٧
 ١٥٢٨ - ١٥٢٩ - ١٥٣٠ - ١٥٣١ - ١٥٣٢
 ١٥٣٣ - ١٥٣٤ - ١٥٣٥ - ١٥٣٦ - ١٥٣٧
 ١٥٣٨ - ١٥٣٩ - ١٥٤٠ - ١٥٤١ - ١٥٤٢
 ١٥٤٣ - ١٥٤٤ - ١٥٤٥ - ١٥٤٦ - ١٥٤٧
 ١٥٤٨ - ١٥٤٩ - ١٥٥٠ - ١٥٥١ - ١٥٥٢
 ١٥٥٣ - ١٥٥٤ - ١٥٥٥ - ١٥٥٦ - ١٥٥٧
 ١٥٥٨ - ١٥٥٩ - ١٥٦٠ - ١٥٦١ - ١٥٦٢
 ١٥٦٣ - ١٥٦٤ - ١٥٦٥ - ١٥٦٦ - ١٥٦٧
 ١٥٦٨ - ١٥٦٩ - ١٥٧٠ - ١٥٧١ - ١٥٧٢
 ١٥٧٣ - ١٥٧٤ - ١٥٧٥ - ١٥٧٦ - ١٥٧٧
 ١٥٧٨ - ١٥٧٩ - ١٥٨٠ - ١٥٨١ - ١٥٨٢
 ١٥٨٣ - ١٥٨٤ - ١٥٨٥ - ١٥٨٦ - ١٥٨٧
 ١٥٨٨ - ١٥٨٩ - ١٥٩٠ - ١٥٩١ - ١٥٩٢
 ١٥٩٣ - ١٥٩٤ - ١٥٩٥ - ١٥٩٦ - ١٥٩٧
 ١٥٩٨ - ١٥٩٩ - ١٦٠٠ - ١٦٠١ - ١٦٠٢
 ١٦٠٣ - ١٦٠٤ - ١٦٠٥ - ١٦٠٦ - ١٦٠٧
 ١٦٠٨ - ١٦٠٩ - ١٦١٠ - ١٦١١ - ١٦١٢
 ١٦١٣ - ١٦١٤ - ١٦١٥ - ١٦١٦ - ١٦١٧
 ١٦١٨ - ١٦١٩ - ١٦٢٠ - ١٦٢١ - ١٦٢٢
 ١٦٢٣ - ١٦٢٤ - ١٦٢٥ - ١٦٢٦ - ١٦٢٧
 ١٦٢٨ - ١٦٢٩ - ١٦

١٢٢ - ١٢٧ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢
 ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩
 ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥
 ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١
 ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧
 ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣
 ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩
 ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥
 ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ٢٠٢ - ٢٠٣
 ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩
 ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥
 ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١
 ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
 ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣
 ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩
 ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥
 ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١
 ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧
 ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣
 ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩
 ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥
 ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١
 ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧
 ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣
 ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩
 ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥
 ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١
 ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧
 ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣
 ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
 ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥
 ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١
 ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧
 ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣
 ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩
 ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥
 ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١
 ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧
 ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣
 ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩
 ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥
 ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١
 ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧
 ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣
 ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩
 ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥
 ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١
 ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧
 ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣
 ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩
 ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥
 ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١
 ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧
 ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣
 ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩
 ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥
 ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١
 ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧
 ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣
 ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩
 ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥
 ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١
 ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧
 ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣
 ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩
 ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥
 ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١
 ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧
 ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣
 ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩
 ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥
 ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١
 ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧
 ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣
 ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩
 ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥
 ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١
 ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧
 ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣
 ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩
 ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥
 ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١
 ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧
 ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣
 ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩
 ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥
 ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١
 ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧
 ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣
 ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩
 ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥
 ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١
 ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧
 ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣
 ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩
 ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥
 ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١
 ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧
 ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣
 ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩
 ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥
 ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١
 ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧
 ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣
 ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩
 ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥
 ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١
 ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧
 ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣
 ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩
 ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥
 ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١
 ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧
 ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣
 ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩
 ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥
 ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١
 ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧
 ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣
 ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩
 ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥
 ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١
 ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧
 ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣
 ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩
 ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥
 ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١
 ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧
 ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣
 ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩
 ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥
 ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١
 ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧
 ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣
 ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩
 ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥
 ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١
 ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧
 ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣
 ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩
 ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥
 ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١
 ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧
 ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣
 ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩
 ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥
 ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١
 ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧
 ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣
 ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩
 ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥
 ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١
 ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧
 ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣
 ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩
 ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥
 ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١
 ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧
 ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣
 ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩
 ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥
 ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١
 ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧
 ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣
 ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩
 ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥
 ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١
 ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧
 ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣
 ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩
 ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥
 ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١
 ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧
 ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣
 ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩
 ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥
 ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١
 ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧
 ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣
 ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩
 ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥
 ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١
 ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧
 ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣
 ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩
 ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥
 ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١
 ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧
 ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣
 ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩
 ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥
 ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١
 ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧
 ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣
 ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩
 ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥
 ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١
 ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧
 ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣
 ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩
 ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥
 ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١
 ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧
 ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣
 ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩
 ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥
 ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١
 ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧
 ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣
 ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩
 ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥
 ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١
 ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧
 ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣
 ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩
 ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥
 ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١
 ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧
 ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣
 ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩
 ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥
 ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١
 ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧

٦٧٦ - ٦٧٥

عبدالله بن الربيع بن المروان : ٥١ - ٥٥ - ١٨٧

عبدالله بن محمد بن أبي شرح : ٥٠ - ٥١ - ١٣٧ - ١٣٥ - ١٣٦

عبدالله بن مقرئيد (مكزييد) : ٦٤١ - ٦٦٦

عبدالله بن علي (عم السجاح) : ٦٦١ - ٦٦٢

عبدالله بن عمر الأنصاري : ٦٨٢

عبدالله بن عمر بن الخطاب : ٥١ - ٤٤٤

عبدالله بن عمر بن قاسم ، أبو عبد الرحمن : ٨١

عبدالله بن عبيد ، أبو العباس : ٦٦١ - ٦٦٥ - ٦٦٢

عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن (الأمير) : ٦٦٢ - ٤١٦ - ٤١٨ - ٥٧٤

عبدالله بن مسعود التميمي : ٦٦٥

أبو عبدالله القسري التلمساني (قاتل الفصلا بناس وجمد صاحب قلع الطيب) : ٤٨٦ - ٤٨٧

عبدالله بن موسى بن نصير : ٥٩ - ٨٩ - ٩٦ - ٩٧ - ١٠٧ - ١٨٨ - ١٩١ - ٢١٧

٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

عبدالله بن ميرة القهوي : ١٧٤

عبدالله بن ياسين : ٦٧٥

عبدالله بن يوسف الفهري : ٦٨٠

عبدالله بن أبي أحمد الرقعي : ٦٦٩

عبدالله بن حبيب : ١٠٣ - ٤٥٨

عبدالله بن أبي حنبله القاسمي : ١٣٠ - ١٣١

عبد الملك بن عبدالله : ٢٨٤

عبد الملك بن قسطنطين تيمسك من عبدالله القهوي : ٢٢٨ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٤

٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٨٠

٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٢١

٢٣٢ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٤٠ - ٢٤١

٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٤٠١

٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٥٢٤

٦١٧ - ٦٢٢ - ٦٦٤

عبد الملك بن الكرويسوس السوري ، أبو مروان : ٦٦ - ٧٧

عبد الملك بن مروان : ٥١ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٩ - ١٠٨ - ١٦٤ - ٤٤٣

عبد الملك بن موسى بن نصير : ٩٧ - ١٠٨ - ٢١٧

عبد الملك بن وهب : ٦١٠

أبو عبد التميم الحسيني : ٥٧٤ - ٥٨٣ - ٦٠٠ - ٦٠١

عبد المؤمن بن علي : ٦٤

أبو عبد = حبان بن أبي عبد

عبد الواحد بن يزيد الجفاري : ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٦٦٦

عبد الوارث بن حبيب : ٢٤١

أبو عبيد السكري : ٧٨ - ٦٦٩ - ٥٥٥ - ٥٥٩ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٧٧

٥٧٨ - ٦١٢

أبو عبد بن سلام / ٤٧٢ - ٤٧٨

عبدالله بن الحبيب : ٥٧ - ٢٠٧ - ٢١٧

٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦

٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٥١ - ٥٥٢ - ٢٧٢

٢٢٤ - ٦١٧

- علي بن أبي طالب : ٢٤٧ .
 علي بن سعيد ، أبو الحسن : ٥٥٥ .
 علي بن شيبه : ٦٤٦ .
 علي بن عيسى : ٥٥٢ .
 عمران (أخو عاصم العمري) : ٦٧٥ .
 عمران بن عطاء الأزدي ، أبو عطاء :
 ٢٤١ - ٢٤٦ - ٦٤٤ .
 عمر بن ثوربة بن سلامة اللخمي : ٢٩١ -
 ٤٠٦ .
 عمر بن حفص : ٢٥٠ .
 عمر بن حفصون : ٤٧٢ - ٥٨٦ .
 عمر بن الخطاب : ٢٥٠ - ٤٧٦ - ٤٧٨ -
 ٦٢٧ - ٦٢٩ - ٦٣١ - ٦٣٥ - ٦٣٦ .
 عمر بن سهل : ٧٨ - ٩٣ .
 عمر بن عبد العزيز : ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ -
 ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٣ - ٣٠٥ - ٣٥٠ .
 ٤٦٠ - ٤٦٥ - ٦١٦ - ٦٢٠ - ٦٢٧ -
 ٦٢٨ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٤ - ٦٣٧ .
 عمر بن عباد الهادي : ٢٢٢ - ٢٢٥ .
 عمر بن قيسه الهيلي ، أبو حفص : ٢٤٥ .
 عمر بن مروان : ٦٨٦ .
 عمرو ، عمر (قائد عربي أرسله عقبة بن
 الحجاج بلذذ بحراً) : ٣٢٧ .
 عمرو بن الصالح : ٤٩ - ٥١ - ٥٤ - ٩١ -
 ٩٢ - ٤٧٦ - ٥٣٧ - ٦٣٦ .
 عمرو بن عباد بن الليث : ٤٤٥ .
- عمير بن سعيد اللخمي : ٤٥٨ - ٥٢٨ .
 عيسى بن سحيم الكلبي : ٢١٢ - ٢١٤ -
 ٢١٥ - ٢٢٠ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ -
 ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ -
 ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٤٦ - ٢٤٨ -
 ٢٧٢ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ -
 ٢٧٨ - ٢٨٦ - ٤٣١ - ٥٤٠ - ٦١٦ -
 ٦٢١ .
 عنترة بن ضحاح : ٦٤٥ - ٦٤٧ - ٦٥٢ -
 ٦٥٣ .
 عياض بن أمييل : ٥٩ - ٦٠ - ١٠٥ - ١٠٨ -
 ١٢٩ .
 عياض (القاضي) : ٨١ .
 عياض بن وهب الهجري : ٢٦٩ .
 عيسى بن أحمد المرادي : ٣٦٤ - ٣٧٢ -
 ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٤٧٤ - ٤٧٥ -
 ٥٢٢ - ٥٢٦ - ٥٥٢ - ٥٥٥ - ٥٥٦ .
 عيسى بن عبد الرحمن : ٦٧٨ .
 عيسى بن عباد الطويل : ٦٤٤ .
 عيسى بن مزاحم : ٤٥٨ - ٤٨٦ - ٥٢٨ -
 ٥٢٨ .
 عيسى السجعي عليه السلام : ٩٣ - ٤٥٦ -
 ٤٥٧ - ٥٠٥ - ٥١١ - ٥٢٧ .
 عيسى بن يزيد الأسود : ٢٤٥ - ٢٤٦ -
 ٢٦٨ - ٢٦٩ .

- غ -

- أبو غوص : ٥٥٩ .
 غبطة (ملك) : ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ -
 ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ١٠٠ .
 ابن طازي : ٤٥٧ .
 الغازي بن قيس : ٦٥٧ .
 ابن غالب - محمد بن أبو بن غالب .

٤٦٨ - ٥٣٦ - ٦٠٤ - ٦٣٧ - ٦٦٩ - قيس : ٥١٥ .
٦٤٠ .

- ك -

كاراكالا : ٥٥٧ .
كارولوس = قارله .
كولت (مؤرخ) : ٣٦ .
الكعبة : ٢٦ - ٥٦ - ٥٧ - ١٠٢ - ١١٧ .
كسيلة بن لمرح الأدي : ٥٣ - ٥٤ .
كثوم بن عباس القشيري : ٢٢٨ - ٢٢٩ .
٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ .
كولد (مؤرخ) : ٢١٠ .

- ل -

لاوي الأكبر (الكبير) : ٤٢٦ .
ابن لياة = محمد بن عمر بن لياة .
الأسدي (روهبره ، روهريك ، روهريكو) :
ملك القسوط : ٦٨ - ٦٩ - ٣٠ - ٣١ .
٣٢ - ٣٣ - ٣٩ - ٦٨ - ٧٩ - ٧٠ .
٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ .
٧٩ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ١٠٠ - ١٠١ .
١٠٣ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٦ - ١١٨ .
١٢١ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ .
١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ .
١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤١ - ١٤٤ .
١٥٣ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ .
١٦٠ - ١٧٢ - ١٨٩ - ١٦٤ - ٢١٧ .
٢١٨ - ٢٨١ - ٤٥٧ - ٤٧٤ - ٤٧٩ .
٥٠٩ - ٥٣٧ - ٦٦٦ .
لسان الدين بن الخطيب : ٦٥ - ٤٢٨ .

٥٧٨ - ٦٠٨ - ٦٣٠ .

لطفي عبد البديع : ٥٧٨ .

لويان (قس) : ٥٢٢ .

لوقا التومي : ٣٦٨ - ٣٦٩ .

لوتبراند : ٦٢٧ .

لويس ليليب ليلي سينرا : ٧٣ - ٥٧٧ .

ليانفرو ، لياتفروس (راحب) : ٢٨ - ٤٠ .

٤٢ - ٤٩٩ - ٥٢٢ .

الليث بن سعد : ٦٥٤ .

ليفي بروقتسالك : ٧٠ - ٨٦ - ٣١٠ - ٣٢٧ .

٤٣٠ - ٤٣٥ - ٤٤٨ - ٤٥٩ - ٤٦٥ .

٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٥٦٤ .

٥٧٧ - ٥٧٩ - ٦٠٢ - ٦٤٨ - ٦٤٩ .

ليليان : النظر اليان .

ليوفيجيند (ملك) : ٢١ .

ليونفوس : ٥٥ .

محمد بن يوسف ، أبو الأسود : ٦٨٥ - ٦٨٧ .
 محمد بن يوسف الوراق : ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ .
 مدثر بن يزيد الأسود : ٦١٦ .
 مروان بن الحكم : ٦٨٧ - ٤٤٦ - ٦٨٠ .
 مروان بن محمد : ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ .
 مروان بن موسى بن أبي مدرك : ١٠٢ .
 مروان بن موسى بن نصير : ٥٩ - ١٠١ .
 ١٠٧ - ١٠٩ - ١٠٩ - ٥٢٢ .
 ابن سماعة : ٤٨٧ .
 سلمة بن زرعة بن روح ، أبو محمد : ٦١٨ .
 سلمة بن سوانة القرشي : ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ .
 سلمة بن عبدالمك : ٦٦٦ - ٦٦٥ .
 سلمة بن مخلد : ٥٢ .
 السجود بن حمزة بن نوفل الزهري : ٧٨ .
 الشعب بن مسران (الفلاني) : ٤٨٥ - ٤٨٦ .
 معاوية بن حجاج : ٤٩ - ٥١ - ٥٢ - ٦٢٧ - ٦٢٠ .
 معاوية بن أبي سفيان : ٥١ - ٦٢٧ - ٤٤٢ .
 معاوية بن صالح : ٤٨٢ - ٤٨٥ - ٦٥٠ .
 ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ .
 معاوية بن صفوان : ٢٢٩ .
 معاوية بن هشام : ٢٢٢ - ٦٦٥ .
 المعتصم : ٥٠٢ .
 المعز بن يحيى : ٧٧ .
 مغيث السروسي : ١٠٨ - ١١١ - ١٢٠ .
 ١٢٨ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ .
 ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ .

١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٢ - ٢٢٢ - ٢٢٤ .
 ٢٢٥ - ٤٤٨ .
 المنسية بن أبي بركة القرشي : ٥٩ - ١٠٨ .
 ١٢٩ - ٢١٩ .
 ابن مروج : ٦١٩ .
 المنطقي : ٥٥٦ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٨٢ .
 ٥٨٥ - ٥٨٧ - ٥٨٩ .
 المقري = أحمد بن عيسى بن محمد المقري
 المقريزي : ٥٥٢ - ٥٥٥ .
 مكرم بن جميل : ٢٤٢ .
 المنصور بن محمد (الأسير) : ٢٦٢ - ٤٠٢ - ٤١٨ .
 المنصور = أبو جعفر المنصور .
 المنصور بن أبي عامر : ٣٦٦ - ٣٨٢ - ٤١٧ .
 ٤٤٦ - ٤٤٩ .
 منتهى بدال : ٤٩٩ .
 مهاجر بن نوفل القرشي : ٦٤٥ - ٦٤٧ - ٦٥٢ .
 مهدي بن مسلم : ٤٨١ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ .
 ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٥٠ - ٦٥٢ .
 مهران بن عبد ربه : ٤٤٧ .
 مؤمنون لآخرين (مؤرخ إسباني) : ١٦٠ .
 أم موسى (أخت الصلح) : ٦٧٢ .
 موسى بن أبي خالد : ٢٢٧ .
 موسى بن عائش بن عتبة : ٥٩ .
 موسى بن محمد بن حنبل : ٤٤٦ - ٤٤٧ .
 موسى بن نصير : ٤٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٥ - ٦٧ - ٧٠ - ٧٨ - ٨٢ - ٨٥ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ .

١١٧ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠	١١٧ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠
١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٢٨	١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٢٨
١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٣٧ - ١٤٢	١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٣٧ - ١٤٢
١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨	١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨
١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣	١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣
١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨	١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨
١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣	١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨	١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨
١٦٩ - ١٧٣ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨١	١٦٩ - ١٧٣ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨١
١٨٤ - ١٨٨ - ١٩١ - ١٩٣ - ٢٠٨	١٨٤ - ١٨٨ - ١٩١ - ١٩٣ - ٢٠٨
٢١٧ - ٢٢٢ - ٢٢٦ - ٢٢٦ - ٢٨١	٢١٧ - ٢٢٢ - ٢٢٦ - ٢٢٦ - ٢٨١
٢٠٢ - ٢٠٩ - ٢٢٠ - ٢٢٥ - ٢٠٠	٢٠٢ - ٢٠٩ - ٢٢٠ - ٢٢٥ - ٢٠٠
٢١٨ - ٢١٣ - ٢٢٠ - ٢٢٩ - ٢٣٤	٢١٨ - ٢١٣ - ٢٢٠ - ٢٢٩ - ٢٣٤
٢٣٧ - ٢٤٦ - ٢٤٣ - ٢٧٣	٢٣٧ - ٢٤٦ - ٢٤٣ - ٢٧٣

= ٥ =

الناصر = عبد الرحمن الناصر .	نصر بن سيار : ٢٠٤ .
النباهي = أبو الحسن النباهي .	نصير بن حاتم الأبهني : ٢٦٦ .
أبو نصر (الرسول الثاني للخليفة الوليد إلى	نيمان بن عبدالله الحضري : ١٧٠ .
سجسج أو كنية مغيث رسول السويدي	نخزاد (أكبر أبناء لادوي الأكبر) : ٤٢٦ .
(الأول) : ١٦٦ .	النوري : ٧٧ - ٧٨ - ٢٠٤ - ٥٥٢ .

= ٦ =

عازون الرشيد : ٥٥٤ .	٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١٣ - ٦٨٤ .
عازون الغزي : ٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٣٥ .	عشام بن عبد الملك : ٢٠٤ - ٢١١ - ٢١٤ .
عائيل : ١٢٩ .	٢١٦ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٧ - ٢٢٨ .
عديان الأول (الثاني) : ٥١١ .	٢٢٢ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٣٨ - ٤١١ .
عمران بن أعين : ٢٤٥ .	٤٤٢ - ٤٤٨ - ٥٢٧ - ٥٢١ - ٥٢٥ .
عزقل : ٢٥٦ .	٥٢٨ - ٦١٨ - ٦١٧ - ٦٤٤ .
عزقونس : ٥١٠ .	عطربك (كسولت تيمه أو تيم) : ٢٤ .
عزقولاتو : ٣٩١ .	٥٠٢ .
عشام بن عبد الرحمن القاسم : ١٦٠ .	القعداني : ٥٨٩ .

عزري يوزين : ٢٥٥ -
مولود يونس بن ابي يونس : ١٥

الحريش بن عبيدة (عسقلان) الكتاني
(الكلابي) : ٢١٤ - ٢١٧ - ٢٢٢ -

- ج -

الواقدي : ٧٨ - ٧٩ - ١٩١ -
والبا (زعيم القوط الغربيين) : ١٧ -
واميا (ملك) : ٢٤ - ٥١٤ -
وخلفه : ٥٠٣ -
الواقص بن عبد العزيز الكتاني : ٤٠٤ -
وقته : أنظر أميلا -
الوليد بن عبد الملك : ٣٠ - ٥٨ - ٨٣ - ٨٦ -
٩٠ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١٢٠ -
١٢٨ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ -
الوليد بن يزيد : ٢٣٧ - ٢٣٨ -
وعب بن عمار بن عمرو القرظي : ٦٧٠ -
٦٧٥ - ٦٧٦ -
ومزيك : ٥٠٣ -

- ي -

يساقوت الحميري : ٥٥٢ - ٥٥٦ - ٥٧٧ -
٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٤ - ٥٩٠ -
٥٩٢ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٥ -
يحيى بن ادم : ٤٧٨ - ٤٣٣ -
يحيى بن حريش : ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ -
٢٩٤ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٥٩١ - ٦٤٠ -
يحيى بن أبي زيد التحميري (قاضي الحشد) :
٦٤٤ -
يحيى بن سعيد : ٦٥٤ -
يحيى بن سلاسة الكلبي : ٢١٢ - ٦١٦ -
٦٢١ -
أبو يحيى بن قريش الخواري : ٢٦٧ -
يحيى بن لبي : ٤٤٢ -
يحيى بن معاوية بن هشام : ٦٦٢ -
يحيى بن عيين : ٤٨٥ - ٦٥٥ -
يحيى بن يحيى التحميري (قاضي هشام على
الشمسين) : ٦٤٤ -
يحيى بن يحيى اللبني : ٦٥٧ -

يحيى بن يزيد التحميري : ٦١٩ - ٦٤٣ -
٦٥٤ - ٦٥٤ - ٦٨٥ -
يزيد بن الكعبة : ١٤٢ -
يزيد بن حاتم : ٢٦٧ -
يزيد بن صفوان المغربي : ٢٦٦ -
يزيد بن عبد الملك : ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١٨ -
٢٢٠ - ٦٧٩ -
يزيد بن أبي مسلم : ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦ -
٢٠٨ - ٢١١ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ -
يزيد بن معاوية : ٥٣ -
يزيد بن الهيثم : ٩٩ - ١٤٩ - ١٥٠ -
١٦٨ -
اليقطيني : ٥٨٩ -
يظن بن الكعبة : ١٠٢ -
بليان : ٦٢ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٩ -
١١٠ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ -
١٢٠ - ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٦ -
١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ -

- ٥٩١ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٣ - ٦٣٦
- ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤٣ - ٦٤٩ - ٦٥٤
- ٦٦١ - ٦٦٦ - ٦٥٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩
- ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٥
- ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠
- ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥
- ٦٨٦ - ٦٨٧ .

أبو يوسف القاسمي (صاحب كتاب
الحجراج) : ٤٧٣ - ٤٧٦ - ٤٧٨ - ٥٥٤ -
٦٣٥ - ٦٥٥ .

يوسف بن هشام : ٧٨ - ٩٣ .

أبو يوسف الخزازي : ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٩٢ -
٢٩٦ .

يوليانوس (مطران طيطلة) : ٥٠٧ .

يوليوس القاهري : ٢٧٨ .

يونس بن قيس : ٤٤٢ .

- ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٥ - ١٤٩
- ١٥١ - ١٦٦ .

يوحنا الثالث (البابا) : ٤٦٤ .

يوحنا (البطريق) : ٥٧٠ .

يوحنا المعمدان : ٥١٠ .

يوحنا العاشر (البابا) : ٥٢٢ .

يوربيك : ١٧ - ١٨ - ٢٣ .

يوسف بن بخت (أبو الحاج) : ٢٩٩ .

- ٤٣٧ - ٤٣٩ - ٥٣٦ - ٦٦٨ - ٦٦٩ -

٦٧٤ .

يوسف بن ثاقب : ٢٦٥ .

يوسف بن عمر التتفي : ٢٠٤ .

يوسف القهيري : ٢٩٠ - ٢٩٢ - ٢٩٣ .

- ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ .

- ٢٩٩ - ٣٢٣ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٧٢ .

- ٣٧٤ - ٣٧٦ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٣٩ .

- ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٤ - ٤٣٨ - ٥٢٩ .

- باغايا : ٥٦ - ٩٤
 باغيا : ٥٧١
 باكونا : ٥٦٠
 بالوحاس (جزيرة) : ١٢٨
 باشرا : ٥٧٩ - ٥٨٠
 بجانة : ٥٦٠ - ٥٦٦ - ٥٧٥ - ٥٨٦ - ٥٨٨
 ٦٠١ - ٦٠٢
 بجافة (مصر) : ٦٠٤
 البحر الأبيض المتوسط : ٥٧ - ١٦٩ - ٣٢٢
 ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٤٢١ - ٥٤٧
 البحر الأسود : ٥٤٢
 بحر البلطيق : ٥٤٢
 بحر الروم : ٥٧٤
 البر (مصر) : ٣٣٧
 براقوه : ٥٥٩
 البرباط (مصر، سهل) : ٦٧ - ١٣٤ - ١٣٣
 ١٣٤ - ١٣٥
 البرغال، الشداية، لوزانيا : ٩ - ٦٨
 ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٣٠ - ٥١٨ - ٥٢٢
 ٥٤١ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٧٦ - ٥٨٤
 بردان، بردون : ٣٢٣
 بردوليا : ٣٩٥ - ٣٩٦
 برديل : ٤٤٠
 برشلونة، بريكنو، بريستونا : ٨ - ١٩ - ٢٠
 ٤٢ - ١٧٠ - ٢٠٣ - ٢٠٧ - ٢١٦ - ٢٥٩
 ٤١٣ - ٤١٦ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٦٠٠
 برطانية : ٦٠٠
 برطقال : أنظر برودنو
 برطش : ١١٢ - ٥٢٣
 برقة : ١٩ - ٥١ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٦٦
 بروفاشس : ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٤٠
 بروفاو : ٥٨٧
- برطانية (مدينة في الأندلس) : ٥٨٠
 ٥٨١ - ٥٨٢
 بسطه : ٥٦٠
 بسكالية (خليج) : ١٦ - ١٦٨ - ١٨١
 ٣١٨ - ٣٢٣ - ٣٥٩ - ٤٦٦
 بسكرة : ٢٦٩
 البصرة : ٥٩ - ٣٤٦ - ٥٩٢ - ٥٩٣
 بطرش، بيزيه : ٥٥٩
 بطليوس، بطليوث : ٣٠ - ٤١٣ - ٤١٤
 ٥٢٠ - ٥٧٦ - ٥٨٠ - ٥٨٩ - ٦٠٢
 بقناد : ٥٥١ - ٥٩٢
 بقندورة، قندورة : ٢٢٤ - ٢٢٦ - ٤٠١
 بكسرة : ١٧٤
 بقلية : ٥٨١ - ٥٨٧
 بككة، الككة، لينة (بلدية) : ١٣٢
 بلاة عرسية : ٤٢٢
 بلازيا : ٥٦٠
 بلاط الحمر : ٦٣٩
 بلاط الشهداء : ٦٥١ - ٢١٩ - ٢٢٢ - ٢٢٦
 ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٤
 ٢٣٥ - ٢٤٥ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥
 ٦٣٩
 بلاط السويق : ٦٣٩
 بلاط مروان : ٥٨٦ - ٥٨٧
 بلاط سفيت، البليانة : ١٧٠ - ١٩٢
 ٥٤٢ - ٦٣٩
 بلد الوليد : أنظر شالياد وليد
 بطش (إقليم) : ٥٩٧
 بطش (مصر) : ٥٩٧
 بلكونه (حصن) : ٥٨٨
 بلنقلة : ١٧٤
 بنسبة : ٤١٣ - ٤١٦ - ٤٦٨ - ٥٥٨ - ٥٦٠

٥٧٥ - ٥٧٩ - ٥٨٢ - ٥٨٥ - ٥٨٦
 ٥٨٨ - ٥٩٠ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩
 ٦٠٢
 بلسيه (نهر) : ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩
 بل (نهر) : ٤٦٩ - ٤٦٨ - ٤٦٩
 بلبارش : ٥٦٠
 بلبلوت : ٤٦٧ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩
 ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤
 ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨
 بقره : ٥٦١
 بقطريس طائفة : ٢٧٩
 بؤمره (إقليم) : ٥٩٨ - ٥٩٥ - ٥٩٦
 بواليه : ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩
 بوزغر : ٣٩٢ - ٣٩٣
 بوزجوتيا : ٣٠٧ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨
 ٣٢٦ - ٣٢٧

- ث -

٦٥٨ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥
 ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩
 ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢
 ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥
 ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨
 ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١
 ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥
 ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩
 ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢
 ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥
 ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩
 ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢
 ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥
 ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩
 ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢
 ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩
 ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩

- قسانان : ٢١٥٠ -
 تيس : ٦٤٧ - ٦٤٦ -
 تيوقة : ٥٢ - ٦١ - ٦٦٩ -
 توفقة : ٣٦٨ - ٣٨٠ -
 توفقي : ٥٥٩ -
 تور : ٣٢٣ - ٣٢٧ - ٣٢٧ -
 تورق : ٢٦٤ -
 تورقة : ٢٤٤ -
 التوريس (نهر) : ٦٦٦ -
 توتس : ٥٢ - ٥٢ - ٥٧ - ٦٠٧ - ٦٤٦ -
 ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٤٤ - ٢٦٦ - ٤٢٢ -
 ٦٦٤ - ٦٦٥ -
 توتس (مصرى) : ٦٠٤ -
 التينطار (نهر) : ٦٥٨ -
 تيروال : ٤٢٦ -

-ج-

- الجبارون (نهر) : ٣٢٣ -
 جبل طارق، (جبل القلعة) : ٨٧ - ١٣٠ -
 ١٣١ - ١٤٥ - ١٥٠ - ١٥٢ - ١٧٠ -
 ٣٢٥ -
 جبل طارق (جزيرة) : ٥٨٦ -
 جركنة : ٥٦٠ -
 جرجيريل : ٣٤٤ -
 الجزائر : ٢٢٧ -
 الجزائر الشرقية : ٥٥٨ -
 جزول (جبل) : ٢٤٤ -
 الجزيرة الخضراء : ١٣١ - ١٢٧ - ١٤٥ -
 ١٥٠ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٨٥ -
 ٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٨ - ٢٨٠ -
 ٢٨٢ - ٤٠٠ - ٤١٣ - ٤١٥ - ٤١٧ -
 ٤٦٨ - ٥٦٦ - ٥٧٢ - ٥٨٠ -
 ٥٨٩ - ٦٠٢ - ٦١٤ -
 الجوز : ٥٨٦ - ٥٨٨ -
 جوكر (نهر) : انظر شفر -
 جوكي (نهر) : ٤١٣ - ٦٠٢ -
 جوكي (المقيم) : ٦٠٢ -
 جولا : ٥١ -
 جليقية : ٧ - ١٦ - ٢٠ - ٢١ - ٣٨ - ١١٢ -
 ١٥٤ - ١٦٦ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٩ -
 ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٣١٢ -
 ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٩ - ٣٧٢ - ٣٧٤ -
 ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ -
 ٣٨١ - ٣٨٥ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ -
 ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٤٢٢ -
 ٤٦٦ - ٤٦٠ - ٥١٨ - ٥٤١ - ٥٥٧ -
 ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٧١ - ٥٨٤ -
 جوادالبي : انظر وادي بكة -
 جواردا : ٤٢٢ -
 جوكان : ٢٨٧ - ٤٠٤ - ٤١٥ - ٤١٧ - ٤٢٢ -
 ٤٢٨ - ٤٥٧ - ٥٢٧ - ٥٦١ - ٥٧٢ -
 ٥٧٧ - ٥٥٩ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٨ -
 ٥٩٠ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٨ - ٦٤٠ -
 ٦٦٧ - ٦٦٩ - ٦٧١ - ٦٨٢ - ٦٨٤ -
 جوكان (نهر) : ٦٠٢ -
 جوجون (نهر) : ٥٧٤ -
 جويه : ٣٢١ -
 جيقودان : ٣٦٤ -

- ج -

الحمائل : 187 - 178 - 166 .
حصن بُكورة : 587 .
أم حكيم (جزيرة) : 207 - 182 .
حصن : 287 - 206 - 179 - 572 - 600 .
الحمة (جزر) : 173 .
حصن موت : 179 .

- ح -

خراسان : 187 - 208 - 209 - 228 .
الغصق ، لاخاند (بحيرة) : 67 - 71 .
210 - 278 - 279 - 572 - 592 .
171 .
الجزر (مرسى) : 608 .
عيطون : 112 - 160 - 179 - 209 .
عشبة : 576 - 509 .
318 - 372 - 381 .

- د -

داني : 560 .
الدوراتون (نهر) : 540 .
الدوروني (نهر) : 323 .
الدجاج (مرسى) : 601 - 612 .
دجلة (نهر) : 571 .
دورق (نهر) : 61 - 229 .
دورق : 113 .
دلايه : 119 .
الديورية ، الشوير (نهر) : 111 - 221 .
دمشق : 30 - 98 - 122 - 129 - 160 .
229 - 279 - 579 - 581 .
196 - 177 - 167 - 146 .
211 - 219 - 222 - 289 .
289 - 287 - 288 .
287 - 298 - 299 .
298 - 302 - 319 .
298 - 318 - 321 .
318 - 321 - 322 - 323 .
321 - 322 - 323 - 324 .
324 - 325 - 326 - 327 .
327 - 328 - 329 - 330 .
330 - 331 - 332 - 333 .
333 - 334 - 335 - 336 .
336 - 337 - 338 - 339 .
339 - 340 - 341 - 342 .
342 - 343 - 344 - 345 .
345 - 346 - 347 - 348 .
348 - 349 - 350 - 351 .
351 - 352 - 353 - 354 .
354 - 355 - 356 - 357 .
357 - 358 - 359 - 360 .
360 - 361 - 362 - 363 .
363 - 364 - 365 - 366 .
366 - 367 - 368 - 369 .
369 - 370 - 371 - 372 .
372 - 373 - 374 - 375 .
375 - 376 - 377 - 378 .
378 - 379 - 380 - 381 .
381 - 382 - 383 - 384 .
384 - 385 - 386 - 387 .
387 - 388 - 389 - 390 .
390 - 391 - 392 - 393 .
393 - 394 - 395 - 396 .
396 - 397 - 398 - 399 .
399 - 400 - 401 - 402 .
402 - 403 - 404 - 405 .
405 - 406 - 407 - 408 .
408 - 409 - 410 - 411 .
411 - 412 - 413 - 414 .
414 - 415 - 416 - 417 .
417 - 418 - 419 - 420 .
420 - 421 - 422 - 423 .
423 - 424 - 425 - 426 .
426 - 427 - 428 - 429 .
429 - 430 - 431 - 432 .
432 - 433 - 434 - 435 .
435 - 436 - 437 - 438 .
438 - 439 - 440 - 441 .
441 - 442 - 443 - 444 .
444 - 445 - 446 - 447 .
447 - 448 - 449 - 450 .
450 - 451 - 452 - 453 .
453 - 454 - 455 - 456 .
456 - 457 - 458 - 459 .
459 - 460 - 461 - 462 .
462 - 463 - 464 - 465 .
465 - 466 - 467 - 468 .
468 - 469 - 470 - 471 .
471 - 472 - 473 - 474 .
474 - 475 - 476 - 477 .
477 - 478 - 479 - 480 .
480 - 481 - 482 - 483 .
483 - 484 - 485 - 486 .
486 - 487 - 488 - 489 .
489 - 490 - 491 - 492 .
492 - 493 - 494 - 495 .
495 - 496 - 497 - 498 .
498 - 499 - 500 - 501 .
501 - 502 - 503 - 504 .
504 - 505 - 506 - 507 .
507 - 508 - 509 - 510 .
510 - 511 - 512 - 513 .
513 - 514 - 515 - 516 .
516 - 517 - 518 - 519 .
519 - 520 - 521 - 522 .
522 - 523 - 524 - 525 .
525 - 526 - 527 - 528 .
528 - 529 - 530 - 531 .
531 - 532 - 533 - 534 .
534 - 535 - 536 - 537 .
537 - 538 - 539 - 540 .
540 - 541 - 542 - 543 .
543 - 544 - 545 - 546 .
546 - 547 - 548 - 549 .
549 - 550 - 551 - 552 .
552 - 553 - 554 - 555 .
555 - 556 - 557 - 558 .
558 - 559 - 560 - 561 .
561 - 562 - 563 - 564 .
564 - 565 - 566 - 567 .
567 - 568 - 569 - 570 .
570 - 571 - 572 - 573 .
573 - 574 - 575 - 576 .
576 - 577 - 578 - 579 .
579 - 580 - 581 - 582 .
582 - 583 - 584 - 585 .
585 - 586 - 587 - 588 .
588 - 589 - 590 - 591 .
591 - 592 - 593 - 594 .
594 - 595 - 596 - 597 .
597 - 598 - 599 - 600 .
600 - 601 - 602 - 603 .
603 - 604 - 605 - 606 .
606 - 607 - 608 - 609 .
609 - 610 - 611 - 612 .
612 - 613 - 614 - 615 .
615 - 616 - 617 - 618 .
618 - 619 - 620 - 621 .
621 - 622 - 623 - 624 .
624 - 625 - 626 - 627 .
627 - 628 - 629 - 630 .
630 - 631 - 632 - 633 .
633 - 634 - 635 - 636 .
636 - 637 - 638 - 639 .
639 - 640 - 641 - 642 .
642 - 643 - 644 - 645 .
645 - 646 - 647 - 648 .
648 - 649 - 650 - 651 .
651 - 652 - 653 - 654 .
654 - 655 - 656 - 657 .
657 - 658 - 659 - 660 .
660 - 661 - 662 - 663 .
663 - 664 - 665 - 666 .
666 - 667 - 668 - 669 .
669 - 670 - 671 - 672 .
672 - 673 - 674 - 675 .
675 - 676 - 677 - 678 .
678 - 679 - 680 - 681 .
681 - 682 - 683 - 684 .
684 - 685 - 686 - 687 .
687 - 688 - 689 - 690 .
690 - 691 - 692 - 693 .
693 - 694 - 695 - 696 .
696 - 697 - 698 - 699 .
699 - 700 - 701 - 702 .
702 - 703 - 704 - 705 .
705 - 706 - 707 - 708 .
708 - 709 - 710 - 711 .
711 - 712 - 713 - 714 .
714 - 715 - 716 - 717 .
717 - 718 - 719 - 720 .
720 - 721 - 722 - 723 .
723 - 724 - 725 - 726 .
726 - 727 - 728 - 729 .
729 - 730 - 731 - 732 .
732 - 733 - 734 - 735 .
735 - 736 - 737 - 738 .
738 - 739 - 740 - 741 .
741 - 742 - 743 - 744 .
744 - 745 - 746 - 747 .
747 - 748 - 749 - 750 .
750 - 751 - 752 - 753 .
753 - 754 - 755 - 756 .
756 - 757 - 758 - 759 .
759 - 760 - 761 - 762 .
762 - 763 - 764 - 765 .
765 - 766 - 767 - 768 .
768 - 769 - 770 - 771 .
771 - 772 - 773 - 774 .
774 - 775 - 776 - 777 .
777 - 778 - 779 - 780 .
780 - 781 - 782 - 783 .
783 - 784 - 785 - 786 .
786 - 787 - 788 - 789 .
789 - 790 - 791 - 792 .
792 - 793 - 794 - 795 .
795 - 796 - 797 - 798 .
798 - 799 - 800 - 801 .
801 - 802 - 803 - 804 .
804 - 805 - 806 - 807 .
807 - 808 - 809 - 810 .
810 - 811 - 812 - 813 .
813 - 814 - 815 - 816 .
816 - 817 - 818 - 819 .
819 - 820 - 821 - 822 .
822 - 823 - 824 - 825 .
825 - 826 - 827 - 828 .
828 - 829 - 830 - 831 .
831 - 832 - 833 - 834 .
834 - 835 - 836 - 837 .
837 - 838 - 839 - 840 .
840 - 841 - 842 - 843 .
843 - 844 - 845 - 846 .
846 - 847 - 848 - 849 .
849 - 850 - 851 - 852 .
852 - 853 - 854 - 855 .
855 - 856 - 857 - 858 .
858 - 859 - 860 - 861 .
861 - 862 - 863 - 864 .
864 - 865 - 866 - 867 .
867 - 868 - 869 - 870 .
870 - 871 - 872 - 873 .
873 - 874 - 875 - 876 .
876 - 877 - 878 - 879 .
879 - 880 - 881 - 882 .
882 - 883 - 884 - 885 .
885 - 886 - 887 - 888 .
888 - 889 - 890 - 891 .
891 - 892 - 893 - 894 .
894 - 895 - 896 - 897 .
897 - 898 - 899 - 900 .
900 - 901 - 902 - 903 .
903 - 904 - 905 - 906 .
906 - 907 - 908 - 909 .
909 - 910 - 911 - 912 .
912 - 913 - 914 - 915 .
915 - 916 - 917 - 918 .
918 - 919 - 920 - 921 .
921 - 922 - 923 - 924 .
924 - 925 - 926 - 927 .
927 - 928 - 929 - 930 .
930 - 931 - 932 - 933 .
933 - 934 - 935 - 936 .
936 - 937 - 938 - 939 .
939 - 940 - 941 - 942 .
942 - 943 - 944 - 945 .
945 - 946 - 947 - 948 .
948 - 949 - 950 - 951 .
951 - 952 - 953 - 954 .
954 - 955 - 956 - 957 .
957 - 958 - 959 - 960 .
960 - 961 - 962 - 963 .
963 - 964 - 965 - 966 .
966 - 967 - 968 - 969 .
969 - 970 - 971 - 972 .
972 - 973 - 974 - 975 .
975 - 976 - 977 - 978 .
978 - 979 - 980 - 981 .
981 - 982 - 983 - 984 .
984 - 985 - 986 - 987 .
987 - 988 - 989 - 990 .
990 - 991 - 992 - 993 .
993 - 994 - 995 - 996 .
996 - 997 - 998 - 999 .
999 - 1000 - 1001 - 1002 .
1002 - 1003 - 1004 - 1005 .
1005 - 1006 - 1007 - 1008 .
1008 - 1009 - 1010 - 1011 .
1011 - 1012 - 1013 - 1014 .
1014 - 1015 - 1016 - 1017 .
1017 - 1018 - 1019 - 1020 .
1020 - 1021 - 1022 - 1023 .
1023 - 1024 - 1025 - 1026 .
1026 - 1027 - 1028 - 1029 .
1029 - 1030 - 1031 - 1032 .
1032 - 1033 - 1034 - 1035 .
1035 - 1036 - 1037 - 1038 .
1038 - 1039 - 1040 - 1041 .
1041 - 1042 - 1043 - 1044 .
1044 - 1045 - 1046 - 1047 .
1047 - 1048 - 1049 - 1050 .
1050 - 1051 - 1052 - 1053 .
1053 - 1054 - 1055 - 1056 .
1056 - 1057 - 1058 - 1059 .
1059 - 1060 - 1061 - 1062 .
1062 - 1063 - 1064 - 1065 .
1065 - 1066 - 1067 - 1068 .
1068 - 1069 - 1070 - 1071 .
1071 - 1072 - 1073 - 1074 .
1074 - 1075 - 1076 - 1077 .
1077 - 1078 - 1079 - 1080 .
1080 - 1081 - 1082 - 1083 .
1083 - 1084 - 1085 - 1086 .
1086 - 1087 - 1088 - 1089 .
1089 - 1090 - 1091 - 1092 .
1092 - 1093 - 1094 - 1095 .
1095 - 1096 - 1097 - 1098 .
1098 - 1099 - 1100 - 1101 .
1101 - 1102 - 1103 - 1104 .
1104 - 1105 - 1106 - 1107 .
1107 - 1108 - 1109 - 1110 .
1110 - 1111 - 1112 - 1113 .
1113 - 1114 - 1115 - 1116 .
1116 - 1117 - 1118 - 1119 .
1119 - 1120 - 1121 - 1122 .
1122 - 1123 - 1124 - 1125 .
1125 - 1126 - 1127 - 1128 .
1128 - 1129 - 1130 - 1131 .
1131 - 1132 - 1133 - 1134 .
1134 - 1135 - 1136 - 1137 .
1137 - 1138 - 1139 - 1140 .
1140 - 1141 - 1142 - 1143 .
1143 - 1144 - 1145 - 1146 .
1146 - 1147 - 1148 - 1149 .
1149 - 1150 - 1151 - 1152 .
1152 - 1153 - 1154 - 1155 .
1155 - 1156 - 1157 - 1158 .
1158 - 1159 - 1160 - 1161 .
1161 - 1162 - 1163 - 1164 .
1164 - 1165 - 1166 - 1167 .
1167 - 1168 - 1169 - 1170 .
1170 - 1171 - 1172 - 1173 .
1173 - 1174 - 1175 - 1176 .
1176 - 1177 - 1178 - 1179 .
1179 - 1180 - 1181 - 1182 .
1182 - 1183 - 1184 - 1185 .
1185 - 1186 - 1187 - 1188 .
1188 - 1189 - 1190 - 1191 .
1191 - 1192 - 1193 - 1194 .
1194 - 1195 - 1196 - 1197 .
1197 - 1198 - 1199 - 1200 .
1200 - 1201 - 1202 - 1203 .
1203 - 1204 - 1205 - 1206 .
1206 - 1207 - 1208 - 1209 .
1209 - 1210 - 1211 - 1212 .
1212 - 1213 - 1214 - 1215 .
1215 - 1216 - 1217 - 1218 .
1218 - 1219 - 1220 - 1221 .
1221 - 1222 - 1223 - 1224 .
1224 - 1225 - 1226 - 1227 .
1227 - 1228 - 1229 - 1230 .
1230 - 1231 - 1232 - 1233 .
1233 - 1234 - 1235 - 1236 .
1236 - 1237 - 1238 - 1239 .
1239 - 1240 - 1241 - 1242 .
1242 - 1243 - 1244 - 1245 .
1245 - 1246 - 1247 - 1248 .
1248 - 1249 - 1250 - 1251 .
1251 - 1252 - 1253 - 1254 .
1254 - 1255 - 1256 - 1257 .
1257 - 1258 - 1259 - 1260 .
1260 - 1261 - 1262 - 1263 .
1263 - 1264 - 1265 - 1266 .
1266 - 1267 - 1268 - 1269 .
1269 - 1270 - 1271 - 1272 .
1272 - 1273 - 1274 - 1275 .
1275 - 1276 - 1277 - 1278 .
1278 - 1279 - 1280 - 1281 .
1281 - 1282 - 1283 - 1284 .
1284 - 1285 - 1286 - 1287 .
1287 - 1288 - 1289 - 1290 .
1290 - 1291 - 1292 - 1293 .
1293 - 1294 - 1295 - 1296 .
1296 - 1297 - 1298 - 1299 .
1299 - 1300 - 1301 - 1302 .
1302 - 1303 - 1304 - 1305 .
1305 - 1306 - 1307 - 1308 .
1308 - 1309 - 1310 - 1311 .
1311 - 1312 - 1313 - 1314 .
1314 - 1315 - 1316 - 1317 .
1317 - 1318 - 1319 - 1320 .
1320 - 1321 - 1322 - 1323 .
1323 - 1324 - 1325 - 1326 .
1326 - 1327 - 1328 - 1329 .
1329 - 1330 - 1331 - 1332 .
1332 - 1333 - 1334 - 1335 .
1335 - 1336 - 1337 - 1338 .
1338 - 1339 - 1340 - 1341 .
1341 - 1342 - 1343 - 1344 .
1344 - 1345 - 1346 - 1347 .
1347 - 1348 - 1349 - 1350 .
1350 - 1351 - 1352 - 1353 .
1353 - 1354 - 1355 - 1356 .
1356 - 1357 - 1358 - 1359 .
1359 - 1360 - 1361 - 1362 .
1362 - 1363 - 1364 - 1365 .
1365 - 1366 - 1367 - 1368 .
1368 - 1369 - 1370 - 1371 .
1371 - 1372 - 1373 - 1374 .
1374 - 1375 - 1376 - 1377 .
1377 - 1378 - 1379 - 1380 .
1380 - 1381 - 1382 - 1383 .
1383 - 1384 - 1385 - 1386 .
1386 - 1387 - 1388 - 1389 .
1389 - 1390 - 1391 - 1392 .
1392 - 1393 - 1394 - 1395 .
1395 - 1396 - 1397 - 1398 .
1398 - 1399 - 1400 - 1401 .
1401 - 1402 - 1403 - 1404 .
1404 - 1405 - 1406 - 1407 .
1407 - 1408 - 1409 - 1410 .
1410 - 1411 - 1412 - 1413 .
1413 - 1414 - 1415 - 1416 .
1416 - 1417 - 1418 - 1419 .
1419 - 1420 - 1421 - 1422 .
1422 - 1423 - 1424 - 1425 .
1425 - 1426 - 1427 - 1428 .
1428 - 1429 - 1430 - 1431 .
1431 - 1432 - 1433 - 1434 .
1434 - 1435 - 1436 - 1437 .
1437 - 1438 - 1439 - 1440 .
1440 - 1441 - 1442 - 1443 .
1443 - 1444 - 1445 - 1446 .
1446 - 1447 - 1448 - 1449 .
1449 - 1450 - 1451 - 1452 .
1452 - 1453 - 1454 - 1455 .
1455 - 1456 - 1457 - 1458 .
1458 - 1459 - 1460 - 1461 .
1461 - 1462 - 1463 - 1464 .
1464 - 1465 - 1466 - 1467 .
1467 - 1468 - 1469 - 1470 .
1470 - 1471 - 1472 - 1473 .
1473 - 1474 - 1475 - 1476 .
1476 - 1477 - 1478 - 1479 .
1479 - 1480 - 1481 - 1482 .
1482 - 1483 - 1484 - 1485 .
1485 - 1486 - 1487 - 1488 .
1488 - 1489 - 1490 - 1491 .
1491 - 1492 - 1493 - 1494 .
1494 - 1495 - 1496 - 1497 .
1497 - 1498 - 1499 - 1500 .
1500 - 1501 - 1502 - 1503 .
1503 - 1504 - 1505 - 1506 .
1506 - 1507 - 1508 - 1509 .
1509 - 1510 - 1511 - 1512 .
1512 - 1513 - 1514 - 1515 .
1515 - 1516 - 1517 - 1518 .
1518 - 1519 - 1520 - 1521 .
1521 - 1522 - 1523 - 1524 .
1524 - 1525 - 1526 - 1527 .
1527 - 1528 - 1529 - 1530 .
1530 - 1531 - 1532 - 1533 .
1533 - 1534 - 1535 - 1536 .
1536 - 1537 - 1538 - 1539 .
1539 - 1540 - 1541 - 1542 .
1542 - 1543 - 1544 - 1545 .
1545 - 1546 - 1547 - 1548 .
1548 - 1549 - 1550 - 1551 .
1551 - 1552 - 1553 - 1554 .
1554 - 1555 - 1556 - 1557 .
1557 - 1558 - 1559 - 1560 .
1560 - 1561 - 1562 - 1563 .
1563 - 1564 - 1565 - 1566 .
1566 - 1567 - 1568 - 1569 .
1569 - 1570 - 1571 - 1572 .
1572 - 1573 - 1574 - 1575 .
1575 - 1576 - 1577 - 1578 .
1578 - 1579 - 1580 - 1581 .
1581 - 1582 - 1583 - 1584 .
1584 - 1585 - 1586 - 1587 .
1587 - 1588 - 1589 - 1590 .
1590 - 1591 - 1592 - 1593 .
1593 - 1594 - 1595 - 1596 .
1596 - 1597 - 1598 - 1599 .
1599 - 1600 - 1601 - 1602 .
1602 - 1603 - 1604 - 1605 .
1605 - 1606 - 1607 - 1608 .
1608 - 1609 - 1610 - 1611 .
1611 - 1612 - 1613 - 1614 .
1614 - 1615 - 1616 - 1617 .
1617 - 1618 - 1619 - 1620 .
1620 - 1621 - 1622 - 1623 .
1623 - 1624 - 1625 - 1626 .
1626 - 1627 - 1628 - 1629 .
1629 - 1630 - 1631 - 1632 .
1632 - 1633 - 1634 - 1635 .
1635 - 1636 - 1637 - 1638 .
1638 - 1639 - 1640 - 1641 .
1641 - 1642 - 1643 - 1644 .
1644 - 1645 - 1646 - 1647 .
1647 - 1648 - 1649 - 1650 .
1650 - 1651 - 1652 - 1653 .
1653 - 1654 - 1655 - 1656 .
1656 - 1657 - 1658 - 1659 .
1659 - 1660 - 1661 - 1662 .
1662 - 1663 - 1664 - 1665 .
1665 - 1666 - 1667 - 1668 .
1668 - 1669 - 1670 - 1671 .
1671 - 1672 - 1673 - 1674 .
1674 - 1675 - 1676 - 1677 .
1677 - 1678 - 1679 - 1680 .
1680 - 1681 - 1682 - 1683 .
1683 - 1684 - 1685 - 1686 .
1686 - 1687 - 1688 - 1689 .
1689 - 1690 - 1691 - 1692 .
1692 - 1693 - 1694 - 1695 .
1695 - 1696 - 1697 - 1698 .
1698 - 1699 - 1700 - 1701 .
1701 - 1702 - 1703 - 1704 .
1704 - 1705 - 1706 - 1707 .
1707 - 1708 - 1709 - 1710 .
1710 - 1711 - 1712 - 1713 .
1713 - 1714 - 1715 - 1716 .
1716 - 1717 - 1718 - 1719 .
1719 - 1720 - 1721 - 1722 .
1722 - 1723 - 1724 - 1725 .
1725 - 1726 - 1727 - 1728 .
1728 - 1729 - 1730 - 1731 .
1731 - 1732 - 1733 - 1734 .
1734 - 1735 - 1736 - 1737 .
1737 - 1738 - 1739 - 1740 .
1740 - 1741 - 1742 - 1743 .
1743 - 1744 - 1745 - 1746 .
1746 - 1747 - 1748 - 1749 .
1749 - 1750 - 1751 - 1752 .
1752 - 1753 - 1754 - 1755 .
1755 - 1756 - 1757 - 1758 .
1758 - 1759 - 1760 - 1761 .
1

- ٢٥٢ - ٢٥١ : رعواف
 ١٥٢ : رعواف
 ٥٨٠ : رغويل
 ٥٩٧ - ٦٠٣ : وكلة
 رند : أنظر أنقرة
 رنشقان : ٣١٩ - ٣٢٢
 الرها : ٥٢٠ - ٥٢٥
 روس : ٣١٥
 روسيا : ٥٤٨
 روما : ١٥ - ١٨ - ١١٢ - ١٢٩ - ٣٥٤
 ٤٥٣ - ٥٠٧ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٣١
 روسيا : ٩٤
 دوج : ٢١٤
 دوجورزا ، دوجورزا : ٢١٧ - A
 ديف البربر : ٢١١ - ٢١٦ - ٢٩٢
 الرطيرا الإيطالية : ٣٠٩
 الروين (نهر) : ٢١٩ - ٢٢٤
 روه : ٢٨٧ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٢٩٤ - ٢٩٧
 ٤١٥ - ٤١٧ - ٤٢٩ - ٥٦١ - ٥٧٣
 ٥٨٠ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٩٠ - ٥٩١
 ٦٠٢ - ٦٤٠ - ٦٧٤ - ٦٧٨
 رويحة (نهر) : ٢٦٢
 رويحة (سبل) : ٥٤١

= ج =

- الزاب : ٢٢٦ - ٢٢٤ - ٢٦٥
 الزاب (نهر) : ٦٦٠
 الزقاني (نهر) : ٢١ - ٢٢ - ٦١ - ٨٦
 ١١١ - ١٢٢

= ح =

- ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٥٤٣
 حبره : ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٦٥
 حبر (نهر) : ٢٢٢ - ٢٤٩ - ٢٥٠
 حبة : ٢٢٦ - ٢٢٢
 حبيطة : ٥٠ - ١٣٧
 حبيطانية : أنظر السويس
 حجوم : ٢٢٨
 حجوم : أنظر مقبرما
 حجرة : ٦٧
 حدراته : ٢٦٧
 حرة : ٥٨٠
 الحامون (نهر) : ٣٠٧ - ٣١٦
 حارون : ٣١٦
 حار بول نورا : ٣٢٥
 حاشي : ٣٠٧
 حبه : ٦٢ - ١٠٠ - ١٠١ - ١١٥ - ١١٦
 ١١٧ - ١١٨ - ١٢٢ - ٢٢٥ - ٢٢٨
 ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٩١ - ٤٠١
 ٤٦٤ - ٤٦١
 حبيطانية ، حبيطانية : A - ١٩ - ٢٤ - ٢٠٩
 ٣١٢ - ٣١٤ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٢
 ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٤٦

سقلية : ٥٥١ - ٥٥٥ - ٥٥٧ - ٦١ - ٦١٥ - مصورة : ٥٦١
 صولبة : ١٦٨ - ٢٢٥ - ٣٤٤ - ٦٨٧
 الصين : ٥٩٢

ط -

طبية : ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٤٥ - ٢٤٩ - ٢٦٤
 طيناس : ٢٤١ - ٢٦٤
 طرابلس : ٩٢ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ٢٤٩
 ٢٥٠ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧
 ٤٢١ - ٦٦٤
 طرسولة : ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٥ - ٢١٩
 ٤٢٦ - ٥٥١ - ٥٥٦ - ٦٠٠
 طرسول : ١٤١ - ٢٢٠
 طرش (ضبعة) : ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٥٣٧
 ٦٧٤ - ٦٧٦
 طرسوشة : ٥٦٠ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢
 ٥٥٦ - ٥٩٧
 طرسوشة و كرايوليا : ١٩ - ٤٠ - ٤٦ - ١٦٣
 ١٧٧ - ٤٢٢ - ٥١٤ - ٥٢٠ - ٥٥٨
 ٥٦٠ - ٥٧١ - ٥٨٠ - ٥٨٢ - ٥٨٤
 طرشانة : ٦٠٢
 طرشنة (جزيرة) : ١٢٤ - ١٢٥
 طرشانة : ٦٨٠ - ٦٧٩
 طرشنة و أفنش : ٦٧ - ١١٢ - ١٤٦ - ١٤٨
 ٢٥٥ - ٢٥٩ - ٢٦٢ - ٢٦٤ - ٤١٢
 ٤١٦ - ٤٢٦ - ٦٠٢
 طرشنة : ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
 ٢٠ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠
 ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠
 ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠
 طرشنة (جزيرة) : ٤١٨
 طرشنة : ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠

القبور (خر): ٣٠٧ - ٣١٢ - ٣١٤ - ٣٢٥ .
 : ٣٢٨ - ٣٢٩ .
 لوزيون : ٣١٦ .
 لوزة (إقليم) : ٥٩٤ .
 لوزة : ٧٦ - ١١٠ - ١١٢ - ١٧٤ - ٥٥٨
 لوزياتيا ، لشلانيا : انظر العرقاق .
 لوزة : ٦٥ .
 ليسان : ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٨٢ - ٣٨٧ - ٣٩٥ - ٣٩٦ .

- ٢ -

عاجة : ٨٥ - ٨٦ - ٣٣٦ .
 عريط : ٦٠٩ .
 عقرنة : ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٤٦ - ٣٤٦ .
 المحيط الأخضر : ٣٩٤ .
 المحيط الأطلسي : ٤٨ - ١٧٧ - ١٨٢ - ٣٧٠ .
 : ٤٦١ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٥٨٢ .
 غلابة الفتح : ١٧١ .
 اللذان التي خلفت الدروب : ٢٥٣ - ٢٥٤ .
 : ٢٩١ - ٣٧٤ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ .
 : ٣٩٤ - ٤٠٠ - ٤٢٦ .
 ملويد : ٩ .
 مدلين : ٤٦٥ .
 المود (إقليم) : ٥٩٣ - ٦٨٠ .
 المدينة (إقليم) : ٥٩٧ .
 مدينة سلم : ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٥٧٦ - ٥٨٠ .
 : ٥٨٢ - ٥٨٨ - ٥٩٣ - ٥٩٨ .
 مراد (حصن) : ٤١٨ .
 المرج (إقليم) : ٥٨٤ - ٥٨٤ .
 مرج راجع : ٢٠٤ - ٢١٢ - ٦٨٠ .
 مرج ابن لقيط : ٥٨٧ .
 مرسية ، اصودجي ، مورثيا : ١٧ - ١٩ - ٧٦ .

المانسة (بلدية) : ١٤٠ - ١٥١ - ٤٢٧ .
 : ٥٨٦ - ٦١٨ .
 مارتش : ٥٨٣ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ .
 مسارة : ٣٨ - ٤٠ - ٧٠ - ١١١ - ١٤٧ .
 : ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ .
 : ١٥٨ - ١٦٢ - ١٦٦ - ٢٥٩ - ٢٥٥ .
 : ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٨١ - ٦٨٣ - ٦٩١ .
 : ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٦٩٣ - ٤٠٦ - ٤٢٥ .
 : ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٤٢ - ٤٧٥ - ٥١٤ .
 : ٥٢٠ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٨٤ - ٥٨٥ .
 : ٥٨٦ - ٦٠٢ - ٦٣٢ - ٦٨٠ - ٦٨٤ .
 : ٦٨٦ .
 ماكرون : ٣٠٧ .
 مائقة : ١٢٨ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٧٧ - ٢٨٧ .
 : ٤١٣ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤٢٨ .
 : ٥٧٥ - ٥٨٦ - ٥٨٨ - ٦٠٢ .
 ما وراء الدرب الأحمر : انظر للذابين التي علق
 الدروب .
 مارية القديسة ، مارية القنصمة (مزارعة) :
 انظر اومجا .
 المشاية : ٤٢٥ .

- الغرب : وردت كثيراً في الكتاب .
 مقلوبة : ٥٥٩ .
 مقلوبة (غير) : ٢٢٤ - ٢٤٥ .
 مقلبة : ٥٩٧ .
 قس : ٥٤ .
 مقلبة : ٥٦١ .
 مقلبة : ٥٦٠ - ٥٨٦ - ٥٩٩ .
 منجبار : ١٣٩ .
 المنجبر : ٦٦٢ .
 منزل حسان : ٦٠٣ .
 النشا : ٢٠ .
 النيم (غير) : ٦٦١ - ٣٨٩ - ٣٩٥ - ٤٦٦ .
 منبقة (إقليم) : ٥٩٥ .
 المنيرة (إقليم) : ٥٩٨٠ .
 منية : ٢٩٨ .
 المنيرة : ٥٩٣ .
 مواله : ٥٩٧ .
 موال مومس : انظر الفتى .
 موزد : ٢٩٠ - ٤١٥ - ٤١٩ - ٤٢٢ - ٤٢٩ .
 ٥٦١ - ٥٧٣ - ٥٨٠ - ٥٨٥ - ٥٨٧ .
 ٦٠١ - ٦٠٣ - ٦٨٦ .
 مومس (جبل) : ٣٤٥ .
 مومس (مومس) : ١٥٢ .
 مومس (مقلوبة (غير)) : ١٥٨ .
 موقلة : ١٧٤ .
 موقلة : ٢٦٢ - ٣٩٤ .
- ١٧٢ - ٢٨٠ - ٢٨٧ - ٤٠٠ - ٤١٣ .
 ٤١٦ - ٤١٨ - ٥٣١ - ٥٨٥ - ٥٨٩ .
 ٥٩٣ - ٦٠١ - ٦٠٢ .
 مرمية (غير) ، حوشقورة : انظر حوشقورة .
 مرموليا ، ماسيليا ، مسيلية : ١٨ - ٢٤٠ .
 ٣٥١ .
 مرمشة : ٥٦١ .
 مرمشة الطنجية : ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٩ .
 ١١٧ .
 مرمشة : ٤٤٥ - ٦٣٩ .
 المرية : ٤١٣ - ٥٨٦ - ٥٩٣ - ٦٠٠ .
 المرية (مومس) : ٦٠٤ .
 المسيلة : ٢٦٤ .
 المصارا : ٢٨٤ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٤٠٣ - ٦٨٠ .
 ٦٨٢ .
 مصر : ٣٩ - ٤٨ - ٥١ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٨ .
 ٩١ - ١٢٠ - ١٣٧ - ١٦٧ - ١٨١ - ١٨٢ .
 ١٨٤ - ١٨٧ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢١ .
 ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٣٩ - ٢٨٧ - ٣١٧ .
 ٣٤٦ - ٤٢١ - ٤٥٤ - ٤٦٨ - ٤٧٦ .
 ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥١٠ .
 ٥١٨ - ٥٢٥ - ٥٥٢ - ٥٥٥ - ٥٧٩ .
 ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٦ - ٦٠٨ - ٦١٣ - ٦٣٦ .
 ٦٤٢ م ٦٤٣ - ٦٥٦ - ٦٢٢ - ٦٦٣ .
 مصمومة : ٢٢٤ .
 المرغس : ١٥٨ .

- ن -

- ناهرة : ٥٨٠ .
 النالون (غير) : ١٦٥ .
 نيرة : ٨ - ٢٢٢ - ٢٤١ - ٢٤٧ - ٥٢٢ .
 ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٤ .
 نخرة : ٣٥٩ .
 نرسونقة : ١٩ - ٢٦ - ٥١٨ - ٥٢٥ - ٥٦٤ .
 ٥٧١ .
 نخرة : ٥٢٨ - ٥٨٥ .

البيروت : ٢٧٠ - ٢٦٥ .
التهران : ٢٦٠ .
الربط : ١٨٢ - ٥٩٧ .
لومبورج : ٥٥٩ .

ليس : ٢٤٤ .
لوسا : ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢١٤ - ٢٢٨ .
٢٤٤ - ٢٤٢ - ٢٤١ .
لويديا (بر) : ٥٩٠ .

- ه -

هنا : ٢٤٥ - ٢٥٠ .
الهزلا (القيم) : ٥٩٥ .
هساليا توكوتسي ، إمباليا الطركولية : ١٩ .
هسدان (مزل) : ٤١٨ .

هناوس : ١٤٠ .

هناك : ١٢٠ - ١٢٧ - ٩٥ .

هناك : ٥٧٥ - ٥٧٦ .

- و -

وادي الش : ١٩٣ - ٤١٤ - ٥٦٠ .

وادي آك : ١٥٨ - ٤١٢ - ٥٨٢ - ٦٢٢ .

الوادي الأبيض : ٤١٢ .

وادي الأروكليم : ١٥٨ .

وادي البرباط : ٧٥ - ١٨٩ - ٢٦١ - ٢٩٧ .

٣٩٣ .

وادي بكة ، جواد النبي : ٢٩ - ٧٥ - ١٣٢ .

وادي الحجاره : ١٤٠ - ١٦٤ - ٢٦٢ - ٣٠٣ .

٣٩٤ - ٤١٣ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٦٢ .

٥٦٠ - ٥٧٦ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٩ .

٦٠١ .

وادي الرمان : ٥٨٨ .

وادي سلبط : ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٣٩١ .

وادي شريفه : ٦٢٥ .

وادي شوش أو شوس : ٤٥٧ - ٥٣٧ .

٦١٨ - ٦٤٠ .

وادي السطير (بر) : ٦٩ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٨ .

- ي -

ياقوت : ١٣١ - ٥٦١ .

ياسا ، ياسا : ٥٧٥ - ٥٨٨ .

اليمن : ٢٧٨ - ٢٩٨ - ٤٤١ - ٤٦٨ - ٦٣٩ .

٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٧٣ .

أعمال أخرى للمؤلف

مؤلفات :

أ - تاريخ :

- ١ - تاريخ فريش، الطبعة الأولى، العصر الحديث - دار الساعات، بيروت ٢٠٠٢.
- ٢ - الشرق الإسلامي في العصر الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٣٨.
- ٣ - فتح العرب للمغرب، القاهرة ١٩٤٧.
- ٤ - Essai sur la chute du Califat Umayyade de Cordoue. Le Cairo, 1948.
- ٥ - صور من البطولة (القاهرة ١٩٤٩ و ١٩٥٦).
- ٦ - مصر ورسالتها (القاهرة ١٩٥٥ و ١٩٥٦).
- ٧ - Historical Atlas of the Muslim Peoples (in collaboration With R. Roelink and Others). Amsterdam, 1957.
- ٨ - مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإخشيديين - فصل في كتاب التاريخ الحضارة المصرية.
- ٩ - نور الدين محمود، الطبعة الثالثة، جدة ١٩٨٥.
- ١٠ - رحلة الأندلس (حجيت الفردوس الموعود)، جدة ١٩٨٥.
- ١١ - أطلس تاريخ الإسلام - القاهرة ١٩٨٧.

ب - أدب :

- ١ - حكايات خيرستان.
- ٢ - أهلاً وسهلاً.

أبحاث:

- ١ - عقد بيعة بولاية العهد لأبي عبد الله محمد المعروف بالخليفة الناصر الموحد، نشر في الجزء الثاني من المجلد الثاني عشر من مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة.
- ٢ - تطور الحضارة الإسلامية في الأندلس، نشر في المجلد الأول من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس.
- ٣ - وثائق عن مهدي السوفان، نشر في العدد الثاني من المجلد الثاني من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس.
- ٤ - غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ و٢٤٥هـ/٨٤٤م، نشر في العدد الأول من المجلد الثاني من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- ٥ - السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين، نشر بالعدد الأول من المجلد الثالث من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- ٦ - المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية، نشر في العدد الأول من المجلد الرابع من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- ٧ - المجتمع في الدستور، بحث نشر في كتاب «روح الدستور» وهو رقم ٢٥ من سلسلة «أخترنا لك».
- ٨ - لكي لا ننسى... هذا صوت التاريخ، بحث نشر في كتاب «قناة السويس - حقائق ووثائق» وهو رقم ٢٩ من سلسلة «أخترنا لك».
- ٩ - سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين - صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤.
- ١٠ - De nuevo sobre las fuentes árabes de la historia del Cid - صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤.
- ١١ - Egipto y el Mediterraneo فصل نشر بالإسبانية والفرنسية في

كتاب *Panorama del Mundo Árabe*، الذي نشره معهد العلوم السياسية في مدريد سنة ١٩٥٤.

١٢ - نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحيدين .
صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ٣ سنة ١٩٥٥.

١٣ - أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه التصاري وكلم بهاجر، للفونشريتي . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ٥ سنة ١٩٥٧.

١٤ - *La división politico - administrativa de la España musulmana* - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ٥ سنة ١٩٥٧.

١٥ - الفولكلور، تاريخه ومدارسه ومناهجه . صحيفة «المجلة» العدد ٢٣ سنة ١٩٥٨.

نشر وتحقيق :

١ - رياض النفوس لأبي بكر المالكي، الجزء الأول، القاهرة ١٩٥١.

ترجمة :

١ - الأبراطورية البيزنطية لثورمان بينز (ترجمة عن الإنجليزية بالاشتراك مع الدكتور محمود يوسف زايد) طبعان بالقاهرة ١٩٥٠ و١٩٥٧.

٢ - الشعر الأندلسي لغرسيه غومس (عن الإسبانية) طبعان بالقاهرة ١٩٥٢ و١٩٥٧.

٣ - تاريخ الفكر الأندلسي لجورنالدا بالثيا (عن الإسبانية) القاهرة ١٩٥٥.

٤ - ثم غاب القمر - مسرحية في ثمانية مناظر مقتبسة من قصة *The Moon is Down* لجون ستاينيك، القاهرة ١٩٥٦.

فهرس

- ٥ نمة إلى د. سمن مؤس
٧ المقدمة

الفصل الأول: إسبانيا قبل الفتح الإسلامي ١٣ - ٤٣

- ١٥ القوط الغربيون في أواسر أيامهم
١٨ دولة القوط في إسبانيا
٢٩ لدرين
٣٣ نظرة في أحوال إسبانيا تحت حكم القوط
٣٥ مجلس طليطلة
٣٦ المجمع الإسباني أيام القوط
٤٠ الحالة الثقافية

الفصل الثاني: فتح المغرب ٤٥ - ٦٢

- ٤٧ فتح المغرب
٥٢ احتطاط القيروان
٥٧ احتطاط تونس
٥٧ تنظيم ولاية إفريقية
٥٨ موسى بن نصير يؤولي أمود المغرب

الفصل الثالث: فتح الأندلس ٦٣ - ١٧٨

- ٦٥ ١ - رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس
٦٥ إعادة الخرمي الموضوع
٦٦ تفسيرات جديدة للموضوع
٨١ تمة هذا النص المنسوب إلى الرليق بالنسبة لتاريخ الأندلس
٨٣ ولاية موسى بن نصير
٨٦ فتح الأندلس
١-٥ الخلاصة

١١٣	٢ . مقدمات الفتح ونتائجه
١١٣	مقدمات الفتح
١١٥	إيران
١١٩	فتح الأندلس
١٢٧	بداية الفتح
١٢٨	أبو زرعة طريقه بقره بحثاً اصطلاحياً
١٢٩	حملة طارق بن زياد
١٣٤	معركة وادي الرباط
١٣٩	احتلال طليطلة
١٤١	فتح قرطبة
١٤٥	عبور موسى إلى الأندلس
١٤٦	فتح إشبيلية
١٤٦	فتح ماردة
١٤٦	أول حملة إسلامية في الأندلس
١٤٦	السيرة نحر الشمال
١٤٤	أنص ما وصلت إليه فتوح المسلمين في إسبانيا
١٤٧	عودة موسى وطاروق إلى الشرق
١٤٧	استكمال الفتح
١٤٧	تدمير

الفصل الرابع : حصر التولاة ١٤٩ - ١٤٩

١٤١	لم تتكلف الخلافة جيداً خاصة في سبيل فتح الأندلس
١٤٦	لم تقم الخلافة منه شيئاً مائياً
١٤٨	هجرة العرب إلى الأندلس
١٤٨	ولاية عبد العزيز بن موسى
١٤٨	مقاتل عبد العزيز بن موسى
١٤٦	أيوب بن حبيب الفهسي
١٤٦	نقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة
١٤٤	عامل إفريقية يولي السمر بن عبد الرحمن الكوفي على الأندلس
١٤٤	ولاية السمع بن مالك الخولاني
١٤٥	عمر بن عبد العزيز يفتكر في إخلاء الأندلس من العرب
١٤٦	سط السال وتنظيم البلاد

٢٠٢	علامات العصية
٢٠٦	فترة سيطرة الكلبيين الجنيين في المغرب والأندلس
٢٠٦	مسؤولية الخلفاء عن أعمال عمالهم في المغرب
٢٠٧	توزيع نفوس البربر - زيادة
٢٠٩	الأمازيغ
٢٠٩	دعاة الخراجية في المغرب
٢١١	العصية العربية في الأندلس
٢١٧	مصابيح الحكم في المغرب بعد موسى بن نصير
٢٢١	المغرب أثناء خلافة هشام بن عبد الملك
٢٢١	عبد الله بن الحبحاب
٢٢٥	مسيرة هذه الثورة في إقليم طنجة
٢٢٧	هزيمة الأشراف
٢٢٨	كثوم بن عباس القشيري
٢٢٨	العرب الإفريقيون
٢٣١	ثورة البربر على العرب في الأندلس
٢٣١	العلاقات بين العرب الأمازيغ وكثوم بن عباس ومن معه من القبيلة
٢٣٤	هزيمة العرب عند بطونة
٢٣٦	حيروش الخلافة تتدخل
٢٣٨	ظهور أمر عبد الرحمن بن حبيب
٢٣٩	عبد الرحمن بن حبيب يحتل الغرناطة
٢٣٩	حسام الزراع بين القيسية والبنية في إفريقية
٢٤١	البربر يستغلون بتواحيهم
٢٤٥	دولة بني مغربل في سجلماسة
٢٤٦	رأي حواشي في ثورات البربر
٢٤٨	اندولانية والخلارجية
٢٤٩	أي فريق من البربر يهض عبء الحركة
٢٥١	الأحزاب في الأندلس
٢٥١	عبد الملك بن فضل القهري
٢٥٢	انتقال الثورة من إفريقية إلى الأندلس
٢٥٢	مقدمات ثورة بربر الأندلس

٢٤٤	ثورة البربر
٢٤٦	بلع بن بشر ومن معه محاصرون في حطة
٢٤٧	طالباً بلع
٢٤٨	خالعة بلع تقضي على ثورة البربر في الأندلس
٢٤٩	معرفة وادي سابط
٢٦٠	البيحانة وهجرة البربر إلى إفريقية
٢٦١	رحلت نصارى الإسبانيا نحو الجنوب
٢٦٢	العرب يخسرون ربع الجزيرة
٢٦٣	الخصومة بين العرب والبربر
٢٦٤	شواهد أخرى على صحة هذا الرأي

الفصل السادس : القيسية والقيمية ٢٧٥ - ٣٠٠

٢٧٧	مؤرخو الأندلس والعلاء بين القيسية والقيمية
٢٨٠	القيمية تستبد بأمور الأندلس
٢٨١	بلع بن بشر يبي أمود الأندلس
٢٨٣	موقعة ألوة برظورة
٢٨٥	مجيء أبي الخطاب بن الحسام الكلابي
٢٨٦	إخراج القيسيين من قرطبة إلى الكورد
٢٨٨	ظهور الفصيل بن حاتم
٢٩٠	مذبحة أبي الخطاب وولاية ثوابة بن سلامة العاطلي
٢٩٢	التصديق بعهد الطريق ليوسف القهري
٢٩٣	موقعة شلمنة سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م
٢٩٤	مأساة أسرى شلمنة
٢٩٥	البيحانة نجح الأندلس
٢٩٧	المتبرون يثرون على الفصيل في مرسطة
٢٩٩	العرب بين القيسية والكلابية في مرسطة

الفصل السابع : فتح المسلمين في غلة ٣٠١ - ٣٥٦

٣٠٤	بدء الغزوات فيما وراء جبال البرت
٣٠٥	السمع بن مالك يصل إلى طرمونة. استشهاده عند طرلوشة
٣٠٦	عليقة بن سميم وحملته الكبرى
٣٠٨	ليالها ليلة غنسة بحر حوض الرواد

٣١٠	الردف أودو وحلافه مع المسلمين
٣١٣	وقاة حنة
٣١٣	عذرة بن عبد الله النهري ويحصل الفزوة
٣١٩	عبد الرحمن الغنصلي
٣٢١	خروج عبد الرحمن للفزوة أوائل سنة ١١٤ هـ/أبريل سنة ٧٢٢ م
٣٢٢	فتح أول
٣٢٢	الاستيلاء على بردك (بورجو)
٣٢٤	أودو يستنجد بشارل مارتل
٣٢٥	المعسكر الإسلامي فيل المعركة
٣٢٧	مكان المعركة
٣٢٧	معركة بلاط الشهداء
٣٣٠	المعركة
٣٣١	بعد المعركة
٣٣٤	عبد الملك بن لطف النهري يسيرو إلى غالة
٣٣٤	المسلمون يستعيدون أول
٣٣٤	الاستيلاء على أينيون
٣٣٤	إخضاع إمارات البرت
٣٣٥	عقبة بن الحجاج السلولي يحدد نشاط الفزوح في غالة
٣٣٦	إعادة فتح بورجوبا
٣٣٧	قارله يقتل في الاستيلاء على أريونة
٣٣٩	العرب وأهل غالة
٣٤١	عبد الرحمن بن عاتمة اللخمي يتصرف عن غالة بجنته
٣٤٤	يهيبن الثاني يهاجم أريونة
٣٤٢	سقوط أريونة
٣٤٤	بناها المسلمين في غالة
٣٤٥	نتائج سقوط أريونة
٣٤٥	أحوال جزوي غالة تحت الحكم الإسلامي
٣٤٧	لماذا لم يوفق المسلمون إلى البقاء في غالة؟
٣٤٩	طبيعة الحكم الإسلامي في غالة
٣٥٠	المسلمون يعمرون غالة تقليداً للبريا
٣٥١	نظام الحكم في جنوب غالة
٣٥٤	موقف المسلمين من المسيحية في غالة

٣٥٤	مقارنة بين المسلمين والفرنجة في حالة
التصنيف الثامن : قيام حركة المقاومة النصرانية ٣٥٧ - ٣٩٦	
٣٦٠	انصراف العرب إلى المتواجحات عن حياة دولتهم
٣٦٠	الريكوكيسا
٣٦٧	الإيبيريون الرومان
٣٦٨	صحراء بلاي
٣٦٤	موريسكا
٣٦٧	بلاي
٣٧٠	كوفادونجا
٣٨٧	ألميدا كوفادونجا
٣٨٩	ألفونس بن بطر (الفرنسو الأول)
٣٩٠	المسلمون يفلتون الركن الشمالي الغربي لشبه الجزيرة
٣٩١	حجرة أعداد كبيرة من البربر إلى إفريقيا
٣٩٢	المجاهد نضاح شبه الجزيرة
٣٩٢	إخراج المسلمين من جليقية وما يحاورها
٣٩٣	عودة دولة الإسلام تراجع إلى نهر دورو
٣٩٥	ما بين نهري المنهر والديورو متقلبة فراخ
٣٩٦	آراء المؤرخين في ألفونس

التصنيف التاسع : المجتمع الأندلسي ٣٩٧ - ٤٤٩

(١) العرب والبربر والموالي

أ- العرب

٤٠٠	طالعة موسى
٤٠٠	طالعة بلج
٤٠١	الندوب
٤٠١	الشاميون
٤٠٩	التزاع بين المسلمين والشاميين
٤٠٩	سيادة الشاميين على الأندلس وأثرها
٤٠٣	تقرير الشامية في الترامني
٤٠٤	خصومة الحبسة والحبابة تعود
٤٠٥	تحول الصراع من القبالية إلى الحزبية

٤١٨	تكتل العرب في الأندلس
٤١٩	مراجعا عن منازل العرب في الأندلس
٤٢١	المخضباتون
٤٢٢	ملاحظات عن منازل العرب في الأندلس
٤٢٣	استقرار العرب على طول خطوط التصح
٤٢٤	منازل العرب في الأندلس

ب- الجيوب

٤٢٩	تبار الهجرة القرابية إلى الأندلس
٤٣١	جماعات الجيوب الأولى
٤٣٥	الجيوب في الشمال
٤٣٨	هل انتصت العرب أنفسهم بأحسن ترابي الأندلس؟
٤٣٩	تحول الجيوب إلى بلدتين وأثره
٤٣٠	غلبة الزناتيين على الجيوب الأولى في الأندلس
٤٣١	الجيوب والفتح في غلقة
٤٣٣	الجيوب والعرب البلديون
٤٣٤	جماعات السودان في الأندلس
٤٣٥	دائر الجيوب بالنسبة المحلية

ج- الموالي

٤٣٦	موالي بني أمية
٤٣٦	تكوين كتلة الموالي في الأندلس
٤٣٨	الموقف السياسي للموالي
٤٣٩	الموالي وقيام الدولة الأموية
٤٤١	موالي بن أصول إسبانية
٤٤٢	طبيعة ولاء الأندلسيين
٤٤٤	موالي الاصطلاح
٤٤٥	أهمية الموالي في تاريخ الأندلس
٤٤٧	آراء حول أصول ولاء الاصطلاح
٤٤٨	ملاحظات أخيرة على الموالي في الأندلس

التفصيل المعاصر: المجتمع الأندلسي ٤٥١ - ٤٤٨

(٢) المؤلفون والمستعمرون

٤٥٢	إسبانيا في التفتت الغربي قبل دخول العرب
-----	---

٤٤١	طبيعة حركة الانتقاد الإسلامي
٤٤٧	العرب وأهل البلاد
٤٤٨	التزاوج بين العرب وأهل البلاد
٤٦٠	عجم الأندلس
٤٦١	خطاً نسجهم بالمستعربين
٤٦٤	المسألة والمولودون
٤٦٥	رأي يروقسال
٤٦٧	آراء من اجناس سكان الأندلس
٤٧١	هل كان العرب أوستغرابية حترقة عن غيرها في الأندلس؟
٤٧٢	أهل اللغة
٤٧٣	وضع اللذين في المجتمع الأندلسي خلال هذه الفترة
٤٧٥	عهود المسلمين للموسى
٤٧٦	تطور النظم الإسلامية
٤٧٨	المسلمون يدعون أهل اللغة أحراراً
٤٧٩	التصاري بطانسون بقاتونهم
٤٧٩	الجماعات الصراية تنظم نفسها
٤٨٠	التشريع الإسلامي والقانون القوطي
٤٨١	عمل قوطية
٤٨٨	اختلاف نظم القضاء في الأندلس عن حيلاتها في المشرق
٤٨٩	العرب يحترمون نظم البلديات
٤٩٠	فومس الأندلس
٤٩٠	العرب يتركون لأهل اللغة حرية اختيار رؤسائهم
٤٩٢	الوظائف القوطية لتدخل في النظم العربي العام
٤٩٢	قاضي المعجم
٤٩٣	صاحب المدينة
٤٩٣	المشرف
٤٩٣	صنفرج التفرنج
٤٩٤	صاحب الشرطة
٤٩٤	الأمين
٤٩٤	العريف
٤٩٥	الرداج

٤٩٥	المسلمون والكنيسة
٤٩٧	المسيحية في إسبانيا القوطية
٤٩٧	الكنيسة والنزول أيام القوط
٤٩٩	وأي رابنهارت دووي
٥٠٦	الحق العامة بعد شهادة الكنيسة والدولة
٥٠٤	الحملات الدينية والفتح الإسلامي
٥٠٧	رأي في الحملات الدينية المسيحية
٥٠٩	الإسلام يضع حداً للاستقطابات الدينية المسيحية في الأندلس
٥١٢	أثر الإسلام في نصرة الأندلس
٥١٣	المسلمون والكنيسة الإسبانية
٥٢٠	انتقال مركز المسيحية الأندلسية إلى قرطبة
٥٢١	الكنيسة الأندلسية في الطاق الشرقي
٥٢٢	الطقوس القوطية الكنسية
٥٢٢	البابوية والطقوس القوطية
٥٢٤	وظائف الكنيسة
٥٢٥	المسلمون وأعمال الكنيسة
٥٢٦	سياسة أمراء المسلمين تجاه أهل القلعة
٥٢٧	يؤيد فيها مسلمون ونصارى
٥٢٨	خلفاء عبد العزيز بن موسى وأهل القلعة
٥٣٠	ثورة أنثربلا واستسلامه
٥٣٠	نصارى الأندلس يحضون إلى بيت المقدس
٥٣١	عبد الرحمن الثاقفي وأهل القلعة
٥٣١	موقف عبد الملك بن نفل من أهل القلعة
٥٣٢	المسلمون ونصارى القلعة
٥٣٢	عقبة بن الحجاج وأهل القلعة
٥٣٦	أوطيس
٥٣٨	المطران سيثيليا
٥٣٩	النصارى يعمرون بعض البلاد المغلقة
٥٤٠	تعمير شقوبية
٥٤١	ميلاد إمارات شرب والأشون وبيرة
٥٤٢	اليهود في إسبانيا قبل الفتح

٥١٢	اصطفاة القوط لليهود
٥١١	المسلمون واليهود
٥١١	تنظيم جماعات لليهود
٥١٥	حكومة الجياعاطك اليهودية

الفصل الحادي عشر : الإدارة والمال ٥١٩ - ٦٥٧

٥٤١	قنة المرامع عن شؤون الإلوة والمال
٥٤٢	أنظمة الإداري
٥٤٣	كتاب الأندلس ونسبه الإداري
٥٥٦	أصول التنظيم الإداري الإسلامي في الأندلس
٥٥٧	تقسيم بلاد الأندلس المعروف باسمه قسطنطين
٥٥٩	قسمة قسطنطين كما يعرفها البكري
٥٦٣	التقسيم الكنسي
٥٦٥	المدينة أساس للتقسيم الإداري الروماني
٥٦٨	القوط والتقسيم الروماني
٥٦٩	إستحلال المدن خلال العصر القوطي
٥٧٠	الكنيسة تحفظ بالتقسيم الروماني
٥٧١	الاتجاه العربي في التقسيم الإداري
٥٧٢	الأجناد
٥٧٥	التقسيمي والتنظيم الإداري للأندلس
٥٧٧	موسم جنينة
٥٧٧	ترجمة كاملة لبطريرك الرادي
٥٧٨	تعليق معلق من «فرحة الأندلس» لابن خلدون
٥٧٨	قطعة من جغرافية الطبري
٥٨١	التقسيم إلى مدن وكور
٥٨٥	المدينة كنس إداري
٥٩٠	ظهور مصطلح الكورة
٥٩٢	التقسيمات الفرعية : الإقليم
٥٩٨	الجزء
٦٠٠	المنطقة الأم
٦٠١	المصروف والمعاقل
٦٠٣	تقسيم معاري الأنهار

1٠٤	البراسي
1٠٤	الضباع
1٠٥	التحصن
1٠٦	الشيخة والتكويرا
1٠٧	القتال العرب عن أهل البلاد أول الأمر
11٧	اشتراك أهل البلاد في الحروب
11٧	التعليق الشمالي
11٧	الإدارة المركزية
11٧	نظام الولاية
11٥	تفكير الخلافة في إخلاء الأندلس
11٠	بيت يولاء الأندلس
11٣	الطبعة الثانية
114	أسس النظام المالي في الأندلس برواية محمد بن مزين
114	رأي ابن حزم
11٠	رأي ابن الخطيب
111	الخلافة تعتبر الأندلس ثراً
111	اعتبار أراضي الجنوب إطلاعات لمن استولوا عليها
111	بذرة أرض الأندلس أرض صلح
11٥	زول العرب في بعض نواحي الشمال
11٦	التصرف في أموال الخبايا
118	لروايت العرب الأول في الأندلس
111	القائل تلك إطلاعاتها ملكاً عاماً
11٣	بعض التروايف العامة
114	النصاء
11٥	مسألة نصاء الأندلس الأول
114	قاضي الحد وقاضي الجماعة
1١٠	عهد تولية نصاء لمهدي بن مسلم
1١1	عقرا بن قلاح
1١٣	مهاجر بن تومل القرشي
1١٣	يحيى بن يزيد التجيبي
1١1	معاوية بن صلح الحضرمي

٦٥٥	اتهام الأندلس لبحر طنجنا ملكك
٦٥٦	تقطعة اليد للملكة الأندلسية

الفصل الثاني عشر: قيام الدولة الأموية ٦٥٩ - ٦٨٧

٦٦٢	فرار عبد الرحمن إلى المغرب
٦٦٤	المغرب في فترة الانتقال من الأمويين إلى العباسيين
٦٦٦	عبد الرحمن بن معاوية في المغرب
٦٦٧	تكتيك عبد الرحمن في ضم الأندلس
٦٧١	وصول وفد موالي بني أمية واليهود إلى عبد الرحمن
٦٧٤	دخول عبد الرحمن الأندلس
٦٧٦	بداية الصراع بين عبد الرحمن ويوسف القهري والصحيل
٦٨٠	موقعة المضارة
٦٨٤	قيام الدولة الأموية الأندلسية
٦٨٤	مسير يوسف القهري والصحيل بن حاتم
٦٨٧	نهاية عصر الولاة
٦٨٩	المراجع
٦٨٩	أ- مراجع عربية
٦٩٤	ب- مراجع غير عربية
٦٩٩	ج- المراجع العربية لتاريخ المغرب والأندلس
٧٠٦	د- مراجع غير عربية

التقارير العامة

٧١٦	الأعلام
٧٣٤	الأماكن
٧٥١	أعيان أخرى للمؤلف
٧٤٤	القبرص

THE DAWN OF AL-ANDALUS

A Study of the history of Muslim Spain from the Arab conquest in 711 A.D. till the rise of the Umeyyad Emirate of Cordova in 756 A.D.

BY
HUSSAIN MONÉS



DAR AL-MANAHEL



AL'ASR AL-HADITH

Fax:(03)564228 Tel:-(03)791826 P.O.Box:5642-14
BEIRUT - LEBANON